



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

يناير - أبريل ٢٠٢٢ م

الجزء : ١

العدد : ٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu.edu.sa

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي

(رئيس التحرير)

أستاذ الأدب والنقد المشترك بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي

(مدير التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي

أستاذ النحو والصرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمد علي العوفي

أستاذ اللغويات المشترك بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبوشي

أستاذ البلاغة المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن صالح الشنطي

أستاذ الأدب والنقد بجامعة جدرا-الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض-جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف-جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

قسم النشر: عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب لثركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحماش

أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمد بن مريسي الحارثي

أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد. تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية-الخطوم

د. سليمان بن محمد العبيدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة(*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستنلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيتّه.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتّوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلّات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤوّل حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلّا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاجو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	العطف على معمولي عاملين مختلفين معنى وعملاً د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي	٩
(٢)	حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في حماسة أبي تمام عرضاً ودراسة د. إبراهيم غازي مناور الحربي	٤٧
(٣)	الأوقات المؤرخُ بها في نقوش الحجاز في القرون الهجرية الثلاثة الأولى - دراسة نحوية د. سُلطان بن عَوَّاض العوفي	٨٩
(٤)	استئناف التقنين النحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية د. عمر محمد أبو نواس	١٢٥
(٥)	دراسة صوتية للحروف الصحيحة المشبهة بحروف العلة د. خضر بن محمد تقي الله بن مايابي	١٧٩
(٦)	المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي: (How) دراسة تقابلية تداولية د. عبد الغني عيسى أوبارخوا	٢٢٣
(٧)	صورة اللغة العربية مقاربات ونماذج د. يحيى بن أحمد عبد الله اللتيني	٢٧٩

م	البحث	الصفحة
(٨)	مفعولُ المشيئة عند البلاغيين د. سلمان محمد حسن القرني	٣٠٩
(٩)	التوظيف البلاغي لمادتي (شَرَى) و(بَدَّلَ) في النظم القرآني د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي	٣٤٣
(١٠)	من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية د. محمد وسيم خان	٣٨٩
(١١)	فلسفة الكتابة عند المبدعين ("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً) د. ماجد بن أحمد الزهراني	٤٤٣
(١٢)	أثر استلهام التراث في تجليات الذات الشاعرة في ديوان "مزاها زنجبيل" لفواز اللعبون د. أسماء حسن محمد النويري	٤٧٥
(١٣)	تصور مقترح لإعداد المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء معايير بنائها د. أيمن بن سويلم الجريشي	٥٠٥

العطف على معمولي عاملين مختلفين معنىً وعملاً

Conjunction on the Elements of Two Different Factors
Meaningfully and Functionally

د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب بمحافل عسير

بجامعة الملك خالد

البريد الإلكتروني: halzbade@kku.edu.sa

العطف على معمولي عاملين مختلفين معنى وعملاً، د. حسن بن كُرَيْم بن محمد الزبيدي

المستخلص:

يعرض هذا البحث لمسألة جواز العطف على معمولي عاملين معرّفًا بها، ومُتَبِّعًا لاختلاف النحاة فيها بين الجواز والمنع، واقتضى ذلك وجود مبحثين، الأول: التعريف بمسألة العطف على معمولي عاملين وبيان صورها وأحكامها، والثاني: مناقشة مذاهب النحاة في مسألة العطف على معمولي عاملين وتحليل الشواهد الواردة فيها، وسار البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي، وتمّ التوصل إلى نتائج أهمها: ترجيح مسألة جواز العطف على معمولي عاملين؛ لكثرة الشواهد عليها من كلام العرب، وتأويلات المانعين لشواهد جواز العطف على معمولي عاملين انطوت على تكلف بيّن أخرج الكلام عن ظاهره وأوقع في التعقيد الذي لا مبرر له.

الكلمات المفتاحية: العطف - معمول - عاملين - حذف المضاف - حذف الجار.

Abstract

This research presents the issue of the permissibility of conjunctions on the elements of two different factors, and traces the controversy between grammarians on its permissibility and prohibition. This requires presenting two research points.

The first one is to define conjunctions on the elements of two factors and illustrate its forms and functions. The second is to discuss the schools of grammarians on the issue of coordinating conjunctions for two different factors and to analyze the evidences therein. This research followed the descriptive analytical approach. The findings reached are as follows: the preponderance of the issue of the permissibility of conjunctions on the elements over two factors; due to the abundance of evidence on it from the words of the Arabs; and the interpretations of those who disagreed on the evidence of the permissibility of using conjunctions on the elements of two factors are laced with clear exaggeration which led to changing speech from its apparent meaning and causing a baseless complexity.

Key words:

Conjunction – element – two factors- deleting the additive – deleting al-jarr.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْم بن محمد الزبيدي

المقدمة

اختلف النحاة في جواز العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، فأجازه بعضهم مطلقاً، ومنعه بعضهم مطلقاً، وأجازه آخرون بشروط، ووردت شواهد كثيرة في العطف على معمولي عاملين، ردها كبار النحاة، وخرّجوها على غير هذا الباب؛ ليسلم لهم القول بمنع العطف على معمولي عاملين، غير أن كثرة الشواهد لهذه المسألة في القرآن الكريم والشعر وكلام العرب، دعيتي للوقوف عليها ودراسة أقوال النحاة فيها؛ للوصول إلى القول الراجح.

وقد كانت خطواتي في كتابة هذا البحث تتبّع أقوال النحاة في هذه المسألة، ومحاولة استقصاء جميع الشواهد الواردة فيها، ودراسة كلِّ شاهد منها، بإيضاح وجه الاستشهاد فيه عند المجيزين، والوقوف عند تأويله وتخريجه عند المانعين، واقتصرْتُ في دراسة هذه المسألة على الشواهد الواردة في القرآن الكريم، وشعر الاحتجاج، وكلام العرب الفصحاء، وتركت الشواهد الواردة في دواوين السنة^(١)؛ لما للنحاة من موقف من الاستشهاد بالحديث، وتركت كذلك شواهد الشعراء المولّدين^(٢)؛ لعدم استشهاد النحاة بشعرهم، وختمت الدراسة

(١) من ذلك: ما ورد في الطبراني، "المعجم الأوسط". تحقيق طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني. (القاهرة: دار الحرمين)، ٣: ٣٨، من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا وَقَعَ الدُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءٌ، وَالْآخَرُ شِفَاءٌ" والشاهد: في جرّ (الآخر) ونصب كلمة (شفاء)، حيث عطف (الآخر) على (أحد)، وعطف (شفاء) على (داء)، والعامل في (أحد) حرف الجر (في)، والعامل في (داء) الحرف الناسخ (إن)، حيث عطف بالواو على معمولي عاملين هما: في، وإن.

(٢) من ذلك قول المتنبي: للسي ما نكحوا والقتل ما ولدوا... والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا والشاهد في البيت جر (القتل) و(النهب) و(النار) دون إعادة لام الجر، فعطف بالواو في الجمل الثلاث على معمولي عاملين هما: الابتداء، واللام. ينظر: أبو العلاء المعري، "اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي". تحقيق محمد سعيد المولوي. (ط١)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، ص: ٦٧٥

بالترجيح بعد تحليل الشواهد والأقوال.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى جمع أقوال النحاة في مسألة العطف على معمولي عاملين مختلفين جوازاً ومنعاً، ومناقشة الشواهد الواردة في ذلك؛ سعياً لإدراك الراجح منها.

أسباب اختيار موضوع البحث:

دعاني لاختيار هذا الموضوع أنه لم يأخذ حقه من البحث والدراسة، برغم ثرائه من جهة تعدد الأقوال وكثرة الشواهد.

أهمية موضوع البحث:

يكتسب هذا الموضوع أهمية؛ لأنه يتناول مسألة وقع الخلاف فيها بين كبار النحاة بين الجواز والمنع، واضطربت الأقوال في نسبة الآراء فيها؛ ولأنه يجمع الشواهد الواردة في المسألة ويعرض لمواطن الاستشهاد فيها من قبل المجيزين، ويعرض لمواطن التأويل من قبل المانعين، ويُعْمِلُ المَرَجِّحَاتِ؛ وصولاً للرأي الراجح المتسق مع سنن كلام العرب.

محتوى البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، ففي المبحث الأول تناولت الغرض من استعمال العرب العطف في كلامها، وعلاقة حرف العطف بالعامل، وعرفت مسألة العطف على معمولي عاملين وصورها وأحكامها، وفي المبحث الثاني: بينت مذاهب النحاة في العطف على معمولي عاملين وشواهدهم، وفي الخاتمة أوردت النتائج التي توصلت إليها.

منهج البحث:

المنهج الذي اتبعته في كتابة هذا البحث، وتحقيق أهدافه، والوصول إلى نتائجه هو المنهج الوصفي التحليلي.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْم بن محمد الزبيدي

المبحث الأول: تعريف مسألة العطف على معمولي عاملين وبيان صورتها وضابطها

استخدمت العرب العطف في كلامها لتتخلص من تكرار العوامل، فحرف العطف يقوم مقام العامل ويغني عن إعادته؛ ففي حروف العطف اختصار بديع، وهو أنها تكفي مؤونة تكرير العامل^(١)، والعامل في المعطوف مضمّر يدل عليه حرف العطف، وهو في معنى العامل... وكأنك إذا قلت: قام زيد وعمرو، قلت: قام زيد قام عمرو، وأغنت الواو عن إعادة الفعل^(٢).

وإذا كان حرف العطف كالعامل فمن القواعد المقررة عند النحاة: أنّ العامل الواحد لا يعمل عملين في موضع واحد^(٣)؛ فإذا قلنا: قام زيد في الدار والقصر عمرو، فإننا نكون قد عطفنا (القصر) على (الدار) المجرورة بحرف الجر (في) و(عمرو) على (زيد) المرفوع بالفعل (قام) بعامل واحد فتكون الواو جارة رافعة في وقت واحد، وهذا مخالف للقاعدة التي قررها النحاة من أن العامل الواحد لا يعمل عملين في موضع واحد.

من هنا نشأ الخلاف بين النحاة في مسألة العطف على معمولي عاملين، وعلى هذه القاعدة اعتمد المانعون العطف على معمولي عاملين، وأولوا كل شاهد خالف هذه القاعدة

(١) ينظر: أبو سعيد السيرافي، "شرح كتاب سيبويه". تحقيق أحمد حسن مهدي، علي سيد علي. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٨ م)، ١: ٣٨٣؛ وابن الخباز. "توجيه اللمع". تحقيق أ. د. فايز زكي محمد دياب. (ط٢، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م)، ص: ٢٨٣.

(٢) ينظر: السُّهَيْلي، "نتائج الفكر في النحو". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٢ - ١٩٩٢ م)، ص: ١٩٥.

(٣) ينظر: العكبري، "التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيّين". تحقيق د. عبد الرحمن العثيمين. (ط١، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، ص: ٢٠٠.

وأجازه فريق من النحاة مطلقاً وفريق آخر بقيود، فكانت هذه الدراسة لمناقشة أقوال النحاة في هذه المسألة وشواهدهم، والترجيح بين هذه الأقوال.

مصطلح العطف على عاملين

الصورة التي وردت للعطف على معمولي عاملين مختلفين في نحو قولنا: قام زيدٌ في الدارِ والقصرِ عمرؤً، سمّاها أكثر النحويين بـ (العطف على عاملين)، وإنما هي عطف على معمولي عاملين، وليست عطفاً على عاملين؛ غير أن النحاة ذكروا هذه المسألة باسم (العطف على عاملين)، قال ابن السراج: (باب العطف على عاملين)^(١)، وكذا وردت عند النحاس^(٢) والسيرافي^(٣) والفارسي^(٤) وابن جني^(٥) وغيرهم.

وقد خطأ ابن هشام هذه التسمية فقال في باب: (التحذير من أمور اشتهرت بين العربين والصَّواب خَلافُهَا) الصواب: "العطف على معمولي عاملين"^(٦)، ولا شك أن تعبير

(١) ينظر: ابن السراج، "الأصول في النحو". تحقيق عبد الحسين الفتلي. (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ٢: ٦٩.

(٢) ينظر: النَّحاس، "إعراب القرآن". تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ)، ٤: ٩٣.

(٣) ينظر: أبو سعيد السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٨٣.

(٤) ينظر: الفارسي، الحسن بن أحمد. "التعليقة على كتاب سيبويه". تحقيق د. عوض القوزي. (ط١ ١٤١٠هـ)، ١: ١٠٢؛ والفارسي، "الحجة للقراء السبعة". تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجايي. (ط٢، دمشق: دار المأمون للتراث ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، ٢: ٤٢٠.

(٥) ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني، "المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها". (وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ١: ٢٨٢.

(٦) ينظر: ابن هشام، "مغني اللبيب عن كتب الأعراب". تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. (ط٥، دمشق: دار الفكر)، ١/٨٥٧.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي
ابن هشام أدق، وهو المقصود من كلام النحاة، بدليل ذكرهم ذلك في شرحهم للمسألة
وأمثلتها، وقد أجاز الرضي هذا التعبير وخرَّجه على أنه من باب حذف المضاف وإقامة
المضاف إليه مقامه^(١)؛ لذا فما ورد في هذا البحث من التعبير بالعطف على عاملين إنما هو
من قبيل الموافقة للمصطلح الشائع عند النحاة؛ ولما ذكره الرضي من تخريج وجيه لهذا التعبير.

صورة العطف على معمولي عاملين مختلفين

أن يتقدّم مرفوع ومنصوب، أو مرفوع ومجرور، أو منصوب ومجرور، ثمّ تعطف
عليهما من غير إعادة العامل، ومثاله: قام زيدٌ وضربتُ عمرًا وبكرًا وخالدًا، فقد تقدّم
مرفوع، ومنصوب، وهما: "زيد" و"عمرو" ثمّ عطفت "بكر" على "زيد"، و"خالدًا"
على "عمرًا" وهذا هو الذي وقع فيه الخلاف، كأنك قلت: قام زيدٌ وضربتُ عمرًا، وقام
بكرٌ وضربتُ خالدًا^(٢).

ضابط العطف على معمولي عاملين مختلفين

نقل أبو حيان عن ابن الطراوة أنّ العطف على معمولي عاملين إنما يكون فيما كان
العاملان فيه من العوامل اللفظية المؤثرة لفظاً ومعنى، فإن انخرم شرط من هذه لم يكن من
هذا الباب.

فإذا لم يكن العاملان من العوامل اللفظية المؤثرة فهي جائزة، كأن يكون العاملان
ابتداءً، أو أحدهما نحو: زيدٌ في الدار والقصرِ عمرو، وكأن يكون العامل زائداً لا أصلياً،

(١) ينظر: الاسترأباضي "شرح الرضي على كافية ابن الحاجب". تحقيق د. يوسف محمد عمر. (ليبيا:

جامعة قار يونس ١٣٩٥-١٩٧٥م)، ٢: ٣٤٤.

(٢) ابن الأثير، "البديع في علم العربية". تحقيق د. فتحي أحمد علي الدين. (ط١، مكة المكرمة: جامعة

أم القرى ١٤٢٠ هـ)، ١: ٣٨٢.

كالباء الداخلة في خير (ليس)، و (ما)، و (من) في النفي، فهو جائز نحو: ليس زيدٌ بقائمٍ، ولا خارج أخوه، وما شرب من غسلٍ زيدٌ، ولا لبنٍ عمرو، وما شرب زيدٌ من غسلٍ ولا لبنٍ عمرو، وأجاز ابن طلحة: زيدٌ في الدارِ والقصرِ عمرو كابن الطراوة^(١).

(١) ينظر: أبو حيان، "ارتشاف الضرب من لسان العرب". تحقيق رجب عثمان محمد. (ط١، القاهرة:

مكتبة الخانجي ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م)، ٤: ٢٠١٦

العطف على معمولي عاملين مختلفين معنى وعملاً، د. حسن بن كُرَيْم بن محمد الزبيدي

المبحث الثاني: مذاهب النحاة في العطف على معمولي عاملين

للنحاة في العطف على معمولي عاملين مختلفين أربعة مذاهب:

الأول: الجواز مطلقاً، سواء أكان أحد العاملين جازاً أم لم يكن، قال أبو حيان: "ذكر الفارسي في بعض كتبه جواز ذلك مطلقاً عن قوم من النحويين، ونُسب للأخفش" (١)، ونسب صاحبُ حماة القولَ بالجواز مطلقاً إلى الفراء (٢).

الثاني: الجواز إن كان أحد العاملين جازاً، بشرط أن يكون المجرور متقدماً في المعطوف، سواء تقدم المجرور في المعطوف عليه نحو: إنَّ في الدارِ زيداً والحجرةَ عمراً، أم لم يتقدم نحو: إن زيداً في الدارِ والحجرةَ عمراً، وهو مذهب الأخفش، والكسائي، والفراء، والزجاج، وأبي بكر بن طلحة (٣).

فإن لم يكن المجرور متقدماً في المعطوف كقولك إنَّ زيداً في الدارِ وعمراً الحجرةَ فممتنع عند أصحاب هذا القول، وإذا لم يكن أحد العاملين جازاً نحو: كان آكلاً طعامك زيد وتمراً عمرو؛ أي: وكان آكلاً تمراً عمرو، فممتنع عند أصحاب هذا القول كذلك، وجائز عند أصحاب القول الأول القائلين بجواز العطف على معمولي عاملين مطلقاً (٤).

الثالث: أن يتقدم المجرور في المتعاطفين معاً فيجوز: إنَّ في الدارِ زيداً والقصرَ عمراً، أو لا يكون متقدماً في المتعاطفين معاً فيمتنع نحو: إن زيداً في الدارِ والحجرةَ عمراً، ونُسب

(١) المرجع السابق: ٤/٢٠١٤.

(٢) أبو الفداء، "الكناش في في النحو والصرف". تحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام. (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر ٢٠٠٠ م)، ١/٢٣٢.

(٣) ينظر: ابن السراج، "الأصول" ٢: ٦٩؛ والسيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٣٨؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب" ٤: ٢٠١٤.

(٤) ينظر: ناظر الجيش، "تمهيد القواعد". تحقيق أ. د. علي محمد فاخر وآخرون. (ط ١ القاهرة: دار السلام للنشر ١٤٢٨هـ)، ٧: ٣٥٠٤.

هذا لأبي الحجاج الأعمى؛ لتساوي الجملتين^(١).

الرابع: المنع مطلقاً، وهو ظاهر قول سيبويه، ومذهب هشام والمبرد وابن السراج والزحشري^(٢)، ونقل ابن مالك الإجماع على منعه^(٣)، وقد ذكر ابن السراج التعليل في منع جواز العطف على معمولي عاملين بقوله: "اعلم: أن العطف على عاملين، لا يجوز من قِبَلِ أَنْ حُرِفَ العطفُ إنما وضع لينوب عن العامل، ويغني عن إعادته، فإن قلت: قام زيدٌ وعمروٌ فالواو أغنت عن إعادة "قام" فقد صارت ترفع كما يرفع قامٌ، وكذلك إذا عطفت بها على منصوب نحو قولك: إن زيداً منطلقٌ وعمراً فالواو نصبت كما نصبت "إن" وكذلك في الخفض إذا قلت: مررت بزيدٍ وعمروٍ، فالواو جرت كما جرت الباء، فلو عطفت على عاملين أحدهما يرفع والآخر ينصب لكنت قد أحلت؛ لأنها تكون رافعةً ناصبةً في حال قد أجمعوا على أنه لا يجوز أن تقول: مرَّ زيدٌ وعمروٌ وبكرٌ خالدٍ، فتعطف على الفعل والباء ولو جاز العطف على عاملين لجاز هذا"^(٤).

رأي سيبويه في العطف على معمولي عاملين

اختلف النحاة في مذهب سيبويه في مسألة العطف على معمولي عاملين؛ لذا كان هذا العنوان للوقوف على رأي سيبويه في هذه المسألة من خلال نقل العلماء عنه وشرحهم لما أورده في كتابه.

(١) ينظر: أبو حيان، "ارتشاف الضرب" ٤: ٢٠١٥.

(٢) ينظر: المبرد، "المقتضب". تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة. (بيروت: عالم الكتب). ٤/١٩٥؛ وابن السراج، "الأصول"، ٢: ٦٩؛ وأبو حيان، "ارتشاف الضرب" ٤: ٢٠١٦؛ وابن هشام، "مغني اللبيب"، ١: ٦٣٤.

(٣) ينظر: ابن مالك، "شرح تسهيل الفوائد". تحقيق: د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون. (ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ١٤١٠هـ)، ٣: ٣٧٨.

(٤) ابن السراج، "الأصول"، ٢: ٦٩.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي

لم يصرح سيبويه برأيه في هذه المسألة، لكنه في باب عمل (ما) أورد مسألة: ما أبو زينب ذاهبًا، ولا مقيمة أمُّها، وذكر أنه لا يجوز في مقيمة إلا الرفع ولا يجوز أن تنصب مقيمة، بالعطف على (ذاهبًا)، وتجعله خبرًا عن الأب؛ لأن الأم مضافة إلى ضمير زينب، وليس أمها من سبب الأب بل هي أجنبية عنه، فلو قلت: ما أبو زينب مقيمة أمها لم يجز؛ لأنها ليست من سببه، واستشهد سيبويه على ذلك بقول الأعرور الشَّيْ:

هَوْنٌ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا
فَلَيْسَ بِأَتِيكَ مَنْهِيهَا وَلَا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا^(١)

لأنه جعل المأمور من سبب الأمور، ولم يجعله من سبب المنهي^(٢)، وقد وضَّح السيرافي وجه استشهاد سيبويه بالبيت بقوله: "منهيا اسم ليس، والضمير الذي فيها ضمير المأمور، فكأنه قال: "ليس بآتيك منهي الأمور"، وخبره: "ليس بآتيك، وقوله: و"لا قاصر عنك مأمورها". "مأمور"، مضاف إلى الأمور، وليس بمضاف إلى اسم "ليس"، فهو أجنبي منه، فصار بمنزلة قولك: "ما أبو زينب ذاهبًا، ولا مقيمة أمها"؛ لأن "الأم" لم تضاف إلى اسم "ما"^(٣).

وأورد السيرافي اعتراضًا محتملاً في استشهاد سيبويه على المسألة بهذا البيت؛ لأن مسألة: ما أبو زينب ذاهبًا، ولا مقيمة أمُّها، لا يجوز في المعطوف إلا الرفع، أما المعطوف في البيت فيجوز فيه الرفع والنصب.

وأورد اعتراضًا آخر بأنَّ المسألة التي أوردها في العطف على ما عملت فيه (ما)،

(١) "ديوان الأعرور الشني". تحقيق ضياء الدين الحيدري. (ط١، بيروت: مؤسسة المواهب للطباعة والنشر ١٤١٩هـ)، ص: ٢٤.

(٢) ينظر: سيبويه، "الكتاب". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ١: ٦٣.

(٣) السيرافي "شرح كتاب سيبويه" ١: ٣٣٧.

والبيت فيما عملت فيه (ليس)، وحكم تقديم الخبر في (ليس) ليس مثله في (ما)، ففي (ليس) ينصب الخبر إذا تقدم على الاسم، ويمتنع نصب خبر ما إذا تقدم على اسمها.

وقد أجاب السيرافي عن هذين الاعتراضين المحتملين بجوابين:

الأول: أنه استشهد بالبيت؛ ليرينا كيف سيكون حكم "ما" لو كانت مكان "ليس" في هذا البيت.

الثاني: أنه استشهد بالبيت؛ ليرينا أن الجملة الثانية غريبة من الجملة الأولى؛ لأن الضمير الذي في الجملة الثانية وهو الهاء في (مأمورها) ليس عائداً على الاسم الأول وهو (المنهي)، وإنما هو ضمير ما أضيف إليه وهي الأمور، أي: منهي الأمور^(١).

ثم إن سيبويه بعد أن ذكر هذه المسألة واستشهد عليها بهذا الشاهد، ذكر أنه يجوز في (قاصر) الجر، وذكر في توجيه ذلك بأن الهاء في "مأمورها" وإن كان عائداً على "منهئها" إلا أن "منهئها" متّصل بالأمور، فإذا عطف على "منهئها" فكأنه عطف على الأمور؛ لأن المنهي هو بعض الأمور^(٢)، واستشهد سيبويه على هذه المسألة ببيت آخر، وهو قول النابغة الجعدي:

فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَاحًا وَلَا مُسْتَنَكَّرًا أَنْ تُعْقَرًا^(٣)

ووجه استشهاد سيبويه بهذا البيت على المسألة أن قوله: (فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا) أي: فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا رَدَّهَا، ف (رَدَّهَا) اسم لَيْسَ، وب (معروف لنا) الخبر، ثمَّ قَالَ: (وَلَا مُسْتَنَكَّرًا أَنْ تُعْقَرًا) وتأويله: وَلَا مُسْتَنَكَّرَ عَقْرَهَا، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مُنْقَطِعًا عَنِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ الْعَقْرَ مُضَافًا إِلَى ضَمِيرِ الْخَيْلِ، وَلَيْسَ يَرْجِعُ إِلَى الرَّدِّ، وَالرُّدُّ غَيْرُ الْخَيْلِ، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ:

(١) ينظر: المرجع السابق، ١: ٣٣٧.

(٢) ينظر: سيبويه "الكتاب"، ١: ٦٤؛ والمبرد، "المقتضب"، ٤: ١٩٦.

(٣) "ديوان النابغة الجعدي". تحقيق واضح الصمد. (ط ١ بيروت: دار صادر ١٩٨٩م)، ص: ٧٠. ورواية الديوان (ولا مستنكراً) بالنصب.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معنى وعملاً، د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي
مَا أَبُو زَيْنَبٍ قَائِمًا وَلَا ذَاهِبَةً أَمَهَا^(١).

وأجاز سيبويه في (مستنكر) الجر، وذلك أن قوله رَدَّهَا بمنزلة رد الخيل، وذلك أن قبل
هذا البيت:

وَنُنَكِّرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ حَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ الْجُونََ أَشَقْرًا^(٢)
فإذا قال: " فليس بمعروف لنا رد الخيل "، جاز أن تجعل رد الخيل بمنزلة الخيل، قال
سيبويه: "يجوز أن يُجَرَّ وَيَحْمَلَهُ عَلَى الرَّدِّ وَيُوْتَّثُ لِأَنَّهُ مِنَ الْخَيْلِ"^(٣)، واعترض الأخفش على
تخريج سيبويه لرواية الجر في الشاهدين؛ وذلك لأنَّ الأخفش يميز العطف وإن لم يكن الثاني
من سبب الأول^(٤).

وقد ذكر النحاة أن سيبويه إنما يمنع عطف الثاني على الأول إذا لم يكن من سببه؛
لأنه عطف على عاملين، وسيبويه يمنع العطف على عاملين، والأخفش يزعم أنَّ هذا خطأ
ويميز العطف على العاملين^(٥).

وذكر النحاس أن سيبويه ممن يقول بجواز العطف على عاملين^(٦). قال أبو العلاء
المعري: "وأصحاب سيبويه يختلفون في مذهبه؛ فيذهب قوم إلى أنه كان يميز العطف على
عاملين، وبعضهم ينكر ذلك"^(٧).

(١) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٤: ١٩٤-١٩٥.

(٢) "ديوان النابغة الجعدي"، ص: ٧٠ ورواية الديوان: (وتنكر) مكان (وننكر)، و(تحسب) مكان
(نحسب) بالتاء فيهما.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ١: ٦٤.

(٤) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٤: ١٩٥؛ وابن السراج، "الأصول" ٢: ٧٣.

(٥) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٤: ١٩٥؛ وابن السراج، "الأصول" ٢: ٧٣؛ والسيرافي، "شرح كتاب
سيبويه"، ١: ٣٣٨، والفارسي، "التعليقة على كتاب سيبويه"، ١: ١٠١-١٠٢.

(٦) ينظر: النحاس، "إعراب القرآن"، ٤: ٩٣.

(٧) ابن الأثير، "اللامع العزيري"، ١: ٦٧٥.

والمشهور عند أكثر النحاة أن سيبويه لا يميز العطف على عاملين، قال ابن السراج: "ومذهب سيبويه ألا يعطف على عاملين" (١) ويقول السيرافي: "اعلم أن سيبويه لا يميز (ليس زيدٌ بقاعدٍ ولا قائمٍ عمرو). وتجويز (ليس زيد بقاعدٍ ولا قائم أبوه)؛ فأما إبطاله (ليس زيد بقاعد ولا قائم عمرو)؛ لأنه لا يرى العطف على عاملين، ومتى أجاز ذلك كان عطفًا على عاملين" (٢).

والذي أراه أن مذهب سيبويه هو منع العطف على عاملين وهو ما أثبتته أكثر النحاة على ماورد، ودلوا على ذلك بالشواهد والأمثلة، وقول النحاس وأبي العلاء إنَّ مذهب سيبويه الجواز قول مرسل لا دليل عليه.

أدلة القائلين بجواز العطف على معمولي عاملين وتوجيهات المانعين

احتج القائلون بجواز العطف على معمولي عاملين بعدد من الأدلة منها:

١- قوله تعالى:

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٤﴾ وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَضَرِّيفُ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ [الجمانية: ٣-٥].
وردت كلمة (آيات) في هذا الشاهد ثلاث مرات، ولا خلاف في الأولى (لآيات) أنها منصوبة على أنها اسم إن. وقرئت (آيات) الثانية والثالثة بالرفع والنصب (٣)، وتخرىج الثانية

(١) ابن السراج، "الأصول"، ٢: ٧١.

(٢) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٣٨.

(٣) قراءة الرفع هي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبي عمرو وابن عامر، وقراءة النصب هي قراءة الأعمش وحمزة والكسائي. ينظر: الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي. (ط١، بيروت: عالم الكتب ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ٤: ٤٣١؛ والنحاس، "إعراب القرآن"، ٤: ٩٢، والفارسي، "الحجة للقراء السبعة" ٦: ١٧٠؛ وأبو حيان، "البحر المحيظ". تحقيق صدقي محمد جميل. (بيروت: دار الفكر ١٤٢٠ هـ)، ٩: ٤١٣.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي
 في حالة الرفع بالعطف على موضع إنَّ مع ما عملت فيه، أو على الاستئناف على معنى:
 (وفي خلقكم آياتٍ)، وتخرجها في حال النصب بالعطف على الجملة السابقة والتقدير:
 (وإنَّ في خلقكم آياتٍ)، وليس في هذا الموضع إشكال، إنما موضع الإشكال في (آيات)
 الثالثة حيث قرئت بالرفع والنصب، وكلاهما تخرَّج على العطف على عاملين، ففي الرفع
 تعطف على ما قبلها والتقدير: (واختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح آياتٍ) وتكون
 (آياتٍ) معطوفة إن شئت على موضع أن وَمَا عَمِلْتُ فيه، وإن شئت على (آياتٍ) السابقة
 في قراءة من قرأ: (وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ)، فتكون على هذا التخرِيج من باب
 العطف على عاملين.

وقراءة النصب هي القراءة الأشهر التي احتج بها القائلون بجواز العطف على عاملين،
 ووجه استشهادهم أنهم قالوا: "وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" مجرور بالعطف على "خلقكم"
 والعامل فيها حرف الجر "في"، وقوله: "آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ" منصوب بالعطف على ما عمل
 فيه "إنَّ" وهو لاياتٍ، فصار بمنزلة قولك: "إنَّ في الدار لزيدًا والقصر عمرًا"^(١).
 وقد ردَّ المبرِّد قراءة النصب^(٢)، قال أبو سعيد السيرافي: "فرد أبو العباس هذه القراءة؛
 لأنه كان مذهبه إبطال العطف على عاملين مختلفين، وقدَّر أن هذه القراءة لا بد فيها من
 العطف على عاملين، ورفع الآيات " في الآيتين الأخيرين ليتخلص من العطف على
 عاملين، فلزمه في الرفع مثل ما فرَّ منه، ذلك أنه جرَّ واختلاف الليل والنهار بالعطف على
 ما قبله، والعامل في رفع الآيات، فيقال له: لم رفعتها؟ فلا بد من أن يكون رفعها بالابتداء
 عطف على موضع "إنَّ"، كما تقول: "إنَّ زيدًا في الدار وعمرو"، فإذا صار كذلك، فقد

(١) ينظر: المبرِّد، "المقتضب"، ٤: ١٩٥؛ وابن السراج، "الأصول في النحو" ٢: ٦٩؛ والسيرافي، "شرح

كتاب سيويه" ١: ٣٣٧؛ وابن هشام، "مغني اللبيب" ١: ٦٣٣-٦٣٤.

(٢) ينظر: المبرِّد، "المقتضب"، ٤: ١٩٥.

عطف على عاملين، وهما في موضع "إن"، الذي هو الابتداء^(١).
 وذهب ابن السراج والسيرافي إلى أن (آيات) المعادة فيها إنما أعيدت لتأكيد الآيات الأولى وهي هي، وتقدير الكلام: (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ، وَاجْتِلَابِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ)، ومثله (إن في الدار زيدا، والقصر زيدا) وهو جائز إذا كان (زيد) الثاني هو الأول، وكذا القول في تخريج قراءة الرفع^(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، ووجه استشهادهم بالآية أن قوله "أو في ضلال مبين" عطف على خبر إن وعلى اللام، والتقدير: "وإنا أو إياكم لعلى هدى وإنا أو إياكم لفي ضلال مبين". فحذف إن واللام من قوله: "أو في ضلال مبين" قال السيرافي بعد أن نقل هذا الاحتجاج والتخريج عن الأخفش: "وهذا لا حجة له فيه؛ لأن قوله: "أو في ضلال مبين" ليس فيه معمول إن منفي، فيكون عطفاً على "إن"، و"اللام" في قوله عز وجل: "لعلى هدى أو في ضلال مبين" غير عاملة. فاحتججه بهذا بعيد^(٣).

٣- قول الشاعر:

هَوِّنْ عَلَيْنَا فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مَقَادِيرُهَا
 فَلَيْسَ بَاتِيكَ مِنْهَيْهَا وَلَا قَاصِرٍ عَنْكَ مَأْمُورُهَا^(٤)

ورد هذا البيت بثلاث روايات برفع "قاصر" ونصبها وجرها.
 وتوجيه الرفع: أن تعرب مأمورها مبتدأ و(قاصر) هو الخبر، والتقدير: ولا مأمورها

(١) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٣٩.

(٢) ينظر: ابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٧٥؛ والسيرافي، "شرح كتاب سيبويه" ١: ٣٤٠.

(٣) ينظر: السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٤٣.

(٤) سبق تخريجه.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي
قاصرٌ عنك؛ فيكون من عطف جملة على جملة، كما تقول: ليس زيد قائماً ولا عمرو
منطلقاً، وليس في هذه الرواية شاهد على العطف على عاملين^(١).

وتوجيه رواية النصب: أن تعطف (قاصراً) على موضع (بآتيك)، وموضعها النصب
على أنها خبر ليس، وتعطف (مأمورها) على (منهيتها). وليس في هذه الرواية كذلك شاهدٌ
على العطف على عاملين؛ لأنه عطف على اسم ليس وخبرها، والعامل فيهما واحد وهو
(ليس)^(٢).

أما رواية الجر فهي التي استشهد بها القائلون بجواز العطف على عاملين، ووجه
استشهادهم أن (قاصرٍ) معطوفة على (آتيك) و (مأمورها) معطوفة على (منهيتها)، فعطف
على عاملين وهما: "الباء" العاملة في "آتيك"، و"ليس" العاملة في "مأمورها"^(٣).

أما المانعون العطف على العاملين فوجهوا الجر بعطف "قاصرٍ" على "آتيك" ورفع
مأمورها باسم الفاعل "قاصرٍ"؛ ولكن هذا التوجيه يلزم منه فساد المعنى؛ لعدم الارتباط
بالمخبر عنه، إذ التقدير حينئذٍ: فَلَيْسَ مِنْهِيهَا بِقَاصِرٍ عَنْكَ مَأْمُورَهَا، وقد أجاب سيبويه عن
هذا بأن الهاء في "مأمورها" وإن كان عائداً على "منهيتها" إلا أن "منهيتها" مُتَّصِلٌ بِالْأُمُورِ
فَإِذَا عَطَفَ عَلَى "منهيتها" فَكَأَنَّهُ عَطَفَ عَلَى الْأُمُورِ؛ لأن المنهي هو بعض الأمور، فكأنه
قال ليس بآتيك الأمور، ولا قاصر عنك بعضها^(٤)، واستشهد سيبويه على جعل منهي
الأمر بمنزلة الأمور بقول جرير:

(١) ينظر: السيرافي، "شرح أبيات سيبويه" ١: ١٦٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق ١: ١٦٣.

(٣) ينظر: المبرد، "المقتضب" ٤: ١٩٦.

(٤) ينظر: سيبويه، "الكتاب" ١: ٦٤؛ وابن السراج، "الأصول" ٢: ٧٢؛ والسيرافي، "شرح كتاب

سيبويه" ١: ٣٤١؛ وابن هشام "المغني" ١/٦٣٤.

إذا بعضُ السنين تعرّفنا كفى الأيتامَ فقدُ أبي اليتيم^(١)
حيث أنّ تعرّفنا مع أنّ "بعض" مدكّر؛ وذلك لأنها أضيفت إلى السنين وهي مؤنث، وهذا يشبه قوله:

فليس بآتيك منهيها ولا قاصرٍ عنك مأمورها^(٢)
حيث جعل منهيها بمنزلة الأمور، فعاد إليها ضمير المؤنث في قوله "مأمورها"، ولو لم تكن منهيها بمنزلة الأمور لقال: مأموره لأن المنهي مدكّر^(٣). وردّ المبرد تخريج سيبويه لرواية الجرّ وردّ استشهاده، وزعم أنه ليس لرواية الجر تخريج إلا على العطف على عاملين وهو غير جائز^(٤).

٤- قول النابغة الجعدي:

فليس بمعروفٍ لنا أن نردّها صحاحًا ولا مستنكرٍ أن تُعفّر^(٥)
والقول في هذا البيت كالقول في سابقه، فقد روي بالرفع والنصب والجر، وتخريج الرفع والنصب كتخريجهما في البيت السابق.
أما رواية الجر فهي التي احتج بها القائلون بجواز العطف على عاملين، ووجه استشهادهم بالبيت أنّ "مستنكر" معطوفة على "معروف" والعامل فيه الباء، و"أن تُعفّر" معطوفة على "أن نردّها" والعامل فيها ليس.
والتقدير فيها: فليس بمعروف لنا ردّها ف (ردّها) اسم ليس و"معروف لنا" الخبر، ثمّ

(١) "ديوان جرير". تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه. (ط٣، دار المعارف)، ١: ٢١٩.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ينظر: السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٤٢.

(٤) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٤: ٢٠٠.

(٥) سبق تخريجه.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْم بن محمد الزبيدي
قَالَ: "وَلَا مُسْتَكْر أَنْ تَعْقِرَا"، وتأويله وَلَا مُسْتَكْر عَقْرُهَا^(١).

وخرّجها القائلون بمنع العطف على عاملين كما خرجوا البيت الأول، على تأويل ردها
بمنزلة رد الخيل، وذلك أن قبل هذا البيت:

وَنُنَكِّرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ حَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى تُحْسِبَ الْجَوْنَ أَشَقْرًا^(٢)

فإذا قال: "فليس بمعروف لنا رد الخيل"، جاز أن تجعل رد الخيل بمنزلة الخيل، قال
سيبويه: "يجوز أن يُجَرَّرَ وَيَحْمَلَهُ عَلَى الرَّدِّ وَيُؤْتَتْ لِأَنَّهُ مِنَ الْخَيْلِ"^(٣). وردّ المبرّد هذا التخرّيج
أيضاً؛ لأن الرّدّ غير الخيل، والعقرّ راجع إلى الخيل، فليس بمتصل بشيء من الخيل ولا داخل
في المعنى، وذكر أنه لا يمكن تخرّيج رواية الجرّ إلا على العطف على عاملين وهو ما لا
يجيزه^(٤).

٥- قول أبي النجم:

أوصيتُ من بَرَّةٍ قَلْبًا حُرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَمَامَةَ شَرًّا^(٥)

ووجه استشهادهم بالبيت أنهم قالوا: (الحمامة) مجرور بالعطف على (الكلب)، والعامل
"الباء"، و(شراً) منصوب بالعطف على (خيراً)، والعامل (أوصيت).^(٦)
وخرّجه القائلون بمنع العطف على العاملين على إعادة تقدير حرف الجرّ الذي حُذِفَ
اختصاراً، والتقدير: (وبالحمامة شراً) وخفض (الحمامة) بهذه (الباء) المقدرة، وحذف حرف

(١) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٤: ١٩٤؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٧٠؛ والسيراfi،

"شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٤١؛ وأبو حيان، "البحر المحيط"، ١٠: ٤٨٧.

(٢) سبق تخرّيجه.

(٣) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ١: ٦٤.

(٤) ينظر: المبرد، "المقتضب"، ٤: ١٩٥؛ وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٧٠.

(٥) "ديوان أبي النجم العجلي". تحقيق محمد أديب عبد الواحد. (دمشق: مجمع اللغة العربية) ص: ١٨٤.

(٦) ينظر: السيراfi، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٣٩، والفارسي، "الحجة للقراء السبعة"، ٦: ١٧٢.

الجر وإعماله مقدراً وارد عن العرب، ومنه قول الشاعر:
سَلِ المَفْتِيَّ المَكِّيَّ ذَا العِلْمِ ما الَّذِي يَحِلُّ من التَّقْبِيلِ فِي رَمَضَانَ
ثم قال:

فقال لي المكيُّ أمًّا لزوجةٍ فسبغَ وأمًّا حُلَّةً فثمان^(١)
فخفض "خلة" بلام قدرها وحذفها، فكأنه قال: وأمَّا لُحْلَةٌ، ولا يجوز أن يكون
بالعطف وذلك أن "أمًّا" لا يعطف ما بعدها على ما قبلها، وهي من الحروف التي ما بعدها
مستأنف، ومن حذف حرف الجر وإعماله مقدراً قول الشاعر:
وَكريمَةٍ من آلِ قيسِ أَلْفُتُهُ حَتَّى تَبَدَّخَ فارتقى الأعلام^(٢)
والتقدير فارتقى في الأعلام.
ومنه قول الشاعر:

إذا قيلَ أيُّ الناسِ شرُّ عصابةٍ أشارتْ كليبٍ بالأكفِ الأصابعِ^(٣)
والتقدير أشارت إلى كليب، غير أن بعضهم ردَّ التخريج بإضمام حرف الجر بأنه
ضعيف وقبيح، وغير جائز إلا في الضرورة^(٤)، وقد ذكر ابن يعيش أن التخريج بإضمام

(١) ينظر: المبرد، "الكامل في اللغة والأدب". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط٣)، القاهرة: دار
الفكر العربي ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م). ١٠: ٢٢٨، قال المبرد: "قال أعرابي أنشدني أبو العالية..."
وأورد البيهقي والسيرافي، "شرح كتاب سيويه"، ١: ٣٤٠ بلا نسبة.

(٢) ينظر: ابن مالك، "شرح التسهيل"، ٢: ١٥١؛ والعيبي، "المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح
الألفية". تحقيق أ. د. علي محمد فاخر، وآخرون. (ط١)، القاهرة: دار السلام للطباعة
والنشر ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ٣: ١٢٧١؛ والسيوطي، "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع".
تحقيق عبد الحميد هندراوي. (القاهرة: المكتبة التوفيقية)، ٢: ٤٦٨ بلا نسبة، قال العيني: "لم أف
على اسم قائله".

(٣) البيت للفرزدق، ورواية الديوان برفع (كليب)، الديوان: ٣٦٢.

(٤) ينظر: السيرافي، "شرح كتاب سيويه" ١: ٣٩٨؛ وابن الحاجب، "الأمالي". تحقيق د. فخر صالح
سليمان قدارة. (بيروت: دار الجيل ١٤٠٩هـ)، "الأمالي"، ٢: ٧١٣.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي
حرف الجر ضعيف، والتخريج على عطف العاملين ضعيف كذلك، وإنما كان الحمل على
إضمار حرف الجر أولى؛ لأن حذف الجر وارد في كلام العرب وله وجه من القياس، ومما
ورد فيه قول الشاعر:

وبلدة ليس بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العيسُ^(١)

والمراد: ورَبُّ بلدة. وقولهم في القَسَم: "اللَّهُ لأفعلنَّ"، ويُحكى عن رُؤبَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقَالُ
له: "كيف أصبحت؟" فيقول: "خير عافاك الله"، يريد: بخير، وقد خرَّج بعضهم الجر في
قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] على
حذف الجارِّ، بتقدير بالأرحام، فقد ثبت بهذا جواز حذف الجارِّ في الاستعمال، وإن كان
قليلاً، ولم يثبت في الاستعمال العطف على عاملين، فكان حمله على ما له نظيرٌ أولى. وهو
من قبيل أحسن القبيحين.

وأما من جهة القياس؛ فلأنَّ الفعل لما كان يكثر فيه الحذف، وشاركه الحرف في كونه
عاملاً جاز فيه ما جاز في الفعل على سبيل التُّدْرَة^(٢).

٦- قول الشاعر:

وليس بمُذِنٍ حَتْفَهُ ذُو تَقَدُّمٍ لِحَرْبٍ وَلَا مُسْتَنْسِيٍّ العُمَرِ مُحْجَمٍ^(٣)
ووجه استشهادهم بالبيت أن "مستنسيء" معطوفة على "مُذِنٍ" والعامل فيها الباء،

- (١) الرَّجَزُ لجران العود في ديوانه، ورواية الديوان: بسابسا ليس بها أنيس... ينظر: "ديوان جران العود
القميري". رواية أبي سعيد السكري. (ط ١، القاهرة: دار الكتب المصرية ١٣٥٠هـ)، ص: ٥٢.
- (٢) ابن يعيش، "شرح المفصل للزمخشري". تقديم: الدكتور إميل بديع يعقوب. (ط ١، بيروت: دار
الكتب العلمية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م). ٢: ١٩٦-١٩٧.
- (٣) لم أقف على قائله، والبيت في ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣٨٧؛ وأبي حيان، "التذليل
والتكميل"، ٤: ٣٢١؛ وناظر الجيش، "تمهيد القواعد"، ٣: ١٢٥١ بلا نسبة.

ومحجم معطوفة على "ذو تقدم" والعامل فيها ليس^(١).

وخرَّجه القائلون بمنع جواز العطف على عاملين بأنَّ (مستنسي) مجرورة بحرف الجر المحذوف (الباء) بدلالة قوله: (بمدن) والتقدير: وليس بمدن ولا مستنسي، قال ابن مالك: "وليس هذا من العطف على عاملين، بل من حذف عامل لدلالة عامل مثله عليه، وحذف حرف الجر من المعطوف لدلالة مثله عليه كثير"^(٢).

٧- قول الفرزدق:

وباشَرَ راعيها الصَّلا بلبانه وجَنَّبِيه حَرَّ النارِ ما يتحرَّقُ^(٣)

ووجه الاستشهاد بالبیت أنه عطف (جنبيه) على (لبانه) والعامل فيها الباء، وعطف (حَرَّ النارِ) على (الصلا) والعامل فيها الفعل، والتقدير: وباشر بجنبيه حَرَّ النار^(٤). وخرَّجه القائلون بمنع العطف على عاملين بأنَّ جنبيه مجرور بحرف الجر المحذوف الباء بدلالة قوله: "بجنبيه"، وقد ردَّ أبو علي الفارسي هذا التخریج، وأنه فرازٌ من عيب إلى عيب آخر فقال: "فإن أضمرت في قول الفرزدق، الجار لتقدم ذكره كما ذهب إليه بعض الناس في قوله: "واختلاف الليل والنهار لآيات"، لم يخلص مع ذلك من عيب آخر، وهو الفصل

(١) ينظر: ابن مالك، "شرح التسهيل لابن مالك"، ١: ٣٨٧؛ وأبو حيان، محمد بن يوسف. "التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق: د. حسن هندواي (ط١)، دمشق: دار القلم ودار كنوز إشبيلية، ٤: ٣٢١.

(٢) ابن مالك، "شرح التسهيل"، ١: ٣٨٣، وينظر: أبو حيان، "التذليل والتكميل"، ٤: ٣٢١.

(٣) "ديوان أبي دؤاد الإيادي". تحقيق أنوار محمود الصالحي و د. أحمد هاشم السامرائي. (ط١)، دار العصماء (١٤٣١هـ)، ص: ٣٨٨.

(٤) ينظر: الفارسي، "الحجة للقراء السبعة"، ٦: ١٧٢؛ والفارسي، "المسائل العسكرية في النحو العربي". تحقيق د. علي جابر المنصوري. (عمان: الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ٢٠٠٢ م). ٨٦؛ والسمين الحلبي، "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون". تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط. (دمشق: دار القلم)، ٩: ٦٣٧.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معنى وعملاً، د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي
بين المعطوف وحرف العطف، وذلك ما لا تكاد تجده في مصطلح حال السعة
والاختيار^(١).

٨- قول أبي دؤاد الإيادي:

أَكَلَّ امْرِئٍ تَحْسِبِينَ امْرَأً وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارًا^(٢)
ووجه استشهادهم أن "نارٍ" معطوفة على "امرئٍ" والعامل فيها "كل"، و"نارًا" معطوفة
على "امرأً" والعامل فيها "تحسبين"^(٣).

وخرَّجه القائلون بمنع العطف على عاملين على تقدير كل محذوفة، قال سيبويه:
"كأنك أظهرت كل، وإنما استغنيت عن تثنيتها لذكرك إيَّها في أول الكلام ولقلة التباسه
على المخاطب. وجاز كما جاز في قولك: ما مثلُ عبدِ الله يقول ذاك ولا أخيه، وإن شئت
قلت: ولا مثلُ أخيه فكما جاز في جمع الخبر كذلك يجوز في تفريقه. وتفريقه أن تقول: ما
مثلُ عبدِ الله يقول ذاك ولا أخيه يكرهُ ذاك. ومثل ذلك ما مثلُ أخيك ولا أهلك يقولان
ذاك، فلمَّا جاز في هذا جاز في ذلك"^(٤).

وذهب بعضهم إلى أن حذف المضاف مكروه بابه الضرورة وحذفه وإبقاء عمله
ضعيف^(٥)، قال ابن يعيش: "فإن قيل: حذف المضاف وإبقاء عمله على خلاف الأصل،
وهو ضعيفٌ، والعطفُ على عاملين ضعيفٌ أيضًا، فلم كان حمله على الجارِ أولى من حمله

(١) الفارسي، "المسائل العسكرية"، ٨٦.

(٢) الديوان: ١١٢.

(٣) ينظر: ابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٧٠؛ والنحاس، "إعراب القرآن" ٤: ٩٣؛ والسيرافي،
"شرح كتاب سيبويه" ١: ٣٤٤؛ وابن جني، "المختص"، ص: ٢٨١.

(٤) ينظر: سيبويه، "الكتاب"، ١: ٦٦.

(٥) ينظر: ابن عطية، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
(ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٢ هـ). ٢: ٥٤٩؛ وأبو حيان، "البحر المحيط"، ٥: ٣٤٨.

على العطف على عاملين؟ قيل: لأن حذف الجارّ قد جاء في كلامهم، وله وَجْهٌ من القياس ولم يثبت في الاستعمال العطفُ على عاملين، فكان حملُه على ما له نظيرٌ أوّل. وهو من قبيل أحسنِ القبيحين^(١).

ويروى البيت بنصب نازراً أوّلي كذلك، وليس في هذه الرواية عطف على عاملين قال ابن السراج وهو الوجه^(٢).

٩- قولهم في المثل: "ما كل سوداءَ تمرّةً، ولا بيضاءَ شحمةً"^(٣)، ووجه استشهدهم بالمثل أنّه عطف "بيضاء" على "سوداء" والعامل فيها كل "وعطف "شحمة" على "تمرّة" والعامل فيها "ما"^(٤).

وخرّجه القائلون بمنع جواز العطف على عاملين، كما خرجوا الشاهد السابق على حذف كل وتقديرها وإبقاء عملها، قال سيبويه: "كأنك أظهرت كلّ فقلت ولا كلّ بيضاء"^(٥).

الترجيح بين الأقوال

استشهد المجيزون العطف على معمولي عاملين بتسعة شواهد، شاهد منها لم يستشهد

(١) ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٢: ١٩٨.

(٢) ينظر: ابن السراج، "الأصول"، ٢: ٧٤.

(٣) ينظر: المفضل بن سلمة. "الفاخر". تحقيق عبد العليم الطحاوي. (ط ١، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٠هـ)، ص: ١٩٥؛ وأبو هلال العسكري، "جمهرة الأمثال". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (بيروت: دار الفكر)، ٢: ٢٨٧؛ والميداني، "مجمع الأمثال". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (بيروت: دار المعرفة)، ٢: ٢٨١ ومعنى المثل: ليس كل ما أشبه شيئاً يكون ذلك الشيء.

(٤) ينظر: ابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٧٠؛ والسيرافي، "شرح كتاب سيبويه" ١: ٣٤٤؛ وابن الحاجب، "الأمالي"، ١: ١٣٤.

(٥) سيبويه، "الكتاب"، ١: ٦٦.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي

به إلا الأخصش، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وأبطل النحاة الاستشهاد به؛ لأنه لم يعطف على (في) الواقعة بعد حرف العطف شيء، فليس بعد حرف العطف إلا معطوف واحد، فالاستشهاد به فاسد^(١). فتحصل لدينا ثمانية شواهد، جميع هذه الشواهد الثمانية أحد المتعاطفين فيها مجرور، والمجرور متقدّم في المعطوف، وسبعة من هذه الشواهد المجرور فيها متقدم كذلك في المعطوف عليه، عدا شاهد واحد تأخر فيه المجرور في المعطوف عليه وهو قول الفرزدق:

وباشَرَ راعيها الصَّلَا بلبانِه وجَنَّبِيه حَرَ النارِ ما يتحرَّقُ

حيث تقدّم المنصوب (الصلا) في المعطوف عليه على المجرور (لبانه).

وتوجيه المانعين العطف على معمولي عاملين لكل شواهد المجيزين لا يخلو من ضعف ففي الشاهد الأول، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ^(٤) وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَاهُ فِيهَا بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَضَرَّفَ الْبُيُوتُ لِقَوْمٍ يُؤَقِنُونَ^(٥) [الجمانية: ٣-٥]. خرَج المانعون العطف على معمولي عاملين تكرر (آيات) بأنه ليس من قبيل العطف وإنما هو لتأكيد الآيات الأولى وهي هي، وتقدير الكلام: إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُؤَقِنُونَ، وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ آيَاتٌ، ومثله "إن في الدار زيداً، والقصر زيداً" وهو جائز إذا كان "زيد" الثاني هو الأول^(٦)، وهو توجيه ظاهر

(١) ينظر: ابن ولاد التميمي، "الانتصار لسبويه على المبرد" تحقيق د. زهير عبد المحسن سلطان. (ط ١)،

بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)، ص: ٥٧.

(٢) ينظر: ابن السراج، "الأصول في النحو" ٢: ٧٥؛ والسيرافي، "شرح كتاب سبويه"، ١: ٣٤٠.

الضعف؛ ذلك أن الآيات التي في السماوات غير الآيات التي في الأرض، والآيات التي في الخلق واختلاف الليل والنهار وإنزال المطر تختلف عن الآيات في غيرها، وقد حاول السيرافي الجواب عن هذا الإشكال بقوله: " لما كانت هذه الآيات التي في هذه الأشياء المختلفة، تدل مع اختلافها دلالة واحدة على خالقها- عز وجل - جاز أن يقال إنها واحدة، ألا ترى أنك لو سمعت قومًا يجربون عن شيء بمعنى واحد جاز أن تقول: سمعت أقاويلهم، وهي واحدة. وتقول: "قول زيد وعمرو واحد" إذا كانا يجبران عن معنى واحد مجازًا وتوسعًا"^(١). وهذا توجيه لا يخلو من تكلف؛ لأن ظاهر التفسير يدل على أنها مغايرة لما قبلها وليست من قبيل التأكيد، ومن القواعد المقررة أن التأسيس مقدم على التأكيد في تفسير القرآن الكريم، وحمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة^(٢).

وفي الشاهد الثاني وهو قول الشاعر:

فَلَيْسَ بِأَتِيكَ مِنْهِيئُهَا وَلَا قَاصِرٍ عَنكَ مَأْمُورُهَا

تخريج المانعين العطف على معمولي عاملين بأن الهاء في "مأمورها" وإن كان عائداً على "منهئها" إلا أن "منهئها" مُتَّصِلٌ بالأمر، فإذا عطف على "منهئها" فَكَأَنَّهُ عطف على الأُمُور، تخريج فيه تكلف رده أصحابهم، حيث رده المبرد وذكر أنه لا يمكن أن تخرج رواية الجر إلا بالعطف على العاملين^(٣).

وفي الشاهد الثالث، وهو قول النابغة الجعدي:

فَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صِحَاحًا وَلَا مُسْتَنَكِرًا أَنْ نُعَقِّرَا

خرجه القائلون بمنع العطف على معمولي عاملين، على تأويل ردها بمنزلة رد الخيل،

(١) السيرافي، "شرح كتاب سيبويه" ١: ٣٤٠.

(٢) ينظر: الجرجاني، "التعريفات". (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣-١٩٨٣م)، ص: ٥٠.

(٣) ينظر: المبرد، "المقتضب" ٤: وابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٧٠.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معنى وعملاً، د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي

وذلك أن قبل هذا البيت:

وَنُنَكِّرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ حَيْلِنَا مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسِبَ الْجُونَ أَشَقْرًا
فإذا قال: " فليس بمعروف لنا رد الخيل "، جاز أن تجعل رد الخيل بمنزلة الخيل، وهذا
التخريج فيه من التكلف كما في سابقه ورده المبرّد أيضاً^(١).

أما الشواهد الخامس والسادس والسابع، وهي:

قول أبي النجم:

أوصيت من برّة قلباً حُرّاً بالكلبِ خيرًا والحماة شراً
وقول الشاعر:

وليس بمُدّنٍ حَتْفُه ذو تقدم لحرب ولا مُسْتَنَسِي العُمرِ مُحْجِم

وقول الفرزدق:

وباشَرَ راعيها الصّلاً بلبانه وجَنَّبِيه حَرَّ النارِ ما يتحرَّق

فكل هذه الشواهد خرّجها المانعون العطف على معمولي عاملين على تقدير إعادة
حرف الجر وإضمار حرف الجر وإبقاء عمله ضعيف وغير جائز إلا في الضرورة^(٢).

أما الشاهدان الثامن والتاسع وهما:

قول أبي داود الإيادي:

أَكَلَّ امْرِئٍ تَحْسِينِ امْرَأً ونارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نارًا

وقولهم في المثل: "ما كل سوداءَ تمرّة، ولا بيضاءَ شحمة"

فقد خرجهما القائلون بمنع العطف على معمولي عاملين على تقدير كل محذوفة،

(١) ينظر: ابن السراج، "الأصول في النحو"، ٢: ٧٠.

(٢) ينظر: السيرافي، "شرح كتاب سيبويه"، ١: ٣٩٨؛ وابن الحاجب، "الأمالي" ٢: ٧١٣؛ وابن
يعيش، "شرح المفصل"، ٢: ١٩٦.

وحذف المضاف مكروه بابه الضرورة^(١).

وبعد تحليلي للشواهد التي استشهد بها القائلون بجواز العطف على معمولي عاملين، وردود المانعين وتوجيههم للشواهد، وما عرضته من ضعف لتوجيهات المانعين من العطف على معمولي عاملين، أصل إلى القول بأن العطف على معمولي عاملين وارد عن العرب وله شواهد كثيرة، قال ابن قتيبة: "والعطف على عاملين قد جاء في القرآن وهو في الشعر كثير"^(٢) وتخرج هذه الشواهد على العطف على معمولي عاملين أولى من التكلف لتوجيهها بوجه ضعيف، والخروج من الإشكال الذي طرحه المانعون العطف على معمولي عاملين بأننا لو أجزنا العطف على معمولي عاملين جاز العطف على ثلاثة وأكثر، بالقول: إن هذه الشواهد وردت عن العرب الفصحاء، فلا ينبغي لنا ردها وصرفها عن وجهها، ولكنها خالفت المشهور في كلامها، فلا ينبغي التوسع فيها والقياس عليها؛ ليستقيم قانون اللغة ويطرد، ونعاملها معاملة ماورد عن العرب مما لا يتوسع في القياس عليه.

(١) ينظر: ابن يعيش، "شرح المفصل"، ٢: ١٩٨.

(٢) ابن قتيبة، "أدب الكاتب". تحقيق محمد الدالي. (مؤسسة الرسالة)، ص: ٢٠٠.

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْم بن محمد الزبيدي

الخاتمة

بعد عرض آراء النحاة في مسألة العطف على العاملين وشواهدهم ومناقشتها توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١- ترجيح جواز العطف على العاملين؛ لورود كثير من الشواهد عليه في كلام العرب، وقوانين اللغة إنما هي مستنبطة من كلام العرب؛ وإنما وضعت هذه القوانين كما يقول ابن جني؛ ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شدد بعضهم عنها رد بها إليها^(١)، وقد ابتعد أهل العربية كثيراً عن لغتهم، ومعرفة قواعدها وقوانينها، فنحن بحاجة ماسة إلى تقريبها لهم.

٢- التكلف في تخريج الشواهد عن ظاهرها يزيد قواعد النحو تعقيداً، ويزيد طلاب هذا العلم نفوراً عن دراسته، في وقت نحن أكثر ما نكون حاجة إلى تيسيره لهم، في ظل الهجمات الشرسة على العربية، والتهم الموجهة لها بالصعوبة والتعقيد والجمود، ومسألة العطف على معمولي عاملين مسألة واحدة من مسائل كثيرة لا أرى أن نتكلف في توجيهها عن ظاهرها، مع مراعاة أن هذا لا يكون على إطلاقه، وإنما يكون في المسائل التي وردت شواهد كثيرة على مخالفتها، أما الجرأة على نقض قواعد النحاة بنقيض ذلك؛ أي بشواهد قليلة، يتكلف في تخريجها على غير القوانين المطردة، مع أنه يمكن توجيهها على وجوهها المشهورة فهو باب إلى هدم اللغة، ينبغي إغلاقه في وجه كل من يسعى إليه.

(١) ينظر: ابن جني، "الخصائص". تحقيق محمد علي النجار. (ط٤)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب). ٣٥/١.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، المبارك بن محمد. "البدیع فی علم العربیة". تحقیق د. فتحي أحمد علي الدين. (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى ١٤٢٠ هـ).
- ابن الحاجب، عثمان بن عمر. "الأمالی". تحقیق د. فخر صالح سليمان قدارة. (بيروت: دار الجيل ١٤٠٩ هـ)
- ابن الخباز، أحمد بن الحسين. "توجيه اللمع". تحقیق أ. د. فايز زكي محمد دياب. (ط٢، مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م).
- ابن السراج، محمد بن السري. "الأصول في النحو". تحقیق عبد الحسين الفتلي. (بيروت: مؤسسة الرسالة).
- ابن الناظم بدر الدين، محمد بن محمد. "شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك". تحقیق محمد باسل عيون السود. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. "أدب الكاتب". تحقیق محمد الدالي. (مؤسسة الرسالة).
- ابن مالك، محمد بن عبد الله. "شرح تسهيل الفوائد". تحقیق: د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون. (ط١، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ١٤١٠ هـ).
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف. "مغني اللبيب عن كتب الأعراب". تحقیق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. (ط٥، دمشق: دار الفكر).
- ابن ولاد التميمي، أحمد بن محمد. "الانتصار لسيبويه على المبرد" تحقیق د. زهير عبد المحسن سلطان. (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).
- ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش. "شرح المفصل للزمخشري". تقديم: الدكتور إميل بديع يعقوب. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).
- أبو الفتح، عثمان بن جني "الخصائص". تحقیق محمد علي النجار. (ط٤، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب).

العطف على معمولي عاملين مختلفين معنى وعملاً، د. حسن بن كُرَيْدِم بن محمد الزبيدي

أبو الفتح، عثمان بن جني. "المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها". (وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

أبو الفداء، إسماعيل بن علي. "الكناش في فني النحو والصرف". تحقيق: الدكتور رياض بن حسن الخوام. (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر ٢٠٠٠م).

أبو حيان، محمد بن يوسف. "ارتشاف الضرب من لسان العرب". تحقيق رجب عثمان محمد. (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م).

أبو حيان، محمد بن يوسف. "البحر المحيط". تحقيق صدقي محمد جميل. (بيروت: دار الفكر ١٤٢٠ هـ).

أبو حيان، محمد بن يوسف. "التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل". تحقيق: د. حسن هندراوي (ط١، دمشق: دار القلم ودار كنوز إشبيليا).

أبو طالب، المفضل بن سلمة. "الفاخر". تحقيق عبد العليم الطحاوي. (ط١، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٠هـ).

الاستراباذي محمد بن الحسن. "شرح الرضي على كافية ابن الحاجب". تحقيق د. يوسف محمد عمر. (ليبيا: جامعة قار يونس ١٣٩٥ - ١٩٧٥م).

الجرجاني، علي بن محمد. "التعريفات". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٣ - ١٩٨٣م).

"ديوان أبي النجم العجلي". تحقيق محمد أديب عبد الواحد. (دمشق: مجمع اللغة العربية).

"ديوان أبي دؤاد الإيادي". تحقيق أنوار محمود الصالحي و د. أحمد هاشم السامرائي. (ط١، دار العصماء ١٤٣١هـ).

"ديوان الأعور الشني". تحقيق ضياء الدين الحيدري. (ط١، بيروت: مؤسسة المواهب للطباعة والنشر ١٤١٩هـ).

"ديوان الفرزدق". شرح وضبط علي فاعور. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٧).

"ديوان النابغة الجعدي". تحقيق واضح الصَّمَد. (ط١، بيروت: دار صادر ١٩٨٩م).

- "ديوان النابغة الجعدي". تحقيق واضح الصّمد. (ط ١ بيروت: دار صادر ١٩٨٩م).
"ديوان جران العود النميري". رواية أبي سعيد السكري. (ط ١، القاهرة: دار الكتب المصرية ١٣٥٠هـ).
- "ديوان جرير". تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه. (ط ٣، دار المعارف).
الزجاج، إبراهيم بن السري. "معاني القرآن وإعرابه". تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي. (ط ١، بيروت: عالم الكتب ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون" تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط. (دمشق: دار القلم).
الشّهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. "نتائج الفكر في النحو". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٢ - ١٩٩٢ م).
سيبويه، عمرو بن عثمان "الكتاب". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (ط ٣، القاهرة: مكتبة الخانجي ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).
السيرافي أبو سعيد، الحسن بن عبد الله. "شرح كتاب سيبويه". تحقيق أحمد حسن مهدي، علي سيد علي. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٨ م).
السيرافي، يوسف بن الحسن. "شرح أبيات سيبويه". تحقيق الدكتور محمد علي الريح هاشم. (القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م).
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. "همع الهوامع في شرح جمع الجوامع". تحقيق عبد الحميد هنداوي. (القاهرة: المكتبة التوفيقية).
الصبان، محمد بن علي "حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).
الطبراني، سليمان بن أحمد. "المعجم الأوسط". تحقيق طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني. (القاهرة: دار الحرمين).
العسكري أبو هلال، الحسن بن عبد الله "جمهرة الأمثال". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (بيروت: دار الفكر).

العطف على معمولي عاملين مختلفين معني وعملاً، د. حسن بن كُرَيْم بن محمد الزبيدي
العكبري، عبد الله بن الحسين. "التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين". تحقيق
د. عبد الرحمن العثيمين. (ط ١، دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).
العيني، محمود بن أحمد. "المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية". تحقيق أ. د. علي
محمد فاخر، وآخرون. (ط ١، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "التعليقة على كتاب سيبويه". تحقيق د. عوض القوزي.
(ط ١، ١٤١٠ هـ).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "الحجة للقراء السبعة". تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير
جويجايي. (ط ٢، دمشق: دار المأمون للتراث ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).
الفارسي، الحسن بن أحمد. "المسائل العسكرية في النحو العربي". تحقيق د. علي جابر
المنصوري. (عمان: الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ٢٠٠٢ م).
المبرد، محمد بن يزيد. "الكامل في اللغة والأدب". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط ٣،
القاهرة: دار الفكر العربي ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م).
المبرد، محمد بن يزيد. "المقتضب". تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة. (بيروت: عالم الكتب).
ابن عطية، محمد بن عطية "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: عبد السلام
عبد الشافي محمد. (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٢ هـ).
المعري أبو العلاء، أحمد بن عبد الله "اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي". تحقيق محمد سعيد
المولوي. (ط ١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).
الميداني، أحمد بن محمد. "مجمع الأمثال". تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. (بيروت:
دار المعرفة).
ناظر الجيش، محمد بن يوسف. "تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد". تحقيق أ. د. علي محمد
فاخر وآخرون. (ط ١، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ١٤٢٨ هـ).
النَّحَّاس، أحمد بن محمد. "إعراب القرآن". تعليق عبد المنعم خليل إبراهيم. (ط ١، بيروت:
دار الكتب العلمية ١٤٢١ هـ).

Bibliography

- abin al'athira, almubarak bin muhamadi. "albadie fi eilm alearabiati". tahqiq du. fathi 'ahmad eali aldiyn. (ta1, makat almukaramati: jamieat 'ami alquraa 1420 hu).
- abn alhajibi, euthman bn eumri. "al'amalii". tahqiq du. fakhr salih sulayman qadarata. (birut: dar aljil 1409h)
- abin alkhazabi, 'ahmad bin alhusayni. "tawjih allimae". tahqiq 'a. da. fayiz zaki muhamad diab. (ta2, masra: dar alsalam liltibaeat walnashr waltawzie waltarjamat 1428 hi - 2007 mi).
- abin alsaraji, muhamad bn alsuri. "al'usul fi alnahu". tahqiq eabd alhusayn alfatli. (birut: muasasat alrisalati).
- abn alnaazim badr aldiyn, muhamad bin muhamad. "shrah abn alnaazim ealaa 'alfiat abn malk". tahqiq muhamad basil euyun alsuwdu. (ta1, bayrut: dar alkutub aleilmiati1420 hi - 2000 mi).
- abn qutaybata, eabd allh bin muslimi. "adab alkatibi". tahqiq muhamad aldaali. (muasasat alrisalati).
- abin malik, muhamad bin eabd allah. "shrh tashil alfawayidi". tahqiq: da. eabd alrahman alsayid w da. muhamad badawi almakhtuna. (ta1, hajr liltibaeat walnashr waltawzie wal'iielan 1410h).
- abin hisham, eabd allh bin yusif. "mghni allabib ean kutub al'aeerib". tahqiq du. mazin almubarak wamuhamad eali hamd allah. (ta5, dimashqa: dar alfikri).
- abn wilad altamimi, 'ahmad bin muhamad. "alaintisar lisibwih ealaa almubardi" tahqiq du. zuhayr eabd almuhsin sultan. (ta1, bayrut: muasasat alrisalat 1416h - 1996mu).
- abin yaeishu, yaeish bin ealiin bin yaeish. "shrah almufasal lilzumakhshiri". taqdimu: alduktur 'iimil badie yaequba. (tu1, bayrut: dar alkutub aleilmiati1422 hi - 2001 mi).
- 'abu alfatah, euthman bin jini "alkhasayisi". tahqiq muhamad eali alnajaar. (ta4, alqahirati: alhayyat almisriat aleamat lilkitabi).
- 'abu alfatah, euthman bin jini. "almuhtasib fi tabyin wujuh shawadhi alqira'at wal'iidah eanha". (wizarat al'awqafi, almajlis al'aelaa lilshuyuw al'iislamiati1420hi- 1999mu).
- 'abu alfida'i, 'iismaeil bin eulay. "alkinash fi faniy alnahw walsarfi". tahqiq: alduktur riad bin hasan alkhawama. (birut: almaktabat aleasriat liltibaeat walnashri2000 mi).
- 'abu hayan, muhamad bin yusif. "artishaf aldarb min lisan alearabi". tahqiq rajab euthman muhamadu. (ta1, alqahirati: maktabat alkhaji 1418 hi - 1998 mi).

العطف على معمولي عاملين مختلفين معنى وعملاً، د. حسن بن كُرَيْم بن محمد الزبيدي

- 'abu hayan, muhamad bin yusifa. "albahar almuḥita". taḥqīq sidqī muḥamad jimil. (birut: dar alfikri 1420 hi).
- 'abu hayan, muhamad bin yusif. "alṭadhyil waltakmil fi sharḥ kitāb alṭashīlī". taḥqīqu: du. ḥasan hindawī (ta1, dimashqa: dar alqalam wadar kunuz 'iishbilya).
- 'abu talīb, almufadal bin salamata. "alfakhir". taḥqīq eabd alealim alṭahawī. (ta1, dar 'iihya' alkuṭub allearabiati 1380h).
- alastirabadhī muḥamad bin alḥasan. "shrah alrādī ealaa kafiāt aibn alḥajīb". taḥqīq du. yusif muḥamad eumr. (libia: jamieat qar yunis 1395- 1975ma).
- aljirjani, ealiin bin muḥamadi. "alṭaerifatī". (tu1, bayrut: dar alkuṭub aleilmiat 1403-1983ma).
- "diwan 'abī alnajm aleajlī". taḥqīq muḥamad 'adīb eabd alwahidī. (dimashqa: majmae allughat allearabiati).
- "diwan 'abī duaad al'iīadi". taḥqīq 'anwar mahmūd alsaalihī w du. 'ahmad ḥashīm alsaamaraayī. (ta1, dar aleasma'i 1431h).
- "Diwan al'aewar alshani". taḥqīq dia' aldiyn alhidri. (ta1, bayrut: muasasat almawāhib liltibaeat walnashri 1419h).
- "Diwan alfirzdaqā". sharḥ wadabt ealiin faeur. (tu1, bayrut: dar alkuṭub aleilmiati 1407).
- "Diwan alnaabighat aljaedi". taḥqīq wadīh alssamd. (t1 birut: dar sadri 1989ma).
- "Diwan alnaabighat aljaedi". taḥqīq wadīh alssamd. (t1 birut: dar sadri 1989ma).
- "Diwan jaraan aleud alnimiri". riwayāt 'abī saeid alsukari. (ti1, alqahirata: dar alkuṭub almisriati 1350h).
- "Diwan jirir". taḥqīq alduktur nueman muḥamad 'amin ṭah. (ta3, dar almaearifi).
- alzujajī, 'iibrahīm bin alsiri. "meani alquran wa'ierabuḥi". taḥqīqu: eabd aljalīl eabduḥ shalbi. (ta1, bayrut: ealim alkuṭub 1408h - 1988mi).
- alsamin alḥalbi, 'ahmad bin yusif. "aldr almasuwn fi eulum alkitaab almaknuna" taḥqīqu: alduktur 'ahmad muḥamad alḥarati. (dimashqa: dar alqilmi).
- alssuhayly, eabd alrahman bin eabd allahī. "natayij alfikr fi alnnahw". (tu1, bayrut: dar alkuṭub aleilmiat 1412 - 1992mu).
- sibwyḥī, eamru bin euthman "alkitabi". taḥqīq eabd alsalam muḥamad ḥarun. (ta3, alqahirati: maktabat alḥanji 1408h - 1988ma).
- alsirafi 'abu saeid, alḥasan bin eabd allah. "shrah kitāb sibwyḥ". taḥqīq 'ahmad ḥasan mahdīlī, eali sayid eali. (ta1, bayrut: dar alkuṭub

- aleilmiati2008 mi).
- alsirafi, yusif bin alhasani. "shrah 'abyat sibwyhi". tahqiq alduktur muhamad eali alriyh hashim. (alqahirata: dar alfikr liltibaeat walnashr waltawziei1394 hi - 1974mi).
- alsyuti, eabd alrahman bin 'abi bakr. "hamae alhawamie fi sharh jame aljawamiei". tahqiq eabd alhamid hindawi. (alqahirati: almaktabat altawfiqiatu).
- alsabaan, muhamad bin ealiin "hashiat alsabaan ealaa sharh al'ashmunii li'alfiat abn malk". (ta1, bayrut: dar alkutub aleilmiat 1417 ha - 1997mi).
- altabrani, sulayman bin 'ahmadu. "almuejam al'awsata". tahqiq tariq eiwad allah waeabd almuhsin alhusayni. (alqahirata: dar alharmini).
- aleaskariu 'abu hilali, alhasan bin eabd allah "jamharat al'amthiali". tahqiq muhamad 'abu alfadl 'iibrahim. (birut: dar alfikri).
- aleakbiri, eabd allh bin alhusayni. "altabyin ean madhahib alnahawiyn albasariiyin walkufiyyini". tahqiq du. eabd alrahman aleuthaymin. (ta1, dar algharb al'iislami1406hi - 1986mi).
- aleayni, mahmud bin 'ahmadu. "almaqasid alnahwiat fi sharh shawahid shuruh al'alfiati". tahqiq 'a. da. eali muhamad fakhar, wakhrun. (ta1, alqahirata: dar alsalam liltibaeat walnashri1431h - 2010ma).
- alfarsi, alhasan bin 'ahmadu. "altaeliqat ealaa kitab sibwyh". tahqiq da. eiwad alqawzi. (ta1 1410h).
- alfarsi, alhasan bin 'ahmadu. "alhujaat lilquraa' alsabeati". tahqiq badr aldiyn qahwaji wabashir juyjabi. (ta2, dimashqa: dar almamun lilturath 1413h - 1993mi).
- alfarsi, alhasan bin 'ahmadu. "almasayil aleaskariaat fi alnahw alearabii". tahqiq da. eali jabir almansuri. (eman: aldaar aleilmiat aldawliat lilnashr waltawzie 2002 mi).
- almubardi, muhamad bin yazida. "alkamil fi allughat wal'adba". tahqiq muhamad 'abu alfadl 'iibrahimi. (ta3, alqahirata: dar alfikr alearabii 1417h - 1997mu).
- almubardi, muhamad bin yazid. "almuqtadabi". tahqiq. muhamad eabd alkhaliq eazimatun. (birut: ealim alkitab).
- abin eatiat, muhamad bin eatia "almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza". tahqiq: eabd alsalam eabd alshaafi muhamad. (ta1, bayrut: dar alkutub aleilmiat 1422 hu).
- almaeariy 'abu aleala', 'ahmad bin eabd allh "allaamie aleazizi sharh diwan almutanabi". tahqiq muhamad saeid almulawi. (ta1, markaz almalik fayсал lilbuhuth waldirasat al'iislamiati1429h - 2008mu).

العطف على معمولي عاملين مختلفين معنى وعملاً، د. حسن بن كُرَيْم بن محمد الزبيدي

almaydani, 'ahmad bin muhamad. "majmae al'amthiali". tahqiq: muhamad mahyaa aldiyn eabd alhamid. (birut: dar almaerifati).

nazir aljaysh, muhamad bin yusif. "tamhid alqawaeid bisharh tashil alfawayidi". tahqiq 'a. da. eali muhamad fakhir wakhrun. (tal alqahirati: dar alsalam liltibaeat walnashr waltawzie waltarjamat 1428h).

alnnahas, 'ahmad bin muhamad. "'ierab alqurani". taeliq eabd almuneim khalil 'iibrahim. (ta1, bayrut: dar alkutub aleilmiati1421h).

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في حماسة أبي تمام عرضاً ودراسة

Ellipsis of the Genitive and Placing the Genitive Adjective in its
Place based on Hamāsat Abi Tammām- Presentation and Study

د. إبراهيم غازي مناور الحربي

الأستاذ المشارك في كلية العلوم والآداب فرع جامعة طيبة في العلا

البريد الإلكتروني: bas1436@gmail.com

المستخلص

الحذف من المظاهر اللغوية الذي يكثر في تفاصيل اللغة العربية عامة، فقد لا يكاد يخلو باب من أبواب النحو على وجه الخصوص إلا وُجد فيه حذف، فهو من دقائق اللغة، وعجيب سرّها، وبديع أساليبها، ولعل من أهم دواعي الحذف عند العرب هو الإيجاز والاختصار الذي يُكسب العبارة قوة ويُجَنِّبها الثقل، وقد أكّد معظم علماء اللغة العربية أنّ بلاغة الكلام، ودلالته على المعاني إنما تكمن في الحذف والإيجاز، وبناء على ذلك فهم يرون أنّهما أبلغ من الدّكر.

وقد قام هذا البحث على عرض ودراسة مواضع حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه في ديوان حماسة أبي تمام، ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وقد بدأ بمقدمة بين فيها أهمية علم العربية، ومكانة حماسة أبي تمام عند العلماء، ثم أورد صور حذف المضاف في اللغة العربية، ثم تناول ظاهرة الحذف عند النحويين والبلاغيين، ثم ذكر بعضًا من مواضع حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه في ديوان حماسة أبي تمام، ثم جاءت الخاتمة التي ذكر فيها أهم نتائج البحث، ثم فهرس بأسماء المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الحذف، المضاف إليه، المضاف، الحماسة.

Abstract

Ellipsis is one of the linguistic features that abounds in the details of Arabic language in general. One can hardly come across a chapter among the chapters on Arabic syntax in particular, where there is no ellipsis. Hence, it is one of the subtleties of language, its amazing secret, and one of its marvelous styles. Perhaps, one of the most important reasons for ellipsis among Arabs is brevity and abbreviation that give strength to the phrase and distance it away from weightiness. Majority of the scholars of Arabic language have emphasized that the eloquence of speech and its indication of meanings lie in ellipsis and brevity. Based on this understanding, they opined that ellipsis and brevity are more eloquent than mentioning.

This research is based on the presentation and study of ellipsis of the genitive and placing the genitive adjective in its place in *Diwān al-Hamāsah* of Abu Tammam. It is based on the descriptive-analytical method with an introduction in which the researcher explained the importance of Arabic knowledge, and the position of Abu Tammam's *Hamāsah* among scholars. Then, he listed forms of ellipsis of the genitive in Arabic language, then dealt with the phenomenon of ellipsis according to scholars of Syntax and Rhetoric. Then, he stated some of the places where the genitive had been omitted, and the genitive adjective was placed in its place in *Dīwān al-Hamāsah* of Abu Tammam.

In the conclusion, the researcher stated the most important findings and followed that by an index of references used.

Keywords: Ellipsis, the genitive, the genitive adjective, *al-Hamāsah*.

المقدمة

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، والذي وسعت رحمته جميع خلقه، وكل خير بيده، وكل نعمة من فضله، أحمده حمدًا يليق بجلاله، وأشكره على جزيل عطائه، وأصلي وأسلم على صفيته من خلقه، وخاتم أنبيائه نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

يعتبر علم النحو أساسًا في الدراسات اللغوية؛ لأهميته في فهم بُنى الجمل بشكل سليم دونما تداخل، لاسيما أنه لا يخفى على الناظر في العربية وبلاغتها حذف بعض الكلم، وتقديم بعضه على بعض لغايات عدّة، وما يترتب على ذلك من اختلال في المعنى والقصد إن لم توضع الضوابط التي ترسم العلاقات بين الكلمات بوضوح؛ لأجل ذلك وغيره وُضِع علم النحو الذي يهدف إلى التعمق في فهم الكلام العربي؛ لاكتساب السليقة العربية، ويكون ذلك من خلال الممارسة والتدرب على نصوص العرب المتواترة كما وردت، وعلى رأسها القرآن الكريم. (١)

ومن المعلوم أنّ لديوان حماسة أبي تمام أهمية كبرى عند الباحثين عن كنوز الشعر العربي؛ لاحتوائه على أجمل ما قيل على لسان الشعراء، وفيه الكثير من درر المعاني، وكنوز الألفاظ فهي بحق أهم اختيار شعري في التاريخ الأدبي، فقد حفظت لنا كثيرًا من شعر الشعراء المقلين، والمجهولين في التاريخ الأدبي، وأظهر شعر الحماسة الكثير من القيم العربية كالشجاعة، والكرم، والصبر، والمروءة، وقد سُمّي هذا الديوان بالحماسة الكبرى.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. أن الحذف مظهر لغوي كبير متغلغل في تفاصيل لغتنا العربية.
٢. أن هذه الدراسة مرتبطة بالشعر الذي هو ديوان العرب.
٣. معرفة مدى شيوع ظاهرة حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه في القرآن

(١) ينظر محمد ملياني، علم النحو وأهميته في صناعة المعاجم، (مجلة إنسانيات، ديسمبر ٢٠٠٢م).

الكريم، وفي الشعر العربي، وقد أكد ابن جني ذلك بقوله: "وكذلك حذف المضاف قد كثُر؛ حتى إنَّ في القرآن-وهو أفصح الكلام-منه أكثر من مئة موضع، بل ثلاث مئة موضع، وفي الشعر منه مالا أحصيه"^(١) وقد قامت هذه الدراسة على مقدمة، وتمهيد فيه بيان لصور حذف المضاف في اللغة العربية، ثم مبحثين:

الأول: ظاهرة الحذف عند النحويين والبلاغيين.

الثاني: إقامة المضاف إليه مقام المضاف في ديوان الحماسة لأبي تمام.

ثم خاتمة تلاها ثبت بأسماء المصادر والمراجع.

وأسأل الله-عز وجل-أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، وأن يزيدنا علماً نافعاً.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الدراسات السابقة: من الدراسات السابقة التي تناولت حذف المضاف ما يلي:

١. حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وأثره على المعنى في كتابي الكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) والتبيين للعكبري (ت ٦١٦ هـ) جمعاً ودراسة

رسالة علمية لنيل درجة الماجستير، إعداد الطالب: ياسر عبد العزيز السلمي، إشراف أ.د. رياض حسن الخوام، جامعة أم القرى، ١٤٣٤ هـ

٢. إقامة المضاف إليه مقام المضاف دراسة في إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، للدكتور سعد الدين المصطفى، مجلة جامعة القاهرة.

٣. حذف المضاف وبقاء المضاف إليه مجروراً، للدكتور خالد عبد الرحمن الدسوقي، مجلة مركز الخدمة للاستشارات البحثية، جامعة المنوفية، مصر، ٢٠١٤ م.

٤. الاتساع النحوي -دلالته في الأساليب العربية: إقامة المضاف إليه مقام المضاف نموذجاً- دراسة نحوية تحليلية، للدكتور محمد مطر عبد الله، مجلة الثقافة

(١) عثمان بن جني، الخصائص، (بيروت: عالم الكتب، ١٣٧٦ هـ) ٤٥٤/٢.

السودانية، وزارة الثقافة الاتحادية، السودان، ٢٠١٦م.

ومن أهم الكتب التي تفصّت الحذف النحوي بشكل عام:

- ١- الحذف البلاغي في القرآن الكريم، لمصطفى عبد السلام أبو شادي.
- ٢- الحذف في اللغة العربية، ليونس حمش خلف محمد.
- ٣- الحذف في شعر أبي الطيب المتنبي، لزهير العرود.
- ٤- الحذف للتخفيف في الجمل القرآنية، لخليل إسماعيل الأسمر.
- ٥- الحذف والتقدير في النحو العربي، لعلي أبو المكارم.
- ٦- ظاهرة الحذف بين النحو والبلاغة، لسليمان أبو عيسى.
- ٧- ظاهرة الحذف عند ابن جني في كتاب المحتسب، دراسة نحوية، لأحمد الرحيلي.
- ٨- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، لطاهر سليمان حمودة.

التمهيد

يعد ديوان الحماسة الذي قام باختياره الشاعر العباسي أبو تمام حبيب بن أوس الطائي قد ذاعت شهرته بين العلماء، وسارت بذكره الركبان، واهتم به العلماء قديماً وحديثاً، فتناولوه بالتحقيق والتفسير والنقد، ومنهم ابن فارس، وابن جني، والمرزوقي، والتبريزي وغيرهم.

وقد ورد الحذف بجميع صورته كثيراً في ديوان الحماسة كما بين ذلك كثير من شراحها، ومنهم ابن جني الذي تناول هذه القضية في كتابه التنبيه على شرح مشكلات الحماسة. (١)

ويكون حذف المضاف في اللغة العربية على صورتين:

إحداهما: تكون بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وقد وقع ذلك كثيراً في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب شعره ونثره.

الثانية: وهي أن يُحذف المضاف ويبقى المضاف إليه مجروراً، كما كان عند ذكر المضاف، لكن بشرط كون المحذوف مماثلاً لما عليه قد عُطف، كقول أبي دُوَادِ الإيادي:

أَكُلُّ أَمْرِيَّ تَحْسِينِ أَمْرًا وَنَارٍ تَوَقَّدُ بِاللَّيْلِ نَارًا (٢)

والتقدير: "وكلُّ نارٍ" فحذف المضاف "كل" وبقي المضاف إليه مجروراً كما كان عند ذكرها، والشرط موجود وهو العطف على مماثل المحذوف وهو "كل". (٣)

(١) ينظر عثمان بن جني، التنبيه على شرح مشكلات الحماسة، (الكويت: طبعة وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤٣٠هـ) ص ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٧٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٤٥، ٤٦٣، ٥٠٠ وغيرها.

(٢) البيت من المتقارب، ينظر أبو دواد الإيادي، ديوان أبي دواد الإيادي، (دمشق: دار العصماء، ط ١٤٣١هـ) ص ١١٢، وسيبويه، الكتاب (بيروت: دار الجيل، ط ١)، ٦٦/١، وهبة الله بن علي، أمالي ابن الشجري (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ١٤١٣، ٢٩٦/١، ويعيش بن علي، شرح المفصل (مصر: المطبعة المنيرية)، ٢٦/٣، ٧٩-١٤٢/٥.

(٣) ينظر المرجع نفسه، ٢٦/٣، وعبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، شرح ألفية بن مالك، (بيروت: المكتبة العصرية، ط ٢٠، ١٤٢٤هـ)

وقد قسّم النحويون الإضافة بالنظر إلى تعدد المضاف إلى قسمين:
الأول: الإضافة المفردة: وهي التي تكون بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فإذا كان الأمر كذلك فالنيابة هنا مفردة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (البقرة: ٩٣) أي: حبّ العجل، وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: ٢٢) أي: أمر ربك، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وأُعرّب بإعرابه. (١)

ويرى ابن كثير أن المقصود هو المجيء الفعلي، ولا يرى أن هناك حذفاً في الآية، أما الزركشي فيرى الحذف، والتقدير: أي: أمره، أو عذابه، أو ملائكته، وهذا دليل على أن الحذف يفتح باباً للتأويلات. (٢)

والصحيح من أقوال العلماء في الآية أن التقدير: وجاء قدرته وسلطانه وقضاؤه، وقال منذر بن سعيد: معناه ظهوره للخلق هنالك، ليس مجيء نقلة، وكذلك مجيء الصاخة، ومجيء الطامة. (٣)

الثاني: الإضافة المكررة: وهي التي تكون بحذف المضاف بعد المضاف، وإقامة الثالث، أو الرابع مقام الأول، فالنيابة هنا مكررة. قال الرضي: "وقد يُحذف مضاف بعد مضاف، وهلم جرا؛ لقيام المضاف إليه الأخير مقامه" (٤) ومن الشواهد على ذلك

(١) ينظر ابن عقيل، مرجع سابق، ٧٢/٢.

(٢) ينظر إسماعيل بن عمر، تفسير ابن كثير، (بيروت: قدار للنشر، ١٩٨١م). ومحمد بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٧٦م).

(٣) ينظر عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ)، ٤٨٠/٥.

(٤) محمد بن الحسن الرضي، شرح الكافية لابن الحاجب، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٤١٧هـ).

قول الشاعر:

فَأَذْرَكَ إِبْقَاءَ الْعَرَادَةِ ظَلْعُهَا وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إِصْبَعًا^(١)

وقد وقع حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثيراً في القرآن الكريم، وفي الحديث النبوي الشريف، وفي كلام العرب شعره ونثره.

فمن شواهد وقوعه في كتاب الله قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: ٤) أي: مالك أحكام يوم الدين، وقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٥) أي: ذي صدق، وقوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٥) أي: في عقوبة طغيانهم على قول بعض النحاة، والصواب - والله أعلم - أن ذلك إمدادا لهم في الطغيان ذاته في الدنيا لا في عقوبته؛ ليزدادوا إثماً ليوفر لهم الجزاء الأوفى نكالا مضاعفاً في الآخرة. وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ (البقرة: ١٩) أي: كأصحاب صيِّب، فالمعنى هنا بحاجة إلى تقدير المضاف، وهذه مسألة شائعة في كتاب الله العزيز، فلا يصح حمل النص القرآني على ظاهره؛ لأنه لو حمل لفسد المعنى في كثير منها، أو لم يتم، لذلك كان لزاماً علينا أن ندرك بحسبنا اللغوي هذه الظاهرة، ونبادر إلى التحليل والفهم بتقدير المعنى، فقوله: "كصَيِّبٍ معطوف على قوله: "كمثل" فهو في محل رفع، ولا بد من تقدير مضافين؛ ليصح المعنى، ويدل على ذلك رجوع ضمائر الجمع عليه في قوله: "يجعلون أصابعهم في آذانهم"؛ لأن المعنى تشبيههم

(١) البيت من الطويل، وهو مختلف في نسبه، فهو للأسود بن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، (العراق، مطبعة الجمهورية، ١٣٩٠هـ) ص ٦٨، وفي شرح المفصل، مرجع سابق، ٢/٢٠١، وهو لكَلْبَةِ اليربوعي - واسمه هُبَيْرَةُ بن عَبْدِ مَنْاف، وكَلْبَةُ أُمّه - في عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٤، ١٤١٨هـ)، ٤ / ٤٠١، والخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل، (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩١هـ)، ص ١٤٦، ومحمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ط ٣، ١٤١٩هـ)، مادة: "حرم".

بأصحاب الصيب، لا بالصيب نفسه. (١) وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ (البقرة: ٢٢) أي: ذا فراش، وذكر القرطبي أنّ الفعل "جعل" هنا يتعدى إلى مفعولين وهو بمعنى صيّر، ويأتي بمعنى "خلق" ومعنى "فراشاً" وطاء، أي: يفترشونها، ويستقرون عليها، وما ليس بفراش كالجبال والأوعار والبحار، وهي المفعول الثاني (٢)، وأنا أميل لهذا القول، والله أعلم بالصواب. والشواهد على ذلك كثيرة جداً.

أمّا الحديث الشريف فوقع فيه أيضاً حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك من العصر ركعة قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر" (٣)، أي: وقت الصبح، ووقت العصر.

وقد وقع حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثيراً في كلام العرب شعره ونثره، وسوف أتحدث في هذا البحث - إن شاء الله تعالى - عن وقوعه في حماسة أبي تمام في المبحث الثاني من هذا البحث.

ومن وقوع حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في النثر قولهم: "هذه الظهر أو العصر أو المغرب" أي: صلاة هذا الوقت.

وقد أشار العلماء إلى ظاهرة حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه منذ عهد سيبويه، فلا يكاد يخلو كتاباً نحويّاً من الإشارة إلى ذلك، فهذا إمام النحاة سيبويه يقول في باب أسماء القبائل والأحياء: "فإذا قلت: هذه تميم، وهذه أسد، وهذه سلول،

(١) ينظر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، إعراب القرآن، (بيروت: عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، ط٣، ١٤٠٩هـ)، ١/١٩٤.

(٢) ينظر محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧هـ)، ١/٣٤٣-٣٤٤.

(٣) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، (بيروت: دار ابن خزيمة، اليمامة، ط٣، ١٤٠٧هـ)، كتاب مواقيت الصلاة ١/٢١١ حديث رقم: ٥٥٤.

فإنما تريد ذلك المعنى، غير أنك إذا حذفت المضاف تخفيفاً، كما قال عز وجل: ﴿وَسَكَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف: ٨٢) ويطؤون الطريق، وإنما يريدون: أهل القرية وأهل الطريق. وهذا في كلام العرب كثير، فلما حذف المضاف وقع على المضاف إليه ما يقع على المضاف، لأنه صار في مكانه فجرى مجراه. وصرفت تيمماً وأسداً؛ لأنك لم تجعل واحداً منهما اسماً للقبيلة؛ فصارا في الانصراف على حالهما قبل أن تحذف المضاف. ألا ترى أنك لو قلت: أسأل واسطاً كان في الانصراف على حاله إذا قلت: أهل واسطٍ فأنت لم تغير ذلك المعنى وذلك التأليف، إلا أنك حذفته.

وإن شئت قلت: هؤلاء تميمٌ وأسدٌ؛ لأنك تقول: هؤلاء بنو أسدٍ وبنو تميم، فكما أثبت اسم الجميع ههنا أثبت هنالك اسم المؤنث، يعني في: هذه تميمٌ وأسدٌ. فإن قلت: لِمَ لَمْ يقولوا: هذا تميمٌ، فيكون اللفظ كلفظه إذا لم ترد معنى الإضافة حين تقول: جاءت القرية، تريد: أهلها؟ فلا تهم أرادوا أن يفصلوا بين الإضافة وبين أفرادهم الرجل، فكرهوا الالتباس.

ومثل هذا القوم، هو واحدٌ في اللفظ، وصفته تجري على المعنى، لا تقول القوم ذاهبٌ. وقد أدخلوا التأنيث فيما هو أبعد من هذا، أدخلوه فيما لا يتغير منه المعنى" (١) وقد تحدّث المبرد عن ذلك أيضاً (٢)، وذكر ابن السراج بعض المواضع التي حذف فيها المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه عند كلامه على الاتساع فقال: "اعلم أنّ الاتساع ضرب من الحذف إلا أن الفرق بين هذا الباب والباب الذي قبله، أن هذا تقيمه مقام المحذوف وتعربه بإعرابه وذلك الباب تحذف العامل فيه وتدع ما عمل فيه على حاله في الإعراب، وهذا الباب العامل فيه بحاله وإنما تقيم فيه المضاف إليه مقام المضاف أو تجعل الظرف يقوم مقام الاسم..." (٣)

ولم يترك ابن جني الحديث عن هذه الظاهرة، بل ذكر أنه من القليل أن تخلو آية

(١) ينظر سيبويه، مرجع سابق، ٢٤٧/٣

(٢) ينظر محمد بن يزيد، المقتضب، (بيروت: عالم الكتب)، ٣/٣٦٠ - ٣٦٢.

(٣) ينظر محمد بن السري، الأصول في النحو، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٧٤١هـ) ٢/٢٥٥.

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في حماسة أبي تمام - عرضًا ودراسة، د. إبراهيم غازي مناور الحربي

في كتاب الله - عز وجل - منها، بل قد يكون في الآية الواحدة أكثر من موضع. (١)
ومن العلماء الذين أشاروا لهذه الظاهرة الزمخشري فقال: "وإذا أمنوا الإلباس حذفوا
المضاف، وأقاموا المضاف إليه مقامه، وأعربوه بإعرابه" (٢)
وجاء ابن مالك وتحدث أيضًا عن هذه الظاهرة في مواطن مختلفة في العديد من
كتبه. (٣)

(١) ينظر عثمان بن جني، الخصائص، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧٦هـ) ١/١٩٣.

(٢) ينظر محمود بن عمرو بن أحمد، المفصل في علم العربية، (بيروت: دار إحياء العلوم، ط ١،
١٤١٠هـ).

(٣) ينظر محمد بن عبد الله بن مالك، التسهيل، (القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ) ص ١٥٩.
ومحمد بن عبد الله بن مالك، شرح التسهيل، (هجر للطباعة والإعلان، ط ١، ١٤١٠هـ) ١/٣٧٤،
٣٨٨-٢/٢٠٨، ٢٧٨، ٣٨٨، ٣٩٥-٣/١٩، ١٢٤، ١٩٢، ٢٤٧.

المبحث الأول: ظاهرة الحذف عند النحويين والبلاغيين:

الحذف ظاهرة لغوية تعتري كل اللغات، فهو ظاهرة لغوية عامة، ولكنها تظهر جلية في بعض اللغات أكثر من غيرها، وهذه الظاهرة مترسخة في اللغة العربية لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها من خصائصها، فالإيجاز من لبنات تركيبها. والبلاغيون يميلون إلى الإيجاز، وحذف ما يجب حذفه من الكلام، أو حذف ما يمكن للسامع فهمه اعتماداً على القرائن الدالة عليه، فنجد أن اللفظ يُحذف من الكلام إذا دلّ باقي الكلام عليه.

وقد تناول النحاة ظاهرة الحذف بالدراسة والتحليل المفصل؛ لأن جوانبها عندهم ظاهرة جلية، وكذلك نجد أن البلاغيين خاضوا في هذه الظاهرة بشكل واضح للعيان. فإذا تطلب المقام منا الحذف في موضع من المواضع وجب علينا الحذف؛ ابتعاداً عن الإطناب الذي لا فائدة منه؛ لذلك يجب اختصار الألفاظ التي تكشف عن المعنى وتتمه. وقد عرّف البلاغيون البلاغة على أنها "مطابقة المقام للمقال، وموافقته مقتضى الحال" (١)

ويرى ابن الأثير أن الإيجاز هو حذف زيادات الألفاظ (٢)، وهذه العملية لا يستطيع القيام بها إلا المتيقن المتمكن من علم البلاغة؛ لاختصاصه بالدرجة الأولى بالمعاني لا بالألفاظ.

وينقسم الإيجاز إلى قسمين: إيجاز قصر، وإيجاز حذف، قال السيوطي: "الكلام القليل إن كان بعضاً من كلام أطول حذف، فهو إيجاز حذف، وإن كان كلاماً يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز قصر" (٣)

(١) ينظر راجي الأسمر، علوم البلاغة، (بيروت: دار الجيل، ط ١٩٩٩م) ص ١٧.
(٢) ينظر ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩١م) ص ٢٦٥.
(٣) ينظر عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، (بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٩٩٩م) ص ٢٢٠.

ومن المعلوم أن اللغويين القدماء تناولوا ظاهرة الحذف، وقد سماها بعضهم الإضممار،

ويمكن القول أنّ هذه الظاهرة ظاهرة متوسطة بين النحو والبلاغة، ولكن النحاة يفرقون بين الحذف والإضممار، فهم يرون أن الفاعل يضمّر ولا يحذف، وذلك عندما يمكن تقديره بضمير مستقر، فهم يرون أن المضمر لا بد منه، والمحذوف ما قد يُستغنى عنه.

وقد نجد استعمال الحذف والإضممار بمعنى واحد في الاستعمال العادي للغة، قال الزركشي: "والحذف هو إسقاط جزء من الكلام، أو كله لدليل، وأما قول النحويين الحذف لغير دليل، ويسمى اقتصارا، فلا تحرير فيه، لأنه لا حذف فيه بالكلية كما سنبينه فيما يلتبس به الإضممار والإيجاز" (١)

وقد عرّف الجرجاني الحذف بقوله: "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تبين" (٢)

فالجرجاني هنا يشير إلى الجمال الذي يؤديه الحذف في التراكيب اللغوية، فأنت تجد المعنى رغم حذف اللفظ الذي يدل عليه.

ويقول ابن الأثير: "والإيجاز بالحذف أقوى دليل على زيادة المعنى على الألفاظ؛ لأنك ترى اللفظ يدل على معنى لم يتضمنه، وفهم ذلك المعنى ضرورة لا بد منها" (٣) وقد اختلف العلماء في تحديد الفرق بين المجاز والحذف، فمنهم من يرى أن الحذف هو شكل من أشكال المجاز، أو هو مجاز بعينه، ومنهم من يرى أن الحذف

(١) ينظر محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ) ١٠٢/٣

(٢) ينظر عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز في علم المعاني، (القاهرة: مطبعة المدني، ط٣، ١٤١٣هـ) ص١٤٦.

(٣) ينظر ضياء الدين نصر الدين بن محمد، مرجع سابق، ١/١٩٢.

مختلف عن المجاز فلكل منهما ميزاته الخاصة، ومنهم من يرى أن الحذف يمكن أن يكون مجازاً، وذلك إذا استوفى شروطاً محددة.

وقد انتقد ابن مضاء التفريق بين مصطلحي الإضمار والحذف عند النحويين فقال: "والنحويون يفرقون بين الإضمار والحذف، ويقولون-أعني حذاقهم: إن الفاعل يضمّر ولا يحذف، فإن كانوا يعنون بالمضمّر ما لا بد منه، وبالمحذوف ما قد يُستغنى عنه، فهم يقولون: هذا انتصب بفعل مضمّر لا يجوز إظهاره، والفعل الذي بهذه الصفة لا بد منه، ولا يتم الكلام إلا به، وهو الناصب فلا لا يوجد منصوب إلا بناصب، وإن كانوا يعنون بالمضمّر الأسماء، ويعنون بالمحذوف الأفعال، ولا يقع الحذف إلا في الأفعال أو الجمل لا في الأسماء، فهم يقولون في قولنا: "الذي ضربت زيد" إن المفعول محذوف تقديره ضربته. فإن فُرّقَ بينهما بما هو مقطوع بأن المتكلم أراده، وبما يظن أن المتكلم أراده ويجوز ألا يريد، فهو فرق، لكن إطلاق النحويين لهذين اللفظين لا يأتي موافقاً لهذا الفرق"^(١).

وأميل إلى أنه ليس هناك فرق بين الحذف والإضمار؛ لأن كلاً منهما يحتاج إلى تقدير محذوف.

أغراض حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه:

١- الاتساع في الكلام والتجوز فيه:

ذكر سيبويه أنّ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه يقع على اتّساع فقال: "وتقول إذا نظرت في الكتاب: هذا عمرو، وإنما المعنى هذا اسم عمرو، وهذا ذكر عمرو، ونحو هذا، إلا أنّ هذا يجوز على سعة الكلام، كما تقول: جاءت القرية"^(٢)

ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ (يوسف: ٨٢) أي: أهل القرية، قال سيبويه: "إنما يريد أهل القرية، فاختصر، وعمل

(١) ينظر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد، الرد على النحاة، (دار الاعتصام، ط ١، ١٣٩٩هـ)

(٢) ينظر سيبويه، مرجع سابق، ٢٦٩/٣.

الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا" (١)
ومنها قوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ (سبأ: ٣٣) أي: بل مكرّم في الليل والنهار، ومنها قوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (البقرة: ١٧٧) أي: ولكن البرُّ من آمن بالله واليوم الآخر.

ومن شواهد الشعر قول الجعدي:

كَأَنَّ عَذِيرَهُمْ بِجُنُوبِ سَلَى نَعَامٌ قَاقَ فِي بَلَدٍ قِفَارٍ (٢)

أي: عذير نعام.

وَقَالَ الحَطيئة:

وَشَرُّ المَنَآيَا مَيِّتٌ وَسَطَ أَهْلِهِ كَهَلِكِ الفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الحَيَّ حَاضِرُهُ (٣)

أي: مَنِيَّةٌ مَيِّتٌ.

ومن النثر قولهم: بنو فلان يطؤون الطريق، أي: أهل الطريق، وقولهم: صيدنا قنوين،

أي: صيدنا بقنوين، أو صيدنا وحش قنوين. (٤)

والشواهد على ذلك كثيرة جداً.

٢- الإيجاز والاختصار:

يحذف المضاف ويقوم المضاف إليه مقامه، وقد يكون الغرض من هذا الحذف الإيجاز، أو الاختصار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١) أي: لمن كان يرجو لقاء الله بإيمانه، ويؤمن بيوم البعث والنشور، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه

(١) ينظر المرجع السابق، ٢١٢/١.

(٢) البيت من الوافر، وهو في النابغة الجعدي، ديوان النابغة الجعدي، (بيروت: دار صادر، ط١،

١٩٩٨م) ص٩٧، وينظر سيبويه، مرجع سابق، ٢١٤/١.

(٣) البيت من الطويل، وهو في الحطيئة، ديوان الحطيئة، (مصر: مطبعة مصطفى الحلبي، ١٤٧٨م)

ص٤٥، بلفظ: "هالك" بدل: مَيِّت، و"أيقظ" بدل: أسلم، وينظر سيبويه ٢١٥/١.

(٤) ينظر سيبويه، مرجع سابق، ٢١٤/١.

مُقامه؛ لأن الاختصار والإيجاز في الكلام يكون أبلغ بهذا الحذف.
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: ٣٩) فالتقدير في الآية: وأنذرهم خبر يوم الحسرة، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه لغرض الإيجاز.
ومنه قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد: ٢١) أي: عزم أصحاب الأمر، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه المضاف إليه مقامه.

٣- دلالة القرينة على المضاف إليه:

يحذف المضاف لدلالة القرينة على المضاف إليه، وتختلف هذه القرينة فمنها ما يدل العقل على حذفه، والمقصود الأظهر على تعيينه، وله شواهد عدة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ (النساء: ٢٣) وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ (المائدة: ٣) فالعقل يدل على الحذف؛ لأنه لا يصح تحريم الأجرام؛ لأن شرط التكليف كون الفعل مقدورًا عليه، والأجرام لا تتعلق بها قدرة حادثة، أو قديمة، فالتقدير في الآيتين: حرم عليكم أكل الميتة، وحرم عليكم نكاح أمهاتكم. (١)
ومنها ما يدل العقل بمجرد حذفه، ومن الشواهد عليه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١)، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (الفجر: ٢٢) فالتقدير في الآية الأولى-والله أعلم-أوفوا بمقتضى العقود، وفي الثانية: وجاء أمر ربك، أو عذاب ربك، أو بأس ربك. (٢)

(١) ينظر العز بن عبد السلام، مجاز القرآن، مؤسسة الفرقان، ط ١، ١٩٤١ هـ) ص ٩٥، ومحمد

عبد الخالق عزيمة، دراسات لأساليب القرآن، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٥ هـ) ص ١٠.

٢٩٢/٢٩٦.

(٢) ينظر العز بن عبد السلام، مرجع سابق، ص ٩٥.

ومن ذلك ما دل الوقوع عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ

مِنْهُمْ﴾ (الحشر: ٦)

والتقدير هنا: وأي شيء آفأه الله على رسوله من أموالهم.

ومنه ما دلّ العقل على حذفه، والعادة على تعيينه، ومنه قوله تعالى حكاية عن

امراة العزيز: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لَمْتُنَنِي فِيهِ﴾ (يوسف: ٣٢) فقد دل العقل هنا على

الحذف؛ لأن اللوم لا يصح على الأعيان، بل يلام الإنسان على كسبه وفعله، فيحتمل

أن يكون المقدر: لمتني في حبه؛ لقولهن: قد شغفها حبا، ويحتمل أن يكون: لمتني في

مراودته لقولهن: تراود فتاها عن نفسه، ويحتمل أن يكون لمتني في شأنه، وأمره، فتدخل

فيه المراودة والحب، والعادة دالة على تعيين المراودة؛ لأن الحب المفرد لا يلام الإنسان

عليه، بل يلام على المراودة التي يستطيع دفعها، فلذلك لا يقدر الشأن والأمر، لكي

لا تدخل في المحبة. (١)

ومنها ما تدل العادة على حذفه وتعيينه كقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ

لَا تَبَعْتَكُمْ﴾ (آل عمران: ١٦٧) قال العز: "مع أنهم كانوا أخبر الناس بالقتال،

ويتعيزون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فلا بد من حذف، قدره مجاهد: لو نعلم مكان

قتال، يريدون: أنكم تقاتلون في موضع لا يصلح للقتال، ونخشى عليكم منه" (٢)

ومنها ما يدل عليه السياق كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَذَلِكُم مَّا كَفَرَ

لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (المائدة: ٤١) أي: فمن يملك من دفع مراد الله شيئا، أو من دفع

فتنة الله شيئا. (٣)

ومن ذلك ما دل العقل على حذفه، والشرع على تعيينه كقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَدِكُمْ

(١) ينظر العز بن عبد السلام، مرجع سابق، ص ١٠٠.

(٢) ينظر المرجع السابق، ص ١٠١.

(٣) ينظر المرجع السابق، ص ١٠١.

اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ ﴿الممتحنة: ٨﴾ فقد دل العقل على حذفه، فلا يصح النهي عن الأعيان.

ومنها ما دل الشرع على حذفه وتعيينه، ومن الشواهد عليه قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴿النساء: ٤٣﴾ أي: لا تقربوا مواضع الصلاة وأنتم سكارى.

المبحث الثاني: شواهد من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في ديوان

الحماسة

وقع حذف المضاف كثيراً في الشعر، ولكن معرفته تحتاج إلى تقدير المعنى في البيت، وفي هذا المبحث سأذكر الشواهد التي وقع فيها حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه في حماسة أبي تمام وهي كما يلي:

١- قال الفند الزماني، وهو شهل بن شيبان^(١):

عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعَ ——— مِنْ قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا^(٢)

فمعنى قوله: "يرجعن قوماً": يرددن بأمرهم أمر قوم، وباتتلافهم اتتلاف قوم، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وخبر "كان" محذوف كأنه قال: كالذي كانوه، أي: كانوا عليه من الاتتلاف والاتفاق^(٣)، وقال ابن زكور الفاسي: "فقوله: "كالذي كانوا" أصله: كالذي كانوا عليه من الولاية والنصرة، فحذف للعلم به، ومن لا يُجَوِّز حذف العائد المجرور هنا قدره متصلاً بكان على أنه خبرها، فقال: كالذي كانوه"^(٤) ففي هذا الشاهد حذف المضاف "أمر"، وأقيم المضاف إليه "قوم" مقامه،

(١) شاعر جاهلي قديم، من شعراء ربعة المشهورين، وقد شارك في حرب بكر وتغلب، والفند: القطعة العظيمة من الجبل، والجمع: أفناد، وقد سمي به لعظم شأنه، وقيل: لأنه قال لأصحابه في يوم حرب: استندوا إليّ فإني فند لكم. ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، (بيروت: دار الجبل، ط ١، ١٤١١هـ/٢٧/١)، (١٤١١هـ) وعلي بن الحسين بن محمد، الأغاني، (بيروت: دار الفكر، ط ٢، ٢٠١٠م) ٢٠/١٤٣-١٤٤.

(٢) البيت من الهزج، وهو شهل بن شيبان، في ديوانه، (مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ) ص ٢٥، وينظر المقطوعة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، ديوان الحماسة، (العراق: دار الرشيد، ١٩٨٠م) ص ٣٠. وأولها:

عَفَوْنَا عَنْ بَنِي دُهَلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمَ إِخْوَانُ

(٣) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٢٧/١.

(٤) ينظر محمد بن قاسم، عنوان النفاسة في شرح الحماسة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١،

واستغني به في الاستعمال لفهم المعنى، ومن ذلك قولهم: تجب الفطرة، أي: تجب زكاة الفطرة، فحذف المضاف هنا لفهم المعنى.

٢- ومنها قوله أيضاً:

وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حَيْثُ ————— نَ لَا يُنَجِّيكَ إِحْسَانُ (١)

فليس المقصد في قوله هنا أنّ في الشرّ نجاة، ولكن الشاعر أراد: وفي دفع الشرّ، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، وسبب الحذف هو وضوح المعنى، وانتفاء اللبس، ويقولون: "ادفع الشرّ بمثله، إذا أعياك غيره" (٢)، وذكر المرزوقي (٣) أنه يجوز أن يريد: وفي عمل الشرّ نجاة، كأنه يريد: وفي الإساءة مخلص إذا لم يخلّصك الإحسان، وهذا مثل قولهم: الطَّعْنُ يَطَّارٌ (٤) أي: يعطف، وكما قال زهير:

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِّبَتْ كُلُّ لَهْدَمٍ (٥)

أي: من عصى أطراف الزجاج-وهي جمع زج وهو الحديد المركب في أسفله- أطاع عوالي الرّماح التي رُكِّبَتْ فيها الأسنّة.

٣- وقال أبو كبير الهذلي (٦):

(١) ينظر شهل بن شيبان، مرجع سابق، ص ٢٦

(٢) ينظر القاسم بن سلام، الأمثال، (دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠هـ) ص ٣٥٨.

(٣) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٣١/١.

(٤) وهذا المثل يُضرب في البخيل الذي يعطي على الرهبة. ينظر الحسن بن عبد الله بن سهل، جمهرة الأمثال، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٨م) ١٤/٢. وأحمد بن محمد، مجمع الأمثال، (مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ) ٤٣٢/١.

(٥) البيت من الطويل وهو في زهير بن أبي سلمى، ديوانه، (بيروت: دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٦هـ) ص ٧٠، وينظر الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، (بيروت: دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٥هـ) ص ٧٥.

(٦) هو عامر بن حليس، شاعر مخضرم. ينظر عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، (القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٧م) ص ٦٥٢، وعبد الله بن عبد العزيز بن محمد، سمط الآلي في شرح أمالي القالي، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٤هـ) ٣٨٧/١.

وَإِذَا يَهَبُ مِنَ الْمَنَامِ رَأَيْتَهُ كَرْتُوبِ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمَلٍ (١)

يمدح الشاعر صاحبه بأنه عندما ينتبه من نومه، فإنه ينتبه قائمًا ثابتًا، فوصفه بالشهامة، وحدّة النفس، فيقول: هو أبدًا مستيقظ منتصب، وشبّه ثباته بثبات كعب الساق، وهو يتحدث عن شهامته، وتشمّره في تلك الحالة، وتقدير الكلام هنا: وإذا يَهَبُ رأيت رتوبه كرتوب كعب الساق، لكنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. (٢) والغرض من الحذف هنا واضح وهو الإيجاز والاختصار الذي أضاف للبيت جمالًا، فالشاعر هنا يتخيّل صورة الممدوح وهو يثب بسرعة، كأنه كله وليس بعضه، وهذه من جمال بلاغة الحذف.

٤- وَقَالَ رُوَيْشِدُ بْنُ كَثِيرٍ الطَّائِي (٣):

إِنْ تُدْنِبُوا ثُمَّ يَأْتِينِي يَقِينُكُمْ فَمَا عَلَيَّ بِذَنْبٍ عِنْدَكُمْ فَوْتُ (٤)

فقوله: "بذنب" تقديره: بسبب ذنب، فقد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كأنه قال: بجزء ذنب، والغرض البلاغي هنا الإيجاز والاختصار، قال المرزوقي: "يقول: إن تجرموا ثم يصح عندي تعمدكم في إجرامكم وتيقنكم ما يلحقكم من لائمةٍ وعيبٍ، وأنكم أقدمتم مستهينين، وبمن يأخذكم نكيره غير حافلين، فما يفوتني

(١) البيت من الكامل، وهو في محمد محمود الشنقيطي، ديوان الهدليين، (مصر: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٩٩٥م) ص ٩٤، وينظر موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٢) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٦٨/١.

(٣) ذكر التبريزي أن رويشد بن كثير الطائي شاعر جاهلي، وذكر أنه من الشعراء الذين ليس لهم ذكر في الشعر، وشعره متوسط في الطبقة، ينظر يحيى بن علي بن محمد، شرح ديوان الحماسة، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ) ٤٧/١، وفي الشرح المنسوب للمعري ذكر أنه شاعر إسلامي. ينظر أحمد بن عبد الله بن سليمان، شرح ديوان الحماسة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١١هـ).

(٤) البيت من البسيط. ينظر موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٥٤-٥٥.

مكافأتكم، ولا يعينني مؤاخذتكم ومحاسبتكم" (١)

٥- وقال أنيف بن زبّان التّبّهاني (٢):

دَعَا لِنَزَارٍ وَأَنْتَمِينَا لِطَيِّءٍ كَأَسَدِ الشَّرَى إِقْدَامُهَا وَنَزَالُهَا (٣)

ففي قوله: "كأسد الشرى" حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه؛ لأنّ اللبس، كأنه قال: وكإقدام أسد الشرى إقدامها ونزالها، وسبب الحذف لئلاّ يلبس وجه التشبيه بغيره، وقال المرزوقي: "ومعنى دعوا لنزار: انتسبوا إلى نزار، وهذا الاعتزاء الذي أشار إليه قد يفعله الفارس عند الطعن والضرب أيضاً، يقول الواحد منهم: خذها وأنا من بني فلان، وأنا فلان بن فلان" (٤).

٦- وقال آخر:

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَوَالِدِهِ وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبْرٍ وَمَا وَلَدَا (٥)

ذكر المرزوقي (٦) أنّ الشاعر في هذا البيت: فَضَّلَ اللُّؤْمَ فِي اللَّفْظِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَسْلَافِهِمْ، وهو يُرِيدُ تَفْضِيلَهُ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ، وَأَفْعَالِهِمْ، وَطَبَاعِهِمْ؛ لِأَنَّ الشَّرْطَ تَشْبِيهِ الْأَحْدَاثِ بِالْأَحْدَاثِ، وَالذَّوَاتِ بِالذَّوَاتِ، وَقَدْ حُذِفَ الْمِضَافُ، وَأُقِيمَ الْمِضَافُ إِلَيْهِ

(١) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ١/١٢٥.

(٢) هو أحد بني نبهان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيّء، شاعر مغمور، اختلف في اسم أبيه كثيراً فقبيل: حكم، وقيل: حكيم، وقيل: زيان. ينظر عثمان بن جني، المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة، (دمشق: دار القلم، ط ١، ١٤٠٧هـ) ص ٥٨، وعثمان بن جني، التنبيه على شرح مشكلات الحماسة، (الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، ط ١، ١٤٣٠هـ) ص ٣٥٦.

(٣) البيت من الطويل، وهو في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٤) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ١/١٢٨.

(٥) البيت من البسيط، ونُسِبَ لعويّف القوافي، في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٧٨، وقيل: إنّها للحكم بن زهرة. ينظر يحيى بن علي بن محمد، مرجع سابق، ١/٨٥.

(٦) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ١/١٨٢.

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في حماسة أبي تمام - عرضًا ودراسة، د. إبراهيم غازي مناور الحربي

مقامه، كأنه قال: اللؤم أكرم من أخلاق وبرٍ وأخلاق والده، والغرض البلاغي من هذا الحذف: الاختصار والإيجاز.

٧- وقال آخر في ابن له:

حَمَيْتُ عَلَى الْعَهَارِ أَطْهَارَ أُمِّهِ وَبَعْضَ الرَّجَالِ الْمَدْعِينَ جُفَاءً^(١)

بيّن الشاعر هنا انتفاء الريب في ابنه عن مشابته له، وأنه لا يشك في كونه من صلبه، فقد حفظ أطهار أمه عن الزناة، فقد اختارها من بيت العقّة، وأرومة الكرم، ومغرس النجابة، والعتق والشهامة، وأنه صادق فيما يقول، وأنّ بعض دعاوى المدّعين كالذي يعلو السيل، ويحتمله من سقط الأرض، ففي قوله: "وبعض الرجال" حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، والتقدير: "وبعض دعاوى الرجال"، وسبب الحذف هنا الإيجاز والاختصار.

٨- قال الحصين بن الحمام المرّي: (٢)

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْوُدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي عَمَدْتُ إِلَى الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ أَحْزَمًا^(٣)
فَلَسْتُ بِمُبْتَاعِ الْحَيَاةِ بِذِلَّةٍ وَلَا مُرْتَقٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا

في قوله: "لما رأيتُ الودّ" حذف المضاف فيه، وأقام المضاف إليه مقامه، وتقدير الكلام: لما رأيت مراعاة الودّ ومحافظته، أو إظهار الود وإبقائه، وسبب الحذف هنا وضوح المعنى، وقال المرزوقي: "ومعنى البيت: لما رأيتهم لا يرتدعون عن ركوب الرأس، والمجازة إلى أقصى ما في الطوق من اللجاج والشر، قصدت إلى ما كان أجمع للحزم

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٨٤، وفي البيت رواية أخرى بـ "سواء" بدل "جفاء".

(٢) شاعر جاهلي مقل، من فرسان مرّة غطفان، ويقال: أنه أدرك الإسلام. ينظر محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، (جدة: مطبعة المدني) ص ١٥٥، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة، مرجع سابق، ص ٦٤٨، وعلي بن عمر بن محمد الأمدي، المؤتلف والمختلف، (بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ) ص ١٢٦.

(٣) البيتان من الطويل، وهما في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، مع أبيات أخرى ص ١١٩-١٢٠.

معهم من مكاشفتهم، وترك الإبقاء عليهم؛ لأن ظهور التعادي، والتكاشف خيرٌ من ركوب الغرور مع الشبابك" (١)

فالشاعر هنا يقول: أني عمدت إلى الحرب؛ لأنني رأيتها أصوب من الاحتمال. وفي جعل الحزم للأمر مجاز واتساع، كما جعل له العزم في قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمْتَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ (محمد: ٢١)

٩- وقال سعد بن مالك: (٢)

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لِحَا جِمِهَا التَّخِيلُ وَالْمِرَاخُ (٣)

في قوله: " لا يَبْقَى لِحَا جِمِهَا التَّخِيلُ " يجوز أن يُريد به صاحب التَّخِيلِ، ففيه حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، والغرض من الحذف هنا الإيجاز والاختصار، ويَبِّنُ المرزوقي (٤) أنَّ البديل حينئذٍ يكون في " إِلَّا الْفَتَى " في أوَّل البيت الذي بعده وهو قوله:

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَا رُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَفَاخُ

والجحام في كلام العرب معناه: الضيق البخيل، أُخِذَ من جاحم الحرب وهو ضيقها وشدتها، وقيل: الجحام الذي يتحرق حرصًا، وبخلا، أُخِذَ من الجحيم، وهي النار المستحكمة المتلظية أعاذنا الله منها. (٥)

(١) أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٢٨٤/١.

(٢) هو سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، من الشعراء الجاهليين، ومن سادات بكر بن وائل، وأحد فرسان العرب، وهو جد الشاعر طرفة بن العبد. ينظر محمد بن سلام الجمحي، مرجع سابق، ص ٤٩، وعلي بن عمر بن محمد الأمدي، مرجع سابق، ص ١٩٨. وعلي بن أحمد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، (القاهرة: دار المعارف، ط ٥) ص ٣١٩-٣٢٠.

(٣) البيت من الكامل، وهو في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، مع أبيات أخرى ص ١٤٤-١٤٥.

(٤) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٣٥٦/١.

(٥) ينظر محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، (بيروت: دار البشائر للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤١٢ هـ)، ٢٢١/١.

١٠- وفيها أيضاً:

وَتَسَاقَطَ التَّنَوَاطُ وَالـ ذَنَبَاتُ إِذْ جَهَدَ الفِصَاحُ

هذا البيت عُطِفَ على قوله: " وَضَعْتُ أَرَاهِطُ فَاسْتَرَأْحُوا" في البيت الأول من المقطوعة، يقول: "وتساقط الدُّخْلَاءُ، والهجناء الذين نيطوا بصميم العرب فلم يكونوا منهم" (١).

وقوله: "التَّنَوَاطُ" مصدرٌ، وأراد به: ذوو التنواط؛ فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، والغرض البلاغي هو الاختصار والإيجاز، وذكر المرزوقي أنه يجوز أن يكون وُصِفَ به كما يُوصف بالمصادر.

١١- وقال عبد الله بن عَنَمَةَ: (٢)

وَلَا يَكُونَنَّ كَمَجْرَى دَاحِسٍ لَكُمْ فِي غَطْفَانَ غَدَاةَ الشَّعْبِ عُرْقُوبٌ (٣)

قوله: " عرقوب " مرفوع؛ لأنه اسمٌ لـ " يكون"، وقد حُذِفَ المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، والمراد: ولا يكونن مجرى عرقوبٍ كمجرى داحسٍ، والغرض هنا الاختصار والإيجاز، وقد وقع الخلاف، والتنازع بينهم في رهانٍ وقع على عرقوبٍ، وهو فرسٌ لهم، فيقول: لا يكونن جرى عرقوبٍ عليكم في الشؤم كجري داحسٍ في غطفان غداة شعب الحيس. (٤)

(١) أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٣٥٨/١.

(٢) هو عبد الله بن عنمة بن عنط بن السيد الضبي، شاعر إسلامي مخضرم، شهد موقعة القادسية، رثى بسطام بن قيس الشيباني بعدما قتلته قبيلة بني ضبة. ينظر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، (بيروت: دار الجيل، ط ١، ١٤١١هـ) ص ١٩٩، وعبد الله بن عبد العزيز بن محمد، مرجع سابق، ص ٣٨٩.

(٣) البيت من البسيط، وقد ورت المقطوعة في موهوب بن أحمد بن محمد، مرجع سابق، ص ١٦٤، ١٦٥ ولم يرد فيها هذا البيت، وأورده أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٤١٨/١.

(٤) ينظر المرجع السابق، ٤١٨/١.

١٢- وَقَالَ الْأَخْرَمُ السِّنْبُوسِي: (١)

لَنَا بَاحَةٌ ضَبْسٌ نَأْجُهَا يَهُونُ عَلَيَّ حَامِيئِهَا الْوَعِيدُ (٢)

المراد بـ "حَامِيئِهَا" جَبَلًا طَيِّبًا: أجأ وسلمى، وهو الأقرب؛ لأن سنبس يسكنون قريهما، ويمكن أن يكون المراد بهما الخيل والسلاح، يقول: إِنَّ لَنَا حِصْنٌ مَنِيْعٌ يَدَافِعُ عَنْهُ رَجُلٌ شَدِيدُ الْبَأْسِ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَلَا نُهَابَ الْوَعِيدِ مَا دَمْنَا فِي هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ، أَوْ فِي الْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ، فَيَكُونُ فِي قَوْلِهِ: "عَلَى حَامِيئِهَا" حَذْفُ الْمُضَافِ وَإِقَامَةُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ. (٣)

والغرض البلاغي من حذف المضاف هنا الاختصار، والإيجاز.

١٣- وَقَالَ مُجَمِّعُ بْنُ هَلَالٍ (٤):

إِنْ أَكَّ مَا شَيْخًا كَبِيرًا فَطَالَمَّا عَمَرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى الْعُمَرَ يَنْفَعُ (٥)

يقول الشاعر في هذا البيت: إِنْ صرْتُ شَيْخًا كَبِيرًا فِي السِّنِّ، وَضَارِعًا لِنَائِبَةِ الدَّهْرِ، فَهَذَا حَقٌّ لَا بَدَّ مِنْ وَقُوعِهِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ سَنَةُ الْحَيَاةِ، وَطَوَّلَ الْعُمَرَ لَا يَنْفَعُ إِذَا كَانَ مَوْدَّاهُ إِلَى الضَّعْفِ، ثُمَّ الْمَوْتِ، وَقَوْلُهُ: "لَا أَرَى الْعُمَرَ" فِيهِ حَذْفُ الْمُضَافِ، وَإِقَامَةُ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، فَهُوَ يَرِيدُ اتِّصَالَ الْعُمَرِ وَطَوَّلَهُ، وَالغُرُضُ الْبَلَاغِيُّ مِنَ الْحَذْفِ إِيجَازَ الْكَلَامِ وَاخْتِصَارَهُ؛ لَوْضُوحِ الْمَعْنَى.

(١) هو قيس بن سعد بن جابر، ويُلَقَّبُ بالأخرم، وهو شاعر إسلامي من بني ربيع. ينظر أحمد بن

عبد الله بن سليمان، مرجع سابق، ص ٣٨٥.

(٢) البيت من المتقارب، وهو في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ١٦٩.

(٣) ينظر الحسن بن أحمد الفارسي، شرح حماسة أبي تمام، (بيروت: دار الأوزاعي، ط ١، ٢٠١٧م)،

٣٠١/٢، وأحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٤٢٨/١.

(٤) هو مُجَمِّعُ بْنُ هَلَالٍ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ هَلَالِ بْنِ الْحَارِثِ، مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. يَنْظُرُ مُحَمَّدُ

بْنُ عِمْرَانَ الْمَرْزَبَانِي، مَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٩م) ص ٤٦٩.

(٥) البيت من الطويل، وهو في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق،

ص ٢٠٣.

١٤ - وَقَالَ الْعَدِيلُ بْنُ الْفَرخِ الْعِجْلِيُّ^(١):

كَأَلَانَا يُنَادِي يَا نَزَارُ وَبَيْنَنَا قَنَا مِنْ قَنَا الْخَطِيَّيَّ أَوْ مِنْ قَنَا الْهِنْدِ^(٢)

الواو في قوله: "وبيننا" حالية، وتقدير الكلام هنا: وبيننا اختلاف قناً خطية بالظعن، وقد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والغرض من الحذف هنا الاختصار والإيجاز، وهو يريد أنه قد بلغ جهد البلاء بينهم هذا المبلغ وانتهى إلى هذه الحالة^(٣).

١٥ - وَقَالَ مُطِيعٌ بْنُ إِيَّاسٍ^(٤):

قُلْتُ لِحَنَانَةٍ دُلُوحٌ تَسُحُّ مِنْ وَابِلٍ سَحُوحٍ^(٥)
أُمِّي الضَّرِيحِ الَّذِي أُسَمِّي ثُمَّ اسْتَهَلِّي عَلَى الضَّرِيحِ
لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تَشْحِي عَلَيَّ فَتَيَّ لَيْسَ بِالشَّحِيحِ

قوله: "أُمِّي الضَّرِيحِ الَّذِي أُسَمِّي" التقدير فيه: أُسَمِّي صاحبه، فحذف المضاف وهو "صاحب"، وأقام المضاف إليه مقامه وهو "أُسَمِّي"؛ للاختصار والإيجاز، قال

(١) هو العدِيلُ بن الفرخ العجلِي، ويلقَّب بالعباب، وهو من جماعة أبي النجم العجلِي، هجأ الحجاج فطلبه، فهرب إلى قيصر ملك الروم، فهدد الحجاج قيصر بالحرب إن لم يرسله، فأرسله، فلما جاء إلى الحجاج قال عنده أبيات جميلة فخلى سبيله. ينظر عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مرجع سابق، ص ٢٩٦، و٢٩٧، وعبد القادر بن عمر، مرجع سابق، ٣٦٧/٢.

(٢) البيت من الطويل، والمقطوعة في وهو في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٢٠٧، وثروى لحمَّاد بن عَجْرَد. ينظر حبيب بن أوس بن الحارث، ديوان الحماسة، (الرياض: إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١ هـ) ٤١٢/١.

(٣) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٥١٩/١، ومحمد بن قاسم، مرجع سابق، ١٧٨/١.

(٤) هو مطيع بن إياس بن سلمة الليثي الكناني، ولد ونشأ بالكوفة، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. ينظر محمد بن عمران، مرجع سابق، ص ٤٥٤-٤٥٥، وعلي بن الحسين بن محمد، مرجع سابق، ٧٥/١٢، وعبد الله بن عبد العزيز بن محمد، مرجع سابق، ص ٦٠٠-٦٠١.

(٥) الأبيات من البسيط، وهي في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

المرزوقي: "يريد الذي أَنْصُ عليها، وأُبَيَّنَه بذكر اسم صاحبه، إذ لم يكن للضريح اسمٌ يتميز به عن القبور" (١)

١٦- وقال الأشجع السلمي: (٢)

وَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَانِعٌ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ (٣)

فقوله: "ولا بسرور" فيه حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، للإيجاز والاختصار، والتقدير: ولا بذي سرور، فالشاعر هنا يتبرأ من الجزع وقت المصيبة، وإن كانت المصيبة عظيمة، ولست بصاحب سرور به، وإن عَظُمَ بفارح.

وقال يحيى بن زياد الحارثي: (٤)

دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامُ حَتَّى إِذَا أَتَتْ تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعًا (٥)

ذكر المرزوقي (٦) أنه يجوز في "الأيام" هنا أن تكون بمعنى: نوائب الأيام وأحداثها، ففيها حينئذ حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، والغرض البلاغي الاختصار والإيجاز، ويجوز أن يريد بـ "الأيام": أنفس الأحداث، فسَمَّاهَا الشاعر أَيَّامًا كما تُسَمَّى الوقعات بها، وكما قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠)

(١) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٦٠٥/١.

(٢) هو أشجع بن عمرو السلمي، من شعراء الدولة العباسية، نشأ في البصرة، وقام بمدح البرامكة.

ينظر عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مرجع سابق، ص ٦٣٦-٦٣٩.

(٣) البيت من الطويل، والمقطوعة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

(٤) هو يحيى بن زياد بن عبد الله الحارثي، يكنى بأبي الفضل، وكان شاعرًا أديبًا ظريفًا ماجنًا، سكن الكوفة، وقد رمي بالزندقة. ينظر محمد بن عمران، مرجع سابق، ص ٤٩٧.

(٥) البيت من الطويل، والمقطوعة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٦) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ٦٠٩/١.

١٧- وقال آخر:

سَابِكِيكَ لَا مُسْتَبْقِيَا فَيَضَ عِبْرَةً وَلَا طَالِبًا بِالصَّبْرِ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ (١)

قوله: "بالصبر" يريد به: بتكليف الصبر، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، للاختصار والإيجاز، فالإنسان إذا تصبر على ما يصيبه مدةً، وتماسك به برهةً، آذاه مرور الأوقات إلى أن يتسلى؛ فعاقبة الصبر هو التسلي، فإذا تسلى عاد طمعه فيما يرجى، وحذره مما يخشى، إلى ما كان أو أشد، وذلك حال من لا هم له (٢).

١٨- وقال مُهْلَهْلُ بن ربيعة (٣):

نُبْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أَوْقَدْتُ وَأَسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلْبُ الْجَلِيسِ (٤)

في قوله: "الجلس" حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، فالمراد به: أهل المجلس، والغرض البلاغي من الحذف الاختصار والإيجاز؛ لوضوح المعنى المقصود.

١٩- وقال كعب بن زهير (٥):

لَقَدْ وَلَّى أَلَيْتَهُ جُؤَيٍّ مَعَاشِرَ غَيْرِ مَطْلُولِ أَخُوهَا (٦)

ففي قوله: "غير مطلول أخوها" يريد: غير مطلول دم أخيها، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، للإيجاز والاختصار، والمعنى أي لا ينسى دمه، ولا يبطل ديتته،

(١) البيت من الطويل، والمقطوعة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

(٢) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ١/٦٢٨.

(٣) هو عدي بن ربيعة أخو كليب بن وائل، وسمي بذلك؛ لأنه هلهل الشعر أي: أرقه. تنظر ترجمته في عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مرجع سابق، ص ١٩٩-٢٠١، وعبد القادر بن عمر، مرجع سابق، ١/٣٠٠.

(٤) البيت من الكامل، وهو في مهلهل بن ربيعة، ديوان مهلهل بن ربيعة، (القاهرة: الدار العالمية)،

ص ٤٤، والمقطوعة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

(٥) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، من شعراء الصحابة، أسلم بعد الفتح، وقد عفا عنه الرسول

صلى الله عليه وسلم وكساه بردته. ينظر محمد بن عمران، مرجع سابق، ص ٣٤٢.

(٦) البيت من الوافر، وهو في كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، (بيروت: المكتبة العصرية،

ط ١، ١٤٢٩هـ) ص ١٨٤، والمقطوعة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٢٧٨-٢٧٩.

ومنه قول الشاعر:

دِمَاؤُهُمْ لَيْسَ لَهَا طَالِبٌ مَطْلُوءَةٌ مِثْلُ دَمِ الْعُدْرَةِ^(١)

٢٠- وقال المُنَعِّعُ الكِنْدِيُّ^(٢):

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَارِلًا وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ الْعَبْدَا^(٣)

أراد الشاعر في هذا البيت أن يُبيِّن ما عنده للغريب الطارق، والضيف القادم إليه، وأوضح أنه بلغ في خدمة الضيوف مبالغ العبيد فيها، وفي قوله: "تُشْبِهُ الْعَبْدَا" يريد: تُشْبِهُ شِيمَ الْعَبْدِ، فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه؛ للاختصار والإيجاز، فمن المعلوم أنَّ العبد يعمل عند صاحبه بهمة عالية دون ملل أو كلل، فشيمة الشاعر عند قدوم ضيفه مثل شيم العبد عند خدمة مالكه.

٢١- وقال مجنون ليلي^(٤):

(١) البيت من السريع، وهو بلا نسبة في محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،

(الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون)، وإسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، (بيروت: دار الملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ)، مادة: (طلل)، (١٤٠٤هـ)، وعبد القادر بن عمر، مرجع سابق، ١٠/٤٦٥.

(٢) هو محمد بن عمير، من شعراء العصر الأموي، كان من كبار وأشرف عشيرته، وكان كريماً سمح اليد بماله، وقيل: إنه كان يلبس قناعاً خوفاً من العين لشدة جماله. تنظر ترجمته في عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مرجع سابق، ص ٥٣٥، وعبد الله بن عبد العزيز بن محمد، مرجع سابق، ص ٦١٥.

(٣) البيت من الطويل، والمقطوعة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٣٤٨-٣٤٩.

(٤) هو قيس بن الملوِّح بن مزاحم بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة، شاعر غزلي، كان يعيش في الدولة الأموية. تنظر ترجمته في محمد بن حبيب، ألقاب الشعراء، (مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٣٧٤هـ)، ص ٣١٢، والحسن بن بشر، مرجع سابق، ص ٢٨٩، ومحمد بن عمران، مرجع سابق، ص ٢٩٢.

وُنُبِّتْ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسٌ لَيْلَى شَفِيعُهَا (١)

في قوله: "بشفاة" حذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه، للاختصار والإيجاز، فالتقدير: أرسلت بذني شفاة، فالشفاة لا ترسل إلا مع صاحبها، وليس كل شخص يملكها، فهناك ناس أصحاب مكانة، وأصحاب شفاة يرسلون لقضاء حاجة أو غيرها.

٢٢- وقال ابن هَرَمِ الطَّائِي (٢):

وَأَسْتَخْبِرُ الْأَخْبَارَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرُّكْبَ عَهْدَهُمْ عَهْدِي (٣)

ذكر المرزوقي في قوله: "وأستخير الأخبار" أنه يجوز أن يكون على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، والغرض البلاغي من الحذف الاختصار والإيجاز، والتقدير فيه: وأستخير ذوي الأخبار من نحو أرضها، ويجوز كذلك أن يريد: أرجع فيما أعرف من أخبارها فيما بيني وبين نفسها حالاً بعد حال، طالباً لاستخراج زيادة فيها، ومستمتعاً بما يكون حاصلها فيها، فكأنني أستخير نفس الخبر. (٤)

٢٣- وَقَالَ ابْنُ هُرْمَةَ (٥):

(١) البيت من الطويل، وهو في قيس بن الملوح، ديوان مجنون ليلى، (القاهرة: مكتبة مصر)، ص ١٩٥، والمقطوعة بلا نسبة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٣٦٦، ونسباً لقيس بن الملوح في علي بن أبي الفرج بن الحسن، الحماسة البصرية، (الهند: وزارة المعارف، ١٣٨٣هـ)، ١٩٠/٢.

(٢) لم أقف على ترجمته.

(٣) البيت من الطويل، والمقطوعة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٤٤٦

(٤) ينظر أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ١/٩٩٥.

(٥) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة المهري، ويعد من الشعراء الثلاثة الذين ذكر الأصمعي أن الشعر ختم بهم، وقد عاصر الشاعر جرير فقد عاش في الدولتين الأموية والهاشمية، ومدح الوليد بن يزيد، والمنصور. ينظر عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مرجع سابق، ص ٥٤٦-٥٤٧، وعبد الله بن عبد العزيز بن محمد، مرجع سابق، ص ٣٩٨.

إِنَّ امْرَأً جَعَلَ الطَّرِيقَ لَيْتِيهِ طُنْبًا وَأَنْكَرَ حَقَّهُ لِلَّيْمِ (١)

يريد أن البخيل عندهم ينزل في بطون الأودية؛ ليكون بعيداً عن الطريق مخافة قدوم الضيوف إليه، فقوله: "إِنَّ امْرَأً جَعَلَ الطَّرِيقَ لَيْتِيهِ طُنْبًا" أي: جعل الطريق موضع طُنْبِ بيته، فحذِف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه للاختصار والإيجاز، وذكر المرزوقي: "أنه يجوز أن يكون على القلب، أراد: جعل طنب بيته للطريق، أي: مما يليه، ثم لم يقم بحقه، ولم يلتزم ما يجب عليه فيه، للئيم. وإنما أعاد هذا الذكر تأكيداً لما يأتيه، واعترافاً بالواجب فيه" (٢)

٢٤- وقال ابن عَنقَاء الفَزَارِيُّ: (٣)

رَأَيْتُ عَلَى مَا بِي عَمِيلَةٌ فَاشْتَكَيْتُ إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسْرَ كَمَا جَهَرَ
دَعَانِي فَآسَانِي وَلَوْ ضَنَّ لَمْ أَلْمُ عَلَى حِينٍ لَا بَدُو يُرَجِّئِي وَلَا حَضَرَ (٤)

في البيت الأول مجاز فقد جعل رجوعه إلى ماله في إصلاح أمره شكاية منه إليه، وأنه أسرَّ الاهتمام بأمره كما أظهره، وآساني: جعلني أسوة بأن أعطاني من ماله، وفي قوله: "ولا حضر" حُذِف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، للإيجاز والاختصار، وقال المرزوقي: "كان الوجه أن يقول: ولا حاضر، مع ذكر البادي؛ ليكون الكلام أشد التثاماً، أو يقول: فلا بدو يرَجِّئِي، مع قوله: ولا حضر" (٥)

٢٥- وقال آخر:

(١) البيت من الكامل، وهو في إبراهيم بن علي بن هرمة، ديوان ابن هرمة، (بغداد: مطبعة النجف، ١٣٨٩هـ)، ص ٢٠٦، والمقطوعة في وهو في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٥١٣.

(٢) أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ١١٠٥/٢.

(٣) هو قيس بن بجرة، وقيل: عبد قيس بن بجرة، وهو من بني شمع من فزارة، عاش في الجاهلية، وأدرك الإسلام وهو كبير فأسلم. ينظر محمد بن عمران، مرجع سابق، ص ١٩٩، وإسماعيل بن القاسم، أمالي القاضي، (مصر: دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ)، ٢٣٧/١، وأحمد بن علي بن محمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ)، ٥٣٠/٥.

(٤) البيت من الطويل، والمقطوعة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٥١٧-٥١٨.

(٥) أحمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ١١١١/٢.

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في حماسة أبي تمام - عرضًا ودراسة، د. إبراهيم غازي مناور الحربي

إِذَا لَأَقِيَتْ قَوْمِي فَاسْأَلِيهِمْ كَفَى قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ خَيْرًا (١)
هَلْ أَعْفُو عَنْ أَصُولِ الْحَقِّ فِيهِمْ إِذَا عَسِرَتْ وَأَقْتَطَعُ الصُّدُورًا

في قوله: "أقتطع الصدور" يريد أنه يقتطع ما في الصدور من الضغائن، والأحقاد أي: يزيل ذلك بإحسانه من عفو وغيره، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، والغرض من ذلك الاختصار والإيجاز، وذكر المرزوقي قولين:
الأول: أنه أراد به موذات الصدور، فعلى هذا ففيه حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه.

الثاني: أنه أراد بالصدور الرؤساء. وقال: " والمراد من البيت أبي أسامح في معاملة أوساط قومي لأمتلكهم بذلك، وأجعل رؤساءهم منصبين إليّ ومائلين نحوي، لأني أقتطعهم عن غيري، وأعدل بهم عن سواي" (٢)

(١) البيتان من الوافر، وهما بلا نسبة في موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي، مرجع سابق، ص ٧٢٦، ونسبا إلى جثامة بن قيس في الحسن بن بشر، مرجع سابق، ص ١٥١، ونصر الله بن محمد الشيباني، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (مصر: مطبعة نخضة مصر، ١٣٩٧هـ)، ٣١٠/١.

(٢) أحمد بن محمد بن محمد بن الحسن، مرجع سابق، ١١٤٢/٢.

الخاتمة وأهم النتائج

يعد إقامة المضاف إليه مقام المضاف من طرق العربية في التعبير والبيان والإبداع، إضافة إلى الاتساع والاختصار في الكلام، ومما لا شك فيه أنّ نظام النحو أتى تحقيقًا للفائدة، ونجد أن النحويين فهموا هذه الظاهرة فهمًا صحيحًا، فبنوا هذه القواعد على أساس من التخفيف، والبعد عن الثقل في الكلام، وهذا ما أطلق عليه العلماء اليوم بالافتقار اللغوي الذي يهدف إلى أنّ المتكلم يوصل الفائدة للمخاطب بأقل جهد. وقد علمنا أنّ إقامة المضاف إليه مقام المضاف لا يُستحسن إلا إذا دعت إليه حاجة فنية، وهي ما اختصت به اللغة العربية من الأيجاز مع وجود الإمتاع لتقدير المحذوف.

أهم النتائج:

- ١- شيوع حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه في القرآن الكريم، وكلام العرب، وندرة حذف المضاف إليه؛ لأن المضاف إليه يكتسي منه المضاف تعريفًا، وتخصيصًا فحذفه يخل بالكلام؛ لإذهاب فائدته بخلاف المضاف نفسه فإن حذفه لا يخل بالكلام؛ لقيام المضاف إليه مقامه.
- ٢- أنّ لهذا الحذف أثر كبير في تقدير المعنى.
- ٣- أنّ في اللغة العربية سعة في التعبير لا توجد في غيرها من اللغات.
- ٤- ظهر أثر هذا الحذف في عدد من أبواب النحو كالمبتدأ، والخبر، والنعت بالمصدر، والمفعول له، والبدل، والإضافة، ونيابة المصدر وغيرها.
- ٥- أنّ حذف المضاف لا يُجرح إليه إلا عن دليل يدل عليه.
- ٦- أنه يجب تقدير المضاف في القرآن الكريم بما دل عليه دليل الشرع، أو ما دلّ العقل على تعيينه، ويستحيل حمل الآية بدونه.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (تحقيق: أحمد الحويني). بيروت، دار الكتب العلمية. (١٩٩١م).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، التنبية على شرح مشكلات الحماسة، (تحقيق: محمد حسن هندراوي). الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (ط١)، (١٤٣٠هـ).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، (تحقيق: محمد علي النجار). بيروت: عالم الكتب، (١٣٧٦هـ).
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، المبهج في تفسير شعراء الحماسة، (تحقيق: محمد حسن هندراوي). دمشق: دار القلم، (ط١)، (١٤٠٧هـ).
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، (تحقيق: علي محمد البجاوي). بيروت: دار الجيل، (١٤١٢هـ).
- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، (تحقيق: عبد السلام هارون). القاهرة: دار المعارف، (ط٥).
- ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي، الاشتقاق، (تحقيق: عبد السلام هارون). بيروت: عالم الكتب.
- ابن السراج، محمد بن السري، الأصول في النحو، (تحقيق: عبد الحسين الفتلي). بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤١٧هـ).
- ابن عطية، أبو محمد بن عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد). بيروت: دار الكتب العلمية، لبنان، (١٤١٣هـ).
- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، شرح ألفية ابن مالك، (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد). القاهرة: دار التراث، (٢٠٠٠هـ).
- ابن قتيبة، عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم الدينوري، الشعر والشعراء، (تحقيق: أحمد محمد شاكر). القاهرة: دار المعارف، (١٩٦٧م).
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير ابن كثير، (تحقيق: محمد علي الصابوني). بيروت: قدار للنشر، (١٩٨١م).
- ابن مالك، محمد بن عبد الله، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، (تحقيق: محمد كامل بركات). القاهرة: دار الكتاب العربي، (١٣٨٧هـ).

- ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح التسهيل، (تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون). القاهرة: هجر للطباعة والنشر، (١٤١٠هـ).
- ابن مضاء، أحمد بن عبد الرحمن القرطبي، الرد على النحاة، (تحقيق الدكتور: محمد البنا). دار الاعتصام، (ط١)، (١٣٩٩هـ).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، (اعتنى بتصحيح الطبعة: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي). بيروت: دار إحياء التراث، ومؤسسة التاريخ العربي، (ط٣)، (١٤١٩هـ).
- ابن هرمة، ديوان إبراهيم بن هرمة، (تحقيق: محمد جبار المعيد). بغداد: مكتبة الآداب في النجف، (١٣٨٩هـ).
- ابن يعفر، ديوان الأسود بن يعفر، (تحقيق: نوري حمودي القيسي). العراق: مطبعة الجمهورية، (١٣٩٠هـ).
- ابن يعيش، يعيش بن علي، شرح المفصل، مصر: المطبعة المنيرية.
- أبو بكر، محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، (تحقيق الدكتور: حاتم الضامن). دبي: دار البشائر للطباعة والنشر، (ط٣)، (١٤٢٤هـ).
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، ديوان الحماسة، (تحقيق: عبد المنعم أحمد صالح). العراق: دار الرشيد، (١٩٨٠م).
- أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد، إعراب القرآن، (تحقيق: زهير غازي). بيروت: عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، (ط٣)، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).
- أبو دواد الإيادي، ديوان أبي دواد الإيادي، (تحقيق: أنوار محمود الصالح، وأحمد هاشم السامرائي). دمشق: دار العصماء، (ط١)، (١٤٣١هـ).
- أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، (تحقيق الدكتور: محمد عبد الخالق عزيمة). بيروت: عالم الكتب.
- أبو عبد الله، محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق: عبد الله بن أحمد التركي). بيروت: مؤسسة الرسالة، (ط١)، (١٤٢٧هـ).
- أبو عبد الله، حسين بن أحمد بن حسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، (تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي). بيروت: دار المعرفة، (ط٢)، (١٤٢٥هـ).

- أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، (تحقيق: عبد العزيز الميمني). بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، شرح ديوان حماسة أبي تمام، (تحقيق الدكتور: محمد حسين نقشة). بيروت: دار الغرب الإسلامي، (١٤١١هـ).
- أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، شرح حماسة أبي تمام، (تحقيق: محمد عثمان علي). بيروت: دار الأوزاعي، (ط١)، (١٤٢١هـ).
- أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي في لغة العرب، القاهرة: دار الكتب المصرية، (١٣٤٤هـ).
- أبو فرج، علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني، الأغاني، (تحقيق: سمير جابر). بيروت: دار الفكر، (٢٠١٠م).
- أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال، (تحقيق: محمد أبو الفضل، وعبد المجيد قطامش). بيروت: دار الفكر، (١٩٨٨م).
- الأسمر، راجي الأسمر، (علوم البلاغة)، بيروت: دار الجيل، (ط١)، (١٩٩٩م).
- الأمدي، الحسن بن بشر، المؤلف والمختلف، (تصحيح الأستاذ الدكتور: ف. كرنكو). بيروت: دار الجيل، (ط١)، (١٤١١هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (تحقيق الدكتور: مصطفى ديب). بيروت: دار ابن كثير، (ط٣)، (١٤٠٧هـ).
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، (تحقيق: عبد السلام هارون). (ط٤)، القاهرة: مكتبة الخانجي، (١٤١٨هـ).
- البصري، صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين، الحماسة البصرية، (تحقيق: مختار الدين أحمد)، الهند: وزارة المعارف، (١٣٨٣هـ).
- التبريزي، يحيى بن علي الخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل، (تحقيق الدكتور: فخر الدين قباوة). دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، (١٣٩١هـ).
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز في علم المعاني، (تحقيق: محمود محمد شاكر). القاهرة: مطبعة المدني، (ط٣)، (١٤١٣هـ).

جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، (تحقيق: محمود محمد شاكر). جدة: مطبعة المدني.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار). بيروت: دار الملايين، (ط ٣)، (١٤٠٤هـ).

الخطيئة، ديوان الخطيئة، (تحقيق: نعمان أمين طه)، مصر: مصطفى الحلبي، (١٣٧٨هـ).

الرضي، محمد بن الحسن الاسترآبادي، شرح الكافية، (تحقيق: حسن الحفظي، ويحيى مصطفى). الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (ط ١)، (١٤١٧هـ).

الزبيدي، محمد بن مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (تحقيق: التزوي وآخرين). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). (ط ١)، دار إحياء التراث العربية، (١٣٧٦هـ).

الزنجشيري، محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، (تحقيق: محمد عز الدين السعيد). (ط ١)، بيروت: دار إحياء العلوم، (١٤١٠هـ).

زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، (اعتنى به وشرحه: حمدو طماس). بيروت: دار المعرفة، (ط ٢)، (١٤٢٦هـ).

سيبويه، عثمان بن قنبر، الكتاب، (تحقيق: عبد السلام هارون). (ط ١)، بيروت: دار الجيل. الضامن، صالح الضامن، شعر الفند الزماني، بغداد: كلية الآداب، (١٤٠٧هـ).

العز بن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز السلمي، مجاز القرآن، (تحقيق الدكتور: مصطفى محمد حسين الذهبي)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، (ط ١)، (١٤١٩هـ).

حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه في حماسة أبي تمام - عرضًا ودراسة، د. إبراهيم غازي مناور الحربي

- العلوي، هبة الله بن علي، أمالي ابن الشجري، (تحقيق: محمود الطناحي). (ط ١)، القاهرة: مكتبة الخانجي، (١٤١٣هـ).
- الفاسي، محمد بن قاسم، عنوان النفاسة في شرح الحماسة، (تحقيق الدكتور: عبد الصمد بالخياط). بيروت: دار الكتب العلمية، (ط ١)، (١٤٣٤هـ).
- كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير، (تحقيق الدكتور: درويش الجويدي). صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، (ط ١)، (١٤٢٩هـ).
- مجنون ليلي، ديوان مجنون ليلي، (تحقيق: عبد الستار أحمد فراج). القاهرة: مكتبة مصر. محمد بن حبيب، ألقاب الشعراء، (تحقيق: عبد السلام هارون). مطبعة لجنة التأليف والنشر، (١٩٧٤هـ).
- محمد عبد الخالق عزيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث، (١٤٢٧هـ).
- المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران، معجم الشعراء، (تحقيق: عبد الرحمن أحمد فراج). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، (١٣٧٩هـ).
- المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن، شرح ديوان الحماسة، (نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون). بيروت: دار الجيل، (ط ١)، (١٤١١هـ).
- ملياني، محمد ملياني، علم النحو وأهميته في صناعة المعاجم، مجلة إنسانيات، العدد ١٧ - ١٨، مايو - ديسمبر، (٢٠٠٢م).
- الميداني، أحمد بن محمد بن إبراهيم، مجمع الأمثال، (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد). دار السنة المحمدية، (١٣٧٤هـ).
- الهذليين، ديوان الهذليين، القاهرة: دار الكتب المصرية، (ط ٢)، (١٩٩٥م).
- مهلهل بن ربيعة، ديوان مهلهل بن ربيعة، (شرحه: طلال حرب). الدار العالية. النابغة الجعدي، ديوان النابغة الجعدي، (تحقيق الدكتور: واضح الصمد). بيروت: دار صادر، (ط ١)، (١٩٩٨م).

Bibliography

- Abu Bakr, Muhammad bin al-Qasim al-Anbari, "*Al-Zahir fi Ma'āni fi Kalimāt al-Nās*". (Investigated by Dr.: Hātim Al-Damin). Dubai: Dar Al-Bashaer for Printing and Publishing, (3rd edt), 1424 AH.
- Abu Tammam, Habib bin Aws Al-Tā'ī, "*Diwān Al-Hamāsah*" (Investigated by: 'Abd al-Mun'im Ahmad Saleh). Iraq: Dār al-Rashid, (1980).
- Abu Ja'far Al-Nahhās, Ahmad bin Muhammad, "*I'rāb al Qur'ān*" (Investigated by: Zuhair Ghāzi). Beirut: World of Books, (3rd Edition), (1409 A.H.-1988).
- Abu Dāwūd al-Iyādī, "*Diwān Abi Dāwūd al-Iyādī*", (investigated by: Anwar Mahmoud al-Salihi, and Ahmad Hashim al-Samurrā'ī). Damascus: Dar Al-Asma, (1st Edition), 1431 AH.
- Abu 'Abdillāh, Muhammad bin Ahmad Al-Qurtubi, "*Al-Jāmi' Li ahkām al Qur'ān*" (investigated by: 'Abdillāh bin Ahmad Al-Turki), Beirut: Al-Resāla Foundation, (1st Edition), 1427 AH.
- Abu 'Abdillāh, Husain bin Ahmad bin Husain Al-Zawzanī, "*Sharh Al-Mu'allaqāt Al-Sab'ah*" (investigated by: 'Abd al-Rahmān Al-Mustawī). Beirut: Dār Al-Ma'ārif, (2nd Edition), 1425 AH.
- Abu Al-'Alā, Ahmad bin 'Abdillāh bin Suleiman Al-Ma'arri, "*Sharh Diwān Hamāsa Abi Tammam*" (investigated by Dr.: Muhammad Husain Naqsha). Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1411 AH.
- Abu 'Ali, Al-Hasan bin Ahmad bin Abdul Ghaffar Al-Farsi, "*Shrah Diwān Hamasa Abi Tammam*" (investigated by: Muhammad 'Uthman 'Ali). Beirut: Dār Al-Awza'ī, (1st Edition), 1421 AH.
- Abu 'Ali Al-Qālī, Ismail bin Al-Qasim, "*Al-Amālī fi Lughat al 'Arab*", Cairo: dar al-Kutub al-Misria, 1344 AH.
- Abu Faraj, 'Ali bin Al-Husain bin Muhammad Al-Asfahāni, "*Al-Aghānī*" (investigated: Samir Jābir). Beirut: Dār Al-Fikr, 2010.
- Abu Hilāl, Al-Hasan bin 'Abdillāh bin Sahl Al-'Askari, "*Jamharat Al-Amthāl*" (Investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl, and Abdul-Majid Qatamish). Beirut: Dār Al-Fikr, 1988.
- Al-Asmar, Rāji Al-Asmar, "*Ulūm Al-Balāgha*", Beirut: Dār Al-Jeel, (1st Edition), 1999.
- Al-Āmidī, Al-Hasan bin Bishr, "*Al-Mu'talaf wa Al-Mukhtalaf*" (corrected by Prof. Dr. F. Karenko). Beirut: Dār Al-Jeel, (1st Edition), (1411 AH).
- Al-Bukhārī, Muhammad bin Ismā'īl, "*Sahīh Al-Bukhārī*" (Investigated by Dr.: Mustafa Deeb). Beirut: Dār Ibn Katheer, (3rd Edition) 1407
- Al-Baghdādī, 'Abd al-Qādir bin 'Umar, "*Khizānat al-Adab wa Lub Libāb Lisān al-'Arab*" (Investigated by: 'Abd al Salām Haroun). (4th edition), Cairo: Al-Khanji Library, (1418 AH).
- Al-Basri, Sadr Al-Dīn bin Abi Al-Faraj bin Al-Husain, "*Al-Hamāsāt Al-Bašariyah*" (Investigated by: Mukhtār Al-Dīn Ahmad), India: Ministry of Education, (1383 AH).
- Al-Tibrīzī, Yahya bin 'Ali Al-Khatīb Al-Tibrīzī, "*Sharh Ikhtiyārāt Al-Mufaddal*" (Investigated by Dr: Fakhr Al-Dīn Qabāwah). Damascus: Publications of the Arabic Language Academy, (1391

- Al-Jurjānī, ‘Abd al-Qāhir bin ‘Abd al-Rahmān bin Muhammad, “Dalā’il Al-I’jāz fi ‘Ilm Al-Ma‘ānī” (Investigated by: Mahmoud Muhammad Shākir). Cairo: Al-Madani Press, (3rd Edition), (1413 AH).
- Al-Jawhari, Ismā‘īl bin Hammād, “Al-Sahīh Tāj Al-Lughā Sahīh Al-‘Arabiya” (Investigated by: Ahmad ‘Abd al Ghafour ‘Attār). Beirut: Dār al-Malāyīn, (3rd Edition), (1404 AH).
- Al-Hutai‘ah, “*Diwān Al- Hutai‘ah*”, (Investigated by: Nu‘mān Amīn Tāha), Egypt: Mustafa Al-Halabi, (1378 AH).
- Al-Radi, Muhammad bin Al-Hasan Al-Istirbādī, “*Sharh Al-Kāfiya*” (investigated by: Hasan Al-Hifzy, and Yahya Mustafa). Riyadh: Imam Muhammad bin Saud Islamic University, (1 edit), (1417 AH).
- Al-Zarkashi, Badr Al-Dīn Muhammad bin ‘Abdillāh, “*Al-Burhān fi ‘Ulūm Qur‘ān*” (Investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim). (1st ed.), Dār Ihyā al-Turāth al-‘Arabiya, (1376 AH).
- Al-Zubaidi, Muhammad bin Murtaḍā, “*Tāj al- ‘Arūs min Jawāhir Al-Qāmūs*” (Investigated by: Al-Tarazi and others). Kuwait: The National Council for Culture.
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin ‘Umar, “*Al-Mufassal fi ‘Ilm Al-‘Arabiya*” (investigated: Muhammad ‘Izz Al-Dīn Al-Saidī). (1st edition), Beirut: Dār Ihyā al-‘Ulūm, (1410 AH).
- Al-Ḍāmin, Saleh Al-Ḍāmin, “*She‘r Al-Fand Al-Zamānī*”, Baghdad: College of Arts, (1407 AH).
- Al-‘Izz bin ‘Abd al-Salām, ‘Izz al-Dīn ‘Abd al-‘Aziz al-Sulami, “*Majāz al Qur‘ān*” (investigated by Dr.: Mustafa Muhammad Husain al-Ḍahabi), Al-Furqan Foundation, (1st Edition), (1419 AH).
- Al-‘Alawī, Hibatullāh bin ‘Ali, “*Amālī Ibn Al-Shajari*” (investigated by: Mahmoud Al-Tanāhī). (1 edition), Cairo: Al-Khanji Library, (1413).
- ‘Ubaidī. Beirut: Dār Ihyā Al-Turāth, and the Arab History Foundation, (3rd Edition), (1419 AH).
- Ibn Hurrmah, “*Dīwān Ibrahim bin Harrmah*” (investigated by: Muhammad Jabbar Al-Mu‘aibid). Baghdad: Al-Adab Library (1389 AH).
- Ibn Ya‘far, “*Dīwān al-Aswad ibn Ya‘far*”, (investigated by: Nour Hamoudi al-Qaisi). Iraq: Al-Jumhuriya Press, (1390 AH).
- Ka‘b bin Zuhair, “*Dīwan Ka‘b bin Zuhair*” (Investigated by Dr: Darrwish Al-Juwaidi). Sidon, Beirut: The Modern Library, (1 edition), (1429 AH).
- Muhammad bin Habīb, “*Alqāb Al-Shu‘arā*” (investigated by: ‘Abd al-Salam Haroun). Publication lajnat altālif walnashri (1974 AH).
- Muhammad ‘Abd al-Khaliq ‘Udayma, “*Dirāsāt li ‘Uslūb Al-Qur‘ān Al-Karīm*”, Cairo: Dar Al-Hadith, (1427 AH).
- Milyāni, Muhammad Milyāni, “*Ilm Al-Nahw wa Ahamiyatuh fi Šinā‘at Al-Mu‘ājim*” *Insaniyat Journal*, issue. 17-18, May-December, (2002).
- Sibāwaih, ‘Uthman bin Qunbur, “*Al-Kitāb*” (Investigated by: ‘Abd al-Salām Haroun). (1st edition), Beirut: Dār Al-Jeel.
- Zuhair bin Abi Salma “*Dīwān Zuhair bin Abi Salma*” (Explained by: Hamdū Tammās). Beirut: Dar almaerifat, (2nd Edition), (1426 AH).

**الأوقات المؤرخُ بها في نقوشِ الحِجاز
في القرونِ الهجريةِ الثلاثةِ الأولى
دراسةٌ نحويّةٌ**

The Periods Used for Dating in the Epigraphs of Hejaz
During the First Three Centuries of Hijrah
A Grammatical Study

د. سلطان بن عواض العوفي

أستاذ مشارك في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، قسم اللغويات

البريد الإلكتروني: sultanhh77@gmail.com

المستخلص

كشف هذا البحث أحكام الأوقات والأزمنة النحوية في أساليب التأريخ الهجري على ضوء نقوش الحجاز في العصور الإسلامية المبكرة في القرون الهجرية الثلاثة الأولى تحديداً، والتي تضمنت نصوصاً لغوية هي من أوثق ما ورد عن العرب في ذلك، وتميزت بأنها مما كتبه العرب الفصحاء الذين يحتج بهم عند النحاة، ممن عاش في الحجاز، وبعضها من نقوش الصحابة وأبنائهم وأحفادهم من التابعين، ودُرست تلك النصوص وحللت وفق المنهج الوصفي، وشمل ذلك الحديث عن الأوقات التي أُرخ بها بدءاً من التأريخ بجزء من اليوم، وهي أوقاته، ثم التأريخ بجزء من الشهر، وهي أيامه ولياليه، ثم التأريخ بالشهر، حتى التأريخ بذكر السنة وفق التقويم الهجري، مع بيان الصور الواردة في كل نوع من تلك الأنواع وتوجيهها وتصنيفها نحويًا.

الكلمات المفتاحية: أساليب التأريخ لغويًا، صياغة التأريخ، نقوش الحجاز،

نقوش إسلامية مبكرة.

Abstract

This research has revealed the rules of grammatical periods and times in the styles of Hijri calendar in light of epigraphs of Hejaz in the early Islamic eras, specifically during the first three centuries of Hijra. Those epigraphs contained certain grammatical texts that are deemed one of the most authentic ones that came from Arabs in that regard, and it was distinguished by the fact that they were written and inscribed by eloquent Arabs who are regarded authorities by the grammarians, among those who lived in Hejaz, and some of them are epigraphs inscribed by the companions of Prophet Muhammad, their sons and their grandsons among the *tābi'īn* (the followers of the companions). The research delved on studying and analyzing those texts in accordance with the descriptive method, this includes a discussion on the periods used for dating starting from dating with a part of the day, which is its times, then dating with a part of the month, which is its days and nights, then dating with a whole month and even dating with year based on the Hijri calendar, with a mention of the instances mentioned in each type and its grammatical interpretation and categorization.

Keywords: Linguistic method of dating, date drafting, hejaz epigraph, early Islamic epigraph.

المقدمة

الحمد لله مهل الأهلّة، ومجري الشمس والقمر بحسبان، مكوّر الليل على النهار، ومكوّر النهار على الليل، ليعلّم الناس عدد السنين والحساب، سبحانه المتفرّد بالجلال والكمال، وصلى الله وسلّم على سيّد الفصحاء، وأفضل من نطق بالعربية وأبان، محمّد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وأصحابه العرّ الميامين، وسلّم تسليمًا كثيرًا؛ أمّا بعد:

فإنّ التأريخ وفق تقويم زمنيّ موحد مجمع عليه أمر طارئ على العرب، لم يعرفوه قبل الإسلام، حيث كانوا قبل ذلك يؤرّخون بالحوادث والأيام المشهورة، فتسمّى بها الأعوام، كعام الفيل، أو الأيام كيوم ذي قار، ويستخدمون تلك الحوادث الطارئة في التأريخ، فيقال مثلاً: ولد عام الفيل، وحدث ذلك بعد عام الفيل بعشر سنوات، ولا يوجد في تلك الأساليب خصائص وأحكام لغوية خاصّة بالتأريخ، وإنما هي داخلة في أحكام أساليب لغوية أخرى، كالإضافة، وأحكام العدد والمعدود ونحو ذلك.

لكن مع استخدام العرب للتقويم بعد استحداث التأريخ الهجريّ على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - تطوّر أسلوب التأريخ لغويًا ليجاري ما يناسب التقويم من تحديد دقيق.

وتحدّث النحاة عن أسلوب التأريخ بناءً على التقويم الهجري، فبيّنوا قواعده وأحكامه، ومنهم من جعل لذلك بابًا مستقلًا^(١)، ومنهم من يجعل أحكامه ضمن أحكام باب العدد لما بينهما من ارتباط^(٢)، إلا أنّ كل ما ذكره النحاة يدخل تحت صورة واحدة من صور ما يؤرّخ به من وقت عند العرب، وهو التأريخ بالليالي والأيام، وأريد في هذا البحث بيان جميع ما يؤرّخ به من أوقات في أساليب التأريخ، وطريقة

(١) ينظر: الزّجاجي، الجمل ص/ ١٤٥، والشّيبوطي، همع الهوامع ٣/ ٢٢٦.

(٢) ينظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب ص/ ٢٧٠، والرّضي، شرح الكافية ٣/ ٣١٢، وابن مالك،

شرح التّسهيل ٢/ ٤١٠.

صياغتها ومراعاة ما يناسبها من أحكام في التّركيب النّحوي على ضوء ما وقفت عليه من نقوش الحجاز من القرن الأوّل إلى القرن الثّالث الهجريّ.

وهذه النّقوش يميّزها لغويًا كونها في الحجاز مهد الفصاحة ومنزل الوحي المطهّر، أرقى البيئات اللّغوية عند العلماء، وأهلها أهل الحجاز، فيهم من قبائل العرب أفصحها، قريش وغيرهم من القبائل العدنانيّة، والأوس والخزرج، فكانوا أعرابًا وحاضرة من الذين ابتعدوا عن الأمور القادحة في فصاحة بعض العرب عند كثير من النّحاة، واستمرّ هذا التّمييز أمداً أبعد من غيرهم، لكونهم في بيئة لغويّة محصّنة عن مخالطة غير العرب، وبخاصة في بادية الحجاز، وهذه الضّوابط والشّروط، وهي اشتراط سلامة من يؤخذ عنهم من الاختلال والفساد، وأنّ قريشًا وأهل الحجاز أفصح العرب، مما اتفق عليه العلماء فيما يصح به الاحتجاج من عدمه عند النّحاة^(١).

ويزيد من أهميّة تلك النّقوش أنّ بعضها كتبت بأسماء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثرها مما كتبه أبناؤهم وأحفادهم، وهم أبناء المهاجرين والأنصار الذين عاشوا في هذه الدّيار، ولم يفارقوها، فهي على هذا الاعتبار مناسبة لمثل هذه الدّراسة النّحوية المؤصّلة للقواعد والأحكام المتعلّقة بما يؤرّخ به.

وبخصوص الضّابط الزّمني والذي اختلف في تحديده بين العلماء، فمنهم من يجعله إلى منتصف القرن الثّاني الهجريّ في الحجاز ونحوه، ويمتدّ إلى أواسط القرن الرّابع الهجري عند آخرين^(٢)، فقد كان تحديدي بين هذين الأمدين، وذلك لما أشرت إليه من تميّز تلك البيئة اللّغوية بالنّظر إليها من حيث المكان وقبائله في تلك المدّة، وهذا الاعتبار أهمّ عند العلماء، فابن جني يؤكّد أنّه إذا وُجد من يُوثّق بسلامة لغته أُخذ

(١) ينظر: ابن جني، الخصائص ٥/٢، ٩٠، والسيوطي، المزهر ١/ ٢٠٩-٢١٢، والاقتراح ص/

٤٩، والبغدادي، خزائن الأدب ٤/٣٨٠، وعيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة ص/٩٠،

١١٤، ١٢٣، ١٣٦، والخطيب، نقد فكرة الاحتجاج في التراث العربي، ص/ ٣٢.

(٢) ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/ ٢٠٢، وحسان، الأصول ص/٨٩، ١٠١، وعيد،

الاستشهاد والاحتجاج باللغة ص/١٣٦، ١٧٩، ١٩١.

منه، ويتحدّث عن ذلك بالنظر إلى عصره^(١)، وهو من نحاة القرن الرابع الهجري، ولا يعتقد أنّ بيئة أرقى وأسلم من الحجاز في ذلك العصر.

وأيضاً فإنّ أكثر ما تمّ عرضه في هذا البحث من نقوش لم تتجاوز حدود القرن الثاني كما سيظهر، فهي داخلة في حدود أضيق حدّ زمني، وما تجاوز المئة الثانية ثمانية نقوش فقط من مجمل نقوش البحث.

وأضيف أيضاً أنّي حرّصت على عرض النقوش وفقّ تسلسل زمنيّ بدءاً بالأسبق في كلّ أسلوب، وعلى عرض أكبر عدد منها، وكل ذلك للتأكيد على سلامة ما تمّ الوصول إليه من تقرير للقواعد والأساليب اللغوية التي عرض لها هذا البحث، ومراعاةً لتلك القضية المهمة في النحو وأصوله.

ولم أتجاوز حدود نقوش القرن الثالث لما لحظته من خلل لغويّ في بعضها، وظهور أسماء لأناس ليسوا من أهل تلك الديار حتمًا، وذلك مما يؤكّد سلامة منهج النحاة في ضبطهم الحدود الزمانية والمكانية لما يحتاج به من حيث المبدأ، وإن كان هناك خلاف في تفاصيلها، وتلك قضية لي وقفة معها على ضوء النقوش إن شاء الله تعالى، فكل ذلك يجعلني في ارتياح لسلامة منهجي في استعراض تلك النقوش في هذا البحث، والله أعلم.

واستعرضت أكثر من خمسة آلاف نقش، أغلبها مما هو موجود في أماكنه إلى وقتنا الحاضر، وقليل منها نقوش نقلت إلى مواقع أخرى، فحفظت في متاحف داخل الحجاز أو خارجه، واعتمدت على ما ذكره الباحثون المتخصّصون من أنّ موطنها الحجاز، محيلاً إلى تلك الدراسات المتخصّصة في ذلك المجال.

نتج عن استعراض تلك النقوش حصر المؤرّخ منها مما يدخل في حدود الدراسة، وكانت ثلاثة وأربعين نقشًا، درستها معتمداً على المنهج الوصفيّ لبيان الوقت الذي أرّخ به، مع بيان أحكامها التركيبيّة، بناء على ألفاظ تلك الأوقات،

(١) ينظر: ابن جني، الخصائص ٢/٥٠٩.

محللاً ومناقشاً، مع مقارنة تلك الأحكام التي أُصل إليها مع ما ذكره النُّحاة مبيِّنا ما كان موافقاً أو مخالفاً ومبيِّنا كذلك الأحكام التي لم يذكرها.

وأودُّ أن أشير إلى ما لحظته من قلة النُّقوش المؤرَّخة مقارنةً بغيرها، وهذا مشاهد عند زيارة أيِّ موقع من مواقع تلك النُّقوش، أو تصفُّح أيِّ كتاب نشرت فيه، وأضرب لذلك مثلاً بما نشره الأستاذ الدكتور سعد الرَّاشد في كتابه عن نقوش منطقة الصُّويدرة، حيث كان مجمل النُّقوش التي نشرها من الموقع مئتين وسبعة وخمسين نقشاً، المؤرَّخ منها خمسة نقوش فقط^(١)، وهذا يمثِّل ما نسبته اثنان بالمئة تقريباً من مجمل نقوش الموقع، وهي نسبة تكاد تكون مقاربة لما يلحظ في كل موقع زرتة أو كتاب قرأته، ومع ذلك خرجت بحصيلة مناسبة لعمل مثل هذه الدِّراسة، وفي ظنيَّ أنها تمثِّل جميع الأوجه التي يمكن أن ترد في مثل تلك النُّقوش في أسلوب التَّاريخ.

وقد أشرت إلى أغلب تلك النُّقوش في هذه الدِّراسة، إمَّا بنصِّها وإمَّا بالإشارة إليها، واعتمدت في الغالب على النُّقوش المنشورة في كتب أو مجلَّات، لتسهيل الإحالة إليها، ولكون بعض النُّقوش مما وقفت عليه في أماكنها، ولم يسبق أن نشرت، أو أُنشأ مما نشر في مواقع ووسائل إلكترونيَّة قد لا يسهل الاطلاع عليها للقارئ العزيز؛ فقد جعلت ملحقاً للصُّور عرضت فيه صور تلك النُّقوش، وبيان موقعها أو مصدرها، زيادة في التوثيق، وأحيل إلى ذلك الملحق في البحث عند الحديث عن تلك النُّقوش.

وعند ذكر نص النَّقش أكتبه وفق القواعد الإملائيَّة المشهورة اليوم، لأنَّ الذي يهمننا هنا أساليب التَّاريخ اللُّغوية، أما قضايا الكتابة ونحوها فمجال النَّظر فيها أبحاث أخرى، وقد يتكرَّر النَّقش في أكثر من موضع لاختلاف مجال النَّظر فيه.

ولا يفوتني هنا أن أشيد بجهود صاحب أشهر حساب في نشر نقوش الحجاز وقراءتها، وهو الأستاذ محمَّد المغدوي، في حسابه (نوادير الآثار والنُّقوش)؛ عرفاناً بما يقدِّمه من جهود وعمل دؤوب في نشر تلك النُّقوش، وإتاحتها للباحثين مقروءة مصوَّرة، ليفيدوا منها في دراساتهم وأبحاثهم، فقد كان من أهمِّ المصادر الإلكترونيَّة التي

(١) ينظر: الرَّاشد، الصُّويدرة ص/٤٠١.

الأوقات المؤرخ بها في نقوش الحجاز في القرون الهجرية الثلاثة الأولى -دراسة نحوية، د. سلطان بن عوض العوفي

أفدت منها في هذا البحث، وجهوده تلك تستحق كل إشادة وتقدير، أسأل الله تعالى أن يوفقه ويجزل له المثوبة والأجر.

وجاء البحث لتحقيق الأهداف الآتية:

١. حصر ما يؤرخ به من وقت في أساليب التأريخ الهجري على ضوء نقوش الدراسة، وبيان علله وأغراضه.

٢. بيان أثر الوقت المؤرخ به في تركيب أسلوب التأريخ، وبيان الأوجه الواردة فيها.

٣. بيان الخصائص اللغوية النحوية في كل نوع مما يؤرخ به من وقت، وتوجيهها، وبيان ما تحتمله من أوجه، والترجيح بينها إذا تعددت الاحتمالات.

٤. مقارنة ما يرد من أحكام مع ما ذكره النحاة، ليكون ما وافقها داعماً لتلك القواعد، وشواهد لغوية مؤيدة لها، واستخدامها في الترجيح فيما يذكرونه من أوجه، وإثبات الاستعمالات التي لم يذكرها النحاة.

٥. تصنيف الأساليب المستخدمة في الوقت المؤرخ به حسب الاستعمال قلة وكثرة.

٦. الاستفادة من نصوص النقوش في إثراء الدروس اللغوية، فهي استعمالات فصيحة صحيحة عن العرب الموثوق بهم، وصلتنا عابرة تلك العصور على صفحات هذه الصخور.

وجاءت خطة البحث في الأقسام الآتية: أولاً: المقدمة، وفيها الحديث عن أهمية البحث، والدوافع وراء اختياره، ومنهجه وخطته، ثانياً: المباحث، وجاءت وفق المستعمل فيما يؤرخ به في تلك النقوش، فكانت أربعة مباحث: الأول: التأريخ بوقت محدد من اليوم. الثاني: التأريخ بجزء من الشهر. الثالث: التأريخ بالشهر. الرابع: التأريخ بالسنة. بعد ذلك خاتمة البحث متضمنة أبرز النتائج.

وأشير إلى أن قضية التأريخ في النقوش تناولتها بعض الدراسات السابقة، ومن أبرز ما وقفت عليه دراستان، الأولى بعنوان: أنظمة التأريخ في النقوش السبئية، للباحث هزاع الحمادي، والثانية: مناهج التأريخ وأساليبه عند العرب في ضوء النقوش العربية المبكرة، للدكتور مشلع المريخي، والدرستان مجاهما مختلف عن مجال دراستي،

وكذلك الغاية منها، فهما تهتمّان بالتّقوش العربيّة القديمة، مما كتب بخطوط أخرى غير الخطّ العربي المشهور اليوم، وغرضهما يهتم ببيان ما يؤرّخ به من حوادث ووقائع وأيّام وشخصيات ونحو ذلك، ولم يكن غرضهما الحديث عن صياغة تلك الأساليب لغويّاً، وأثر ما يؤرّخ به في الصّيغة اللّغويّة وأحكامه النّحوية وهو ما تناوله هذا البحث. وأشكر عمادة البحث العلمي في الجامعة الإسلاميّة على دعمها لإنجاز هذه العمل، وعلى جهودهم المتميّزة في دعم مسيرة البحث العلمي في هذه الجامعة المباركة. وصلى الله وسلّم على خير الخلق أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الأول: التأريخ بوقت محدد من اليوم

ظهر من تتبّع أساليب التأريخ الهجري في نقوش الدراسة أنه يؤرّخ بعدة أوقات، وهي إجمالاً: التأريخ بدءاً بجزء من اليوم، وهي أوقاته المحددة بزمان ووقت معينين، والتأريخ بجزء من الشهر، وهي أيامه ولياليه، وهو الأسلوب الذي تحدّث عنه النحاة في كتبهم، وبيّنوا كثيراً من أحكامه، أو البدء بالشهر، أو الاكتفاء بذكر السنة وفق التقويم الهجري، وهو أشهر الأساليب وروداً في النقوش كما سيأتي، وذكر السنة لا غنى عنه في كل وجه من الوجوه السابقة كما سيأتي، ولكل وجه خصائص وأحكام مرتبطة بنوع ما تمّ التأريخ به، وسوف يكون الحديث عن تلك الأساليب بدءاً بما كان التأريخ فيه بجزء من اليوم في هذا المبحث.

وقد ورد التأريخ بجزء من اليوم في ستة نقوش، أحدها أرّخ فيه بوقت من أوقات النهار تحديداً، وهو الصّباح، وذلك في نقش إبراهيم بن ميمون الأسلمي، وفيه قوله بعد الشهادتين: "... وكتب إبراهيم بن ميمون الأسلمي معلّم الكتاب لصبح إحدى عشرة مضت من شوال سنة خمس وثلاثين ومئة"^(١).

ولم يتحدّث النحاة عن مثل هذا الأسلوب في أحكام التأريخ، ومقارنة بما ذكروه فإنّه لا أثر للتخصيص على الوقت على ما قرّروه من أحكام، فالوقت المنصوص عليه اعتبرت فيه الليالي كما يظهر من السّباق، حيث جاء العدد موافقاً للمعدود المؤنّث، وهذا هو المشهور كما سيأتي، لكن اتّصلت لام التأريخ بلفظ الوقت المقصود التوقيت به، الذي أضيف إلى لفظ العدد، بدل أن تتصل بالعدد مباشرة.

وهذا الوجه من حيث المعنى دالٌّ على وقت أخص كما هو ظاهر، وهو أدقُّ صور التخصيص المتصوّرة في التقويم.

وبقبة النقوش ورد فيها النص على اليوم مقصوداً به النهار، وذلك لأنّه رُبط باللييلة التي قبله، ومن ذلك نقش سليمان بن عبدالله وفيه: "يا ولي نعمتي اغفر لي خطيئي وكتب سليمان بن عبدالله بن سليم يوم الجمعة لثنتين وعشرين من رجب من

(١) ينظر: صورة رقم (١) من ملحق الصور.

سنة ثلاث وثلاثين ومئتي سنة، وهو يسأل الله الجنة ويعوذ من النار^(١)، ونقش: "اللَّهُمَّ اغفر لإبراهيم بن منظور ... وكتب يوم الثلاثاء لتسع ليال مضت من جمادى الأولى لسنة ثلاث وثلاثين ومئتين"^(٢)، ومثلها شاهد قبر وفيه: "... توفي يوم الجمعة لست خلون من ذي الحجة سنة ست وأربعين ومئتين"^(٣). ونحو ذلك ورد في شواهد أخرى^(٤).

ويلحظ في كل ذلك أن الوقت المنصوص عليه ورد منصوبًا على الظرفية، مضافًا إلى اسم اليوم، ولام التأريخ داخله على العدد.

ومن حيث المعنى فإن في ذكر الوقت زيادة توضيح ببيان أنه يقصد النهار التالي لليلة، حتى لا يظن بأن الكتابة وقعت في ليلته السابقة قبله، أو أن للكتاب أغراضًا أخرى، منها التنصيص على يوم الجمعة لبركة هذا اليوم ومكانته، وكل ذلك محتمل.

وقد يُسأَل: لماذا اعتبرت التأريخ في نحو: "... يوم الجمعة لثنتين وعشرين من رجب من سنة ثلاث وثلاثين ومئتي سنة"، ضمن هذا المبحث، وهو التأريخ بجزء من اليوم، وما سيأتي من نحو: "... وكتب عبدالرحمن هذا الكتاب لعشر ليال بقين من جمادى الآخرة من سنة ست وثمانين"^(٥)، ضمن التأريخ بجزء من الشهر؟ ولماذا لم تجعل كل ذلك ضمن التأريخ بجزء من الشهر؟

فالجواب: أن سبب ذلك هو الجمع بين لفظ اليوم صراحة والليل حكمًا في النقش الأول، حين جعل المعدود مؤنثًا، فهو يريد النص على الوقت، وهو النهار، ولا يعني بلفظ اليوم الإطلاق العام الذي يشمل الليل والنهار، فعلى هذا هو داخل تحت هذا المبحث تحديداً، بدليل أنه إذا قصد باليوم معناه العام واقتصر عليه، إذا قيل

(١) ينظر: صورة رقم (٢) من ملحق الصور.

(٢) ينظر: الراشد، الصويدة ص/٣٦٠.

(٣) ينظر: الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ص/٢٣١.

(٤) ينظر: الزهراني، كتابات إسلامية من مكة المكرمة ص/١٠٩.

(٥) ينظر: صورة رقم (٣) من ملحق الصور.

مثلاً: وكتبته ليومين بقيا، فإنه داخل تحت التاريخ بجزء من الشهر كما سيأتي، فالافتقار على اليوم أو الليل في التاريخ يعني به اليوم في إطلاقه العام عند العرب. ومن مجمل ما ورد يتضح أن التاريخ بجزء من اليوم يكون على وجهين في لفظ الوقت، ويتفرع من كل وجه عدّة استعمالات كما يلي:

الأول: أن تستخدم اللام التي كان حقها أن تدخل على لفظ العدد المقصود به الليلة مع لفظ الوقت، ويكون مجروراً بها، ويضاف إلى لفظ العدد بعده.

وفي إيراد ما بعد الوقت واللييلة جاء اسم الشهر مجروراً بـ(من)، وهي مفيدة لمعنى التبعية، وفي لفظ (سنة) يجوز وجهان، أن يأتي منصوباً على الظرفية، وهو ما ورد في نقش: "... لصبح إحدى عشرة مضت من شوال سنة خمس وثلاثين ومئة"، أو أن يأتي مجروراً بـ(من) بمعنى التبعية، أو اللام الدالة على التاريخ، فيجوز أن يقال فيما سبق: لصبح إحدى عشرة مضت من شوال من سنة خمس وثلاثين ومئة، أو: لصبح إحدى عشرة مضت من شوال لسنة خمس وثلاثين ومئة، وكل ذلك مقيس على ما ورد في نقش: "... يوم الجمعة لثنتين وعشرين من رجب من سنة ثلاث وثلاثين ومئتي سنة"، ونقش: "اللهم اغفر لإبراهيم بن منظور ... وكتب يوم الثلاثاء لتسع ليال مضت من جمادى الأولى لسنة ثلاث وثلاثين ومئتين" مما هو داخل تحت الوجه الثاني في لفظ الوقت، وتجويزه هنا قياسي كما ذكر.

الثاني: أن يأتي لفظ الوقت منصوباً على الظرفية، ومضافاً إلى اسم اليوم، ويكون لفظ العدد مجروراً باللام.

وفي إيراد ما بعد الوقت واللييلة جاء اسم الشهر مجروراً بـ(من)، وهي مفيدة لمعنى التبعية، وفي لفظ (سنة) ثلاثة أوجه، أن يأتي منصوباً على الظرفية، وهو ما ورد في نقش: "... يوم الجمعة لست حلون من ذي الحجة سنة ست وأربعين ومئتين"، أو أن يأتي مجروراً أيضاً بـ(من) بمعنى التبعية، وهو ما ورد في نقش: "... يوم الجمعة لثنتين وعشرين من رجب من سنة ثلاث وثلاثين ومئتي سنة"، أو أن يأتي مجروراً باللام كما في نقش: "اللهم اغفر لإبراهيم بن منظور ... وكتب يوم الثلاثاء لتسع ليال مضت من جمادى الأولى لسنة ثلاث وثلاثين ومئتين".

الثالث: أن يأتي لفظ الوقت مجرورًا بحرف الجر (في)، ومضافًا إلى اسم اليوم، ويكون لفظ العدد مجرورًا باللام.

وفي إيراد ما بعد الوقت واللييلة هنا جاء اسم الشهر مجرورًا ب(من)، وهي مفيدة لمعنى التبعية، وفي لفظ (سنة) ورد في النقوش السابقة نصبه على الظرفية، وهو ما ورد في الشاهد الذي فيه: "... وذلك في يوم الجمعة لأربع خلون من جمادى الأولى سنة اثنتا عشرة وثلاثمائة"^(١)، ولا يمنع أن يأتي فيه الأوجه الأخرى التي وردت سابقًا قياسًا على ما سبق أيضًا.

ويعتبر هذا الأسلوب - وهو التأريخ بجزء من اليوم - أطول الأساليب تركيبًا، وأدقها تحديدًا للزمن، فالنص على وقت معين يتطلب ذكر اللييلة التي يكون الوقت تابعًا لها، وذكر الشهر والسنة أيضًا؛ وذلك لأنه لا فائدة من تحديد الوقت إذا لم يربط بكل ذلك، وهذا سيتكرر في كل ما سيأتي من أساليب، فإن البدء بأصغر ما يؤرخ به زمنًا يستوجب ذكر ما هو أكبر منه، ولا يغني عنه بأي حال، لكن عند التأريخ بالسنة يمكن الاكتفاء بما فقط دون الحاجة لما دونها، كما سيأتي في موضعه؛ لأن في ذلك إفادة، وهو ما يناسب الغرض من التقييم، لذلك كان مثل هذا الأسلوب قليل الاستعمال في النقوش التي يناسبها الاختصار، نظرًا لكون محتواها قليل، ولصعوبة الكتابة على الحجر، وسيأتي ما يؤكد ذلك في الصور الأخرى.

(١) ينظر: الزهراني، كتابات إسلامية من مكة المكرمة ص / ١٠٩، وهكذا ورد في النقش (اثنتا)، والصواب (اثنتي)، وهو ما تبّه عليه ناشر النقش.

المبحث الثاني: التأريخ بجزء من الشهر

التأريخ بجزء من الشهر وهي أيامه ولياليه هو ما تحدّث عنه النحاة، ويبنوا أحكامه، فإذا أريد التأريخ بجزء من الشهر فالأشهر في ذلك أن يكون باعتبار الليالي عند العرب، فيقال: كتبت لأوّل ليلة، أو: كتبت لثلاث ليال، ونحو ذلك، وهو الأسلوب الذي بيّن أحكامه النحاة، وتحدّثوا عنه.

ويعلّل لذلك العلماء بتعليلات عدّة، من أشهرها أنّ ذلك مراعاة لبداية الشهر القمري، فهي أسبق من النهار التابع لها (١).

ويعلّل بعض العلماء بعلّة لغوية، وهي أنّ اعتبار الليالي أخفّ لفظاً؛ من جهة أنّ المعدود مؤنّث فلا يلحق لفظ عدده تاء فيما دون العشرة، إذا قيل: لثلاث ليال، ولو أتخ بالأيام لقليل: لثلاثة أيام، وألحق بما بعد العشرة ما عدا ذلك (٢).

واعتبار الليلة هنا يُعنى به اليوم في إطلاقه العام، الذي يشمل النهار والليل، لكن غلب الليل هنا في التأريخ، كما سبق وأن أشير إليه في المبحث السابق، وعلى هذا يكون مقصود الرّجّاجي حينما جعل هذا من باب التّغليب متّجهاً، لأنّه قال: "وليس في العربية موضع يُعَلَّب فيه المؤنّث على المذكّر إلا في التأريخ" (٣)، فحمله على أنّ المقصود بالليلة هنا اليوم كاملاً ليله ونهاره أولى من ردّ بعض العلماء ذلك (٤)، ومنهم ابن مالك في قوله: "وقد توهم قوم أنّ هذا الكلام قد غلب فيه المؤنّث على المذكّر، وليس ما توهموه بصحيح، لأنّ التّغليب هو لفظ يعمّ القبيلين ويجري عليهما

(١) ينظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب ص: ٢٧١، وابن الأثير، البديع في علم العربية ٢/٣٠٧، وابن مالك، شرح الكافية الشافية ٣/١٦٩١، وشرح التّسهيل ٢/٤١٠، والصّبّان، حاشيته على الأشموني ٤/٧٨.

(٢) ينظر: الرّجّاجي، الجمل ص/١٤٥، وأبو حيان، التّذليل والتّكميل ٩/٣٥٣، والرّضوي، شرح الكافية ٣/٣١٢.

(٣) ينظر: أبو حيان، التّذليل والتّكميل ٩/٣٥٣، وابن عقيل، المساعد ٢/٩٢.

(٤) الرّجّاجي، الجمل ص/١٤٥.

معاً حكم أحدهما^(١)، فعلى ما ذُكِر من توجيهه يصحُّ أن يدخل في التَّغليب وفق ما ذكره ابن مالك من ضابط، فإنَّ لفظ اللَّيْل المؤنَّث قُصِد به النَّهَار واللَّيْل، جزأبي اليوم، فهو لفظ قصد به القبيلين على سبيل التَّغليب في هذا الموضع، وليس الذي حصل مجرد الاستغناء باللَّيْل عن النَّهَار، والله تعالى أعلم.

ونصَّ أكثر العلماء على أنَّه لا يُؤرَّخ باليوم إلا في التَّلاثين إذا مضت ليلته وبقي نهاره، فإنَّه يقال: لآخر يوم منه، وما قبل ذلك يُؤرَّخ باللَّيلة فقط^(٢).
ونقل ابن عقيل عن بعض النُّحاة أنَّه قد يُؤرَّخ باليوم، فتقول: ليوم مضى، أو يومين مضياً^(٣).

هذا مجمل ما ذكره النُّحاة من أحكام في هذه المسألة، ومما ورد في نقوش الدِّراسة من التَّأريخ بالليالي وفق المنهج الأشهر عند التَّأريخ بجزء من الشَّهر نقشان، الأوَّل: "اللَّهُمَّ ارضَ عن عبد الرَّحمن بن سفيان بن عمرو أمين ربِّ العالمين، وكتب عبد الرَّحمن هذا الكتاب لعشر ليال بقين من جمادى الآخرة من سنة ستِّ وثمانين"^(٤)، والثَّاني: "دخل الصَّيف لعشر مضت من شهر ربيع الآخر سنة ثنتين وعشرين ومئتين"^(٥).

لكن لا يعني قلة هذا في النُّقوش أنَّه غير مشهور في الاستعمال، أو أنَّه غير مقيس، بل سبب قلته مقارنة بالأوجه الأخرى - التي ستأتي - أنَّه وجه لا يناسب النُّقوش لما فيه من طول، والنُّقوش يراعى فيها الاختصار، فذكر اللَّيلة في التَّأريخ لا يغني عن ذكر السَّنة، لأنَّ النَّص عليها أهم في التَّأريخ، فإذا ذكرت اللَّيلة والسَّنة

(١) ابن مالك، شرح التَّسهيل ٤١١/٢.

(٢) ينظر: والرضي، شرحه على الكافية ٣١٤/٣، والسيوطي، همع الموامع ٢٢٧/٣، والصبان، حاشيته على الأشموني ٧٨/٤.

(٣) ينظر: ابن عقيل، المساعد على تسهيل الفوائد ٩٣/٢.

(٤) ينظر: صورة رقم (٣) من ملحق الصور.

(٥) ينظر: صورة رقم (٢٢) من ملحق الصور.

طالت صيغة التأريخ، فلذلك كثر في النقوش الاختصار والتأريخ بالسنة فقط، ولا يهتم الناقد بيان الليلة أو اليوم الذي كتب فيه نقشه بقدر اهتمامه ببيان السنة، وكذلك فإن الكتابة في النقوش صعبة ومتعبة، فالاختصار فيها أنسب، وهو ما أشير إليه سابقاً.

وقد يقال أيضاً إن كتابة النقش قد تستغرق أياماً فلا وجه لأن يقال أنه كتب في أحدها، فيراعى عندئذ ما يشمل الجميع، وهو الشهر أو السنة كما سيأتي. وجاء مخالفاً لحكم التأريخ بالليالي إذا أريد التأريخ بجزء من الشهر نقش واحد أرخ فيه باليوم، وهو نقش العلاء بن يزيد، وفيه: "... وكتب العلاء بن يزيد رحمه الله في يومين بقياً من شهر رمضان سنة أربعين ومئة"^(١)، فالاختصار على لفظ اليوم لفظاً وحكماً يحنن أنه يقصد به الإطلاق العام، كما قصد بالليل ذلك. وثبوتها في النقوش يرجح القول بأنه جائز مع قلته، ويجوز في غير آخر يوم من الشهر، فالأمر فيه أوسع من تقييده بأخر يوم كما ذكر بعض العلماء فيما تقدم.

على أنه قد يحتمل هذا النقش توجيهاً آخر له، وهو أن يكون الكاتب أراد أن يبين أنه نقش كتابه في يومين، واستغرق منه ذلك تلك المدة، وهذا معنى محتمل مع التصريح ب(في)، ولو استخدم اللام، وقال: ليومين بقياً، لما احتمل هذا الوجه، لكن الحمل على هذا بعيد؛ لأن المقصود بمثل هذه الأساليب قصد معنى التأريخ وبيان زمن الكتابة، لا بيان المدة التي استغرقتها.

ويتلخص في التأريخ بالليلة أو اليوم وجهان إجمالاً، ولكل وجه صور، وذلك كما يلي:

الأول: أن يستعمل مع لفظ العدد لام الجرّ، فيأتي مجروراً باللام الدالة على التأريخ، ويأتي بعد ذلك لفظ الشهر مجروراً ب(من) الدالة على التبويض، ولم يرد مع لفظ الشهر غير هذا الوجه، وفي لفظ (سنة) وجهان، جرّه ب(من) أيضاً، ونصبه على الظرفية، وأمثلة ذلك مما ورد في النقوش السابقة نقش: "... لعشر ليال بقين من

(١) ينظر: صورة رقم (٤) من ملحق الصور.

جمادى الآخرة من سنة ست وثمانين"، ونقش: "دخل الصَّيف لعشر مضت من شهر ربيع الآخر سنة ثنتين وعشرين ومئتين".

الثَّاني: أن يستعمل مع لفظ العدد (في) الجارَّة، ويأتي بعد ذلك لفظ الشَّهر مجرورا بـ(من) الدَّالة على التَّبعيض، ولم يرد مع لفظ الشَّهر غير هذا الوجه، وفي لفظ (سنة) وجهان، جرُّه بـ(من) أيضاً، ونصبه على الظُّرفية، وأمثلة ذلك مما ورد في النُّقوش السَّابقة نقش: "... وكتب العلا بن يزيد رحمه الله في يومين بقيا من شهر رمضان سنة أربعين ومئة"، ولو قيل: في يومين بقيا من شهر رمضان من سنة أربعين ومئة، لجاز قياساً على ما تقدم.

المبحث الثالث: التأريخ بالشهر

لم يتحدّث النحاة عن التأريخ بالشهر وحده دون ذكر الليلة قبله فيما اطّلت عليه، ولعلّ سبب ذلك أنّ حديثهم عن التأريخ وأحكامه داخل عند أغلبهم في أحكام العدد، وملحق به، ولا تستخدم عند التأريخ بأسماء الأشهر ألفاظ الأعداد، فأحكامه لذلك داخله تحت أبواب أخرى، وما يذكر من عدد السنوات بعد ذلك يشمل أحكام العدد التي بينها وفصلوها.

وفي نقوش هذه الدراسة يعد التأريخ بالشهر أكثر ورودًا من النص على الليالي، لما تقدّم بيانه من أنّ في ذلك اختصارًا يناسب النقوش.

وورد التأريخ بالشهر في النقوش وفق صور عدّة، اتّفقت كلّها في أنّ حرف الجرّ المستخدم مع اسم الشهر هو (في)، ومن الضروري في التأريخ أن يربط الشهر بسنة معيّنة، ولجئ لفظ (سنة) مع الشهر عدة أوجه، هي كما يلي:

١. أن يستعمل (في) مع اسم الشهر ويأتي لفظ (سنة) غير مسبوق بحرف،

ومن ذلك:

. نقش عمر بن ربيعة، وفيه: "كفر عمر بن ربيعة بالطّاعوت وآمن بالله العظيم

الكريم الرّؤوف الرّحمن الرّحيم وكتب في صفر سنة سبع عشرة ومئة"^(١).

. نقش عامر بن محمّد، وفيه ورد: "وكتب في المحرم سنة خمس وستين ومئة"^(٢).

. نقش مروان بن عبد الملك، وفيه: "عمل هذا المجلس عبد الملك بن عبد الله بن

أبي الوليد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين ومئة، وكتب مروان بن عبد

الملك"^(٣).

. نقش ورد فيه: "أدركت ناسًا مضوا كانوا لنا سكنًا وسوف يلحق بالماضي الذين

بقوا وكتب عبد الله بن محمّد في صفر سنة تسع وثمانين ومئة"^(٤).

(١) ينظر: صورة رقم (٥) من ملحق الصور.

(٢) ينظر: الراشد، دراسة في الآثار المبكرة بالمدينة المنورة ص/٢١٨.

(٣) ينظر: صورة رقم (٦) من ملحق الصور.

(٤) ينظر: الراشد، كتابات إسلامية من مكّة المكرمة ص/٦٨ - ٧٢، وأول النقش بيت شعري.

- نقش: "اللَّهُمَّ اغفر لشعيب بن الفضل السُّلَمي مرَّ في صفر سنة خمس وتسعين ومئة"^(١).
- ٢ - أن يستعمل (في) مع اسم الشَّهر ويأتي لفظ (سنة) مسبوقًا بحرف الجرِّ (من)، ومن ذلك:
- . شاهد قبر وفيه: "بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم هذا القبر لعبد الرَّحْمَن بن جابر ... وكتب هذا الكتاب في جمادى الآخرة من سنة إحدى وثلاثين"^٢.
- . نقش: "طليب بن إبراهيم شهد ألا إله إلا الله وكتب في رجب من سنة ثنتين وسبعين ومئة"^(٣).
- . شاهد قبر وفيه: "...توفي غريبًا في جمادى الآخرة من سنة ثلاث وأربعين ومئتين"^(٤).
- ٣ - أن يستعمل (في) مع اسم الشَّهر ويأتي لفظ (سنة) مسبوقًا بحرف الجرِّ اللَّام، ومن ذلك:
- . نقش: "اللَّهُم اغفر لعبد الله بن سعد بن أبي ذباب التَّمري أمين رب العالمين وهو أمر بهذا المجلس في جمادى لسنة ثمان وثمانين"^(٥).
- ٤ - أن يستعمل (في) مع اسم الشَّهر ويأتي لفظ (سنة) مضافًا إليه صفة الشَّهر، كما في نقش: "عامر بن عمر إلى الله راغب وكتب في ذي الحجَّة تمام سنة إحدى وأربعين ومئة"^٦.

(١) ينظر: الرَّاشد، الصويدرة ص/١٧٩.

(٢) ينظر: الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ص/١٦٣.

(٣) ينظر: الصورة رقم (٧) من ملحق الصور.

(٤) ينظر: الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ص/٢٢٠.

(٥) ينظر: الصورة رقم (٨) من ملحق الصور.

(٦) ينظر: الصورة رقم (٩) من ملحق الصور.

٥ . أن يستعمل (في) مع كلمة (شهر) قبل اسم الشهر، ويأتي لفظ (سنة) منصوباً على الظرفية، غير مسبوق بحرف، ومن ذلك:

. نقش صالح بن محمد، وفيه: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكتب صالح بن محمد بن صالح في شهر رمضان سنة عشر ومئتين ويسأل الله الجنة"^(١).

٦ . الإشارة إلى الشهر بصفة عامة، دون تحديد بذكر اسمه، مسبوقاً بحرف الجر (في)، ويأتي الوصف مضافاً إلى لفظ (سنة)، وهذا من نادر الحالات، كما في نقش: "اللهم ارض عن عمرو بن ... وكتب يحيى بن عمرو في بقية سنة ثلاث وسبعين"^(٢).

ويلحظ أنه لم يرد استعمال (في) مع اسم الشهر والسنة معاً، فلم يرد نحو: كتبت في سؤال في سنة ثمانين، ولعل سبب ذلك كراهية التكرار، وأيضاً معنى التبعية أنسب للمعنى المقصود، فيكون نحو قولهم: من سنة ثمانين، مبيّناً أنه من شهر تلك السنة، وليس المعنى أي كتبت في سؤال، في سنة ثمانين.

(١) ينظر: صورة رقم (١٠) من ملحق الصور.

(٢) ينظر: صورة رقم (١١) من ملحق الصور.

المبحث الرابع: التأريخ بالسنة

التأريخ بالسنة فقط دون ذكر الوقت أو الليلة أو الشهر هو أشهر الأساليب ورودًا في نقوش الدراسة، وعلة ذلك طلب الاختصار كما تقدّم بيانه. ولم يتحدث النحاة عنه أيضًا فيما اطّلت عليه، إلا ما ورد عند ابن عصفور، حيث أشار إشارة خفية إلى أنه قد يرد في التأريخ، دون ذكر لمثال له أو تفصيل في أحكامه وصوره^(١)، والسبب كما ذكر في التأريخ بالشهر هو أنّ ما فيه من أحكام لغوية عند التأريخ تدخل في عموم الأبواب الأخرى، فلا داعي لأن يتحدث عنه في موضع مستقل.

ومن النقوش الواردة يمكن حصر أساليب التأريخ بالسنة في الصور التالية:

١. استعمال (في) مع السنة:

فيأتي لفظ (سنة) مجرورًا بحرف الجر (في) مضافًا إلى لفظ العدد، ويكون لفظ العدد مجرورًا بالإضافة، ومن أمثلة ذلك:

- . نقشا عثمان بن وهران، وهما مؤرخان بقوله: "وكتب في سنة ثمانين"^(٢).
- . نقش: "اللهم عاف رباح بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أوصي ببر الله والرحم وكتب في سنة ثلاث وتسعين"^(٣).
- . نقش: "آمن عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير بالله شهد أنه لا إله إلا الله وكفر بالطاغوت حيًا وميتًا وكتب عمر في سنة ست وتسعين"^(٤).
- . نقش: "ثقتي بالله ورجاي وكتب عبد الحميد بن سالم في سنة إحدى ومئة"^(٥).

(١) ينظر: ابن عصفور، شرح الجمل ٧٧/٢.

(٢) ينظر: الراشد، كتابات إسلامية من مكة المكرمة ص/١٦٠، ١٦٤.

(٣) ينظر: صورة رقم (١٢) من ملحق الصور.

(٤) ينظر: صورة رقم (١٣) من ملحق الصور.

(٥) ينظر: الراشد، الصويدة ص/٤٢٠ - ٤٢١.

- نقش محمد بن عمر بن حفص، وفيه: "تاب الله على محمد بن عمر بن حفص بن عاصم ما تقدم من ذنبه وما تأخر أمين رب موسى وهارون وكتب في سنة أربع عشرة ومئة"^(١).

- نقش عاصم بن عمر بن حفص وفيه: "... وكتب في سنة إحدى وعشرين ومئة"^(٢).

- نقش في عمر بن عثمان وفيه: "أنا عمر ابن عثمان أوصي ببرّ الله والرّحم وكتب في سنة ثلاث وعشرين ومئة"^(٣).

- نقش الحرم المكي الشريف، وفيه: "... على يدي يقطين بن موسى وإبراهيم بن صالح في سنة سبع وستين ومئة"^(٤).

- نقش "اللهم اغفر محمد بن أبي سعيد السفياني وكتب في سنة تسع وأربعين ومئتين"^(٥).

٢. استعمال اللام مع السنة:

فيأتي لفظ (سنة) مجرورًا بحرف الجرّ (اللام) مضافًا إلى لفظ العدد، ويكون لفظ العدد مجرورًا بالإضافة ومن ذلك ما يلي:

- نقش سدّ معاوية رضي الله عنه وفيه: "هذا السد لعبد الله معاوية أمير المؤمنين بانيه عبد الله بن صخر بإذن الله لسنة ثمان وخمسين اللهم اغفر لعبد الله معاوية أمير المؤمنين"^(٦).

- نقش الوليد بن معبد، وفيه قوله: "... وكتب لسنة ثمانين..."^(٧).

(١) ينظر: صورة رقم (١٤) من ملحق الصور.

(٢) ينظر: صورة رقم (١٥) من ملحق الصور.

(٣) ينظر: صورة رقم (١٦) من ملحق الصور.

(٤) ينظر: الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ص/٢٠٦.

(٥) ينظر: الراشد، الصويدة ص/١٥٠.

(٦) ينظر: الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ص/١٦٧.

(٧) ينظر: صورة رقم (١٧) من ملحق الصور.

- . نقش: "أنا أسيد الحصين أسأل الله الجنة وكتب لسنة أربع وثمانين ومئة" (١).
- . نقش: "يا أيها الناس اتقوا ربكم ... وكتب عبد الله بن عمار لسنة أربع وثمانين"، ونقش أخيه حكيم، وفيه: "رب لا تفضح حكيم وكتب حكيم ابن عمار لسنة أربع وثمانين ..." (٢).
- . نقش: "ومن يتوكل على الله فالله حسبه والله بالغ أمره وقد جعل الله لكل شيء قدرًا وكتب أمية ابن عبد الملك لسنة ثمان وتسعين وهو يسأل الله الجنة" (٣).

٣ . استعمال لفظ (سنة) بدون حرف:

- فيأتي لفظ (سنة) بدون حرف الجرّ، ويكون منصوبًا على الظرفية، ويضاف إلى لفظ العدد، ويكون العدد مجرورًا بالإضافة، ومن ذلك:
- . نقش: "آمن أبو سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بالله العظيم وكتب سنة ومئة" (٤).
- . نقش: "تاب الله على عبد الله بن عمر بن حفص وكتب سنة إحدى وعشرين ومئة" (٥).
- . نقش: "أنا منصور بن عطاء بن ربيعة آمنت بالله ورسوله وكتب سنة أربعين ومئة" (٦).
- . نقش: "أنا يعقوب بن عطاء أسأل الله الجنة وأن يطعمنا الصيّد، آمين وكتب سنة خمسين ومئة" (٧).

-
- (١) ينظر: الرّاشد، دراسة في الآثار المبكرة بالمدينة المنورة ص/١٣٥.
- (٢) ينظر: الرّاشد، كتابات إسلامية من مكّة المكرمة ص/٢٦، ٥٥.
- (٣) ينظر: الرّاشد، كتابات إسلامية من مكّة المكرمة ص/١٦٢.
- (٤) ينظر: صورة رقم (١٨) من ملحق الصور.
- (٥) ينظر: صورة رقم (١٩) من ملحق الصور.
- (٦) ينظر: الرّاشد، دراسة في الآثار المبكرة بالمدينة المنورة ص/٢١٨.
- (٧) ينظر: صورة رقم (٢٠) من ملحق الصور.

. نقش: "عاتكة بنت زياد تنق برّها وعليه تتوكل وكتبت سنة سبعين ومئة والمرّد إلى الله" (١).

. نقش عبّاس بن محمد اللّهي، وفيه: "اللّهم اغفر لعبّاس بن محمد اللّهي ولوالديه سنة أربعين ومئتين" (٢)، ونحو ذلك من النّقوش (٣).

ويتضح من كلّ ذلك أنّ في التّأريخ بالسّنة ثلاثة أوجه، اثنان منها جرّ فيها لفظ ما يؤرخ به وهو (سنة) بحرف الجر، والثالث ورد منصوباً على الظرفية، ومعنى الظرفية هو المقصود في الجميع، فحروف الجر (في) و(اللام) بهذا المعنى، وهذه الأوجه الثلاثة ظهر من النّقوش تساويها في الاستعمال، فكلها في الكثرة سواء.

(١) ينظر: صورة رقم (٢١) من ملحق الصور.

(٢) ينظر: الرّاشد، الصّويدة ص / ١٩٤

(٣) الرّاشد، الصّويدة ص / ١٥٣، والرّهراي، كتابات إسلامية من مكّة المكرّمة ص / ١١٢.

الخاتمة

أسطرّ في ختام هذا البحث أبرز ما ظهر لي من نتائج، فأقول:

١. نقوش الحجاز في هذه المدّة هي أصحّ ما نقل من شواهد عن العرب في صياغة التّاريخ، وهي أفضل ما يمكن أن تبني عليها قواعد التّاريخ اللغوية، وبخاصّة الأحكام اللّغويّة التي لم يذكرها النّحاة بسبب قلة ما وصلهم من شواهد في هذا الأسلوب اللّغوي، حيث لم يرد في كتب النّحاة. فيما اطلعت عليه. لأسلوب التّاريخ سوى شاهد واحد لم يعرف قائله، ومشكوك في صحته، وهو قول الشاعر:

حُطَّ هذا الكتابُ في يومٍ سَبَّتٍ لثلاثِ حَلَوْنَ من رَمَضَانَ^(١)

٢. توّرخ العرب مراعاةً للتّقويم بأربعة أشياء: التّاريخ بدءًا بجزء من اليوم، وهي أوقاته، والتّاريخ بجزء من الشّهر، وهي أيّامه ولياليه، أو البدء بالشّهر، وتذكر بعد ذلك السّنة، أو الاكتفاء بذكر السّنة وفق التقويم الهجري.

٣. الأشهرُ فيما توّرخ به العرب من وقت في النّقوش هو التّاريخ بالسّنة فقط، ويأتي بعد ذلك كثرة التّاريخ بالشّهر، وقلّ في النّقوش التّاريخ بالليّلة والوقت المحدّد، وعلّة ذلك مراعاة حال النّقوش التي يناسبها الاختصار، وفي كتابتها مشقّة وعناء تستوجب الاكتفاء بأهمّ الأمور والابتعاد عن التّفصيل الأخرى.

٤. تتعدّد الأساليب في صياغة الوقت الذي يؤرّخ به، فجاء مع كل نوع عدّة أوجه، كسّف هذا البحث عنها وضبطها وبين أحكامها مفصّلة على ضوء نقوش الحجاز.

٥. الاستعمالات التي ثبتت في التّاريخ بناء على الوقت المؤرّخ به أربعة كما تقدّم، ثلاثة منها لم ترد عند علماء النّحو، ولم يتحدّثوا عنها عند بيان أوجه التّاريخ وقواعده فيما اطلعت عليه، وهي استعمالات شائعة مطّردة عند العرب أثبتتها هذه النّقوش، وتلك الاستعمالات هي: . التّاريخ بجزء من اليوم وهي أوقاته، كالصّباح

(١) ينظر: ابن عصفور، شرح الجمل ٢/٨٠، وأبو حيّان، التّذييل والتّكميل ٩/٣٥٤.

الأوقات المؤرخ بها في نقوش الحجاز في القرون الهجرية الثلاثة الأولى - دراسة نحوية، د. سلطان بن عوض العوفي

ونحوه، التاريخ بالشهر وحده دون ذكر الليلة قبله، التاريخ بالسنة فقط دون ذكر الوقت أو الليلة أو الشهر، وهو أشهر الأساليب ورودًا في نقوش الدراسة. واقتصر حديث النحاة في كتبهم على التاريخ بجزء من الشهر وهي أيامه ولياليه كما تقدّم بيانه.

وقبل الختام أودّ القول بأنّ هذا البحث جاء لبيان جزء من أجزاء ما يتركّب منه أسلوب التاريخ، وهو نوع ما يؤرّخ به، وفي النّبيّة . إن يسّر الله تعالى . دراسة بقيّة أجزاء هذا الأسلوب، وذلك بدراسة أحكام حروف الجر المستخدمة فيه، وأيضًا أحكام التّمييز، وأحكام الوصف، وأحكام العدد.

أسأل الله سبحانه أن يتقبّل منّي هذا العمل، خدمة للغة كتابه، ولسان خاتم شرائعه وأنبيائه، وأن يعفو عن الخطأ والزّلل، فسبحان من تفرّد بالكمال، وتنزّه عن الخطأ والتّسيان، وصلى الله وسلّم على نبيّنا المصطفى المختار، وعلى آله الأطهار، وعلى صحابته الأبرار، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

ملحق صور النقوش^(*)

المصدر	صورة النقش وقراءته	م
هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar	 "اللهم صل على محمد ... وكتب إبراهيم ابن ميمون الأسلمي معلم الكتاب لصبح إحدى عشرة مضت من شوال سنة خمس وثلاثين ومائة رحمه الله"	١
هذا النقش مما نشره أ.د. عبدالله مصلح الثمالي، في حسابه على تويتر، الرابط: https://twitter.com/thoomaly11	 "ياولي نعمتي اغفر لي خطيبي وكتب سليمان بن عبدالله بن سليم يوم الجمعة لثنتين وعشرين من رجب من سنة ثلث وثلثين ومائتي سنة، وهو يسأل الله الجنة ويعوذ من النار"	٢
هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar	 "اللهم ارض عن عبد الرحمن بن سفيان بن عمرو أمين رب العالمين، وكتب عبد الرحمن هذا الكتاب لعشر ليال بقين من جمادى الآخرة من سنة ست وثمانين".	٣
هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar	 "بسم الله الرحمن الرحيم ... وكتب العلاء بن يزيد رحمه الله في يومين بقيا من شهر رمضان سنة أربعين ومئة".	٤

(*) الصور الواردة في هذا الملحق هي للنقوش التي وقفت عليها في موقعها، أو مما نشر في وسائل التواصل الاجتماعي، أما ما كان منشورا في كتب أو أبحاث فاكتفيت بالإحالة إليها في الموضوع الذي وردت فيه في البحث.

الأوقات المؤرخ بها في نقوش الحجاز في القرون الهجرية الثلاثة الأولى -دراسة تحويّة، د. سلطان بن عوض العوفي

<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>"كفر عمر بن ربيعة بالطاغوت وأمن بالله العظيم الرحمن الرحيم وكتب في صفر سنة سبع عشرة ومائة".</p>	<p>٥</p>
<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>"عمل هذا المجلس عبدالملك بن عبدالله بن أبي الوليد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين ومائة، وكتب مروان بن عبدالملك".</p>	<p>٦</p>
<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>نقش: "طليب بن إبراهيم شهد ألا إله إلا الله وكتب في رجب من سنة ثنتين وسبعين ومئة"</p>	<p>٧</p>
<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>"اللهم اغفر لعبدالله بن سعد بن أبي ذباب النمري أمين رب العالمين، وهو أمر بهذا المجلس في جمادى لسنة ثمن وثمانين"</p>	<p>٨</p>
<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>"عامر بن عمر إلى الله راغب وكتب في ذي الحجة تمام سنة إحدى وأربعين ومائة"</p>	<p>٩</p>

<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>"لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وكتب صالح بن محمد بن صالح في شهر رمضان سنة عشر ومئتين ويسأل الله الجنة"</p>	<p>١٠</p>
<p>هذا النقش مما نشره أ.د. عبدالله مصلح الثمالي، في حسابه على تويتر، الرابط: https://twitter.com/thoomaly11</p>	 <p>"اللهم ارض عن عمرو بن ... وكتب يحيى بن عمرو في بقية سنة ثلاث وسبعين"</p>	<p>١١</p>
<p>هذا النقش مما وقفت عليه جنوب المدينة المنورة من نقوش غدير رواوة في المدينة، وصاحبه من ذرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.</p>	 <p>"اللهم عافني رياح بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أوصي ببر الله والرحم وكتب في سنة ثلاث وتسعين."</p>	<p>١٢</p>
<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar وذكر أن النقش محفوظ في متحف تركي الريلي بالسويرقية.</p>	 <p>"آمن عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير بالله شهد أنه لا إله إلا الله وكفر بالطاغوت حيا وميتا وكتب عمر في سنة ست وتسعين."</p>	<p>١٣</p>
<p>هذا النقش مما وقفت عليه جنوب المدينة المنورة من نقوش غدير رواوة في المدينة، وصاحبه من ذرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ونشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/moha</p>	 <p>"تاب الله على محمد بن عمر بن حفص بن عاصم ما تقدم من ذنبه وما تأخر"</p>	<p>١٤</p>

الأوقات المؤرخ بها في نقوش الحجاز في القرون الهجرية الثلاثة الأولى -دراسة تحويّة، د. سلطان بن عوض العوفي

<p>mmed93athar وقد استفدت من قراءته للنقش.</p>	<p>أمين رب موسى وهارون وكتب في سنة أربع عشرة ومئة"</p>	
<p>هذا النقش مما وقفت عليه جنوب المدينة المنورة من نقوش غدير رواوة في المدينة، وصاحبه من ذرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.</p>	 <p>"تاب الله على عاصم بن عمر بن حفص وكتب في سنة إحدى وعشرين ومئة".</p>	<p>١٥</p>
<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>"أنا عمر ابن عثمان أوصي ببر الله والرحم وكتب في سنة ثلاث وعشرين ومئة"</p>	<p>١٦</p>
<p>هذا النقش مما نشره أ.د. عبدالله مصلح الثمالي، في حسابه على تويتر، الرابط: https://twitter.com/thoomaly11</p>	 <p>"عفا الله عن الوليد بن معبد وكتب لسنة ثمانين وهو يسأل الله الجنة نزلا والملائكة رسلا".</p>	<p>١٧</p>
<p>هذا النقش مما وقفت عليه جنوب المدينة المنورة من نقوش غدير رواوة في المدينة، وصاحبه من ذرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.</p>	 <p>"آمن أبو سلمة بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بالله العظيم، وكتب سنة مائة"</p>	<p>١٨</p>
<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>"تاب الله على عبد الله بن عمر بن حفص وكتب سنة إحدى وعشرين ومائة".</p>	<p>١٩</p>

<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>"أنا يعقوب بن عطا أسأل الله الجنة وأن يطعمنا الصيد، آمين، وكتب سنة خمسين ومائة"</p>	<p>٢٠</p>
<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>"عاتكة بنت زياد تثق بربها وعليه تتوكل وكتبت سنة سبعين ومائة والمرد إلى الله"</p>	<p>٢١</p>
<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغدوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/mohammed93athar</p>	 <p>"دخل الصيف لعشر مضت من شهر ربيع الآخر سنة ثنتين وعشرين ومئتين معه عوسجا إن شاء ذا وحده وذا وحده".</p>	<p>٢٢</p>

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو السّعادات مجد الدّين، **البدیع في علم العربيّة**، تحقيق: د. صالح حسين العايد، و د. فتحي أحمد علي الدين، من مطبوعات جامعة أم القرى، ط/١، ١٤٢٠هـ.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي.
- ابن عصفور، **شرح جمل الزجاجي**، تحقيق: صاحب أبو جناح، دار الكتب للطباعة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- ابن عقيل، بهاء الدين، **المساعد على تسهيل الفوائد**، تحقيق د. محمد بركات، من مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، **أدب الكاتب**، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- ابن مالك، جمال الدين محمد، **شرح التسهيل**، تحقيق عبد الرحمن السيد ومحمد المختون، هجر للباعة، ط / ١، ١٤١٠هـ.
- شرح الكافية الشافية**، تحقيق: عبد المنعم محمد هريدي، الطبعة الأولى، مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، سوريا، دار المأمون للتراث، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- أبو حيّان، الأندلسي، **التّذيل والتّكميل في شرح كتاب التّسهيل**، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، وكنوز إشبيليا، ط/١.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب** ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد نبيل طريفي، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.

حسان، تمام، الأصول، دراسة إستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ١٤٢٠هـ.

الحمّادي، هزاع محمد، أنظمة التاريخ في النقوش السبئية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، معهد الآثار، قسم النقوش، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، الخطيب، عماد علي، نقد فكرة الاحتجاج في التراث العربي، بحث منشور في مجلة حوليات التراث العدد ١١، ٢٠١١م. الرّاشد، سعد بن عبدالعزيز:

دراسات في الآثار المبكرة بالمدينة المنورة، مؤسسة الحزيمي، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م. الصويدرة (الطرف قديماً) آثارها ونقوشها الإسلامية، مؤسسة ليان، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

كتابات إسلامية من مكة المكرمة، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٥م. الرّضي، رضي الدّين الاسترابادي، شرح الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط/٢، ١٩٩٦م. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، الجمل في النحو، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة.

الزهراني، عبد الرحمن بن علي، كتابات إسلامية من مكة المكرمة، من القرن الأول إلى السابع الهجري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٤هـ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، ١٤٢٧هـ. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

الأوقات المؤرخ بها في نقوش الحجاز في القرون الهجرية الثلاثة الأولى -دراسة نحوية، د. سلطان بن عوض العوفي

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

الصبان، محمد علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، مطبوع مع شرح الأشموني، دار الفكر.

عيد، محمد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ١٩٨٨م.

الفرع، محمد فهد، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، دار تهامة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

المريخي، مشلح، مناهج التأريخ وأساليبه عند العرب في ضوء النقوش العربية المبكرة، بحث منشور في مجلة أدما، العدد ٦، ٢٠٠٢م.

المواقع الإلكترونية:

حساب (أ.د. عبد الله مصلح الثمالي) تويتر،

<https://twitter.com/thoomaly11>

حساب (نوادير الآثار والنقوش) للأستاذ محمد المغدوي، تويتر،

<https://twitter.com/mohammed93athar>

Bibliography

- Ibn Al-Atheer Abi Al-Saadat Majd Al-Din, Al-Badi fi 'Ilm Al-'Arabia, Investigation: Dr. Saleh Hussein Al-'Ayed, and Dr. Fathi Ahmed Ali Al-Din, from Umm Al-Qura University publications. 1st ed., 1420 AH.
- Ibn Jinni, Abu al-Fath Othman bin Jani, Al-Khasaa'is, Investigation: Muhammad Al-Najaar, Dar Al-Kitab Al-'Arabi.
- Ibn 'Usfour, Sharh Al-Jumal Al-Zajaaji, Saahib Abu Junaah, Daar Al-Kitaab for Publication, 1400 AH - 1980
- Ibn 'Aqeel, Bahaahudeen, Al-Musaa'id 'alaa Tasheel Al-Fawaaid, Investigation: Dr. Muhammad Barakaat, from the Publications of Umm Al-Qura University 1405 AH.
- Ibn Qutaiba, Abdullah bin Muslim, Adab Al-Kaatib, Investigation: Muhammad Al-Dali, Al-Resala Foundation, 1417 AH.
- Ibn Malik, Jamal al-Din Muhammad;
Sharh Al-Tasheel, Investigation: Abdurahman Alsa'id and Muhammad Almakton, Hajar for printing, 1410 AH.
- Sharh Al-Kafia Al-Shaafia, Investigation: Abdul Moneim Muhammad Haridi, 1st ed., Center for Scientific Research, and the Revival of Islamic Heritage, Umm Al-Qura University, Dar Al-Mamoun Heritage, 1402 AH - 1982.
- Abu Hayyan, Mohammed bin Yusuf, Al-Tadhyil wal Takmil fi Sharh Kitab Al-Tasheel, Investigation: Dr. Hassan Hindawi, Dar Al-Qalam, and Kunuz Ishbeelya.
- Al-Baghdadi, Abdul Qadir bin Omar, Khizanat Al-Adab wa Lub Lubaab Lisaan Al-'Arabi, Investigation: Muhammad Nabil Tarifi, Emile Badi' Yaqoub, Dar Al-Kutub Al-Ilmia - Beirut - 1998, first edition.
- Hassan, Tamaam, Al-Usuul: An Epistemological Study of Linguistic Thought of the Arab, 'Aal Al-Kutub, 1420 AH.
- Al-Hammaadi, Huzaa' Muhammad, Systems of Dating in the Sabai Epigraphs, Master's thesis, Yarmouk University, Institute of Archeology, Department of Epigraphs, 1417 AH - 1997.
- Al-Khateeb, 'Imaad 'Ali, A Criticism of the Evidence Thought in the Arabic Heritage, a research published in the Journal of Heritage Series, 11, 2011.
- Al-Rashed, Saad bin Abdulaziz:
Studies in the Early Archeology of Madinah, Al-Huzaimi Foundation, 1421 AH, 2000.
- Al-Suwaydra (Al-Taraf), Its Antiquities and Islamic Epigraphs, Layan Foundation for Culture, 1430 AH, 2009 AD.

- Islamic Writings from Makkah Al-Mukarramah, King Fahd National Library, 1995 AD.
- Al-Radi, Radhi Al-Din Al-Astrabadi, Sharh Al-Kafia, investigated by Youssef Hassan Omar, Qar Younis University Publications, Benghazi, i/2, 1996 AD.
- Al-Zajaji, Abu Al-Qasim Abdul Rahman bin Ishaq, Al-Jamal fe ALnaho, investigated by Ali Al-Hamad, Al-Resala Foundation.
- Al-Zahrani, 2003, Abdul Rahman bin Ali, Islamic Writings from Makkah, 1st to 7th century AH, King Faisal Center for Research and Islamic Studies, 1424 Ah.
- Al-Suti Jalaluddin Abdul Rahman:
- Al-Iqtiraah fi Usuul Al-Nahw, investigated by Abdel Hakim Attia, Dar Al-Bayrouti, second edition, 1427 AH.
- Al-Muzhir fi 'Uluum Al-Lughat wa Anwaaaha, Investigation: Muhammad Gad Al-Mawla Bek, Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, and Ali Muhammad Al-Bajawi, Al-Asriya Library Saïda, Beirut, 1408 AH, 1987.
- Hamm' Al-Hawaami' Sharh Jam' Al-Jawaami, Investigation: Ahmad Shamsudeen, House of Scientific Books, 1418 AH.
- Al-Sabban, Muhammad Ali, Haashiyah Al-Sabbaan 'alaa Sharh Al-Ashmuuni li Alfiyyah Ibn Maalik, printed with Sharh Al-Ashmouni, Dar Al-Fikr.
- 'Eed Muhammad, Al-Istishaad wa Al-Ihtijaaaj bi Al-Lugha, narration of Language and Its Authority in Light of Modern Linguistics, 'Aalam Al-Kutub, 1988.
- Al-Fa'er, Mohammed Fahd, The Development of Writings and Inscriptions in Hijaz from the Dawn of Islam until the Middle of the 7th century AH, Dar Thama, 1405 AH.
- The Journal of the Arabic Language Academy in Cairo.

استئناف التقنين النحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية

Resuming grammatical Rationing in Light of the
Deliberative Use of Linguistic Patterns

د. عمر محمد أبو نواس

أستاذ مشارك بالجامعة القاسمية – الشارقة

البريد الإلكتروني: Oabunawas@alqasimia.ac.ae

المستخلص

ينشغل هذا البحث بدراسة ظاهرة استئناف التقنين النحوي ومكوناتها في الفكر النحوي بالنظر في الاستعمال المتداول للأنماط اللغوية، والوقوف عند أهمّ المسائل التي تُحمّل على هذه الظاهرة في الموروث النحوي. وفي سعيٍ إلى قراءة أبعاد هذه الظاهرة؛ توقّف البحث في التمهيد عند مفهوم استئناف التقنين النحوي ومحدداته، ثم تناول في المبحث الأول أهمّ المنطلقات المعرفية التي شكّلت ظاهرة الاستئناف عند النحاة، ونظرًا إلى تعدّد مظاهرها في الدرس النحوي فقد كان لزامًا أن يحلّل المبحث الثاني أبرز هذه المظاهر في الجوانب النحوية. وقد دُرست المسائل بمنهجٍ وصفيٍّ تحليليٍّ ينبثق من تقنيات الصنّاعة النحوية وأثرها في تشكّل هذه الظاهرة حتى حُتمت الدراسة بخاتمة أُثبتت فيها أهمّ النتائج المستخلصة من البحث.

الكلمات المفتاحية: الاستئناف، التقنين، الاستعمال المتداول.

Abstract

This research is concerned with studying the phenomenon of resuming grammatical rationing and its components in grammatical thought, by looking at the deliberative use of linguistic patterns, concentrating on the most important linguistic issues that bear on this phenomenon in the grammatical heritage.

In an effort to read the dimensions of this phenomenon, the research studies in the preface the concept of resumption of grammatical rationing and its determinants. In the first section, it deals with the most important cognitive premises that formed the phenomenon of resumption to grammarians. Given the multiplicity of its manifestations in the grammatical lesson, it is necessary for the second section to analyze the most prominent manifestations in the grammatical aspects.

These issues are studied with a descriptive and analytical approach in light of the consideration of the techniques of the grammatical industry and their impact on the formation of this phenomenon. This study is ended with a conclusion including the most important results reached.

Keywords: appeal, rationing, deliberative use

المقدمة

إنّ المنظومة النحوية منظومة معرفيّة مقيدة بأصولٍ وأدلة تعكس دقة الصناعة النحوية في بناء القواعد النحوية؛ ذلك أنّ هذه المنظومة انطلقت من الاستعمال الصّحيح للأنماط اللغويّة وتداولها بطريقة إبداعية، فالتداول اللغويّ تواصل بالإدراك يمكن الثاني من أن يعيد النظر فيما تدبره الأوّل على سبيل الموافقة بالموافقة أو المباشرة بالمخالفة والتعديل، لكن في كلتا الحالتين يكون مبتدعًا ومتبعًا.

وأشار العلماء إلى الطاقة الإبداعية لعلم النحو، إذ رأى تشومسكي أنّ: "النحو ظاهرة إبداعية".^(١) فقد يظهر بعد قبول الأنماط اللغوية الصحيحة بالتقنيات النحوية والصرفيّة شيء من الانحراف أو الانزياح عن المعايير العامة التي ارتضاها اللغويون، يعالجه النحاة بأساليب متفاوتة منها الاستئناف النحوي؛ فتستدعي إعادة النظر فيها، فيبدأ النحوي دوره في الاستئناف بتوجيه النص المقبول على معهود كلام العرب توجيهًا جديدًا. تشكّلت ظاهرة الاستئناف في التقنين النحوي في ظلّ هذا الإبداع المعرفي عند نحائنا الأوائل الذين تعاملوا بمرونة بالغة مع الأنماط اللغوية المتداولة، وحاولوا أن يفسروها ويوجّهوها معتمدين محورين مهمين:

الأول: المعرفة النحوية بالقوانين النحوية وآليات التقعيد.

الثاني: الدراية بمسندات القوانين، وهي النصوص المتداولة.

من هنا، جاء هذا البحث للإجابة عن مجموعة من السؤالات التي تتعلّق بمفهوم استئناف التقنين النحوي، ومحدّدات هذا المصطلح، وتحليل أهمّ المنطلقات المعرفية التي

(١) ينظر: تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، (المغرب: الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٠م)، ص: ١٨٨، وينظر: جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة: حلمي خليل، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٩٨٥م)، ص: ٥٧.

شكّلت دافعاً لدى النحاة للاستئناف، ومناقشة مظاهر الاستئناف في الموروث النحوي. وآثار الباحث أن يقتصر هذا البحث على المسائل النحوية لا الصرفية مع وجودها فيه؛ لأنّ الدراسة خالصة للنحو عدا ما يداخل الصرف من تمثلات صوتية تتجاوزها آراء مختلفة بين القدامى والمحدثين في ضوء علم الأصوات الحديث، أمّا النحو، فهو أكثر ثباتاً في مدخلاته ومخرجاته من الصرف وإن كانت الظاهرة تستأهل إفرادها بدراسة خالصة لعلم الصرف، وأخرى خالصة لعلم المعاجم تعنى بأصول الأبنية وتداخلها واشتقاقاتها ومظاهر الاستئناف فيها وأثره في الصناعة المعجمية.

وفي سبيل استجلاء ذلك، هدَفَ هذا البحث إلى النّظر في الأنماط اللغوية المتداولة التي حُمِلت عليها، وإلى تتبع مسائلها في مصادر الموروث النحوي وتحليلها وفق أطرها القياسية والاستعمالية.

واقترضت طبيعة البحث باعتماد المنهج الوصفي التحليلي ذلك المنهج الذي يعتمد على جمع المعلومات، ويعمل على دراستها دراسة وصفية، تقوم على المقارنة، والتصنيف، والتفسير، والترجيح، فَعْنِيَتْ بأخذ نماذج مختارة على المسائل المطروحة والاستدلال بها في أبوابها ممّا يعطي صورة متكاملة عن هذه الظاهرة، من غير الزّعم أنّها محاولة للاستدراك على القوانين النحوية أو الخروج عنها، وإنما تناولت آراء النحاة المستأنفة في الأنماط المستعملة في سياقٍ محدّد؛ لتثبت أنّ النظرية النحوية نظرية متماسكة حافظت على ديمومتها وشموليتها، واستطاعت أن تستوعب القوانين كلّها من غير المساس بأصولها القواعدية، والتأثير في منظومتها التعليمية، كما استطاعت أن تحفظ لنا الاجتهادات الرائدة ابتداء من يونس وسيبويه وغيرهما، فقد اجتهدوا وانتقلوا ببعض الأنماط من قانون إلى قانون، حتى خرجوا لنا بآرائهم المستأنفة التي تنتمي إلى مستويات التحليل اللغوي.

وتكفّل البحث بدراسة مسائل متنوّعة مُتعلّقة بالجوانب التّصوّرية لمقولة استئناف

استئناف التقنين النحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

التقنين النحوي من حيث المعنى ومحددات المصطلح، فتناول في المبحث الأول المنطلقات المعرفية لهذه الظاهرة في الفكر النحوي التي تجلّت في: التفاوت في القياس والسماع، والتباين في الأداء في اللهجات والقراءات، والتنوع في توجيه المعاني التركيبية. وجاء المبحث الثاني؛ ليدرس أهم مظاهر استئناف التقنين النحوي، وهي: تنوع التصنيف اللغوي للأنماط، واختلاف المعنى الوظيفي، ومراجعة أحكام التقوم النحوي.

التمهيد

تشير المعاجم اللغوية إلى أنّ كلمة (استأنف) من حيث التجريد والزيادة هي فعل ثلاثي مزيد، ومادّتها في المعجم (أنف)، أمّا كلمة استئنفا فهي عادة بمعنى المواصلة والمتابعة وابتداء الشيء. جاء في لسان العرب: "وَأَسْتَأْنَفَ الشَّيْءَ وَاتَّعَفَهُ: أَخَذَ أَوَّلَهُ وَابْتَدَأَهُ، وَقِيلَ: اسْتَقْبَلَهُ، وَأَنَا آتِنْفُهُ ائْتِنْفًا، وَهُوَ ائْتِنْفَالٌ مِنْ أُنْفِ الشَّيْءِ"^(١)، وأشار أحمد مختار عمر إلى المعنى ذلك بقوله: "استأنف عمله: بدأه، عاوده، واصله بعد توقّفٍ وانقطاع."^(٢)

ولسنا نقصد في هذه الدراسة مصطلح الاستئنفا الذي عُرفَ عند النُّحاة في إطار حديثهم عن الجملة الاستئنافية أو التّركيب الاستئنافي^(٣) - وإنّ كانت المادّة اللغوية لهما تدور في فلك المعاودة والابتداء من جديد - وإنّما المقصود بمصطلح استئنفا التقنين بمفهوم هذه الدّراسة: معاودة النّظر في القواعد الكلية والجزئية في الظواهر اللغوية والانتقال بها من قانون إلى قانون.

فقد يظهر بعد قبول الأنماط اللغوية الصّحيحة الحادثة بالتقنيات النّحوية والصّرفية شيء من الانحراف أو الانزياح عن المعايير العامّة، يعالجه النُّحاة بأساليب متفاوتة، منها الاستئنفا النّحوي والصّرفي.

(١) ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ)، ١٥/٩، مادة (أنف).

(٢) ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، (بيروت: عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ١/١٣١.

(٣) ينظر: مصطفى النحاس، الاستئنفا النّحوي ودوره في التّركيب، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، مج٨، ج٦٥. وينظر: تامة شاهين، ظاهرة الاستئنفا من الاستئنفا النّحوي إلى الاستئنفا البياني، رسالة ماجستير، (سوريا: جامعة تشرين، ٢٠١٦-٢٠١٧م).

استئناف التقنين النحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

وعلى سبيل الاستدلال على هذه الظاهرة ناقشت الدراسة مجموعة من المسائل التي حُمِلت على استئناف التقنين، منها: استئناف القول في كلمة (ليس) والانتقال بها من قانون النسخ إلى قانون العطف في سياق قوله: "والأشرم المغلوب ليس الغالب"، واستئناف القول في: (كيف) والانتقال بها إلى قانون العطف في سياق قوله: "فكيف الأبعد"، وإعادة نظرهم في الجزم بـ (لم) في ضوء التداول الاستعمالي لها في القراءة الشاذة لقوله تعالى:

﴿الْمَنْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(١) ومعاودة النظر في سياق آخر في قاعدة صفة (أي) انطلاقاً مما أجازته المازني من نصب صفة (أي)، والتحوُّل بـ: (مهما) من قانون التصنيف الاسمي وإعادة تصنيفها ضمن أطر التصنيف الحرفي في ضوء تعاملهم مع قول زهير: "ومهما تكن عند امرئ". وسنفصل القول فيها في ثنايا هذا البحث. فهذه المسائل وغيرها التي شاعت وانتشرت في تصانيف النحاة يمكن الاستدلال بها على ظاهرة استئناف التقنين النحوي وتُظهِرُ أنَّها ظاهرة تتَّصف بِسِمَاتٍ محدَّدة تقيدها تصوُّراً وتمثلاً، منها:

أولاً: استئناف التقنين ومعاودة النظر في الأحكام ظاهرة علمية معرفية عامة تلازم العلوم والفنون وأسس صناعتها وطرائق تكوُّن قواعدها، لا تختص بعلم النحو وحده؛ إذ هي ظاهرة متشعبة تضرب جذورها في مختلف العلوم حتى تجلَّت مظاهرها في علوم مختلفة، من مثل: علم الفقه وأصوله، والمنطق. ولها مظاهرها في علوم عربية الأخرى: كالأصوات، والصرف، والمعاجم، والنقد الأدبي.

ثانياً: استئناف التقنين النحوي مظهرٌ من مظاهر إعادة التوزيع الكمي للقواعد.

(١) (الشرح:١).

ثالثاً: استئناف التقنين النحوي ظاهرة يخرج النحوي فيها بالقانون الجديد المستأنف. وغالباً ما تظهر في لغة الشعر، أو في بعض القراءات القرآنية.

رابعاً: تتعلق ظاهرة الاستئناف بشواهد وأمط متداولة أُعيدَ النظر فيها تبعاً لاختلاف عصر النحوي وتنوع وسائل تقنيه، فالاستئناف عند يونس بن حبيب استئناف مبعثه الاختلاف في السماع، أمّا عند ابن مالك ومن تبعه من النحويين، فإنّه يقع في القوانين النحوية التي تقع بين الجواز والشذوذ.

خامساً: ثمة فرق بين استئناف التقنين والخلاف، فالخلاف في الجوازات النحوية دليل على عدم الإجماع عليه، أمّا الاستئناف، فهو انتقال من قانون إلى قانون ينتج من معاودة النظر في نمط مقيد من غير اشتراط أن يكون الانتقال من مذهب نحوي إلى آخر؛ ذلك أنّه من مظاهر التفاوت في الإدراك والعلم والاجتهاد.

سادساً: الاستئناف ظاهرة فكرية بحتة في الفكر النحوي وهي قضية صناعية إجرائية تتعلق بتقنيات الصناعة النحوية والمباحكات العقلية التي دارت في آراء النحاة ويصل إليها العقل خدمة للقواعد والمعايير من جهة، وخدمة للأساليب المسموعة التي يحتمونها من جهة أخرى.

سابعاً: الاستئناف مظهر تطبيقي من مظاهر الصناعة النحوية، وتمظهرت أركانه في كتب الصناعة النحوية، ولا نعدم بعض الإشارات التي تدور في صميم فكرته، فهذا ابن جني يُلمّح إلى ضرورة ملازمة الصناعة النحوية لاستئناف التقنين في أثناء حديثه عن مفهوم الاشتقاق الأكبر، فقال: "وإنّ تباعد شيء من ذلك عنه رُدُّ بلطف الصنعة والتأويل إليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد".^(١)

(١) ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الخصائص، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤)، ص: ١٣٦/٢.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغويّة، د. عمر محمد أبو نواس
وعلى الجملة، فالاستئناف يعكس شمولية الفكر النَّحوي، كما يعكس تمثيله
الصادق لمستويات التعدّد والتباين والاختلاف في الأداء اللغوية المقبولة في العربيّة، ولهذا
يعدّ عنصر قوة للفكر النَّحوي لا عنصر ضعف؛ لأنّ القوانين النَّحوية استنباطات صادقة
من تتبّع كلام العربيّة، يقول تمام حسّان "والنحو يتّسم بالتماسك بعنصره: عدم التناقض،
والتصنيف. فإذا عرفنا أنّ النحو نظام تشابك فيه العلاقات العضوية حتى يصبح هذا
التشابك بنية جامعة... علمنا أنّ هذا النظام المحكم لا يتّسم بالتناقض. إذا لو تطرّق إليه
التناقض ما صلح للتطبيق."^(١).

(١) ينظر: تمام حسّان، الأصول دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، (القاهرة: عالم
الكتب، ٢٠٠٠م)، ص: ٥٩.

المبحث الأول: المنطلقات المعرفية للاستئناف

إنَّ ثَمَّةَ مجموعة من المنطلقات المعرفية التي أسهمت في تكوين ظاهرة استئناف التقنين النَّحوي، منها:

أولاً: التفاوت في السماع والقياس

من أبرز المنطلقات المعرفية التي شكَّلت دافعاً عند النَّحويين للميل إلى استئناف التقنين النَّحوي تباين موقفهم من السماع والقياس والاعتماد عليهما في بناء القواعد النَّحوية؛ فقد اعتمد اللغويون في تقنينهم للقواعد النَّحوية جملة من الأدلة التي شكَّلت عندهم ركائز أساسية انطلقت منها القواعد النَّحوية؛ فقد كانوا يركنون إلى القياس والسماع والإجماع واستصحاب الحال في وضعهم تلك القواعد وبنائها بناء متماسكاً يمثِّل بموضوعية الاستعمالات اللغوية المختلفة.

فقد كان اللغويون الأوائل يبحثون عن مقاييس وضوابط تضبط الكيفيات التي يُراعونها في الوحدات اللفظية حسب ما كانت تُؤديه العرب الموثوق بعربيتهم، وهذه الأقيسة تتطلب أن يحمل الشيء على الشيء الجامع بينهما.^(١) وتباين موقف اللغويين من السماع والقياس منذ بواكير نشأة الدرس النَّحوي، وذهبوا في تطبيقهما مذاهب مختلفة، فقالوا: "كانت ليونس مذاهب وأقيسة تفرَّد بها"،^(٢) وبذلك غدا يونس في نحوه وما وضعه من أقيسة أمة وحده.^(٣)

(١) ينظر: عبد الرحمن حاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة (مفاهيمها الأساسية)، كراسات المركز سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، (الجزائر، العدد الرابع، ٢٠٠٧م) ص: ٧٠.

(٢) ينظر، الأنباري، أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٥٧٧هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، (الأردن: كتبة المنار، ط٣، ١٩٨٥م)، ص: ٤٧.

(٣) شوقي ضيف، المدارس النَّحوية، (مصر: دار المعارف، ط٧)، ص: ٢٨.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

واعترف النَّحويون بتفرد يونس بن حبيب في أقيسته وميله إلى استئناف القول في التقنين النَّحوي بأقيسته المستقلة، وإن عاش شطر عمره في زمن الاحتجاج، ومما يدل على ذلك تجويزه أن تلقى علامة الندبة على الصِّفة، نحو قولك "وازيد الظريفاه"، وقول بعض العرب: "وَأَجْمَعِي الشَّامِيَتِيَاهُ".^(١)

وصرح أبو البركات الأنباري بتفرد يونس في أقيسته في تعليقه على رأيه في هذه المسألة، فقال: "وأما ما روي عن بعض العرب من قوله "وَأَجْمَعِي الشَّامِيَتِيَاهُ" فيحتمل أن يكون إلحاق علامة الندبة من قياس يونس".^(٢)

وقد كان المبرد يحتكم إلى القياس، ولكنه لم يكن يقدمه على السماع عن العرب، بحيث يرفض ما ورد على ألسنتهم أو قل على أكثر ألسنتهم، فقد كان يرد ما يخالف الكثرة الكثيرة الدائرة في أفواههم، ولكن حين لا توجد هذه الكثرة كان يفسح للقياس، وكذلك كان يفسح له حين يشيع استعمال بين العرب. وليس معنى ذلك أنه كان يقيس على الشاذ والنادر، إنما كان يقيس على ما سُمع كثيراً.^(٣)

فقد استأنف المبرد القول على سيبويه في مسألة اتصال الضمير ب (عسى)، فقال: "فأما قول سيبويه: إنها تقع في بعض المواضع بمنزلة (لعل) مع المضمرة فتقول: عساک

(١) روي عن بعض العرب أنه ضاع منه جمجمتان -أي قدحان- فقال "واجمعتي الشاميتياه" وألقى علامة الندبة على الصِّفة.

(٢) ينظر: الأنباري، أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٥٧٧هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النَّحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: مطبعة السعادة، ط٤، ١٩٦٦م)، ص: ٣٦٥/١.

(٣) ينظر: شوقي ضيف، المدارس النَّحوية، (مصر: دار المعارف، ط٧)، ص: ١٣٢، وللمزيد عن فكر المبرد ينظر: صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النَّحو العربي وتطبيقاتها، (عمَّان-الأردن: دار الفكر، ط١، ١٩٩٨م)، ص: ١١١.

وعساني - فهو غلط منه؛ لأنّ الأفعال لا تعمل في المضمر إلا كما تعمل في المظهر. (١)
وكان يرى أنّ المفعول مقدم، والفاعل مضمر، كأنّه قال: عساك الخير أو الشر،
وكذلك: عساني الحديث، ولكنه حذف؛ لعلم المخاطب به، وجعل الخبر اسماً على قولهم:
(عسى الغوير أبؤسا). (٢)

وأفضت مسألة الاستئناف في تنوع الفكر النحوي في النظرة إلى المقاييس التي
دعّمت بناء القواعد النحوية إلى نتيجتين يمكن استخلاصهما من فكر النحاة في هذه
القضية:

أولاً: أنّ النحاة لم يعتمدوا المقاييس الشكلية فقط في وضعهم القواعد النحوية، بل
ربط كثيرٌ منهم الشكل بالجوهر أو الوظيفة.

ثانياً: أنّ النحاة لم ينظروا إلى المقاييس الشكلية والجوهرية التي ساروا عليها في وضعهم
القواعد بشكل منفرد، أو منعزل عن طبيعة اللّغة وأماطها المستعملة، بل ربطوها ضمن إطارٍ
متكامل من العلاقات النحوية المتكاملة.

ثانياً: اختلاف الأداء في اللهجات والقراءات

إنّ المهمة الأساسية للنحويّ تكمن في النظر في الأداءات اللغوية المختلفة وتصنيفها
وتوجيهها وفق قوانين لغوية تضبط المكونات اللغوية للقاعدة النحوية التي تُبنى باعتماد
رئيس على عناصر التداول اللغوي؛ فالقاعدة لا بدّ أن تتضمن معايير كلية تستوعب هذه
الأنماط، وتجد لها التفسيرات اللغوية المناسبة.

من هنا عمد النحاة إلى توجيه تلك الأداءات اللغوية التي جاءت مخالفة للقاعدة
الأصلية التي وُضعت، فانقسموا في آرائهم بين اتفاق واختلاف، فشكّلت هذه الأداءات

(١) المبرد: أبو العباس، محمد بن يزيد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة،

بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٩٩٤م، ص: ٧١/٣.

(٢) (ينظر: المرجع السابق، ص: ٧٠/٣).

استئناف التقنين النَّحْوِي فِي ضَوْءِ الاسْتِعْمَالِ التَّدَاوِلِيِّ لِلْأَنْمَاطِ اللُّغَوِيَّةِ، د. عمر محمد أبو نواس
دورة متكاملة في التفكير النَّحْوِي أدَّت إلى تلقي آراء الآخرين ورجع النظر فيها والميل إلى
الاستئناف عليها في بعض الأحيان.

ومن المسائل التي يُستدل بها في هذا الصدد استئناف ابن درستويه القول على
النحاة في منعه تقديم خبر ليس على اسمها في قراءة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(١): "فمن قرأ بنصب البرِّ جعله خبر ليس، وأن
تَوَلُّوا فِي مَوْضِعِ الاسْمِ، وَالْوَجْهَ أَنْ يَلِيَّ الْمَرْفُوعِ؛ لِأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْفِعْلِ الْمُتَعَدِّي، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ مِنْ
وَجْهِ أُولَى، وَهُوَ أَنْ جُعِلَ فِيهَا اسْمٌ لَيْسَ: أَنْ تُوَلُّوا، وَجُعِلَ الْخَبْرُ الْبِرُّ، وَأَنْ وَصَلَتْهَا أَقْوَى فِي
التَّعْرِيفِ مِنَ الْمَعْرِفِ بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ، وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ أَوْلَى مِنْ وَجْهِ، وَهُوَ: أَنْ تَوَسَّطَ خَبْرُ
لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اسْمِهَا قَلِيلٌ، وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى الْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ ابْنُ دَرَسْتَوَيْهِ تَشْبِيهًا لَهَا بِمَا أَرَادَ
الْحَكْمَ عَلَيْهَا بِأَنَّهَا حَرْفٌ، كَمَا لَا يَجُوزُ تَوَسُّيْتُ خَبْرٍ مَا، وَهُوَ مَخْجُوحٌ بِهَذِهِ الْقِرَاءَةِ
الْمُتَوَاتِرَةِ."^(٢)

ومَّا يُمْكِنُ الاسْتِدْلَالُ بِهِ أَيْضًا فِي بَيَانِ أَثَرِ تَعَدُّدِ الْأَدَاءِ فِي اسْتِنْفَانِ الْقَوْلِ تَوْجِيهِهِمْ
لِلْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾^(٣) بنصب (الكافرين)، كما

(١) (البقرة: ١٧٧).

(٢) أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد
جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ)، ص: ١٣٢/٢، وينظر: موقف أبي حيان الأندلسي من متقدمي
النحاة حتى أوائل القرن الرابع الهجري من خلال تفسيره البحر المحيط (جمعًا ودراسة): علي بن محمد بن
سعيد الزهراني، رسالة دكتوراه، (جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص: ٥١٩.

(٣) (الكافرون: ١).

نقل ذلك الصبّان^(١) انطلاقاً ممّا أجازاه المازني في نصب صفة (أي) قياساً على صفة غيره من المناديات المضمومة.^(٢) تتمثل مهمة النحوي في النظر إلى النمط المستعمل من جهة وإلى القانون النحوي من جهة أخرى؛ فإذا عارض الاستعمال القانون، فإنّه يلجأ إلى طرق متعدّدة من التوجيه ليحافظ على القاعدة النحوية، ففي قراءة النَّصْب لكلمة (أطهر) في قوله تعالى حكاية على لسان سيدنا لوط عليه السّلام: ﴿هَلْؤَلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمُّ﴾^(٣) لم يتوان سيويوه عن عدّ هذه القراءة من اللّحن في حين لجأ المبرد إلى استئناف القول وتخرّيج النَّصْب فيها على الحال: "وقرأ الحسن، وزيد بن علي، وعيسى بن عمر، وسعيد بن جبير، ومحمد بن مروان السدي: أَطْهَرَ بالنصب. وقال سيويوه: هُوَ لَحْنٌ. وقال أبو عمرو بن العلاء: اخْتَبَى فِيهِ ابْنُ مَرْوَانَ فِي لَحْنِهِ يَعْنِي: تَرَبَّعَ. وَرُوِيَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَخُرِجَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ عَلَى أَنَّ نَصْبَ أَطْهَرَ عَلَى الْحَالِ. فَقِيلَ: هُوَ لَاءُ مَبْتَدَأٌ، وَبَنَاتِي هُنَّ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ فِي مَوْضِعِ خَبَرِ هُوَ لَاءِ، وَرُوِيَ هَذَا عَنِ الْمَبْرَدِ. وَقِيلَ: هُوَ لَاءُ بَنَاتِي مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَهِيَ مَبْتَدَأٌ وَلَكُمْ خَبْرُهُ." (٤)

واعتمد النحويون كذلك على اللهجات في تفسير الأنماط المخالفة للقانون النحوي، فهذا أبو عمرو بن العلاء فسّر تعدد الأداء في قراءة قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُهُمْ﴾

(١) لم أجد فيما تيسر لي من كتب القراءات هذه القراءة، ولكن الصبّان أشار إليها. ينظر: الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧م)، ص: ٢٢٣/٣.

(٢) ينظر: الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ص: ٢٢٣/٢.

(٣) (هود: ٧٨).

(٤) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج ٦/ص ١٨٧.

استئناف التقنين النحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿١﴾ بالتَّنَوُّعِ اللَّهْجِيِّ: قال عباس: سألت أبا عمرو عن {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ} فقال: أهل الحجاز يقولون: "يُعَلِّمُهُمُ وَيُلْعَنُهُمُ مُثَقَّلَةً، ولغة تميم: "يُعَلِّمُهُمُ وَيُلْعَنُهُمُ". (٢)

ثالثاً: التباين في توجيه المعنى التركيبي

ليس بمستبعد أن يكون المعنى التركيبي للجملة من المنطلقات المعرفية التي أسهمت في نشوء ظاهرة الاستئناف، فإيصال المعنى غاية الكلام ورأس سنامه، لذلك قد يميل المتكلم إلى الحذف، أو التقديم والتأخير، أو استبدال حركة بحركة، أو بنية ببنية رغبة في إيصال المعنى إلى المخاطب بأفضل الطرق والأساليب التي يقتضيها السياق. وانطلاقاً من هذا تعددت المباني التركيبية للجملة، وتباينت آراء النحاة والمفسرين في توجيهها، فمالوا إلى التأويل والتخمين والتقدير والتعويض لبيان المقصود من الكلام من جهة، وللحفاظ على صحة القاعدة النحوية من جهة أخرى.

ومن المعاني التركيبية التي يستدلّ عليها في ظاهرة الاستئناف - تلك التي ظلت عرضة للتجادب بين النحاة معنى القلب الإعرابي،^(٣) - رأي بعض النحاة في أنه: "الآ

(١) (البقرة: ١٢٩).

(٢) ينظر: ابن جني: أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى: ٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، منشورات وزارة الأوقاف المصرية، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط١، ١٩٩٩م)، ص: ١٠٩/١.

(٣) ظاهرة القلب الإعرابي من الظواهر التي اعتنى بها الباحثون، ينظر: دراسة علي أحمد الكبيسي، ظاهرة القلب في الإعراب مفهومها، أنماطها، أثره في معنى التركيب، مجلة مركز الوثائق للدراسات الإنسانية، (الدوحة: العدد السابع، ١٩٩٥م).

يَجُوزُ ادِّعَاءُ الْقَلْبِ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ" (١) وقد وجد رأي مغاير لهم يميز وجوده في غير الضرورة، وينطلق منه في تفسير بعض القراءات القرآنية.

ففي القراءة الشاذة المتداولة لقوله تعالى: ﴿قَدَرُوا مَا قَدَرُوا﴾ (٢) قرأ عليّ وابن عباس والسلمي والشعبي وزيد بن علي وأبو عمرو في رواية الأصمعيّ «قَدَرُواها» مبنياً للمفعول، وجعله الفارسيّ من باب المقلوب قال: «كأنّ اللفظ: قَدَرُوا عليها. وفي المعنى قَلْب؛ لأنّ حقيقة المعنى أن يقال: قَدَرْتُ عليهم، فهي مثل قوله: ﴿لَتَتَوَّأ بِأَلْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ (٣)، ومثل قول العرب: "إِذَا طَلَعَتِ الْجُوزَاءُ أَلْقِي الْعُودُ عَلَى الْحَرْبَاءِ". (٤)

ويحمل عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٥)، فقد حمله الضحّاك والقراء على القلب، والمعنى (لكلّ كتابٍ أجلٌ)، إلا أن أبا حيان ردّ هذا القول، فقال: "وَلَا يَجُوزُ ادِّعَاءُ الْقَلْبِ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ، وَأَمَّا هُنَا فَمَعْنَى فِي غَايَةِ الصَّحَّةِ بِأَنَّ عَكْسَ وَلَا قَلْبٍ بَلْ ادِّعَاءُ الْقَلْبِ هُنَا لَا يَصِحُّ الْمَعْنَى عَلَيْهِ، إِذْ نَمَّ أَشْيَاءُ كَتَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى أَرْزِيئَةً كَالْجَنَّةِ وَنَعِيمَ أَهْلِهَا، لَا أَجَلَ لَهَا". (٦)

(١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ص: ٣٩٧/٦.

(٢) (الإنسان: ١٦).

(٣) (القصص: ٧٦).

(٤) ينظر: السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ص: ٥١٠/١٠.

(٥) (الرعد: ٣٨).

(٦) ينظر رأي الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد (المتوفى: ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (دار المصرية للتأليف والترجمة، ط ١)، ص: ٦٥-٦٦، وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ص: ٣٩٧/٦.

استئناف التقنين النحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

ومنه قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾،^(١) فقد ذهب أبو عمرو بن العلاء: "أنه من باب القلب. والأصل: خُلِقَ الْعَجَلُ من الإنسان لشدة صدور منه وملازمته له... وقد يتأيد هذا بقراءة عبد الله «خُلِقَ الْعَجَلُ من الإنسان» والقلب موجودٌ..... إلا أن بعضهم يُخَصُّه بالضرورة." ^(٢)

ووجه الأخفش قولهم: "كَلَّمْتُهُ فَاهُ إلى في"، بإعراب (فاه) على إسقاط الخافض، والأصل (من) فيه، وردّ هذا المبرد؛ لأنّ المعنى يفسد، فالإنسان إنما يتكلم من نفسه لا من غيره، وحمل ابن هشام كلام الأخفش على القلب". ^(٣)

فالأخفش حمله على القلب لفهم المعنى، وعليه، فإنّ أصل الكلام: كلمني من فيه إلى في، ثمّ حدث النزح -يعني نزع الجار - فصارت: كلمني فاه إلى في، والقلب - يعني القلب في كلمني - حيث قلب الفاعل مفعولاً، والمفعول فاعلاً". ^(٤)

إنّ هذه المنطلقات المعرفية التي أسهمت بتشكيل ظاهرة الاستئناف النحوي تؤكد أنّ العملية النحوية ليست جامدة مغلقة تعني بالافتراضات الذهنية فحسب، بل إنّها عملية متجدّدة متغيرة تسير على السواء باهتمام بالغ بالقياس والسماع والمعنى، وهي عملية وظيفية حيّة قامت على مبادئ اعتمد عليها النحاة في وضعهم للقواعد من جهة، وفي تعليلاتهم وتفسيراتهم للشواهد المستعملة والأنماط اللغوية المتداولة التي دفعتهم لاستئناف القول فيها من جهة أخرى.

(١) (الأنبياء: ٣٧).

(٢) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ص: ١٥٦/٨.

(٣) ينظر: ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف، (المتوفى: ٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، (دمشق: دار الفكر، ط ٦، ١٩٨٥م)، وأشار ابن يعيش إلى توجيه هذه المسألة: ينظر: ابن يعيش: أبو البقاء، موفّق الدين، شرح المفصل للزحشري (المتوفى: ٦٤٣هـ) قدّم له: إميل بديع يعقوب، (بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠١م)، ص: ١٥/٢-١٧.

(٤) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص: ٥٩٧.

المبحث الثاني: من مظاهر الاستئناف النحوي

من أهم مظاهر الاستئناف النحوي التي استطاعت الدراسة حصرها ما يأتي:

أولاً: التصنيف اللغوي للأقسام

انشغل النحاة منذ النشأة الأولى للدرس النحوي في وضع تقسيم شامل للكلام؛ فقسّموه إلى اسم وفعل وحرف، وانبروا لوضع الحدود الفاصلة بين كل قسم من هذه الأقسام، وتحديد الهوية الخاصّة بها، فوضعوا علامات فارقة لكل منها.

وانطلقت دراسة العلامات عند النحاة العرب من فكرة تقسيم الكلام التي تعدّ المحور الرئيس لها، وذلك لأن "عملية التقسيم تفرض وجودها على العقل وهي ظاهرة كلية ناقشها النحاة في كتبهم نقاشاً من مختلف جوانبها، ويصوّر عملهم مرحلة ضرورية تجريدية في الدرس النحوي وهي مرحلة تفسيرية مرهونة بما يقرّه نحو اللّغة من مبادئ وأحكام تحقّق الوحدات النحوية، والعلاقات التي بناها في النظام اللغوي، ولعلّ تحليل المكونات اللغوية المنسّقة إلى اسم وفعل وحرف يفضي إلى وضع نحو خاصّ بكل قسم على حده يختلف عن سائر الأقسام"^(١)

وتباينت وجهات نظر النحويين في تطبيق الأطر العلاماتية التي وضعوها لكل قسم من هذه الأقسام حتى كانت بعض الكلمات مدعاة للنقاش والترجيح والتأويل في بيان هويتها المعرفية أو تصنيفها ضمن قسم من أقسام الكلام؛ لذلك لا غرابة أن نجد أنّ من أهم مظاهر الاستئناف في التقنين النحوي هو التصنيف العلاماتي المرتبط بالأقسام اللغوية المستأنفة، فالعلاقة بين العلامة اللغوية ودلالاتها المعرفية علاقة تلازميّة تفضي إلى إحلال الكلمات ضمن أطرها التصنيفية التي ترّجح فيها الاسم، أو الفعلية، أو الحرفية باعتماد رئيس على مدى قبولها

(١) عاشور، المنصف، ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، (منوبة تونس: منشورات كلية الآداب،

ط٢، ٢٠٠٤م)، ص: ٤٣.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

للعلامة من عدميتها.

ويُعدُّ الشبه الشكليّ للكلمات من أهم الملامح التي دفعت اللغويين إلى الاستئناف؛ فهناك أنماط كثيرة تواضع عليها العلماء على أنها تصنّف في الإطار الاسمي، إلا أننا نجد آراء بعض العلماء بالخروج بها إلى دائرة الحرفية، ومما يثبت ذلك قول النَّحويين باسمية (مهما) لعود الضمير عليها في نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَاهُ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرَنَّ بِهَا﴾،^(١) إلا أنّ السهيلي عدّها حرفاً لا محل له بمعنى (إن)^(٢)، واستدلّ بقول زهير:^(٣)

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

وقد دفع النُّحاة رأي السهيلي بالاعتماد على علامة عود الضمير على ما قبله وهي علامة جوهرية من العلامات التي تنماز بها الأسماء. قال السيوطي في الأشباه والنظائر: "تبعنا جميع ما ذكره الناس من علامات الاسم، فوجدناها فوق ثلاثين علامة، وهي: الجر وحروفه، والتنوين، والنداء، وال، والإسناد إليه، وإضافته، والإضافة إليه والإشارة إلى مسماه، وعود ضمير إليه..".^(٤)

(١) (الأعراف: ١٣٢).

(٢) ينظر: المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الجني الداني في حروف المعاني تحقيق: فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م)، ص: ٥١١.

(٣) ينظر: الأعلام الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، (المتوفى ٤٧٦هـ)، شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، (بيروت: منشورات دار الآفاق الجديدة، ط٣، ١٩٨٠م)، ص: ٢٨.

(٤) السيوطي، الأشباه والنظائر في النَّحو، تح: عبد العال سالم مكرم، (مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٥م)، ص: ٨٣/٣.

وصرّح النحاة بهذه العلامة في معرض توجيههم للآية السابقة، وردّهم على قول السهيلي بحرفيتها: " الهاء من به عَائِدَةٌ عَلَيْهَا وَالضَّمِيرُ لَا يَعُودُ إِلَّا عَلَى الْأَسْمَاءِ " (١). وربما تنبّه إلى هذه القضية خليل عمارة، فبيّن دور الضمائر في تشكيل بنية الجملة، فقال: " تقتضي تراكيب العربية أن يعود الضمير على متقدّم ظاهرٍ، وهذا أمر يتسق مع طبيعة التذكّر، فإنّ الإنسان يخترن في ذهنه عادة ما يقوم بعدئذٍ بالإحالة إليه، وهذا ما عليه استعمال الضمير في العربية " (٢).

ومن الأنماط اللغوية التي وقع فيها الاستئناف نتيجة الشبه الوظيفي في العلامات لفظة (جير) قال ابن مالك: "جير حرف بمعنى نعم، لا اسم بمعنى حقاً، لأن كل موضع وقعت فيه جير يصلح أن تقع فيه نعم. وليس كل موضع وقعت فيه نعم يصلح أن تقع فيه حقاً فإلحاقها بنعم أولى. وأيضاً فإنّ لها شبيهاً بنعم لفظاً، واستعمالاً. ولذلك بنيت. ولو وافقت حقاً في الأسمية لأعربت، ولجاز أن يصحبها اللام، كما أنّ حقاً كذلك. " (٣)

فالناظر في توجيهات النحويين للفظ (جير) يلحظ أنّ عملية الشبه الوظيفي هي السبب في استئناف القول بحرفيتها أو اسميتها عند كلا الفريقين، فالتفاوت في التصنيف الشكلي للألفاظ أمر مقبول من الناحية التحليلية والاستعمالية للأنماط اللغوية، فقد ذكر ابن هشام في باب (جَيْر): "أَنَّهَا حَرْفٌ بِمَعْنَى نَعْمٍ، لَا اسْمٌ بِمَعْنَى حَقًّا، فَتَكُونُ مُصَدَّرًا." (٤)

(١) ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف، (المتوفى: ٧٦١هـ)، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دمشق: دار الخير، ط ١، ١٩٩٠م)، ص: ٤٠.

(٢) عمارة، خليل، آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، (عمّان: دار البشير، ط ١، ١٩٨٩م)، ص: ٧٧.

(٣) ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن عبد الله، (المتوفى: ٦٧٢هـ) شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، (مكة المكرمة: منشورات جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٩٨٢م)، ص: ٣٨٣/٢.

(٤) ينظر، ابن هشام، معني اللبيب، ص: ١٦٢، وينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص: ٣٥٧.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

فهذه التوجيهات وما تحمله من طرق الاستئناف تدلّ دلالة واضحة أنّ التصنيف اللغوي للأنماط اللغوية والتشابه الشكلي أو الوظيفي بينها من أهم المظاهر النَّحوية التي شكّلت دافعاً لدى النَّحويين لاستئناف الآراء.

ومن الملامح الأخرى المهمة التي شكّلت دافعاً مهمّاً عند النَّحويين في استئناف الرأي في باب التصنيف اللغوي للأنماط اللغوية النظر في البنية الاشتقاقية للأنماط؛ فثمة تجاذب بين الاسمية والفعلية يدور في كتب اللغويين حول تصنيف كلمة (تترا) في توجيههم لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾^(١) بسبب الاختلاف في توجيه بنيتها الاشتقاقية: "وتتراً مصدر بمنزلة فعلى مثل الدعوى والعدوى ونحوها، وليس تترى بفعل".^(٢) فهي على وزن فعلى، ومن استأنف وادّعى فعليتها، فقد رأى أنّها من باب: "تفعل".^(٣)

وقد ردّ ابن سيده الفعلية فيها اعتماداً على أصلها الاشتقائي، فقال: "ومن زعم أن تترى تفعل فقد غلط؛ لأنّه إذا حكم بزيادة التاء لم يكن ما بقي من الكلمة في معنى المواترة وإنما تترى من المواترة؛ لأن التاء أبدلت من الواو كما أبدلوها منها في توجع وتيقور"^(٤)، وإلى هذا ذهب ابن

(١) (المؤمنون: ٤٤).

(٢) ينظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠١م)، ص: ١٤٤/٤. و ينظر: ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، البديع في علم العربية، تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي الدين، (مكة المكرمة: منشورات جامعة أم القرى، ط ١، ١٤٢٠هـ)، ص: ٥٨/٢.

(٣) ينظر: ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، (دار الرسالة، ط ١ ٢٠٠٠م)، ص: ٢٥٧.

(٤) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١ ١٩٩٦م)، ص: ١٧٨/٤.

منظور، فقال: "وجاؤوا تترى وتترا أي متواترين، التاء مبدلة من الواو".^(١) ومما حمل أيضاً على أثر البنية الاشتقاقية في الاستئناف بتصنيف الأنماط اللغوية خلافهم في توجيه القراءة الشاذة ل: (كلا) بالتنوين في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾^(٢)، فقد قُرئت بالتنوين^(٣) إمّا على أنه مصدر (كل) إذا أعيأ أي كلوا في دعواهم وانقطعوا أو من الكل وهو الثقل أي حملوا كلا.^(٤) يقول السيوطي في ذلك: " (وزاد) لها قوم لما رأوا أن معنى الردع والزجر ليس مستمرا فيها معنى ثانياً يصح عليها أن يُوقف دونها ويبتدأ بها ثم اختلفوا في تعيين ذلك المعنى، فالكسائي قال تكون بمعنى حقاً أيضاً وزعمها مكي اسماً حينئذٍ كمرادفها ولأنها تنون في قراءة بعضهم: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾^(٥) وغيره. قال اشتراك اللفظ بين الاسم والحرفية قليل ومخالف للأصل ومحوج لتكلف دعوى علة لبنائها."^(٦)

وشكلت القرائن اللفظية منطقاً عند النحويين لاستئناف النظر في تصنيف الأنماط اللغوية، فقد يقترن باللفظ إحدى القرائن التي تدفع النحويين إلى رجوع النظر فيه وعندها يحصل الاستئناف.

ولعل من أبرز الأمثلة على دور القرائن اللفظية في تشكيل ظاهرة الاستئناف اقتران

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ)، ص: ٢٧٦/٥.

(٢) (مریم: ٨٢).

(٣) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ص: ٥٣٨/٧.

(٤) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص: ٢٥١.

(٥) (مریم: ٨٢).

(٦) السيوطي، همع الهوامع، ص: ٦٠١/٢.

استثناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغويّة، د. عمر محمد أبو نواس
الباء في لا النافية في قولهم: (جئت بلا زاد)، فقد زعم بعض النحاة أنّها اسم بمعنى (غير)؛
لدخول حرف الجر عليها. ومذهب الجمهور أنّها للنفي؛ وهي زائدة من حيث تخطى
حرف الجر لجر ما بعد (لا)، ولا يعني بالزائد، أن وجوده كعدمه.^(١)
وأكد فاضل السامرائي أنّها لا تطابق (غير) في المعنى؛ لأنّ استعمال (غير) يمكن أن
يعطينا أكثر من معنى، بخلاف استعمال (لا).^(٢)

ومّا يحمل على ذلك أيضًا اقتران اللام بكلمة (جرم)، نحو: قوله تعالى: ﴿لَا جَرْمَ
أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾^(٣). "وجرم فعل لا اسم وَمَعْنَاهُ وَجِبَ وَمَا بَعْدَهُ فَاعِلٌ وَقَالَ قَوْمٌ لَا زَائِدَةٌ وَجَرْمٌ
وَمَا بَعْدَهَا فَعَلٌ وَفَاعِلٌ كَمَا قَالَ قَطْرِبُ"^(٤)، ف (لا) عند الخليل وسيبويه ردٌّ، و(جرم) فعل
ماض فاعله (أن وما بعدها) المنسبك منهما المصدر، وأمّا الفراء وأصحابه، فذهبوا إلى أن
"جرم" اسم منصوب و"لا" على التبرئة، وهي عندهم بمعنى لا بدّ ولا محالة، ثمّ أكثر
استعمال العرب إياها حتى صارت بمعنى حقا.^(٥)

- (١) أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ارتشاف الضرب من لسان
العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، (القاهرة:
مكتبة الخانجي، ط ١، ١٩٩٨م)، ص: ٢١٤/٣.
- (٢) ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، (الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١،
٢٠٠٠م)، ص: ٣٦١/١.
- (٣) (النحل: ٦٢).
- (٤) ينظر: أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، التذييل والتكميل في
شرح كتاب التسهيل، تحقيق: حسن هندراوي، (الرياض: دار كنوز إشبيلية، ط ١، ٢٠١٣م)،
ص: ٤٠٩/١١.
- (٥) ينظر: ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر (المتوفى: ٦٤٦هـ)، أمالي ابن الحاجب،
دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، (الأردن: دار عمار ر، بيروت: دار الجليل،
١٩٨٩م) ص: ٢٣٣/١.

وأحياناً يكون اقتران اللفظة نفسها التي وقع عليها الاستئناف بغيرها من الألفاظ دافع الاختلاف في تصنيفها اللغوي، فقد رأى سيبويه وجمهور النحاة أن كلمة (أيمن) المختصة بالقسم اسم^(١)، في حين استأنف الزجاج والرماني هذا القول وذهبوا إلى أنها حرف جر.^(٢)

واستدلّ من ذهب إلى حرفيتها بدخولها على "الرب"، وهم لا يدخلون أيمن على الرب، فلو كانت بقية أيمن لما دخلت على الرب. وبأنها لو كانت بقية أيمن لكانت معربة؛ لأن المعرب لا يزيله عن إعرابه حذف شيء منه، فبناؤها على السكون دليل على حرفيتها وأنها ليست بقية أيمن.^(٣)

ولم تكن على الدوام القرائن اللفظية الدافع الوحيد للاستئناف، إذ يعتمد النحوي قرائن المعنى السياقي لاستئناف القول في التصنيف اللغوي للأتماط، ولعل أبرز ما يستدل به في ذلك قول الأصمعي بفعلية (أولى) في توجيهه لقوله تعالى: ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾^(٤) مع أنّ جمهور النحاة يؤكدون أنها اسم. قال السمين الحلبي "اختلف اللغويون والمعربون في هذه اللفظة، فقال الأصمعي: إنها فعلٌ ماضٍ بمعنى: قارب ما يُهلكه."^(٥)

وقد استحسّن ثعلب مذهب الأصمعي: فقال: "لم يقل أحدٌ في أوّل أحسن من

(١) ينظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (المتوفى: ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد

السلام محمد هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٣، ١٩٨٨م)، ص: ١٥٤/٤.

(٢) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعريب، ص: ١٣٦.

(٣) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ص: ٤٠٩/١١.

(٤) (محمد: ٢٠-٢١).

(٥) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ص: ٥٩٨/٩.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس
قول الأصمعيّ. ^(١)، وقال البغوي: معناه وَلَيْكَ وَقَرَبِكَ ما تكره ولكن الأكثرين على أنّه
اسم. ^(٢)

ومهما يكن من أمرٍ، فيستتب لنا أنّ الاستئناف الذي تكشفت أُطره بفعل النظر
إلى التصنيف اللغوي للأنماط اللغوية سار سيراً موازياً بين أقسام الكلام (القاعدة
التأسيسية)، والعلامات النَّحوية (القاعدة العملية) ضمن منهج علمي محكم يتعد عن
العشوائية ويتصل بالواقع اللغوي؛ لذلك وجدنا تعدّد مذاهب النحاة في استئناف القول في
التصنيف اللغوي للأنماط اللغوية المستعملة، فمنهم من اعتمد العلامات الشكلية في
التصنيف، ومنهم من اعتمد البنية الاشتقاقية، ومنهم من اعتمد القرائن اللفظية، ومنهم
من اعتمد القرائن المعنوية.

وعلى الجملة، فإنّ هذه الآراء شكل من أشكال الثراء اللغوي الذي يعكس دور
العقل النَّحوي على مرّ العصور في صناعة القاعدة وإعادة إنتاجها وتوجيهها برؤية جديدة
تنظر إلى الاستعمال اللغوي للأنماط من زوايا أخرى، فتكشف هذه الرؤى عن الطاقات
المتجددة في النظر النَّحوي التي انحرفت به من مواطن الاجترار أو الإعادة والتكرار إلى
مواطن الاستئناف وإعادة الإنتاج بالاعتماد على تقنيات إبداعية أخرى من تقنيات
الصناعة النَّحوية.

(١) ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (المتوفى: ٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير
عبد المحسن سلطان، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٦م)، باب الواو وما يثلاثهما، ص:
٩٣٦. وينظر: عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير: محمود
محمد شاكر، (القاهرة: دار الحديث، ص: ٦٥/٧).

(٢) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (المتوفى: ٥١٠هـ)، تفسير البغوي: معالم التنزيل
في تفسير القرآن تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١،
١٤٢٠هـ)، ص: ٢١٦/٤.

ثانياً: اختلاف المعنى الوظيفي

منذ بواكير الدرس النحوي سعى النحاة لتحديد المعاني الوظيفية للأنماط اللغوية المختلفة، فوضعوا قواعد خاصة لمعاني الأدوات وصنفوها وفق أطرها الاستعمالية وفق متطلبات السياق ومقتضياته، وقد تعددت معاني الأدوات وتنوعت وفق متطلبات التخاطب بين طرفي الخطاب، وهذا انعكس على دراستهم النحوية لها، فنجدهم يصنّفون الوظائف إلى وظائف تركيبية تعنى بتراكيب الجمل، ووظائف دلالية تعنى بدلالة الكلمة في السياق؛ فلكل تركيب وظيفة محدّدة تتحدد من خلال السياق الاستعمالي الذي يحقق الفائدة من الكلام.

ولم تختلف نظرة المعاصرين في نظرهم للمعاني الوظيفية للتراكيب، فقد اعتنت الدراسات الوظيفية المعاصرة بالمعنى ودوائره، فطفق الوظيفيون المعاصرون على تعريف النحو الوظيفي انطلاقاً من المعنى النحوي: "النحو الذي يبحث في تجاور الكلمات مع بعضها بعضاً بغرض تأدية المعنى النحوي والمعنوي معاً في رسالة كلامية معينة (الجملة) وهي التي يحسن السكوت عليها." (١)

إنّ الاهتمام بالمعنى الوظيفي جزء أصيل من العملية التعويدية، ولما كانت الفائدة الهدف الأسمى لعملية التواصل فلا ضير أن نجد المعاني تختلف من سياق إلى آخر، وتبعاً لهذا قد يتغيّر المعنى القواعدي للأداة اللغوية بسبب اختلاف مقتضيات السياق، يقول أبو المكارم: " ولما كانت اللغة دائمة الحركة صوتياً وصرافياً ونحوياً، فقد تغيّرت كثير من القواعد فيها بسبب تغيّر القوانين التحويلية على مرّ العصور ولكن هذا التغيّر ليس تغيّراً خاضعاً

(١) ينظر: صالح بلعيد، الإحاطة في النحو، النحو الوظيفي، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،

١٩٩٩م)، ص: ٦-٨.

استئناف التقنين النحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

للقوانين الإلزامية، بل إن كثيراً من القوانين اللغوية ذات سمّ اختياري. (١) وعليه، يلحظ أنّ النُّحاة في أصولهم التقعيدية وتوجيهاتهم النحوية للمعاني الوظيفية راعوا محورين أساسيين في تقنين معاني الأدوات والتراكيب تجلّت فيهما مظاهر الاستئناف النحوي:

أولاً: العامل ومحوريته في تحديد وظائف الأنماط:

تشكّل نظرية العامل العمود الفقري للمنظومة النحوية، فالتراكيب النحوية قائمة على العلاقة بين العوامل والمعمولات: "فرض النحاة وجود أطراف ثلاثة عناصر: العامل أي المؤثر أو المغيّر، والمعمول، أي المتأثر أو المتغيّر، والحركة المتغيرة في اللفظ أو في تقدير رمز عمل العامل في المعمول والدليل عليه." (٢)

ولم تسر نظرة النحاة للعوامل والمعمولات باتجاه واحد، فأحياناً يختلف توجيه النحوي للعامل تبعاً لاختلاف النمط التركيبي في السياق، وعندها تتعدد الرؤى ويتحرّك النحوي نحو رؤية خاصة للأنماط وفقاً لطبيعتها الاستعمالية التي ظهرت في هذا النمط المستحدث ولا يتفق مع القانون الأصلي للقاعدة.

فهذا التنوع الاستعمالي للأداءات اللغوية الذي أدى إلى تعدد الوظيفة للفظ الواحد أثار انتباه العلماء باكراً، وتجسّد في مجموعة من توجيهاتهم التي أثارت دافعتهم لاستئناف التوجيه النحوي، ولعلّ من أهم المظاهر التي يستدل بها على ما تقدّم عمل (لم) في الجملة وتحوّلها من عامل جزم إلى عامل نصب أو عامل رفع في بعض الأنماط اللغوية، فقد زعم

(١) ينظر: علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي، (القاهرة الحديثة، ١٩٦٨م)، ص: ٨٩-٩٢. وينظر أيضاً للمؤلف نفسه، تقويم الفكر النحوي، (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٥م)، ص: ٢١٧.

(٢) ينظر: يحيى عباينة، اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية، دار الكتاب النقابي، ط١، ٢٠١٦م، ص ٢٧.

الليحاني أنّ بعض العرب ينصب بها كقراءة بعضهم أبي جعفر^(١) في قوله تعالى: ﴿الْمَنْ نَشَرَ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٢)، ونحو قول الراجز:^(٣)

أَيَّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفِرُّ يَوْمٌ لَمْ يَقْدِرْ أَوْ يَوْمٌ قَدِرُ
وخرجا على أن الأصل: (نشرحن ويقدرن)، ثم حذف نون التوكيد الخفيفة وبقيت
الفتحة دليلا علىها وفي هذا شدوذان: توكيد المنفي بلم، وحذف النون لغير وقف ولا
ساكنين.^(٤)

وقد يرفع الفعل المضارع بعدها كقوله:^(٥)

لَوْلَا فَوَارِسُ مِنْ نَعَمٍ وَأُسْرَتِهِمْ يَوْمَ الصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُؤْفُونَ بِالْجَارِ
فَقِيلَ: ضُرُورَةٌ، وَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ لُغَةٌ.^(٦)

ومهما يكن من أمر في اختلاف التوجيهات النحوية لهذه الأنماط؛ فإنها تصوّر لنا

(١) ينظر: أبوحيان، البحر المحيط، ج ١٠ / ص ٤٩٩.

(٢) (الشرح: ١).

(٣) ينظر: ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٦٦٩هـ)،
ضرائر الشعّر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، (منشورات دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،
ط ١٩٨٠م)، ص: ١١٢.

(٤) ينظر: العيني بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، المقاصد النحوية في شرح
شواهد شروح الألفية تحقيق: علي محمد فاخر وغيره، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر
والتوزيع والترجمة، ط ١، ٢٠١٠م)، ص: ٤/١٩٤٢.

(٥) روي في بعض المصادر: من ذهل، وفي بعضها من قيس، وعند ابن مالك من نَعَم... ينظر:
ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن عبد الله (المتوفى: ٦٧٢هـ)، شرح التسهيل،
تحقيق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، (دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١،
١٩٩٠م)، ص: ٢٨/١.

(٦) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها، وينظر: ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعراب،
ص ٣٦٥. وفي ديوانه، (أن يأتي)، ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري
(ت ٢٧٥هـ)، دراسة وتحقيق د. أنور أبو سويلم و د. محمد علي الشوابكة، (الإمارات العربية
المتحدة: مركز زايد للتراث والتاريخ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ص: ٣٨٨.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

حقيقية متأصلة في الفكر النَّحوي تتجلى في أثر تحول الوظائف اللغوية للأدوات اللغوية في سياقاتها المتداولة على تغيّر التوجيهات النَّحوية واستئناف الأقوال المتفق عليها، ولسنا هنا في معرض ترجيح أو تأويل هذه الآراء إلا أنه يُستدل بها لبيان أثر تغيّر الأداء في استئناف الآراء النَّحوية، وهذه الاستعمالات تعكس مرونة القاعدة النَّحوية في التعامل مع الأنماط اللغوية المستعملة بشكل يغيّر الوظيفة الأساسية للتركيب اللغوي وعوامله ومعمولاته، كما يعكس على ثبات النظرية التقعيدية النَّحوية التي سمحت لهذه الأنماط الخارجة عن سلطان المكونات المتفق عليها في نظرية العامل من الجزم ب (لم) إلى النصب بها أو الرفع جنبًا إلى جنب وبالتوازي مع القاعدة الأصلية دون أن تؤثر في وجودها أو في شموليتها الكلية.

وظلّت آثار العامل ومحوريته تبرز في تحديد المعاني الوظيفية، وأثارت دافعيّتهم نحو القول بالجزم بأن، فقد ذكر بعض الكوفيين وأبو عبيدة أن بعضهم يجزم بأن ونقله اللحياني عن بعض بني صباح من ضبة وأنشدوا عليه قول امرئ القيس: (١)

إذا ما عدّونا، قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتنا الصبيد نخطب

فالاستئناف هنا في توجيه هذه الأنماط فرضته الطبيعة التداولية للغة ولأنماطها المستعملة في سياقاتها، ومع أنّ بعض النَّحويين استأنفوا القول على القانون النَّحوي الذي اعتمد عليه جمهور النحاة، وسار عليه القياس في عمل (أن) بالنصب في الأفعال، إلا أنّ هذه الأنماط التي تحوّلت فيها (أن) من عامل نصب إلى عامل جزم لم تقف عائقًا أمام النحاة، فقد كانوا قادرين على استيعابها ووضعها في أطر استئنافية، وتعاملوا معها باتجاهات مختلفة، وأصدروا بحقها الأحكام التي تفسّر التركيب اللغوي تفسيرًا سياقيًا يختص بهذه السياقات، فمنهم من وصفها بالندرة: "وإذا حكى الجزم بها الكوفيون، ومن البصريين اللحياني، وأبو عبيدة كان الأصح جواز ذلك لكنه قليل، ومنهم من أقرّ

(١) نظر: ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص: ٤٥.

باستعمالها لكنه وصفها بالدونية: وقال الرؤاسي: "فصحاء العرب ينصبون بأن، وأخواتها الفعل، ودونهم قوم يرفعون بها، ودونهم قوم يجزمون بها".^(١)

فصناعة النحو العام تبدأ باحتواء التباينات اللغوية، ثم تسعى إلى إقصاء أكبر قدرٍ منها باستخدام تقنية التشديد، والندرة، والقلة، والرداءة، والقبح وما شابه للوصول إلى نحو تعليمي مطرد إلى أقصى ما يمكن في قواعده ومعايره، مع الاحتفاظ بالاستثناءات اللغوية والتباينات في مبسوطات كتب النحو التعليمي والسعي إلى تفسيرها وتخريجها، وإن اختلف النحاة في تفسيرها وحواروا فيها.^(٢)

وقد يتغيّر العمل تبعاً لطبيعة اللواحق التي تقترن باللفظة، فتتحول الأداة لتؤدي معنى جديداً غير المعنى المتعارف عليه وعندها تكثر التوجيهات النَّحوية، فيكون هذا النمط عرضة للاستئناف لوروده في أنماط لغوية مستحدثة تعابر القاعدة الأصلية، فمثلاً اتصال ضمائر النصب والجر ب (عسى) فتح الباب على مصراعيه عند النحاة لاستئناف القول فيها؛ فتعددت وجهات نظرهم للطبيعة المستحدثة لعمل (عسى) في هذه الأنماط، ففي حين رأى سيبويه أنّ (عسى) في نحو: (عساي، وعسايك، وعسايه) تجري مجرى لعل في نصب الاسم^(٣) رأى الأَخْفَشَ وَابْنَ مَالِكِ أَنَّ الضَّمِيرَ فِيهَا مُسْتَعَارٌ، فَجُعِلَ مَكَانَ ضَمِيرِ الرَّفْعِ ضَمِيرِ النَّصْبِ وَهُوَ فِي مَحَلِّ رَفْعِ نِيَابَةِ عَنِ الْمَرْفُوعِ كَمَا نَابَ ضَمِيرُ الرَّفْعِ عَنِ

(١) ينظر: ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد (المتوفى: ٧٧٨ هـ)، تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وغيره، (القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، ١٤٢٨ هـ)، ص: ٤١٣٦/٨.

(٢) ينظر: حسن خميس الملح، العادات اللغوية في العربية، (إربد- الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠٢٠ م)، ص: ٢٩.

(٣) ينظر: سيبويه، الكتاب، ص: ٣٧٥/٢.

استثناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغويّة، د. عمر محمد أبو نواس

ضمير النصب والجر في قَوْلهم أكرمك أنت. (١)

وأثرت العوامل المحذوفة وتقديراتها وتأويلاتها أيضًا في المعاني الوظيفية للأداءات اللغوية، وشكّلت مدخلا للاستثناف عند بعض النَّحويين، ومن المسائل التي تجاذبت فيها آراء النَّحويين مسألة حذف اللام الناصبة وبقاء عملها وورد ذلك في قَوْل الشاعر: (٢)

فَلَا تَسْتَطِلْ مِنِّي بِقَائِي وَمُدَّتِي وَلَكِنْ يَكُنْ لِلْحَيْرِ مِنْكَ نَصِيبُ
أَي: لِيَكُنْ.

فمنهم من رأى أنه خاص بلغة الشعر، ومنع المبرد حذف اللام وإبقاء عملها حتّى في الشّعر. (٣) ومّا يستدل عليه هنا، خلافهم في العامل بالاسم المجرور برب المحذوفة بعد الفاء، نحو قول امرئ القيس: (٤)

فمثلك حُبلى قد طرقتُ ومُرضعًا فألهيئتها عن ذي تائم مُغيل

ففي حين وجّه جمهور النحاة هذا الشاهد على أنّ الاسم مجرور برب المحذوفة، وهي العامل الحقيقي فيه، استأنف المبرد القول عليهم ورأى أنّ الفاء هي الجارة للاسم (٥). إن رأي المبرد يثبت أنّ الفكر النَّحوي سار باتجاهين: اتجاه قياسي يعنى بكلية القاعدة وشموليتها ويراعي أبعاد أطرافها في قوالب تركيبية محدّدة ويعلي من الشأن الثبات في العوامل والمعمولات حتى لو اضطرهم إلى الميل إلى التأويل والتقدير على نحو ما رأينا في

(١) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل، ص: ٣٩٧/١.

(٢) ينظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (المتوفى: ٣٩٢ هـ) سر صناعة الإعراب، (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٠م)، ص: ٦٩/٢.

(٣) ينظر: المبرد، المقتضب، ص: ١٣٢/٢-١٣٣.

(٤) ينظر: امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار المعارف، ط ٥)، ص: ١٢.

(٥) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص: ٢١٣.

تقديرهم لحرف الجر (رب) المحذوف بعد الفاء في الشاهد السابق. واتجاه آخر يعنى بالاستعمال وسياقه ولا يرى حرجًا في الخروج عن قدسية القاعدة وتواترها ووضع قواعد جديدة تتناسب والاستعمال اللغوي، وتبتعد عن التقدير والتأويل الذي تفرضه سلطة العامل، ويتجلى هذا الاتجاه باستئناف المبرد القول على النحويين وتوجيهه للشاهد السابق بتحديد الفاء عامل جر في الاسم.

ثانيًا: تحوّل وظائف الأدوات وفق مقتضيات السياق

لا شك أنّ المنظومة النحوية اهتمت بالسياق ودلالته، وانصب اهتمام النحويين على فهم الأنماط المستعملة في سياقاتها التداولية، وفي العصر الحديث سعى اللغويون إلى تحديد ما يتلفظ به المتكلم انطلاقًا من سياق التلفظ^(١)، لذلك رأى هاليداي: " أن السياق جزء من التخطيط الكلي.. وليس هناك انفصال بين ماذا تقول، وكيف تقول اللغة. إنما تكون اللغة عن طريق الاستعمال في سياق الحال وكل ما فيها مرتبط بالسياق."^(٢)

ونظرًا إلى أهمية الأدوات في تشكيل المعنى التركيبي للجمل، فقد نظر النحاة الأوائل إلى تعدد معانيها نظرة إدراك ووظيفة، وركزوا على الفائدة المتحققة من الأداة وفق سياقها التركيبي الداخلي، ولذلك اختلفت توجيهاتهم لمعانيها حتى شكّلت تلك المعاني مدخلا عندهم لاستئناف التوجيه النحوي في وظائفها ودلالاتها. وليس أدلّ على ذلك من قول بعض النحويين استئنافًا بمجيء (كَيْفَ) عاطفة،

(١) ينظر، يوسف تغزاي الوظيفة في الفكر اللغوي القديم: التجليات والمبادئ، بحث منشور في كتاب اللسانيات الوظيفية، إشراف وتحرير، حسن خميس الملخ، (إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٨)، ص: ٢٤١.

(٢) ينظر، يحيى أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، (مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٠، العدد ٣، أكتوبر، ١٩٨٩م)، ص: ٨٣.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

وَمَمَّنْ زَعَمَ ذَلِكَ هِشَامَ الضَّرِيرِ وَأَنْشَدَ عَلَيْهِ: (١)

إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ لَأَنْتَ فَنَاتُهُ وَهَانَ عَلَى الْأَذْنَى فَكَيْفَ الْأَبَاعِدِ
وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: " هَذَا خَطَأٌ لِاقْتِرَانِهَا بِالْفَاءِ وَالْجَرِّ بِإِضَافَةٍ مُبْتَدَأٌ مَحْدُوفٌ أَيَّ فَيَكْفِ
حَالَ الْأَبَاعِدِ. " (٢)

فهذه التوجيهات المستأنفة التي رأت العطف في (كيف) يمكن أن تصنّف من باب الاستئناف المخصّص بسياق ما، فقد رأى من ذهب إلى هذا القول من النحاة أنّ سياق الشاهد الشعري السابق يتقبّل أداءها لوظيفة العطف وفقاً للسياق الذي وردت فيه، وهو تفكير يعكس أهمية الوظيفة النَّحوية للأدوات في سياقاتها المخصصة - على الرغم من رفض فريق آخر من النحاة لهذا القول - اعتمد فيه على مكونات الاستعمال وفق مقيدات محدّدة، ولم يركنوا فيه إلى عناصر القياس المطلق أو الاطراد الحر.

ومّا يحمل على ذلك أيضاً استئناف بعض النَّحويين القول في وظيفة (ليس) وذهابهم إلى جواز مجيئها حرف عطف، واستدلّوا على ذلك بقول الراجز: (٣)

أَيْنَ الْمَفْرُ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ..... وَالْأَشْرُمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ
وَخَرَجَ عَلَى أَنْ الْغَالِبِ اسْمُهَا وَالْحَبْرُ مَحْدُوفٌ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ ضَمِيرٌ مُتَّصِلٌ عَائِدٌ عَلَى
الْأَشْرَمِ أَيَّ لَيْسَ الْغَالِبِ. (٤)

وَمَمَّنْ نَقَلَ أَنَّهَا حَرْفٌ عَاطِفٌ عِنْدَ الْكُوفِيِّينَ ابْنُ بَابِشَادٍ وَالنَّحَاسُ وَابْنُ مَالِكٍ،
وَحَكَاهُ ابْنُ عَصْفُورٍ عَنِ الْبَغْدَادِيِّينَ. (٥)

(١) ينظر، السيوطي، همع الهوامع، ج٣/ ص ٢١٩. وينظر: شوقي ضيف: المدارس النَّحوية، ص: ١١٩.

(٢) ينظر، ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ص: ٢٧٣.

(٣) ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ص: ١٢٣٣/٣.

(٤) ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ص: ١٢٣٣/٣.

(٥) ينظر: المرجع نفسه.

ولسنا هنا بصدد ترجيح أحد القولين، ولكننا نلنفت إلى ملمح في غاية الأهمية تعكسه هذه المسألة يتمثل بتلازم المعنى الاستعمالي الذي يعتمد عليه النحاة جنباً إلى جنب مع المعنى القياسي، فالنحاة الذين استأنفوا القول بوظيفة (ليس) وتوجيههم لها بمجيئها حرف عطف لم يركنوا إلى القياس وأركانه، وإنما اعتمدوا على السياق الذي يتقبل أن تؤدي (ليس) في هذين السياقين وظيفة العطف بعيداً عن معيارية القواعد وتأويلاتها وتقدير الحذف فيها، فالاستئناف هنا استئناف سياقي تداولي مخصص مقيد بسياق محدد يؤدي الفائدة من الكلام دون اللجوء إلى التقدير والتأويل.

مراجعة أحكام التقويم النحوي:

يعدُّ الحكم النحوي مناط العملية التقعيدية، وقد ارتبط الحكم النحوي في بدايات نشأة النحو العربي بالعلاقة بين القياس والسمع: "الحكم النحوي لا يبني في تصوّر النحاة على الظواهر التي تؤيده، وإنما يمتدّ عن الفكرة الذهنية للقياس النحوي." (١) وسارت الأحكام اللغوية عند النحاة وفق نوعين من الإجراءات: إجراءات تأسيسية لتنظيم الأحكام، تتمثل في إجراءات التحديد والتصنيف والترجيح؛ إذ تؤسس الأحكام وتصنفها، وتبين أوجهها. وإجراءات تكميلية لتفسير الأحكام، وتتمثل في إجراءات الترجيح والتفسير أو التعليل والتأويل على اختلاف صوره، وهي المرحلة الأخيرة التي ينتهي بها الاستدلال اللغوي. (٢)

وبُنيّ الدرس النحوي على الكثير من الأحكام النحوية مما تمخض عن هذا الدرس كم هائل من الأحكام التقويمية النحوية، فهذه الأحكام من أحكام القبول أو الرد القطعي

(١) ينظر: علي أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص: ١٣٣.

(٢) ينظر: محمد عبد العزيز عبد الدايم الرفاعي، أصول النحو العربي النظرية والمنهج: بناء معاصر لعلم الاستدلال اللغوي، (مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط١، ٢٠١٩م)، ص: ١٠٣.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس
أو غير القطعي كانت نتاجًا واضحًا في مصنفات النحاة الأوائل بدءًا من سيبويه حتى
السيوطي ومن تلاه.^(١)

وقد ظلَّت الأحكام النَّحوية تدور في دائرة التجاذب في الفكر النَّحوي بين النحاة
أنفسهم على مرَّ العصور حتى دفعت كثيرًا منهم لاستئناف القول فيها، وإعادة النظر في
المكوّنات التي شكّلت بعضها فتداولوها بالقبول والرفض والمناقشة والتعليل والتفسير.
وأتسعت دائرة الحكم بالغلط والخطأ في الدرس النَّحوي مع تقدّم البحث اللغوي
وأتساع التأليف في النحو، ورافق هذا الاتّساع تنوّع في المصطلحات التي تؤدي معنى
الغلط وترادفه دلالة، وهذا يدخل في باب الأحكام التقويمية التي كان يصدرها اللغويون
بحق النصوص المستعملة، أي الأداء اللغوي أو بعض الأحكام اللغوية للنحاة الآخرين،
ومن هذه المصطلحات اللَّحن، والوهم، والشذوذ، والفساد، والقبيح، والمنكر، وغيرها.^(٢)
وقد تجلّت مظاهر الاستئناف في الأحكام النَّحوية وفق محورين:

أولاً: استئناف تقعيدي: يعني هذا النوع بمراجعة الأحكام والقواعد اللغوية التي
تتعلق بأصل وضع القاعدة، وإعادةّها إلى أصلها، فالمقرّر عند جمهور النَّحويين أنّ فعل
الأمر مبنيّ وليس مجزومًا، ولكننا لا نعدم من استأنف القول في هذه القاعدة، وذهب إلى
القول بجزومه؛ ممّا دفع بعض النَّحويين إلى مراجعة هذا الاستئناف والحكم عليه بالغلط:
"قَوْلُكَ لِيَقُمْ زيد ليذهب عبد الله تقول زرني ولأزرك، فتدخل اللّام لأنّ الأمر لك، فأما إذا
كَانَ الْمَأْمُورَ مُخَاطَبًا، ففعله مبنيّ غير مجزوم، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: أَذْهَبَ انْطَلَقَ. وَقَدْ كَانَ قَوْمٌ

(١) ينظر: نزار بنيان الحميداوي، الأحكام التقويمية في النحو العربي، (لبنان: دار الكتب العلمية،
ط ٢٠١١م)، ص: ٧.

(٢) ينظر: أحمد رحمان، ظاهرة الغلط في الدرس النَّحوي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة
ماجستير، (الأردن: جامعة مؤتة، ٢٠١٣م)، ص: ١٩-٢٤. وينظر: سيف الدين طه الفقراء،
رؤى غائبة في النحو العربي، (عمان: دار جرير للنشر والتوزيع، ط ٢٠١٩م)، ص: ١١٥.

من النَّحْوِيِّينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ هَذَا مَجْزُومٌ، وَذَلِكَ خَطَأٌ فَاحِشٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِعْرَابَ لَا يَدْخُلُ مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَّا فِيمَا كَانَ مُضَارِعًا لِلْأَسْمَاءِ. (١)

ومَّا يَحْمِلُ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ التَّقْعِيدِيَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْأَنْبَارِيُّ مُسْتَأْنَفًا الْقَوْلَ عَلَى الْكَسَائِي فِي مَذْهَبِهِ فِي تَحْدِيدِ الْعَامِلِ فِي الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمَرْفُوعِ وَالْحُكْمِ بِفَسَادِهِ، فَفِي حِينِ رَأَى الْبَصْرِيِّونَ أَنَّ الْعَامِلَ فِيهِ: "أَنَّهُ يَرْتَفِعُ لِقِيَامِهِ مَقَامَ الْأِسْمِ، فَقَدْ رَأَى الْكُوفِيِّونَ أَنَّ الْعَامِلَ فِيهِ: "التَّعْرِيفُ مِنَ الْعَوَامِلِ النَّاصِبَةِ وَالْجَازِمَةِ"، وَقَدْ ذَهَبَ الْكَسَائِيُّ إِلَى أَنَّ الْفِعْلَ الْمُضَارِعَ يَرْتَفِعُ بِالزَّائِدِ فِي أَوَّلِهِ. (٢)

وقد استأنف أبو البركات الأنباري القول على رأي الكسائي وحكم بفساده، فقال: "وأما قول الكسائي "إنه يرتفع بالزائد في أوله" فهو قول فاسد. (٣)

ومن ذلك ما حكم به ابن يعيش في رده على الكوفيين مذهبهم إجازة رفع المبتدأ بالخبر ورفع الخبر بالمبتدأ، فقال: "وهو فاسد؛ لأنه يؤدي إلى محال، وذلك أن العامل حقه أن يتقدم على المعمول. (٤)

واستأنف السمين الحلبي القول على أبي البقاء في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ (٥) فقال: وجعله "قاتلوا" حالاً من "تعالوا" فاسد؛ لأن الجملة الحالية يشترط أن تكون خبرية وهذه طلبية. (٦)

فهذه المسائل التي تصنّف ضمن دائرة الاستثناف التقعيدي وأثره في الأحكام النحوية وردّ الكثير منها يرجع إلى الذهنية النحوية التي كانت تعلي من شأن القياس

(١) ينظر: المبرد، المقتضب، ص: ١٣١/٢.

(٢) ينظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين، ص: ٤٤٨/٢.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ص: ٤٥٠/٢.

(٤) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ص: ٢٢٢/١.

(٥) (آل عمران: ١٦٧).

(٦) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ص: ٤٧٦/٣.

استثناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغويّة، د. عمر محمد أبو نواس
ومعياريته في تقرير الأحكام النَّحوية، وعدم الالتفات إلى الآراء المخالفة له ولو كانت هذه
الأحكام تستند إلى أنماط مستعملة إلا أنّها لم تحقق المقبولية المعيارية المقيسة لذلك حُكِمَ
عليها بالغلط أو الخطأ أو الرداءة أو البطلان أو الفساد.

ثانياً: الاستثناف المعنوي: ويُعنى هذا المحور بالالتفات إلى معاني الجمل ودلالاتها
في ردّ الأحكام اللغوية، فالنحاة لم يركنوا إلى الشكل فقط، وإمّا التفتوا إلى المعاني التركيبية
للجمل وبنوا أحكامهم بالاعتماد عليها، فكان المعنى أحد الجسور المهمة التي تدفع
النَّحوي نحو استثناف الأحكام وعدم قبولها.

إنّ كثيراً من مصطلحات الأحكام النَّحوية وأوصافها التي شاعت وانتشرت في
كتب النحاة انبثقت من عنايتهم بالمعاني على وجه الخصوص التي شكّلت فيما بعد
مدخلاً للاستثناف، فالحكم بالمحال على سبيل التمثيل لا الحصر هو حكم معنوي ينطلق
من مدى الفائدة في الكلام، وهذا ما ذهب إليه خديجة الحديثي: " المحال عند سيبويه ما
لا يمكن وقوع معناه." (١)

ومّا يستدل عليه بالحكم بالمحال استثناف هشام الضرير على النَّحويين قولهم بجواز
قول القائل: " أعطيت درهمه زيدا فيه خلاف: ذهب البصريون إلى جواز ذلك لأن النية به
التأخير لأنه مفعول ثان، فهو نظير ضرب غلامه زيد؛ إذ أصله: ضرب زيد غلامه،
وذهب هشام إلى منع ذلك، قال هشام: محال أعطيت ثوبه زيدا؛ لتقدم المكني قبل زيد؛
لأن العامل في الثوب غير وصف زيد." (٢)

واعتماداً على المعنى حكموا بالغلط على بعض التوجيهات واستأنفوا القول مراعاة
للفائدة، ومّا يستدل به على ذلك توجيه الرّجاج لقوله تعالى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ

(١) ينظر: خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، (الكويت: مطبوعات جامعة

الكويت، ١٩٧٤م)، ص: ٢٨٨

(٢) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ص: ٣٢/٧.

مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ﴿١﴾ (فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ)، وقال بعض النحويين أن الواو مسقطه - قال المعنى فلن يقبل من أحدهم مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا لو افتدى به - وهذا غلط؛ لأن الفائدة في الواو بينة وليست الواو مما يلغي. (٢)

إن هذه الأحكام ما هي إلا مفاهيم نسبية ومعيارية، فهي نسبية؛ لأن مضمونها يتأثر بعوامل الزمان والمكان، وتختلف باختلافهما. ومعيارية؛ لأنها تحدد بالقياس إلى معيار نموذجي. (٣)

وهكذا شكَّلت الأحكام النحوية مدخلا واسعا لدى النحاة للاستئناف، فقد كانت الأحكام تدور في فلك حلقة التواصل بين القاعدة النحوية بما تتضمنه من عوامل ومعاملات وبين المعاني التي تؤديها التراكيب المختلفة، ولذلك وازن النحاة بين القوانين النحوية والمعاني واعتمدوا على التأويل قَصْدَ بناء قواعدهم اللغوية التي تحافظ على سلامة المعاني التركيبية للأتماط والأداءات المستعملة، ولذلك نلحظ من دراستنا لظاهرة الاستئناف تفاوتاً في أحكامهم على مستوى المقاييس أو على مستوى السماع وفق درجات من الأفضلية والمقبولية، فقد يحقق النمط المقبولية الاستعمالية، ولكنه لا يحقق الأفضلية لبعده عن القياس، وفي ظل هذا التفاوت تفاوتت مصطلحات الأحكام لديهم؛

(١) (آل عمران: ١٦٧).

(٢) ينظر: الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل (المتوفى: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي، (بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٨م)، ص: ٤٤١/١.

(٣) ينظر: حنان بنت أحمد الراجحي، الأحكام المعيارية في التقعيد النحوي بين ابن جني وابن هشام، دراسة نظرية تطبيقية (حكم الراجح أنموذجاً)، (مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية، المجلد العاشر، شعبان ١٤٣٤هـ/يونيو ٢٠١٢م)، ص: ١٨٩-٢٠٨.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغويّة، د. عمر محمد أبو نواس

فظهر عندهم كما لاحظنا أنّما الحكم بالفساد، والباطل، والمحال، والخطأ، والغلط... وغيرها من الأحكام التي كشفت ظاهرة الاستئناف أنّها أحكام نسبية قابلة للقبول بها أو ردّها في ضوء قدرة النَّحوي على التّأويل والتوجيه ووفق إمكاناته الإبداعية التي تؤهله على توظيف تقنيات الصنعة النَّحوية وأدلتها: من قياس، وسماع، وتعليل، واستصحاب، واستحسان للخروج بحكم مستأنف على الأحكام السابقة له.

الخاتمة

- لعلّ أهمّ ما يمكن استخلاصه من نتائج علميّة يتمثّل بما يأتي:
- يُقصد بمصطلح استئناف التقنين: معاودة النظر في القواعد الكلية والجزئية في الظواهر اللغوية والانتقال بها من قانون إلى قانون بعد قبول الأنماط اللغوية الصحيحة على ما فيها من انحراف أو انزياح عن المعايير العامة.
 - سارت ظاهرة الاستئناف في مسارين: أولهما: المعرفة النحوية بقوانين النحو وآليات تعقيده. وثانيهما: الدراية بمستندات القوانين على تنوعها.
 - يعكس الاستئناف شمولية الفكر النحوي، كما يعكس تمثله الصادق لمستويات التعدّد والتباين في الأداءات اللغوية المقبولة في العربيّة، ولهذا يعدّ عنصر قوة في الفكر النحوي لا عنصر ضعف؛ ذلك أنّ القوانين النحوية استنباطات صادقة من تتبّع كلام العرب.
 - تجلّت المنطلقات المعرفية لهذه الظاهرة في: التفاوت في القياس والسماع، والتباين في الأداء في اللهجات والقراءات، والتنوّع في توجيه المعاني التركيبية.
 - تكشّفت أطر الاستئناف بفعل النظر إلى التصنيف اللغوي للأنماط اللغوية الذي سار بشكلٍ متوازٍ بين أقسام الكلام (القاعدة التأسيسية)، والعلامات النحوية (القاعدة العلمية) ضمن منهج علمي محكم يبتعد عن العشوائية ويتصل بالواقع اللغوي؛ لذلك وجدنا تعدّد مذاهب النحاة في استئناف القول في التصنيف اللغوي للأنماط اللغوية المستعملة، فمنهم من اعتمد العلامات الشكلية أو الوظيفية في التصنيف، ومنهم من اعتمد البنية الاشتقاقية، ومنهم من اعتمد القرائن اللفظية، ومنهم من اعتمد القرائن المعنوية.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغويّة، د. عمر محمد أبو نواس

- تدلّ ظاهرة الاستئناف على الأعمال المستمرّ للعقل النَّحوي في صناعة القاعدة النَّحوية وإعادة إنتاجها وتوجيهها برؤى جديدة تعيد النظر في التوزيع الكمي لظواهر العربيّة وتفسيرها.
- تبين أنّ النحاة في أصولهم التقعيدية وتوجيهاتهم النَّحوية للمعاني الوظيفية راعوا محورين أساسيين في تقنين معاني الأدوات والتراكيب تجلّت فيهما مظاهر الاستئناف النَّحوي، وهما: العامل ومحوريته في تحديد وظائف الأنماط: وتحوّل وظائف الأدوات وفق مقتضيات السياق.
- نلاحظ من دراستنا ظاهرة الاستئناف وعلاقتها بالأحكام النَّحوية تفاوتاً في أحكامهم على مستوى المقاييس أو على مستوى السماع وفق درجات من الأفضلية والمقبولية، فقد يحقّق النمط المقبولية الاستعمالية، ولكنه لا يحقق الأفضلية لبعده عن القياس، وكشفت ظاهرة الاستئناف أنّها أحكام نسبية قابلة للقبول بما أو ردّها في ضوء قدرة النَّحوي على التأويل والتوجيه ووفق إمكاناته الإبداعية التي تؤهله في توظيف تقنيات الصناعة النَّحوية وأدلتها: من قياس، وسماع، وتعليل، واستصحاب، واستحسان للخروج بحكم مستأنف مستمدّ من الأحكام السّابقة.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد (المتوفى: ٦٠٦ هـ)، **البدیع في علم العربية**، تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي الدين، مكة المكرمة: منشورات جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ابن الحاجب، أبو عمرو جمال الدين عثمان بن عمر (المتوفى: ٦٤٦ هـ)، **أما لي ابن الحاجب**، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، عمان، الأردن: دار عمار، بيروت: دار الجيل، ١٩٨٩م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي (المتوفى: ٣٩٢ هـ) **سر صناعة الإعراب**، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٠م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (المتوفى: ٣٩٢ هـ)، **المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، مصر: منشورات وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط١، ١٩٩٩م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢ هـ)، **الخصائص**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٤.
- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، القاهرة: دار الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٦٦٩ هـ)، **ضرائر الشعر**، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، منشورات دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٠م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢ هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠١م.

- استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغويّة، د. عمر محمد أبو نواس
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (المتوفى: ٣٩٥هـ)، **مجمّل اللغة**، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٦م.
- ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن عبد الله (المتوفى: ٦٧٢هـ)، **شرح التسهيل**، تحقيق: عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٠م.
- ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين محمد بن عبد الله، (المتوفى: ٦٧٢هـ) **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٩٨٢م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- أبو المكارم، علي، **تقويم الفكر النَّحوي**، القاهرة: دار غريب، ٢٠٠٥م.
- أبو المكارم، علي، **الظواهر اللغوية في التراث النَّحوي**، القاهرة: القاهرة الحديثة، ١٩٦٨م.
- أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٩م.
- أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، **التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، تحقيق: حسن هنداوي، الرياض: دار كنوز إشبيلية، ط١، ٢٠١٣م.

الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، (المتوفى: ٤٧٦هـ)، شعر
زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت: منشورات دار الآفاق
الجديدة، ط٣، ١٩٨٠م.

الأنباري، أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٥٧٧هـ)، نزهة الألباء
في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الأردن: مكتبة المنار، ط٣،
١٩٨٥م.

الأنباري، أبو البركات، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (المتوفى: ٥٧٧هـ)، الإنصاف في
مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد
الحميد، القاهرة: مطبعة السعادة، ط٤، ١٩٦٦م.

البعوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد (المتوفى: ٥١٠هـ)، تفسير البعوي: معالم
التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث
العربي، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

بلعيد، صالح، الإحاطة في النحو، النحو الوظيفي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،
١٩٩٩م.

تشومسكي: اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة: حمزة بن قبلان المزيني، الدار البيضاء،
المغرب: دار توبقال، ط١، ١٩٩٠م.

جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة: حلمي خليل، الإسكندرية: دار المعرفة
الجامعية، ط١، ١٩٨٥م.

الحديثي، خديجة، الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، الكويت: مطبوعات جامعة
الكويت، ١٩٧٤م.

حسّان، تمام، الأصول دراسة إستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، القاهرة: عالم
الكتب، ٢٠٠٠م.

استئناف التقنين النَّحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس

الراجحي، حنان بنت أحمد، الأحكام المعيارية في التقعيد النَّحوي بين ابن جني وابن هشام، دراسة نظرية تطبيقية (حكم الراجح أمودجًا)، الشارقة: مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية، عدد شعبان ١٤٣٤هـ/ يونيو ٢٠١٢م.

رحمان، أحمد، ظاهرة الغلط في الدرس النَّحوي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، الأردن: جامعة مؤتة، ٢٠١٣م.

الرفاعي، محمد عبد العزيز عبدالدايم، أصول النحو العربي النظرية والمنهج: بناء معاصر لعلم الاستدلال اللغوي، مركز النشر العلمي، السعودية: جامعة الملك عبد العزيز، ط١، ٢٠١٩م.

الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل (المتوفى: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٨م.

الزهراني، علي محمد بن سعيد، موقف أبي حيان الأندلسي من متقدمي النحاة حتى أوائل القرن الرابع الهجري من خلال تفسيره البحر المحيط (جمعًا ودراسة)، رسالة دكتوراه، السعودية: جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق: دار القلم.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (المتوفى: ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٩٨٨م.

السيوطي، الأشباه والنظائر في النَّحو، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٥م.

- شاهين، تهامة، ظاهرة الاستئناف من الاستئناف النحوي إلى الاستئناف البياني، رسالة ماجستير، سوريا: جامعة تشرين، ٢٠١٦-٢٠١٧م.
- صاحب أبو جناح، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، عمان - الأردن: دار الفكر، ط١، ١٩٩٨م.
- الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٧م.
- ضيف، شوقي، المدارس النحوية، مصر: دار المعارف، ط٧، (د. ت) عاشور، المنصف، ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، منوبة تونس: منشورات كلية الآداب، ط٢، ٢٠٠٤م.
- عبد الرحمن حاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة (مفاهيمها الأساسية)، كراسات المركز سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، العدد الرابع، ٢٠٠٧م.
- عضيمة، محمد عبد الخالق، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، تصدير: محمود محمد شاكر، القاهرة: دار الحديث.
- عمارة، خليل، آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث، عمان، الأردن: دار البشير ط١، ١٩٨٩م.
- عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- العيني بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى (المتوفى ٨٥٥ هـ)، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية، تحقيق: علي محمد فاخر وغيره، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط١، ٢٠١٠م.

- استئناف التقنين النحوي في ضوء الاستعمال التداولي للأنماط اللغوية، د. عمر محمد أبو نواس
الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (المتوفى: ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف
النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشليبي، دار المصرية للتأليف
والترجمة، ط ١.
- الفقراء، سيف الدين طه، رؤى غائبة في النحو العربي، عمّان: دار جرير للنشر والتوزيع،
ط ١، ٢٠١٩م.
- الكبيسي، علي أحمد، ظاهرة القلب في الإعراب مفهومها، أنماطها، أثره في معنى التركيب،
الدوحة: مجلة مركز الوثائق للدراسات الإنسانية، العدد السابع، ١٩٩٥م.
- المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق
عظيمة، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٩٩٤م.
- المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الجنى الداني
في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، بيروت- لبنان: دار
الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٢م.
- الملخ، حسن خميس، العادات اللغوية في العربية، إربد: عالم الكتب الحديث، الأردن،
ط ١، ٢٠٢٠م.
- النحاس، مصطفى، الاستئناف النحوي ودوره في التركيب، القاهرة: مجلة مجمع اللغة
العربية، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، مج ٨، ج ٦٥.
- ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد (المتوفى: ٧٧٨هـ)، تمهيد القواعد بشرح تسهيل
الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وغيره، القاهرة: دار السلام للطباعة
والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١، ١٤٢٨هـ.
- الحמידاوي، نزار بنيان، الأحكام النجومية في النحو العربي، لبنان: دار الكتب العلمية،
ط ١، ٢٠١١م.

ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف، (المتوفى: ٧٦١هـ)، مغني اللبيب
عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دمشق: دار الفكر،
ط٦، ١٩٨٥م.

ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف، (المتوفى: ٧٦١هـ)، شرح قطر
الندى وبل الصدى، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دمشق: دار الخير،
ط١، ١٩٩٠م.

أحمد، يحيى، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٠، العدد ٣،
أكتوبر، 1989م.

عبابنة، يحيى، اللغة العربية بين القواعدية والمتبقي في ضوء نظرية الأفضلية، دار الكتاب
الثقافي، ط١، ٢٠١٦م.

ابن يعيش، أبو البقاء، موفق الدين (المتوفى: ٦٤٣هـ)، شرح المفصل للزمخشري قدّم له:
إميل بديع يعقوب، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ط١.

تغزاوي، يوسف، الوظيفة في الفكر اللغوي القديم: التجليات والمبادئ، بحث منشور في
كتاب اللسانيات الوظيفية، إشراف وتحرير: حسن خميس الملخ، إربد- الأردن: عالم
الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٨م.

Bibliography

- Ababneh, Yahya, **The Arabic language between grammar and residual in the light of the theory of preference**, Dar Al-Kitab Al-Thaqafi, 1st edition, 2016.
- Abd al-Rahman Haj Saleh, **The Modern Khalilian Theory (its basic concepts)**, the Center's brochures, a series issued by the Scientific and Technical Research Center for the Development of the Arabic Language, Algeria, Fourth Issue, 2007.
- Abu al-Makarim, Ali, **Evaluation of Grammatical Thought**, Cairo: Dar Gharib, 2005 AD.
- Abu al-Makarim, Ali, **Linguistic phenomena in the grammatical heritage**, Cairo: Modern Cairo, 1968 AD.
- Abu Hayyan, Atheer Al-Din Muhammad bin Yusuf Al-Andalusi (died: 745 AH), **Al-Bahr Al-Moheet**, Reiewed by: Sidqi Muhammad Jamil, Beirut: Dar Al-Fikr, 1999 AD.
- Abu Hayyan, Atheer al-Din Muhammad ibn Yusuf al-Andalusi (died: 745 AH), **Irtishaf Aldharb Min Lisan Alarab**. Review and Explanation: Rajab Othman Muhammad, review: Ramadan Abdel-Tawab, Cairo: Al-Khanji Library.
- Abu Hayyan, Atheer al-Din Muhammad ibn Yusuf al-Andalusi (died: 745 AH), **Altathyeel wal Takmeel fi sharh Kitab al-Treasures of Seville**, 1, 2013 AD.
- Ahmed, Yahya, **Functional Attitude and Its Role in Language Analysis**, World of Thought Journal, Volume 20, Issue 3, October, 1989.
- Al-Zajjaj, Abu Ishaq, Ibrahim bin Al-Sari bin Sahl (died: 311 AH), Ma'ani **Alqur'an Wa i3raboh.**, Reiewd by: Abdul Jalil Abdo Shalabi, Beirut: World of Books, I 1, 1988 AD.
- Al-Aini, Badr Al-Din Mahmoud bin Ahmed bin Musa (died: 855 AH), **almaqasid alnnahwyt fi sharh shawahid shuruh al'alfiati**, Reviewed by: Ali Muhammad Fakher and others, Cairo: Dar Al-Salam for printing, publishing, distribution and translation, 1, 2010 AD.
- Al-A'lam Al-Shantamary, Abu Al-Hajjaj Yusuf bin Suleiman bin Issa, (died 476 AH), Shi'r **Zuhair bin Abi Salma**, Reviewed by: Fakhr Al-Din Qabawah, Beirut: Dar Al-Afaq Al-Jadeeda Publications, 3rd Edition, 1980 AD.
- Al-Anbari, Abu Al-Barakat, Kamal Al-Din Abdul Rahman bin Muhammad (died: 577 AH), **Nuzhat Al-Alba'a fi Tabaqat Al-**

- Odaba'a**, Reviewed by Ibrahim Al-Samarrai, Jordan: Al-Manar Library, 3rd ed ,1985 AD.
- Al-Anbari, Abu Al-Barakat, Kamal Al-Din Abdul Rahman bin Muhammad (died: 577 AH). **Alinsaf fi Masa'e; Alkhilaf Baina Nahaweyeenal Basriyeen Wal Kofiyeen**, Reviewed by: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Cairo: Al-Saada Press, 4th edition, 1966 AD.
- Al-Baghawi, Abu Muhammad Al-Hussein bin Masoud bin Muhammad (died: 510 AH), (**Tafseer Albaghawi: Ma'alimut anzeel fi Tafseeril Qur'an**), Reviewed by: Abdul Razzaq Al-Mahdi, Beirut: House of Revival of Arab Heritage, 1, 1420 AH / 1999 AD.
- Al-Faqara, Saif Al-Din Taha, **Absent Visions in Arabic Grammar**, Amman: Jarir Publishing and Distribution House, 1, 2019 AD.
- Al-Fara', Abu Zakaria Yahya bin Ziyad (died: 207 AH), **The Meanings of the Qur'an**, Reviewed by: Ahmed Youssef Al-Najati, Muhammad Ali Al-Najjar and Abdel-Fattah Ismail Al-Shalabi, Dar Al-Masrya for authoring and translation, 1st edition.
- Al-Hadithi, Khadija, **Ashahid Wa-Usool Al-nahaw fi Kitab Saibawayh**, Kuwait: Kuwait University Press, 1974 AD .
- Al-Hamidawi, Nizar Bunyan, **Evaluative Rulings in Arabic Grammar**, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmia, 1st Edition, 2011.
- Al-Kubaisi, Ali Ahmed, **The phenomenon of the alqalb in syntax, its concept, patterns, its impact on the meaning of composition**, Doha: Journal of the Documentation Center for Human Studies, No. 7, 1995.
- Al-Malk, Hassan Khamis, **Al-Adat Allaghawitu Fil Arabiah**, Irbid: Modern Book World, Jordan, 1, 2020 AD.
- Al-Mubarrad, Abu Al-Abbas, Muhammad bin Yazid (died: 285 AH), **almuqtadab**, Reviewed by: Muhammad Abdul-Khaleq Azimah, Beirut: World of Books, I 1, 1994 AD.
- Al-Muradi, Abu Muhammad Badr Al-Din Hassan bin Qasim bin Abdullah (died: 749 AH), **aljinaa aldaani fi huruf almaeani**, Reviewed by: Fakhr Al-Din Qabawah and Muhammad Nadim Fadel, Beirut - Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, 1992 AD.
- Al-Nahas, Mustafa, **the grammatical appeal and its role in composition**, Cairo: The Arabic Language Academy, (1409 AH/1989 AD).
- Al-Rajhi, Hanan bint Ahmed, **Al-Ah-kamo Allaghawih Fil Taq3eed Baina Ibin Jnni wa ibn Hisham an applied theoretical study (the most**

- correct ruling as a model**), Sharjah: University of Sharjah Journal of Human Sciences, issue (Sha`ban 1434 AH / June 2012 AD).
- Al-Rifai, Muhammad Abdul-Aziz Abdul-Dayem, **Theory and Methodology of Arabic Grammar: A Contemporary Construction of Linguistic Inference**, Center for Scientific Publishing, Saudi Arabia: King Abdul-Aziz University, 1, 2019 AD.
- Al-Sabban, Abu Al-Irfan Muhammad bin Ali (died: 1206 AH), **hashiat alsabaan ealaa sharh al'ashmuni li'alfiat abn malk**, Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, I 1, 1997 AD.
- Al-Samarrai, Fadel Saleh, **Meanings of Grammar**, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Jordan, 1, 2000 AD.
- Al-Samin Al-Halabi, Abu Al-Abbas, Shihab Al-Din Ahmed Bin Youssef (died: 756 AH), **Al-Durr Al-Masoon fi Uloom Al-Kitab Al-Maknoun**, Reviewed by: Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharrat, Damascus: Dar Al-Qalam.
- Al-Suyuti, **al'ashbah walnazayir fi alnnahw**, Reviewed by: Abdel-Aal Salem Makram, Al-Resala Foundation, 1, 1985 AD.
- Al-Zahrani, Ali Muhammad bin Saeed, **The Position of Abu Hayyan Al-Andalusi from the Early Grammarians until the Early Fourth Century Hijri Through His Interpretation of Al-Bahr Al-Mohet (collected and studied)**: PhD Thesis, Saudi Arabia: Umm Al-Qura University, 1421 AH / 2000 AD.
- Amayreh Khalil, Ara; **a fi Aldhameer Al'aeid wa loghat Akaloni Albarageeth**, Amman, Jordan: Dar Al-Bashir, Edition 1st ed, 1989.
- Ashour, Al-Monsef, **the phenomenon of the name in grammatical thinking**, Manouba, Tunisia: Publications of the Faculty of Arts, 2nd Edition, 2004.
- Belaid, Saleh, **the Briefing in Grammar, Functional Grammar**, Algeria: Diwan of University Publications, 1999 AD.
- Chomsky :**Language and Knowledge Problems**, translated by: Hamza bin Qabalan Al-Muzaini, Casablanca, Morocco: Dar Toubkal, 1, 1990 AD.
- Deif, Shawki, **Grammar Schools**, Egypt: Dar Al Maaref, 7th Edition, (N. D.)
- Ghazzawi, Youssef, **The Function in Ancient Linguistic Thought: Manifestations and Principles**, research published in the Functional Linguistics Book, Supervision and Editing: Hassan Khamis Al-Malkh, Irbid - Jordan: Modern Book World, 1st Edition, 2018.
- Hassan, Tamam, **Alosol: Diraston lil fikril laghawil Endal Arab**, **Cairo**: The World of Books, 2000 AD.

- Ibn al-Atheer, Abu al-Saadat Majd al-Din al-Mubarak bin Muhammad (died: 606 AH), **-Al-Badi' fi alloghatil Arabiah**, Reviewed by: Fathi Ahmed Ali al-Din, Mecca: Umm al-Qura University Publications, 1, 1420 AH / 1999 AD.
- Ibn al-Hajib, Abu Amro Jamal al-Din Othman Ibn Omar (died: 646 AH), **Amali Ibn al-Hajib**, Reiewed by: Dr .Fakhr Saleh Suleiman Qadara, Amman, Jordan: Dar Ammar, Beirut: Dar Al-Jeel, 1989.
- Ibn Asfour, Abu al-Hasan Ali bin Moamen bin Muhammad al-Hadhrami al-Ishbili (died: 669 AH), **darayir alshshier**, Reviewed by: Mr. Ibrahim Muhammad, Dar al-Andalus Publications for Printing, Publishing and Distribution, 1st Edition, 1980 AD.
- Ibn Attia, Abu Muhammad Abd al-Haq ibn Ghalib al-Andalusi (died: 542 AH), **almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleaziza**, Reviewed by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1, 2001 AD.
- Ibn Faris, Abu Al-Hussein Ahmed bin Zakaria (died: 395 AH), **mujmal allughati**, study and investigation: Zuhair Abdul Mohsen Sultan, Beirut: Al-Resala Foundation, 2nd ed., 1986 AD.
- Ibn Hisham, Abu Muhammad Jamal al-Din Abdullah bin Yusuf, (died: 761 AH), **Mughni al-Labib on the books of Arabs**, Reviewed: Mazen al-Mubarak, Muhammad Ali Hamdallah, Damascus: Dar al-Fikr, 6th edition, 1985 AD.
- Ibn Hisham, Abu Muhammad Jamal al-Din Abdullah bin Yusuf, (died: 761 AH), **Sharh Qatar Al-Nada and Bel Al-Sada**, Reviewed: Muhammad Muhyi Al-Din Abdul Hamid, Damascus: Dar Al-Khair, I 1, 1990 AD.
- Ibn Jinni, Abu al-Fath Othman al-Mawsili (died: 392 AH), **Siru Sina'atil Alnahaw**, Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1, 2000 AD.
- Ibn Jinni, Abu al-Fath Othman bin Jinni (died: 392 AH), **Almohtasib Fi Tabyeen Wojohi Shawthil Qira'at Wal Idhahi Anha**, Egypt: Publications of the Egyptian Ministry of Endowments, Supreme Council for Islamic Affairs, 1, 1999 AD.
- Ibn Jinni, Abu al-Fath Othman bin Jinni al-Mawsili (died: 392 AH), **al-Khassa'is**, Egypt: The Egyptian General Book Authority, 4th edition.
- Ibn Khalawayh, Abu Abdullah Al-Hussein bin Ahmed (died: 370 AH), **Alhojjah fil Qira'at Alsab'a**, Reviewd by Abdel-Al Salem Makram, Cairo: Dar Al-Resala, 1, 2000 AD.

- Ibn Malik, Abu Abdullah, Jamal Al-Din Muhammad bin Abdullah (died: 672 AH), **sharh altashil**, Reviewed by: Abdul Rahman Al-Sayed, Dr. Muhammad Badawi Al-Mukhton, Dar Hajar for Printing, Publishing and Distribution, 1,
- Ibn Malik, Abu Abdullah, Jamal al-Din Muhammad bin Abdullah, (died: 672 AH), **sharh alkafiat alshaafiati**, Reviewed by: Abdel Moneim Ahmed Haridi, Umm Al-Qura University Publications, Makkah Al-Mukarramah, Center for Scientific Research and the Revival of Islamic Heritage, 1st Edition, 1982 AD.
- Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram (died: 711 AH), **Lisan al-Arab**, Beirut: Dar Sader, 3rd edition, 1414 AH/1993 AD.
- Ibn Ya'ish, Abu al-Baq'a', Muwaffaq al-Din, (died: 643 AH), **Sharh al-Mofassal by Zamakhshari**, presented to him by: Emil Badi' Yaqoub, Beirut - Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st Edition.
- Lyons, **John, Chomsky's Linguistic Theory**, translated by: Helmy Khalil, Alexandria: University Knowledge House, 1st Edition, 1985 AD.
- Nazir aljaysh, Muhammad bin Yusuf bin Ahmed (died: 778 AH), **tamhid alqawaeid bisharh tashil alfawayid**, study and reviewed by: Ali Muhammad Fakher and others, Cairo: Dar al-Salaam for printing, publishing, distribution and translation, 1, 1428 AH.
- Omar, Ahmad Mukhtar, **Mo'jam Alloghat Alarabiah Almoa'asirah**, Beirut: World of Books, 1, 1429 AH / 2008 AD.
- Rahman, Ahmed, **Tha-hirat Alghalat fid Darsil Nahawi hatta Alqarn Alarabi'e Alhijri**, Master's thesis, Jordan: Mutah University, 2013 AD.
- Sahib Abu Jinnah, **Studies in Arabic Grammar Theory and Its Applications**, Amman - Jordan: Dar Al-Fikr, 1, 1998 AD.
- Shaheen, Tohama, **Tha'hirtul Isti'naf minal isti'nafil Nahawi ilal isti'nafil Bayani**, Master's thesis, Syria: Tishreen University, 2016-2017 .
- Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar, (died: 180 AH), **Alkitab**, Reviwer: Abd al-Salam Muhammad Harun, Cairo: Al-Khanji Library, 3rd edition, 1988 AD.
- Udayma, Muhammad Abd al-Khaleq, **Studies of the Style of the Noble Qur'an**, Foreword by: Mahmoud Muhammad Shaker, Cairo: Dar al-Hadith.

دراسة صوتية للحروف الصحيحة المشبهة بحروف العلة

Phonological Study of Regular Letters Similar to Irregular Letters

د. خضر بن محمد تقي الله بن مايابى

أستاذ مشارك للغة العربية بقسم المواد العامة بكلية ينبع الجامعية بالهيئة الملكية للجبيل وينبع

البريد الإلكتروني: kuder.mayaba@gmail.com

المستخلص:

عنوان البحث: (دراسة صوتية للحروف الصحيحة المشبَّهة بحروف العلة)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

من خلال بحثي واطلاعي في كتب النحو واللغة لاحظت أن العلماء يُشَبِّهون بعض الحروف الصحيحة بحروف العلة، ويُشَبِّهون بعض الحروف الصحيحة بالحروف المشبَّهة بحروف العلة، ولم أقف -حسب اطلاعي- على من يجمعها ويذكر علة واضحة في تشبيه هذه الحروف الصحيحة بحروف العلة، فعددت العزم على جمعها، ودراستها دراسة صوتية، والبحث عن علة تشبيهها بحروف العلة.

منهج البحث: اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على جمع الحروف الصحيحة المشبَّهة بحروف العلة، ووُصِفَ مخرج الحرف ووصفته، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم العربية والنحو والصرف وعلم الأصوات وعلم التجويد، ومقارنة أقوال العلماء الأوائل بأقوال المعاصرين، مع الاستعانة بالرسوم والصور التوضيحية لمخرج كل حرف؛ وذلك للوقوف على العلة الحقيقية في تشبيه بعض الحروف الصحيحة بحروف العلة.

وقد قسمت الحروف الصحيحة المشبَّهة بحروف العلة إلى ثلاثة أقسام حسب أقوال العلماء:

القسم الأول: الهمزة حرف مختلف فيه بين العلماء.

القسم الثاني: (الميم والنون والتاء) حروف صحيحة مُشَبَّهة بحروف العلة.

القسم الثالث: (اللام والسين والهاء)، حروف صحيحة مشبَّهة بحروف صحيحة مشبَّهة بحروف العلة.

حدود البحث: يقتصر البحث على دراسة الحروف الصحيحة المشبَّهة بحروف

العلة دراسة صوتية، للوقوف على علة التشبيه.

الدراسات السابقة: لم أقف -حسب اطلاعي- على بحث يجمع الحروف الصحيحة

المشبَّهة بحروف العلة، ويذكر أقسامها، وعلة تشبيهها بحروف العلة.

Abstract:

Title: (Phonological Study of Regular Letters Similar to Irregular Letters)

In the course of the researcher's research into the literature on grammar and language, it was noticed that scholars liken some regular letters to irregular letters, and they liken some regular letters to letters similar to the irregular letters, and the researcher is not aware –to the best of his knowledge- of anyone that has compiled them and mentioned a clear reason for the similarity between these regular letters with the irregular letters, this informed the resolve to compile them, and study them phonologically and search for the reason of their similarity to the irregular letters.

Research method: The researcher adopted the descriptive analytical approach that relies on the compilation of the regular letters that are similar to the irregular letters, and a description of the place of articulation of the letter and its description, this was done by citing references from the literature on language and Arabic lexicon and grammar and etymology and phonology and science of Qur'an recitation, and by comparing the statements of the earlier scholars with those of the contemporary ones, with the use of drawings and explanatory pictures of the place of articulation of each letter, this is to identify the real reason behind the similarity of some regular with the irregular letters.

The researcher categorized the regular letters that are similar to the irregular letters into three divisions based on the statements of the scholars:

The first division: Hamza is a letter disagreed upon by the scholars.

The second division: (meem and nuun and taa) are regular letters similar to irregular letters.

Research limitation: The research is limited to the study of regular letters that are similar to irregular letters phonologically, in order to discover the reason behind their similarity.

Literature review: The researcher is not aware –to the best of his knowledge- of any research that has compiled the regular letters that are similar to the irregular letters, and a mention of its divisions, and the reason behind their similarity with the irregular letters.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

من خلال بحثي واطلاعي في كتب النحو واللغة لاحظت أن العلماء يشبِّهون بعض الحروف الصحيحة بحروف العلة، ويشبِّهون بعض الحروف الصحيحة بالحروف المشبَّهة بحروف العلة، ولم أفهم -حسب اطلاعي- على من يُفرد بحثاً خاصاً يجمع فيه الحروف الصحيحة المشبَّهة بحروف العلة، ويذكر أقسامها ويبيِّن علة تخصيصها بالشبَّه بحروف العلة دون غيرها من الحروف، فعقدت العزم على جمع هذه الحروف الصحيحة، ودراستها دراسة صوتية، والبحث عن علة تشبيهها بحروف العلة في بحث بعنوان (دراسة صوتية للحروف الصحيحة المشبَّهة بحروف العلة)، واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على جمع الحروف الصحيحة المشبَّهة بحروف العلة، ووصف مخرج الحرف ووصفته، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة والمعاجم العربية والنحو والصرف وعلم الأصوات وعلم التجويد، ومقارنة أقوال العلماء الأوائل والمعاصرين، مع الاستعانة بالرسوم والصور التوضيحية لمخرج كل حرف؛ وذلك للوقوف على العلة الحقيقية في تشبيه بعض الحروف الصحيحة بحروف العلة.

بدأت البحث بمقدمة، ثم ذكرت بعض التعريفات المختصرة لأهم المصطلحات التي تضمَّنها البحث؛ ليسهل على القارئ استيعابها، ثم تمهيد ذكرت فيه سبب تسمية حروف العلة بهذا الاسم، وقسمت البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: (الهمزة) حرف مختلف فيه بين العلماء

المبحث الثاني: الحروف الصحيحة المشبَّهة بحروف العلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حرف الميم.

المطلب الأول: حرف النون.

المطلب الأول: حرف التاء.

المبحث الثالث: الحروف الصحيحة المشبَّهة بحروف صحيحة مشبَّهة بحروف العلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حرف السين.

المطلب الثاني: حرف اللام.

المطلب الثالث: حرف الهاء.

ثم خاتمة ذكرت فيها ما وقفت عليه من نتائج في هذا البحث.

وأختم بحمد الله سبحانه وتعالى وشكره وتوفيقه بإتمام هذا البحث، ولا يفوتني أن أشكر اللجنة الموقرة المكلفة بالنظر في البحث وتحكيمه، وإثراءه بالملحوظات القيمة.

مصطلحات البحث:

الأنفي: صوت رنيني يعتمد رنينه على التجويف الأنفي؛ إذ يكون ممر الفم مغلقاً عن طريق نزول الطبقة (الحنك الأعلى) إلى أسفل؛ مثل: (ن/ و / م)، ويدعى صوتاً خيشومياً^(١).

الصوت: عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشففتين مقاطع تُثنيته عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له صوتاً^(٢).
الغنة: وهي خروج صوت الحرف من الخيشوم، وحروفها: الميم، والنون^(٣).
الجهر: صوت موسيقي يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازاً منظماً^(٤).

(١) محمد علي الخولي، معجم علم الأصوات، (مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢)، ص: ٣١.

(٢) عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ هـ)، ١/١٩.
(٣) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، (دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٣٧٩)، ٢٨٣/١.

(٤) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، (مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الخامسة ١٩٧٥ م)، ص: ٢٠.

الهمس: الحرف الذي يَضْعَفُ الاعتماد على مخرجه عند النطق به، وعلامته أن يبقى النَّفَسُ جاريا عند النطق به، وعند المعاصرين صوت لا يهتز معه الوتران الصوتيان^(١).

الشدة (انفجاري): وهي انحباس الصوت عند النطق بالحرف؛ وذلك لتمام قوة الاعتماد على مخرجه^(٢)، وعند المعاصرين صوت يَنْحَسِ مع تيار النَّفَسِ ثم ينطلق بشكل انفجار طفيف^(٣).

الرخاوة: انطلاق الصوت عند النطق بالحرف؛ وذلك لضعف الاعتماد على مخرجه^(٤).

الاحتكاكية: الأصوات التي تَصُدُّرُ عندما يضيق ما بين عُضْوَيْنِ متباعدين من جهاز النطق، مع السماح للهواء أن يتحرك بينهما مُحْدِثًا احتكاكا مسموعا (الأصوات الرخوة)^(٥).

(١) أنيس، مصدر سابق، ص: ٢٢، وينظر الصالح، مصدر سابق، ص ٢٨١.

(٢) ابن جني، مصدر سابق، ٧٥/١.

(٣) الخولي، مصدر سابق، ص: ٢٥.

(٤) ابن جني، مصدر سابق، ٧٥/١.

(٥) رمضان عبد التواب، المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، (القاهرة، مكتبة الخانجي،

الطبعة الثالثة ١٤١٧)، ص: ٣٤، وينظر الخولي، مصدر سابق، ص: ٧١.

التمهيد

حروف العلة وسبب تسميتها

حروف العلة هي الألف والواو والياء، وقد اختلف العلماء في سبب تسميتها بحروف العلة على ثلاثة أقوال:

أولها: سُمِّيت بحروف العلة لأنه يَعْتَرِبُهَا التَّغْيِيرُ بِالْقَلْبِ وَالْإِسْكَانِ وَالْحَذْفِ، أَي أَنَّهَا لَا تَبْقَى عَلَى حَالِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ، فَهِيَ مُعْتَلَّةٌ فِي نَفْسِهَا مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ؛ قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ: "وَإِنَّمَا لِأَنَّهَا حُرُوفٌ تَعْتَلُّ فِي أَنْفُسِهَا فَتَكُونُ إِضَافَتِهَا كِإِضَافَةِ حُرُوفِ الْإِسْتِعْلَاءِ، فَأَضْفَنَاهَا إِلَى صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهَا، كَمَا تَقُولُ: رَجُلٌ عِلْمٌ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا الْإِضَافَةُ الَّتِي فِي اصْطِلَاحِ النُّحَوِيِّينَ مِنْ مَنْعِهِمْ إِضَافَةَ الصِّفَةِ إِلَى مَوْصُوفِهَا أَوْ الْعَكْسِ"^(١).

ثانيها: سُمِّيت بحروف العلة لأنها تُعَلُّ مَا تَتَّصِلُ بِهِ فَتُحْدِثُ فِيهِ التَّغْيِيرَ؛ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا فِي الْكَلَامِ؛ فَلَا تَكَادُ كَلِمَةٌ تَخْلُو مِنْهَا أَوْ مِنْ بَعْضِهَا وَهِيَ الْحَرَكَاتُ؛ قَالَ ابْنُ عَصْفُورٍ: "أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا تَخْلُو كَلِمَةٌ مِنْهَا أَوْ مِنْ بَعْضِهَا؛ أَعْنِي الْحَرَكَاتِ: الضَّمَّةُ وَالْكَسْرَةُ وَالْفَتْحَةُ؛ لِأَنَّ الضَّمَّةَ بَعْضُ الْوَاوِ، وَالْكَسْرَةَ بَعْضُ الْيَاءِ، وَالْفَتْحَةَ بَعْضُ الْأَلْفِ"^(٢).

فتكون من باب إضافة الشيء إلى أثره الذي يُحْدِثُهُ فِي غَيْرِهِ، قَالَ ابْنُ الْحَاجِبِ: "لِأَنَّهَا تَعَلُّ مَا تَكُونُ فِيهِ بِالتَّغْيِيرِ (أَي: تُعَيِّرُهُ)، فَتَكُونُ إِضَافَتِهَا كِإِضَافَةِ حُرُوفِ الْجَرِّ، فَإِنَّمَا أَضْفَنَاهَا إِلَى أَثَرِهَا"^(٣).

ثالثها: سُمِّيت بحروف العلة؛ لأنها ضعيفة لا تحتل الحركة فهي ساكنة في جميع

(١) عثمان بن عمر بن الحاجب، أمالي ابن الحاجب (الأردن، دار عمار، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ص: ٧٠٢/٢.

(٢) علي بن مؤمن بن عصفور، الممتع الكبير في التصريف، (بيروت، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م) ص: ١٤١.

(٣) ابن الحاجب، مصدر سابق، ٧٠٢/٢.

أحوالها؛ ولذلك اختلفت عن غيرها من الحروف التي تحتل الحركات؛ قال ابن جني: "ولو لم يُعَلَّم تَمَكُّن هذه الحروف في الضعف إلا بتسميتهم إيّاها حروف العلة لكان كافيًا؛ وذلك أنّها في أقوى أحوالها ضعيفة، ألا ترى أنّ هذين الحرفين إذا قويا بالحركة فإنك حينئذ مع ذلك مُؤَنَس فيهما ضعفًا؛ وذلك أنّ تَحْمُلَهُمَا للحركة أَشَقُّ منه في غيرها" (١).

(١) عثمان ابن جني، الخصائص، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة)،

المبحث الأول: حرف مختلف فيه بين العلماء (الهمزة)

الهمزة: حرف يخرج من أقصى الحلق، وهو أبعد الحروف مخرجا عن الفم، والهمزة حرف مجهور شديد، والمجهور كما عرفه سيبويه هو الحرف الذي أشبع الاعتماد في موضعه فلم يجر معه النَّفَسُ^(١).

ويُعدّ ابن سينا من أوائل من وصف الجهر في الهمزة، وما يحدث للجهاز الصوتي عند نطقه للهمزة وصفا دقيقا مُتَأَثِّرًا في ألفاظه بصنعة الطب، فيرى أن الجهر في الهمزة يحدّث " نتيجة حفز قوي من الحجاب وعَضَل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطَّرْجِهَالِي الخاصر زمانا قليلا لِحَفْزِ الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعَضَل الفاتحة وضغط الهواء"^(٢)؛ فابن سينا يتفق مع سيبويه في وصفه للجهر بانحباس الهواء ثم اندفاعه، والطَّرْجِهَالِي الخاصر: هو مفصل يربط بين العَضْرُوف الحلقية والعَضْرُوف الهرمي^(٣)، وربما لم يُوفَّق العلماء الأوائل في وصف الهمزة بشكل دقيق؛ لأنهم لم يكونوا يعرفون شيئا عن فتحة المزمار وإمكانية غلقها^(٤).

ويرمز للهمزة بالرمز (?)، وهو حرف مختلف في وصفه عند علماء اللغة المعاصرين، فيرى دانيال جونز أن الهمزة صوت حُنْجْرِي ذو وقفة انفجارية لا هو بالمجهور ولا بالمهموس؛ لأنّ وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر، أو ما يسمى بالهمس، ويرى هفنز أن الهمزة صوت مهموس؛

(١) عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب (القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ص: ٤/٤٣٤.

(٢) الحسين بن عبد الله ابن سينا، أسباب حدوث الحرف، (دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية) ص: ٧٢.

(٣) موقع ويكيبيديا، ar.m.wikipedia.org.

(٤) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي (القاهرة، عالم للكتب، ١٩٩٧) ص: ٣٤٥.

لعدم اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بها (١).

الشكل رقم (١)



صورة توضيحية لمخرج الهمزة

والهمزة حرف شديد؛ والشديد عند سيبويه هو الذي يمنع الصوت من الجريان عند النطق به، قال سيبويه: "ومن الحروف الشديد، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والذال، والباء؛ وذلك أنك لو قلت: ألحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك" (٢).

ويسمى المعاصرون (انفجارية)؛ لانحباس الهواء عند النطق بها ثم انفجاره وخروجه، ويرى الدكتور كمال بشر أن سيبويه كان دقيقا في وصفه للشدة والرخاوة؛ إذ يقول: "وتفسيرنا لمصطلحي الشدة والرخو بالوقفة والاحتكاكي؛ يعني بكل وضوح اتفاق صنع سيبويه في مجمله اتفاقا يكاد يكون تاما مع ما جرى عليه العمل من رجال الأصوات عند تصنيف الأصوات، بقطع النظر عن اللغة المعينة -فليله دره- وما أعمق تفكيره، والفرق-إن كان هناك فرق- هو أنّ سيبويه لم يلتفت إلى الحدّث الثاني المصاحب للوقفة (وقوف الهواء) وهو الانفجار؛ إذ المعروف أنّ كلّ وقفة خالصة يعقبها انفجار سريع مفاجئ" (٣).

واختلف العلماء في نسبة الهمزة إلى حروف العلة على قولين:

(١) أنيس، مصدر سابق، ص: ٨٣، ينظر، كمال بشر، علم الأصوات، (القاهرة، دار غريب،

الطبعة الأولى، ٢٠٠٠) ص: ١٧٦.

(٢) سيبويه، مصدر سابق، ٤/٤٣٤.

(٣) بشر، مصدر سابق ص: ٢٠٤.

القول الأول: أكثر علماء النحو واللغة يرون أنّ الهمزة حرف صحيح مُشَبَّه بحروف العلة وليس منها؛ قال سيبويه: "وليس حرفٌ أقرب إلى الهمزة من الألف"^(١)، وقال المبرد: "وذلك لأنّ الهمزة ليست من حروف العلة"^(٢)، ووافقهم من علماء التجويد ابن الجزري فقال في كتابه النشر: "الصواب اختصاص هذه الثلاثة-حروف العلة- بالجوف دون الهمزة؛ لأنّ أصوات لا يعتمدن على مكان حتى يتّصلن بالهواء بخلاف الهمزة"^(٣)، وأصحاب هذا القول اعتمدوا على ثلاثة أسباب:

الأول: أنّ الهمزة تقبل الحركات الثلاث؛ وتكون حرفا صحيحا في المواضع التي لا يصحّ فيها حرف العلة نحو: كلاً، بعكس حرف العلة إذا تحرك وانفتح ما قبله وجب إعلاله نحو: عَصَوَ ورحي؛ قال ابن الأنباري: "والذي يدل على ذلك أنّ الهمزة تصحّ حيث لا يصحّ حرف العلة، ألا ترى أنّ حرف العلة إذا تحرك وانفتح ما قبله وجب إعلاله نحو: عَصَوَ ورحي، والهمزة إذا تحركت وانفتح ما قبلها لا يجب إعلالها نحو كلاً"^(٤).

الثاني: الشبّه بين الهمزة وحروف العلة من جهة ما يعترتها من التغيير بالتسهيل

(١) سيبويه، مصدر سابق، ٤/٤٣٤. وينظر. ابن عصفور، مصدر سابق ص: ١٤١، ومحمد بن

يوسف بن حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، (القاهرة، مكتبة الخانجي،

الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ١/١٩.

(٢) محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، (بيروت، عالم الكتب)، ١/١١٥.

(٣) محمد بن محمد بن الجزري، النشر في القراءات العشر، (المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف، ١٤٣٥)، ٣/٥٢٨.

(٤) عبد الرحمن بن محمد الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين

والكوفيين، (المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ٢/٦٦٥.

والحذف والإبدال كما يعتري حروف العلة من حذف وإبدال^(١).

فَقَلَّبَ الهمزة وتغييرها من باب إبدال الحروف بعضها ببعض نحو: (راس) في (رأس) و(أصيلان) و(أصيلال)، ولا يعتبر إعلالا ولا يُعْتَدُّ به، بعكس حروف العلة فإنما يعتريها من تغيير يعتبر إعلالا يُعْتَدُّ به؛ لأنَّ الإعلال أصل فيها؛ قال ابن الأنباري: "وإنما يُعْتَدُّ بإعلال حرف العلة؛ لأنَّه الأصل في الإعلال، وإذا كان قَلَّبَ الهمزة غير مُعْتَدِّ به لم يكن ههنا إجراؤه على الأصل يؤدي إلى الجمع بين إعلالين"^(٢).

الثالث: التقارب الصوتي بين الهمزة وحروف العلة؛ إذ هي أبعد الحروف مخرجا عن الفم، وأولها مخرجا من جهة مجرى الصوت الذي تخرج منه حروف العلة الجوفية الهوائية، قال ابن سيده: "ثم الهمزة فهي أحق بالزيادة مما لا يُزَادُ من حروف المعجم؛ لشبَّهَها بحروف العلة من جهات الحذف وجعلها بين بين، وَقَلَّبَها على حركة ما قبلها، ومِنْ أَجْلِ أَنَّهُما من أقصى الحلق فإذا أُبدلت أولا جَرَى اللسان إلى جهة القُدَّام، فهذا يَطَّرِدُ عليه الإبدال؛ فإلجتماع الشئيين من مناسبة حروف العلة، وَأَنَّها من أقصى الحلق يستمرُّ بها اللسان لإخراج الحرف، فجاز أن تُبَدَّلَ من غيرها"^(٣).

فالهمزة على هذا القول ليست من حروف العلة وإن شاركتها في التغيير والتقارب الصوتي؛ ولذلك قال الرضي: "وإن شاركتها في هذا المعنى لكن لم يجز

(١) ابن عصفور، مصدر سابق، ص: ١٤١؛ أبو حيان، مصدر سابق، ١٩/١، حسن بن قاسم المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، (دار الفكر العربي، الطبعة الأولى،

١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م)، ٣/١٥٧٤.

(٢) ابن الأنباري، مصدر سابق، ٦٦٥/٢.

(٣) علي بن إسماعيل بن سيده، المخصص، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى،

١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ٤/١٨٠.

الاصطلاح بتسميتها حرف علة"^(١).

القول الثاني: ذهب بعض العلماء إلى أنّ الهمزة حرف علة؛ وهو قول الخليل، قال ابن درستويه عن الهمزة: "وقد جعلها الخليل من حروف العلة كالواو والياء والألف اللينة"^(٢)، وتبعه ابن السراج بقوله: "إنّ حروف العلة أربعة: الواو والياء والهمزة والألف"^(٣)، وابن مالك؛ قال في التسهيل: "والمعتلة هنّ الهمزة"^(٤)، أي الحروف المعتلة الثلاثة السابقة والهمزة معها، والسبب عنده في اعتبار الهمزة من حروف العلة لاشتراكها مع حروف العلة في التغيير والعلة والانقلاب، واتفق معهم من علماء التجويد مكي القيسي قال في الرعاية: "وحروف العلة الهمزة وحروف المد واللين الثلاثة"^(٥).

ونسبه بعض العلماء للفارسي، ونقل عنه ابن جني ما يدل على أنه يرى أن الهمزة ليست من حروف العلة؛ لأنها لا تتفق معها في المخرج، وإنما هي أقرب الحروف مخرجا من الألف، قال ابن جني "لأنّ الألف حرف ضعيف واسع المخرج، لا يتحمّل الحركة كما قدّمنا من وصفه، فإذا اضطرّوا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة، وعلى ذلك ما حكاه أبو زيد فيما قرأته على أبي

(١) محمد بن الحسن الإستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، ٣٣/١.

(٢) عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتَوَيْه، تصحيح الفصيح، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامي، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، ص: ١٧٦.

(٣) محمد بن السري بن السراج، الأصول في النحو، (بيروت، مؤسسة الرسالة)، ٣١١/٣.

(٤) محمد بن عبد الله بن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م) ص: ٣٢٠.

(٥) مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية، (عمّان، دار عمار، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)

علي في كتاب الهمز عنه " (١) .

وأصحاب هذا القول اعتمدوا في قولهم على ثلاثة أسباب:

الأول: الاتفاق في المخرج الصوتي بين الهمزة وحروف العلة؛ إذ هي أبعد الحروف مخرجا عن الفم، وأولها مخرجا من جهة مجرى الصوت الذي تخرج منه حروف العلة، والتي هي حروف هوائية لا حَيِّز لها، قال الخليل: "ثم الألف والواو والياء في حَيِّز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حَيِّز تُنسب إليه" (٢) ، كما يرى أن الهمزة حرف ضعيف خفي قال-رحمه الله-: "الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همزة، (٣) ، والمهتوت- كما عرفه ابن جني- هو الحرف الضعيف الذي فيه خفاء (٤) .

والذي حمل الخليل على القول بأن الهمزة صوت هوائي لا حَيِّز له هو اعتماده على الوصف الحسي وهو مما يُعَدَّر به، فإذا كان المعاصرون من أمثال هفنز وجونز اعتمدوا على العلم الفيزيولوجي الذي أعانهم على فهم تفصيلات جهاز النطق ومع ذلك اختلفوا في تحديد مخرج الهمزة وصفتها، وإذا كانت التسجيلات الطيفية الحديثة للهمزة قد أظهرتها بصور متنوعة، فكيف نتظر من القدماء بوسائهم البسيطة تحديد مخرج الهمزة بدقة. (٥)

(١) ابن جني، مصدر سابق، ١/٨٦.

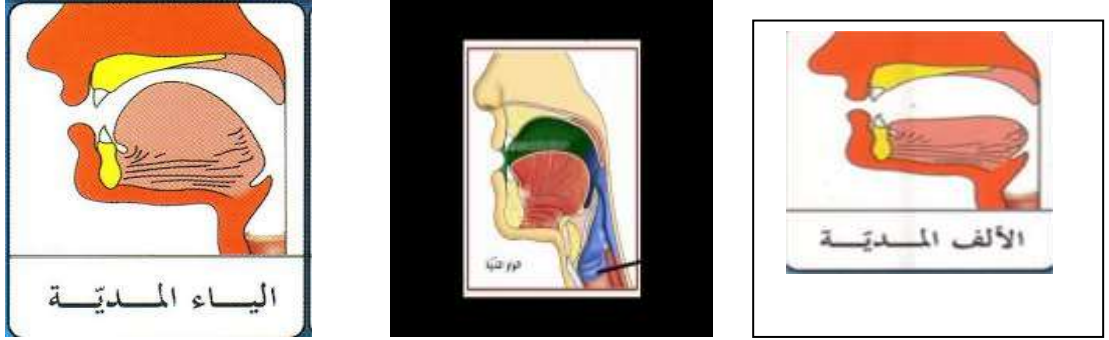
(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، (بيروت، دار ومكتبة الهلال)، ١/٥٨.

(٣) الفراهيدي، مصدر سابق، ٣/٣٤٩.

(٤) ابن جني، مصدر سابق، ١/٧٨.

(٥) كل محمد باسل، الدرس الصوتي عند القدماء والمحدثين، (دبي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة ٧٢ محرم ١٤٣٢ هـ ديسمبر ٢٠١٠م)، ص: ٨٣، وينظر: أحمد مختار عمر، مصدر سابق، ص: ٣٤٦.

شكل رقم (٢)



صور توضيحية لحروف العلة

الثاني: لأنها قابلة للتغيير والتحويل شأنها شأن حروف العلة، واعتلاها تغييرها من حال إلى حال، ودخول بعضها على بعض، واستخلاف بعضها من بعض.
الثالث: أنّ الهمزة تقوم مقام الألف؛ لأنها قريبة منها ولاستحالة الابتداء بالألف لأنها ساكنة فأقاموا الهمزة مقامها^(١).

والذي يرجحه الباحث: هو القول بأن الهمزة حرف صحيح مُشَبَّهٌ بحروف العلة؛ وذلك لثلاثة أسباب:

الأول: أنّ للهمزة مخرجا خاصا بها وهو أقصى الحلق، مثل غيرها من الحروف الصحيحة، وهي تختلف بذلك عن حروف العلة؛ إذ هي حروف هوائية لا حَيْر لها.
الثاني: أنّ مَنْ قال: بأنّ الهمزة حرف علة، نظر إلى كثرة ما يعتريها من تغيير فألحقها بحروف العلة، والتغيير الذي يحدث للهمزة من تسهيل وحذف وإبدال؛ بسبب أنّها حرف يصعب نطقه؛ لبُعده عن بقية الحروف وثقل مخرجه؛ ففي إخراجهِ شِدَّةٌ ونَبَرٌ يُشَبِّهُ التَّهْوُّعَ، قال سيبويه: "واعلم أنّ الهمزة إنما فَعَلَ بها هذا من لم يُحَقِّقْها؛ لأنّه بَعُدَ

(١) عبد الرحمن بن محمد بن أنباري، أسرار العربية، (بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ص: ١٠٥٨.

مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً، فتثقل عليهم ذلك، لأنه كالتّهوع^(١).

وقال الرضي: "الهمزة لما كانت أدخل الحروف في الحلق، ولها نبرة كريةة تجرى مجرى التّهوع فتثقلت بذلك على لسان المتلقظ بها، فحققها قوم، وهم أكثر أهل الحجاز، ولا سيما قريش، روى عن أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه: (نزل القرآن بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ما همزنا)، وحققتها غيرهم، والتحقيق هو الأصل كسائر الحروف، والتخفيف استحسان"^(٢).

الثالث: أنّ الهمزة تُبدل من حروف العلة الثلاثة لأنها مُشَبَّهَةٌ بها، فتبدل ألفا في نحو (رأس) فتقول (راس)، وتبدل ياء في نحو (بئر وبئس) فتقول (بير وبيس)، وتبدل واوا في نحو (مؤمن) فتقول (مومن).

(١) سيبويه، مصدر سابق، ٥٤٨/٣.

(٢) ابن الحاجب، مصدر سابق، ٣١/٣.

المبحث الثاني: الحروف الصحيحة المشبهة بحروف العلة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حرف الميم

يرى بعض العلماء أنّ الميم أقرب الحروف الصحيحة إلى حروف العلة^(١)؛ وذلك لسببين:

الأول: التقارب الصوتي بين الميم والواو في المخرج، قال الفارسي: "فالميم يوافق الواو في أنّهما يهويان في الفم"^(٢).

وقال المبرد: "وأما الميم فمضارعة للواو أيضاً؛ من جهة تقاربهما في المخرج، فتبدل الميم من الواو؛ لأنّهما من مخرج واحد وإِنّما الميم والباء والواو من الشّفة"^(٣)؛ ولذلك أبدلت الواو ميماً في قولهم: فَمِّ، والأصل "فَوَّة".

قال ابن عصفور: "فأبدلوا من الواو ميماً لثُرب الميم من الواو"^(٤)، فالميم عند علماء اللغة الأوائل حرف يخرج من الشّفة والخيشوم لما فيه من الغنة، قال المبرد: "لأنّ الميم تخرج من الشّفة وتصير إلى الخياشيم للغنة التي فيها"^(٥).

(١) عمر بن ثابت الثماني، شرح التصريف، (الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ -

١٩٩٩م)، ص: ٣٤٣، وينظر، ابن عصفور، مصدر سابق ص: ١٤١، ويعيش بن علي بن

يعيش، شرح المفصل للزمخشري، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -

٢٠٠١م)، ٣١٧/٥.

(٢) الحسن بن أحمد الفارسي، التعليقة على كتاب سيبويه، (الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)،

١٩٣/٣.

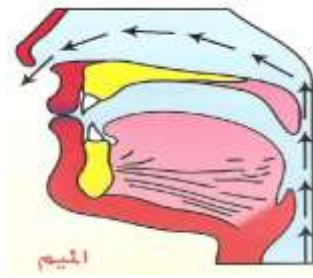
(٣) المبرد، مصدر سابق، ١٥٨/٣.

(٤) ابن عصفور، مصدر سابق، ص: ٢٥٩.

(٥) المبرد، مصدر سابق، ٢٢١/١.

ورمزه عند علماء اللغة المعاصرين (m)، وهو صوت أنفيّ مجهور، يتكوّن حين يمرّ بالحنجرة فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك، ولا بد فيه من إطباق الشفتين وحبس الهواء ليخرج من الأنف، وبقاء اللسان في وضع محايد (١).

شكل رقم (٣)



صورة توضيحية لمخرج الميم

والواو عند المتقدمين صوت يحدث بضم الشفتين، وعند المعاصرين صوت يخرج بضم الشفتين وسد الطريق إلى الأنف برفع الحنك اللين مع تذبذب الأوتار الصوتية (٢). ويرى د. أنيس أنّ مخرج الواو ليس الشفتين كما ظنّ القدماء، بل هو في الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك، غير أنّ الشفتين تستديران حين النطق بها (٣).

الثاني: الشبه بين الميم وبين جميع حروف العلة من جهة الغنة الملازمة لصوت الميم، والتي تشبه المد واللين في حروف العلة؛ قال ابن عصفور: "أمّا الميم فمضارعةً للواو أيضاً من جهة تقاربهما في المخرج، ومضارعةً لحروف العلة كلّها من جهة الغنة"

(١) عبد التواب، مصدر سابق، ص: ٤٣؛ وينظر بشر، مصدر سابق، ص: ٣٤٨.

(٢) بشر، مصدر سابق، ص: ٣٤٨.

(٣) أنيس، مصدر سابق، ص: ٤٣.

التي فيها والشبيهة باللين الذي في حروف العلة؛ لأنَّ العنة فضل صوت في الحرف كما أنَّ اللين كذلك"^(١).

فالغنة مدّة في الخيشوم، كما أن اللين والمدّ في حروف العلة مدّة في الحلق، واللين عند علماء اللغة والنحو يُطلق على حروف العلة الألف والواو الياء؛ لأنَّهم يخرجون في لين من غير تكلف على اللسان في النطق، وعند علماء التجويد صوت زائد خاص بالواو الساكنة المفتوح ما قبلها مثل: حَوْف، والياء الساكنة المفتوح ما قبلها مثل: بَيْت، والألف لا تشترك مع الواو والياء في اللين، وإنما تتفق معهما في صوت زائد وهو المد الزائد الذي يُشبه الغنة الزائدة في الميم؛ ولذلك كانت عبارة المبرد أكثر دقّة؛ إذ يقول: "لما فيها من المدّ واللين، حتّى تنقطع عند مخرج الألف والميم فتهدى في القم حتّى تتصل بالخياشيم؛ لما فيها من الغنة"^(٢).

فالغنة في الميم صوت زائد ملازم لها، واللين والمد صوتان زائدان ملازمان لحروف العلة، وهذا الاتفاق بينهما في الزيادة هو الذي جعل الميم أقرب الحروف الصحيحة لحروف العلة عند بعض العلماء.

(١) ابن عصفور، مصدر سابق، ص: ١٤١.

(٢) المبرد، مصدر سابق، ١٥٨/٣.

المطلب الثاني: حرف النون

حرف يختلف مخرجه باختلاف حركته، فإن كان ساكنا يخرج من الأنف والحياشيم فيُشبه حروف العلة في الغنة، ويُشبه امتداد الألف في الحلق، قال ابن يعيش: "ومخرجها إذا كانت ساكنة من الخيشوم، بدليل أنّ الماسك إذا مَسَكَ أَنفَهُ لم يمكنه النطقُ بها، وليس لها فيه مخرجٌ معيّنٌ، بل تمتدّ في الخيشوم امتدادَ الألف في الحلق، ولذلك حذفوها لالتقاء الساكنين من قوله من الطويل:

فَلَسْتُ بِأَتِيهِ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ

كما يحذفون حروف المدّ واللين من نحو: "رَمَى الْقَوْمَ"، "وَتُعْطِي ابْنَكَ"^(١).

وإن كانت النون متحركة فتخرج من طرف اللسان متصلا بالثة، وفتح مجرى الأنف؛ قال ابن جني: "وأما النون المتحركة فمن حروف الفم، إلا أنّ فيها بعض الغنة من الأنف"^(٢).

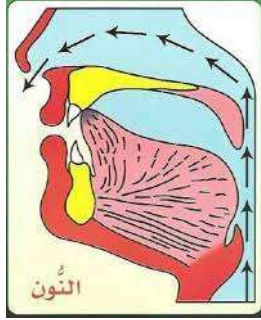
ورمز النون عند علماء اللغة المعاصرين (n)، وهو صوت أنفي مجهور، يخرج من طرف اللسان متصلا بالثة، وفتح مجرى الأنف، وإحداث ذبذبة في الأوتار الصوتية^(٣).

(١) ابن يعيش، مصدر سابق، ٣١٧/٥.

(٢) ابن جني، مصدر سابق، ٦١/١.

(٣) بشر، مصدر سابق، ص: ١٨٨.

شكل رقم (٤)



صورة توضيحية لمخرج النون

وشُبِّهت النون بحروف العلة للشبه الصوتيّ بينهما من جهة الغنة، وهي صفة ضَعْف تناسب ضعف المد واللين في حروف العلة؛ قال ابن يعيش: "والنون؛ لأنَّه أشبَّه حروف العلة في التّرمم بها كالتلحين لحروف العلة وما فيها من الغنة كما في حروف العلة من المد" (١).

ولذلك إذا تحركت ذهبت الغنة فضَعَفَ شَبَّهَهَا بحروف العلة؛ قال أبو حيان (٢): "لأنَّ الشَّبه إنما هو من أجل الغنة التي تلحقها بعد خروجها من مخرجها من اللسان، وإنما تتبين لها تلك الغنة منها عند سكوتها، فإذا تحركت ضعفت، فضعف الشبه فلم تحذف في مثل ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾" (٣)، (٤).

ويرى د. إبراهيم أنيس أنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع؛ ولذلك

(١) ابن يعيش، مصدر سابق، ٣١٧/٥.

(٢) ترجمة أبو حيان

(٣) سورة البينة، من الآية: ١

(٤) محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، (دمشق،

دار القلم)، ٢٣٦/٤

أشبهت من هذه الناحية أصوات اللين. (١).

ولشبهه النون بحروف العلة الثلاثة أبدلت منها؛ فُتبدل أَلْفًا في نحو: رأيت زيدًا عند الوقف، وياءً وواوًا إذا أُدغمت فيهما نحو: ﴿مَنْ يُؤْمِنُ﴾^(٢)، و﴿مِنْ وَآلٍ﴾^(٣)، وكذلك تُبدل النون من الواو في النسب في نحو: صنعاء وبهراء؛ فنقول: صنعاني وبهراني، والأصل صنعاوي وبهراوي، وأيضًا فإنها تدغم فيما قارب الواو في المخرج وهو الميم في نحو: ﴿مِنْ مُكْرِمٍ﴾^{(٤)(٥)}.

كما شبّهوا النون بحروف العلة فأسقطوها من الأفعال الخمسة للجزم كما أسقطوا حروف العلة من الفعل المضارع المعتل الآخر المجزوم، وتكون ضميرًا في المؤنث إذا قلت: "يَضْرِبُنَّ"، كما تكون الياء ضميرًا للمؤنث في "تَضْرِبِينَ"، والواو ضميرًا للمذكر في "تَضْرِبُونَ"^(٦).

(١) أنيس، مصدر سابق، ص: ٦٣.

(٢) سورة التوبة، من الآية: ٩٩.

(٣) سورة الرعد، من الآية: ١١.

(٤) سورة الحج، من الآية: ١٨.

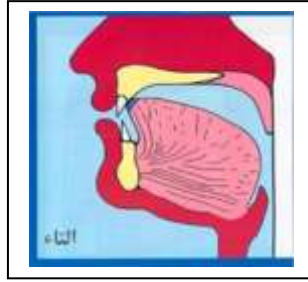
(٥) ابن عصفور، مصدر سابق، ص: ٤٦٨؛ وينظر ابن يعيش، مصدر سابق، ٣٧١/٥.

(٦) الثمانيني، مصدر سابق، ص: ٣٨٧.

المطلب الثالث: حرف التاء

حرف مُشَبَّهٌ بالواو والياء من حروف العلة، قال سيبويه: "لأنَّهم جعلوا التاء التي هي حرف الإعراب كالواو والياء" ^(١)، وأكثر العلماء يشبَّهها بالواو لسببين: الأول: التقارب الصوتي بين مخرج التاء وحرف العلة الواو، قال ابن جني: "وكانت التاء قريبة المخرج من الواو؛ لأنَّها من أصول الثنايا، والواو من الشفة، فأبدلوا تاء" ^(٢). فالتاء صوت شديد مهموس مرقق، يخرج عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، وعند علماء اللغة المعاصرين رمزه (t) وهو صوت أسناني لثوي انفجاري (شديد)، لا تتذبذب له الأوتار الصوتية، مهموس يقف الهواء حال النطق به عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ^(٣).

شكل رقم (٥)



صورة توضيحية لمخرج التاء

وبسبب التقارب الصوتي بينهما أُبدلت التاء من الواو في مواضع كثيرة نحو:

ثُرَاتٌ وَثُكَاةٌ؛ لِأَنَّهما من: وَرَثَةٌ وَتَوَكَّأْتُ ^(٤).

(١) سيبويه، مصدر سابق، ١/١٨.

(٢) ابن جني، مصدر سابق، ١/١٥٨.

(٣) بشر، مصدر سابق، ص ٢٤٩.

(٤) ابن جني، مصدر سابق، ١/١٦٢؛ وينظر: محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت،

دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ)، ١٥/٣٣٦.

ولذلك قال ابن جني: "قد أبدلوا التاء مكان الواو وليس بعدها تاء فقالوا: أَتَلَجُ يُتَلَجُ، وَأَتَكَأُ يُتَكَأُ، وهذا أتقى من هذا وتقية" وإنما أصله: "أولج، وأوكأ"؛ لأنهما من "تَوَلَّجْتَ وتَوَكَّأْتَ، وأتقى من وقيت، وتقية من وقيت"، فهي فعيلة منه، ولكنهم أبدلوا التاء مكان الواو، فكان ذلك أخف عليهم^(١)، ويدل على أنها من الواو؛ لأنَّ إبدال التاء من الواو أكثر من إبدالها من الياء، وعلى الأكثر ينبغي أن يكون القياس^(٢).

الثاني: الشبه الصوتي بين التاء وجميع حروف العلة، فالتاء حرف يتصف بالهمس وهو من صفات الضعف، وهذا الضعف في الهمس يناسب ضعف المد واللين في حروف العلة؛ قال ابن يعيش: "فأما التاء، فمُشَبَّهَةٌ حروف المد واللين أيضاً؛ لأنَّها حرف مهموس، فناسب همسها لين حروف المد واللين. ومخرجها من رأس اللسان وأصول الثنايا، وهو قريب من مخرج النون، وقد أبدلت من الواو في "تالله"، و"تراث"، و"تجاه"، و"تكاة"، و"تخممة"، كل ذلك من الواو في "والله"، و"الوراثة"، و"الوجه"، و"توكأت"، و"الوخامة"، ومن الياء في "ثنتين"، و"كيت"، و"ذيت"^(٣).

(١) ابن جني، مصدر سابق، ص: ٢٢٥.

(٢) الاستراباذي، مصدر سابق، ٨٢/٣.

(٣) ابن يعيش، مصدر سابق، ٣١٦/٥.

**المبحث الثالث: الحروف الصحيحة المشبهة بحروف صحيحة
مشبهة بحروف العلة
المطلب الأول: حرف السين**

السين حرف صحيح مُشَبَّهٌ بالتاء، والتاء حرف صحيح مُشَبَّهٌ بالواو من حروف العلة؛ وذلك لسببين:

الأول: التقارب الشديد في المخرج بين السين والتاء؛ ولذلك قال سيبويه: "السين لم تجد حرفاً أقرب إلى التاء في المخرج والهمس حيث أرادوا التخفيف منها"^(١)؛ فالسين عند علماء اللغة الأوائل حرف لثوي رخو مهموس يخرج من طرف اللسان الأيمن من أصول الأضراس إلى أصول الثنايا العليا^(٢).

وعند علماء اللغة المعاصرين رمزه (s) وهو صوت لثوي احتكاكي (رخو) مهموس، يخرج عند التقاء اللسان مع مقدمة الثنايا العليا مع مَنْقَذٍ للهواء، ولا تَهْتَرُ الأوتار الصوتية عند النطق به^(٣).

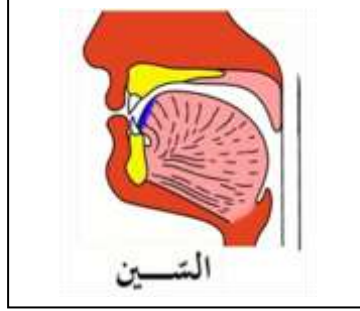
(١) سيبويه، مصدر سابق، ٤/٤٨٤.

(٢) محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة، (بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى،

١٩٨٧م)، ١/٤٥؛ وينظر، ابن يعيش، مصدر سابق، ٥/٣١٧.

(٣) أنيس، مصدر سابق، ص: ٧٦، وينظر بشر، مصدر سابق، ص: ٣٠١.

الشكل رقم (٦)



صورة توضيحية لمخرج السين

والتاء حرف شديد مهموس مُرَقَّق يخرج عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا^(١)، وعند المعاصرين صوت أسناني لثوي انفجاري (شديد) مهموس لا تتذبذب له الأوتار الصوتية، ويقف الهواء حال النطق به عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا^(٢).

فكل منهما يخرج عند التقاء اللسان بأصول الثنايا العليا مع الاختلاف في جريان الصوت واحتباسه، فالصوت يجري عند النطق بالسين؛ لأنَّه حرف رخو، ويحتبس عند النطق بالتاء بسبب الشدة المتصرفة بها.

الثاني: اتفاق السين والتاء في صفة الهمس وهي صفة ضعيفة^(٣)، والحرف المهموس هو الحرف الذي يجري معه الهواء عند النطق به؛ قال سيبويه: "وأما المهموس فحرفٌ أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه"^(٤).

وتميزت التاء عن السين بصفة الشدة، وهي صفة تمنع الصوت من الجريان عند

(١) ابن جني، مصدر سابق، ١/١٥٨.

(٢) بشر، مصدر سابق، ص: ٢٤٩.

(٣) ابن سيده، مصدر سابق، ٤/١٨٠؛ وينظر ابن يعيش، مصدر سابق، ٥/٣١٧.

(٤) سيبويه، مصدر سابق، ٤/٤٣٤.

النطق بالحرف المتصف بها؛ ويسميتها المعاصرون (انفجارية)؛ لانحباس الصوت عند النطق بها ثم انفجاره وخروجه.

فلما تميزت التاء عن السين بصفة الشدة ارتفعت عنها لتُشَبَّه بحروف العلة، وشبَّهت السين بالتاء لما ضَعُفت عن حروف المد بصفة الرخاوة، على أن الشدة التي في التاء يقابلها الصفير في السين والذي يَجْبُرُ ضعف الهمس الذي اتصفت به؛ قال ابن مالك: "فإنَّ السين رخوة والتاء شديدة، إلاَّ أنَّ في السين صفيراً يقاوم الشدة ويفضُّل عليها"^(١).

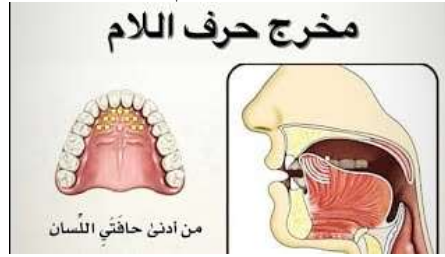
(١) ابن مالك، مصدر سابق، ص: ١٨٣.

المطلب الثاني: حرف اللام

اللام حرف صحيح مُشَبَّه بالنون، والنون حرف صحيح مُشَبَّه بحروف العلة؛ وذلك لسببين:

الأول: التقارب الشديد بينهما في المخرج قال ابن يعيش: "أما اللام فمُشَبَّهَةٌ للنون، من حيثُ تَسْتطِيلُ في مخرجها حتى تَلْحَقَ بمخرج النون"^(١)؛ فاللام يخرج عند التقاء طرف اللسان مع أصول الثنايا متصلاً بالحنك الأعلى؛ قال المبرد: "اللام ومخرجه من حَرْفِ اللِّسَانِ مَتَّصِلًا بِمَا يَجَاذِيهِ مِنَ الضَّاحِكِ وَالثَّنَايَا وَالرَّبَاعِيَّاتِ"^(٢).
ورمز اللام عند المعاصرين (l)، وهو صوت يخرج من حافة اللسان من أدها إلى منتهى طرف اللسان من بينهما وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فوق الضاحك والنايب والرباعية والثنية^(٣).

شكل رقم (٧)



صورة توضيحية لمخرج اللام

والنون حرف يختلف مخرجه باختلاف حركته، فإن كان ساكناً يخرج من الأنف والحياشيم فيُشَبَّه حروف العلة في الغنة ويشبه امتداد الألف في الحلق، وإن كانت

(١) ابن يعيش، مصدر سابق، ٣١٧/٥.

(٢) المبرد، مصدر سابق، ٢٣١/١.

(٣) أنيس، مصدر سابق، ص: ٦٤، وينظر بشر، مصدر سابق، ص: ١٨٦.

النون متحركة فتخرج من طرف اللسان متصلا باللثة، وفتح مجرى الأنف^(١).
واتفق معهم المعاصرون من علماء اللغة، فالنون عندهم صوت أنفي مجهور،
يخرج من طرف اللسان متصلا باللثة وفتح مجرى الأنف، وإحداث ذبذبة في الأوتار
الصوتية^(٢).

ولشدة التقارب بين اللام والنون في المخرج ذهب بعض العلماء إلى أنهما
يخرجان من نفس المخرج؛ قال أبو حيان: "والمخارج ستة عشر، خلافاً لقطرب،
والجرمي، والفراء، وابن دريد، في زعمهم أنها أربعة عشر، ومحل الخلاف هو: مخرج
اللام، والنون، والراء: فمذهب هؤلاء أنه مخرج واحد، ومذهب الجمهور أنها ثلاثة
مخارج، وهو الصحيح لتباينها عند الاختبار"^(٣).

الثاني: الاتفاق الشديد في الصفات، فهما حرفان يتفقان في الجهر والرخاوة
والإذلاق؛ لأنهما من طرف اللسان وطرف كل شيء ذلُّهُ، ولكن تميزت النون بالغنة
فقويت على اللام فشبهت بحروف العلة وشبهت اللام بها؛ ولذلك يُنبّه علماء
التجويد قارئ القرآن الكريم إلى وجوب الاحتراز عند نطق اللام الساكنة وبعدها نون،
نحو قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴾^(٤)؛ لئلا تدغم في النون، قال مكّي
القيسي: "وذلك أن اللام حرف انحرّف من مخرجه إلى مخرج النون، فإدغام اللام إذا
سكنت في النون يسارع إليه اللسان للتقارب الذي بينهما"^(٥).

(١) ابن جني، مصدر سابق، ٦١/١، وينظر ابن يعيش، مصدر سابق، ٣١٧/٥.

(٢) بشر، مصدر سابق، ص: ١٨٨.

(٣) أبو حيان، مصدر سابق، ٦/١.

(٤) سورة النبأ آية (١٣)

(٥) القيسي، مصدر سابق، ص: ١٨٨.

المطلب الثالث: حرف الهاء

الهاء: حرف صحيح مُشَبَّه بالهمزة، والهمزة حرف صحيح مُشَبَّه بالألف من حروف العلة؛ وذلك لأربعة أسباب:

الأول: التقارب الشديد في المخرج بين الهمزة والهاء؛ قال ابن يعيش: "أما الهاء فمُشَبَّهَةٌ للهمزة، من جهة تقارب مخرجيهما؛ لأنَّهما من حروف الخلق"، فالهاء فحرفٌ خفيٌّ مهموسٌ يخرج من أقصى الخلق^(١).

ورمزه عند المعاصرين (h)، وهو صوت حنجري احتكاكي مهموس، يظلّ المزمار منبسّطاً عند نطقه ولا تنذبذبه له الأوتار الصوتية، واندفاع الهواء يحدث نوعاً من الحفيف يُسمَع في أقصى الخلق^(٢).

والهمزة: حرف حلقي شديد مجهور، يخرج من أقصى الخلق فهما في المخرج سواء وقويت الهمزة بصفة الشدة المتصفة بها.

ويرى د. إبراهيم أنيس أنّ العلة الصوتية لتشبيه الهاء بحروف العلة، هي أنّ الفم

عند النطق بالهاء يتخذ وضعاً يُشَبِّه الوضع الذي يتخذه عند النطق بأصوات اللين^(٣).

(١) سيبويه، مصدر سابق، ٤/٤٣٣؛ وينظر، المبرد، مصدر سابق، ١/١٥٥؛ ابن يعيش، مصدر

سابق، ٥/١١؛ ابن يعيش، مصدر سابق، ٥/١٤٢.

(٢) أنيس، مصدر سابق، ص: ٨٨؛ وينظر، بشر، مصدر سابق، ص: ٣٠٤.

(٣) أنيس، مصدر سابق، ص: ٨٨.

الشكل رقم (٨)



صورة توضيحية لمخرجي الهمزة والهاء

الثاني: الهاء حرف مهموس، والهمس صفة ضعف تناسب الضعف في حروف العلة، وتميزت الهمزة بصفة الشدة فارتفعت عن الهاء فشُبِّهَتْ بالألف من حروف العلة، وشُبِّهَتْ الهاء بالهمزة لما ضعفت بصفة الهمس^(١).
الثالث: أن الهاء تقع وصلاً في الشعر متحركة وساكنة، والوصل في الشعر نوعان:

الأول: حرف مد يتولد من إشباع حركة الروي؛ ليصبح حرف علة ألفا أو واواً أو ياء؛ وحروف العلة لا تكون إلا ساكنة.

الثاني: هاء ساكنة أو متحركة تلي حرف الروي^(٢).
فأشْبَهَتْ الهاء حروف العلة في وقوعها وصلاً في الشعر؛ ولذلك قال الأخفش الأوسط: "لأنَّ الشعر وُضِعَ للغناء والترتم والحداء، وأكثر ما يكون ذلك في آخر البيت، فزادوا حروفاً يجري فيها الصوت؛ وذلك أنَّ الصوت لا يجري إلا في حروف المدِّ واللّين، وهنَّ الياء والواو الساكنتان والألف، وأمّا الهاء نحو هاء حمزة، وهاء

(١) المرید، مصدر سابق، ١/١٥٥؛ وينظر، ابن عصفور، مصدر سابق، ص: ٤٣١؛ ابن يعيش،

مصدر سابق، ٥/٣١٧.

(٢) عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، (بيروت، دار النهضة العربية)، ص: ١٤٣.

الإضمار نحو غلامه وغلّامها، والهاء التي تتبين بها الحركة، نحو: هاء آرمه وأغزه وعمّه، تريد ارم واغز وعمّ، فإنما أدخلت الهاء لتتبين بها حركاتهنّ فجعلوهنّ وصلاً إذا تحرك ما قبلهنّ بحركة هاء الإضمار، شبهوهنّ بالياء والواو والألف"^(١).

وضَعُفَت الهاء عن حروف العلة ببعدها عن حروف العلة في المخرج، واتّصفتها بالهمس فشَبَّهت بحرف أقوى صفة وأقرب لحروف العلة منها وهو الهمزة، وشَبَّهت هي بالهمزة؛ لأنّها اتفقت معها في المخرج وضعت عنها بصفة الهمس، وبوقوعها وصلاً في الشعر مثل حروف العلة؛ ولذلك قال ابن جني: "الهاء حرف خفيّ مهموس يُشَبَّه بحروف العلة؛ ألا تراه يقع وصلاً في الشعر كحروف العلة، وينبغي أن يكون أضعف من حروف العلة؛ لأنّ حروف العلة لا تكون وصلاً إلاّ سواكن، والهاء تكون وصلاً ساكنة ومتحركة، فدلّ على أنّ حركتها لا يُعْتَدُ بها"^(٢).

الرابع: جواز إمالة التاء عند الوقف عليها وذلك لصيرورتها هاء تأنيث عند الوقف فتمال مع ما قبلها؛ لشبهها بحروف المد: الألف، والواو، والياء في المخرج؛ قال سيبويه: "لأنّ الهاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أختهما"^(٣).

واختلفت هاء التأنيث عن حروف العلة بتحريكها فحروف المد ساكنة، وعلة اشتراكها في المخرج مع الألف والواو والياء علة عامة لا تشير إلى العلة الحقيقية لإمالة هاء التأنيث وهي شبهها بألف التأنيث المقصورة كما أشار إلى ذلك سيبويه بقوله: "سمعت العرب يقولون: ضربت ضربة، وأخذت أخذة، وشبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها، كما يميل ما قبل الألف"^(٤)، قال أبو حيّان: "ولم يُبَيِّن سيبويه بأي ألفٍ

(١) سعيد بن مسعدة الأخفش، القوافي، ص: ١٤.

(٢) ابن جني، مصدر سابق، ص ٤١٨.

(٣) سيبويه، مصدر سابق، ١٨٩/٤.

(٤) سيبويه، المصدر السابق، ١٤٠/٤.

شُبِّهَتْ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا شُبِّهَتْ بِأَلْفِ التَّأْنِيثِ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي مَعْنَى التَّأْنِيثِ"^(١).
وسبب إلحاق هاء التأنيث بألف التأنيث المقصورة في الإمالة للشبه بينهما لفظاً
وحكماً؛ أما لفظاً فاتفاقهما في المخرج، وهو أقصى الحلق، ولخفائها كخفاء ألف
التأنيث، والزيادة على أصول الكلمة والتطرف في آخر الكلمة، وسكون كل واحدة
منهما، وفتح ما قبل كل واحدة منهما، وأما حكماً فهو الدلالة على التأنيث،
والاختصاص بالأسماء الجامدة والمشتقة"^(٢).

وقد نسب جماعة من العلماء إلى أبي الحسن الأخفش الأوسط، القول بأن الهاء
تخرج من مخرج الألف لقوله "وإن كانت الهاء لا يجري فيها الصوت؛ فلأنها حرفٌ
ضعيفٌ خفيّ المخرج، فأشبهه بخفائه حروف اللين، ومع ذلك أنّ مخرجها ومخرج الألف
واحد"^(٣).

ورده جمع من العلماء قال ابن يعيش: "وزعم أبو الحسن أنّ ترتيبها: الهمزة، ثمّ
الهاء، ومخرجُ الهاء هو مخرجُ الألف، لا قبله، ولا بعده، والذي يدلّ على فساده أنّنا متى
حرّكنا الألف، انقلبت إلى أقرب الحروف إليها، وهي الهمزة، ولو كانت الهاء من
مخرجها، لكانت أقرب إليها من الهمزة، فكان ينبغي إذا حرّكتها أن تصير هاءً"^(٤).

(١) أبو حيان، مصدر سابق، ٥٣٣/٢.

(٢) أبو حيان، مصدر سابق، ٥٣٣/٢؛ وينظر خالد بن عبد الله الأزهرى، التصريح بمضمون
التوضيح في النحو، (بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)،
٦٥٢/٢؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، (مصر،
المكتبة التوفيقية)، ٤٢٣/٣.

(٣) الأخفش، مصدر سابق، ص ١٣.

(٤) ابن يعيش، مصدر سابق، ٥٢٦/٥.

والقارئ لنص الأخفش والسياق الذي ورد فيه يدرك أن الأخفش يقصد بقوله:
"مخرجها ومخرج الألف واحد"، هاء التأنيث عند الوقف عليها في روي الشعر وهو
مقصود قول سيبويه: "لأن الهاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما
في المد، وهي أختهما"^(١)، ولذلك يجوز إمالتها تشبيها لها بألف التأنيث المقصورة.

(١) سيبويه، مصدر سابق، ٤/١٨٩.

الخاتمة

من خلال البحث في حروف العلة والحروف الصحيحة المشبَّهة بها، وقفت على مجموعة من النتائج وهي

١- الحروف المشبَّهة بحروف العلة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: (الهمزة) حرف مختلف بين العلماء.

القسم الثاني: (الميم والنون والتاء) حروف صحيحة مشبَّهة بحروف العلة

القسم الثالث: (اللام والسين والهاء) حروف صحيحة مشبَّهة بحروف صحيحة

مشبَّهة بحروف العلة.

٢- الهمزة حرف صحيح مشبَّه بحروف العلة، وهو أقرب الحروف الصحيحة إلى

حروف العلة على القول الراجح عند الباحث.

٣- الميم أقرب الحروف الصحيحة لحروف العلة عند بعض علماء اللغة؛ بسبب

تقاربه في المخرج مع الواو، والغنة الزائدة في الميم والتي تشبه المد واللين الزائدة

في حروف العلة.

٤- النون شُبِّهت بحروف العلة للشبه الصوتي بينهما من جهة الغنة، وهي صفة

ضعف تناسب ضعف المد واللين في حروف العلة، ومن العلماء من يرى

أنها أقرب الحروف الصحيحة لحروف العلة؛ لكثرة أوجه الشبه بينها وبين

حروف العلة.

٥- شُبِّهت التاء بحروف العلة بسبب التقارب الصوتي بين مخرجها ومخرج الواو من

حرف العلة، وكذلك الشبه الصوتي بينها وبين جميع حروف العلة.

٦- السين حرف صحيح مشبَّه بالتاء، والتاء حرف صحيح مشبَّه بحروف العلة،

وتميزت التاء عن السين بصفة الشدة فارتفعت عنها لتُشَبَّه بحروف العلة،

وشُبِّهت السين بالتاء لما ضعفت عن حروف العلة بصفة الرخاوة.

٧- النون واللام حرفان يتفقان في الجهر والرخاوة والاذلاق؛ لأنهما من طرف

اللسان، وتميزت النون بالغنة فقيوت على اللام فشُبِّهت بحروف العلة

وشُبِّهت اللام بها.

٨- الهمزة والهاء حرفان يتفقان في المخرج، وقويت الهمزة بصفة الشدة المتصفة بها، وضَعُفَت الهاء بصفة الهمس فشُبِّهت الهاء بالهمزة وشُبِّهت الهمزة بحروف العلة.

٩- جمال الإيقاع في الكلمة العربية وتناسق أصواتها، ولذلك تستريح النفس لسماع أصواتها المتسقة بين الجهر والرخاوة والشدة والهمس، فالحروف المشبهة بحروف العلة لم تُشَبَّه بها عبثاً، وإنما العلة في اعتبار هذه الحروف مشبَّهة بحروف العلة هو التقارب في المخرج والتشابه في صفات الضعف وكذلك التشابه في صفة زائدة كالغنة.

١٠- الحروف الصحيحة المشبَّهة بحروف العلة إنما شُبِّهت بها لعنَّتين؛ التقارب الصوتي في المخرج، والاتفاق في صوت زائد ضعيف يشبه الصوت الزائد الضعيف في حروف العلة كالغنة في الميم والنون، وهي صوت زائد ضعيف يناسب صوت المد واللين.

١١- دقة العلماء الأوائل في تحديد مخارج الحروف وصفاتها.

١٢- يرى د. إبراهيم أنيس أن العلة الصوتية لتشبيه النون بحروف العلة، أنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع؛ ولذلك أشبهت من هذه الناحية أصوات اللين.

١٣- ذكر د. إبراهيم أنيس أن العلة الصوتية لتشبيه الهاء بحروف العلة، هي أنّ الفم عند النطق بالهاء يتَّخِذُ وضعاً يُشَبِّهُ الوضع الذي يتَّخِذُه عند النطق بأصوات اللين.

المصادر والمراجع

- الأخفش، سعيد بن مسعدة. القوافي. (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).
- الأزهري، خالد بن عبد الله. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو. (دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- الإستراباذي، محمد بن الحسن. شرح شافية ابن الحاجب. حققها: مجموعة من العلماء، (دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).
- أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية (مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥م).
- ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين. (المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- ابن الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. أسرار العربية. (دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- باسل، كل محمد. الدرس الصوتي عند القدماء والحديثين، (دبي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة ٧٢ محرم ١٤٣٢هـ ديسمبر ٢٠١٠م).
- بشر، كمال. علم الأصوات. (دار غريب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م).
- الثمانيني، عمر بن ثابت. شرح التصريف. المحقق: د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، (مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).
- الجزري، محمد بن محمد. النشر في القراءات العشر. (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٣٥).
- ابن جني، عثمان بن جني الموصلي. المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني. (دار إحياء التراث القديم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).
- ابن جني، عثمان بن جني الموصلي. الخصائص. (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الرابعة، (د.ت)).

ابن جني الموصلي، عثمان بن جني. **سر صناعة الإعراب**. (دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٨٥م).

الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ—١٩٨٧م).

ابن الحاجب، عثمان بن عمر. **أمالي ابن الحاجب**. دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، (دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٩هـ—١٩٨٩م).
ابن حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. **ارتشاف الضرب من لسان العرب**. تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، (مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ—١٩٩٨م).

ابن حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. **التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**. المحقق: د. حسن هندراوي، (دار القلم، دمشق، دار كنوز إشبيليا، بيروت، الطبعة: الأولى، (د.ت)).

الخولي، محمد علي. **معجم علم الأصوات**. (مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة ١٤٠٢هـ—١٩٨٢م).

ابن دُرستَوَيْه، عبد الله بن جعفر. **تصحیح الفصح و شرحه**. المحقق: د. محمد بدوي المختون، (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ—١٩٩٨م).
ابن دريد، محمد بن الحسن. **جمهرة اللغة**. المحقق: رمزي منير بعلبكي، (دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م).

ابن السراج، محمد بن السري. **الأصول في النحو**. المحقق: عبد الحسين الفتلي، (مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، (د.ط)، (د.ت)).

سبيويه، عمرو بن عثمان. **الكتاب**. المحقق: عبد السلام محمد هارون، (مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ—١٩٨٨م).

- ابن سيده، علي بن إسماعيل. **المخصص**. المحقق: خليل إبراهيم جفال، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. **مع الهوامع في شرح جمع الجوامع**. المحقق: عبد الحميد هندراوي، (المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ط)، (د.ت).
- الصالح، صبحي. **دراسات في فقه اللغة**. (دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٣٧٩).
- عبد التواب، رمضان. **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**. (مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- عتيق، عبد العزيز. **علم العروض والقافية**. (دار النهضة العربية بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- ابن عصفور، علي بن مؤمن. **الممتع الكبير في التصريف**. (مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م).
- الفارسي، الحسن بن أحمد. **التعليقة على كتاب سيبويه**. المحقق: د. عوض بن حمد القوزي، (الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. **العين**. المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- القيسي، مكّي بن أبي طالب. **الرعاية**. تحقيق: د. أحمد حسن فرحات. (دار عمار، عمّان، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- ابن مالك، محمد بن عبد الله. **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد**. المحقق: محمد كامل بركات، (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م).
- المبرد، محمد بن يزيد. **المقتضب**. المحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، (عالم الكتب، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

دراسة صوتية للحروف الصحيحة المشبهة بحروف العلة، د. خضر بن محمد تقي الله بن ماياي

المرادي، حسن بن قاسم. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك. شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، (دار الفكر العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م).

ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. (دار صادر، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ).

ابن يعيش، يعيش بن علي. شرح المفصل للزمخشري. قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، (دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

Bibliography

- Al-Akhfash, Sa'īd bin Mas'adah. **Al-Qawāfi**.
Al-Azharī, Khālīd bin 'Abdillāh. **Sharḥ al-Taṣrīḥ 'alā al-Ṭawḍīḥ aw al-Taṣrīḥ be Maḍmūn al-Tawḍīḥ fī al-Naḥw**. (Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah – Beirut – Lebanon, 1st ed. 1421 AH – 2000).
- Al-Istirbādī, Muhammad bin al-Ḥusain. **Sharḥ Shāfiyat ibn al-Ḥājib**. Investigated by: a group of investigators, (Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut – Lebanon: 1395 AH – 1975).
- Anīs, Ibrāhīm. **Al-Aṣwāt al-Lughawīyah**. (Maktabat al-Anglo al-Miṣriyyah, 5th ed. 1975).
- Ibn al-Anbārī, 'Abd al-Raḥmān bin Muhammad. **Al-Inṣāf fī Masā'il al-Khilāf baina al-Naḥwiyyīn al-Baṣriyyīn wa al-Kūfiyyīn**. (al-Maktabat al-'Aṣriyyah, 1st ed. 1424 AH – 2003).
- Ibn al-Anbārī, 'Abd al-Raḥmān bin Muhammad. **Asrār al-Lugha**. (Dār al-Arqam bin Abī al-Arqam, Beirut: 1st ed. 1420 AH – 1999).
- Bāsīl, Kullu Muhammad. **Al-Darss al-Ṣawtī 'enda al-Qudamā wa al-Muḥdathīn**. (Dubai: Majallat Āfāq al-Thaqāfa wa al-Turāth, year 72, Muharram 1432 AH, December 2010).
- Bishr, Kamāl. **'Ilm al-Aṣwāt**. (Dār Gharīb, Cairo: 1st ed. 2000).
- Al-Thamāmīnī, 'Umar bin Thābit. **Sharḥ al-Taṣrīf**. Investigated by: dr. Ibrāhīm bin Sulaimān al-Bu'aimī, (Maktabat al-Rushd, Riyadh: 1st ed. 1419 AH – 1999).
- Al-Jazarī, Muhammad bin Muhammad. **Al-Nashr fī al-Qirā'āt al-'Ashr**. (king Fahd complex for printing the noble Qur'ān, al-Madīnah al-Munawwarah, 1435 AH).
- Ibn Jinnī, 'Uthmān bin Jinnī al-Mawṣilī. **Al-Munṣif Sharḥ Kitāb al-Taṣrīf li Abī 'Uthmān al-Māzinī**. (Dār Iḥyā al-Turāth al-Qadīm, 1st ed. 1373 AH – 1954).
- Ibn Jinnī, 'Uthmān bin Jinnī al-Mawṣilī. **Al-Khaṣā'is**. (al-Hai'at al-Miṣriyyah al-'Āmah lil Kitāb, Cairo: 4th ed.).
- Ibn Jinnī, 'Uthmān bin Jinnī al-Mawṣilī. **Sirr Ṣanā'at al-I'rāb**. (Dār al-Qalam, Damascus, 1st ed. 1985).
- Al-Jawharī, Ismā'īl bin Hammād. **Al-Ṣiḥāḥ Tāj al-Lugha wa Ṣiḥāḥ al-'Arabiyyah**. Investigated by: Aḥmad 'Abd al-Ghafūr 'Aṭṭār, (Dār al-'Ilm lil Malāyīn, Beirut: 4th ed. 1407 AH – 1987).
- Ibn Ḥājib, 'Uthmān bin 'Umar. **Āmālī ibn al-Ḥājib**. Study and investigation: dr. Fakhr Ṣāleh Sulaimān Qudāra. (Dār 'Ammār, Jordan: Dār al-Jīl, Beirut: 1409 AH – 1989).

- Ibn Ḥayyān al-Andolōsī, Muhammad bin Yūsuf. **Irtishāf al-Ḍarb min Lisān al-‘Arab**. Investigation, commentary and study: Rajab ‘Uthmān Muhammad. Revision: Ramaḍān ‘Abd al-Tawwāb. (Maktabat al-Khanjī, Cairo: 1st ed. 1418 AH – 1998).
- Ibn Ḥayyān al-Andolōsī, Muhammad bin Yūsuf. **Al-Tadhyīl wa al-Takmīl fī Sharḥ Kitāb al-Tashīl**. Investigated by: dr. Ḥasan Hindāwi. (Dār al-Qalam, Damascus: Dār Kunuz Ishbīliya, Beirut: 1st ed.).
- Al-Khawli, Muhammad ‘Ali. **Mu‘jam ‘Ilm al-Aṣwāt**. (Maṭābi‘ al-Farazdaq al-Tijāriyyah, 1402 AH – 1982).
- Ibn Durustuwayh, ‘Abdullāh bin Ja‘farr. **Tashīḥ al-Faṣīḥ wa Sharḥuh**. Investigated by: Dr. Muhammad Badawī al-Makhtūn, (the supreme council for Islamic affairs, Cairo: 1419 AH – 1998).
- Ibn Duraid, Muhammad bin al-Ḥasan. **Jamharat al-Lugha**. Investigated by: Ramzī Munīr Ba‘labakkī. (Dār al-‘Ilm lil Malāyīn, Beirut: 1st ed. 1987).
- Ibn al-Sarrāj, Muhammad bin Sarrī. **Al-’Uṣūl fī al-Nahw**. Investigated by: ‘Abd al-Ḥusain al-Fatī, (Muassat al-Risāla, Lebanon – Beirut).
- Sībawaiḥ, ‘Amrū bin ‘Uthmān. **Al-Kitāb**. Investigated by: ‘Abd al-Salām Hārūn. (Maktabat al-Khanjī, Cairo: 3rd ed. 1408 AH – 1988).
- Ibn Sīdah, ‘Ali bin Ismā‘īl. **Al-Mukhaṣṣ**. investigated by: Khalīl Ibrāhīm Jaffāl. (Dār Iḥyā al-Turāth al-‘Arabī, Beirut: 1st ed. 1417 AH – 1996).
- Al-Suyūṭī, ‘Abd al-Raḥmān bin ABī Bakr. **Ham‘ al-Hawāmi‘ fī Sharḥ Jam‘ al-Jawāmi‘**. Investigated by: ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī, (al-Maktabat al-Tawqīfiyyah, Egypt).
- Al-Ṣāleh, Ṣubhī. **Dirāsāt fī Fiqh al-Lugha**. (Dār al-‘Ilm lil Malāyīn, 1st ed, 1379 AH).
- ‘Atīq, ‘Abd al-‘Azīz. **‘Ilm al-‘Arūḍ wa al-Qāfiyyah**. (Dār al-Nahḍat al-‘Arabiyyah, Beirut).
- Ibn ‘Uṣfūr, ‘Ali bin Mu‘min. **al-Mumti‘ al-Kabīr fī al-Taṣrīf**. (Maktabat Lubnān, Beirut: 1st ed. 1996).
- Al-Fārisī, al-Ḥasan bin Aḥmad. **Al-Ta‘līqa ‘alā Kitāb Sībawaiḥ**. Investigated by: dr. ‘Iwaḍ bin Ḥamad al-Qouzī, (1st ed. 1410 AH – 1990).
- Al-Farāhīdī, al-Khalīl bin Aḥmad. **Al-‘Ain**. Investigated by: Dr. Mahdī al-Makhzoumī, Dr. Ibrāhīm al-Sāmūrā‘ī. (Dār wa Maktabat al-Hilāl, Beirut).

- Al-Qaisī, Makkī bin Abī Ṭālib. **Al-‘Ināyah**. Investigated by: dr. Aḥmad Ḥasan Farḥāt. (Dār ‘Imār, Oman: 3rd ed. 1417 AH – 1996).
- Ibn Mālīk, Muhammad bin ‘Abdillāh. **Tashīl al-Fawā’id wa Takmīl al-Maqāṣid**. Investigated by: Muhammad Kamāl Barakāt. (Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1387 AH – 1967).
- Al-Mubarrid, Muhammad bin Yazīd. **Al-Muqtaḍab**. Investigated by: Muhammad ‘Abd al-Khāliq ‘Uḍaima. (‘Ālam al-Kutub, Beirut).
- Al-Murādī, Ḥasan bin Qāsim. **Tawḍīḥ al-Maqāṣid wa al-Masālik be Sharḥ Alfiyat ibn Mālīk**. Commentary and investigation of ‘Abd al-Raḥmān ‘Alī Sulaimān. (Dār al-Fikr al-‘Arabī, 1st ed. 1428 AH – 2008).
- Ibn Manzūr, Muhammad bin Mukrim. **Lisān al-‘Arab**. (Dār Ṣādir, Beirut: 3rd ed. 1414 AH).
- Ibn Ya‘īsh, Ya‘īsh bin ‘Alī. **Sharḥ al-Mufaṣṣal li al-Zamakhsharī**. Forwarded by: dr. Email Badī‘ Ya‘qūb. (Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, Beirut: 1st ed. 1422 AH – 2001).

جدول الأشكال

الصفحة	معناه	رقم الشكل
٨	صورة توضيحية لمخرج الهمزة	١
١٢	صور توضيحية لحروف العلة	٢
١٢	صورة توضيحية لمخرج الميم	٣
١٧	صورة توضيحية لمخرج النون	٤
١٩	صورة توضيحية لمخرج التاء	٥
٢١	صورة توضيحية لمخرج السين	٦
٢٣	صورة توضيحية لمخرج اللام	٧
٢٥	صورة توضيحية لمخرجي الهمزة والهاء	٨

**المورفيم العربي (كَيْفَ) والمورفيم
الإنجليزي (How):
دراسة تقابلية تداولية**

A Contrastive Pragmatic Study of the Arabic Morpheme (Kāifa)
and the English Morpheme (How)

د. عبد الغني عيسى أويارخوا

الأستاذ المشارك بقسم اللغويات بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

البريد الإلكتروني: abumuhaisin2@gmail.com

المستخلص

تهدف الدراسة الحالية إلى المقارنة بين المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How) على المستوى الصرفي والتركيبى والدلالي والاستعمالي للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بينهما، والإسهام في وضع حلول لتذليل بعض الصعوبات التي قد تواجه متعلمي اللغة العربية الناطقين بالإنجليزية في هذا المورفيم واستعمالاته المتعددة ووظائفه المختلفة في اللغة العربية، وذلك في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات، متبعاً المنهج الوصفي التحليلي التقابلي، وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها أن الدراسات التقابلية والتداولية لها جذور عند اللغويين العرب القدامى، وإنما طوّرها اللغويون المحدثون على ضوء مبادئ وأسس اللسانيات الحديثة، وأن المورفيم العربي (كيف) سبق المورفيم الإنجليزي (How) في الاستعمال، وتتنوع أوجه استعمال المورفيم (كيف) ووظائفه فيما يبلغ (١٤) وجهاً، بينما تصل أوجه استعمال نظيره الإنجليزي (How) إلى (٢٩) وجهاً، والاستفهام أبرز وظيفة لكلا المورفيمين، وتتنوع الصعوبات التي قد تواجه متعلم اللغة العربية الناطق بالإنجليزية في هذا المورفيم إلى الصعوبات النظرية والبنوية والسياقية، وقد اقترحت الدراسة بعض الحلول الناجعة للتغلب عليها أو الحد منها، كما أوصت بإجراء دراسات مشابهة في بقية المورفيمات الوظيفية وبخاصة التي تستخدم للاستفهام في العربية والإنجليزية، ودراسة أثر الاختلاف بين وظائف المورفيمات العربية والإنجليزية في الترجمة بين اللغتين.

الكلمات المفتاحية: المورفيم، كيف، التقابلية، الاستعمال، الاستفهام، How،

.Wh-Questions

Abstract

The current study aims to compare the Arabic morpheme (Kāifa) and the English morpheme (How) at the morphological, structural, semantic, and pragmatic levels, to explore the similarities and differences between them, and contribute to proffering solutions to overcome some of the difficulties that face English-speaking Arabic learners in this morpheme and its multiple uses and various functions in Arabic language. This could be achieved through an introduction, three chapters, a conclusion, an index of references, and an index of topics, adopting the descriptive-analytical contrastive approach. Contrastive and pragmatic studies were inherent in the works of primeval Arab linguists, but have been developed by modern linguists in the light of the principles and foundations of modern linguistics, that the Arabic morpheme (Kāifa) is more primordial in usage than the English morpheme (How), the uses of the Arabic morpheme (Kāifa) and its functions vary in (14) forms, while the uses of its English counterpart (How) reach (29) forms and interrogation is the most prominent function of both morphemes. Moreover, the difficulties that an English-speaking Arabic learner may encounter in this morpheme vary to theorizational, structural, and contextual difficulties. However, the study suggested some effective solutions to overcome or curtail them. It also recommended conducting similar studies in the rest of the functional morphemes, especially those used for interrogation in Arabic and English, and studying the impact of the difference between the functions of Arabic and English morphemes in translation between the two languages.

Keywords: Morpheme, Kāifa, Contrastive, Question, Usage, How, Wh-Questions.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. يشكل المورفيم عنصراً مهماً من عناصر اللغة، وهو المادة الأساسية في التحليل الصرفي الحديث، وهو مهم جداً لمتعلمي اللغات سواء العربية أم غيرها؛ لأنه يساعد على فهم وتوليد معان جديدة مختلفة من عناصرها من خلال تحليل الجملة والكلمة وتقطيعها إلى عدة وحدات معنوية ونحوية صغرى حيث إن تعلم اللغة لا يتعلق فقط بكيفية قراءة الجمل والكلمات فحسب، بل يجب أن يكون المتعلم قادراً على تكوين معنى لعناصر الكلمة من أجل فهم التركيب اللغوي المكون من عدد من الكلمات المختلفة، ولا يمكن فهم المورفيم بمعزل عن المكونات النحوية والصوتية لقواعد اللغة، فدراسته تمثل أحد الأساليب اللغوية لمساعدة المتعلمين على معرفة معاني كلمات جديدة في سياقات مختلفة من خلال الجمع بين أدلة المورفيم وقرائن السياق. وهناك دراسات في المورفيمات في اللغة الإنجليزية في اللسانيات الحديثة، أما في اللغة العربية ففي رأي المتواضع أن هذا الموضوع لم ينل ما يستحقه من الدراسة على الرغم من أهميته في اللسانيات التقابلية والتداولية، فأردت الإسهام في دراسة جانب منه بموضوع عنونت له بـ "المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية"، وقد اخترت هذا المورفيم (كيف) وما يقابله في الإنجليزية؛ لأهميته وكثرة استعمالاته ووظائفه وتنوعها مما يجعل ضبطه صعباً بالنسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين باللغة الإنجليزية، ففي دراسة الاستعمالات والوظائف اللغوية التي يؤديها كل منهما وحصر أوجه التشابه والاختلاف بينهما تيسير على المتعلمين، ولم أقف على دراسة متخصصة بحثت هذا الموضوع، وأرجو من الله التوفيق والإخلاص، والإعانة والسداد لإنجاز هذا العمل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهدف من الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى المقارنة بين المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How) على المستوى الصرفي والتركيبى والدلالي والاستعمالي للوقوف على أوجه التشابه والاختلاف

بينهما، والإسهام في وضع حلول لتذليل بعض الصعوبات التي قد تواجه متعلمي اللغة العربية الناطقين بالإنجليزية في هذا المورفيم واستعمالاته المتعددة ووظائفه المختلفة في اللغة العربية.

أهمية الدراسة وحدودها

تستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها تسهم في إثراء الدراسات التطبيقية التي تعنى بالمقابلة بين العناصر المشتركة والمختلفة بين اللغتين العربية والإنجليزية وبخاصة في المورفيم العربي (كيف) الذي يعد من أهم وأولى الأدوات التي يتعرض لها من أراد تعلم العربية من أبناء الأمة الناطقة بالإنجليزية وما يواجهه من صعوبات ناشئة عن تعدد أوجه استعمال هذا المورفيم في اللغة العربية تختلف إلى حد عما عهدته في لغته الأم الإنجليزية، فالدراسة في غاية الأهمية إذا علمنا أن الدراسات التقابلية والتداولية في هذا الجانب شحيحة، ولم أقف على دراسة علمية خصصت هذا المورفيم بالبحث مع أهميته في اللغتين، فنتائج الدراسة ستضاف بلا ريب إلى الجهود المبذولة في مجال اللسانيات التطبيقية في فرعين من فروعها المهمة هما اللسانيات التقابلية واللسانيات التداولية، وتقتصر الدراسة على المستوى الصرفي والتركيبى والدلالي والاستعمالي للغتين في المورفيمين المحددين المذكورين وعلى مستوى الفصحى والفصيحة.

الدراسات السابقة

هناك عدد من الدراسات التقابلية بين العربية والإنجليزية، وفيما يلي بعضٌ منها:

- **A Comparative Study of Diminutive Forms in English and Arabic, Iman Hamid & Sahar Faiq, 2009.**

هدفت الدراسة باللغة الإنجليزية بعنوان "أشكال التصغير في الإنجليزية والعربية: دراسة مقارنة" إلى المقارنة والمقابلة بين أشكال التصغير في اللغتين الإنجليزية والعربية؛ لاستكشاف كيفية تكوّنها، والعملية التصريفية التي تخضع لها وأي أقسام الكلام تتضمنها، وإبراز بعض أوجه التشابه والاختلاف بين اللغتين مع إلقاء الضوء على المعاني المختلفة لهذه الأشكال، متبعة المنهج التقابلي، وخلصت الدراسة إلى أن اللغتين متشابهتان إلى حد ما من حيث أقسام الكلام والمعنى ولكنهما مختلفتان اختلافاً كبيراً من حيث العملية التصريفية، ولم توص الدراسة بتوصية.

• **A Contrastive Study of English-Arabic Noun Morphology, Jamal Azmi Salim, 2013.**

هدفت الدراسة باللغة الإنجليزية بعنوان "مورفولوجيا الأسماء الإنجليزية والعربية: دراسة تقابلية" إلى إجراء المقارنة التصريفية بين الأسماء في العربية والإنجليزية لتحديد أوجه الاختلاف بينهما، متبعة المنهج التحليلي التقابلي، ومن أهم نتائج الدراسة أن اللغتين الإنجليزية والعربية تشتركان في بعض المميزات في بنيتهما الاشتقاقية بحيث يمكن إضافة اللواحق لتشكيل الأسماء والأفعال والصفات، ولكن يمثل نظام الجذر الخصائص التصريفية الأساسية في بنية الأسماء والأفعال في اللغة العربية بحيث يمكن إرجاع كل كلمة فيها إلى جذر يتكون من ثلاثة أحرف صامتة، وأوصى الباحث المعلمين ومؤلفي الكتب المدرسية للغة الإنجليزية والعربية كلغات أجنبية بالإفادة من تحليل ونتائج هذه الدراسة.

• **المورفيم العربي (ما)، والمورفيم الإنجليزي (What) في الاستعمال اللغوي: دراسة**

تقابلية تطبيقية، نزار قبيلات وإسماعيل الأقطش، ٢٠١٣م.

هدفت الدراسة إلى الوقوف على مضامين الاستعمال اللغوي للمورفيم العربي (ما)، والمورفيم الإنجليزي (What)، وبيان الجوانب المشتركة في وظائف كل منهما وأوجه الاختلاف على الصعيد الوظيفي والتركيب، متبعة المنهج التقابلي، وتوصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها اشتراك المورفيمين في ثلاث وظائف عامة هي: الاستفهام والصلة والتعجب، واختلافهما في أن المورفيم (ما) يتميز عن نظيره بدخوله فضاءات لغوية أخرى كالنفي والمصدرية وكثير من صيغ الجزاء لا يدخلها المورفيم الإنجليزي، ولم يوص الباحثان بتوصيات.

• **الأصوات اللغوية بين اللغتين العربية والإنجليزية: دراسة وصفية وتقابلية، مراد حميد**

عبد الله العبد الله، ٢٠١٤م.

هدفت الدراسة إلى عرض النظامين الصوتيين للغتين العربية والإنجليزية، وبيان الفروق النطقية بينهما، وتحديد أوجه التشابه والاختلاف بينهما في النظام الصوتي، وقد اتبع الباحث منهج التحليل التقابلي، ومن أهم نتائج الدراسة تفضيل اعتماد المنهج التقابلي عند تعليم

اللغات، وأن الدراسة التقابلية قديمة قد تناولها العرب القدامى، وأن ما توصلوا إليه هي الركيزة الأساس في علم الأصوات الحديث، ولم يوص الباحث بتوصيات.

• دلالات زمن الفعل الماضي بين العربية والإنجليزية، دراسة وصفية وتقابلية، صالح

عياد حميد الحجوري، ٢٠١٤ م.

هدفت الدراسة إلى الإفادة من علم اللغة التقابلي لمعرفة أوجه التشابه والاختلاف في الدلالات الزمنية للفعل الماضي في اللغتين العربية والإنجليزية، متبعاً المنهج التقابلي، وخلصت إلى اتفاق اللغتين في دلالة الفعل الماضي على الزمن مع انفراد العربية في الدلالة على الزمن أولاً في الصيغة الصرفية، ثم تأتي القرائن لتعيين هذا الزمن أو تغييره إلى غيره بوضوح ليصبح زمناً سياقياً، بخلاف الإنجليزية التي لا تدل فيها الصيغة الصرفية للفعل على الزمن وإنما يتحدد الزمن من خلال القرائن أو السياق أو الألفاظ الدالة عليه، ولم يوص الباحث بتوصيات.

• أسماء الإشارة في العربية والإنجليزية: دراسة تقابلية، سليمان بن عمر السحيباني،

١٤٣٦ هـ.

هدف الباحث إلى دراسة أسماء الإشارة في اللغتين العربية والإنجليزية دراسة تقابلية، وإبراز مواطن التشابه والاختلاف بينهما، ثم تحليل بعض الآيات القرآنية التي وردت فيها أسماء الإشارة، والنظر في ترجمتها؛ لتظهر جوانب الاتفاق والاختلاف بين اللغتين متبعاً المنهج التقابلي، ومن أهم نتائج الدراسة وقوع أسلوب الإشارة في جملة أساسية، مما يدل على أنه أساس من حيث البناء والتركيب اللغوي في اللغتين، وليس المقصود منه التوضيح والتبيان فقط، وقد أوصى الباحث بتوسيع دائرة النقاش لتشمل نظرية الإشارة والعلاقات النحوية بين الجمل.

الإضافة المتوقعة من الدراسة:

اهتمت كل دراسة من الدراسات السابقة بالمقابلة بين العربية والإنجليزية في جانب من الجوانب تشمل أشكال التصغير، ومورفولوجيا الأسماء، والمورفيم (ما)، وأسماء الإشارة، والأصوات اللغوية، ودلالات زمن الفعل الماضي، ولم تتطرق أي منها إلى دراسة المورفيم العربي

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخو

(كيف) والمورفيم الإنجليزي (How) دراسة تقابلية تداولية، وهذان المورفيمان في غاية الأهمية لا يستغني عنهما أحد من مستخدمي اللغتين، فهما من العناصر اللغوية الأكثر تداولاً واستعمالاً، ولهما استعمالات أخرى غير الاستعمال المشهور الذي هو الاستفهام، ولوجود أوجه الاختلاف في الاستعمال يجد متعلمو اللغة العربية الناطقون بالإنجليزية صعوبة من هذا الجانب في ضبط المورفيم العربي، وعليه فإن دراستي ستسلط الضوء على تلك الاستعمالات لتشهيرها وتقريبها لدى المتعلمين وبخاصة من أبناء الأمة الناطقة بالإنجليزية لغة أصلية، ولم أقف على من اختص هذا الموضوع بالدراسة المستقلة حتى الآن.

خطة الدراسة

تنتظم هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات على النحو الآتي:
المقدمة: وفيها أهمية موضوع الدراسة والهدف منها، وبيان حدودها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة، ومنهجها.

المبحث الأول: الدراسات التقابلية والتداولية نشأتها وأهدافها وأهميتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة الدراسات التقابلية وأهدافها وأهميتها.

المطلب الثاني: نشأة الدراسات التداولية وأهدافها وأهميتها.

المبحث الثاني: المورفيم (كيف) في اللغة العربية والمورفيم (How) في اللغة الإنجليزية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المورفيم وأقسامه ووظائفه.

المطلب الثاني: المورفيم (كيف) في اللغة العربية.

المطلب الثالث: المورفيم (How) في اللغة الإنجليزية.

المبحث الثالث: أوجه التشابه والاختلاف بين المورفيمين، والصعوبات والحلول المقترحة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أوجه التشابه بين المورفيمين.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين المورفيمين.

المطلب الثالث: صعوبات وحلول مقترحة لمتعلمي العربية.

الخاتمة: وفيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات.

الفهارس الفنية: وتشتمل على فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج الدراسة

تعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي التقابلي بوصف كل من المورفيمين في اللغة العربية والإنجليزية وتحليل نماذج نصوص من اللغتين على المستوى الاستعمالي ثم بيان أوجه التشابه والاختلاف بين اللغتين، مع استقصاء أوجه استعمال المورفيمين في اللغتين بقدر الإمكان معتمداً في ذلك على كتب قواعد اللغة والمعاجم المعتمدة فيهما، حيث اعتمدت في العربية على كتب النحو والصرف المتخصصة والمعاجم، وفي اللغة الإنجليزية اعتمدت كتب القواعد والمعاجم المعتمدة أيضاً وبخاصة معجم مريام ويبستر الإلكتروني الذي هو بمثابة مدونة للاستعمالات الفصيحة الحديثة والشائعة في اللغة الإنجليزية، حيث يقوم بتحديث الأمثلة من وقت لآخر من خلال ما ينشر في الصحف اليومية والمجلات والدوريات، وفي هذا تثبت من أن الأمثلة التي أوردها في الدراسة موجودة حقيقة في الواقع الاستعمالي. وفي ترجمة الأعلام فمن رجعت إلى كتابه اكتفيت بما أورده عنه من معلومات في فهرس المصادر والمراجع، ومن لم أرجع إلى كتابه اكتفيت بذكر سنة وفاته عند أول وروده في الدراسة توخياً للإيجاز.

المبحث الأول: الدراسات التقابلية والتداولية نشأتها وأهدافها وأهميتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة الدراسات التقابلية وأهدافها وأهميتها

التقابل تفاعلٌ من القبل، ويدل أصل مادته على المواجهة والمعارضة بين الشئيين، قال ابن فارس: "القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدل كلُّه كُله على مواجهة الشيء للشيء"^(١)، وقال ابن منظور: "وقابل الشيء بالشيء مقابلةً وقبالاً: عارضه.... والمقابلة: المواجهة، والتقابل مثله"^(٢).

والدراسات التقابلية (Contrastive Studies) فرع من فروع اللسانيات التطبيقية (Applied Linguistics) يقوم على المقابلة بين لغتين أو لهجتين مختلفتين أو أكثر؛ لاكتشاف أوجه التشابه والاختلاف بينهما، وتطبيق هذه النتائج على المجالات ذات الصلة بدراسة اللغة أو الممارسة^(٣)، ويُشترط انتماء اللغتين أو اللغات إلى فصيلة لغوية مختلفة كالمقابلة بين اللغة العربية والإنجليزية، والعربية والفرنسية، ويمكن أن تكون المقابلة على مستوى واحد من مستويات التحليل اللغوي كالمستوى الصوتي، أو الصرفي، أو النحوي، أو الدلالي، كما يجوز أن تكون على جميع المستويات الأربعة. أما إذا كانت الموازنة بين لغتين أو أكثر من أسرة لغوية واحدة كالعربية والعبرية مثلاً فهذا ما يعرف بدراسات المقارنة التي يعالجها علم اللغة المقارن. ويجوز أن تكون الدراسة التقابلية خلال فترة محددة من تطور اللغة، كما يجوز أن تكون في فترات مختلفة، وتسمى الأولى دراسات تقابلية تزامنية (Synchronic)، والثانية دراسات تقابلية تعاقبية (Diachronic)^(٤).

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس (دار الفكر، لا.ط. ١٣٩٩هـ)، ٥١/٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور (بيروت: دار صادر، ط. ٣، ١٤١٤هـ)، ٥٤٠/١١.

(٣) ينظر: Ping Ke, *Contrastive Linguistics*, p.8.

(٤) ibid p.4 وينظر: سرى جوميثاتي، "الجملة الاسمية في اللغة العربية واللغة الإندونيسية"، ص ٥٩.

وإذا سلّمنا أن التقابل قائم في الأساس على عملية المقارنة فإن جذور هذا النوع من الدراسات قد وُجِدَت عند اللغويين العرب القدامى وإن لم تتبلور في شكل علم مقنن إلا في العصر الحديث على أيدي الغرب، فهذا سيوييه يجري مقابلة بين العربية والفارسية على المستوى الصوتي في باب "اطراد الإبدال في الفارسية" حيث يقول: "يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم: الجيم؛ لقرّبها منها. ولم يكن من إبدالها بدًّا؛ لأنها ليست من حروفهم، وذلك نحو: الجزر، والآجر، والجورب، وربما أبدلوا القاف؛ لأنها قريبة أيضاً، قال بعضهم: قريز، وقالوا: كريق، وقريق"^(١). والجاحظ - وهو من أبرز اللغويين القدامى الرواد الذين كان لهم باع طويلاً في الدرس التقابلي - نقل عن الأصمعي (ت ٢٠٨ هـ) أنه قال: ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال^(٢)، وما كان ليقرر هذا لولا اتصاله بهذه الأمم وإمامه بلغاتهم، ومقابلته بين العربية وتلك اللغات. وكذلك قابل أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٤٤ هـ) بين العربية والسريانية في (أل) التي للتعريف، مبيناً أنها من العلامات التي انفرد بها العرب عن سائر الأمم، فأدخلوها في أوائل كلمات سريانية مثل طوراً ويمّاً فقالوا: الطور واليم، وألزموها إياها في الإعراب رفعاً ونصباً وجرّاً^(٣)، فصرفوها وإن كان حقها في الأصل المنع من الصرف للعلمية والعجمة.

أما في العصر الحديث فقد تطورت الدراسات التقابلية في ظل اللسانيات التطبيقية على أيدي اللغويين الغربيين في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين تطبيقاً لعلم اللغة البنيوي (Structural Linguistics) وعلم اللغة السلوكي (Behavioural Linguistics) في

(١) سيوييه، الكتاب (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط. ٣، ١٤٠٨ هـ)، ٣٠٥/٤.

(٢) ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ)، ٧٤/١، وأيضاً: مراد حميد

العبدالله، "علم اللسانيات التقابلية عند العرب والغرب تأصيل وتوصيف"، ص ٥.

(٣) ينظر: أبو حاتم الرازي، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية (صنعاء: مركز الدراسات والبحوث

اليمني، ١٤١٥ هـ)، ٨٩/١.

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخو

تعليم اللغة^(١)، وذكر بعض الباحثين أن بوادرها الأولى تعود إلى الدراسات التي قام بها العالم الأمريكي "تشارلز فريز" (Charles Fries) في مجال تعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها في جامعة ميشيجان بأمريكا ١٩٥٤م، موظفاً المنهج التقابلي في تدريس اللغة الأجنبية، ثم الجهود التي بذلها العالمان بعده "إينار هاوغن" (Einar Haugen) و"وينرش" (Weinreich) والتي تعد القواعد النظرية لهذا العلم^(٢).

وتهدف الدراسات التقابلية في الأساس إلى تيسير المشكلات العملية عند التقاء اللغتين المختلفتين أو اللغات المختلفة محل الدراسة كمشكلة الترجمة وتعليم اللغات الأجنبية، هذا بالإضافة إلى فحص أوجه الاختلاف والتشابه بين اللغات، والتنبيه بالمشكلات الناشئة عند تعليم اللغة الأجنبية، ومحاولة تفسيرها وإيجاد الحلول لها، والإسهام في تطوير المناهج الدراسية لتعليم اللغة الأجنبية^(٣). وإذا أمعنا النظر في هذه الأهداف ندرك أن الدراسات التقابلية في غاية الأهمية، فهي تعين على معرفة اللغات، وإبراز سماتها وخصائصها، وتقديم تفسيراً لأسباب الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون، كما أنها بمثابة مصدر للمعلومات لتحديد المجالات البنوية للغة الهدف التي يحتاج المعلمون التركيز عليها؛ لاحتثال أن يحصل فيها النقل السلي لى المتعلمين^(٤)، هذا بالإضافة إلى أن هذه الدراسات تؤدي وظائف متعددة من التنبيه بالأخطاء،

(١) ينظر: Alan Davies and Catherine Elder, **The Handbook of Applied Linguistics**,

p.249, زيدان علي جاسم، "نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي"، مجلة التراث العربي،

ع (٨٣-٨٤)، (١٤٢٢هـ)، ص ٢٤٣.

(٢) ينظر: فريدة مولوج، "التحليل التقابلي أهدافه ومستوياته"، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية

العربية، ج (١)، ع (٢)، (٢٠١٩م) ص ١٤٦.

(٣) ينظر: عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية،

١٩٩٥م)، ص ٤٧-٤٨.

(٤) ينظر: Mohammad Keshavarz, **Contrastive Analysis and Error Analysis**, p.7.

وتوضيحها، ودعم معلومات المعلمين ومصممي المناهج الدراسية، وتقليل الأخطاء والوقاية منها، وعلاجها عند الوقوع، وغير ذلك.

المطلب الثاني: نشأة الدراسات التداولية وأهدافها وأهميتها

التداول تفاعل من الدّول، ويدلّ في الأصل على الشهرة، وتحول شيء وانتقاله من مكان إلى آخر، ويقال: دالّ يدُول دالَّةً ودَوْلًا: إذا صار شُهْرَةً^(١)، وفي معنى الانتقال والتحول قوله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ الحشر: [٧]، أي: مُتداولاً مرة لهذا ومرة لهذا، والجامع بين المعنيين أن كل متداول مشهور ضرورة.

والدراسات التداولية (Pragmatics) فرع من فروع اللسانيات التطبيقية؛ إذ تهتم بدراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل، وقد اختلف في تعريفها كثيرا، ومن أحسن ما عُرِفَتْ به تعريف جاكوب مي (Jacob Mey) بأنها دراسة استخدام اللغة في التواصل الإنساني على النحو الذي تحدده ظروف المجتمع^(٢)، وبعبارة أخرى هي دراسة اللغة قيد الاستخدام في سياقاتها الواقعية، وفي ظروف ومواقف معينة، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية^(٣). ومن هنا ندرك الارتباط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ لأن استعمال اللغة مدعاة إلى اشتهاها القائم على تحوّلها من متكلم إلى مخاطب ومن مكان إلى آخر وتناقلها بين الأفراد.

والدراسات التداولية ليست وليدة العصر الحديث، بل نجد جذورها متأصلة في الدرس اللغوي القديم عند العرب الذي قام على استعمال اللغة وتداولها منذ نشأته، يقول ابن جني في باب تعارض السماع والقياس: "واعلم أنك إذا أذاك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد

(١) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى (بيروت: دار إحياء التراث العربى، ٢٠٠١م) ١٤/١٢٤، وابن فارس، مرجع سابق، ٣١٤/٢.

(٢) Jacob L. Mey, **Pragmatic: An Introduction**, p.6 (ترجمتي من الأصل الإنجليزي).

(٣) ينظر: بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية (القاهرة: شمس للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ص

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخوا

نَطَّقَتْ فيه بشيء آخر على قياس غيره، فَدَعُ ما كنت عليه إلى ما هم عليه^(١)، وفي موضع آخر يقول: "وإذا فشا الشيء في الاستعمال وقوي في القياس، فذلك ما لا غاية وراءه"^(٢)، وقد بنى السيوطي كتابه الاقتراح في أصول النحو على هذا الأساس، وجعله أصلاً في كل ظاهرة لغوية^(٣). ويعدّ علم البلاغة من أحسن العلوم العربية في إبراز العلاقات التداولية في اللغة؛ لاهتمامه بدراسة التعبير على مختلف مستوياته اللفظية والتركيبية والدلالية والعلاقات القائمة بينها^(٤)، وهو مجال قديم قدم الدرس اللغوي عند العرب.

وفي العصر الحديث، -ففيما يرى بعض الباحثين- أن هذه الدراسات امتداد طبيعي لأطروحات النحو الوظيفي (Functional Grammar) التي طوّرها العالم الإنجليزي مايكل هاليداي (Michael Halliday) عام ١٩٨٥م^(٥)، لكن الصحيح أنها نشأت على يد الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس (Charles Morris) واضع المصطلح عام ١٩٣٨م، وقد عَنَى به أحد فروع علم العلامات (Semiotics) الذي يهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسّريها^(٦)، ثم تطوّرت بعد ذلك واستقلّت على يد مايكل هاليداي وغيره من اللغويين الذين جاءوا من بعده.

وبجانب المهمة الأساسية الوظيفية من دراسة استعمال اللغة في التواصل، تهدف الدراسات التداولية أيضاً إلى شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة المنطوق، وبيان أسباب

(١) ابن جني، الخصائص (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٤. لا.ت)، ١/١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ١/١٢٧.

(٣) ينظر: السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله (دمشق: دار القلم، ١٤٠٩هـ)، ص ٤٣٦.

(٤) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية (الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م)، ص ١٥٤.

(٥) ينظر: بهاء الدين محمد مزيد، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٦) ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٣٢هـ)، ص ٩.

فشل المعالجة اللسانية البنيوية في ذلك، وتوضيح مبررات أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر^(١).

وعلى ما سبق، تتجلى أهمية هذا النوع من الدراسات على الرغم من عدم انتمائها إلى أي من مستويات الدرس اللغوي، فهي مهمة في معالجة أوجه القصور التي عانت منها البنيوية والتوليدية، وفي هذا رد على المنهج البنيوي، وهذه الدراسات تنقلنا من الاهتمام بدراسة اللغة المجردة إلى دراسة اللغة المستعملة، فيتحول الدرس اللساني إلى درس للإنجاز اللغوي، وفيها تأكيد على ارتباط المتكلم بالسياق الخارجي ارتباطا وثيقا مؤثرا في تحديد المعنى الذي يقصده، وعلاوة على ذلك، التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم الأخرى المتصلة باللغة بوصفها وصلة بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية^(٢).

(١) ينظر: خلف الله بن علي، "التداولية مقدمة عامة"، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، م(١٤)، ع(١)، ٢٠١٧م، ص ٢٢٦.

(٢) ينظر: محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص ١٥، ونور الوحدة، "التداولية: علاقتها بالعلوم الأخرى وتطبيقاتها بغيرها من المجالات"، التعريب: المجلة العربية واللغوية للتعليم، م(٤)، ع(١)، ٢٠٠٦م، ص ٤٢.

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخو

المبحث الثاني: المورفيم (كيف) في اللغة العربية والمورفيم (How) في اللغة الإنجليزية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم المورفيم وأقسامه ووظائفه

المورفيم (Morpheme) في اللغة مصطلح إنجليزي مكون من كلمتين يونانيتين مختلفتين: الأولى (Morphē) وتعني الشكل أو الصورة، والثانية (eme)، وتعني أصغر وحدة لغوية يمكن استخدامها لتمييز كلمة عن أخرى^(١). أما في الاصطلاح فيعرف المورفيم بأنه وحدة صرفية ذات معنى غير قابلة للتجزئة^(٢)، ويقصد بالمعنى الوظيفة، وبعبارة أخرى هو أصغر وحدة صرفية في بنية الكلمة تحمل معنى أو لها وظيفة نحوية في بنية الكلمة^(٣)، فمثلاً: الرجل يتكون من مورفيمين هما: (ال+رجل)، ولكل منهما معنى أو وظيفة نحوية ولا يمكن تجزئتهما إلى وحدات أصغر ذات معنى، وهذا مما يختلف فيه المورفيم عن الكلمة حيث إن الكلمة يمكن تجزئتها أحياناً كما في المثال السابق (ال+رجل)، وأيضاً ليس كل مورفيم كلمة كما في (أل) وتاء التأنيث، ولكن بعض المورفيمات تشكل كلمات مثل كيف ومنم وقلم، وبعض الكلمات أحادية المورفيم مثل (كيف) وبعضها ثنائية المورفيم مثل (ال+رجل)، وبعضها متعددة المورفيمات مثل (ال+مسلم+ون)^(٤). وربما أشير إلى هذا

(١) ينظر: Merriam Webster Online Dictionary, <https://www.merriam-webster.com/dictionary/morpheme>.

(٢) ينظر: The Oxford American Dictionary of Current English, p.515.

(٣) ينظر: مدلين شفيق شقير، "دراسة المستوى المورفولوجي للغة لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية والعاديين"، جامعة دمشق: رسالة ماجستير في التربية الخاصة، ١٤٣٧هـ، ص ٤١.

(٤) ينظر: محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة (الأردن: دار الفلاح، ط ٢٠٠٠م)، ص ٦٩.

المصطلح في الدراسات العربية بمصطلح الوحدة الصرفية، والوحدة اللغوية، والصيغ، والمقطع الصرفي ونحوها.

وينقسم المورفيم إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

الأول: المورفيم الحرّ (Free morpheme): وهو المستقل، ولا يستعمل إلا منفصلاً؛ مثل: الضمائر المنفصلة (أنا، أنت، هو)، وأفعال الشروع مثل (شرع، طفق، أنشأ)، وحروف الجر مثل (من، إلى، عن).

الثاني: المورفيم المقيّد (Bound morpheme): وهو المورفيم المتصل بالكلمة مثل (أل) التعريف في كلمة (الرجل)، وألف الاثنين، وواو الجماعة.

الثالث: المورفيم الصفري (Zero morpheme): وهو المورفيم الذي لا وجود له في الرسم الكتابي وإنما هو الصورة الموضوعية في الذهن مثل الضمائر المستترة والصيغ في المشتقات والإسناد في الجملة^(١).

وهناك تقسيمات أخرى حسب حيثيات واعتبارات مختلفة، فمن حيث النظر إلى قيمة المورفيم ووظيفته الصرفية في الجملة ينقسم ثلاثة أقسام:

الأول: ما يكون عنصراً صوتياً فيلحق الكلمات (العناصر) الدالة على المعاني أو التصورات كما في يَضْرِبُ وضُرِبْتُ وضربوا، في الدلالة على التذكير والتأنيث والجماعة، على الترتيب.

والثاني: ما يتكون من طبيعة العناصر الصوتية الدالة على المعنى أو التصور، أو من ترتيب هذه العناصر الصوتية كما في رجال جمع رَجُلٍ في الدلالة على الجمع.

(١) ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي (الأردن: دار أزمنة، ١٩٩٨م)، ص ١٠٧-

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخو

والثالث: هو الموقع الذي تحتله الكلمة الدالة على المعنى أو التصور في الجملة^(١).

ومن حيث الدلالة الوظيفية ينقسم قسمين:

الأول: المورفيم المعجمي (Lexical morpheme): وهو الذي يدل على معنى معجمي مثل (ع ل م) الدال على حدث هو العلم، ويعبر عنه أيضاً بمورفيم المحتوى (Content morpheme).

الثاني: المورفيم الاشتقاقي (Derivational morpheme): وهو الدال على معنى

اشتقاقي نحو: الميم والواو في (معلوم)؛ للدلالة على اسم المفعول.

والمورفيم الوظيفي (Functional morpheme) مثل (كيف) الذي نحن بصدد دراسته هنا في مقابل المحتوى أو المعجمي، ويقوم بتعديل وتوجيه معنى الكلمة في سياق الكلام، بدلاً من مجرد توفير المعنى الجذري لها، وكلا النوعين من المورفيم (المحتوى والوظيفي) يكون حراً ومقيداً.

أما من حيث الدلالة الصرفية فينقسم إلى مورفيم الشخص (التكلم والخطاب والغيبة)، ومورفيم العدد (الإفراد والتثنية والجمع)، ومورفيم التعيين (أل - التعريف، والإشارة، والنداء ونحوها)، ومورفيم النوع (التذكير والتأنيث)، ومورفيمات الزمن، والمفاضلة، والترتيب والمضارعة والتوكيد وغيرها^(٢).

وتنحصر وظيفة المورفيمات بأنواعها وأشكالها المختلفة في أمور ثلاثة هي: التعريف أو التحديد (Identification) وذلك بتحديد بنية المورفيم أو صورته الصوتية أو معنى البنية من وظيفية أو دلالية، والتصنيف (Classification) بوضعها في مجموعات بناء على ما

(١) ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي (بيروت: دار النهضة العربية، لا.ت)، ص

٢١٨-٢٢٦.

(٢) ينظر: عبد الغني شوقي الأدبي، "من قضايا المورفولوجيا العربية: المورفيم في التصنيف والشكل الوظيفي"، مجلة الملك خالد للعلوم الإنسانية، م(٢٥)، ع(٢)، ١٤٣٨هـ، ص ص ٢٤٨-٢٤٩.

سبق، والتوزيع (Distribution) ويقوم على فكرة الإبدال أو الإحلال باستبدال وحدة لغوية محل وحدة لغوية أخرى في بيئة لغوية أكبر^(١).

المطلب الثاني: المورفيم (كيف) في اللغة العربية

كيف اسم نكرة يتضمن جميع الأحوال، وهو مبني لتضمنه معنى همزة الاستفهام، ويدل على اسميته ثلاثة أمور:

أحدها: أنه ليس حرفاً، للاكتفاء به مع الاسم المفرد، نحو: كيف أنت؟ وليس فعلاً؛ لدخوله على الأفعال واتصاله بها، نحو: كيف جاء زيد؟

الثاني: جواز إبدال الاسم منه، كما في قولك: كيف زيد؟ أصحيح أم سقيم؟ وكيف جئت؟ أراكباً أم ماشياً؟ فلولا أن كيف اسم لما أبدل منه الاسم.

الثالث: دخول حرف الجر عليه في قول بعضهم: على كيف تبيع الأحمريين؟^(٢). وفيه عند العرب لغتان، أولاهما: "كَيْفٌ" كما مر في الأمثلة، والثانية: "كَيْ" وعليها قول الشاعر:

أَوْ رَاعِيَانِ لُبْعَرَانِ لَنَا شَرَدَتْ كَيْ لَا يُجَسَّانِ مِنْ بُعْرَانِنَا أَنْرَا^(٣)
قالوا: "كي" هنا بمعنى "كيف" الاستفهامية. وقال قوم: أراد: "كيف"، وإنما حذف

(١) ينظر: مدلين شفيق شقير، مرجع سابق، ص ٤٦.

(٢) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ)، ١/١٨٣، ٢/٢٨٦، وابن مالك، شرح تسهيل الفوائد (هجر للطباعة والنشر، ١٤١٠هـ) ١/١٢.

(٣) البيت من البسيط، وهو لابن أحرر في ديوانه (دمشق، مجمع اللغة العربية) ص ٧١، وبلا نسبة في الفراء، معاني القرآن (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، لات) ٣/٢٧٤، والبغدادي، خزانة الأدب (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط. ٤، ١٤١٨هـ)، ٧/١٠٢، والشاهد فيه استعمال (كَيْ) بمعنى (كيف) وهي لغة فيه، أو أن أصله كيف فحذفت الفاء لضرورة الشعر، والبعران: جمع بعير.

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخوا

الفاء تخفيفاً على سبيل الترخيم، كما قالوا: "سَوُ أفعال"، والمراد: سَوَفَ أفعال^(١)، وقد نظم ابن مالك هاتين اللغتين في قوله:

وَ"كَيْفَ" "كَيْ" صَارَتْ لَدَى بَعْضِ الْعَرَبِ وَالْفِعْلُ بَعْدَهَا ارْتِفَاعُهُ وَجَبَ^(٢).

ونص ابن هشام على أن المورفيم (كيف) يستعمل على وجهين: الاستفهام والشرط^(٣)، والأصل في ذلك هو الاستفهام ويعني على أي حال أو بأي حال، لكن العرب قد توسعت في استعماله حتى خرج إلى آفاق أخرى، وفيما يلي استعماله ووظائفه مصنفة تحت استعماله ووظيفته في جملة إنشائية واستعماله ووظيفته في جملة خبرية:

الأول: استعمال المورفيم (كيف) ووظيفته في جملة إنشائية، ويأتي على

سنة أوجه:

أولاً: الاستفهام

الاستفهام هو استعمال المتكلم ما في ضمير المخاطب، أو طلب حصول صورة الشيء في الذهن^(٤)، ويستفهم بكيف عن حالة الشيء، نحو: كيف حالك؟ للسؤال عن حال المخاطب، وكيف البيت الجديد؟ للسؤال عن حالة البيت الجديد، وإذا استعمل في معنى الاستفهام اختلف إعرابه حسب موقعه في الجملة كما يلي:

- خبر المبتدأ نحو: كيف حالك؟ فتقول: صحيح، فكيف اسم استفهام مبني على الفتح خبر مقدم وحالك مبتدأ مؤخر.
- خبر لفعل ناسخ بعده نحو: كيف كانت الرحلة؟ فكيف في محل نصب خبر كان.

(١) ينظر: ابن يعيش، مرجع سابق، ١٤١/٣، وابن مالك، مرجع سابق ١٩/٤.

(٢) ينظر: ابن مالك، شرح الكافية الشافية (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ)، ١٥١٥/٣.

(٣) ينظر: ابن هشام، معني اللبيب (دمشق: دار الفكر، ط. ٦، ١٩٨٥م)، ص ٢٧٠.

(٤) ينظر: علي الجرجاني، كتاب التعريفات (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، ص ١٨.

فاعل: وذلك إذا وقع بعد فعل يقتضيه كما في قوله تعالى: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمُ كَيْفَ
فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، ففاعل "تبين" مضمون "كيف فعلنا"، كأنه قال: وتبين لكم
كيفية فعلنا بهم، وإنما جاز الإسناد في هذا الباب باعتبار التأويل^(١).

● مفعول به: وذلك إذا أتى بعده فعل متعد لمفعولين أو ثلاثة نحو: كيف ظننت الاختبار؟
وكيف أعلمت زيدا الخبر؟ كما يجوز أن يكون كيف مفعولا به بالتأويل إذا سبق بفعل
متعد إلى واحد نحو: عرفت كيف أقرأ القرآن، أي: عرفت كيفية قراءة القرآن، فيكون
اسما معربا مجردا عن معنى السؤال.

مفعول مطلق: وذلك إذا صح إحلال (أي) محله بعده مضافةً إلى مصدر الفعل نحو
قوله تعالى: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١]، فكيف في محل نصب
مفعول مطلق، والتقدير: ألم تر أي فعل فعل ربك بأصحاب الفيل؟
● حال: وذلك إذا جاء بعده فعل تام دال على حالة ما نحو: كيف جئت؟ فتقول: جئت
راكباً، فكيف في محل نصب حال^(٢).
● اسم مجرور: وذلك إذا دخل عليه حرف جر، حكى قطرب: (انظر إلى كيف يصنع)،
وقالوا: (على كيف تبئع الأحمرين؟)، وهذا قليل^(٣).

ثانياً: الشرط

اتفق النحويون على استعمال كيف في الشرط، واختلفوا في الجزم به، فيستعمل شرطاً
جازماً عند قطرب والكوفيين خلافاً لجمهور البصريين، فتقول: كيف تصنع أصنع، وهو عند

(١) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل (دمشق: دار القلم ودار كنوز إشبيلية، لا.ت)، ٢٢٢/٦.

(٢) ينظر: ابن هشام، مرجع سابق، ص ٢٧٠، وعزيرة فوال، المعجم المفصل في النحو العربي (بيروت:
دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ)، ص ٨٤٠.

(٣) ينظر: ابن يعيش، مرجع سابق، ١٤١/٣.

الجمهور شرط غير جازم فيعلق بين جملتين، ولا يعمل شيئاً حملاً على الاستفهامية؛ لأنها أصل، ويشترطون فيه عدم الاقتران ب(ما) الزائدة، وكون فعل شرطه وجوابه متفقين لفظاً ومعنى^(١) كما في قولك: كيف تجلسن أجلسن. وقيل: إنما استغني عن الجزم به ب(أنتي)؛ لأنه يأتي بمعناه^(٢)، ويُعرب كيف الشرطية خيراً لفعل ناسخ يأتي بعده وخبره غير موجود في نحو: كيف يكون الأستاذ يكون تلاميذه.

والجزم بكيف في المعنى جائز كما يفهم من كلام سيبويه حين قال: "وسألت الخليل عن قوله: كيف تصنع أصنع. فقال: هي مستكرهة وليست من حروف الجزاء، ومخرجها على الجزاء؛ لأن معناها على أي حال تكُنْ أكنْ"^(٣)، وقد فهم أبو حيان من هذا أن سيبويه يجازي ب(كيف)^(٤)، ولعل مقصوده المجازاة به في المعنى لا في اللفظ. ويكثر حذف جواب كيف في الشرط فيظن أنه استفهام في محل نصب، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، يقول أبو حيان: "ولا يعقل هنا كونها سؤالاً عن حال، بل هي في معنى الشرط كما تقول: كيف تكون أكون، ومفعول يشاء محذوف، وجواب كيف محذوف يدل عليه ينفق المتقدم، كما يدل في قولك: أقوم إن قام زيد على جواب الشرط، والتقدير: ينفق كيف يشاء أن ينفق ينفق"^(٥). ولهذا نظائر في الاستعمال

(١) ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٨هـ)، ٤/١٨٦٨، وإميل بديع

يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والأدب (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ص ١٠٣٦.

(٢) ينظر: أبو إسحاق الشاطبي، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (مكة المكرمة: جامعة أم

القرى، ١٤٢٨هـ)، ٦/١١٠.

(٣) ينظر: سيبويه، مرجع سابق، ٣/٦٠.

(٤) ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب، ٤/١٨٦٨.

(٥) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير (بيروت: دار الفكر، لا.ت)، ٤/٣١٦، وأيضاً: محمود

أحمد الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير (دمشق: دار الفكر، ١٤٢٢هـ)، ص ٢٨٢.

القرآني كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦] وقوله: ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الروم: ٤٨] وجوابها كما سبق محذوف للدلالة ما قبلها.

ثالثاً: التعجب

وهو استعظامٌ زيادة في وصف الفاعل، خفي سببها، وخرج بها المتعجب منه عن نظائره، أو قلَّ نظيره^(١)، أو استعظام فعل فاعل ظاهر المزية، بسبب زيادة فيه خفي سببها^(٢)، واستعمال كيف في التعجب على خلاف الأصل؛ لأنه موضوع في الأصل للاستفهام، ومن أمثلته أن تقول لرجل يتنكر المعروف الذي صنعت له: كيف تسبني وقد أكرمتك؟ وذلك أن العادة أنك إذا أكرمت شخصاً أن يرد بالشكر وليس المسبة، وحمل على هذا قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] أي: كيف تكفرون والحال أنكم عالمون بهذه القصة، والمفترض أن يحملهم علمهم بالخالق سبحانه وبأفعاله على عدم الكفر، فلما كفروا مع وجود ما يصرفهم عنه تعجب الله من فعلهم^(٣)، وهذا الأسلوب شائع في الاستعمال، إلا أن كيف ليس من صيغ التعجب القياسية، ولكن العرب استعملته في هذا المعنى عرفاً كغيرها من الأساليب التي استعملوها في التعجب.

رابعاً: النفي

يستعمل كيف للدلالة على نفي الفعل، نحو قولك نافياً: كيف أفعل مثل هذا الفعل المشين؟ أي: لم أفعله^(٤)، ويحتمل هذا المعنى قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ

(١) ينظر: ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي (لا.ط.لا.ت)، ٥٧٦/١.

(٢) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل ١٠/١٧٧.

(٣) ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة (بيروت: دار الجيل، ط.٣، لا.ت) ٣/٧٩.

(٤) ينظر: عزيزة فوال، مرجع سابق، ص ٨٤٠.

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخوا

عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ ﷺ ﴿التوبة: ٧﴾، يقول الزمخشري: "يعنى: محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم"^(١).

خامساً: الإنكار

يستعمل كيف للدلالة على إنكار الفعل، ويكون إما للتوبيخ أو التكذيب^(٢)، أما التوبيخ فيكون لأحد معنيين:

الأول: نحو قولك: كيف عصيت ربك؟ بمعنى ما كان ينبغي أن يكون ذلك منك، والثاني نحو قولك لرجل يُضَيِّعُ حق غيره: كيف تنسى قديم إحسان فلان؟ أي: لا ينبغي أن يكون هذا منك، ومُحْمَلٌ على هذا قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ [آل عمران: ١٠١]، والغرض من ذلك تنبيه المخاطب حتى يرجع إلى نفسه فيخجل أو يرتدع عن فعل ما همَّ به.

أما التكذيب فيكون بمعنى لم يكن أو لا يكون، كأن تقول لمن يدعي النبوة: كيف تكون نبياً وقد أغلق باب النبوة؟ فأنت لا تريد سؤاله لمعرفة كيف أصبح نبياً، وإنما تريد تكذيبه في دعواه، وأن ذلك لم يكن ولا يكون؛ لقيام الدليل على عدم إمكانية حصوله لمثله في زماننا.

سادساً: التوكيد

قد يستعمل المورفيم (كيف) مع الجملة التي يدخل عليها في توكيد الكلام السابق، ولا يخلو من معنى الاستفهام في هذا الاستعمال، وذلك نحو قولك: أنا لا أتسوّل الآن فكيف إذا اغتنيت؟ وهذه الوظيفة لم أجدها في كتب النحو لكن استفدتها من توجيه مرتضى الزبيدي لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] حيث

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف (بيروت: دار الكتاب العربي، ط. ٣، ١٤٠٧هـ)، ٢٤٩/٢.

(٢) ينظر: الخطيب القزويني، مرجع سابق، ٧٢/٣.

يقول: "وأما قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ فهو تأكيد لما تقدم من خبر، وتحقيق لما بعده، على تأويل إن الله لا يظلم مثقال ذرة في الدنيا، فكيف في الآخرة؟"^(١).

الثاني: استعمال المورفيم (كيف) ووظيفته في جملة خبرية، ويأتي على ثلاثة

أوجه:

أولاً: الظرف

ذهب سيبويه إلى أن كيف يستعمل ظرفاً، وعليه فموضعه عنده نصب أبدأ؛ لأن تقديره في هذه الحالة يكون: في أي حال أو على أي حال، فإذا قلت: كيف حالك؟ يكون الجواب مبدوءاً بحرف جر من نحو الباء أو على فتقول: بخير أو على خير، وله وجه؛ لأنه لما سئل رؤية: كيف أصبحت؟ أجاب بقوله: خير عافاك الله، أي: على خير، فحذف الجار وأبقى عمله، لكن إن أجيب السؤال نفسه على المعنى دون اللفظ قيل: صحيح أو سقيم^(٢)، ويرى ابن مالك أنه إنما سمّي ظرفاً؛ لتأوله (على أي حال)، والجار والمجرور يسمى ظرفاً توسعاً^(٣).

ثانياً: العطف

كيف من أدوات العطف المختلف فيها ضمن مجموعة تشمل (ليس)، و(أي)، و(حتى)، و(متى)، و(أين)، وغيرها، وقد أجاز العطف بكيف هشام الضرير (ت ٢٠٩ هـ) والكوفيون، وقالوا إنه لا يعطف به إلا بعد نفي نحو: ما مررتُ برجلٍ فكيف امرأةً، ولكنهم

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية، ٢٤/٣٥٠.

(٢) ينظر: ابن هشام، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

(٣) ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل ٤/٧٠.

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخوا

أجازوا: مررت بزيد فكيف بعمرو^(١)؛ لتكرار الجار، وهو أسلوب مستعمل في العربية الحديثة على الخلاف الموجود فيه، ومن شواهد العطف بكيف قول الشاعر:

إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ لَانَتْ قَنَاتُهُ وَهَانَ عَلَى الْأُذُنِ فَكَيْفَ الْأَبَاعِدِ^(٢)

وأوله ابن هشام على أنه اسم مرفوع المحل على الخبرية مع احتمال أن تكون الأبعاد مجرورة بإضافة مبتدأ محذوف أي: فكيف حال الأبعاد فحذف المبتدأ^(٣).

وكذلك الجر في نحو قوله: ما مررت بزيد فكيف أخيه، على العطف وعدم تكرار الجار، وقد خطأه يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ)، وعده سيوييه رديئاً، وقال إن العرب لا تتكلم به^(٤).

ثالثاً: ويستعمل (كيف) اسماً مجرداً عن الاستفهام والظرف والشرط وسائر المعاني السابقة الذكر، ويكون حينئذ بمعنى مُخَدَّر، وهي مادة تسبب فقدان الوعي بدرجات متفاوتة كالحشيش والأفيون^(٥). واستعماله اسماً غير ظرف له أصل فيما ذهب إليه السيرافي (ت ٣٦٨هـ) والأخفش (ت ٢١٥هـ) كما ذكر ابن هشام^(٦)، فيكون له من المعاني ما ذكرت.

(١) ينظر: أبو حيان، ارتشاف الضرب ٤/١٩٨٠.

(٢) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في ابن هشام، مرجع سابق، ص ٢٧٣؛ والسيوطي، شرح شواهد المغني (لجنة التراث العربي، طبعة ١٣٨٦هـ)، ٢/٥٥٧، والشاهد فيه العطف بكيف.

(٣) ينظر: ابن هشام، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

(٤) ينظر: سيوييه، مرجع سابق، ١/٤٤١، وأبو حيان، ارتشاف الضرب ٤/١٩٨٠.

(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر (عالم الكتب، ١٤٢٩هـ)، ٣/١٩٧٨.

(٦) ينظر: ابن هشام، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

ما يضامّ المورفيم (كيف) عند استعماله في جملة إنشائية:
كيف + ما = (كَيْفَمَا)

إذا أضفت المورفيم الوظيفي (ما) إلى المورفيم (كيف) قلت: كيفما، ويستعمل في الشرط الجازم باتفاق مثل أينما، فيجزم فعلين أولهما فعل الشرط والثاني جوابه وجزاؤه نحو: كيفما تجلسن أجلسن، وكيفما تكن أكن، أي: في أي حال تكن أكن^(١).

ما يضامّ المورفيم (كيف) عند استعماله في جملة خبرية:
كيف + ما = (كَيْفَمَا)

قد يستعمل (كَيْفَمَا) في غير الشرط في جملة خبرية كأن يدخل على الفعل الماضي نحو: سأسافرُ كيفما كانَ الحالُ، أي: على أيّة حال، على كلِّ حال، وكَيْفَمَا اتَّفَقَ، أي: على أيّة شاكلة، وكَيْفَمَا كانَ الحال^(٢).

كيف + يّة = (كَيْفِيَّة)

يلحق بكيف المورفيم الوظيفي (يّة) فيقال: كَيْفِيَّة، ويكون له معنيان، أحدهما: أنه مصدر صناعي من كَيْف، ويعني حال الشّيء وصفته نحو: "كَيْفِيَّة العمل"، أي: حال العمل وصفته.

والثاني: طريقة استخدام الشّيء نحو: "كَيْفِيَّة استعمال الدواء"^(٣)، أي: طريقته.

ال + كيف = (الكَيْفُ)

(١) ينظر: أبو إسحاق الشاطبي، مرجع سابق ١٠٨/٦.

(٢) ينظر: معجم الغني، عبد الغني أبو العزم (المكتبة الشاملة)، ص ٢١٧٦٠، وأحمد مختار عمر، مرجع سابق، ١٩٧٩/٣.

(٣) ينظر: أحمد مختار عمر، مرجع سابق، ١٩٧٨/٣.

يضام المورفيم (كَيْفَ) المورفيم (ال) فيقال: الكَيْفُ، وهو بمعنى النوع، ويقابل في المعنى العدد، ولذلك يقال: فلانٌ يهتم بالكَيْفِ دون الكَمِّ، أي: يهتم بالنوع دون العدد، وربما يجرّد من المورفيم (ال) وينصب فيقال: تطوّرت الصنّاعةُ كَمًّا وكَيْفًا، إذا تطوّرت في العدد والنوع^(١). ويكون أيضاً مصدرًا بمعنى القطع من كاهه يكيّفه^(٢). ويقال: كَيْفَ لي بفلانٍ: فَتَقُول: كُلُّ الكَيْفِ، والكَيْفِ، بالجرِّ والنَّصب^(٣).

على + كيف

ويضاف المورفيم (على) إلى المورفيم (كيف) فيقال: على كيفك بمعنى: على سجتك أو على طبعك^(٤)، ويستعمل بمعنى الهوى والمزاج نحو: فلان يتصرّف على كَيْفِهِ، أي: بالهوى وعلى مزاجه.

صاحب + كَيْف

ويستعمل المورفيم (كيف) في معنى الابتهاج والجدل أو السرور الشديد، فتضاف إليه كلمة (صاحب) فيقال: فلانٌ صاحبُ كيف، أي: مَرِحَ المزاجَ ومُحِبَّ اللذّةِ والبسط والانشراح^(٥).

موقع المورفيم العربي (كيف) في الجملة

نلاحظ مما سبق أن المورفيم (كيف) له موقعان في الجملة من حيث الأصل. الموقع الأول هو الصدر كما رأينا في الاستفهام وأغراضه كالتعجب والنفي والإنكار، والتوكيد، وكذلك له الصدارة في الشرط، والظرف عند سبويه، ولا غرو فأدوات الاستفهام والشرط

(١) ينظر: أحمد مختار عمر، المرجع نفسه.

(٢) ينظر: مرتضى الزبيدي، مرجع سابق، ٣٤٩/٢٤.

(٣) ينظر: مرتضى الزبيدي، مرجع سابق، ٣٥٢/٢٤.

(٤) ينظر: عبد الغني أبو العزم، مرجع سابق، ص ٢١٧٦٠.

(٥) ينظر: أحمد مختار عمر، مرجع سابق، ١٩٧٨/٣.

لها الصدارة أبدأً، وكذلك إذا لحق به المورفيم (ما) فاستعمل في الشرط الجازم وغير الجازم، والمورفيم (ية).

والموقع الثاني هو أثناء الكلام، وقد رأيناه في العطف وفي وقوعه موقع الفاعل والمفعول به لفعل متعد لواحد، حين يكون اسماً معرباً مجرداً عن معنى السؤال، وكذا عندما يستعمل في الشرط غير الجازم كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِفُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وكذلك إذا لحق به مورفيمات أخرى سوابق مثل: (أل) التعريفية أو دخل عليه حرف الجر (على) الجارة، وربما وقع في طرف الكلام كما في نحو: (صاحب كيف) إذا أضيف إليه كلمة (صاحب) وهذا قليل، وعلى هذا فهو مورفيم مرن يقع في أول الكلام وفي أثناءه وفي آخره.

التحليل:

نلاحظ مما سبق في الدراسة ما يلي:

- أن المورفيم (كيف) يستعمل في الخبر والإنشاء.
- أن المورفيم (كيف) يستعمل في الأصل في الاستفهام والشرط، ثم خرج عنهما إلى وظائف أخرى.
- أن المورفيم (كيف) يستعمل بطريقتين أساسيتين:
الأولى: أن يستعمل في شكل المورفيم الحر فلا يتصل به سابق ولا لاحق ولا دواخل، وهو أكثر استعمالاً وأشكاله كما رأينا في الاستفهام والشرط والظرف والتعجب والنفي والإنكار والتوكيد.
- الثانية: أن يستعمل في شكل المورفيم المقيد فيتصل به المورفيم والسابق (أل) التعريفية، والفاء العاطفة، أو اللاحق وهو التنوين المنصوب كما في نحو: كماً وكيفاً، والمورفيم الوظيفي (ية) الدال على المصدرية في نحو: الكيفية.

- المورفيم (كيف) له استعمالات متعددة تصل إلى أربعة عشر وجهاً، منها تسعة أوجه استعمل فيها مورفيماً حراً، وخمسة أوجه استعمل فيها مورفيماً مقيداً، أي: لا يتحقق المقصود به إلا بالإضافة إلى مورفيم آخر.
- الاستفهام هو المعنى الرئيس المتفق عليه الذي يستعمل له المورفيم (كيف)، ووظيفته الأساسية هي السؤال عن جميع الأحوال، وقد خرج عن هذا الاستعمال والوظيفة إلى استعمالات ووظائف أخرى مثل التعجب والنفي والإنكار والتوبيخ والربط بواسطة العطف والتوكيد وغيرها.
- المورفيم (كيف) في الاستفهام تتوارد عليه حالات إعرابية مختلفة رفعاً ونصباً وجراً، فيكون مبتدأً، وخبراً وفاعلاً، ومفعولاً به لفعل متعد لاثنين أو ثلاثة، ومفعولاً مطلقاً، وحالاً، ومجروراً بحرف جر، أو مجروراً بالإضافة في غير الاستفهام عندما تضاف إليه مورفيمات أو كلمات أخرى، أو مفعولاً به لفعل متعد لواحد عندما يكون اسماً معرباً مجرداً عن معنى السؤال.
- إذا استعمل المورفيم (كيف) شرطاً يكثر حذف جوابه فيظن أنه استفهام في محل نصب كما سبق في توجيه قوله تعالى: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ المائدة: ٦٤ [
- المورفيم (كيف) ليس مختصاً، فيدخل على الاسم في نحو: كيف زيدٌ؟، كما يدخل على الفعل في نحو: كيف جاء زيدٌ؟
- المورفيم (كيف) يرخم فيقال: كَيْ، كما رأينا في بيت الشاعر: كَيْ لا يُحْسَنُ... وهو لغة فيه.

المطلب الثالث: المورفيم (How) في اللغة الإنجليزية

إذا عدنا إلى معاجم اللغة الإنجليزية المعتمدة نجد أن المورفيم (How) من المورفيمات ذوات الاستعمالات المتعددة، ويعود أصله إلى ما قبل القرن الثاني عشر الميلادي، حيث استعمل ظرفاً أو حالاً، وحرف عطف للسؤال عن الطريقة أو الوسيلة، واستعمل اسماً في

عام ١٥٣٣م في المعنى نفسه^(١). ولم تذكر فيه المراجع التي رجعت إليها إلا لغة واحدة، وهذا المورفيم ضمن مجموعة من المورفيمات التسعة التي تستخدم للاستفهام في اللغة الإنجليزية تعرف بـ(Wh-Questions) وهي مجموعة من أدوات الاستفهام تبدأ أو تشتمل على الحرفين "Wh"، وتستخدم للحصول على معلومات وهي: (who, what, where, when, why,)، و"whom, which, whose and how" بمعنى (من، وماذا، وأين، ومتى، ولماذا، ومن (في المفعول)، وأي، ولمن، وكيف). وتقتضي هذه الأدوات إجابات مفتوحة يمكن أن تكون قصيرة أو طويلة، وبسيطة أو معقدة، دون توقعات حول كيفية الجواب الذي سيصدر من الشخص الملقى إليه السؤال^(٢). ولهذا المورفيمات وظائف متعددة منها الاستفهام، والتمهيد للجملة التكميلية المبدوءة بإحدى أدواتها، والتمهيد للجملة النسبية، وغير ذلك^(٣).

وقد استقر استعمال هذا المورفيم (How) على هذه الأوجه الثلاثة المذكورة، ولكل وجه منها معان ووظائف مصنفة في استعماله في جملة إنشائية، واستعماله في جملة خبرية حسب التفصيل الآتي^(٤):

الأول: استعمال المورفيم (How) ووظيفته في جملة إنشائية، ويأتي على وجهين:

أولاً: الظرف أو الحال (Adverb)

إن الكلمة الإنجليزية (Adverb) تشمل الظرف والحال، وإذا استعمل المورفيم (How) في هذا الوجه كان

(١) ينظر: Merriam Webster online Dictionary

(<https://www.merriamwebster.com/dictionary/how>)

(٢) ينظر: Peter Herring, **The Farlex Grammar Book: Complete English Grammar Rules**, p.965

(٣) ينظر: R.M.W. Dixon, **A Semantic Approach to English Grammar**, p.42

(٤) ينظر: Della Thompson, **The Oxford Dictionary of Current English**, p.427, **The**

Betty Schramper Azar, **Oxford American Dictionary of Current English**, p.380
Understanding and Using English Grammar, p.A9.

استفهاماً، ويكون له معان ووظائف متعددة منها:

١- الاستفهام عن الطريقة أو الوسيلة نحو:

How did he die? (in what manner or way) كيف مات؟
How do you know that? كيف عرفت ذلك؟

٢- الاستفهام عن السبب: وهو في معنى (لماذا) نحو:

How would I know if it's going to rain or not? (Why- for what reason) كيف لي أن أعرف ما إذا كان المطر سينزل أو لا؟

٣- الاستفهام بمعنى (بأي معنى أو انطباع) نحو:

How are we to interpret such behavior? (With what meaning: to what effect) كيف لنا أن نفسر مثل هذا السلوك؟

٤- الاستفهام عن الاسم أو اللقب وهذا في اللغة الإنجليزية الوسطى واستخدمه وليام شيكسبير، نحو:

How art thou called? (By what name or title) ما اسمك أو لقبك؟ وترجمته الحرفية: كيف تُسمَّى؟

٥- الاستفهام عن الحال أو الشعور نحو:

How are you? (In what state or condition) كيف حالك؟
How do you feel? كيف تشعر؟

٦- الاستفهام عن الثمن: وهو في معنى (كَمْ) الاستفهامية واستخدمه وليام شيكسبير أيضاً نحو:

How a score of ewes now? (At what price) بكم عشرون نعجة الآن؟

٧- الاستفهام عن المدى نحو:

How was the film? (To what extent good or well / what . . . like)

كيف كان الفيلم؟

ثانياً: التعجب (Exclamation)

يمكن استعمال المورفيم (How) في كل معنى من المعاني السابقة في أسلوب التعجب، لكن غالباً ما يستعمل لتأكيد الاستفهام أو التعجب^(١) نحو:

How are the mighty fallen
(emphasizing an exclamation)

كيف سقط الجبابرة!

ما يضام (How) من المورفيمات إذا استعمل في جملة إنشائية ظرفاً في

الاستفهام^(٢):

١- السؤال عن العدد أو الكمية: ويكون في الأسماء القابلة للعدّ، وهو بمعنى كم عدد كذا؟^(٣) How

+ many

How many books have you? (What number)

كم كتاباً عندك؟

٢- السؤال عن الثمن: وهو في معنى: كم الاستفهامية^(٤) How +

much

How much is the book?

بكم الكتاب؟

٣- السؤال عن الدرجة أو المدى، أو المقدار، أو كمية الأشياء غير القابلة للعدّ How

+ much

(١) ينظر: Merriam Webster Unabridged Dictionary, p. 6486

(٢) John Sinclair, Collins Cobuild English Grammar, p.562-563.

(٣) ويرى بعضهم أنه في هذا الاستعمال حرف عطف (Conjunction)، وهذا غريب، ينظر: ibid

(٤) ويرى بعضهم أنه في هذا الاستعمال حرف عطف (Conjunction)، وهو غريب، ينظر: Della

Thompson, The Oxford Dictionary of Current English, p.427.

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخوا

How much longer do we have to wait? (to what degree or extent) كم من الوقت يجب علينا أن ننتظر؟
I don't know how old she is. لا أعرف مقدار عمرها.
How much water do you drink daily? (amount) كم تشرب من الماء يومياً؟

ويمكن استعمال (How many) و (How much) دون أن يليها الاسم عندما لا تحتاج إلى توضيح نوع الشيء الذي تتحدث عنه^(١)، كما في المثالين الآتيين:

How many did you find? كم وجدت؟
How much did he tell you? كم أخبرك؟

How + old ٤- السؤال عن العمر:
How old are you? كم عمرك؟

٥- طلب إبداء الرأي: بمعنى (ما رأيك في كذا؟) أو تقديم اقتراح^(٢) بمعنى (ماذا عن كذا) نحو:

How + about
How about it, are you going? ما رأيك فيه، هل أنت ذاهب؟
(What do you say to or think of) ماذا عن (السباحة)؟
How about (having) a swim? (a suggestion).

٦- السؤال عن السبب: بمعنى (لم ذاك؟) أو (كيف يحدث ذلك)؟
How + come

How come you can't go? (How does it happen that) كيف لا يمكنك الذهاب؟ أو لم لا يمكنك الذهاب؟

وهذا يستعمل عادة في الكلام المنطوق.

(١) John Sinclair, Collins Cobuild English Grammar, p. 563.

(٢) ينظر: Martin Hewings, Advanced Grammar in Use, p. 70.

٧- السؤال عن المسافة أو طول المدة (منذ متى) أو طول الشيء

How + long

How long is the journey? كم مسافة الرحلة؟
(distance)

How long have been in Madinah? منذ متى سكنت في المدينة؟

How long is this car? كم طول هذه السيارة؟

٨- السؤال عن عدد المرات (تكرار الفعل) أو السؤال عن عدد مرات غير محددة: بمعنى

How كم مرة؟ فهي ظرف استفهام تكراري.

+ often

How often do you travel out in a year? (How many times) كم مرة تسافر إلى الخارج في العام؟

How often do you go to Makkah? كم مرة تذهب إلى مكة؟

٩- الاستفهام عن المسافة: بمعنى: حتى أين، كم مسافةً، نحو:

How + far

How far did you go on foot? (up to where) إلى أين ذهبت راجلاً؟

How far is Makkah to Madinah? كم مسافة بين مكة والمدينة؟

١٠- الموافقة بشدة أو الموافقة على سبيل التهكم أحياناً^(١): وهي من التعبيرات

And الاصطلاحية نحو:

+How

He's done very well. Hasn't he? لقد أبلى بلاء حسناً. أليس كذلك؟

And how? وكيف؟

الثاني: استعمال المورفيم (How) ووظيفته في جملة خبرية، ويأتي على ثلاثة أوجه:

أولاً: الظرف أو الحال (Adverb)

١- الظرف النسبي (Relative adverb): وهو في معنى: بأي طريقة أو كيفية نحو:

(١) ينظر: S. Hornby, Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English, .A

Do it how you like (in whatever way) اعمله كيف شئت

ثانياً: العطف (Conjunction)

إن الكلمة الإنجليزية (Conjunction) تعني حرف عطف أو أداة ربط، ويستعمل المورفيم (How) لهذه الوظيفة في التعبير عما يلي:

١- الطريقة أو الأسلوب

Remember how they fought (the way or manner in which) تذكر كيف تقاتلوا

٢- الحالة التي تم فيها الشيء

He reported how the patient was found by the paramedics (the state or condition in which) أفاد كيف وجد المسعفون المريض.

٣- أن يكون بمعنى (أن) المصدرية

He told us how he'd been in Canada (that) أخبرنا كيف كان في كندا (أي: أنه كان هناك).

٤- أن يكون بمعنى (كما)

A reader can shift his attention how he likes (However, As) يمكن للقارئ أن يحول انتباهه كما يجب.

٥- في التحية الرسمية

How do you do? (a formal greeting) كيف حالك؟

وإن كان قد خرج هذا مخرج الاستفهام عن الحال إلا أن المقصود به مجرد التحية، فهو خبر لذلك.

ثالثاً: الاسم (Noun)

ويستعمل المورفيم (How) اسماً ولا يكون إلا في جملة خبرية بمعنى الكيفية أو الأسلوب

أو جملة خبرية فيها معنى الاستفهام^(١)، وهو قليل كما يلي:

١- الكيفية أو الأسلوب في جملة خبرية نحو:

He is examining the hows and whys of exercise (manner, method) إنه يفحص كيفيات التمرين وأسبابه

٢- الكيفية أو الأسلوب في جملة خبرية فيها معنى الاستفهام نحو:

The eternal whys and hows of small children (a question about manner or method) الأسئلة الأبدية عن الأسباب والكيفيات لدى الأطفال الصغار

ما يضام (How) من المورفيمات إذا استعمل في جملة خبرية ظرفاً في

غير الاستفهام:

١- بمعنى (مع ذلك) أو بالرغم من ذلك

Howbeit = How + be + it وهذا الاستعمال قديم مبتذل ومن أمثله:

Howbeit, I've no proof of that (nevertheless). ومع ذلك، ليس لدي دليل على ذلك.

٢- بمعنى (كيفما) أو إلى أي مدى أو مهما كان، وبمعنى (مع ذلك) أو بالرغم من ذلك

However = How + ever Do it however you want (in whatever way). افعله كيفما تريد. I must go however inconvenient (to whatever extent). يجب أن أذهب مهما كان الوضع غير مناسب.

(١) ينظر: Merriam Webster online Dictionary (https://www.merriamwebster.com/dictionary/how)

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخوا

ومع ذلك، لم أتسلم النقود. However, I've not received the money (nevertheless).

٣- بمعنى (على أي حال) أو مهما كان، أو إلى أي حد + Howsoever = How + so+ ever

Common lenses, howsoever cheap they may be, are not recommended (in whatever way) العдسات العامة مهما كانت رخيصة لا ينصح بها.
Any quantity howsoever small will be enough (to whatever extent). يكفي أي كمية مهما كانت قليلة.

موقع المورفيم الإنجليزي (How) في الجملة

من خلال النماذج السابقة نستطيع أن نقرر أن المورفيم (How) يقع في أول الكلام وفي أثنائه وفي آخره، شأنه في ذلك شأن مقابله العربي (كيف). فإذا استعمل في الظرف الاستفهامي وغير الاستفهامي كان له الصدارة، ولم يتخلف عن هذا الحكم إلا حالة واحدة وذلك حين يضاف المورفيم سابق (And) عند استعماله للموافقة بشدة أو الموافقة على سبيل التهكم، حيث وقع في آخر الجملة، وأما إذا استعمل عاطفاً أو اسماً فإن موقعه يكون في أثناء الكلام.

التحليل:

مما سبق نستنتج ما يلي:

- أن المورفيم الإنجليزي (How) يستعمل على ثلاثة أوجه رئيسة هي الظرف أو الحال، والعطف، والاسم، والأصل فيها هو الظرف أو الحال.
- أن المورفيم الإنجليزي (How) إذا استعمل في جملة إنشائية كان على وجهين: الظرف والتعجب، وإذا استعمل في جملة خبرية كان على ثلاثة أوجه: الظرف والعطف والاسم متضمناً معنى الاستفهام وغير متضمن.
- أن في المورفيم الإنجليزي (How) لغة واحدة.

- أن المورفيم (How) إذا استعمل في الاستفهام تتعدد معانيه بما لا يقل عن (١٩) معنى سواء كان مورفيماً حراً أم مقيداً.
- أن المورفيم (How) إذا استعمل في العطف كان له (٥) معانٍ هي بمعنى الطريقة أو الأسلوب، والحالة التي تم فيها الشيء، وبمعنى (أنَّ) المصدرية، وبمعنى (كما)، وفي التحية الرسمية.
- أن المورفيم (How) يستعمل بطريقتين أساسيتين:
الأولى: أن يستعمل في شكل المورفيم الحر فلا يتصل به سابق ولا لاحق ولا دواخل، وهو كثير حيث استعمل استفهاماً عن الطريقة أو الوسيلة، والسبب، والانطباع، وعن الاسم أو اللقب، والحال أو الشعور، والتمن، والمدى، واستفهاماً بمعنى الظرف النسبي، وبمعنى التعجب، في (٩) معانٍ.
الثانية: أن يستعمل في شكل المورفيم المقيد فيتصل به مورفيمات أخرى لتوليد معانٍ جديدة مع كونه ظرفاً، وهذا أيضاً على قسمين: أولهما: ما يحتفظ فيه بمعنى الاستفهام، وما يتجرد فيه عن الاستفهام إلى معانٍ أخرى.
ومن مورفيمات القسم الأول: (much) للسؤال عن الثمن أو الدرجة أو المدى أو المقدار أو كمية الأشياء غير القابلة للعدّ، و (old) للسؤال عن العمر، و (about) لطلب إبداء الرأي أو تقديم اقتراح، و (come) للسؤال عن السبب، و (many) للسؤال عن العدد أو الكمية، و (long) للسؤال عن المسافة أو طول المدة أو طول الشيء، و (often) للسؤال عن عدد المرات (تكرار الفعل) أو عدد مرات غير محددة، و (far) للسؤال عن المسافة، و (and) للموافقة بشدة أو الموافقة على سبيل

التهكم أحياناً، وجميع هذه المورفيمات لواحق تأتي بعد المورفيم الأساس (How) إلا واحداً هو (and) فإنه سابق يأتي قبله.

ومن مورفيمات القسم الثاني - وهو ما يتجرد فيه (How) عن الاستفهام إذا أضيف إلى مورفيمات أخرى -: (be+ it) ويكون حينئذ في معنى (مع ذلك) أو بالرغم من ذلك، و (ever) في معنى (كيفما) أو إلى أي مدى أو مهما كان، أو (مع ذلك) أو بالرغم من ذلك، و (so+ ever) في معنى (على أي حال) أو مهما كان، أو إلى أي حدّ، وهذه المعاني لا تأتي إلا إذا أضيف إليها المورفيم الأصلي (How).

○ أن المورفيم (How) عند استعماله مقيداً قد يتطلب أكثر من مورفيم واحد لأداء وظيفته كما رأينا في (How + be+ it) و (How + so+ ever).

○ أن المورفيم (How) لا يضافه مورفيم آخر عند استعماله عطفاً أو اسماً.

○ أن أكثر استعمالات المورفيم (How) في الاستفهام، ويستفهم به في الغالب عن الحال.

○ أن المورفيم (How) لا يختص بنوع معين من الكلمات التي يمكن أن تليه، فقد يليه الفعل أو الاسم أو الظرف أو الصفة أو حرف الجر كما سبق في الأمثلة.

○ أن الأصل في المورفيم (How) أن يقع في صدر الكلام، وقد يقع في أثنائه أو آخره.

المبحث الثالث: أوجه التشابه والاختلاف بين المورفيمين، والصعوبات والحلول المقترحة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أوجه التشابه بين المورفيمين

- يتشابه المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How) في الأمور الآتية:
- كلاهما يستعمل في جملة إنشائية وخبرية، وفي الظرف والاستفهام والعطف والتعجب من حيث الجملة بغض النظر عما بينهما من اختلاف في دقائق الوظائف والمعاني التي تؤديها.
 - كلاهما يأتي على ثلاثة أوجه هي: الظرف والعطف والاسم المجرد إذا استعمل في جملة خبرية.
 - تشكل وظيفة الاستفهام أكثر الوظائف واستعمالات كل من المورفيمين.
 - يستعمل كل منهما اسماً مجرداً عن الاستفهام ونحوه من المعاني.
 - كل منهما يقع في أول الكلام وفي أثنائه وفي آخره.
 - كل منهما يستعمل مورفيماً حراً ومورفيماً مقيداً ويدخلهما سوابق ولواحق دون الدواخل.
 - كل منهما غير مختص بنوع معين من الكلمة.
 - يتميز كل منهما باستعمالات ووظائف ليست لنظيره فيها حظ.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف بين المورفيمين

- يختلف المورفيمان العربي والإنجليزي في عدة جوانب منها ما يلي:
- يستعمل المورفيم العربي (كيف) في الأصل على وجهين رئيسين بينما يستعمل المورفيم الإنجليزي (How) على ثلاثة أوجه رئيسية.
 - أن المورفيم العربي (كيف) إذا استعمل في جملة إنشائية كان على ستة أوجه: الاستفهام والشرط والتعجب والنفي والإنكار والتوكيد، وإذا استعمل في جملة خبرية

- كان على ثلاثة أوجه: الظرف والعطف والاسم المجرد عن معنى الاستفهام ونحوه، أما المورفيم الإنجليزي (How) فإذا استعمل في جملة إنشائية كان على وجهين: الظرف والتعجب، وإذا استعمل في جملة خبرية كان على ثلاثة أوجه: الظرف والعطف والاسم متضمناً معنى الاستفهام وغير متضمن.
- يتميز المورفيم العربي (كيف) بالاستعمال في الشرط والنفي والإنكار والتوكيد، وهي وظائف لا يؤديها المورفيم الإنجليزي (How).
 - أن المورفيم العربي (كيف) فيه اختلاف بين العلماء في استعماله في وظيفة الظرف والعطف والشرط وليس كذلك المورفيم الإنجليزي (How).
 - أن المورفيم العربي (كيف) يضامه مورفيم آخر سابقاً أو لاحقاً إذا استعمل عطفاً أو اسماً فيقال: فكيف، وفلانٌ صاحبٌ كيف، بخلاف نظيره الإنجليزي (How) فلا يضامه مورفيم آخر عند استعماله عطفاً أو اسماً.
 - أن المورفيم العربي (كيف) عند استعماله مقيداً لا يتطلب سوى مورفيم واحد في آن واحد لأداء وظيفته بخلاف المورفيم الإنجليزي (How) فإنه قد يتطلب أحياناً أكثر من مورفيم لأداء وظيفته كما رأينا في (How + be+ it) و (How + so+ ever).
 - أن أوجه استعمال المورفيم العربي (كيف) لا تتجاوز (١٤) وجهاً، بينما تصل أوجه استعمال نظيره الإنجليزي (How) (٢٩) وجهاً.
 - ينفرد المورفيم الإنجليزي (How) ببعض استعمالات ووظائف نادرة مثل استعماله في التحية الرسمية ولطلب إبداء الرأي أو تقديم اقتراح أو الموافقة بشدة أو الموافقة على سبيل التهكم وغيرها.
 - إن استعمالات المورفيم الإنجليزي (How) ووظائفه أشكل وأكثر تعقيداً من استعمالات المورفيم العربي (كيف) ووظائفه في الجملة.

- المورفيم العربي (كيف) سبق المورفيم الإنجليزي (How) في الاستعمال؛ إذ عرف الناس استعمالاته ووظائفه منذ نشأة اللغة العربية، بينما المورفيم الإنجليزي (How) لم يظهر في الاستعمال إلا قبيل القرن الثاني عشر الميلادي، وكان استعماله في بعض الأوجه فقط، ولم يستعمل اسماً إلا في عام ١٥٣٣م.
- المورفيم العربي (كيف) فيه لغتان، ويرخم بخلاف نظيره الإنجليزي فليس فيه إلا لغة واحدة ولا يرخم.
- المورفيم العربي (كيف) يكثر حذف جوابه في الشرط فيظن أنه استفهام في محل نصب بخلاف نظيره الإنجليزي.
- المورفيم الإنجليزي (How) يليه الفعل أو الاسم أو الظرف أو الصفة أو حرف الجر بخلاف المورفيم العربي (كيف) فلا يليه الظرف أو الصفة.

المطلب الثالث: صعوبات وحلول مقترحة لمتعلمي العربية

إذا نظرنا إلى كثرة أوجه استعمال المورفيم الإنجليزي (How) وتعددتها ربما نحكم بأن طالب اللغة العربية الناطق بالإنجليزية قد لا يجد صعوبة في تعلم اللغة الجديدة، ولكن الأمر ليس كذلك؛ لأن مقياس الصعوبة ليس مقصوراً على قلة أو كثرة أوجه الاستعمال والوظائف فحسب، بل يشمل وجود أوجه استعمال ليست موجودة في اللغة الأولى، واختلاف التركيب العربي عن التركيب الإنجليزي، ولذلك من الصعوبات المحتملة التي قد تواجه متعلم اللغة العربية الناطق بالإنجليزية عند تعلمه طرائق استعمال المورفيم العربي (كيف) ووظائفه ما يلي:

أولاً: الصعوبات النظرية:

وتتمثل فيما يجده الطالب من الصعوبة في التعامل مع بعض وظائف المورفيم العربي (كيف) المختلف فيها بين أئمة اللغة كالظرف والعطف والشرط.

ثانياً: الصعوبات البنيوية:

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخوا

وتشمل الصعوبة في تحديد وضبط ما يجوز أن يلي المورفيم العربي (كيف) من أنواع الكلمة وما لا يجوز، والصعوبة في تحديد المورفيمات التي تضاف للمورفيم (كيف) وما كان منها سابقاً أو لاحقاً؛ إذ ليس هناك قاعدة تضبط ذلك، والصعوبة في تمييز المورفيم العربي (كيف) عن (كي) التعليلية والمصدرية والجارّة إذا حذف منه الفاء أو رخم.

ثالثاً: الصعوبات الدلالية السياقية:

وتشمل الصعوبة في استيعاب الوظائف الجديدة للمورفيم العربي (كيف) مثل الشرط والنفى والإنكار والتوكيد، وهي وظائف لا يؤديها المورفيم الإنجليزي (How)، وكذا الصعوبة في التعرف على وظيفة المورفيم العربي (كيف) إذا استخدم في الشرط وقد حذف جوابه حيث إنه في هذه الحال يلتبس باستفهام في محل النصب.

الحلول المقترحة:

- للتغلب على الصعوبات السابقة أو الحدّ منها نقترح بعض الحلول الآتية:
1. الاقتصار على تعليم الاستعمالات الشائعة للمورفيم (كيف) والتي يعيشها المتعلم في الحياة العامة، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وعدم زجه في التفرّعات والآراء الثانوية التي لا يوجد لها تطبيق في الحياة اليومية.
 2. تكثيف التمارين التطبيقية في بعض وظائف المورفيم العربي (كيف) التي هي جديدة على الطلاب الناطقين بالإنجليزية مثل الشرط والنفى والإنكار والتوكيد ليتعودوا عليها.
 3. تدريب المتعلمين على استنتاج السوابق واللاحق المرتبطة بالمورفيم (كيف) التي تحقق معنى لغوياً سليماً، وعلى تصنيفها.
 4. تقديم المورفيم (كيف) في معانٍ سياقية مختلفة وتدريب المتعلمين على تحليلها واستنتاج وظائفها المقصودة منها من خلال نصوص لغوية مناسبة ومتنوعة تستخدم في الحياة اليومية.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين، وفيما يلي أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج وتوصيات.

أولاً: النتائج:

- الدراسات التقابلية والتداولية مهمة للغاية، فالأولى تعين على معرفة اللغات، وإبراز سماتها وخصائصها والتنبؤ بمشكلاتها، وغير ذلك من الوظائف التي تدل على أهميتها والمذكورة في ثنايا الدراسة، أما التداولية فتنقلنا من الاهتمام بدراسة اللغة المجردة إلى دراسة اللغة المستعملة، حتى يتحول الدرس اللساني إلى درس للإنجاز اللغوي، كما تمثل نقطة التقاء مجالات العلوم الأخرى المتصلة باللغة.
- الدراسات التقابلية والتداولية لها جذور عند اللغويين العرب القدامى، وإنما طوّرها اللغويون المحدثون على ضوء مبادئ وأسس اللسانيات الحديثة.
- كلٌّ من المورفيم العربي (كيف) والإنجليزي (How) في غاية الأهمية لا يستغني عنهما أحد من مستخدمي اللغتين، وهما من العناصر اللغوية الأكثر تداولاً واستعمالاً.
- المورفيم العربي (كيف) سبق المورفيم الإنجليزي (How) في الاستعمال.
- تتنوع أوجه استعمال المورفيم (كيف) ووظائفه فيما يبلغ (١٤) وجهاً، بينما تصل أوجه استعمال نظيره الإنجليزي (How) إلى (٢٩) وجهاً، والاستفهام أبرز وظيفة لكلا المورفيمين.
- كلٌّ من المورفيم (كيف) و (How) يستعمل ظرفاً وفي الاستفهام والعطف والتعجب من حيث الجملة بغض النظر عما بينهما من اختلاف في دقائق الوظائف التي يؤديانها.
- كلٌّ من المورفيم (كيف) و (How) يستعمل في جملة إنشائية وخبرية.

- إن استعمالات المورفيم الإنجليزي (How) ووظائفه أشكال وأكثر تعقيداً من استعمالات المورفيم العربي (كيف) ووظائفه في الجملة.
- مما يتميز به المورفيم العربي (كيف) عن نظيره الإنجليزي (How) أنه يؤدي وظائف الشرط والنفي والإنكار والتوكيد، وكذا ينفرد المورفيم الإنجليزي (How) ببعض استعمالات ووظائف لا يؤديها نظيره العربي مثل استعماله في التحية الرسمية ولطلب إبداء الرأي أو تقديم اقتراح أو الموافقة بشدة أو الموافقة على سبيل التهكم وغيرها كما مضى في ثنايا الدراسة.
- يستعمل كلا المورفيمين حراً ومقيداً، فالمورفيم العربي (كيف) يستعمل حراً في (٩) وظائف ومقيداً في (٥) وظائف، بينما يستعمل المورفيم الإنجليزي (How) حراً في (١٦) وظيفة ومقيداً في (١٣) وظيفة.
- يقع كلا المورفيمين في أول الكلام وهو الأكثر، ويليه وقوعهما في أثناء الكلام، ثم في آخره، وهذا قليل جداً.
- تنوع الصعوبات المحتملة التي قد تواجه متعلم اللغة العربية الناطق بالإنجليزية عند تعلمه طريقة استعمال المورفيم العربي (كيف) ووظائفه إلى الصعوبات النظرية والبنوية والسياقية، وقد اقترحت الدراسة بعض الحلول الناجعة للتغلب عليها أو الحد منها.

ثانياً: التوصيات:

- في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحث بما يلي:
- إجراء دراسات مشاهمة في بقية المورفيمات الوظيفية وبخاصة التي تستخدم للاستفهام في العربية والإنجليزية.
- دراسة أثر الاختلاف بين وظائف المورفيمات العربية والإنجليزية في الترجمة.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- ابن أحرر، عمرو بن أحرر الباهلي (ت بعد ٧٥هـ) "ديوانه"، تحقيق: د. حسين عطوان، دمشق: مجمع اللغة العربية.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جنبي الموصلبي (ت ٣٩٢هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ٤. لا. ت.
- ابن عصفور الإشبيلي، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور (ت ٦٦٩هـ)، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: د. صاحب أبو جناح، لا. ط. لا. ت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ابن مالك، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الطائي الجياني جمال الدين (ت ٦٧٢هـ)، شرح تسهيل الفوائد، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، ط. ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ابن مالك، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الطائي الجياني جمال الدين (ت ٦٧٢هـ)، شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط. ١، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منصور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط. ٣، ١٤١٤هـ.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف (ت ٧٦١هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دمشق: دار الفكر، ط. ٦، ١٩٨٥م.

المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخو

ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي (ت ٦٤٣هـ)، شرح
المفصل للزمخشري، تقديم: د. إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط. ١،
١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

أبو إسحاق الشاطبي، إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، المقاصد الشافية في شرح
الخلاصة الكافية، تحقيق مجموعة محققين، مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء
التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ط. ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

أبو حاتم الرازي، أحمد بن حمدان (ت ٣٢٢هـ)، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، معارضة
وتعليق: حسين بن فيض الله الهمداني، صنعاء: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط. ١،
١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، ارتشاف الضرب من لسان
العرب، تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، القاهرة:
مكتبة الخانجي، ط. ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق
صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، التذليل والتكميل في شرح كتاب
التسهيل، تحقيق: د. حسن هندراوي، دمشق: دار القلم (من ١ إلى ٥)، وباقي الأجزاء:
دار كنوز إشبيلية، ط. ١.

أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط. ١،
١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق:
محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط. ١، ٢٠٠١م.

إميل بديع يعقوب، وميشال عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، بيروت: دار العلم للملايين، ط. ١، ١٩٨٧ م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط. ٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

بهاء الدين محمد مزيد، "تبسيط التداولية"، القاهرة: شمس للنشر والتوزيع، ط. ١، ٢٠١٠ م. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الليثي (ت ٢٥٥ هـ)، البيان والتبيين، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ.

الخطيب القزويني، أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين (ت ٧٣٩ هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت: دار الجيل، ط. ٣. خلف الله بن علي، "التداولية مقدمة عامة"، الجزائر: مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، م (١٤)، ع (١)، ٢٠١٧ م.

خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط. ١، ٢٠٠٩ م.

الزخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت ٥٣٨ هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي، ط. ٣، ١٤٠٧ هـ.

زيدان علي جاسم، وجاسم علي جاسم، "نظرية علم اللغة التقابلي في التراث العربي"، دمشق: مجلة التراث العربي، العددان (٨٣-٨٤)، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

سري جوميثاتي، "الجملة الاسمية في اللغة العربية واللغة الإندونيسية دراسة تقابلية بين اللغتين"، بحث منشور في موقع جامعة ولاية سيما رانج باندونيسيا (UNNES Repository) على الرابط: <http://lib.unnes.ac.id/id/eprint/30588> تاريخ الاسترجاع: ١٠/٨/٢٠٢١ م.

- المورفيم العربي (كيف) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخوا سيويوه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط. ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، الاقتراح في أصول النحو وجدله، تحقيق وشرح: د. محمود فجال، دمشق: دار القلم، ط. ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، شرح شواهد المغني، تعليق: أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، طبعة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، المكتبة الشاملة.
- عبد الغني شوقي موسى الأدبعي، "من قضايا المورفولوجيا العربية: المورفيم في التصنيف والشكل الوظيفي"، مجلة الملك خالد للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٥)، العدد (٢)، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، الأردن: دار أزمنة، ط. ١، ١٩٩٨م.
- عبد الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م.
- عزيزة فوال بابتي، المعجم المفصل في النحو العربي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط. ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- علي الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت ٨١٦هـ)، كتاب التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، ط. ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط. ١.
- فريدة مولوج، "التحليل التقابلي أهدافه ومستوياته"، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، المجلد ١، العدد ٢، ٢٠١٩م.
- محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، الأردن: دار الفلاح، ط. ٢٠٠٠م.

محمود أحمد الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير، دمشق: دار الفكر، ط. ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، القاهرة: مكتبة الآداب، ط. ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة العربية، لبنان. مدلين شفيق شقير، "دراسة المستوى المورفولوجي للغة لدى الأطفال ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية والعاديين"، رسالة ماجستير في التربية الخاصة، جامعة دمشق، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

مراد حميد العبدالله، "علم اللسانيات التقابلية عند العرب والغرب تأصيل وتوصيف"، بحث منشور في موقع (ResearchGate) على الرابط: <https://www.researchgate.net/publication/332413919> تاريخ الاسترجاع: ١٠/٨/٢٠٢١م.

مرتضى الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية. نور الوحدة، "التداولية: علاقتها بالعلوم الأخرى وتطبيقاتها غيرها من المجالات"، التعريب: المجلة العربية واللغوية للتعليم، المجلد ٤، العدد ١، ٢٠٠٦م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- A. S. Hornby (Chief editor), Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English, Oxford University Press, Great Britain, 4th edition.
Alan Davies and Catherine Elder, The Handbook of Applied Linguistics, Blackwell Publishing Ltd, 1st edition, 2004.
Betty Schramper Azar, Understanding and Using English Grammar, Pearson Education, USA, 3rd edition, 1999.
Della Thompson, The Oxford Dictionary of Current English, Oxford University Press, 2nd edition, 1993.

المورفيم العربي (كَيْفَ) والمورفيم الإنجليزي (How): دراسة تقابلية تداولية، د. عبد الغني عيسى أوبارخوا

- Jacob L. Mey, Pragmatic, An Introduction, 2nd edition, Blackwell Publishing, UK, 2001.
- John Sinclair, Collins Cobuild English Grammar (Digital Edition), HarperCollins Publishers, Great Britain, 4th edition, 2017.
- Martin Hewings, Advanced Grammar in Use, Cambridge University Press, 1999.
- Merriam Webster Online Dictionary, <https://www.merriam-webster.com/dictionary>.
- Mohammad Hossein Keshavarz, Contrastive Analysis and Error Analysis, Rahnama Press, Iran, 2012.
- Peter Herring, The Farlex Grammar Book: Complete English Grammar Rules, Farlex International, 2016.
- Ping Ke, Contrastive Linguistics, Peking University Press, Vol. 1, China, 2014.
- R.M.W. Dixon, A Semantic Approach to English Grammar, Oxford University Press, 2nd edition, 2005.
- The Oxford American Dictionary of Current English, Oxford University Press, 1999.
- Webster's Online Dictionary, <https://www.merriam-webster.com/dictionary/dictionary>
- Webster's Unabridged Dictionary, Graham Lawrence, 2014.

Bibliography

- Abduh al-Rajih, 'Elm al-Lughah al-Tatbiqi wa Ta'lim al-'Arabiyyah, Alexandria: Dar al-Ma'rifah al-Jami'eiyyah, 1995.
- Abdul Qadir Abdul Jalil, 'Elm al-Sarf al-Sawti, Jordan: Dar Azminah, 1st ed., 1998.
- AbdulGhani Abu Al-Azm, Mu'jam al-Ghani, Al-Maktabah al-Shamilah.
- AbdulGhani Shawqi Musa al-Adba'ie, "Min Qadaya al-Murfulujia al-'Arabiyyah: al-Murfeim fi al-Tasnif wa al-Shakl al-Wazifi", King Khalid Journal for Humanities, Vol. (25), Issue (2), 1438AH-2017.
- Abu Hatim al-Rāzi, Ahmad bin Hamdan(d. 322AH), Al-ziynat fi al-kalimat al-'islamiyyah al-'Arabiyyah, juxtaposed and commented on by: Hussein bin Faydullah al-Hamdani, San'a: Yemeni Studies and Research Center, 1st ed., 1415AH-1994.
- Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf bin Ali al-Andalusi(d. 745 AH), Al-Tadhyil wa al-Takmil fi sharh kitab al-Tashil, edited by: Dr. Hassan Hindawi, Damascus: Dar al-Qalam (from vol.1 to 5), and the rest of the volumes by: Dar Kunooz Ishbiliyyah, 1st ed.
- Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf bin Ali al-Andalusi(d. 745AH), Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir, edited by Sidqi Muhammad Jamil, Beirut: Dar al-Fikr.
- Abu Hayyan, Muhammad bin Yusuf bin Ali al-Andalusi(d. 745AH), Irtishaf al-Darb min Lisan al-'Arab, edited and studied by: Rajab Uthman Muhammad, reviewed by: Ramadan Abdu-tawwab, Cairo: Al-Khanji Library, 1st ed., 1418AH-1998.
- Abu Ishāq al-Shātibi, Ibrahim bin Musa al-Shātibi(d. 790AH), al-Maqasid al-Shaafiyah fi Sharh al-khulasah al-Kafiyah, edited by a group of editors, Makkah Al-Mukarramah: Institute of Scientific Research and Revival of Islamic Heritage at Umm Al-Qura University, 1st ed., 1428AH-2007.
- Ahmad Mukhtar Abdul Hamid Umar(d. 1424AH), Mu'jam al-Lughah al-'Arabiyyah al-Mu'asirah, 'Aalam al-Kutub 1st ed., 1429AH -2008.
- Al-Azhari, Abu Mansour Muhammad bin Ahmad bin al-Azhari al-Harawi(d. 370AH), Tahdhib al-Lughah, edited by: Muhammad Awad Mur'eb, Beirut: Dar 'ihya' al-Turath al-'Arabi 1st, 2001.
- Al-Baghdadi, Abdul Qadir bin Umar Al-Baghdadi(d. 1093AH), Khizanat al-'Adab walub lubab lisan al-Arab, edited and explained by: Abdussalam Muhammad Harun, Cairo: Al-Khanji Library, 4th ed., 1418AH-1997.
- Al-Farra, Abu Zakariyya Yahya bin Ziyad bin Abdullah bin Manzur al-Dailami(d. 207 AH), Ma'ani al-Qur'an, edited by: Ahmad Yusuf al-

- Najati, Muhammad Ali al-Najjar and Abdul-Fattah Ismail al-Shalabi, Egypt, Dar al-Misriyyah for authoring and translation, 1st ed.
- Ali Al-Jurjani, Ali bin Muhammad bin Ali al-Zain al-Sharif(d. 816AH), Kitāb al-Ta'rifaat, edited by: a group of scholars, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed., 1403AH-1983.
- Al-Jahiz, Abu Uthman Amr bin Bahr al-Laithi(d. 255AH), Al-Bayan wa al-Tabyin, Beirut: Dar wa Maktabah al-Hilal, 1423AH.
- Al-Khatib al-Qazwini, Abu al-Ma'ali Muhammad bin Abdurrahman bin Umar Jalaluddin(d. 739AH), Al-'idah fi 'Ulum al-Balaghah, edited by: Muhammad Abdul-Mun'eim Khafaji, Beirut: Dar al-Jeel, 3rd ed.
- Al-Suyuti, Jalaluddin Abdurrahman bin Abibakr(d. 911 AH), Al-Iqtirah fi 'usul al-Nahw wajadalih, edited and explained by: Dr. Mahmoud Fajjal, Damascus: Dar al-Qalam, 1st ed, 1409AH-1989.
- Al-Suyuti, Jalaluddin Abdurrahman bin Abibakr(d. 911 AH), Sharah Shawahid al-Mughni, comments by: Ahmad Zafir Kojan, Committee on Arab Heritage, 1386AH-1966.
- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmoud bin Amr bin Ahmad, Jarallah (d. 538AH), al-Kasshaf 'an Haqayiq Ghawamid al-Tanzil, Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi, 3rd ed., 1407AH.
- Azizah Fawwal Babiti, Al-Mu'jam al-Mufassal fi al-Nahw al-'Arabi, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed., 1413AH-1992.
- Bahaa a-Din Muhammad Mazyad, "Tabsit al-Tadawuliyah", Cairo: Shams for Publishing and Distribution, 1st ed., 2010.
- Emil Badi' Yaqoub, and Michel Aasi, al-Mu'jam al-Mufassal fi al-Lughah wal-'Adab, Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayeen, 1st ed., 1987.
- Faridah Maoulouj, "Al-Tahlil al-Taqaabuli 'Ahdafuhu wamustawayatuh", International Journal of Arabic Linguistic and Literary Studies, Vol. 1, Issue No. 2, 2019.
- Ibn 'Usfour al-Ishbili, Abu al-Hasan Ali bin Mu'min bin Muhammad bin Ali bin 'Usfour(d. 669AH), Sharh Jumal al-Zajjaji, edited by: Dr. Sahib Abu Janah.
- Ibn Ahmar, Amr bin Ahmar al-Bahili(died after 75AH) "His Diwan", edited by: Dr. Hussein Atwan, Damascus: Arabic Language Academy.
- Ibn Faris, Abu al-Hussein Ahmad bin Faris bin Zakariyya al-Qazwini al-Razi(d. 395AH), Maqayees al-Lughah, edited by Abdus-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, 1399AH-1979.
- Ibn Hisham, Abdullah bin Yusuf bin Ahmad bin Abdullah bin Yusuf(d. 761AH), Mughni al-Labib an Kutub al-'A'arib, edited by Dr. Mazin al-

- Mubarak and Muhammad Ali Hamdullah, Damascus: Dar al-Fikr, 6th ed., 1985.
- Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman bin Jinni al-Mawsili(d. 392AH), Al-Khasa'es, al-hay'at al-misriyyah al-'aammah lilkitab, 4th ed .
- Ibn Malik, Abu Abdullah, Muhammad bin Abdullah Al-Ta'ie Al-Jayyani Jamaluddin(d. 672AH), Sharh Tashil al-Fawayid, edited by: Dr. Abdurrahman Al-Sayyid and Dr. Muhammad Badawi Makhtoun, Hajar for printing and publishing, 1st ed., 1410AH-1990.
- Ibn Malik, Abu Abdullah, Muhammad bin Abdullah Al-Ta'ie Al-Jayyani Jamaluddin(d. 672AH), Sharh al-Kāfiyatu al-Shāfiyah, edited by: Abdul Mun'eim Ahmad Haridi, Makkah Al-Mukarramah: Center for Scientific Research and Revival of Islamic Heritage, Umm Al-Qura University, 1st ed., 1402AH-1982.
- Ibn Manzoor, Abu al-Fadl Jamaluddin Muhammad bin Mukram bin Ali bin Mansour al-Ansari al-Ruwaifi'ei al-Afriqi(d. 711AH), Lisān al-Arab, Beirut: Dar Sādir, 3rd ed., 1414AH.
- Ibn Ya'iesh, Abu al-Baqa' Ya'iesh bin Ali bin Ya'iesh bin Abi al-Sarāyā Muhammad bin Ali(d. 643AH), Sharh al-Mufassal liz-Zamakhshari, presented by: Dr. Emil Badi' Yaqoub, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed., 1422AH-2001.
- Khalafullah bin Ali, "Al-Tadawuliyah: Muqaddimatun 'Aammah", Algeria: Journal of the Union of Arab Universities for Literature, Vol. (14), Issue No. (1), 2017.
- Khalifa Bujadi, "Fi al-Lisaniyyaat al-Tadawuliyah Ma'a Muhawalatin Ta'seeliyyah fi al-Dar al-Arabi al-Qadim", Algeria: Bait al-Hikmah for Publishing and Distribution, 1st ed., 2009.
- Madeline Shafiq Shukair, "Dirasat al-Mustawaa al-Murfuluji li-lughat ladaa al-'Atfal Dhawi Su'ubat al-Ta'allum al-'Akadimiyyah wa al-Adiyyah", Master's thesis in Special Education, Damascus University, 1437AH-2016.
- Mahmoud Ahmad al-Sagheer, Al-Adawat al-Nahwiyyah fi kutub al-Tafsir, Damascus: Dar al-Fikr, 1st ed., 1422AH-2001.
- Mahmoud Ahmad Nahlah, Aafaq Jadidah fi al-Bahth al-Lughawi al-Mu'asir, Cairo: Al-Adab Bookshop, 1st ed., 1432AH-2011.
- Mahmoud Al-Sa'rān, 'Elm al-Lughah Muqadimatun lil-qari' al-'Arabi, Beirut: Dar al-Nahdah al-Arabiyyah, Lebanon.
- Muhammad Ali al-Khouli, Madkhal Ela 'Elm al-Lughah, Jordan: Dar al-Falah, 2000.

- Murad Hamid Al-Abdullah, "El m al-Lisaniyyaat al-Taqaabuliyah 'einda al-'Arab wal-Gharb Ta'sil wa Tawsif", a research published on the ResearchGate website at the link: <https://www.researchgate.net/publication/332413919> Retrieval date: 10/8/2021.
- Murtada al-Zabidi, Abu al-Fayd Muhammad bin Muhammad bin Abdurrazzaq al-Husayni(d. 1205 AH), Taj al-'Aroos min Jawahir al-Qamus, edited by: a group of editors, Dar al-Hidayah.
- Nour al-Wahda, "Al-Tadawuliyah: 'Alaqtuha bi al-'Ulum al-Ukhraa watatbiqatuha bighayriha min al-Majālāt", Al-Ta'rib: The Arabic and Linguistic Journal of Education, Vol. 4, Issue 1, 2006.
- Sari Jomiyati, "Al-Jumlat al-Ismiyyah fi al-Lughah al-'Arabiyyah wal-Lughah al-'indunisiyyah dirasatun taqaabuliyah bayna al-Lughatayn", a paper published in the Semarang State University website in Indonesia (UNNES Repository) at the link: <http://lib.unnes.ac.id/id/eprint/30588>, retrieved on: 10/8/2021.
- Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Uthman bin Qanbur(d. 180AH), Al-Kitab, edited by: Abdussalam Muhammad Harun, Cairo: Al-Khanji Bookshop, 3rd ed., 1408AH-1988.
- Zaidan Ali Jassim, and Jassim Ali Jassim, "Nazariyyat 'elm al-Lughah al-Taqaabuli fi al-Turath al-'Arabi ", Damascus: Arab Heritage Journal, Issues (83-84), 1422AH-2001.

صورة اللغة العربية مقاربات ونماذج

Formalization of the Arabic language
approaches and models

د. يحيى بن أحمد عبد الله اللتيني

أستاذ اللسانيات الحاسوبية المساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الملك خالد

البريد الإلكتروني: yaabdullah@kku.edu.sa

رموز البحث

(\neq)	تعارض
(\equiv)	مكافئ
\exists	علاقة انتماء
\supset	علاقة جزئية
\forall	التسوير مهما يكن/ كل
\neg	النفي
\cap	الاتحاد
\cup	التقاطع
\emptyset	مجموعة فارغة
\leftarrow	الاستلزام المنطقي
\leftrightarrow	التكافؤ الرياضي
\sim	التميم
\wedge	النتيجة
F	العبارات الرياضية الخاطئة
T	العبارات الرياضية الصائبة
\vdash	التحول إلى

المستخلص: (١)

يتطرق هذا البحث إلى بيان توظيف بعض المسائل الرياضية في صورة اللغة العربية التي تعد المرحلة الهامة قبل حوسبتها حتى نصل بها إلى قالب يتماشى ولغة الحاسوب. ويهدف البحث إلى عرض نماذج لتحويل البنى اللغوية إلى بنى رياضية مجردة. لما تتميز به الرياضيات من موضوعية صارمة يمكن أن تلج بها اللغة إلى الحاسوب ويتعامل بها بنجاعة عالية. وقد اكتفيت بثلاثة نماذج رياضية وهي المجموعات الرياضية وعلاقتها، وحساب التفاضل والتكامل، والجداء الديكارتي (المتجه الزاوي) لحساب متجه الكلمة word vector.

وخلص البحث إلى أنه يمكن الإفادة من المجموعات الرياضية في تمثيل بعض الشروط النحوية كما فيما يجمع جمع مذكر سالم، وبيّن محلل CCG كيفية الكشف عن السلوك المنطقي للجمل والكشف عن التوليد الدلالي وكيفية التعرف على الجمل الأصلية والجمل التي تخرج عن السياق الدلالي. وأخيرا كشف البحث عن أهمية استخدام حساب الكلمات ووزنها في النص وكيف يمكن بذلك الحساب (المتجه الزاوي) تحديد المجال الذي يندرج فيه النص.

الكلمات المفتاحية: صورة - المجموعات الرياضية - حساب لامدا - متجه

الكلمات - المتجه الزاوي.

(١) شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير لجامعة الملك خالد على الدعم المادي والإداري لإنجاز هذا البحث.

Abstract:

This research deals with the explanation of the employment of some mathematical problems in the imagery of the Arabic language, which is an important stage before its computerization, until we reach a template that matches the language of the computer by transforming linguistic structures into abstract mathematical structures. This is due to the fact that mathematics is characterized by its strict objectivity, through which language can be accessed by computer and deal with it with high efficiency. I have mentioned three mathematical models which are the mathematical sets and their collations, the calculus, and the Cartesian product (the angular vector).

The research concluded that the mathematical sets can be used to represent some grammatical conditions, as in what combines the Salem masculine plural, and the CCG Parsing to detect the logical behavior of sentences, detect semantic generation, and how to identify original sentences and sentences that go out of the semantic context. Finally, the research revealed the importance of using counting words and their weight in the text, and how this calculation (Angular velocity) can determine the field in which the text falls.

Kay words: Formalism — Mathematical Sets - Lamda calculus - Word direct – Angular vector.

المقدمة:

عدّ السيميائيون اللغة رموزاً، وهذه العبارة فتحت الباب على أن تكون الرياضيات مدخلاً مهماً لترميز اللغة والتعامل معها من قبل الآلة باعتبارها ذلك صَوْنَة للغة. وعليه فالبحث يحاول الكشف عن المواضع التي يمكن أن تتداخل فيها اللغة مع الرياضيات باعتبارها أسساً وسيرورات لها بدايات حديثة تفضي إلى نتائج محددة؛ فكما أن الرياضيات تقوم على القيم في البنى الرياضية فاللغة تتمتع بتلك الصفة بشكل ما في البنى اللغوية. ومن هنا انطلقت فكرة ما يسمى بالأرْبُضَة .mathematization

مع ارتفاع الحاجة إلى إدخال اللغة الطبيعية إلى الآلة لا لمعالجتها فحسب بل لتكون سمة من سماتها في هذا القرن بخاصة؛ فالآلة تتفاعل اليوم مع المحيط الخارجي بكل أنواعه ومكوناته؛ كان العمل على صَوْنَة اللغة أمراً ملحاً لتُقدم للآلة بالشكل الذي يمكن أن تتفاعل معه، وهي السبيل إلى تجريد السيرورات الذهنية التي تعنى باللغة في الدماغ البشري ثم محاكاة الآلة لتلك السيرورات آلياً.

تصور بسيط: أحاول في هذا المثال البسيط شرح فكرة التقريب بين اللغة والرضيات بشكل بدائي.

لو جعلنا للأصوات العربية قيماً وفق الجدول ١:

الصوت	القيمة	الصوت	القيمة	الصوت	القيمة	الصوت	القيمة	الصوت	القيمة
ء	١	د	٨	ض	١٥	ك	٢٢	ـِ	٢٩
ب	٢	ذ	٩	ط	١٦	ل	٢٣	ـُ	٣٠
ت	٣	ر	١٠	ظ	١٧	م	٢٤	ـِ	٣١
ث	٤	ز	١١	ع	١٨	ن	٢٥	ا	٣٢
ج	٥	س	١٢	غ	١٩	هـ	٢٦	و	٣٣
ح	٦	ش	١٣	ف	٢٠	و	٢٧	ي	٣٤
خ	٧	ص	١٤	ق	٢١	ي	٢٨		

جدول ١: ترقيم الأصوات العربية الصامتة والصائتة.

فإننا إذا طلبنا من الحاسوب المعادلة إيجاد المجهول في المعادلة التالية:

$$س = ٢٥ + ٢٩ + ٦ + ٢٧$$

فسيطينا قيمة س = تحو... وهكذا.

فنحن بالصورة نقل اللغة من إطارها المحسوس إلى إطار مجرد حيث تكون رموزاً مجردة تقن الخطاب الطبيعي وتضبط تصوراته ونتائجه.

مشكلة البحث:

إن الرصد الدقيق للغة يجعلها أداة للتفكير الصحيح والدقيق، كما يجعلها أداة قانونية لصياغة القوانين والدساتير دون تعارض بين اللوائح. كما أن منطقة اللغة وربطها بالبرهان الرياضي يجعلها طيبة للأتمتة Automation ومن ثم يستطيع الحاسوب أن يتعامل معها بكل سهولة. ومن هنا يحاول البحث الكشف عن العلاقة بين اللغة باعتبارها أداة للتفكير، والرياضيات باعتبارها أداة للصورة منضبطة في منطقاتها وبراهينها ونتائجها، كما يهدف إلى الوصول إلى تصور رياضي لبعض مسائل اللغة الطبيعية نستطيع من خلاله صورة تلك المسائل وهيئتها للمعالجة الآلية للغات الطبيعية.

أولا المقاربات:

١- الفلسفة والمنطق.

عندما تواجهنا مشكلة في صورة بعض الوحدات اللغوية على هيئتها الحالية الموروثة (بفلسفتها الحالية) فإننا بحاجة إلى إعادة النظر في فلسفة اللغة وكيفية عملها في المخ للكشف مجددا عن نواح أخرى تمييزية يمكن من خلالها التعرف على سيرورات لغوية ذهنية جديدة موضوعية يمكن صورتها ثم محاكاتها. ولذا نحن بحاجة ماسة إلى مواصلة التوصيف اللغوي المستمر والتعرف على إمكانيات الفلسفة الحديثة وعلم الأعصاب اللغوي في هذا المجال. وعليه يمكن أن نرصد العلاقة بين مقولات اللغة ومقولات العقل أو بوصف آخر بين علاقات البنى اللغوية وقوانين العقل.

• لماذا ندرس المنطق في اللسانيات؟

نحن ندرس المنطق في اللسانيات لاعتقادنا أن اللغة في بنيتها العميقة قبل إنجاز الجملة عبارة عن قضايا مترابط وفق اشتراطات معينة لتحقيق المصادقات، وأنها تحتكم إلى قواعد تستجيب لحتمية العمليات المنطقية^(١). وأن العلاقة التي تربط الدال بالمدلول وتربط الدلالة بالمرجع أو تصديق الحكم على القضية أو أيا كانت تسميتها لا تحتكم إلى قوانين لغوية - وأنى لها! - وإنما تحتكم إلى قوانين منطقية رياضية يمكن صورتها. فالخطاب وهو الغاية اللغوية مؤسس على الشرطيات المنطقية. كما أن احتكامنا إلى اللغة الطبيعية ذات القضايا غير المحدودة سيحوجنا إلى براهين غير محدودة أيضاً، وهذا لا يعني أن اعتمادنا اللغات الصورية سيجنبنا كثيرا من العراقيل؛ غير أن الأمر سيكون أقل بكثير مما يواجهنا عند اعتماد اللغات الطبيعية^(٢).

(١) وهذا ما تؤكدته مدرسة نحاة بور- رويال Por-Royal. ويرى ذلك أيضا ديكرو في كتابه (الدليل والمقول) (la preuve et le dire: ١٩٧٢) حين يعتقد أن النسق المنطقي والرياضي يشكل البنية العميقة للغات الطبيعية. انظر العزاوي، أبو بكر: المنطق واللغة مدخل نظري

٢٠١٤. مطبعة طوب باريس. الرباط. ص: ٩

(٢) انظر: باهي، حسان: اللغة والمنطق ص: ٤٦

• **وظيفة المنطق الصوري في اللغة^(١):**

- ١- وظيفة الصورنة formalization: نموذج السيرورات اللغوية بلغة صورية يمكن التعامل معها من قبل الحاسوب. وتمكن من العمليات الآلية كالتوليد والتحليل. وعمليات الإحصاء الرياضي، والتطبيقات اللغوية المختلفة.
- ٢- وظيفة استكشافية heuristic: وتشمل عمليات الاسترجاع والفهرسة من ناحية، كما تشمل عمليات سياقية ونتائج أكبر تعقيداً، تتعلق بتحليل الخطاب وكشف أساليبه وتلازماته. كما يمكن الإفادة منها في معرفة الحجاج اللغوي وبناء النتائج عليه.

• **سمات اللغة الصورية:**

- ١- أنها تبتعد عن كل ما لا يمكن صورته مثل الدلالة والتأويل والصوت. ويمكن للآلة التعرف على النتائج الدلالية والصوتية في نهاية المرحلة الصورية بناء على السمات التمييزية المدججة في النموذج الصوري؛ ولذلك وجدنا تشومسكي في التوليدية قد قصد إلى إسقاط المكون الدلالي والمكون الصوتي من جميع مراحل النظرية التوليدية واعتبره نتيجة عندما جعل له مرحلة في البرنامج الأدنى minimalist program وإنما يجب على اللغة الصورية أن تتكفل بمجموعة من السمات المميزة التي تفضي عند توافرها بشروط معينة إلى المكونين الدلالي والصوتي باعتبارهما نتيجة.
- ٢- أنها تركز على التركيب وشكل بناء الجملة الصورية بغض النظر عن القيم التي تحملها فهي تكافئ القيمة المطلقة في الرياضيات.
- ٣- أن اللغة الصورية قابلة لإعادة الكتابة، وهي قاعدة توليدية نقلها تشومسكي من الرياضيات عن العالم الرياضي (إميل بوست) فالنحو التوليدي يندرج رياضياً تحت نظرية الدوال التكرارية recursivity أو ما يسمى بالعودية. وقد

(١) انظر: العزاوي، أبو بكر: المنطق واللغة مدخل نظري ٢٠١٤. طوب بريس الرباط. ص ٢٠

وظفها تشومسكي في البنى التركيبية^(١). وهي الخاصية التي تميز بها الملكة اللغوية وتمثل الفرق بينه وبين غيره من الحيوانات.

٤- يجب أن تكون اللغة الصورية قابلة للحوسبة computable؛ ولا يمكن ذلك إلا بوضع معايير كافية شاملة بسيطة أدنوية كما يشترط النحو التوليدي الذي يعد أحد الأنحاء الصورية.

• التراتبية اللغوية:

يجب أن نعلم قبل الشروع في أي صورة حقيقة التراتبية اللغوية؛ فهناك لغة في الذهن ولغة عبرت عنها صوتيا أو كتابيا وهي اللغة الطبيعية المنجزة ولغة وصفت تلك اللغة الطبيعية وهي طبيعية أيضا^(٢)، ثم لغة مصورة حاولت أن تصف هذه اللغة الطبيعية وفق الشكل ١ الآتي:

(١) انظر: المالكي، طارق: الاستدلال في المنطق وتطبيقاته في اللسانيات. دار كنوز. الأردن.

٢٠١٨. ص: ١٩٧

(٢) انظر مثلا: باهي، حسان: اللغة والمنطق بحث في المفارقات. دار الأمان. الرباط. ٢٠١٥م.

ص: ٨٠. وهو يتبع تارسكي في كتابه (the semantic conception of truth and the foundations of semantics) في أن اللغة الطبيعية هي اللغة الشيعية، واللغة الطبيعية الواصفة سماها اللغة الفوقية.



الشكل ١: مخطط التراتبية اللغوية

٢- اللغة والرياضيات

لماذا الرياضيات؟

تُعد الرياضيات الضامن العلمي لعلمية العلوم، والمقياس الذي يُحتكم إليه في تجريبية المعارف. كما أن الانضباط الرياضي يتمثل هدفه في تطوير الأفكار ودراستها التي تشكل أساس جهاز الصورة formalism لوصف بنية اللغات الطبيعية.

ما اللسانيات الرياضية؟: هي المجال العلمي الذي يستخدم أساليب ومفاهيم رياضية لدراسة النظم اللغوية^(١)؛ لنمذجة الظواهر اللغوية في نظم منطقية أكثر ثراءً ومرونة يمكن للآلة التعامل معها^(٢). وهي فرع من فروع علم المنطق الرياضي.

(1) Geoffrey K. Pullum and András Kornai Final version: Mathematical Linguistics.p2

<http://www.kornai.com/MatLing/matling3.pdf>

(2) van Benthem, Johan, and Alice G. B. ter Meulen. 2010. *Handbook of logic and language*. 2d ed. Amsterdam and New York: Elsevier Science

والرياضيات بطبيعتها تحقق قدرا كبيرا من الموضوعية؛ فإن المنوال الرياضي يتعهد بتوفير خصائص البنية الدقيقة وهي:

١- قابلية الدحض falsifiability التي تعتمد على الاستلزام المنطقي في القضية الرياضية المشهورة (إذا كان أ صحيحا فإن نفي أ خطأ) علماً أن النتيجة هنا تعتمد على صحة الافتراض الأصلي.

٢- القدرة على التنبؤ predictability وهذا يعتمد على المنهج الإحصائي الذي يبني النتيجة على كثرة التواتر والورود. ويعطي ملامح عامة من خلال دراسة مجموعة من النماذج يتعقب فيها العنصر المراد حسابه، وبعد الإحصائية يصل الحاسوب إلى نتائج التعقب التي ترسم الملامح العامة للعنصر. وعليه يمكن الوصول إلى نماذج ذكية Smart Paradigms تعطي الحاسوب قدرة على التنبؤ^(١). وهذه العملية من أهم مقومات العلوم فيجب على النظرية أن توجد حلولاً لما لم تواجهه ولم تدرسه كما وجدت حلولاً لما واجهته ودرسته، وهو من أهم ما تبنته التوليدية منذ نشأتها ١٩٥٦م على يد تشومسكي.

٣- الموضوعية Objectivity: وهي من أهم أسس الاستقراء بغض النظر عن مصدر العنصر. ومن المسلم به أن اللغات الطبيعية ذات طبيعة معقدة ونتائج متناقضة لا يمكن أن تكون موضوعية بذاتها فيجب اللجوء إلى الرياضيات لتطوير لغة خاصة ومبسطة من التقنيات الرياضية للوصول إلى الهدف المنشود.

بين اللسانيات الرياضية والجبرية: فرقت بار هليل BAR-HILLEL بين اللسانيات الرياضية mathematical linguistics واللسانيات الجبرية algebraic linguistics باعتبار أن الثانية هي التي تكتفي من الرياضيات بالإحصاء؛ أما الأولى فهي باب أكبر من رديفه^(٢). ويرى سولمون ماركوس Solomon Marcus أن

(1) Gregoire D ´ etrez and Aarne Ranta: Smart Paradigms and the Predictability and Complexity of Inflectional Morphology.p645

(2) Y. Bar-Hillel, Four lectures on algebraic linguistics and machine translation. A revised version of a series of lectures given in July, 1962, before a NATO advanced summer institute of automatic translation of languages, in Venice, Italy. p:1

اللسانيات الجبرية تغطي نوعين أساسيين من النماذج اللسانية هما: التوليد والتحليل⁽¹⁾. والتوليد في أبسط صورته هو الذي يعتمد أساسًا تنطلق منه، بينما التحليل عكسه وهو العودة بالعملية من النتائج المولدة إلى الأساس الذي يُعد نقطة التوليد.

• الإجراءات العلمية⁽²⁾ scientific method :

- ١- ملاحظة الظاهرة.
 - ٢- صوغ فرضية لوصفها.
 - ٣- إجراء تجربة أو جمع ملاحظات لاختبار الفرضية.
 - ٤- تحليل النتائج لمعرفة ما إذا كانت تؤكد الفرضية أو تدحضها.
- علمًا أنه في بعض الأشكال اللغوية لا يمكن أن تنطبق كل هذه الخطوات كاملة؛ لأن المعالجة تختلف من مجال إلى آخر ومن هدف إلى آخر. في حين أننا في بعض مسائل التحليل الصرفي الذي يعتمد على مدخلات كافية وضرورية يمكن أن نطبق هذه الخطوات كاملة كما نجد في شروط جمع المذكر السالم معادلة مطردة.

• المسلّمات والبرهان والحدس:

المسلّمات Axioms : ويمكن تسميتها بالبداهيات وهي العبارة الرياضية أو اللغوية التي تعد مثالًا صحيحًا لا تحتاج إلى برهنة. ويمكن أن ننطلق منها لصناعة الجملة الصورية ونحاكم إليها الجمل المولدة صحة وحينًا.

ومن المسلّمات في النحو العربي:

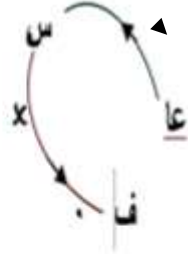
- أن العمل غير متناظر وهو بهذا يشبه عمليتي القسمة والطرح في الرياضيات.
- فإذا كان الفعل عاملاً في الاسم فلا يمكن أن يكون الاسم عاملاً في الفعل.
- ويمكن صياغتها رياضياً بهذا الشكل:

ف.س ≠ س.ف

(1) Solomon Marcus: Algebraic Linguistics; Analytical Models.1967. Academic press new york and London. p vii

(2) David Eddington: linguistics and the scientific method. Southwest journal of linguistics, volume 27, number 2 (2008). p:1

أو بالمنطق الرياضي^(١) كما في الشكل ٢ :



$$\text{|| عا (ف.س) } \Leftarrow \sim \text{ عا (س.ف) ||}$$

$$\text{|| س (٣÷٦) } \Leftarrow \sim \text{ س (٦÷٣) ||}$$

$$\text{|| (أكل محمد) } \Leftarrow \sim \text{ (محمد أكل) . (على مستوى النحو)}$$



الشكل ٢: المنطق الرياضي لنظرية العامل

البرهان: في أصله إجراء رياضي حُجِّي/جدلي argumentum يستند إليه في الحكم على صحة العبارة أو لحنها.

الحُدس: هو ما صححه التجريب، وعجز الرياضيون عن برهنته^(٢).

(١) انظر: المالكي، طارق: الاستدلال في المنطق وتطبيقاته في الرياضيات. ٢٠١٨ م. دار كنوز

المعرفة. الأردن. ص: ٢٦٩

(2) David N. Perkins: Software Goes to School: Teaching for Understanding with New Technologies. New York Oxford university Press 1995.p:93 https://books.google.com.sa/books?id=JyKelnvECc4C&pg=PA93&lpg=PA93&dq=%22although+counterpoint+between+the+particular+and+the+general%22&source=bl&ots=hIvE9Onw06&sig=U3DTi0tkie-oZdllilyAT4y1DE&hl=en&sa=X&ei=rAEwUJeZLazqigK3_IHABQ&redir_esc=y#v=onepage&q=%22although%20counterpoint%20between%20the%20particular%20and%20the%20general%22&f=false

• الحوسبة والصورة:

تنقسم محاولات الحوسبة عموماً إلى طريقتين: الأولى تعتمد على بحوث اللسانيين في اللغات والفلسفة والمنطق. وتراعي هذه الطريقة المنوال اللسانية في اللغات ومحاولة محاكاتها Simulation ويقوم فيها الباحثون بالأعمال المشتركة بين اللسانيين والحاسوبيين ولا تعتمد هذه الأعمال على المدونات اللغوية بشكل أساسي. والثانية تعتمد على العمليات الإحصائية^(١) لتواتر الظواهر اللغوية، والاحتمالات الرياضية بشيء من التنبؤ ثم يتعلم الحاسوب بواسطة تلك النتائج. وهذه الطريقة تعتمد المدونات اللغوية الموسومة Tagged بشكل أساسي، المعتمد على التعليم تحت الإشراف، وإنما تراعي المنهج اللساني في بداية تدريب الآلة بالتعليم الموجه supervised ثم تتعلم الآلة بواسطة الإحصاء والتكرار.

(١) انظر: الحباشة، صابر: علاقة اللسانيات بالرياضيات، رهانات أم عقبات؟: مجلة

المخاطبات. تونس. العدد ٥، فبراير ٢٠١٣م. ص: ١٠٩

ثانياً - النماذج:

وسأعرض في هذا الجزء لبعض النماذج التي يمكن صورتها وتهيئتها للبرمجة:

أولاً - نظرية المجموعات ودورها في (صياغة جمع المذكر السالم):

نعلم أنه يشترط لصوغ جمع المذكر السالم من المفرد أن يكون المفرد إما علماً مذكراً ليس فيه علامة تأنيث، أو أن يكون وصفاً لمذكر خالٍ من علامة التأنيث لا يساوي فيه المذكر والمؤنث وليس على أفعل الذي مؤنثه فعلاء^(١).

وعليه يمكن أن نصوغ البرهان الرياضي كما يلي:

نفرض أن $S =$ اسم مفرد تتوفر فيه شروط جمع المذكر السالم
ونفترض أن $V =$ جمع المذكر السالم.

فإن $V = S + \text{ون}$

والسؤال الآن: كيف تستطيع إثبات أن S تتوفر فيه كل شروط جمع المذكر

السالم؟

وهنا نلجأ إلى نظرية المجموعات الرياضية، حيث نبني في مدخلات الحاسوب مجموعة رياضية تحوي كل الكلمات التي تتوفر فيها كل شروط جمع المذكر السالم وذلك من خلال البناء الأنطولوجي الذي يصنف كل الموجودات المعجمية باستعمال المعجم المحوسب^(٢).

وعليه نفترض أن هذه المجموعة المرادة رمزها $J = \{ج ١، ج ٢، \dots\}$.

حيث $J = \{س = (\text{علم، مذكر، عاقل، ليس فيه علامة تأنيث})\}$

(١) يشترط في جمع المذكر السالم: ١- إذا كان جامداً أن يكون علماً، لمذكر، عاقل، خالياً من تاء التأنيث، ومن التركيب.

إذا كان صفةً أن تكون لمذكر، عاقل، خاليةً من تاء التأنيث، ليست من باب أفعل فعلاء، ولا من باب فعلان فعلى، ولا مما يستوي فيه المذكر والمؤنث. انظر شرح ابن عقيل على

ألفية ابن مالك: دار التراث- دار مصر للطباعة ط ٢٠٠٢، ١٤٠٠ هـ. ١/٦٠

(٢) انظر: اللبني، يحيى ٢٠١٩: أسس صناعة المعجم المحوسب. دار كنوز المعرفة. لأردن.

صورة اللغة العربية مقاربات ونماذج، د. يحيى بن أحمد عبد الله اللبيني

وج ٢ = {س} = (وصف، مذكر، ليس على أفعل الذي مؤنثه فعلاء، وليس مما
يتساوى في المذكر والمؤنث)

وعليه حتى تكون ص صحيحة/صادقة فإنه يجب أن ينتمي س لمجموعة ج

ونعبر عنها رياضيا: $\exists س ج$

ونصوغ البرهان كما يلي:

ص T فقط إذا كانت $\exists س ج$ (١)

$s t i f C \in G$

أو بعبارة الاستلزام التالية:

$s \Rightarrow C \in G$

وعليه نرمز للحاسوب بالرموز التالية:

ص = س + ون

$s = c + wn$

جمع معلم = معلم + ون

جمع معلم = معلمون.

وهذا يعني أن (معلم) تنتمي إلى مجموعة الأسماء التي تتوفر فيها شروط جمع المذكر

السالم ج

ويمكن أن نصوغه بالاستدلال المنطقي هكذا: علم مذكر (معلم) ٨ علم مذكر

(معلمون)

برهان عكسي:

قد تبدو لنا بعض الأسماء مذكرة لخلوها من علامة التأنيث مثل: (زينب)، ولا

يصدق عليها جمع المذكر السالم لأنها لن تكون في مجموعة ج

وعليه: G بمزيب

ومن هنا ف: علم مذكر (زينب) F

(١) T يرمز للعبارات الرياضية الصائبة، و F) كما سيأتي يرمز للعبارات الرياضية الخاطئة.

ثانياً- حساب التفاضل والتكامل لامدا Lambda^(١) ودوره في صورة الدلالة:

وحساب التفاضل والتكامل Lambda يشكل جانباً مهماً في تحويل اللغات الطبيعية إلى لغات صورية؛ حيث يمكن أن نعبر عن المعاني بالمشتقات الدالية التي تتغير في كل تشكيل لغوي الأمر الذي تتغير معه الدلالة من تركيب إلى آخر. وفي مبدأ فريجه Frege في التأليفية compositionality^(٢) أن معنى أي تعبير معقد يتكون من معاني أجزائه التي يتم دمجها في الجملة. وقد اعتمدته نظرية مونتيجو Montague^(٣) في الدلالات الشكلية formal semantics. وقد نقلت نظرية النوع لمونتيجو إلى اللسانيين إستراتيجية فريجه جاذبةً تطبيقاً **حجة-دالة** بوصفها أساساً لما يسمى **(اللتصق الدلالي)** لدمج المعاني الجزئية في الجملة^(٤).

(١) حساب التفاضل والتكامل لامدا Lambda: ويرمز له بالرمز (λ) وهو نظام صوري وظيفته تجريد المتغيرات وحساب الدوال واستبدالها في التطبيق. وهو النظام الأساسي للمنطق الرياضي. ويعد نموذجاً عاماً للحوسبة عموماً وحوسبة اللغة خصوصاً في كثير من قضاياها. انظر:

Turing, A. M. (December 1937). "Computability and λ -Definability". The Journal of Symbolic Logic. 2 (4): 153-163. doi:10.2307/2268280. JSTOR 2268280

(2) Dever.J.2006. "compositionality" In E. Lepore & B. Smith (eds.), The Oxford Handbook of Philosophy of Language. Oxford University Press: pp. 633-666.

(٣) يعد مونتيجو أول من اقترح بجدية في أطروحة علمية أن العلاقة بين التركيب والدلالة في اللغات الطبيعية لا يختلف جوهرياً عن العلاقة بين التركيب والدلالة في اللغات الصورية مثل

لغة FOL (First-Order-Logic) انظر :

Raffaella Bernardi: Computational Linguistics: Lambda Calculus and NL. KRDB, Free University of Bozen-Bolzano.

http://old.unibuc.ro/prof/dinu_a_d/docs/2016/mar/28_09_50_08la mbdaBernardi.pdf

(4) look: Bach, Emmon, Oehrle, Richard, and Wheeler, Deirdre eds. 1987. Categorical Grammars and Natural Language Structures. Dordrecht: D. Reidel.

صورة اللغة العربية مقاربات ونماذج، د. يحيى بن أحمد عبد الله اللبيني

وقبل التمثيل على ذلك يجب أن نعرف ببعض الاختصارات الهامة في جدول ٢:

الرمز	مدلوله
جملة	S
مركب اسمي	NP
مركب فعلي	VP
مركب حرفي	PP
مركب اسمي + أداة تعريف (تحديد)	DET CNP
مركب اسمي مشترك	CNP
الأعلام: زيد، عمرو، أحمد...	ProperN: <i>John, Mary, Bill, ...</i>
فعل متعدٍ: رأى، أحب، أكل...	TV <i>sees, loves, catches, eats</i>
فعل لازم: يذهب، يسير، يركب...	IV <i>walks, talks, runs</i>
عملية تحويل	T
المحددات / المعارف: أل، بعض، كل...	DET: <i>some, a, the, every</i>
الصفات: اللاحمة، العاشبة، الطويل، القديم، سعيد	ADJ: <i>carnivorous, happy, skillful, tall, former, alleged, old, ...</i>
أسماء عامة: رجل، ملك، جراح، عازف...	CN: <i>man, king, violinist, surgeon, fish, senator, ...</i>

جدول ٢: الفئات النحوية لمنتيجو Montague

١ - القيم التركيبية التي اعتمدها منتيجو في (١):

S → NP VP
NP → DET CNP

(1) Partee, Barbara H. 1999. "Semantics" in R.A. Wilson and F.C. Keil, eds., The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences. Cambridge, MA: The MIT Press. 739-742.

NP → ProperN
CNP → ADJ CNP
CNP → CNP REL
CNP → CN
VP → TV NP

يحدد الجدول التالي تحليل الجملة حسب مونتيجو Montague بتحديد العناصر النحوية والدلالات الأساسية وحاول إيجاد علاقات بين الفئة النحوية الأنواع الجالية فكل فئة نحوية ترتبط بنوع دلالي معين يأتي في تعبيرات أساسية لتشكيل معجم أساسي مصغر وبهذه العلاقات نحصل على لغة منطقية، وهو تقليد يشبه إلى حد كبير ما انتهجه تشومسكي في تحديد الدلالة المرتبطة بالتفريع المقولي sub-categorization^(١) فكل فعل يأخذ نوعاً محددًا من المفاعيل والفاعلين بسمات دلالية معينة تتغير بتغير الفرع المقولي، وعند منتيجو تتغير بتغير الفئة النحوية، وبمعنى أوضح نجد منتيجو يربط الفئة النحوية بفئة التعبير وأي تغير في طرفي المعادلة سيغير في الطرف الآخر ومن هنا نشأت قائمة منتيجو للتمييز بين دلالات الجمل كما في الشكل ٣ التالي:

(١) انظر اللحياني، سرور (٢٠١٠): خصائص الرأس الفعلي وظواهر من انتظام المعجم، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة. ص: ٦٨

صورة اللغة العربية مقاربات ونماذج، د. يحيى بن أحمد عبد الله اللبيني

الفئات النحوية	Syntactic category	Semantic type النوع الدلالي	Expressions الفئات التعبيرية
S		t	sentences
ProperN		e	names (John جون)
CN(P)		e → t	common noun phrases (cat قط)
NP		(i) e (ii) e → t	"e-type" or "referential" NPs (John جون, the king ملك) NPs as predicates (a student طالب, a king ملك)
ADJ(P)		e → t	predicative adjectives (carnivorous, happy)
REL		e → t	relative clauses (who(m) Mary loves)
VP, IV		e → t	verb phrases, intransitive verbs (loves Mary, is tall,
TV		<e,e> → t	transitive verbs (loves, sees)
Is		none	temporary treatment as in first-order logic: pretend it isn't there!
DET		(i) function from type e → t to type e (ii) function from type e → t to type e → t	the a

شكل ٣: قائمة منتيجو للفئات النحوية والفئات التعبيرية

• استخدام حساب التفاضل والتكامل في تحليل CCG Parsing :

وهو اختصار Combinatory Categorical Grammar⁽¹⁾ القواعد الفئوية التجميعية. ويستخدم تحليل CCG لتحليل جمل اللغات الطبيعية وذلك من خلال مجموعة من العناصر المعجمية التي تتبع مجموعة مبسطة من القواعد، وهذه القواعد تحدد التعبيرات الممكنة المرتبطة بهذا العنصر المعجمي. ويقوم تحليل CCG بتحديد السلوك المنطقي للجمل الذي يدمج فيه دلالات تلك الجمل للحصول على الدلالة التأليفية للجمل الناتجة عن الربط بين الكلمة المعجمية ونوعها الصرفي ودلالاتها كما في الخطاطة التالية:

الشكل المنطقي → الجملة: f

حيث حيث يقوم محلل CCG بالوصول إلى صورة للجمل مبنية على علاقة الفئات النحوية بالدلالات ومن ثم يمكن لنا بناء نموذج تعليم الآلة وفق المخطط التالي:

تحليل ← تعليم ← نمذجة الدلالة

(1) S. Clark and J. R. Curran, "Wide-coverage efficient statistical parsing with CCG and log-linear models." Computational Linguistics, vol. 33, 2007.

وعليه فمثال: محمد يأكل الخبز

NP ---- محمد

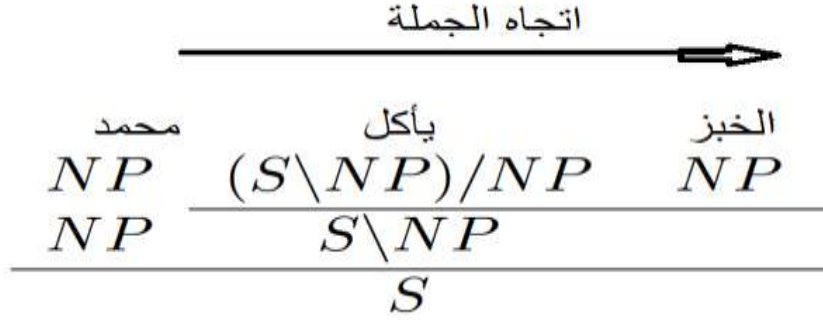
(S \ NP) / NP ----- يأكل

NP ---- الخبز

"محمد" و "الخبز" مركبان اسميان لهما سلوك محدد، و"يأكل" مركب فعلي معقد يتولى أكثر من مهمة في التركيب حيث ترتبط به المركبات الاسمية في الجملة وهذا الدور يجعل له سلوكا معينا يختلف عن بقية المركبات. وتمثل العلاقة بين اللغة الطبيعية واللغة المنطقية المعتدة على تحليل CCG كما في الشكل ٤ وه التالين:

اللغة الطبيعية (الوحدات المعجمية (Lexemes)	اللغة الصورية لمخرجات CCG (القوالب Templates)
يأكل	$\vdash S \backslash NP: _ \lambda x. \text{يأكل}(x)$
محمد	$\vdash NP: _ \lambda x. \text{محمد}(x)$
الخبز	$\vdash NP: _ \lambda x. \text{الخبز}(x)$

الشكل ٤: مقابلة اللغة الطبيعية باللغة الصورية بتحليل CCG



الشكل ٥: يمثل العلاقة بين اللغة الطبيعية واللغة الصورية المعتمدة على محلل CCG

حيث إن: NP, S رموز الفئات النحوية.

و $(\setminus, /)$ رموز عوامل التجميع النحوي.

يوضح الجدول أعلاه والشكل كيف يمكننا صورة اللغة الطبيعية باستخدام محلل CCG في قوالب محددة وعليه تنتج لنا معجم للمدخلات ومعجم للقوالب يشكل السلوك المنطقي لتلك المدخلات، وذلك بالكشف عن الاختلافات المنهجية في استخدام الكلمات، ثم يمكن بعد ذلك تطبيق كل اختلاف على الوحدات المدجة ذات المعنى المعجمي.

وهذه صورة مختصرة لكيفية الإفادة من حساب التفاضل والتكامل في صورة

اللغة وتهيئتها لتعلم الآلة.

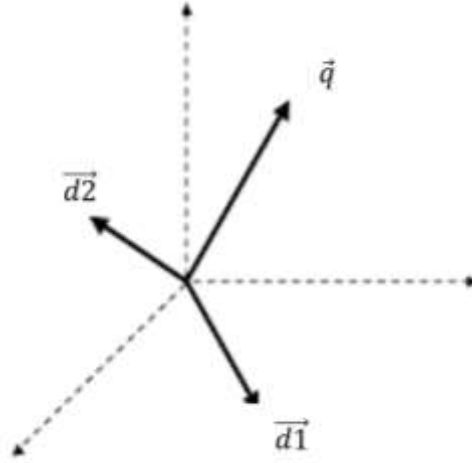
ثالثاً- الجداء السلمي والتمييز الدلالي:

يمكن أن نرصد الحقول الدلالية التي تنتمي لها النصوص بالاعتماد على مفهوم الفضاء الشعاعي بحساب نسبة توارد كلمات ذلك الحقل في النص وعليه اختيار المعنى السياقي المراد بما يخدم في الترجمة الآلية وغيرها من التطبيقات اللغوية مثل تصنيف المدونات وفهرستها واسترجاع المعلومات والبحث فيها.

ويكون الحساب باستخدام آليات الجداء السلمي. ونحسب البعد والقرب من

الحقل الدلالي بحساب ما يسمى المسافة الزاوية بالقياس التشابهي $\text{sim}(x,y)$ ؛ فكلما تغير القيمة الشعاعية للمدونة تغير الحقل الذي تنتمي إليه؛ وذلك بعد حساب الفضاء الشعاعي Vector Spaces الذي يمثل الحقول الدلالية في مساحة فضاء

متعدد الأبعاد، بحيث تمثل المفردات المميزة لكل حقل دلالي بعدا معيناً يرمز له بالرمز (\vec{d}_1) و (\vec{d}_2) وهكذا بحسب عدد الحقول الدلالية المتشابهة. وتمثل مفردات المدونة المدخلة لغرض الترجمة -مثلاً- متجهاً يرمز له بالرمز (\vec{q}) كما في الشكل (٦)؛ وعليه فالمدونة التي تحوي مجموعة من المفردات المميزة لحقل دلالي معين فستظهر نتيجة التشابه بقيمة أكبر من الأخرى ومن ثمّ يمكن تحديد المجال الذي تنتمي إليه المدونة المدخلة بحسب قيمة الحساب الزاوي كما سيأتي.



الشكل ٦: فضاء المتجه الذي يمثل المدونة المدخلة ومفردات الحقول الدلالية المتشابهة.

- طريقة حساب التشابه:

نستعمل معامل جاكارد $d(c_j, c_i)$ ^(١) لمقارنة التشابه والاختلاف بين مجموعات العينات المحدودة. كلما زادت قيمة معامل Jaccard ، زاد تشابه المدونة المدخلة مع مفردات حقل دلالي معين وذلك باحتساب نتيجة قسمة تقاطع عينتين على مجموع

(١) هناك العديد من مقاييس التشابه للمسافة في معالجة اللغات الطبيعية، وهنا بعض المقاييس شائعة الاستخدام، بما في ذلك خوارزمية تعديل المسافة ومعامل جاكارد وخوارزمية سميث ووترمان. وتعتمد مكتبة nltk قانون zipf وحساب متجه الكلمات AVG-W2V.

صورة اللغة العربية مقاربات ونماذج، د. يحيى بن أحمد عبد الله اللبيني

المكونات وستقوم الآلة بالترجمة وفقا للحقل الذي انتمت إليه المدونة المدخلة (١) كما في المعادلة التالية:

$$d(c_i, c_j) = \frac{b + c}{a + b + c}$$

حيث:

a: مجموع قيم مفردات المدونة المدخلة.

b: مجموع المفردات المميزة لكل حقل من الحقول المتشابهة

- طريقة حساب المسافة الزاوية:

بعد حساب القياس التشابهي $\text{sim}(x, y)$ بمعامل جاكارد بين مفردات المدونة المدخلة والمفردات المميزة للحقول الدلالية المتشابهة، ونعتبر الحقول الدلالية قاعدة الفضاء الشعاعي كما في الشكل (٧). حيث يمثل حساب خط مفردات الحقل الدلالي متجهها معينا. وتمثل زاوية البعد بين المدونة والحقل الدلالي بالقياسات التشابهي كما يلي:

$$D(C, H_k) = \frac{1}{H_k} \sum_{(C_j \in H_k)} d(C, C_j)$$

حيث:

H_k : الحقل الدلالي ويمثل محورا في الفضاء الشعاعي

N_k : عدد الكلمات في الحقل الدلالي H_k .

C: كلمة تنتمي إلى الحقل الدلالي H_k . (الحواس، الطعام، القضاء).

(١) ويمكن استخدام ذلك في معالجة اللغات الطبيعية من خلال لغة Python باستدعاء حزمة CountVectorizer من مكتبة sklearn.feature_extraction.text مع حساب متجه الكلمات word2vec واستخدام AVG-W2V لحساب متوسط متجه الجملة. للمزيد انظر: موقع المبرمج العربي [/https://arabicprogrammer.com/article/79741264314](https://arabicprogrammer.com/article/79741264314) بتاريخ

٢٤ \ ١٠ \ ٢٠٢١ م. الوقت ١١:٢٠

$d(C_i, C_j)$: نتيجة القياس التشابهي.

مثال: كلمة (شهد)^(١).

له معاني مختلفة بحسب السياق الذي يرد فيه. فقد يكون في أحد الحقول الآتية:

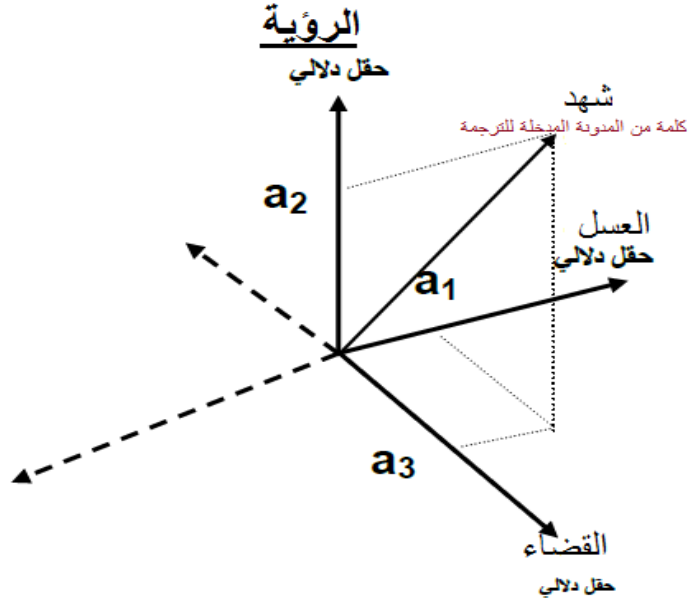
١- الحواس

٢- الطعام

٣- القضاء

حضور	عسل	عيون
محكمة	شمع	نظر
قضية	نحل	مشاهدة
دعوى	شفاء	منظر
قاض	نحل	رؤية
خصومة	دوق	إبصار
		حدة

(١) كلمة (شهد) تتعدد دلالاتها بحسب السياق فقد تكون فعلا (شَهِدَ) في المحكمة أو بمعنى (حَضَرَ) أو اسما بمعنى العسل (شَهْدٌ)



الشكل ٧: تمثيل الحقول الدلالية على محاور الفضاء الشعاعي

الختامة:

لقد حاولت في هذا البحث أن أعرض مناطق التقاطع بين الرياضيات واللسانيات التي تتمثل في صورة اللغة بأشكال مختلفة مفيدا من الموضوعات الرياضية مثل المجموعات الرياضية والتفاضل والتكامل وخاصة حساب لامدا Lamda الذي يعد الأساس الذي اعتمد عليه حساب CCG للكشف عن السلوك المنطقي للجمل. وأخيرا الجداء السلمي الذي يهتم بحساب المتجه للكلمات word direction. فمن خلال المجموعات الرياضية يمكن معالجة بعض القضايا في النحو العربي التي تجعل مجموعة من الوظائف النحوية ترتبط بمجموعة من الخصائص المحددة لها. ومن خلال التكامل والتفاضل يمكن معالجة بعض القضايا الدلالية التي يمثل اشتقاق الدالة وتحولها أهم علامات التواءم بينها وبين تغير الدلالة بتغير أشكال التركيب وأنواع المركبات. وأخيرا يمثل الجبر الخطي وحساب الجداء السلمي أهم أدوات حساب وزن الكلمات في النصوص لتصنيفها وتحديد مجالاتها وتوجيه المعنى المراد من بين المعاني المترادفة وتحديد المصطلحات لكل تخصص، وهو الأمر ذاته المستخدم في تحليل المشاعر.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- باهي، حسان: اللغة والمنطق بحث في المفارقات. دار الأمان. الرباط. ٢٠١٥م
الحباشة، صابر: علاقة اللسانيات بالرياضيات، رهانات أم عقبات؟: مجلة
المخاطبات. تونس العدد ٥، فبراير ٢٠١٣م
العزاوي، أبو بكر ٢٠١٤.: المنطق واللغة مدخل نظري مطبعة طوب بريس. الرباط.
اللحياني، سرور (٢٠١٠): خصائص الرأس الفعلي وظواهر من انتظام المعجم،
منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة.
اللتيني، يحيى ٢٠١٨: أسس صناعة المعجم المحوسب. دار كنوز للتوزيع والنشر.
الأردن.
المالكي، طارق: الاستدلال في المنطق وتطبيقاته في اللسانيات. دار كنوز.
الأردن. ٢٠١٨.

المراجع الأجنبية:

- Bach, Emmon, Oehrle, Richard, and Wheeler, Deirdre eds. 1987.
Categorial Grammars and Natural Language Structures.
Dordrecht: D. Reidel
David Eddington 2008: linguistics and the scientific method.
Southwest journal of linguistics, volume 27, number 2 (2008).
David N. Perkins: Software Goes to School: Teaching for
Understanding with New Technologies. New York Oxford
university Press 1995
Dever.J.2006. "compositionality" In E. Lepore & B. Smith (eds.),
The Oxford Handbook of Philosophy of Language. Oxford
University Press.
Geoffrey K. Pullum and Andras Kornai 2008 Final version
:Mathematical Linguistics
Gregoire D ´ etrez and Aarne Ranta: Smart Paradigms and the
Predictability and Complexity of Inflectional Morphology
Partee, Barbara H. 1999. "Semantics" in R.A. Wilson and F.C. Keil,
eds., The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences.
Cambridge, MA: The MIT Press
Raffaella Bernardi: Computational Linguistics: Lambda Calculus and
NL .KRDB, Free University of Bozen-Bolzano.

- Solomon Marcus 1967: Algebraic Linguistics; Analytical Models. Academic press new york and London
- Turing, A. M. (December 1937). "Computability and λ -Definability". The Journal of Symbolic Logic. 2 (4): 153–163. doi:10.2307/2268280. JSTOR 2268280
- Van Benthem, Johan, and Alice G. B. ter Meulen. 2010. Handbook of logic and language. 2d ed. Amsterdam and New York: Elsevier Science
- Y. Bar-Hillel, 1962: Four lectures on algebraic linguistics and machine translation. A revised version of a series of lectures given in July, 1962, before a NATO advanced summer institute of automatic translation of languages, in Venice, Italy.

المواقع الالكترونية:

موقع المبرمج العربي

<https://arabicprogrammer.com/article/79741264314/>

Bibliography

- Al-‘Azāwi, Abu Bakr : **Logic and language theoretical introduction 2014.** (in Arabic) Rabat: publications of Toub Bris.
- Al-Habāsha, Šābir: **The relationship of linguistics to mathematics, bets or obstacles?** (in Arabic) al-Mukhātabāt Journal. Tunisia: issue 5, February 2013.
- Al-Latīnī, Yahya 2018: Foundations of a Computerized Arabic Lexicon. (in Arabic) Jordan: Dār Kunūz.
- Al-Lihyānī, Surur (2010): **Actual head characteristics and phenomena of lexical regularity,** (in Arabic). Manouba: publications of college of Arts and Humanities.
- Al-Maliki, Tariq: Inference in Logic and its Applications in Linguistics. (in Arabic). Jordan: Dār Kunuz, 2018.
- Bāhi, Hasān: **Language and logic: a search for paradoxes.** (in Arabic). Rabat: Dār al-Amān, 2015.

مفعول المشيئة عند البلاغيين

Object of Will According the Rhetoricians

د. سلمان محمد حسن القرني

أستاذ البلاغة والنقد المشارك بقسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب

بجامعة الباحة بالمخواة

البريد الإلكتروني: drsm1433@gmail.com

المستخلص

يتناول البحث (مفعول المشيئة) من وجهة بلاغية، ويسعى للوقوف على آراء البلاغيين حول مسائل هذا الدرس وتفريعاته، حيث أبان البحث عن مسالكهم في تلقي العلم، واختلاف مناط النظر.

وقام البحث على مطالب ثلاثة:

١- مفعول المشيئة والبيان بعد الإبهام.

٢- (المشيئة) و(الشرط) شاهدُ الدرس.

٣- مفعول المشيئة الغريب.

وانتهى البحث إلى جملة من النتائج التي تؤكد في مجملها على الإفادة من جهود السابقين، مع أهمية تحديد النظر في مسائل العلم، وعدم الاستسلام للتقليد، وهو ما لوحظ في مناقشة بعض البلاغيين المعاصرين لمسائل هذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: مفعول المشيئة، الذكر، الحذف، الغرابة، الغرض البلاغي.

Abstract

This research discusses (Object of Will According the Rhetorica) from a critical rhetorical perspective. The research seeks to identify the rhetoricians' opinions on the issues of this lesson and its branches, as it showed their paths in receiving knowledge, and the different points of view.

The research consists of three topics:

- 1- Object of will and clarification after ambiguity.
- 2- (Will) and (Condition) as the core of the lesson.
- 3- The strange object of will.

The research concluded with a number of findings that confirm the importance of benefitting from the efforts of the early scholars as well as the importance of reconsidering scholarly issues, and not giving to mere imitation, which is what was observed in the discussion of some contemporary rhetoricians regarding this topic.

Keywords: Object of will, remembrance, ellipsis, strangeness, rhetorical purpose.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد:

فإذا كانت مهمة النحوي هي التعرف على نظام اللغة وبنائها، وتأييده بالشواهد بغية صيانة اللغة عن الخطأ؛ فإن مهمة البلاغي أن يبحث عن الأسرار البلاغية البديعة، والتي تدل على سمو العربية وعلو شأنها.

وقد حفلت المدونة البلاغية بتلمس دواعي الذكر وما يتضمنه من فوائد بلاغية، ونكت معنوية، يدل عليها المقام ويستدعيها الحال.

كما حفلت الجهود البلاغية ببيان أهمية الحذف في اللسان العربي، وعُدَّ خصيصة من خصائص الجماليات الأسلوبية والتعبيرية التي حظي بها النص القرآني والكلام العربي شعره ونثره.

وعنصر (المفعول) من المواطن التي تبرز فيها ثنائية الذكر والحذف، وتتنوع فيها النكت البلاغية، واللطائف البيانية، بوصفه بابًا من الأبواب البلاغية وأسلوبًا من الأساليب البيانية التي اتخذها العرب في كلامها لتزيينه وتنميته وإصابة المعنى وجعله أبلغ تأثيرًا وأكثر تعبيرًا.

وللعلماء وقفات نفيسة مع حذف المفعول وذكره، قلبوا فيها وجوه القول، وأولوه عناية لم يولوها غيره، ومن هنا فقد اعتنى هذا البحث بتلمس جانب من جوانب حالات المفعول، إنَّه يهتم بالتركيب التي يرد فيها مفعول (المشيئة) في حالات ذكره وحذفه، بغية الوقوف على أسرار هذا التركيب في تشكيلاته المتنوعة، ومظهراته المختلفة.

وقد رجعت إلى مظان هذا الموضوع في إرث أسلافنا الأماجد، وفي كلام التابعين لهم، أفاتشهُ، وأقلِّب النظر فيه، فألقيت ما كتبوه بحاجة إلى مراجعة ومناقشة وإضافة.

ويسعى البحث إلى الوقوف على مسالك الدرس البلاغي في تناوله لهذا الموضوع، لعلنا نخرج منه بتصوير لطرائق البلاغيين في تتبع المسائل وتحليلها؛ رغبة في

تصحيح ما يحتاج الى تصحيح، أو إضافة ما يلزم إضافته.
وقد أسلمني تحقيق هدف البحث إلى الجمع بين المنهج الاستقرائي المعني بتتبع
المادة العلمية مناط البحث؛ والمنهج التحليلي المعني بدراسة الآراء والوقوف على كلام
البلاغيين والنظر فيه بعين ناقدة.

الدراسات السابقة

بين أيدينا كتب وأبحاث تناولت ظاهرة الحذف والذكر، وحاولت تفسير هذه
الظاهرة، وانجر الحديث عنها إلى تناول حالات المفعول، ولكني لم أفق على دراسة
تفرد هذا الموضوع (مفعول المشيئة) ببحث مستقل، تكشف عن خبيئاته، وتقف على
مفاصله وأجزائه.

ومن تلك الدراسات العامة:

- ١- خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير،
رسالة دكتوراه، إبراهيم علي الجعيد، جامعة أم القرى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.
- ٢- دلالة حذف المفعول به في القرآن الكريم، فرهاد عزيز محي الدين، مجلة
جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد السابع، العدد ١، السنة السابعة،
٢٠١٢ م.

الخطة: عنوان البحث: مفعول المشيئة عند البلاغيين

وسوف تكون الخطة على ما يأتي:

- المقدمة: وهي التي نحن فيها.
- البداية والمقولات المؤسّسة
- المطلب الأول: مفعول المشيئة والبيان بعد الإبهام
- المطلب الثاني: (المشيئة) و(الشرط) شاهدُ الدرس
- المطلب الثالث: مفعول المشيئة الغريب
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج

البائدة والمقولات المؤسّسة:

يذكر النحاة أن للفعل ارتباطاً بكل من الفاعل والمفعول، فارتباطه بالفاعل من جهة وقوعه منه، وارتباطه بالمفعول من جهة وقوعه عليه، والفعل المتعدي إذا أُسند إلى فاعله ولم يُذكر له مفعولٌ كان لا بد من دأح لهذا الحذف، وتلمس تلك الدواعي هو ما اشتغل عليه البلاغيون.

وقد نال المفعولُ نصيباً كبيراً في ثنائية الذكر والحذف، واشتغل البلاغيون على بيان أسرار عنصر المفعول في تشكيلاته المتنوعة، وتمظهراته المتعددة، حينما وجدوا فيها لطائف بيانية تستدعي البحث والتأمل.

وكان الإمام عبد القاهر - رحمه الله - حفيماً بثنائية الذكر والحذف، بوصفها شكلاً من أشكال التعبير يتكتف من خلاله المضمون الدلالي، فصاحة وإفادةً وبياناً، فراح يقارن بين طرفيها في كثرة التأثير والإفادة، وفي قرب المعنى وبعده، إنه يقول عن الحذف: إنه «بابٌ دقيقُ المسلك، لطيفُ المآخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسحر، فإنك ترى به تركَ الذكرِ أفصحَ من الذكر، والصمتُ عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تُبَيَّن»^(١).

وحينما تطرق الإمامُ إلى مسائلٍ متفرقة في باب الذكر والحذف وجد أنَّ ما كان منها متعلقاً بالمفعول يعدُّ أخطرَها أثراً، حيث يقول: «فإني أتبع ذلك ذكر المفعول به إذا حذِفَ خصوصاً؛ فإنَّ الحاجةَ إليه أمسُّ، وهو بما نحنُ به أخصُّ، واللطائفُ كأنها فيه أكثرُ، وما يظهرُ بسببه منَ الحُسْنِ والرَّوْنِقِ أعجبُ وأظهرُ»^(٢).

ولا ريب أن حذف المفعول بابٌ واسعٌ في كتاب الله عز وجل، وفي كلام العرب، منظومه ومنتوره، حتى قيل: إنه «لو حاول إنسان أن يأتي بجميعه توالى عليه الفتوق، ولم يمكنه القيام به لكثرتِه في التنزيل، وكان بمنزلة من يستقي من بئر زمزم

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٥، ١٤٢٤ هـ

٢٠٠٤م)، ص ١٤٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٣.

فيغلبه الماء»^(١).

ثم إنه بابٌ لطيفٌ المأخذ لا يقوى عليه إلا من فصَّح لسانه، فالأمر فيه على ما ذكر ابن جني إذ يقول: إنَّه «فصيحٌ، وعدبٌ، لا يركبه إلا من قَوِي طبعه»^(٢). والنحاة يذكرون في هذا السياق أنَّ المفعول يحذف اختصارًا أو اقتصارًا، جاء في (مغني اللبيب): «جرت عادةُ النحويين أن يقولوا يُحذفُ المفعولُ اختصارًا واقتصارًا، ويريدون بالاختصارِ الحذفَ للدليل، وبالاقتصارِ الحذفَ لغير دليل، ويمثلونه بنحو: (كلوا واشربوا) أي أوقعوا هذين الفعلين..»^(٣).

وليس المقام هنا مقام استقصاء لحالات المفعول التي توسَّع فيها النحويون، وإنما المراد أن نتخذ منه مسرَّبًا للوقوف على ما بعده.

والمهم أنَّ العلماء توقفوا طويلاً يتلمَّسون الغرض من الحذف أو الذكر، وهو مجال واسع استدعى اختلاف التوجيه أحياناً لاختلاف مناط النظر.

ومما يحسن التنبيه عليه ونحن في هذا السياق بيان أن «الغرض الذي يتحدَّد مسبقاً في ذهن المتكلم هو المحدِّد لمسار البناء اللغوي، وهو الذي يقضي بما يحتاج إليه من دَكرٍ أجزائه، وما يستغني عن دَكره»^(٤).

وتسوق المدونةُ البلاغيةُ أغراضاً متنوعة لحذفِ المفعولِ ودواعي ذلك الحذف، ومما يُذكر في هذا السياق من الأغراض: دفع توهم غير المراد، وإرادة ذكر المفعول ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظ المفعول، والتعميم مع الاختصار،

(١) إعراب القرآن (المنسوب خطأ للزجاج، إبراهيم بن السري، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٢م)، ص ٤٠٥.

(٢) عثمان بن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، (الناشر وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ص ٣٣٥/٢.

(٣) عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥م)، ص ٧٩٧/١.

(٤) حيدر التميمي، التوجيه النحوي في كتاب أحكام القرآن، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)، ص ١٨٩.

ومجرد الاختصار عند قيام القرينة، ومراعاة الفاصلة، واستهجان ذكره^(١).
غير أن أرباب مدرسة (تلخيص المفتاح)، ومن سار في فلك السكاكي
والخطيب؛ يستهلون تلك الأغراض بما أسموه: (البيان بعد الإبهام).
يقول الخطيب القزويني: إنَّ من أغراض حذف المفعول «البيان بعد الإبهام، كما
في فعل المشيئة، إذا لم يكن تعلقه بمفعوله غريبًا، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ
أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، أي: لو شاء هدايتكم هداكم.

وهذا بخلاف قول الخريزي^(٢) في رثاء أبي الهيثم:

ولو شئتُ أن أبكي دمًا لبكيتُهُ عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
فلما كان أن يشاء الإنسان أن يبكي دمًا بدعًا عجيبيًا صرَّح الشاعر بذلك
المفعول؛ مفعول (شئت)، وهو (أن أبكي دمًا)، وتقديره: (ولو شئت البكاء دمًا...)،
وذلك ليقرره في نفس السامع ويؤنسه^(٣).

وقد حرصتُ على نقل كلام الخطيب هذا؛ لأنه كان المصدر الأهم لحديث
البلاغيين عن مفعول المشيئة، يصدر عن، ويرجعون إليه، حين يقلِّبون النظر في هذا
الموضوع، ولا غرو، فقد كان كتاب (التلخيص) ثم (الإيضاح) الفلك الذي دار عليه
الدرس البلاغي.

وكلام الخطيب - كما رأيته - يتضمن عدة محاور، وهي:

(١) إنَّ من الأغراض البلاغية لحذف المفعول (البيان بعد الإبهام).

(٢) التمثيل بفعل (المشيئة) شاهدًا على هذا الغرض.

(١) ينظر: محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني، **تلخيص المفتاح**، قرأه وقَّدم له ياسين الأيوبي،
(بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م)، ص ٨٨.

(٢) البيت لإسحاق بن حسان الخريزي، وأبو الهيثم هو عامر بن عمارة بن خريم، كما في: عبد
الرحيم بن أحمد العباسي، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد (بيروت، عالم الكتب، ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م)، ص ٢٤٦/١.

(٣) القزويني، مرجع سابق، ص ٨٨.

٣) يستثنى من ذلك الحذف ما كان مفعولاً (غريباً)، فيُصْرَحُ به؛ تقريراً في نفس السامع، وإيناساً له.

هذه المحاور هي التي قام عليها الدرس البلاغي في رحلة مسيره، فتصلح أن تكون ميداناً لحركة البحث، ومجالاً لتثوير المسألة فنجعلها مطالب ينهض بها البحث، ويشغل عليها.

المطلب الأول: مفعول المشيئة والبيان بعد الإبهام

من النكت البلاغية التي اعتنى بها الدرس البلاغي أنه إذا ورد الشيء على سبيل الإجمال والإبهام؛ تشوّفت نفس المتلقي والسامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فإذا أُلقي إليها كذلك؛ تمكّن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم. والبلاغيون ينظرون إلى مفعول المشيئة المحذوف من هذا المنظور الذي يأتي فيه البيان والتفصيل ردفاً للإبهام والإجمال. يقول السيوطي في (عُقُودِه)^(١):

من بعد الإبهام البيان مثل: (شأ) ما لم يك التباسه مُسْتَوْحِشًا
ثم قال شارحاً: «كما في فعل المشيئة نحو: ﴿قَلَوْ نَسَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] أي: هدايتكم، فإنه إذا سمع السامع (فلو شاء) تعلق نفسه بشيء انبهم عليه، لا يدري ما هو، فلما ذُكِرَ الجواب استبان المبهم»^(٢).

وهكذا فالبلاغيون يذكرون في هذا السياق أن البيان بعد الإبهام يتحقق في فعل المشيئة إذا وقع شرطاً كما في قوله تعالى: (وَلَوْ نَسَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)؛ فمفعول فعل المشيئة هنا محذوف، وتقديره: ولو شاء الله هدايتكم هدايتكم.

ونكتة هذا الحذف هو البيان بعد الإبهام؛ لأنه لما قيل: لو شاء؛ علم المتلقي أن هناك شيئاً تعلق به المشيئة لكنه مبهم، فلما جيء بجواب الشرط اتضح ذلك

(١) عبدالرحمن بن الكمال السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م)، ص ٤٠.

(٢) المرجع نفسه.

الشيء المبهم، وعُرفَ أنه الهداية، وعليه فكلُّ من الشرط والجواب دالٌّ على ذلك المفعول، غير أن الشرط دالٌّ عليه إجمالاً، والجواب دالٌّ عليه تفصيلاً. ولا ريب أنَّ البيان بعد الإبهام، أو التفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس؛ لأن السامع لا يظفر بمعرفة المحذوف إلا بعد تطلع وهلفة واستشراف. وليس وفاءً بحق البلاغة أن يُوردَ (البيان بعد الإبهام) غرضاً بلاغيًا لحذف المفعول، ثم لا شيء بعده!

وغيرُ خافٍ عليك أنَّ البيان بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال؛ ليس مقصوداً لذاته؛ وإنما عُدَّ من الأساليب البلاغية العالية في صياغة الكلام، وأمسها بطباع النفوس، حينما فطرَ اللهُ الناسَ على التعلق بما يجهلون مما يلوح لهم منه طرفٌ من العلم والانكشاف، فيأتي النفسَ من جهتها، فيملك زمامها، وتسلم له قيادها^(١)، ومن هنا نال مكانته على مدرجة البيان.

ومعلومٌ أن النكت تتضافر ولا تتزاحم، وهي أكثر من أن يضبطها القلم، كما يقول السعد^(٢) «ولا يخفى على ذواق البلاغة والأدب تصيُّد النكت والأغراض البلاغية من الحال»^(٣)، إذ لولا هذا التصيُّد لما تمايز العلماء في ميدان العلم، ولا بتذلت المعاني بالتركرار.

إذا عُلم هذا؛ فإنَّ المتأمل في سياقات مثل هذا الحذف لن يحصر سره البلاغي في (البيان بعد الإبهام) ثم يتوقف عنده، بل يمكن أن يضيف نكتًا أخرى، لعل من أهمها ما سبق الإشارة إليه، وما نص بعض البلاغيين عليه، من أن

(١) ينظر: محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، (القاهرة، مكتبة وهبة، ط ٦، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م)، ص ٣٤٩.

(٢) ينظر: مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني، مختصر المعاني، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤م)، ص ٢٨٦.

(٣) عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، (دمشق، دار القلم، ط ٢، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م)، ٣٦٠/٤.

غرض البيان بعد الإبهام يفيد ويوجب مزيداً من التقرير والتمكين^(١).
ثم إننا نلاحظ فن (الإيجاز) الذي يظهر في مثل هذه السياقات، يدل عليه حذف المفعول مستغنى عنه بما بعده.
يقول ابن عاشور: «وحذف مفعول المشيئة جائز إذا دلت عليه القرينة، وذلك من الإيجاز»^(٢).

ويهمنا ما وراء هذا الحذف من إثارة السامع والمتلقي ولفت انتباهه لترقب ما هو محذوف مسكوت عنه، فيصغي له بقلبه قبل سماعه.
وهنا ملحوظ آخر؛ وهو أنّ هذه الأفعال التي تُساق شواهد على ما نحن فيه لها خصوصية تبعث ما يصح أن يُسمى (هيبية الغياب).
إنك ترى الأفعال (شاء.. أراد.. ونحوها) لها من نفسها خصوصية الحمولة الدلالية، وما تكتنفه تلك الحمولة من إثارة وترقب، ويظهر ذلك جلياً إذا ما قارنتها بغيرها من الأفعال التي يسوقها البلاغيون في درس حذف المفعول، من مثل: حزن إلى العظم، أي: حزن اللحم، وقد كان منك ما يؤلم، أي: ما يؤلم كلّ أحد... ونحوها من الأمثال المسوقة.
إنّ طي المفعول، والاكتفاء بالفاعل في نحو: لو شئت... لو أردت... يشدك فيه أمران:

الأول: الحرص على إبراز حضور الفاعل ودوره في مواجهته الآخر، عن طريق إثبات مشيئته وإرادته، وهو ما يستدعي حضور متلقٍ في سياق إثبات دور الفاعل، وهذا من شأنه أن يولّد خطاباً تقابلياً بين مرسل ومستقبل.
الأمر الآخر: الحرص على تغييب المفعول، وهو المنتج الذي يقدمه الفاعل

(١) إبراهيم بن عريشاه عصام الدين، الأطول، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ١/٥١٩.

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م) ١٨ / ٤٣.

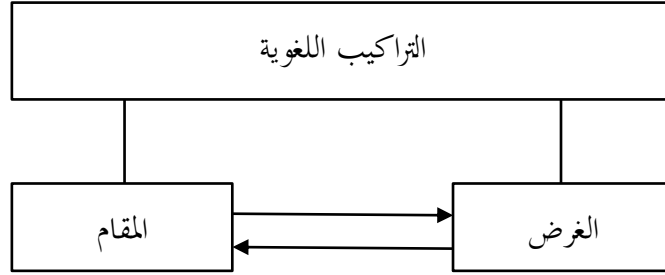
مفعولُ المشيئةِ عندَ البلاغيين، د. سلمان محمد حسن القرني

للمتلقي المترقب، وكل ذلك يمنح المفعول المغيب هيئته، ويُحجز النفس إلى تتبعه. وهنا تتعاقد البنى الحاضرة والغائبة لتصنع المعنى، فتتحول الألفاظ الناطقة والفجوات الخرساء إلى علامات بارزة، وحناجر صارخة، وكيونات حية، تدل وتستدل، وتفعل وتنفعل، فتنتفح بوابات المعاني على ثراء النص. ومن أمثلة ذلك قول طرفة بن العبد^(١):

إذا شاء يوماً قاده بزمامه ومن يك في جبل المنية ينقد
وقول الخطيئة^(٢):

إذا شئتُ بعدَ النومِ ألقيتُ ساعدي على كفلٍ ريانٍ لم يتخذدِ
وعليه فإن من الوفاء للمعنى عدم إغفال خصوصية الحمولة الدلالية لهذه الأفعال التي ترد هنا (شاء، أراد...)، ومن الوفاء للمعنى كذلك إبراز دورها في ثراء المعنى وانفتاح الدلالة.

إنَّ براعة تصيد الغرض البلاغي تكمن في أمرين: التركيب اللغوي؛ ثم ارتباط ذلك الغرض بالمقام التواصلية، وهنا تبرز العلاقة التقابلية بين الغرض والمقام^(٣)، إذ أن كل واحد منهما يفصح عن الآخر، ويمكن أن توضَّح الفكرة عبر هذه الخطاطة:



(١) ديوانه، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م)، ص ٣٢.

(٢) ديوانه، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق مفيد قميحة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م) ص ٦٤.

(٣) محمود طلحة، مبادئ تحليل الخطاب في التراث البلاغي العربي من خلال شروح التلخيص، (عمان الأردن، دار كنوز المعرفة، ط١، ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م)، ص ١٤٤.

ف «الداعي البلاغي للحذف هنا: الإيجاز، والتشويقُ بالإجماع ليأتي البيان بعده شافياً، مع داعي إمتاع أهل الفكر بالاستنباط والاستخراج الفكري اعتماداً على دلالات القرائن»^(١).

إنَّ الباحث في الأسرار البلاغية يجب أن يتجاوز ما تعاقب عليه بعض البلاغين من القوالب الجاهزة والأحكام المسبقة، وما أصدق ما قاله الدسوقي في حاشيته على السعد: «إنَّ الحاصلَ بعد الطلب؛ أعزُّ من المنساقِ بلا تعب»^(٢).

وما أجمل ما قاله د. صَبَّاح دراز حينما تلمس بلاغة حذف المفعول في قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «اللهم إني أُنشِدُكَ عهدَكَ ووعدَكَ، اللهم إن شئت لم تُعبد»^(٣).

فبعد أن ذكر (صَبَّاح) أنَّ في حذفِ مفعولِ (شئت) في الحديث بيانٌ بعد إجماع؛ أردف قائلاً: «وإنَّ كُنَّا نلمحُ في الحديث ضيقَ المقامِ بالانفعالِ الخاص، والابتهالِ الصادق، والخوفِ الشديد من ضياعِ زهرةِ الإسلامِ الغضة، إنَّها مخاوفُ نبيِّ كريم، ولكن لسانه الطاهر لا ينطقُ بها تأدُّباً مع الله، وتشوقاً لأملٍ قريبٍ في

(١) الميداني، مرجع سابق، ٣٤٥/١.

(٢) محمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي، تحقيق د. خليل إبراهيم خليل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م)، ٢/٢٨٣.

(٣) الحديث في: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، دار ابن كثير، ط ٣، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م)، ص ١٠٦٧/٣، وفيه: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه و سلم وهو في قبة: "اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم". فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك، وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر. بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) ... (إن شئت) هلاك المؤمنين، (لم تعبد بعد اليوم) لأنه لا يبقى من يدعو إلى الله عز وجل».

النصر»^(١).

وهذا المنهج الذي يُعنى باختيار النصوص والشواهد، واستنطاقها؛ هو في حقيقته عَوْدٌ على منهج الإمام عبد القاهر.

وبالنظر إلى منجزات الإمام في هذا المجال نجد أنه تناول سياقات هذه الأساليب في جانبها التطبيقي دون تقنين محدّد كما فعل البلاغيون بعده، وإنما تتبّع الاستعمال وما يحيط به، وحاول رصد المجال الذي لاحظ فيه أنماط الحذف، وربط ذلك بنظريته في النظم^(٢).

فلم يكن الإمام مُحْصِيًا ولا مُفَعِّدًا، لا على مستوى التراكيب الدلالية، ولا على مستوى التأويلات البلاغية، وإنما كان يتوقع ممن يعقبه أن يكمل المسير، وألّا يقف عند خطوته الأخيرة، فما كان الرجل سوى هادٍ يهدي البلاغيين الطريق.

المطلب الثاني: (المشيئة) و(الشرط) شاهدُ الدرس

مدارُ هذا المطلب حول الإجابة على تساؤلين:

الأول: هل هذه الأحكام البلاغية خاصة بتركيب (المشيئة)، دون أن تتعداه إلى

غيره مما هو من بابه؟

والآخر: هل يشترط فيه التركيب الشرطي؟

لقد دأب بعضُ البلاغيين على الاكتفاء بمفعول المشيئة شاهدًا على هذا الدرس. وإذا كان ضابط حذف مفعول المشيئة هو أن يدل عليه دليل، وذلك «إذا وقع متصلًا بما يصلح لأن يدل على مفعوله»^(٣)؛ فكذلك الحال فيما كان في معناه

(٤) صباح عبيد دراز، السمات البلاغية في بيان النبوة، (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤٣٥ هـ، ٢٠١٤ م)، ص ١٦٢.

(١) ينظر: محمد عبدالمطلب، البلاغة والأسلوبية، (بيروت، مكتبة لبنان، ط ٤، ٢٠١٠ م)، ص ٣١٣.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ص ٣٢١/١.

كالإرادة والمحبة والرغبة ونحوها^(١).

يقول الزركشي: «الحكمة في كثرة حذف مفعول المشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مثيلة الجواب، ولذلك كانت الإرادة كالمشيئة في جواز إطراد حذف مفعولها»^(٢).

غير أنّ التمثيل عند أغلب البلاغيين اتجه على فعل المشيئة، ومن يستقرئ الشواهد والأمثلة التي ساقوها يلاحظ هذا المنحى في الدرس البلاغي، حتى أولئك الذين ذكروا فعل الإرادة والمحبة مثيلين لفعل المشيئة لم يوردوا إلا أمثلة مصنوعة من مثل: لو أردت لأتيت الأمير كل يوم، لو أحبب لأعطاكم^(٣).

ولا يعنيها - في هذا السياق - أن ننقب في المعاجم لاستخراج الفوارق اللغوية الدقيقة بين المشيئة والإرادة، وإنما الذي يعنيها هو ما تحمله هذه التركيب من معانٍ بلاغية، وما تسعف به سياقاتها من معطيات دلالية، والأصوليون يقولون: الحكم يدور مع علته وجودًا أو عدمًا.

ولذلك يقول ابن عاشور معلقًا على قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [سورة الإسراء: ١٨]: «ومفعول الإرادة محذوفٌ دلٌّ عليه ما سبقه، أي: لمن نريد التعجيل له، وهو نظير مفعول المشيئة الذي كثر حذفه لدلالة كلام سابق، وفيه خصوصية البيان بعد الإبهام، ولو كان المقصود غير ذلك لوجب في صناعة الكلام التصريح به، والإرادة: مرادف المشيئة، فالتعبير بها بعد قوله: (ما نشاء) تفنن»^(٤).

(٣) حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، (القاهرة، مكتبة الجامعة الأزهرية) ص ٢٢٢/٢.

(١) محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م)، ص ١١٠/٣.

(٢) إبراهيم علي الجعيد، خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، (رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م)، ص ٣٥٢.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ص ١٥ / ٥٩.

إذاً فالإرادة مرادفة في معناها العام للمشيئة، ثم إن التعبير بفعل الإرادة بعد تقدّم فعل المشيئة يُعد من التفنن الأسلوبي، ويمكن إضافة هذا الملمح الى النكت البلاغية التي تستنبط من هذا الدرس.

وإذا كان الدرس البلاغي قد أسهب - بصفة عامة - في أمثلة المشيئة؛ فإني لم أجد من صرّح بخصوصيته دون غيره، ولكنه طريق مشى فيه بعض السلف فاتبعهم أكثر الخلف.

ولا نعدم من المعاصرين من كان له رأي آخر، يقول د. فاضل السامرائي: إنَّ «إدخال أفعال الإرادة مع أفعال المشيئة فإنه وإن كان مقبولاً في القياس لم أجد ما يؤيده في القرآن الكريم على كثرة ما ورد من هذا الفعل فيه ... فلا يصح فيما أرى أن يُجعلَ فعلُ الإرادة نظيراً لفعل المشيئة في حذف المفعول»^(١).

ويمكن الإجابة على رأي السامرائي بأن عدم شيوعه في القرآن الكريم لا يستلزم نفي وروده، ثم إنَّ الآية التي مرت معنا (من كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُرِيدُ) واضح أن مفعول الإرادة محذوف منها، دل عليه ما سبقه، أي: لمن نريد التعجيل له، وقد علّق عليها ابن عاشور بما سبق إيراده، فإذا ثبت هذا؛ فليس هناك ما يُسوِّغ إخراجها مما هو من قبيله وبابه.

ومما جاء منه شعراً قول زهير بن أبي سلمى^(٢):

عَصِصَتْ بِنَيْئِهَا، فَبَشِمَتْ عَنْهَا وَعِنْدَكَ، لَوْ (أَرَدْتُ)، لَهَا دَوَاءُ

وقول الشريف الرضي^(٣):

ظَمَائِي إِلَى مَنْ لَوْ (أَرَادَ) سَقَانِي وَدَيْئِي عَلَى مَنْ لَوْ (يَشَاءُ) قَضَانِي

ولعلك لاحظت الشريف الرضي وهو يجمع - في بيته - بين الأسلوبين (أراد)

(١) فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، (عمان الأردن، دار الفكر، ط ٥، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م)، ص ٨٨ / ٢.

(٢) ديوانه، تقديم: حنا نصر الحتي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٨٢ هـ / ٢٠٠٧ م)، ص ٨٨.

(٣) ديوانه، صحّحه وقدم له: إحسان عباس (بيروت، دار صادر، ١٩٩٤ م) ص ٥٣٩.

و(شاء)، ويبنى كلامه في كليهما على نسق واحد.

ومن ذلك قول الباحثي^(١):

متى أردنا وجدنا من يُقَصِّر عن مسعَاتِهِ وفقدنا من يُدَانِيهِ
ولعلك لاحظت هنا - كذلك - أنَّ أداة الشرط هي (متى)، وليست (لو) التي
ما فتى البلاغيون يستحضرونها في أمثلة هذا الدرس.
وصفوة القول: إنَّ (الإرادة) و(المحبة) و(الرغبة) وما هو من هذا الباب لا ينبغي
أن يُضَنَّ عليها بجماليات هذا الأسلوب الذي يصنعه البيانُ بعد الإجماع، كيف وهي
أخذه منه بطرف شديد؟!، بل إنَّ التأويل البلاغي الرشيد لتراكيبها ينادي بجعلها على
قدم سواء مع (المشيئة) في ذلك.
وأما التساؤل الآخر وهو: هل يشترط أن يأتي هذا الأسلوب في التركيب
الشرطي؟

درج بعض البلاغيين على أن يشترطوا لهذا الأسلوب وروده في تركيب شرطي،
غير أن الخطيب القزويني لم يشترط هذا في كتابيه (التلخيص) و(الإيضاح)، غاية ما
فعله أن ساق أمثلة تطبيقية، ظنها اللاحقون قواعد ثابتة.
وهذا المسلك تجده عند السعد إذ يقول: «... كما في فعلِ المشيئة والإرادة
ونحوهما إذا وقع شرطاً، فإنَّ الجواب يدلُّ عليه ويبينه»^(٢).
غير أنَّ البهاء السبكي عدلَ عن هذا المسلك فقال: «... وأكثر ما يقع ذلك
بعد لو؛ لأنَّ مفعولَ المشيئة مذكورٌ في جوابها»^(٣).

كما رفض ابن يعقوب المغربي اختصاصه بالأسلوب الشرطي، حيث يقول:

(١) ديوانه، شرحه وعلَّق عليه محمد التونجي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٤هـ،
١٩٩٤م)، ص ١٢٩٥.

(٢) مسعود بن عمر التفتازاني، المطول، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، (بيروت، دار الكتب
العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م)، ص ٣٦٦.

(٣) أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق:
خليل إبراهيم، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م)، ص ٤٧٠/١.

«وإنما قلنا: (وأظهر ما يكون فيه ذلك إذا وقع ذلك الفعل شرطاً)؛ إيماءً إلى أنه قد يكون في غير الشرط، كقولك: بمشيئة الله تكون هدايته، إذ التقدير: بمشيئة الله هدايتكم تكون هدايته إياكم»^(١).

وفرق بين كلام البهاء والمغربي من جهة؛ وكلام السعد من جهة أخرى، فإنهما لم يقصراه على التركيب الشرطي، وإنما ذكرا أنه يكثر فيه.

وكلام العصام في (الأطول) أشد التصاقاً بما نحن فيه، فقد علق على عبارة الخطيب: (كما في فعل المشيئة) فقال: «أي كما شاع في فعل المشيئة، ولم يقل: (كما في المشيئة) ليُعلم أنه لا يُخصُّ بلفظها^(٢)، بل يوجد كلما وجد الفعل سواءً ذُكر بلفظها أو بلفظ الإرادة أو غير ذلك، فإنه يُحذف مفعولها في الشرط لدلالة الجزاء عليه، ولا ينبغي أن يُخصَّ ذلك بالشرط كما يوهمه بيان الشارح^(٣)»^(٤).

يقول السيوطي في (الإتقان): «وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة شرط؛ لأنَّ مفعول المشيئة مذکورٌ في جوابها، وقد يكون مع غيرها استدلالاً بغير الجواب، نحو: (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)»^(٥).

إنَّ الاستقراء للأمثلة والتأمل فيها ينادي ببطلان اشتراط مجيء هذا الأسلوب في

(١) أحمد بن محمد بن يعقوب المغربي، مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٣ هـ ٢٠٠٣ م)، ص ١ / ٣٨٥.
(٢) على الباحث أن يفتن لبعض الطبوعات التجارية حيث عدم الدقة في ضبط الكلمة، فقد وردت كلمة (بلفظها) في طبعة دار الكتب العلمية: (بلفظهما)، فحالك ذلك في صدري، إذ لا يستقيم المعنى، ثم إني رجعت إليها في (المخطوط) وأثبت ما فيه. (مخطوط الأطول للعصام)، جامعة الملك سعود، الرقم العام ٣٢١٧، ف ٦٧٣ / ٣، ٢٠ / ١٢ / ١٣٩٩ هـ، ص ١٤٢).

(٣) يقصد السعد بقوله: (الشارح).

(٤) عصام الدين، مرجع سابق، ١ / ٥١٨.

(٥) عبدالرحمن بن الكمال السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: حامد أحمد الطاهر البسيوني، (القاهرة، دار الفجر، ط ٢، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م)، ص ١٥٥ / ٢.

تركيب شرطي، دون أن يتعداه إلى غيره من الأساليب.
إنَّ أسرار المعاني البلاغية لا تدرك الا من خلال قراءة حُرّة في النصوص، لا يلجمها قيد، ولا يعطلها تقليد، وليست الحرية هنا خروجًا على القوانين، ولا طعنًا في مناهج السابقين، وإنما هي استنطاق للنص وتعايش معه في رحلة تراعي البناء سُدىً ولحمةً وتحوّل صمته إلى صدَى مسموع^(١).
ومن هنا يتبين أنَّ بعض البلاغيين تعامل مع الظاهرة البلاغية بمفاتيح المسلّمات، لا بأدوات الاستكناه، والتي من شأنها أن تمتلك القراءة المتجددة، وتحاول النفوذ إلى البصمة الخاصة للنص.

المطلب الثالث: مفعول المشيئة (الغريب)

يُفردُ البلاغيون قِسْمًا من دراستهم لهذا الموضوع يتكلمون فيه عن مفعول المشيئة إذا كان غريبًا، وذلك حينما يكون ذلك المفعول من الأمور العجيبة التي تستدعي التعجب، أو البعيدة التي يندر وقوعها، فتكبرُ النفس، ولا تقبلُ بسهولة. ويسوقون له شاهدًا يتعاقبون على إيراده، وهو البيت الذي تقدّم معنا في أنف البحث:

ولو شئتُ أن أبكي دمًا لبكيته عليه، ولكنّ ساحة الصبر أوسع
ويقولون - حينها - : إنه «لما كان بكاءُ الدّم من الأمور العجيبة الغريبة وكانت إرادة الإنسان لأن يبكي دمًا أعجب وأغرب فقد ذكره الشاعر ليتقرّر في نفس السامع، ويأنس به»^(٢).
ولو سار الشاعر على الأصل لحذف المفعول، ولقَالَ: (ولو شئتُ لبكيته دمًا)، وذلك لدلالة جواب الشرط على المفعول، ولكنه ذكر المفعول، وهو قوله: (أن أبكي دمًا)؛ لغرابته.

(١) علي الشبعان، التذوق الأدبي، (الدمام، مكتبة المتني، ١٤٣٦هـ)، ص ١٤٠.

(٢) بسيوني فيود، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، (القاهرة، مؤسسة المختار، ط ٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، ص ١٨٦.

ومما تعاقب عليه الدرس البلاغي أفراد المفعول - والحالة هذه - بحكم بلاغي يفرضه المقام، ويناسبه الحال.

غير أن هذا الحكم البلاغي لم يتفق عليه، بل تنوع توصيف الحكم تبعاً لاختلاف مناط النظر، ففي حين نجد الخطيب القزويني يجعل كلامه الذي مر بنا عامّاً، حيث لم يُصرّح فيه بوجود ذكر المفعول الغريب أو استحسانه؛ نجد غيره من البلاغيين يحكم بوجود ذكر المفعول والحالة هذه، فيما يحكم آخرون بعدم الوجوب، ويكتفون باستحسان ذكره، ولكل وجهة هو موليها.

ومن قبل يقول الإمام عبد القاهر: «فقياسُ هذا لو كان على حَدِّ: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى)؛ أن يقول: لو شئتُ بكَيْتُ دَمًا، ولكنه كأنه ترك تلك الطريقة وعدل إلى هذه؛ لأنّها أحسنُ في هذا الكلامِ خصوصاً. وسببُ حسنه أنّه كأنه بدعٌ عجيبٌ أن يشاءَ الإنسانُ أن يبكي دَمًا، فلمّا كان كذلك كان الأولى أن يُصرّحَ بذكره ليقرّره في نفس السامع، ويؤنسه به، وإذا استقرّيت وجدت الأمر كذلك أبدأ متى كان مفعولُ المشيئة أمرًا عظيمًا أو بديعًا غريبًا كان الأحسن أن يُذكر ولا يُضمّر. يقول الرجلُ يُخبرُ عن عزةِ نفسه: لو شئتُ أن أرددَ على الأميرِ رَدَدْتُ ولو شئتُ أن ألقى الخليفةَ كلَّ يومٍ لقيتُ. فإذا لم يكن مما يُكبره السامعُ فالحذفُ كقولك: لو شئتُ خرجتُ ولو شئتُ قمتُ»^(١).

وهكذا فالإمام يحكم على ذكر المفعول والحالة هذه بالأحسن.

ومثله يقول صاحب (نهاية الإيجاز): «وأعلمُ أنّه متى كان مفعولُ المشيئة أمرًا عظيمًا أو بديعًا غريبًا كان الأولى ذكره، وإلا فالحذفُ أولى»^(٢).
ويقول البهاء السبكي: «وقد يُذكرُ إذا كان فيه غرابة»^(٣).

(١) عبد القاهر الجرجاني، مرجع سابق، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٢) محمد بن عمر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي

أوغلي، (بيروت، دار صادر، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، ص ٢١١.

(١) البهاء السبكي، مرجع سابق، ص ٤٧٠/٢.

أما السعد فيرى وجوب الذكر، إنه يقول: «فإنَّ تعلقَ فعلِ المشيئةِ ببيكاءِ الدمِ فعلٌ غريبٌ، فلا بُدَّ من ذكرِ المفعولِ ليتقررَ في نفسِ السامعِ، ويأنسَ به»^(١). ويقول ابن يعقوب المغربي: «إذا كان تعلقُ فعلِ المشيئةِ بالمفعولِ غريبًا فلا يُحذفُ ذلك المفعول... لتأنسَ به النفسُ فيتقررَ الجوابُ في ذهنِ السامعِ»^(٢). وقد تناول ابن عاشور كلامَ البلاغيين فقال: «وقد يوهم كلامُ أئمةِ المعاني أن المفعولَ الغريبَ يجبُ ذكره، وليس كذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [فصلت: ١٤] فإن إنزالَ الملائكةِ أمرٌ غريبٌ.

قال أبو العلاء المعري:

وإن شئتَ فازعمُ أنَّ من فوقَ ظهرها عبيدُك واستشهدِ إلهك يشهدِ
فإن زعمَ ذلكَ زعمَ غريبٍ»^(٣).

ثم قال في موضع آخر يُعلقُ على هذا البيت: «وهل أغرب من هذا الزعم لو كانت الغرابةُ مقتضيةً ذكرَ مفعولِ المشيئةِ، فلما دلَّ عليه مفعولُ جوابِ الشرطِ حسنٌ حذفُهُ من فعلِ الشرطِ»^(٤).

ويحسُنُ أن نقفَ مع كلامِ ابن عاشور على النحو الآتي:

١/ واضح أنه يجعل تقدير المفعول في الآية: لو شاء ربنا إنزال ملائكة لأنزلهم، وهو تقدير مخالف لتقدير بعض العلماء الذين يقدرونه بنحو: لو شاء ربنا أن يرسل رسولاً لأنزل ملائكة، ولعل هذا التقدير أقوى من تقدير الطاهر.

٢/ أجاب بعض المعاصرين عن استدلال ابن عاشور بالآية الكريمة والبيت الشعري بأنَّ المَعْوَلُ عليه في اعتبار الغرابة هو اعتقاد المتكلم لا المخاطب،

(٢) سعد الدين التفتازاني، المطول، مرجع سابق، ص ٣٦٦.

(٣) ابن يعقوب المغربي، مرجع سابق، ص ٣٨٥/١.

(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، ١ / ٣٢٢، والبيت للمعري كما في ديوان سقط الزند، شرحه

أحمد شمس الدين (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ص ٨١.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٣/١٨.

إضافة إلى أن الغرابة أمر نسبي يختلف من إنسان لآخر^(١).

وتناول أبو موسى هذه الآية الكريمة في تحليل دقيق ينفذ إلى بواطن الأحوال، وما تتخيره من تراكيب إنه يقول: «الذي في الآية هو حذف مفعول المشيئة مع أنَّ جواب الشرط ليس من جنسه وليس دالاً عليه، لأن أصل الكلام: لو شاء ربنا أن يُرسل رسولاً لأنزل ملائكة، فالمذكور معنا (لأنزل ملائكة)، والمحذوف (أن يُرسل رسولاً)، وليس المقصود: لو شاء ربنا أن ينزل ملائكة لأنزل ملائكة»^(٢).

ويرد الشيخ أبو موسى ببيان السر في هذا الحذف حيث يقول: «وإنما جاء الكلام على الحذف مع افتقاد شرط صلاحية دلالة جواب الشرط على مفعول المشيئة وذلك لقوة القرائن الدالة على المحذوف، ويمكن أن تكون هذه الآية تحريراً للقاعدة البلاغية، وأنَّ وجوب الذكر الذي قالوه حين يختلف جواب الشرط عن مفعول المشيئة ليس بلازم إذا قويت القرائن الدالة على المراد»^(٣).

وليس يخطئك ما على هذا التحليل من بهاءٍ ونورٍ يفيض به كلام العلماء الراسخين.

وصفوة القول في هذه المسألة: إنَّ أكثر البلاغيين لم يوجبوا ذكر مفعول المشيئة الغريب، وإنما حكموا باستحسان ذكره، ولا ريب أن مثل هذا يفصل فيه السياق، وقرائن الأحوال، وهذا هو الأجدر بالقبول والأولى بالاعتبار، فإنَّ المفعول الغريب التي تُكبره النفس ولا تُقرُّه بسهولة يحتاج إلى تقرير وتأكيد، ولذا دُكر المفعول ثانية في الجواب.

وقد انجر حديثُ البلاغيين عن المفعول الغريب إلى حديثٍ له صلة (المغايرة) بما

(١) طلعت أبو حلوة، حذف المفعول به بين عبد القاهر الجرجاني والخطيب القزويني، رؤية بلاغية نقدية، (بحث مستل من مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود العدد ٣٢، ١٤٤٠ هـ ٢٠١٩ م)، ص ٢٩٠.

(٢) محمد أبو موسى، آل حم غافر فصلت دراسة في أسرار البيان، (القاهرة، مكتبة وهبة ط ١، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م)، ص ٣٦١.

(٣) المرجع نفسه.

نحن فيه، وهو قول الشاعر^(١):

فلم يُبْقِ مني الشوقُ غيرَ تفكُّري فلو شئتُ أن أبكي بكيثُ تفكُّرا
حيث نَبَّهوا إلى أنَّ ما في هذا البيت ليس من قبيل المفعول الغريب، إنهم يقولون
إنَّ المراد بالبكاء المذكور بعد (شئت) بكاء الدمع، لا بكاء التفكير المذكور في
الجواب، فالشاعر لم يُرد أن يقول: فلو شئت أن أبكي تفكرا لبكيت تفكرا، وإنما أراد
أن يقول: أفناني النحول فلم يبق مني غير خواطر تجول حتى لو شئت بكاء فعصرت
عيني ليسيل دمعها لم أجده، ولخرج بدل الدمع التفكير، فالبكاء الثاني لا يصلح أن
يكون تفسيراً للبكاء الأول لو حُذِف، فمراد الشاعر لا يتم إلا بذكر مفعول المشيئة،
فأنت ترى أن المعنى في هذا البيت ليس من قبيل المعنى في البيت الذي سبقه.
يقول الإمام: إن الشاعر في هذا البيت «لم يُقَل: فلو شئتُ بكيثُ تفكُّرا؛
لأجل أنَّ له غرضاً لا يتمُّ إلا بذكر المفعول، وذلك أنه لم يُرد أن يقول: ولو شئتُ أن
أبكي تفكُّراً بكيثُ كذلك. ولكنه أراد أن يقول: قد أفناني النحول فلم يبق مني وفيَّ
غيرُ خواطرٍ تجول حتى لو شئتُ بكاءً فَمَرَيْتُ شُؤوني، وعصرتُ عيني ليسيل منها دمعٌ
لم أجده، ولخرج بدل الدمع التفكير. فالبكاء الذي أراد إيقاع المشيئة عليه مطلقٌ مُبهم
غيرُ مُعدَّى إلى التفكير البتَّة، والبكاء الثاني مقيَّدٌ مُعدَّى إلى التفكير. وإذا كان الأمرُ
كذلك صارَ الثاني كأنه شيءٌ غيرُ الأول، وجرى مجرى أن تقول: لو شئتُ أن تُعطيَ
درهماً أعطيتَ درهين، في أنَّ الثاني لا يصلحُ أن يكونَ تفسيراً للأول»^(٢).

وتتجلى في هذا النص قدرة الإمام الدوقية على الاستجابة لما توحى به
التراكيب من إحساس، وما يضيفي عليها السياق والحال من معان.

وأنت ترى أنَّ هذه المعالجة من الإمام تدلك على حرص الصدر الأول من
البلاغيين على الإحاطة بالظاهرة البلاغية من كل جوانبها، واقتدارهم على التبصُّر

(١) البيت لأبي الحسن علي بن أحمد الجواهري، كما في معاهد التنصيص، مرجع سابق، ص

٢٥٤ / ١.

(١) عبد القاهر الجرجاني، مرجع سابق، ص ١٦٧.

بدخائل المعاني، والتمييز بين التراكيب التي تبدو في ظاهرها متشابهة. وهذه لفظة بيانية دقيقة، كان الإمام عبد القاهر أول من حمل لواءها، وهجر ماءها، ثم اقتفى أثره السالكون.

وإنك ترى الإمام يجعل جمالية الحذف تكمن «في الحذف المتخير الذي تتجلى قيمته الفنية في تخيره عن طريق مقارنته بالذكر الذي لا ينهض بما يقوم به في سياقه الخاص من وظائف جمالية وفنية خاصة، وبهذا المقابل تتضح مزية التخير، ولن يتأتى هذا إلا بحضور متلقٍ متمايز ومثالي، يتوسل استشفاف قيمته الجمالية والفنية بالتأمل والتدبر، ومقارنة الحذف بالذكر، إيماناً بما للقارئ من دور فاعل ومهم في صياغة المعنى وتحديد القيمة الجمالية»^(١).

وهذه المعالجة من البلاغيين تؤكد أنّ ثنائية الذكر والحذف في الأداء التعبيري تأتي مستندة إلى ما يستدعيه مقتضى الأغراض، وسياق الحال والمقام، وذلك قصداً لما يُعرف بالتعمد في الأداء، ذلك لأن هذه القصدية الأدائية شرط الإبداع في سياق اللغة. ومن هنا يظهر جلياً أنّ «النظم أو معاني النحو هو خضوعُ الكلام لنواميس الفكر، وبروزه على هيئة تحاكي الروابط المنطقية التي يقيمها بين المعاني فتكون البنية اللغوية صدًى لبنية عقلية منطقية سابقة»^(٢).

فلم تكن أسرار اللغة وجمالياتها إلا مجموعة من الروابط الخفية في البنية العميقة للتركيب، وهي ليست متاحة لأي متلقٍ وقارئ، بل تتطلب مستقبلاً واعياً لأساليب اللغة وسياقاتها، يُقدّر ما في النصوص، ويمنحها الحيوية والثراء.

(٢) محمد ملياني، جمالية الحذف من منظور الدراسات الأسلوبية، (مجلة الكلمة، مجلة فصلية

السنة التاسعة عشرة العدد ٧٦، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م)، ص ١٢٦.

(١) حمادي صمود، التفكير البلاغي، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٨١م، ص ٥١٧، وينظر: محمد كريم الكوّاز، أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، (بيروت، مطبعة الانتشار العربي، ط ١، ٢٠٠٦م) ص ٩٠.

الخاتمة

بعد هذه الجولة التي طوّفتُ فيها مع وقفات بلاغية ونقدية حول مفعول المشيئة؛ بدا لي ما لهذا الموضوع من أهمية، حيث أسفر عن جملة من النتائج المبتوثة في صفحاته، أذكر منها يأتي:

١- أوضح البحث بأن الاكتفاء بجعل الغرض من حذف مفعول المشيئة هو (البيان بعد الإبهام) ثم لا شيء بعده؛ أمر ترفضه عين البلاغي البصير التي تنفذ الى بواطن التراكيب، وتستشف ما وراء الأساليب.

٢- بدا واضحاً أن ما ألقه بعض البلاغيين من الاقتصار- في هذا الدرس - على (المشيئة) دون غيرها مما هو منها بطرف؛ أمرٌ جانبه الصواب، وقد رأينا أن (الإرادة والمحبة) ونحوهما لا ينبغي أن يضمن عليها بجماليات هذا الأسلوب.

٣- لم يشترط بعض البلاغيين لزوم مجيء هذا الأسلوب في تركيب شرطي، وإنما وسعوا دائرة الرؤية لتشمل ما ليس شرطاً.

٤- نَبّه البحثُ على أن أئمة المعاني لم يقولوا بوجوب ذكر مفعول المشيئة حال كونه غريباً عجيّباً، وإنما حكموا باستحسانه، وأن الفيصل في ذلك هو ما يتطلبه السياق والمقام، وأن الغرابة أمر نسبي، يختلف من شخص لآخر.

وبعد: فإنه من الحسّن والخير للدرس البلاغي ما انتهجه بعض البلاغيين المعاصرين من الانصراف عن القواعد المنطقية التي تحرم من الوصول للدقائق والأسرار، حين التفتوا إلى الاستفادة من النظرات المعنوية التي تضفي على التراكيب ملامح التفسير المعنوي، فهو المنهج المثمر، الذي يُقدّر ما في النصوص، ويمنحها الحيوية والثراء.

إنّ التأمل والبحث الجاد مع الإفادة من فتوحات وجهود علمائنا السابقين هو السبيل الموصل إلى ما أشار إليه الإمام وهو يعالج بلاغة الذكر والحذف يوم أن قال: «قد بان الآن وأنضح لمن نظرَ نظرَ المشتبِّ الحَصيفِ، الراغبِ في اقتداح زنادِ العقل، والازديادِ من الفضل، ومَنْ شأنه التَّوقُّ إلى أن يعرفَ الأشياءَ على حقائقها، ويتغلغلَ

مفعولُ المشيئةِ عندَ البلاغيين، د. سلمان محمد حسن القرني

إلى دقائقها، ويربأً بنفسه عن مرتبة المقلد الذي يجري مع الظاهر، ولا يعدو الذي يقع في أول الخاطر أن الذي قلت في شأن الحذف وفي تفخيم أمره، والتنويه بذكره، وأن مأخذه مأخذ يشبه السحر، ويبهّر الفكر»^(١).

وبعد: فهذا جهدي، وهو جهد المقل، وإني لأرجو أن تُكثِرُهُ حسنُ النية وتباركُهُ، وأسألُ المولى عزَّ وجلَّ حُسْنَ القبول في الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) عبد القاهر الجرجاني، مرجع سابق، ص ١٧١.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى
ديب البغا، بيروت، دار ابن كثير، ط ٣، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
التميمي، حيدر، التوجيه النحوي في كتاب أحكام القرآن، بيروت، دار الكتب
العلمية، ط ١، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.
التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، مختصر المعاني، بيروت، مؤسسة التاريخ
العربي، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م.
التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، المطول، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، بيروت،
دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.
الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٥، ١٤٢٤ هـ
٢٠٠٤ م.
الجعيد، إبراهيم علي، خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالاتها البلاغية في تفسير
التحرير والتنوير، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م.
ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات
والإيضاح عنها، الناشر وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،
١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م.
أبو حلوة، طلعت، حذف المفعول به بين عبد القاهر الجرجاني والخطيب القزويني،
رؤية بلاغية نقدية، بحث مستل من مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود العدد
٣٢، ١٤٤٠ هـ ٢٠١٩ م.
دراز، صباح عبيد دراز، السمات البلاغية في بيان النبوة، القاهرة، مكتبة وهبة،
١٤٣٥ هـ ٢٠١٤ م.
الدسوقي، محمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي، تحقيق د. خليل إبراهيم خليل،
بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

مفعولُ المشيئةِ عندَ البلاغيين، د. سلمان محمد حسن القرني

- ديوان البحثري، شرحه وعلّق عليه محمد التونجي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، تقديم: حنا نصر الحتي، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٨٢هـ ٢٠٠٧م.
- ديوان سقط الزند للمعري، شرحه أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
- ديوان الشريف الرضي، صحّحه وقَدّم له: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٤م.
- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله حاجي مفتي أوغلي، بيروت، دار صادر، ط ١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م
- الزجاج، إعراب القرآن، المنسوب للزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤هـ ١٩٨٢م.
- الزركشي، بدر الدين أبو عبدالله محمد بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، عمان الأردن، دار الفكر، ط ٥، ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
- السبكي، بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: خليل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي).
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: حامد أحمد الطاهر البسيوني، القاهرة، دار الفجر، ط ٢، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.
- الشبعان، علي، التذوق الأدبي، الدمام، مكتبة المتنبي، ١٤٣٦ هـ.
- صمود، حمادي، التفكير البلاغي، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، تونس، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٨١ م.
- طلحة، محمود، مبادئ تحليل الخطاب في التراث البلاغي العربي من خلال شروح التلخيص، عمان الأردن، دار كنوز المعرفة، ط ١، ١٤٤٠ هـ ٢٠١٩ م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧ م.
- العباسي، عبد الرحيم بن أحمد، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، عالم الكتب، ١٣٦٧ هـ ١٩٤٧ م.
- عبدالمطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، بيروت، مكتبة لبنان، ط ٤، ٢٠١٠ م.
- العصام، مخطوط الأطول للعصام، جامعة الملك سعود، الرقم العام ٣٢١٧، ف ٦٧٣ / ٣، ٢٠ / ١٢ / ١٣٩٩ هـ.
- العصام، إبراهيم بن عربشاه عصام الدين، الأطول، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.
- عوني، حامد، المنهاج الواضح للبلاغة، القاهرة، مكتبة الجامعة الأزهرية.
- فيود، بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، القاهرة، مؤسسة المختار، ط ٢، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن الخطيب، تلخيص المفتاح، قرأه وقدم له ياسين الأيوبي، بيروت، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.

مفعولُ المشيئةِ عندَ البلاغيين، د. سلمان محمد حسن القرني

الكوّاز، محمد كريم، أبحاث في بلاغة القرآن الكريم، بيروت، مطبعة الانتشار العربي، ط ١، ٢٠٠٦ م.

المغربي، أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٣ هـ ٢٠٠٣ م.

ملياني، محمد، جمالية الحذف من منظور الدراسات الأسلوبية، مجلة الكلمة، مجلة فصلية السنة التاسعة عشرة العدد ٧٦، ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م.
أبو موسى، محمد، خصائص التراكيب، القاهرة، مكتبة وهبة، ط ٦، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.

أبو موسى، محمد، آل حم غافر فصلت دراسة في أسرار البيان، القاهرة، مكتبة وهبة ط ١، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.

الميداني، عبد الرحمن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دمشق، دار القلم، ط ٢، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م.

ابن هشام، أبو محمد عبدالله جمال الدين الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥ م.

Bibliography

The Glorious Qur'an

- Al-Bukhaari, Abu 'Abdillaah Muhammad bin Isma'il, Al-Jaami' Al-Saheeh Al-Mukhtasar, Investigation: Mustafa Deeb Al-Buga, Beirut: Daar Ibn Katheer, 3rd ed., 1407 AH – 1987.
- Al-Tameemi, Hyderabad, Grammatical Direction in the Book titled Ahkaam, Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1429 AH – 2008.
- Al-Taftazaani, Sa'aduddeen Mas'uud bin 'Umar, Mukhtasar Al-Ma'aani, Beirut, Muassasah Al-Taareekh Al-'Arabi, 1424 AH – 2004.
- Al-Taftazaani, Sa'aduddeen Mas'uud bin 'Umar, Al-Mutawwal, Investigation: 'Abdul Hameed Hindaawi, Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1422 AH – 2001.
- Al-Jurjaani, 'Abdul Al-Qaahir, Dalaail Al-I'jaaz, Cairo, Maktabah Al-Khaanji, 5th ed., 1424 AH – 2004.
- Al-Ja'eed, Ibrahim 'Ali, Khasaais Benaal Jumlah Al-Qur'aaniyyah wa Dalaalaatihaa Al-Balaagiyyah fee Tafseer Al-Tahreer wa Al-Tanweer, PhD dissertation, Umm Al-Qura University, 1419 AH – 1999.
- Ibn Jinni, Abu Al-Fath 'Uthman bin Jinni, Al-Muhtasib fi Tabyeen Wujuuh Shawaadh Al-Qiraa'at wa Al-Eedooh 'anha, Ministry of Awqaf – The Supreme Council for Islamic Affairs, 1420 AH – 1999.
- Abu Hulwah, Tal'at, Hadf Al-Maf'uul bihi Bayna 'Abdil Qaahir Al-Jurjaani Al-Khateeb Al-Qazweini, Ruhya Balaagiyyah Naqdiyyah, A research excerpted from Journal of Arabic Language in Eetaah Al-Baarud, issue 32, 1440 AH – 2019.
- Duraaz, Sabaah 'Ubaid Duraaz, Al-Simaat Al-Balaagiyaah fee Bayaan Al-Nubuwwayh, Cairo, Maktabah Wahbah, 1435 AH – 2014.
- Al-Dusuuqi, Muhammad bin 'Arafah Al-Dusuuqi, Haashiyah A-Dusuuqi, Investigation: Khaleel Ibrahim Khaleel, Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1423 AH – 2002.
- Deewaan Al-Buhturi, annotated with commentary by Muhammad Al-Tuunji, Beirut, Daar Al-Kitaab Al-'Arabi, 1st ed., 1414 AH – 1994.
- Deewaan Al-Hutaiha with the narration and commentary of Ibn Al-Sakeet, investigation of Mufeed Qameeha, Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1413 AH – 1993.
- Deewaan Zuhayr bin Abi Salmaa, introduction: Hanna Nasr Al-Hatti, Beirut, Daar Al-Kitaab Al-'Arabi, 1482 AH – 2007.
- Deewaan Saqat Al-Zand by Al-Ma'arri, annotated by Ahmad Shamsudeen, Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1990.

- Deewaan Al-Shareef Al-Radiyy, corrected and introduced by: Ihsaan ‘Abaas Beirut, Daar Saadir, 1994.
- Deewaan Tarafah bin Al-‘Abd, Investigation: Mahdi Muhammad Naasirudeen, Beirut, Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, 3rd ed., 1423 AH – 2002.
- Al-Raazi, Fakhrudeen Muhammad bin ‘Umar, Nihaayah Al-Eejaaz fee Diraayah Al-I’jaaz, Investigation: Nasrullaah Haaji Mufti Ogele, Beirut, Daar Saadir, 1st ed., 1424 AH – 2004.
- Al-Zajaaj, I’raab Al-Qur’aan attributed to Al-Zajaaj, Abu Ishaq Ibrahim bin Al-Sariyy, Investigation: Ibrahim Al-Abyaari, Daar Al-Kutub Al-Islaamiyyah, 1404 AH – 1982.
- Al-Zarkashi, Badrudeen Abu ‘Abdillaah Muhammad bin Bahaadir, Al-Burhaan fi ‘Uluum Al-Qur’aan, Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Beirut: Al-Maktabah Al-‘Asriyyah, 1st ed., 1425 AH – 2004.
- Al-Saamraai, Faadil Saalih, Ma’aani Al-Nahw, Amman Jordan, Daar Al-Fikr, 5th ed., 1432 AH – 2011.
- Al-Subki, Bahaahudeen Abu Haamid Ahmad bin ‘Ali bin ‘Abdil Kaafi, ‘Aruus Al-Afraah fi Sharh Talkhees Al-Miftaah, Investigation: Khaleel Ibrahim, Beirut, Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, 1st ed., 1422 AH – 2001.
- Al-Suyuuti, Jalaaludeen ‘Abdur Rahmaan bin Al-Kamaal, Sharh ‘Uquud Al-Jumaan fi ‘Ilm Al-Ma’aani wa Al-Bayaan, Egypt: Al-Halabi Mustafa Al-Baabi Press.
- Al-Suyuuti, Jalaaludeen ‘Abdur Rahmaan bin Al-Kamaal, Al-Itqaan fi ‘Uluum Al-Qur’aan, Investigation: Haamid Ahmad Al-Taahir Al-Basyuuni, Cairo, Daar Al-Fajr, 2nd ed., 1430 AH – 2009.
- Al-Shab’aan, ‘Ali, Al-Tadawwuq Al-Adabi, Dammam, Maktabah Al-Mutanabbi, 1436 AH.
- Sumuud, Hamaadi, Rhetorical Thought, Its Foundations and Development till the Sixth Century, Tunisia, The Office Press of Tunisia Republic, 1981.
- Talhat, Mahmuud, Principles of Speech Analysis in the Arabic Rhetorical Heritage from the Commentaries on Al-Takhees, Amman Jordan, Daar Kunuuz Al-Ma’rifah, 1st ed., 1440 AH – 2019.
- Ibn ‘Aashuur, Muhammad Al-Taahir, Al-Tahreer wa Al-Tanweer, Tunisia, Daar Sahnun for Publication and Distribution, 1997.
- Al-‘Abaasi, ‘Abdul Raheem bin Ahmad, Ma’aahid Al-Tansees ‘alaa Shawaahid Al-Talkhees, Investigation: Muhammad Muhyiddeen ‘Abdul Hameed, Beirut, ‘Aalam Al-Kutub, 1367 AH – 1947.
- ‘Abdul Mutallib, Muhammad, Al-Balaaga wa Al-Usluubiyyah, Beirut, Maktabah Lubnaan, 4th ed., 2010.

- Al-Esaam, Manuscript of Al-Atwal by Esaam, King Saud University, General no: 3217 f 673/ 3, 20/12/1399 AH.
- Esaam, Ibrahim bin 'Arbashaah Esaamuddeen, Al-Atwal, Investigation: 'Abdul Hameed Hindaawi, Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 1422 AH – 2001.
- 'Awni, Haamid, Al-Minaaj Al-Waadih lil Balaaga, Cairo, Maktabah Al-Jaami'ah Al-Azhariyyah.
- Fuyuud, Basyouni, 'Ilm Al-Ma'aani Diraasah Balaagiyyah wa Naqdiyyah li Masaail Al-Ma'aani, Cairo, Muassasah Al-Mukhtaar, 2nd ed., 1425 AH – 2004.
- Al-Qazweini, Muhammad bin 'Abdir Rahman Al-Khateeb, Talkhees Al-Miftaah, Read and introduced by Yaseen Al-Ayuubi, Beirut, Al-Maktabah Al-'Asriyyah, 1st ed., 1423 AH – 2002.
- Al-Kawwaaz, Muhammad Kareem, Researches in the Rhetoric of the Noble Qur'an. Beirut, Al-Intishaar Al-'Arabi Press, 1st ed., 2006.
- Al-Magribi, Abu Al-'Abbas Ahmad bin Muhammad bin Ya'quub, Mawaahib Al-Fattaah fi Sharh Talkhees Al-Miftaah, Investigation: Khaleel, Beirut, Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1st ed., 2003.
- Milyaani, Muhammad, Jamaaliyyah Al-Hadf min Mandhuur Al-Diraasaat Al-Uslubiyyah, Journal of Al-Kalimah, Periodical journal, year 19, issue 76, 1433 AH – 2012.
- Abu Musa, Muhammad, Khasaais Al-Taraakeeb, Cairo, Maktabah Wahbah, 6th ed., 1425 AH – 2004.
- Abu Musa, Muhammad, Alif Laam Haa Meem Gaafir Fusilat A Study on the Secrets of Rhetoric, Cairo, Maktabah Wahba, 1st ed., 1430 AH – 2009.
- Al-Meedaani, 'Abdul Rahman, Al-Balaaga Al-'Arabiyyah Ususuha wa 'Uluumuha wa Funuunuha, Damascus, Daar Al-Qalam, 2nd ed., 1428 AH – 2007.
- Ibn Hishaam, Abu Muhammad 'Abdullaah Jamaaludeen Al-Ansaari, Mugni Al-Labeeb 'an Kutub Al-A'aareeb, Beirut, Daar Al-Fikr, 1985.

التوظيف البلاغي لمادتي (شَرَى) و(بَدَّل) في النظم القرآني

The Rhetorical Use of the Root Words (Sharā)
and (Baddala) in the Qur'anic Composition

د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: erer3344@hotmail.com

المستخلص:

يتناول هذا البحث التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، من خلال تحليلهما تحليلًا بلاغيًا، يكشف عن الدلالات البلاغية الكامنة فيهما، وذلك بالوقوف على المعاني اللغوية والدلالات الصرفية والتركيبية، وعلاقة الأساليب البلاغية التي تتأزر معهما وفقًا لمطابقتها لمقامات القرآن الكريم. وتأتي أهمية هذا الموضوع في تقارب هاتين المادتين في الدلالة التفاعلية التبادلية، وتعدد اشتقاقتهما اللغوية بما يدعو إلى معرفة خصائصهما الدلالية في النظم القرآني. وقد سار البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي مستفيدًا من المنهج الاستقرائي والإحصائي، وصُنفت خطته في مقدمة، وتمهيد يتناول المعاني اللغوية لهاتين المادتين، ومبحثين: الأول عن مقامات مادة (شرى) في القرآن الكريم، فتضمن الحديث عن مقامات الترغيب والترهيب، والأحكام الشرعية، والقصص القرآني، والثاني عن مقامات مادة (بدل) في القرآن الكريم فتضمن الحديث عن مقام بيان عظمة الله وقدرته، ومقامات الترغيب والترهيب، ومقام الأحكام الشرعية، والقصص القرآني، وخاتمة خلصت إلى أبرز النتائج، وثبت للمصادر والمراجع. ومن أبرز نتائج هذا البحث: توظيف البيان القرآني لمادتي (شرى) و(بدل) في مقامات متنوعة، حيث أسهمت المادتان في تحقيق معنى الحث والتأكيد في مقام الترغيب، وتحقيق التحذير والندارة في مقام الترهيب، وإيضاح الأحكام وغايتها، وحفظ الحقوق في مقام الأحكام الشرعية، وتجلية مقاصد القصص وتحقيق معنى العبرة والعظة في مقام القصص القرآني، وبيان عظمة الله تعالى والاستدلال على عزته وجلاله في مقام بيان عظمة الله وقدرته، وهو المقام الذي اختصت به مادة (بدل) وكثر ورودها فيه.

الكلمات المفتاحية: التوظيف، البلاغي، النظم القرآني، شرى وبدل.

Abstract

This research deals with the rhetorical use of the two root words (Sharā) and (Baddala) in the Qur'anic composition, through their rhetorical analysis, which reveals the rhetorical connotations inherent in them. This will be achieved by exploring the linguistic meanings, morphological and structural connotations, and the relationship of rhetorical styles that are synergistic with them according to their conformity to the situations in the Noble Qur'an.

This theme draws its importance from the convergence of these two root words in the interactive and reciprocal meaning, and the multiplicity of their linguistic derivations, which calls for knowing their semantic properties in the Qur'anic composition.

The research was executed in accordance with the descriptive analytical method, taking advantage of the inductive and statistical method. Its plan was classified in an introduction, a preface dealing with the linguistic meanings of these two root words, and two research topics: the first about the places where the root word (Sharā) was mentioned in the Noble Qur'an, which included discussion of the situations of encouragement and intimidation, legal rulings, and Quranic stories. The second research topic was on the places of the root word (Baddala) in the Noble Qur'an, which included discussion of the situation of stating Allāh's greatness and power, the situations of encouragement and intimidation, the situation of legal rulings, and Quranic stories. The research also contained a conclusion that stated the most prominent findings, and a list of references.

The most prominent findings of this research include that the Qur'anic discourse has explained the two root words (Sharā) and (Baddala) in various places, whereby both root words contributed to achieving the meaning of exhortation and affirmation in the situation of encouragement, and realization of warning and cautioning in the situation of intimidation, clarifying the legal rulings and their purpose, and preserving rights in the situation of legal rulings. Also is the clarification of the purposes underlying the Qur'anic stories, realizing the meaning of learning a lesson in the situation of Qur'anic stories, statement of the greatness of Allāh Almighty and inference of His glory and majesty in the situation of stating Allāh's greatness and power, which is the situation specifically and frequently stated by the root word (Baddala).

Keywords: Use, Rhetoric, Quranic composition, Sharā and Baddala.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإن كتاب الله الكريم منهل مبارك عظيم، يهدي للتي هي أقوم ويرشد إلى الصراط المستقيم، جاءت آياته في بيان العقيدة والتوحيد، وبيان الأحكام الشرعية، والإخبار بالقصص تذكرة للمتقين، ونظمت معانيه بأساليب الترغيب والترهيب عظة وعبرة للعباد، وقد أمرنا الله تعالى بتدبر ألفاظه واستنباط معانيه، فقال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ {سورة ص: ٢٩}.

ولما اشتمل عليه كتاب الله تعالى من وجوه الإعجاز وأخصها الإعجاز البلاغي الذي تحدى به أرباب الفصاحة والبيان، فإن الوقوف عند مفرداته التي وظفها في نظم بديع بالكشف عن معانيها ومعرفة دلالاتها، يعد ميدانا رحبا وكنزا عظيما، فهو حري بالبحث والدراسة، وانطلاقا من هذه الأهمية فقد وفق الله الباحث أن يتناول مظهرها من مظاهر بلاغة المفردات في نظم القرآن الكريم ليدرس مادتي (شرى) و(بدل) تحت عنوان (التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني).

وتأتي أهمية هذه الدراسة في الوقوف على الدلالات والمعاني الدقيقة التي تكمن في هاتين المادتين، والكشف عن الخصائص الدلالية لهما وفقا للمقام، بما يثري الدراسات البلاغية من خلال دراسة القرآن الكريم.

وأما أسباب اختيار هذا الموضوع فتعود إلى دوافع علمية توافرت فيه، وأهمها ما يأتي:

١- التقارب الدلالي بين مادتي (شرى) و(بدل) في المعنى الظاهر حيث تدلان على الاختيار والعوض والمماثلة، واختلافهما في المعنى الخاص وفقا لطبيعتهما اللغوية.

- ٢- ورود مادة (شرى) في القرآن الكريم ستا وعشرين مرة في ثلاث وعشرين آية، وورود مادة (بدل) أربعين مرة في ثمان وثلاثين آية، وذلك بصيغ متنوعة وفي مقامات متنوعة لكل منهما.
- ٣- تعدد اشتقاقات المادتين منهما إلى دالتين مختلفتين؛ حيث تجمع مادة (شرى) بين دلالة البيع (شرى) ودلالة الأخذ (اشتري)، وتجمع مادة (بدل) بين دلالة الإحلال (أبدل) ودلالة التغيير (بدل).
- ٤- تنوع دلالات المادتين عند تعديهما بالفعل نفسه، وبجرف الجر، مما ينتج عنه معانٍ دقيقة جديدة بالوقوف عليها.
- ٥- محاولة الوقوف على الفروق الدلالية بين هاتين المادتين من خلال توظيفهما في نظم القرآن الكريم.
- ٦- عدم وجود دراسة سابقة تناولت هاتين المادتين بالتحليل البلاغي بقصد دراستهما في ضوء المقارنة الدلالية، بالرغم من وجود دراسة معنونة بـ (دلالة فعلي البيع والشراء في القرآن الكريم)، للباحث عايد محمد عبد الله، نشرت في مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد العاشر، ٢٠١١م؛ وهي دراسة دلالية لهُذين الفعلين تناول الباحث فيها التأصيل اللغوي لهما، وبيّن صيغتهما الصرفية، ودلالتهما الزمنية في القرآن الكريم، وقد خلت هذه الدراسة من التحليل البلاغي الذي يكشف الخصائص الدلالية لفعلي (شرى) و(باع)، بينما يأتي هذا البحث المعنون بـ (التوظيف البلاغي لمادتي شرى وبدل في النظم القرآني) في منهج مختلف؛ حيث قام البحث على التحليل البلاغي لدلالات مادة (شرى) إزاء دلالات مادة (بدل) وتحليل كل مادة من خلال دراسة المعاني البلاغية في مقاماتها التي وردت فيها، ووالوقوف على الظواهر البلاغية التي تآزرت معها، والكشف عن الدلالات الصرفية لها، والخصائص التركيبية التي نظمت فيها.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

ومن أهم الدراسات السابقة التي تتوافق مع موضوع البحث ومنهجه الذي يتناول ألفاظ القرآن الكريم المتقاربة الدلالة دراسة بلاغية، دراسة محمود موسى حمدان في كتابيه اللذين طبعوا في مكتبة وهبة، وهما:

أ- الإتيان والمجيء فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، عام: ١٩٩٨م.

ب- العلم والفقه والمعرفة فقه دلالتها واستعمالها في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، عام: ٢٠٠٢م.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن خصائص التوظيف البلاغي لهاتين المادتين في نظم القرآن الكريم، من خلال تحليلهما تحليلًا بلاغيًا في مقاماتهما، والوقوف على الفروق الدلالية في توظيفهما.

وأما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يحلل دلالات هاتين المادتين في مقاماتهما تحليلًا بلاغيًا، ويقارن بين اختلاف أساليبيهما في آيات القرآن الكريم، مع الاستعانة بالمنهج الاستقرائي والإحصائي، وكان تناول الآيات على سبيل الاستشهاد لكل مقام وردت فيه هاتان المادتان دون استقصاء جميع الشواهد، وروعي في ذلك تنوع صيغ المادتين بما يفي بالغرض المنشود.

وقد صُنفت خطة البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات؛ فأما المقدمة فتضمنت أهمية الموضوع والهدف منه، وأسباب اختياره، والمنهج الذي سار عليه، وأما التمهيد فجاء لبيان معاني مادتي (شرى) و(بدل) في اللغة، وأما المبحث الأول فصُنّف في بيان مقامات مادة (شرى) في القرآن الكريم، فتناول مقامات الترغيب والترهيب، والأحكام الشرعية، والقصص القرآني، وصُنّف المبحث الثاني في بيان مقامات مادة (بدل) في القرآن الكريم، فتناول مقام بيان عظمة الله وقدرته، ومقامات الترغيب والترهيب، ومقام الأحكام الشرعية، ومقام القصص القرآني، وأما الخاتمة فخلصت إلى أبرز نتائج الدراسة.

هذا وأسأل الله تعالى بفضله وكرمه أن يكتب لنا الإخلاص والقبول، ويكتب التوفيق في هذا العمل، فإن أصبت فيه فمن الله وحده وإن أخطأت فمن تقصيري وجهلي، وصلى الله وسلم على نبيه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد: المعاني اللغوية لمادتي (شري) و(بدل)

أولاً: معاني مادة(شري) في اللغة:

تدل مادة(شري)في اللغة على معانٍ عدة؛ منها دلالة التعارض بين شيئين بمعنى الأخذ والإعطاء المفضي إلى معنى المماثلة، ومنها نبات الشري الذي يمتد في الأرض ويعلو كالخنظل وغيره، ومنها معنى الهيجان في الشيء، وتأتي هذه المادة بالدلالة الضدية فتدل على الشراء بمعنى الأخذ، ومعنى البيع بمعنى الإعطاء؛ حيث تدل كلمة(شري) على البيع، وكلمة(اشترى) على معنى الأخذ، أي أنها إذا خلت من التاء دلت على البيع، وإذا دخلت عليها التاء دلت على الأخذ، وهي بدلالتها الأصلية المتمثلة في أخذ شيء مقابل إعطاء شيء، إما بئمن فيكون الثمن هو المعطى، وإما بغير ثمن فتكون بإعطاء شيء مقابل شيء بمعنى المماثلة، وتأتي بدلالة مجازية يقصد منها التمسك بالمأخوذ، قال ابن فارس: "الشين والراء والحرف المعتل أصول ثلاثة: أحدها يدل على تعارض من الاثنين في أمرين أحدا وإعطاء مماثلة، والآخر نبت، والثالث هيج في الشيء وعلو، فالأول قولهم: شريت الشيء واشتريته، إذا أخذته من صاحبه بئمنه وربما قالوا: شريت: إذا بعته...، ومما يدل على المماثلة قولهم: هذا شروي هذا، أي مثله، وفلان شروي فلان"^(١).

وقال الفراء في التفريق بين (شري) و(اشترى): "وللعرب في شروا واشتروا مذهبان، فالأكثر منهما أن يكون شروا: باعوا، واشتروا: ابتاعوا، وربما جعلوهما جميعا في معنى باعوا، وكذلك البيع يقال: بعته الثوب. على معنى أخرجته من يدي، وبعته: اشتريته"^(٢).

(١) أبو الحسين، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (د.ط) مادة(شري):٣/٢٦٦.

(٢) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى (د.ت) مادة(شري):١/٥٦.

وقال الراغب الأصفهاني مشيراً إلى التلازم بين الشراء والبيع: "الشراء والبيع يتلازمان، فالمشتري دافع الثمن وأخذ المثلن، والبائع دافع المثلن وأخذ الثمن؛ هذا إذا كانت المبيعة والمشاركة بناض وسلعة، فأما إذا كانت بيع سلعة بسلعة صح أن يتصور كل واحد منهما مشترياً وبائعاً، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشراء يستعمل كل واحد منهما في موضع الآخر، وشريت بمعنى بعت أكثر، وابتعت بمعنى اشتريت أكثر"^(١).

وقد أشار صاحب المعجم الاشتقاقي إلى علاقة المماثلة والمبادلة بين (شري) و(اشترى) فقال: "ومن هذه المماثلة جاء معنى الشراء المشهور وذلك للمماثلة بين المشتري وثلنه في القيمة، علماً بأن هذه المعاملة بدأت مبادلة. ولهذا استعمل اللفظ في البيع وفي الشراء معاً؛ لأن الأمر يؤول إلى (شيء بمثله) شري الشيء واشتراه سواء، وشراه واشتراه: باعه"^(٢).

ومن المسائل المهمة في مادة (شري) دخول الباء على أحد من المبيع والمشتري، قال الفراء: "وكل ما كان في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن وأدخلت الباء في المبيع أو المشتري، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشئيين لا يكونان ثماً معلوماً مثل الدنانير والدرهم فمن ذلك: اشتريت ثوباً بكساء، أيهما شئت تجعله ثماً لصاحبه؛ لأنه ليس من الأثمان، وما كان ليس من الأثمان مثل الرقيق والدور وجميع العروض فهو على هذا، فإن جئت إلى الدرهم والدنانير وضعت الباء في الثمن، لأن الدرهم ثمن

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ/١/٤٥٣.

(٢) محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م: ١١٢١/٢.

أبدأ، والباء إنما تدخل في الأثمان^(١).

ويتضح من كلام الفراء أنه إن كان الثمن من الأثمان المعلومة كالدرهم والدنانير دخلت الباء على الثمن؛ مثل قولك: اشتريت ثوبا بدينار، وإن كان من العروض وهي غير الأثمان كالسلع الأخرى فيجوز دخول الباء على أحدهما؛ نحو قولك: اشتريت الثوب بالكساء، اشتريت بالثوب الكساء.

ويُستنتج مما تقدم أن الفعل (شري) يتعدى بنفسه، فيكون بمعنى باع ولا تدخل فيه باء المعاوضة، نحو: (شروا أنفسهم)، ويتعدى بحرف المعاوضة (الباء)؛ فإن كان بمعنى الأخذ (اشترى) دخلت الباء على المتروك، نحو: (اشترتوا الضلالة بالهدى)، وإن كان بمعنى البيع (شري) دخلت الباء على المأخوذ، نحو: (يشرون الدنيا بالآخرة)^(٢).

ثانياً: معاني مادة (بدل) في اللغة:

تدل مادة (بدل) في اللغة على إحلال شيء آت مكان شيء ذاهب، أي أنها تدل على التغيير الذي يقتضي إذهاب شيء وإحلال شيء مكانه، أو إحداث تغيير في صفات المبدل مع بقاء عينه، وبناء على ذلك فإن من هذه المادة لفظين: الأول: (أبدل) يُبدلُ إبدالاً؛ وهو للدلالة على التغيير المتمثل في إذهاب شيء وإحلال شيء آخر مكانه، والثاني: (بدل) يُبدلُ تبديلاً؛ وهو للدلالة على التغيير المتمثل في إذهاب شيء وإحلال شيء آخر مكانه، ويدل أيضاً على إحداث تغيير في صفات الشيء مع بقاء عينه؛ مما يعني أن (بدل) تأتي للمعنيين كليهما.

قال ابن فارس: "الباء والبدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يقال: هذا بدل الشيء وبديله، ويقولون بدلت الشيء إذا غيرته وإن لم تأت

(١) معاني القرآن: ٣٠/١

(٢) ينظر: العمارة، أنس، مقال بعنوان: (الفرق بين شري واشترى في التعبير القرآني)، على الموقع الإلكتروني الموسوم بـ (إعجاز القرآن والسنة- الإعجاز اللغوي والبياني-) استرجعت بتاريخ: ١٩/٢/٤٤٣هـ من الموقع: <https://2u.pw/3G3vA>

له ببدل...، وأبدلته إذا أتيت له ببدل" (١).

وورد في تهذيب اللغة: "أبدلت الخاتم بالحلقة إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه، وبدلت الخاتم بالحلقة إذا أذبتة وسويتة حلقة، وبدلت الحلقة بالخاتم إذا أذبتها وجعلتها خاتماً،...، وحقيقته أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى، والجوهرة بعينها، والإبدال تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى...، وقد جعلت العرب بدلت بمعنى أبدلت" (٢).

والفعلان (بَدَل) و(أَبْدَل) يتعديان إلى المفعول إما بالفعل نفسه أو بواسطة حرف الباء، قال الفيومي: "وبدل الله السيئات حسنات يتعدى إلى مفعولين، بنفسه لأنه بمعنى جعل وصبر وقد استعمل أبدل بالألف مكان بَدَل بالتشديد فعدى بنفسه إلى مفعولين لتقارب معناهما" (٣).

وذكر الشهاب الخفاجي أن لبَدَل ثلاث استعمالات، فقال: "وظهر من هذا أنّ بَدَل له ثلاث استعمالات، بدلت الخاتم بالحلقة وهو المبحث، وبدلت الخاتم حلقة إذا جعلت الحلقة بدله، وبدلت زيداً خاتماً بثوب إن أعطيته الخاتم بدلاً عن الثوب، فاعتبره واستبصره" (٤).

وبناء على ذلك فإن فعل التبديل قد يتعدى بنفسه فيكون بمعنى التغيير في صفات الشيء مع بقاء عينه، وقد يتعدى بحرف الباء؛ إما على المأخوذ وإما على

(١) معجم مقاييس اللغة: مادة (بدل) ٢١٠/١.

(٢) الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م: مادة (بدل) ٩٣/١٤.

(٣) الحموي الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت (د.ت.د. ط): مادة (بدل) ٣٩/١.

(٤) الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الرازي على تفسير البيضاوي)، دار صادر - بيروت (د.ت.د. ط): ٩٩/٣.

التوظيف البلاغي لمادتي (شري) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

المتروك وهو الغالب، فيكون بمعنى إذهاب شيء وإحلال شيء آخر محله، أو بمعنى التغيير في صفات الشيء مع بقاء عينه.

ومهما يكن من أمر فإن مادتي (شري) و(بدل) بينهما تشابه في بعض الدلالات العامة كالعوض والمماثلة والاختيار، وتختص كل منهما بدلالات دقيقة بحسب طبيعتها اللغوية؛ ولذلك يرد التعبير بالشراء عن التبديل في بعض الأساليب لمقصد دلالي خاص يتمثل في اكتساب مادة التبديل معنى من دلالات مادة الشراء، وفي المقابل لا يرد التعبير بالتبديل عن الشراء؛ لأن كل شراء تبديل وليس العكس.

وخلاصة القول: إن مادتي (شري) و(بدل) في القرآن الكريم، لما بينهما من تقارب دلالي من جهة، واختلاف من جهة أخرى، وتفاعل دلالي مع الصيغ الصرفية والخصائص التركيبية، والظواهر البلاغية، فإن كلا منهما تسهم في تكوين معنى عميق من خلال ورودها في مقام يتطلبها، فتكتسب في نظمها دلالات بلاغية دقيقة، يمكن الوقوف على شيء منها من خلال التحليل البلاغي لهما في مباحث هذه الدراسة.

المبحث الأول: مقامات مادة (شرى) في القرآن الكريم

وردت مادة (شرى) في القرآن الكريم باشتقاقات وصيغ متنوعة، وبمعانٍ مختلفة، وفي مقامات متعددة؛ حيث وردت ستا وعشرين مرة في ثلاث وعشرين آية، أربع منها بمعنى البيع؛ جاءت منها صيغتان على الماضي (شرى) وصيغتان على المضارع (يشري)، واثنان وعشرون بمعنى الأخذ (اشترى)؛ جاءت على صيغة الماضي في عشرة مواضع، واثنى عشر موضعا على صيغة المضارع، ولم ترد على صيغة الاسم، كما أنها جاءت بالدلالة الأصلية والدلالة المجازية وهي الأكثر، ويمكن الحديث عن المعاني البلاغية لهذه المادة وفقا لما يأتي:

أولا: مقامات الترغيب والترهيب:

وردت مادة (شرى) في مقام الترغيب في ثلاث آيات؛ حثا على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعِّكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ {التوبة: ١١١}، ففي هذه الآية بيان لأهمية الجهاد وترغيب فيه، فبينت الآية أن الله تعالى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ثنا لذلك الجهاد، وقد وضح البيان القرآني الحث على الجهاد في سبيل الله في صورة ترغيبية تكشف أهمية الجهاد وقيمة العبد عند الله تعالى؛ وذلك جلي من خلال تصوير شراء الله تعالى أنفس المؤمنين وأموالهم وهو سبحانه خالق هذه الأنفس ورازق الأموال، ومع ذلك

التوظيف البلاغي لمادتي (شري) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

فإنه تعالى من كرمه وفضله عدَّ الأنفس والأموال ملكا للمؤمنين فاشتراها منهم بأن يجاهدوا بهما في سبيله ولهم الجنة^(١).

وتدل كلمة (اشترى) في هذا المقام على معانٍ عدة؛ منها الدلالة اللغوية التي تفيد معنى الوعد بالشراء والمبايعة - وكلها من الله تعالى أصلا - ولكن ليكون للترغيب في الجهاد وقعه فقد جاءت الآية بأن الله هو المشتري والمؤمنين هم من باعوا أنفسهم وأموالهم في سبيل الله ولهم الجنة ورضوان الله تعالى ثمنا لذلك، والاشتراء استعارة تمثيلية صورت حال المؤمنين المجاهدين بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله بحال البائع والمشتري بما يفيد ضمان الثمن العظيم مقابل العمل؛ ولذلك تقدم الجهاد بالأنفس على الجهاد بالأموال خلافاً للآيات الأخر التي ورد فيها الجهاد بالأموال والأنفس، لأن المال أهم من الأنفس عند الناس فهم يتقاتلون من أجله، ولكن حُصت هذه الآية بتقديم الأنفس على الأموال، لما للأنفس من أهمية بالغة عند الله تعالى، ووفقاً لذلك فقد جعل الله بذهم في الجهاد معدوداً، سواء قتلوا أم قُتلوا.

والمتأمل في نظم الآية يلحظ أنه لم يقل: (اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة) وإنما قال: ﴿يَأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ بما يدل على ملكية الجنة لهم وهو ما تفيدُه اللام، إضافة إلى توكيد ذلك كله بـ(إنَّ) ناصبة للفظ الجلالة (الله) و(أَنَّ) وقوله: (وعدا عليه حقاً)، وتتميم ذلك بالتذكير بمصدر الوعد ووفائه فقال: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ كل ذلك ترغيباً في الجهاد في سبيل الله وبيان أهميته^(٢).

(١) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م: ١٤/٤٩٨، و: العمادي، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د.ت): ١٠٤/٤.

(٢) ينظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ: ١٦/١٥٢، و: ابن عاشور،

=

ويلحظ في ورود كلمة (اشترى) في نظم هذه الآية أنها على صيغة الماضي الذي يدل على تحقق وقوعه مع استمرار الحكم في الزمن المستقبل، كما أن الشراء هنا أنسب مما يظن أنه مرادف له كالأستبدال؛ حيث يظهر من فعل الشراء تصوير الجهاد وثمنه في مشهد بياني مشوق تممه بترشيح الاستعارة التمثيلية التي تزيد الصورة الحسية تخيلاً بقوله: ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي يَابَعْتُمْ بِهِ﴾ تأكيداً لضمان الثمن المترتب على الجهاد بالأنفس والأموال في سبيل الله تعالى رغبة وتشويقاً، جاء تقريره في ختام الآية بما يناسب ما تقدم على أسلوب تشابه الأطراف، فكان من البلاغة في مقام التشويق أن تحتّم الآية بقوله: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فبينت الجملة أن هذه البيعة وثمنها هي الفوز العظيم، وقد فُصرت صفتا الفوز والعظمة على الجهاد قصر صفة على موصوف بطريق ضمير الفصل (هو) مبالغة في مكانة الجهاد وترغيباً فيه^(١).

وأما ورود فعل الشراء في مقام الترهيب فكان في سبعة عشر آية تضمنت ترهيب أهل الشرك والضلال والمنافقين، وبيان صفاتهم، والترهيب من تفضيل الدنيا على الآخرة، وكنتم قول الحق، ونقض عهد الله، وتبديل كلام الله تعالى، ومن شواهد

=

محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ، (د.ط): ٣٧/١١.

(١) ينظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ: ٢٦/٦، و: أبي زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، دار النشر: دار الفكر العربي، (د.ت.د. ط): ٣٤٥٠/٧، و: الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر - حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: ١١٣/١.

ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ {البقرة: ١٦}، وهي في الحديث عن المنافقين الذين استبدلوا الضلالة بالهدى والكفر بالإيمان، فبدأت الآية باسم الإشارة (أولئك) للبعيد إشارة إلى بعدهم عن الحق؛ لأنهم استبدلوا الشر بالخير، وقد صور البيان القرآني هذا المعنى بتوظيف فعل الشراء تصويراً حسياً يكشف سوء المنافقين ودناءة أفعالهم، فمعنى (اشترؤا) أي استحبوا واستبدلوا واختاروا^(١)؛ ولاختيار فعل الشراء في هذا المقام مزية دلالية تتجلى في استعارة الشراء للاستبدال أو غيره من الاختيار والاستحباب؛ حيث اشترى المنافقون الضلالة بالهدى، وبناء على ذلك فإن السؤال المستنبط يتمثل في أن المنافقين هل كانوا على هدى فجعلوه ثمناً للضلال؟

والإجابة على ذلك تتجلى في أنهم لم يكونوا على هدى ولكن لما جاءتهم الدعوة إلى الهدى وهي الأصل والفطرة فتركوها وآثروا عليها الضلالة والكفر، كان حالهم متمثلاً في اشتراء الضلالة بالهدى وذلك الخزي الكبير، فكان في توظيف فعل الشراء في هذا المقام ووروده بمعنى الاستبدال والاستحباب والاختيار ما يجلي الصورة الشنيعة التي كان عليها المنافقون بما يحقق الترهيب منهم ومن أفعالهم، وتأتي صورة المطابقة بين الضلالة والهدى يجعل الهدى ثمناً لشراء الضلالة متأزرة في بيان المعنى؛ إذ صورت البون الكبير بين ما أخذوه وما تركوه؛ فالضلالة تتضمن كل معاني الشر والسوء والكفر والزيغ، والهدى يتضمن كل معاني الخير والحسن والإيمان والثبات، وإلى جانب ذلك كله يأتي ترشيح الاستعارة المتمثلة في فعل الشراء مكماً للصورة الترهيبية التي كان عليها المنافقون فقال في وصفهم: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا

(١) ينظر: جامع البيان: ٣١٢/١، و: مفاتيح الغيب: ٣١١/٢، و: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن

أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار

الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م: ١/٢١٠.

مُهْتَدِينَ ﴿ فنفي عنهم ربح تجارتهم تأكيداً وبياناً لغرضهم الخبيث، وكشفاً لسوء معتقدتهم؛ حيث كانوا يعدون ما فعلوه تجارة رابحة بناء على مكرهم وخداعهم، وكلمة التجارة تشمل عملية البيع والشراء بما يجلي غرض المنافقين الديني في ذلك، وقد أسند نفي الربح إلى التجارة، والأصل أن يسند إلى المنافقين، وذلك على سبيل المجاز العقلي لعلاقة السببية؛ فالتجارة هي السبب في الربح، وأسند نفي الربح لها تصويراً لتعلق المنافين بها في هذا الشأن، إضافة إلى أن نفي الربح عن التجارة يفيد التنكيل بهم وذم هذا النوع الباطل من التجارة التي أضيفت إليهم (تجارتهم) بما يحقق الترهيب منها وبيان فساد أصحابها، كما نفى عنهم كينونة الاهتداء، بما يكشف ضلالهم المتأصل فيهم من الزمن الماضي، إضافة إلى ما تفيده هذه الجملة من بلاغة تشابه الأطراف فختمت بما يتناسب مع ما تقدمها لتؤكد خسارة تجارتهم وفساد اعتقادهم^(١).

ومن مثل هذا التوظيف لمادة (شري) في هذا المقام، قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ {النساء: ٤٤}، وهي في الحديث عن اليهود من أهل الكتاب الذين أوتوا نصيباً من العلم ويعلمون أن النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على حق، ولكنهم اختاروا الضلالة والتكذيب ليضلوا السبيل، ومما يلحظ في نظم هذه الآية أن فعل الشراء الذي بمعنى الاختيار والاستحباب والاستبدال كما تحرر في الآية السابقة، لم يذكر معه المتروك وهو (الهدى) واقتصر على المأخوذ وهو (الضلالة)؛ ولعل السر في

(١) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ: ١/١٠٧، و: التحرير والتنوير: ١/٢٩٩، و: عبد الله، عايد محمد، دلالة فعلي البيع والشراء في القرآن الكريم، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد العاشر، ٢٠١١ م: ص ١١.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

ذلك هو الإشارة إلى أن مطلبهم هو الضلالة في ذاتها، وإرادة البعد عن الحق تعمدًا، لأنه الغاية التي يرجونها، فحذف الثمن المدفوع، للدلالة على رغبتهم في أخذ الضلالة دون مراعاة للثمن الذي يعرفونه، كل ذلك تجاهلا منهم وتكبرا وتكديبا^(١).

ويُستنبط من ذلك أن توظيف فعل الشراء بمعنى الأخذ(اشترى) في القرآن الكريم، يأتي على صورتين، أولهما: ذكر الثمن المتروك، كما تقدم في الحديث عن المنافقين، وهو الأكثر ورودًا، وثانيهما: حذف الثمن المتروك والإشارة إلى المأخوذ والعلة من ذلك، ويأتي هذا الحذف في مواضع مخصوصة يتطلبها المقام، كما في الآية التي نتحدث عن اليهود من أهل الكتاب، وقد تكرر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَنْ يَقْرَأْ آيَاتِهِ وَلَمْ يَأْتِ بِالسُّلْطَانِ الْمُبِينِ﴾ {لقمان: ٦}؛ حيث حذف الثمن المتروك المدفوع، وذكر المأخوذ وعلته وهو هو الحديث، والإضلال عن سبيل الله بغير علم، وذلك من دقائق النظم القرآني وخصائصه التركيبية في توظيف هذه المادة.

ومما يلحظ في توظيف فعل الشراء في هذا المقام استعارة للاستبدال، أنه يدل على الرغبة الشديدة في الضلال لأن المشتري دفع ثمنًا نفيسًا من أجل الحصول على ما اشتراه، وهذا مما يؤكد حب المنافقين واليهود للضلال ورغبتهم فيه، إضافة إلى أن الضلالة ملازمة لهم بناء على علاقة التلازم بين المشتري والمشتري^(٢).

ثانيًا: مقام الأحكام الشرعية:

وردت مادة (شرى) في آية واحدة تتحدث عن الحكم عند الارتباب في الشاهدين على وصية من حضره الموت، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) ينظر: زهرة التفاسير: ٤/١٦٩٨.

(٢) ينظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ٢/٣٢٣، و: وظيفة الصورة الفنية في القرآن: ص ١١١.

شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ
 أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ
 تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا
 وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٠٦﴾،
 فبيّنت الآية أنه في حال الارتباب من شهادة الشاهدين على الوصية يكون الحكم
 بإيقافهما بعد الصلاة، والأظهر أنها صلاة العصر لاجتماع الناس بعدها، وارتباط
 الشاهدين بالصلاة التي تذكروهم بالله تعالى؛ حيث يقسمان بقولهما: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ
 ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ﴾ أي لا نشترى
 بهذا القسم وهو عهد الله تعالى ثنا دنيويا ولا غرضا من أغراضها، وفي تنكير
 كلمة (ثمنا) دلالة على العموم لتشمل كل معاني الثمن الدنوي التي تنطوي فيها،
 وذلك مما يغلظ القسم ويقطع الحكم^(١).

وفعل الاشتراء في صيغة القسم بمعنى الاستبدال، قد ورد بهذه الصورة (لا نشترى
 به ثمنا)؛ لما له من دلالات يقتضيها المقام؛ منها أن فعل الشراء بمعنى التحصيل أو
 الاستبدال فهو يبين المعنى في صورة حسية تقتضي نفي شرائهم بهذا القسم ثنا من
 الدنيا، حيث استعير الشراء للاستبدال استعارة أصلية تبعية في الفعل المنفي (لا
 نشترى) بما يجلي صورة القسم في نفيهم إرادة بيع عهد الله مقابل ثمن دنيوي، وهو
 كناية عن الاستبدال أيضا، فعبر عن استبدالهم عهد الله مقابل ثمن دنيوي بفعل
 الشراء بما يحقق وضوح المعنى المتمثل في نفاء شهادتهما واحتجاجا على صدقها بخلوها
 من غرض دنيوي إثباتا وبرهانا، ولعل توظيف فعل الشراء في هذا المقام بمعنى
 الاستبدال مناسب للمقام؛ لكون الحكم الشرعي مرتبطا بوصية الميت المتمثلة في

(١) ينظر: جامع البيان: ١١/١٧٢، و: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في
 تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت. د. ط): ٥٥٨/٢.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

الأموال والأموال، فأفاد ذلك نفي تعلقهم بغرض الشراء في هذه الشهادة، وبيان طهارة قلوبهما من غرور الدنيا ومتاعها^(١).

وقد ورد فعل الشراء في هذه الآية بصيغة الفعل المضارع المنفي، فدل على تجدد نفي هذه الصفة عنهما وحدوثها، إضافة إلى دلالة استحضار الصورة لهذا القسم فيكون حاضرا في القلوب، ومما يتميز به توظيف فعل الشراء مادة وصيغة في هذا المقام، حسم موقف الشاهدين وخلوص الحكم إلى نتيجة مقنعة تحقق حسم القضية؛ لما اشتملت عليه صيغة القسم من قوى دلالية بينها تعاضد وتأزر تمثلت في تصعيد القسم إلى أعلى درجاته في هذا الباب.

ثالثاً: مقام القصص القرآني:

وردت مادة (شرى) في مقام القصص القرآني في قصة يوسف عليه السلام وذلك في موضعين متتابعين، أولهما: قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِخَمْسِ دَرَاهِمٍ مَّعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ {يوسف: ٢٠}، وهو في الإخبار عن يوسف عليه السلام لما التقطه السيارة من الجب فباعوه بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين، وقد ورد احتمال أن يكون الذين باعوه هم الرفقة من إخوته والأظهر من سياق الآية أنهم السيارة^(٢)، ومما يلحظ في نظم الآية أن فعل الشراء (شروه) بمعنى باعوه وهو على دلالة الحقيقية، ولعل السر في اختيار الفعل (شروه) بدلا من الفعل (باعوه) يتجلى في دلالة مادة الشراء على معنى تماديهم حينما أسروه بضاعة فزهدوا فيها،

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦/٣٥٦، و: الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيظ في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ: ٤/٤٨، و: التحرير والتنوير: ٧/٨٦.

(٢) ينظر: جامع البيان: ٨/١٥٠، وورد في الآية التي قبلها قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلٌّ وَأَسْرُوهُ بِضَعَّةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (يوسف: ١٩).

إضافة إلى معنى الرغبة في التخلص منه بأي ثمن جهلا منهم بقيمته وقدره عليه السلام فجعلوا ثمنه بخسا دراهم معدودة، ويظهر تماسك الأسلوب القرآني وتعاضده في هذه الآية للدلالة على هذا المعنى من خلال توظيف فعل الشراء بما يدل على بيعهم يوسف عليه السلام، حيث ورد في الآية التي قبلها أنهم أسروه بضاعة، وجاء فعل الشراء معطوفا على ما تقدمه بالواو التي تفيد سرعة بيعهم له عليه السلام رغبة في المال وجهلا بقدره، ومناسبة لذلك جاء وصف الثمن بأنه بخس دراهم معدودة، والبخس يجمع في دلالاته بين النقص وحرمة البيعة وفسادها، وقد ختمت الآية بما يتمم المعنى فجاء وصفهم بأنهم كانوا فيه من الزاهدين بما يدل على المبالغة في زهدهم وعدم رغبتهم فيه، كما تدل (من) التبعيضية مع تعريف كلمة الزاهدين بـ(أل) التي للجنس دون تكبيرها على أنهم كغيرهم ممن يجهل قيمته، وفيه تعريض بإخوة يوسف عليه السلام حيث زهدوا فيه عندما ألقوه في البئر^(١).

وأما الموضوع الثاني فورد في الآية التي بعدها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ {يوسف: ٢١} وهو في الإخبار عن عزيز مصر حينما اشترى يوسف عليه السلام من القوم الذين زهدوا فيه، وبيان حرصه عليه بأن أمر امرأته بإكرام مثواه، وقد جاء فعل الشراء في هذه الآية بالمعنى الحقيقي وهو الموضوع الوحيد الذي ورد فيه فعل الشراء بالتاء ودل على الحقيقة؛ لأن كل أفعال الشراء المقترنة بالتاء في القرآن الكريم جاءت بالمعنى المجازي، ولعل ذلك مما يجلي خصوصية يوسف عليه السلام وبيان قدره^(٢).

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٤/٢٠، و: الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (د.ط): ١/١٠٥، و: التحرير والتنوير: ١٢/٢٤٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/٢٤٥، و: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٢/٣٢٥.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

ومن دلالات فعل الشراء في هذه الآية إفادته معنى الرغبة والحرص، والضم؛ بما يجلي رغبة المشتري في يوسف عليه السلام وضمه إلى أسرته وذلك ظاهر من دلالة التاء التي تفيد الزيادة في الرغبة، فشتان بين من شروه وزهدوا فيه وبين من اشتراه ورغب فيه؛ حيث جاء توظيف فعل الشراء في قصة يوسف عليه السلام بما يكشف تحول حاله من أيدي الذين رغبوا عنه جهلا بقدره إلى من يقدره ويعطي ثمنه، إرهابا لتحقيق عزته ورفعته قدره عليه السلام^(١).

وفي نهاية هذا المبحث يتضح توظيف مادة (شرى) في القرآن الكريم؛ حيث جاءت بمعانٍ متعددة تدل على معنى البيع عند خلوها من التاء (شرى) وعلى معنى الأخذ عند دخولها عليها (اشترى) فكانت في بعض مواضعها على الدلالة الحقيقية وفي غالبها على الدلالة المجازية، فجاءت بمعنى الاستبدال، والأخذ، والاختيار، والاستحباب، والبيع، ومما تختص به هذه المادة عن الاستبدال هو دلالتها على معنى الرغبة والتمسك في الأخذ أو الترك، ووردت بصيغ فعلية متنوعة بين صيغتي الماضي والمضارع، ولم ترد على صيغة الاسم؛ ولعل السر في ذلك يتجلى في كون مادة (شرى) مرتبطة بالتعاملات المادية، والقلبية العقدية فكان من المناسب توظيفها بصيغة الفعل لتحقيق الدلالة التفاعلية وفقا للمعنى المراد، وقد تمثلت هذه المادة في مقامات متغايرة؛ فجاءت في مقامات الترغيب والترهيب، والأحكام الشرعية، والقصص القرآني، وكان لورودها في كل مقام أثرها الدلالي الذي يتأزر مع نظم القرآن الكريم، كاشفا عن معان بلاغية تؤكد مناسبتها للمقام الذي وظفت فيه.

(١) ينظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي-القاهرة (د.ت.

د. ط): ١٢٤٩/٦.

المبحث الثاني: مقامات مادة (بَدَل) في القرآن الكريم

وردت مادة (بَدَل) في القرآن الكريم أربعين مرة في ثمانٍ وثلاثين آية، باشتقاقات متنوعة بين الأسماء والأفعال؛ إحدى عشرة مرة بصيغة الاسم؛ منها ثمان مرات بصيغة المصدر وثلاث بصيغة اسم الفاعل، وتسع وعشرون مرة بصيغة الفعل؛ منها إحدى عشرة مرة بصيغة الماضي، وخمس عشرة مرة بصيغة المضارع، ومرة واحدة بصيغة الأمر، ومرتان بصيغة الفعل الذي لم يسمَّ فاعله، وقد جاءت في ثلاثة وثلاثين موضعا بصيغة (بَدَل يبدل تديلا)، وفي ثلاثة مواضع بصيغة (أبدل يبدل)، وفي أربعة مواضع بصيغة (استبدل يستبدل استبدالاً) وذلك بمعانٍ متنوعة، ومقامات متعددة يمكن الحديث عنها وفقا لما يأتي:

أولاً: مقام بيان عظمة الله تعالى وقدرته:

جاءت توظيف مادة (بَدَل) في مقام الحديث عن عظمة الله وقدرته في تسع آيات شملت الحديث عن عظمة الله تعالى في عدله، وثبات سنته، وتمام كلماته، وقدرته على الخلق والتغيير، وتبديل الأرض والسموات يوم القيامة، ومن الشواهد التي تبين دلالات مادة (بَدَل) في هذا المقام، قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ {الأنعام: ١١٥}، والآية في بيان تمام كلمة الله تعالى وكما لها وصحتها فيما أخبر ووعد وأوعده وحكم، ويمكن أن يراد بها القرآن الكريم المشتمل على الإخبار والوعد والوعيد والأحكام، ومما يزيد بها تشريفاً وعظمةً إسنادها إلى (ربك) ووصفها بأنها تمت صدقا في ما تضمنته كلمة الله من خير ووعد ووعد، وعدلا فيما تضمنته من حكم؛ ويأتي هذا الأسلوب على طريقة اللف والنشر ليرد المتلقي كل صفة إلى ما يتعلق بها ويناسبها، لما فيه من تحريك للعقل وحث على التأمل^(١).

(١) ينظر: الأندلسي، بن عطية عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى -

التوظيف البلاغي لمادتي (شري) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

وقد جاءت جملة: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ متممة لما تقدم من بيان صفات عظيمة اشتملت عليها كلمة الله؛ ولعل ورودها بصيغة الجمع هنا يفيد معنى تعدد الأخبار والأحكام الذي يجمعه كتاب الله القرآن الكريم، فقد وردت في بداية الآية (تمت كلمة ربك) مفردة، على قراءة أهل الكوفة، والإفراد يفيد تمام القرآن الكريم وما فيه من الصدق والعدل كأنه كلمة واحدة، ووردت عن بقية القراء بصيغة الجمع (كلمات) بما يفيد تعدد ما فيه من أخبار وأحكام، فنفى التبديل عنها، فلا أحد يبدل كلمة الله بما هو أصدق وأعدل ولا بمثله، وهي جملة احتراسية تفيد تنزيه التمام عن النقص وهو ما تتفرد به كلمة الله تعالى؛ حتى لا يظن بأن بعد هذا التمام زوال، بل استمرار ودوام يليق به سبحانه وتعالى^(١).

والتبديل في هذه الآية بمعنى التغيير والتحريف والنقض والنقص والاعتراض، فدل على أن كلمة الله منزهة عن هذه الأمور بما يحقق لها الحفظ والتمام والكمال، ولعل توظيف التبديل في الدلالة على هذه المعاني مما يزيد المعنى ثراء واتساعاً، فأصل التبديل جعل شيء مكان شيء، فجاء مجازاً عن هذه الأمور بعلاقة اللزومية لما يستلزمه النقص والتحريف والاعتراض والتغيير من الإتيان بشيء آخر، وفي ذلك تصوير دقيق لعظمة كلمة الله تعالى حيث لا مبدل لها، ويلحظ في ورود التبديل بصيغة اسم

=

١٤٢٢ هـ: ٣٣٧/٢، و: الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشف، مقدمة التحقيق: إيراد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م: ٦/٢٢٢.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧١/٧، و: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١٧٨/٣، و: روح المعاني: ٢٥٦/٤.

الفاعل (مبدل) دلالة بلاغية تتضافر مع نظم الآية في بيان عظمة كلمة الله؛ لما في اسم الفاعل من دلالة على الحدث والحدوث، بما يفيد أن هذا النفي متجدد كلما جد إنكار وإعراض وهو مناسب لسياق الآية التي جاءت ردا على الذين أرادوا الاحتكام لغير كتاب الله تعالى، ونفي المبدل في هذه الجملة كناية عن نفي التبديل وذلك غاية التمام والكمال لكلمة الله تعالى، وقد ختمت الآية بما يتناسب مع بيان هذه العظمة والتمام لكلمته سبحانه على أسلوب تشابه الأطراف فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فهو سميع لما يقولون وهذا مناسب مع تمام كلمته صدقا، المتضمنة الإخبار والوعد والوعيد، وعليم بكل شيء وهذا مناسب مع تمام كلمته عدلا، وذلك كله من تمام قدرته تعالى وكماها^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبَدَّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ^ط وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ {إبراهيم: ٤٨}، وهي في الحديث عن قدرة الله تعالى في تبديل الأرض غير الأرض يوم القيامة وكذلك السماوات، وورد أن تبديل الأرض هو تغيير الأرض بأرض كأنها قطعة فضة، بما يدل على اختلافها عن الأرض الدنيوية، قال صلى الله عليه وسلم: ((يُخَشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ))^(٢)، ولعل التبديل في هذه الآية على ظاهره بأن الله يغير الأرض الدنيوية يوم القيامة بأرض مختلفة عنها^(٣)، وتوظيف مادة التبديل في هذه الآية مما يعطي المعنى دلالة وهي من الفعل (بدل) بيدل للدلالة على معنى التغيير والاختلاف وجعل الأرض الدنيوية أرضا أخرى مختلفة عنها في صفاتها فيتجلى بذلك

(١) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف: ٦ / ٢٢٢، و: التحرير والتنوير: ٨ / ٢٢).

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت (د. ت. د. ط): حديث رقم (٢٧٩٠): ٤ / ٢١٥٠.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١٧ / ٥٢.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدّل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

قدرة الله العظيمة، ومما يؤيد هذا المعنى ورود كلمة (تبدّل) بصيغة الفعل الذي لم يسم فاعله، لما تفيد هذه الصيغة من دلالة على سرعة تبدل الأرض، والتنويه على فعل تبديل الأرض دون ذكر فاعله لتعين فاعله وهو الله عز وجل؛ لأنه وحده القادر على ذلك، كما تفيد صيغة المضارع في هذا المقام استحضر الصورة لدى المتلقي ليقع التأثير والاعتبار، وتأكيد عظمة الله في النفس، وإضافة إلى ذلك فإن إسناد التبديل بهذه الصورة إلى الأرض والسموات على أسلوب الطباق، يصور عظمة الله وقدرته في تغيير معالم الأرض والسموات يوم القيامة، وتقديم تبديل الأرض على السماء؛ لكونها الأقرب لدينا فأمر تبديلها أعظم بالنسبة إلينا^(١).

وقوله تعالى: ﴿تَخُنْ خَلْقَنَاهُمْ وَشَدَدْنَا آسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ

تَبْدِيلًا﴾ {الإنسان: ٢٨}، وهي في الإخبار بمن خلق هؤلاء المشركين المعارضين ومن أحسن خلقهم، وهو الله تعالى القادر على أن يبدل أمثالهم تبديلاً؛ وذلك بإهلاكهم وخلق أمثالهم من جنسهم مختلفين عنهم في العمل^(٢)، ومما يلحظ في نظم الآية التي تتحدث عن عظمة الله وقدرته في إهلاك المشركين والإتيان بأمثالهم، أسلوب التعظيم في نون الفاعل (نحن) و(خلقناهم) و(شئنا)، وبيان صفتي الخلق وإحسان الصورة وإحكامها، والإخبار وعيدا بأنه تعالى إذا شاء بدّل أمثالهم تبديلاً؛ لما في ذلك من احتجاج على المشركين الذين أنكروا البعث، فإذا شاء الله تعالى في قدرته أن يهلكهم ويأتي بأمثالهم فإنه قادر على أن يبعثهم يوم القيامة، كما أن توظيف التبديل في هذا المقام يدل على كمال قدرة الله تعالى حيث أفاد معاني متعددة، منها أنه قادر على إهلاكهم والإتيان بأنفسهم مطيعين له، وأنه قادر سبحانه بأن يهلكهم ويأتي بغيرهم مشابحين لهم في الجنس مختلفين عنهم في العمل، والتبديل في مقام الآية يفيد معنى

(١) ينظر: الكشف: ٥٦٦/٢، و: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٩٦/٤، و: روح

المعاني: ٢٤٠/٧.

(٢) ينظر: جامع البيان: ١١٧/٢٤.

الخلق والتغيير والتحويل والاختلاف بما يتناسب مع بيان قدرة الله سبحانه، وتدل صيغة الفعل الماضي (بدلنا) على تحقق قدرة الله تعالى على التبديل، وتأكيدا بما لا يدع طريقا للشك والإنكار، وفي مجيء (إذا) الشرطية بدلا من (إن) في قوله: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ دلالة على القطع بهذا الفعل والتأكيد على تحققه؛ لما تفيد (إذا) من تعلقها بالأمر المقطوع بها، ولعل هذه الآية حُصت بإذا الشرطية التي تفيد هذا المعنى لكون الخطاب موجها إلى المشركين المنكرين للبعث، ولما كان الخطاب لعامة الناس فقد جاء الحديث عن المعنى بـ(إن) الشرطية التي هي الأصل في الاشتراط وتعلق بغير القطع، فناسب ورودها مع خطاب عامة الناس كما في قوله تعالى: ﴿الْمَ تَرَأْتِ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ {إبراهيم: ١٩}، وإضافة إلى ما تقدم فإن قوله: (بدلنا أمثالهم) جاءت بأسلوب الحذف، فحذف متعلق فعل التبديل وهو الجار والمجرور لكونه أولى بالحذف وأبقى المفعول به (أمثالهم) اهتماما بذكره لكونه الأُدعى في بيان قدرة الله تعالى، وفي انتصاب كلمة (تبديلا) مفعولا مطلقا مؤكدا لعامله (بدلنا) دلالة على التبديل الحقيقي، وفي إطلاقه وتنوينه ما يفيد معنى الاتساع المفضي إلى تمام التعظيم^(١).

ويتضح من خلال تحليل الشواهد السابقة أن توظيف مادة (بدل) بدلالاتها المعجمية والصرفية تآزرت مع نظم الآية التي ركبت فيه، فجاءت بدلالات بلاغية تجلي عظمة الله تعالى وقدرته، كما أن متعلق فعل التبديل المجرور بباء المعاوضة، قد يحذف وهو المتروك؛ لإفادة معنى دقيق يقتضيه المقام اهتماما بشأن الآتي وتسفيها

(١) ينظر المحرر الوجيز: ٤١٥/٥، و: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): ١٦ / ٢١٤، و: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٨ / ٢٧٨، و: التحرير والتنوير: ٤١٠ / ٢٩.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

لشأن الذهاب، وهو أكثر ما جاءت عليه مادة(بدل)، وقد يذكر المتروك الذهاب، ويجذف الحال؛ لبيان قيمة الذهاب أو المتغير اهتماما لشأنه، وإطلاق معنى البديل، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوا ذُرُونا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ {الفتح: ١٥}؛ حيث ذكر الدين وهو الذهاب -على زعم فرعون- مع فعل التبديل في الآية الأولى ولم يذكر البديل الجديد، وذلك مما يكشف اهتمام فرعون في حجاجه الباطل بالدين الذي عليه قومه دون ذكر للحال الجديد بقصد إطلاق معنى التغيير، وفي الآية الثانية ذكر كلام الله مع فعل التبديل ولم يذكر البديل الجديد؛ اهتماما بشأن كلام الله تعالى، وإطلاق لمعنى هيئة التبديل التي يريدها أهل الضلال.

ثانياً: مقامات الترغيب والترهيب:

وردت مادة(بدل) في مقام الترغيب في خمس آيات؛ ترغيباً في الإيمان، والدين القيم، والتوبة؛ ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ {الأنعام: ١١٥}، فلما ذكر الله تعالى عقاب المشركين الذين جمعوا مع شركهم معاصي كالقتل والزنا، وأنه من يفعل ذلك يلقى أثاماً، ويضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً، فقد ذكر في هذه الآية على سبيل الحث والترغيب، حال من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً وبين جزاءهم بأنه تعالى يبذل سيئاتهم حسنات، وتأتي هذه الآية في الترغيب في التوبة والإيمان والعمل الصالح، حتى لا يقنط المذنبون

(١) غافر: ٢٦.

من رحمة الله تعالى ومن مغفرته، ولذلك قدمت التوبة على الإيمان لما فيها من الاعتراف بالذنب وإظهار الندم، ثم ذكر الإيمان المتعلق بالاعتقاد والتصديق، ثم ذكر العمل الصالح، وهي ثلاثة أمور يجب أن يعمل بها التائبون من الذنوب ليحصلوا على مغفرة الله تعالى وثوابه المتمثل في تبديل سيئاتهم حسنات^(١)، والمتأمل في نظم الآية يتجلى له أن توظيف فعل التبديل في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ جاء بدلالات مناسبة لمعنى الترغيب في التوبة والإيمان والعمل الصالح؛ لما تحمله هذه الكلمة مادة وصيغة من دلالات بلاغية؛ فالتبديل في أصله جعل شيء مكان شيء وهو بهذا التوظيف يدل على التغيير والعوض، بمعنى أن الله تعالى يجعل مكان شركهم إيماناً، ومكان معاصيهم طاعة، ومكان عقابهم ثواباً حسناً، حيث يشمل هذا التبديل أحوالهم في الدنيا بأن يوفقهم للخير ويهدي نفوسهم إلى الإيمان بدلا من الشرك والمعاصي التي كانوا عليها، وأحوالهم في الآخرة فيبدل عقابهم الذي استحقوه بذنوبهم أجراً عظيماً، كل ذلك بسبب توبتهم وإيمانهم وعملهم عملاً صالحاً، ويظهر من ذلك كله أن جزاء الله تعالى عظيم كريم؛ لكونه تعالى بسبب توبتهم وإيمانهم، يغفر لهم ذنوبهم التي اقترفوها، وعوضهم بأن جعل مكان كل سيئة عملوها حسنة، بما يجلي كرم الله تعالى وفضله الداعي إلى الترغيب^(٢).

وتدل صيغة الفعل المضارع المشددة (يبدل) على الزيادة في معنى التغيير، وعلى تجدد هذا الفعل من الله تعالى كلما تجدد منهم توبة وإيمان، وصيغة المضارع مناسبة لواقع العباد في اقتراف الذنوب ورجوعهم إلى الله تائبين مؤمنين، وذلك مما يصور فضل الله تعالى في هذا الشأن؛ لأنه تبديل متجدد دائم يوافق أحوال العباد، وقد أسند إلى لفظ الجلالة (الله) لإفادة الجلال والتعظيم المفضي إلى الترغيب، ومما يزيد المعنى ترغيباً ويبين كرم الله تعالى وفضله، تسمية معاصيهم وذنوبهم بالسيئات، وتسمية ما يعوضون

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٤/٢٢١، و: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٦/٢٣٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ١٩/٧٦، وزهرة التفاسير: ١٠/٥٣١٩.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

به بالحسنات؛ والسيئات اسم جامع لكل ما دل على الشر والمعاصي والذنوب، والحسنات تجمع معاني الخير والطاعات والفضل والزيادة، وتأتي صورة الطباق بين هاتين الكلمتين بدلالات واسعة عميقة تصور البون الكبير بين ماكانوا عليه وما عوضهم الله به، ليقع المعنى موقعه من الحث والترغيب، وإضافة إلى ذلك فإن تعريف السيئات بإضافتها إلى أصحابها يدل على كمال عدله سبحانه، وأما ما عوضهم به فجاء نكرة(حسنات) لما يفيد التنكير من معنى العموم والتكثير والإطلاق، بما يجلي كرم الله تعالى وإحسانه^(١).

ومن دلالات توظيف فعل التبديل في الآية أنه حذف حرف الجر المتعلق بالمبدل، فلم يقل تقديراً:(بيدّل الله بسيئاتهم حسنات) وذلك لدلالة فعل التبديل على العوض والمعوّض، والفعل أبذل يُبدل من الإبدال، أما الفعل يبدّل من التبديل، حيث يتعلق الأول برفع الشيء ووضع غيره مكانه، ويتعلق الثاني بتغيير الشيء مع بقاء عينه، فكل تبديل وتبديل وليس العكس^(٢).

وورد في ختام الآية ما يتناسب مع ما تقدم فيها على طريق تشابه الأطراف الذي يدل على التماسك المعنوي والترابط الدلالي فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فالمغفرة متعلقة بحط الذنوب عنهم وتطهيرهم، والرحمة متعلقة بتبديل سيئاتهم حسنات، وذلك موجز الترغيب وتماهه وبيان كرم الله وإحسانه^(٣).

وقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ {يونس: ٦٤}، وهي في الحديث عن أولياء الله المتقين؛ حيث وعدهم الله بأن لهم البشرى في الحياة الدنيا

(١) ينظر: جامع البيان: ٣١١/١٩.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٣٩٨ / ٢.

(٣) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): ٢٩٥ / ١١.

بالرؤيا الصالحة التي يراها أو تُرى له وفي الآخرة وهي الجنة^(١)، ترغيباً في التقوى، ويأتي توظيف فعل التبديل في قوله: ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ متمماً معنى البشارة مؤكداً لها، فنفي عن كلماته التغيير والإبطال بما يقتضي أن الله تعالى لا يخلف وعده، ضماناً للوعد والبشارة، ومن دقائق النظم في هذا المقام ورود النفي عن التبديل، فلم يأت النفي عن المبدل كما مر في مقام بيان عظمة الله في قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ {الأنعام: ١١٥}، ولعل السر في ذلك يتجلى في أن نفي التبديل عن الفاعل (لا مبدل لكلماته) جاءت في سياق الرد على أهل الضلال الممتزين الذين يريدون غير حكم الله تعالى، فناسب فيه نفي التبديل عن الفاعل، وأما في مقام الترغيب في التقوى، فجاء نفي جنس التبديل (لا تبديل لكلمات الله) أي بوجه من الوجوه؛ لكونهم غير منكرين لوعد الله، فناسب في معنى التأكيد ترغيباً وتنعيماً أن يرد النفي للتبديل لا لفاعله،^(٢).

وصيغة المصدر (تبدل) تدل على الثبوت والدوام، وإطلاق نفي التبديل وعمومه بما يتناسب مع مقام الترغيب في التقوى ببيان صدق وعد الله تعالى.

ووردت مادة (بدل) في مقام التهيب في ثلاث عشرة آية، ترهيباً من أحوال أهل الكفر والضلال في إرادتهم تبديل كلام الله، وتبديل الكفر بالإيمان، وتبديل نعمة الله، وبيان عقابهم، والتهيب من الإعراض عن الجهاد، والتناقل عن النفور في سبيل الله تعالى، والتهيب من حال أهل النار، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ {البقرة: ١٠٨} ، والآية في الإنكار والتحذير للذين

(١) ينظر: جامع البيان: ١٥ / ١٤١.

(٢) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف): ٩ / ٤٥٨،

و: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٣ / ٤٦١.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور تتعلق ببيان الحكم الداعي إلى النسخ كما سأل قوم موسى نبينهم عليه السلام عن رؤية الله جهرة ورؤية الملائكة وغيرها مما ورد عن اليهود، فجاء التهيب من هذا الفعل بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ حيث لم يقل وفقا لمقتضى الظاهر تقديرا: (ومن يفعل ذلك) وإنما ورد التهيب بالتحذير العام المفضي إلى أنه من يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل الطريق الصحيح؛ وذلك ليقع التهيب موقعه في النفوس، فتجلى سوء هذا السؤال في صورة من يتبدل الكفر بالإيمان، ليعلموا مسوءة ما يريدون بسؤالهم، والتبديل هنا بمعنى الأخذ والاختيار والتغيير، فيحمل في دلالة في هذا المقام، معنى أخذ الكفر واختياره إحلالا، وإبعاد الإيمان وتغييره تركا، ويدل الثقل الظاهر في تشديد الدال، على البون الشاسع بين ما تركوه وما أخذوه، وتدل صيغة الفعل المضارع على دعوة من زلَّ بسؤال شيء من ذلك إلى التوبة والرجوع إلى الله تعالى، وإضافة إلى ذلك فإن جملة (من يتبدل الكفر بالإيمان) كناية عن الإعراض عن الإيمان والإقبال على الكفر، وعن ترك الثقة بالآيات؛ بما يحقق التلازم الدلالي بين من يسأل هذه الأسئلة واختيار الكفر عن الإيمان، وذلك غاية التحذير والتهيب^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ {التوبة: ٣٩}، فبيّنت الآية أن جزاء الذين تناقلوا عن النفر إلى الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة، ويأتي بقوم غيرهم يجاهدون في سبيله ويطيعون أمره، وأن تناقلهم عن النفر إلى الجهاد لا يضر الله شيئا فهو الغني سبحانه وهو على كل شيء قدير، حيث جاء توظيف مادة (بدل) في التهيب من التناقل عن

(١) ينظر: جامع البيان: ١/٣١٥، و: البحر المحيط في التفسير: ١/٥١٧، و: نظم الدرر في

تناسب الآيات والسور: ١/٢١٨.

النفور إلى الجهاد، بدلالات بلاغية؛ منها أن (يستبدل) تدل على معنى الإحلال بما يقتضي تركهم في ثقافتهم ومعاقبتهم بالعذاب الأليم، والإتيان بقوم يحلون مكانهم مختلفين عنهم بصفة تقابل ما هم عليه، فيأتي بقوم آخرين يجاهدون في سبيله وينصر بهم رسوله صلى الله عليه وسلم، وتدلل السين والتاء الزائدتان في (يستبدل) على تأكيد معنى الإبدال، كما تدل صيغة الفعل المضارع على تجدد الفعل وحدوثه بما يفيد أن الله تعالى قادر على ذلك كلما شاء سبحانه، وتدلل على استحضر الصورة وامثالها ليقع الوعيد موقعه في النفوس ويعم الخطاب كل العباد^(١).

ثالثاً: مقام الأحكام الشرعية:

جاءت مادة (بدل) في خمس آيات تتحدث عن الأحكام الشرعية؛ تضمنت حكم استبدال زوج مكان زوج، وبيان ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم في استبدال أزواجه، وتغيير الوصية، وبيان حق اليتيم، والنسخ في القرآن الكريم، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ {النساء: ٢}، وهي في بيان الحكم في إعطاء اليتامى حقوقهم إذا بلغوا سن الرشد، فحذرت الآية بطريق النهي من أخذ مال اليتيم، أو إعطائه الرديء وأخذ الطيب منه، وتأتي دلالة الجملة الإنشائية بين أمر بإيتاء اليتامى أموالهم حين اسحقاقها، ونهي عن أخذ أموالهم أو تبديل الطيب منها بالخبيث، بما يكشف حرص الشريعة الإسلامية على حفظ مال اليتيم والاهتمام بحقه لكونه محل طمع عند القائمين عليه، وذلك ظاهر من توالي الأساليب الإنشائية بين أمر ونهي مما يفيد معنى الإيجاب والإلزام في هذا الحكم، وتتميماً لهذا المعنى فقد جاء توظيف مادة (بدل) في هذه الآية ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ﴾ بمعنى التغيير القائم على أخذ شيء جميل وإعطاء شيء قبيح، وذلك بما يصور حفظ مال اليتيم من

(١) ينظر: جامع البيان: ٢٥٤/١٤، و: التحرير والتنوير: ١٠/١٩٩.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

جهتين: أولهما: النهي عن أخذ مال اليتيم أو شيء منه واستبدال ذلك بما يستحق هذ العمل من العقاب الشديد، وثانيهما: النهي عن أخذ الطيب من مال اليتيم وإعطائه الرديء عوضاً عنه، وهو ما تجليه صورة الطباق بين الخبيث والطيب حيث جعل هذا التبديل بينهما، فيشمل الخبيث المأخوذ كل معاني الحرام والقبح والسوء والرداءة، ويشمل الطيب المتروك كل معاني الحلال والحسن والجمال والنفاسة، كل ذلك بما يدعو إلى الكشف عن حقيقة الأمر وبيانه، فيكون تمام بيان الحكم والإنذار^(١).

ومما يلحظ في توظيف مادة(بدل) في نظم الآية، أنها جاءت بصيغة الفعل المضارع الذي يفيد معنى التجدد والحدوث، بما يتناسب مع تجدد هذا الأمر وحصوله في كل زمن، إضافة إلى إفادة معنى استحضر الصورة المتمثلة في أكل مال اليتيم فيقع النهي موقعه من التحذير، كما تدل الزيادة في التاء الناتجة عن فك الإدغام، وتضعيف الدال (تبدلوا) على خطورة هذا الفعل، وتحويل أمره.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ زَوْجِ مَكَانَ زَوْجٍ وَعَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ {النساء: ٢٠}، وهي في بيان الحكم في حال إرادة الزوج أن يطلق زوجته ويتزوج بأخرى رغبة منه في ذلك، فإنه لا يحق له أن يأخذ مما أعطها من المهر شيئاً ولو كان مالا كثيراً، ومما يلحظ في نظم الآية أنها جاءت بـ(إن) الشرطية التي تتعلق بالأمور النادرة بما يفيد التنويه إلى قلة حدوثه في الواقع، وبيانا على عدم تفضيل الفراق بين الزوجين، كما جاء توظيف مادة(بدل) في نظم الآية(استبدال) بمعنى ترك شيء واختيار شيء آخر مكانه، وهو في هذا المقام بمعنى طلاق زوجة والزواج

(١) ينظر: جامع البيان: ٥٢٥/٧، و: مفاتيح الغيب: ٤٨٤/٩، و: إرشاد العقل السليم إلى مزايا

الكتاب الكريم: ١٤٠/٢.

بأخرى، والاستبدال مصدر سداسي من الفعل (استبدل)، فيفيد معنى الثبوت والدوام في الحكم، وتشير الزيادة فيه بحرفي السين والتاء إلى معنى ثقل الأمر على الزوج المؤمن؛ لتعلقه بفراق زوجته التي تزوجها مختاراً لها من قبل، والمتأمل في هذه الآية يظهر له أن الحكم متعلق بالطلاق المتمثل في تطليق زوجة والزواج بأخرى، ولعل البيان القرآني أثر التعبير بوصف هذا النوع من الطلاق على سبيل الاستبدال ببيان حقيقته؛ تنبيهاً للناس بكنهه الأمر فيكون لها تبيين ذلك عند الإقدام عليه، ولذلك يمكن حمل دلالة قوله (استبدال زوج مكان زوج) على الكناية عن الطلاق المبني على تغيير الزوجة بأخرى، فجاء توظيف التبديل مادة وصيغة متضافراً مع نظم الآية الكريمة بما يحقق الوضوح الذي يقتضيه بيان الحكم في هذه المسألة^(١).

رابعاً: مقام القصص القرآني:

وردت مادة (بدل) في مقام القصص في ست آيات خمس منها في قصة موسى عليه السلام وقومه وواحدة في قصة قوم سبأ، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا يَا مُوسَىٰ لَنْ نُصِبرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَحَدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ {البقرة: ٦١}، والآية في قصة بني إسرائيل لما قالوا لموسى عليه السلام: لن نصبر على طعام واحد؛ وهو ما آتاهم الله من نعمة المن والسلوى، فطلبوا منه أن يدعو ربه يخرج لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، وقولهم هذا يدل على حمقهم وسوء أدبهم مع نبيهم عليه السلام ومع الله تعالى؛ لتضجرهم من النعمة الطيبة التي أنعم الله بها عليهم ويطلبون ما هو أدنى من ذلك من الأطعمة، فجاء الرد عليهم بقوله: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ استنكاراً لما يقولون ببيان حماقتهم وسوء

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٣/٢١٤، و: التحرير والتنوير: ٤/٢٨٨.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

اختيارهم، وهو ما يفيد الاستفهام بالهمزة حيث وقع على الفعل؛ لكون المستنكر منه هو فعل الاستبدال وليس صدوره منهم، وفي ذلك تسجيل عليهم لكون هذا الاستبدال الغريب لا يصدر ممن عنده عقل وتقدير للنعم، والاستبدال في نظم الآية بمعنى الاختيار والتغيير والاستعاضة، وقد وظفه البيان القرآني ليفيد هذه المعاني في بيان سفه بني إسرائيل وسوء أدهم، ويدل بصيغة الفعل المضارع (أتستبدلون) مزيدة بالسين والتاء على أن هذا الوصف ملابس لهم في كل زمن، ومؤكد وجوده فيهم؛ لكون الاستفهام الإنكاري التوبيخي لا يدخل على الاستقبال وإن كان الفعل مضارعا فإنه يدل على الزمن الماضي مع استمرار الصفة في زمن الاستقبال وهو ما يدل عليه توظيف الفعل المضارع لهذه المادة بهذا التركيب البديع، وإضافة إلى ذلك فإن إسناد الاستبدال إليهم جاء على سبيل المجاز العقلي؛ لكون المبدل الحقيقي للنعم هو الله تعالى، وأسند إليهم بعلاقة السبب المتمثل في سؤالهم، وهذا التصوير مما يوجه النظر إلى كنه سؤالهم ويكشف ما يفضي إليه من سوء صنيعهم، فكان الإنكار والتعجب من استبدالهم للمن والسلوى بالأطعمة التي أقل منها في الفضل، فورد هذا المعنى باستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير؛ حيث يصور الطباق بين الأدنى الذي اختاروه، والخير الذي تركوه، القدر الكبير من السفه والحمق الذي استحقوه بسؤالهم هذا، وقد ورد التعبير بالاسم الموصول (الذي) في كل من المأخوذ والمتروك؛ لكونه يختص بالأمر المشتهرة المعروفة، وذلك مما يزيد المعنى تسجيلا عليهم ببيان قبح ما سألوه^(١).

وقوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ {سبأ: ١٦} وهي في الإخبار عن قوم سبأ الذين أنعم الله عليهم بالخيرات وكانت لهم جنتان متسعان،

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/٤٢٨، و: البرهان في علوم القرآن: ٢/٣٤٦، و: روح المعاني: ١/٢٧٥.

فيهما من كل الخيرات والنعم، فأرسل الله لهم الرسل ليؤمنوا به ويشكروه على نعمه، فما كان منهم إلا أن قابلوا هذا الإحسان بالإعراض والنكران، فعاقبهم الله بأن أرسل عليهم سيل العرم فأهلك جنيتهم وتحولت إلى جنتين من شجر لا ينفعهم خلافا لما كان عندهم، ويأتي توظيف مادة (بدل) في نظم الآية بدلالات بلاغية تتناسب مع بيان حال المعرضين وعقابهم، فقال: ﴿وَيَدَّلُ لَهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾ والتبديل هنا بمعنى التغيير والتحويل وهو يدل على معنى التغيير من جهتين: الأولى إفادة تغيير الصفات الحسنة إلى صفات قبيحة، والثانية: إفادة معنى إحلال جنة أخرى مكان الجنة السابقة بما يصور قوة العقاب الذي حل بهم فتغيرت في أوصافها حتى أصبحت جنة أخرى، كما تدل الواو العاطفة (وبدلناهم) بعد العطف بالفاء في كل من (فأعرضوا) و (فأرسلنا) على سرعة العقاب الذي حل بهم بما يجلي قوة الله تعالى في مجازاته إهلاكا وعقابا، إضافة إلى ما يدل عليه تضعيف الفعل (بدلناهم) من زيادة في المعنى للفعل الماضي، الذي يفيد تأكيد نفوذ أمر الله تعالى في الأمم السابقة المعرضة، وهو متجانس مع فعلي الإعراض والإرسال بما يتناسب في الدلالة على الإخبار عن أحوال الأمم السابقة وعقابهم، ومما يزيد المعنى تنكيلا وتسجيلا تسمية العقاب المتمثل في خراب الأرض ودمارها بجنتين مشاكلة لجنتيهما اللتين حل بهما التغيير؛ تذكيرا بما كان لديهم من نعم عظيمة وتهكما بحالهم حينما أعرضوا وتكبروا، وقد جاءت هذه المشاكلة متأزرة مع دلالة التبديل مادة وصيغة؛ ليقع العقاب موقعه من العظة والاعتبار^(١).

وفي نهاية هذا المبحث الذي تناول توظيف مادة (بدل) في نظم القرآن الكريم يتجلى أن التبديل يحمل في دلالاته المعجمية معانٍ متعددة تتمثل في الدلالة الأصلية وهي جعل شيء مكان شيء أو تغيير صفاته مع بقاء عينه، والدلالات المجازية ممثلة في

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١٦٩/٦، و: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١٢٧/٧، و: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٩٩/٣.

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

التغيير والتحويل والإذهاب والإعراض والنقض والاتخاذ والاختيار والإيعاض، فأضفت بثرائها المعنوي متضافرة مع دلالة الصيغ الصرفية بين الأسماء والأفعال، وتفاعلها مع الظواهر البلاغية في نظم الآية، حيث تعطي دلالات مخصوصة تتلاءم مع المقام الذي ترد فيه؛ بما يكشف شيئاً من مظاهر التناهي في سمو بلاغة القرآن الكريم ودقة نظمه. وعند النظر في ورود مادة(بدل) في نظم القرآن بمعنى إحلال شيء مكان شيء، وبمعنى تغيير الشيء عما كان عليه في صورة جديدة، يمكن أن تتميزها به عن مادة(شرى) التي تختص بالتغيير على وجه الترك بالرغبة في المأخوذ في(اشترى) والرغبة عن المتروك بمعنى البيع، دون تغيير صفات المتروك؛ ولذلك جاء توظيف الشراء بمعنى التبديل في بعض مواضع النظم القرآني لإفادة معنى الرغبة مع التغيير، ولم يرد التبديل بمعنى الشراء لعدم قصد دلالة الرغبة في توظيفه، ولعل ما تختص به مادة(بدل) من دلالة على الإحلال والتغيير في الصفات معاً، يعلل السر في كونها تختص بمقام بيان عظمة الله وقدرته خصوصاً ما يتعلق بالحديث عن عظمة الله في نفي التبديل لسنته وكلماته، وإثبات عدله، وتبديل الخلق، والأرض والسماوات، وأما مقامات الترغيب والترهيب، والأحكام الشرعية، والقصص القرآني، فقد وردت فيها المادتان كلتاهما وفقاً لما تقتضيه المقامات من توظيف لهما.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث الذي تناول التوظيف البلاغي لمادتي (شري) و(بدل) في النظم القرآني، لما بينهما من اتفاق في عموم الدلالة، واختلاف مخصوص يؤكد تفرد كل منهما بدلالات بلاغية تتضافر مع نظم القرآن لتحقيق المعنى الدقيق وفقا للمقام الذي تردان فيه؛ لا بد من ذكر أبرز النتائج التي توصل إليها وهي على النحو الآتي:

(١) تتفق مادتا (شري) و(بدل) في بعض الدلالات العامة كالعوض والمماثلة والاختيار، وتختص كل منهما بدلالات دقيقة بحسب طبيعتها اللغوية ووفق ما يقتضيه المقام؛ ولذلك يرد التعبير بالشراء عن التبديل في بعض الأساليب القرآنية؛ لمقصد دلالي خاص يتمثل في اكتساب مادة التبديل معنى من دلالات مادة الشراء، وفي المقابل لا يرد التعبير بالتبديل عن الشراء؛ لأن كل شراء تبديل وليس العكس.

(٢) تختص مادة (شري) بالدلالة على الاستحباب والرغبة والتمسك، وقد جاء توظيفها في نظم القرآن الكريم في مقاماتها بما تضيفه من هذه الدلالات الخاصة، وهو ما تتميز به عن مادة (بدل) التي تفيد التغيير إحلالا، أو تغييرا في الصفات، وتختص بدلالاتها على الإعراض والإبطال وقد وردت في مقاماتها التي تقنضي ذلك.

(٣) جاءت مادة (شري) في النظم القرآني بصيغة الفعل الماضي والمضارع، ولم ترد بصيغة الاسم؛ لكونها مرتبطة بالتعاملات المادية، والقلبية العقدية فكان من المناسب توظيفها بصيغة الفعل لتحقيق الدلالة التفاعلية وفقا للمعنى المراد، كما جاءت بدلالاتها الحقيقية على الشراء، ودلالاتها المجازية وهي الأكثر، وجاءت مادة (بدل) بصيغة الفعل الماضي والمضارع والأمر والفعل الذي لم يسم فاعله، وصيغة الاسم على هيئة المصدر واسم الفاعل، وذلك بالتنوع الدلالي بين الدلالة الأصلية، والدلالة المجازية.

٤) كان لتوظيف فعلي (شرى) و(بدل) بين تعدي الفعل بنفسه وبحرف الباء، أثره الدلالي في تكوين معنى دقيق يستدعيه مقصد الآية الكريمة، كما جاء تنوع التراكيب فيهما بين ذكر متعلقيهما (المتروك والمأخوذ) أو حذف أحدهما وذكر الآخر، بدلالات بلاغية دقيقة تسهم في بيان المعنى المراد.

٥) يتنوع الثمن المتروك في مادة (شرى) في نظم القرآن بين الثمن المعروف بالمال، وبين العروض والسلع غير الأثمان، فإذا تعدت بالباء وكان الثمن مالا فإن الباء تدخل على الثمن المتروك، وإن كان من العروض غير المال فيجوز دخولها على أحد من المتروك والمأخوذ، أما مادة (بدل) فيكون المتروك فيها ليس من الأموال، وإنما من أشياء أخرى تدخل في العروض، وتدخل الباء عند تعدي فعلها على أحد من المتروك والمأخوذ.

٦) تختص مادة (شرى) بمعنى التمسك في الشيء والرغبة، بينما تختص مادة (بدل) بمعنى الإحلال للشيء وتغييره كاملا، أو تغيير صفاته مع بقاء عينه.

٧) كان لتنوع الصيغ في مادتي (شرى) و(بدل) في نظم القرآن الكريم أثره الدلالي الذي يتضافر مع الظواهر البلاغية في تحقيق المعنى المراد.

٨) وظف البيان القرآني مادتي (شرى) و(بدل) في مقامات متنوعة، حيث أسهمت المادتان في تحقيق معنى الحث والتأكيد في مقام الترغيب، وتحقيق التحذير والندارة في مقام التهيب، وإيضاح الأحكام وغايتها، وحفظ الحقوق في مقام الأحكام الشرعية، وتحلية مقاصد القصص وتحقيق معنى العبرة والعظة في مقام القصص، وبيان عظمة الله تعالى والاستدلال على عزته وجلاله في مقام بيان عظمة الله وقدرته، وهو المقام الذي اختصت به مادة (بدل) وكثر ورودها فيه.

هذا والله أسأل التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع:

- الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- الأندلسي، ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (د.ت.د.ط).
- الحموي الفيومي أبو العباس، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت (د.ت.د.ط).
- الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي - القاهرة (د.ت.د.ط).
- الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، دار صادر - بيروت (د.ت.د.ط).
- الرازي أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م (د.ط).
- الرازي محمد بن عمر بن الحسن، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

التوظيف البلاغي لمادتي (شري) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسات والترجمة والنشر- حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١ هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (د.ط).

الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

أبو زهرة، محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، (د.ت د. ط).

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

الطبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطبي على الكشاف)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس-١٩٨٤م (د.ط).

عبد الله، عايد محمد، دلالة فعلي البيع والشراء في القرآن الكريم، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد العاشر، ٢٠١١م.

العمادي، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي-بيروت (د.ت).

العمارة أنس، مقال بعنوان: (الفرق بين شري واشتري في التعبير القرآني) الموقع الإلكتروني الموسوم بـ (إعجاز القرآن والسنة- الإعجاز اللغوي والبياني-) على الرابط: <https://2u.pw/3G3vA>

الفراء أبو زكريا، يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى (د.ت).

القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب-القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠م.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت (د. ت. د. ط).

Bibliography

- Al-Azhari, Muhammad bin Ahmad, Tahdhib al-Lughah, edited by: Muhammad Awad Mur'eb, Dar 'Ihya' al-Turath al-'Arabi - Beirut – 1st Edition, 2001.
- Al-Alusi, Mahmoud bin Abdullah, Ruh al-Ma'ani Fi Tafsir al-Qur'an al-'Azim Was-Sab'e al-Mathani, edited by: Ali Abdul-Bari Atiyyah, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1st Edition, 1415 AH.
- Al-Andalusi, Ibn Atiyyah, Abdul Haq bin Ghalib, Al-Muharrar al-Wajiz Fi Tafsir al-Kitaab al-Aziz, edited by: Abdus-Salam Abdus-Shafi Muhammad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1st Edition, 1422 AH.
- Al-Andalusi, Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf, Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir, edited by: Sidqi Muhammad Jamil, Dar al-Fikr - Beirut, 1420AH edition.
- Al-Biqā'ei, Ibrahim bin Umar bin Hassan, Nazm al-Durar fi Tanasub al-Aayaat was-Suwr, Dar al-Kitab al-Islami, Cairo, (without publication date nor edition).
- Al-Hamawi Al-Fayyumi Abu al-Abbas, Ahmad bin Muhammad, Al-Misbah al-Munir fi Ghareeb al-Sharh al-Kabeer, Al-Maktabah al-'Elmiyyah – Beirut, (without publication date nor edition).
- Al-Khatib, Abdul Karim Yunus, Al-Tafsir al-Qur'ani lil-Qur'an, Dar al-Fikr al-Arabi – Cairo, (without publication date nor edition).
- Al-Khafaji, Shihab al-Din Ahmad bin Muhammad, Hashiyat al-Shehab ala Tafsir al-Baydawi entitled ('Enayat al-Qadi wa Kifayat al-Radi ala Tafsir al-Baydawi), Dar Sādir – Beirut, (without publication date nor edition).
- Al-Razi Ahmad bin Faris, Mu'jam Maqayis al-Lughah, edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar al-Fikr, 1399 AH - 1979 (without edition No.).
- Al-Razi Muhammad bin Umar bin Al-Hassan, Mafatih al-Ghayb (al-Tafsir al-Kabir), Dar 'Ihya' al-Turath al-'Arabi - Beirut, 3rd edition - 1420AH.
- Al-Rāghib al-Asfahani, Al-Hussein bin Muhammad, Al-Mufradat fi Ghareeb al-Qur'an, edited by: Safwan Adnan Al-Daudi, Dar al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya – Damascus, Beirut, 1st Edition: 1412 AH.

- Al-Rāghib, Abdus-Salam Ahmad, Wazifat al-Suwhrah al-Fanniyyah fi al-Qur'an, Fussilat for Studies, Translation and Publishing - Aleppo, 1st Edition, 1422 AH - 2001.
- Al-Zarkashi, Muhammad bin Bahadir bin Abdullah, Al-Burhan fi 'Ulum al-Qur'an, Dar Al-Ma'rifah- Beirut, 1391 AH, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, (without edition No.).
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Umar bin Ahmad, Al-Kashaaf 'An Haqayiq Ghawamid al-Tanzil, Dar Al-Kitab al-Arabi - Beirut, 3rd edition - 1407 AH.
- Abu Zuhra, Muhammad bin Ahmad, Zahrat al-Tafasir, Dar al-Fikr al-Arabi, (Without Publication Date Nor Edition).
- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir bin Yazid, Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an, edited by: Ahmad Muhammad Shakir, Al-Risala Foundation, 1st edition, 1420 AH - 2000.
- Al-Taibi, Sharaf al-Din al-Hussein bin Abdullah, Futuh al-Ghayb fi al-Kashf 'An Qina' al-Raib (Hashiyat al-Taybi 'Alaa al-Kasshaf), Introduction edited by: Iyad Muhammad Al-Ghouj, Study section edited by: Dr. Jamil Bani Ata, General Supervisor of the Scientific Printing of the Book: Dr. Muhammad Abdur-Rahim Sultan Al Ulama, Dubai International Noble Qur'an Award, 1st edition, 1434 AH - 2013.
- Ibn Ashour, Muhammad Al-Tahir, Al-Tahrir wat-Tanwir, Tunisian Publishing House, Tunis-1984 AH (Without Edition No.).
- Abdullah, Ayed Muhammad, Dalalat Fi'lay al-Ba'e was-Shirā' fi al-Qur'an al-Karim, Journal of Kufa Studies Center, Issue 10, 2011.
- Al-Emadi, Abu Al-Saud, Muhammad bin Muhammad bin Mustafa, 'Irshad al-Aql al-Salim 'ilaa Mazaya al-Kitaab al-Karim, Dar 'Ihya' al-Turath al-'Arabi - Beirut (Without Publication Date).
- Al-Amayirah Anas, Article entitled: (Al-Farq bayna Sharā wa Ishtarā fi al-Ta'bir al-Qur'ani), the website tagged as (The Miracles of the Qur'an and Sunnah - Linguistic and Verbal Miracles-) via the link: <https://2u.pw/3G3vA>.
- Al-Farr'a Abu Zakariyya, Yahya bin Ziyad, Ma'ani al-Qur'an, edited by: Ahmad Yusuf Al-Najati, Muhammad Ali Al-Najjar and Abdul-Fattah Ismail Al-Shalabi, Dar Al-Misriyyah for Authoring and Translation - Egypt, 1st Edition, (Without Publication Date).
- Al-Qurtubi, Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr, Al-Jami'e li'Ahkam al-Qur'an (Tafsir al-Qurtubi), edited by: Ahmad Al-

التوظيف البلاغي لمادتي (شرى) و(بدل) في النظم القرآني، د. عبد المجيد بن محمد الصاعدي

Baradouni and Ibrahim Atfiesh, Dar al-Kutub al-Misriyyah - Cairo, 2nd Edition, 1384 AH - 1964.

Muhammad Hassan Hassan Jabal, Al-Mu'jam al-Ishtiqaqi al-Mu'assali'-Alfaz al-Qur'an al-Karim, Maktabat al-Aadab- Cairo, 1st Edition, 2010.

Al-Mat'ani, Abdul Azim Ibrahim Muhammad, Khasayis al-Ta'bir al-Qur'aani Wasimatuhu al-Balaghiyyah, Maktabat Wahbah, 1st Edition, 1413 AH - 1992.

Al-Naisaburi, Muslim bin al-Hajjaj, Sahih Muslim, edited by: Muhammad Fuad Abdul-Baqi, Dar 'Ihya' al-Turath al-'Arabi - Beirut (without publication date nor edition).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة
دراسة تحليلية

The Rhetorical Subtleties
in the final verses of Surah Al-Baqarah
An Analytical Study

د. محمد وسيم خان

عضو هيئة التدريس بجامعة حائل

البريد الإلكتروني: waseemalmohammadi@gmail.com

المستخلص

يتلخص هذا البحث في النقاط التالية:

- اشتمل هذا البحث على مقدمة أشاد فيها الباحث بأهمية الموضوع، وبين أسباب اختياره، وتحدث عن الدراسات السابقة للموضوع، وهدف البحث، وخطته، والمنهج المتبع فيه، وختمها بكلمة الشكر.
 - ثم انقسم البحث إلى مبحثين لدراسة لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة دراسة تحليلية.
 - تناول البحث لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة شرحاً وتحليلاً، وتتلخص في الإضافة، والتعبير بالماضي دون المضارع، والالتفات، والجمع، والتقديم والتأخير، والقصر، والفصل، والإطناب، والتشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل، والكناية، والطباق والمقابلة، والجمع والتفصيل، وذلك في ضوء أقوال المفسرين والمعربين، وكلام أهل البلاغة والبيان وغيرهم، من المعنيين باللغة العربية والقرآن الكريم.
 - انتهج البحث المنهج الوصفي التحليلي، محاولاً من خلاله الوصول إلى الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه، وهو دراسة لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة دراسة تحليلية، والكشف عن جمالياتها، والإبانة عن دورها في تأدية المعنى المقصود.
 - انتهى البحث بعد الدراسة والتحليل إلى نتائج تم رصدها في الخاتمة.
 - في نهاية البحث وُضع فهرسان مهمان: قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات؛ ليسهل الاستفادة منه.
- الكلمات المفتاحية: خواتيم - بلاغة - دلالات - خصائص - التصوير.

Abstract

This research may be summarized into the below points:

This research consisted of an introduction in which the researcher has described the importance of the topic, explained the reasons for choosing it, talked about the previous studies on the subject, the aim of the research, its plan and the methodology followed, and has concluded it with the words of thanks.

Then the research is divided into two sections for the study of the phenomena of the rhetorical subtleties in the final verses of Surah Al-Baqarah, an analytical study.

The research explains and analyses the rhetorical subtleties in the final verses of Surah Al-Baqarah, which are summarized in the genitive construction, use of the perfect tense instead of the imperfect tense, al-Iltifāt (reference swithching), plural, anastrophe, confinement, separation, elaboration, figures of speech, metaphor, synecdoche, allusion, antithesis & comparison, addition & separation in light of the sayings of the interpreters and the Grammarians, the sayings of the scholars of rhetoric, and others concerned with the Arabic language and the noble Qu'rān.

The research followed in its study the descriptive analytical method, through which it tried to reach the goal that it seeks to achieve, which is the study of the phenomena of the rhetorical subtleties in the final verses of Surah Al-Baqarah, an analytical study, and unmasking its aesthetics, and demonstrating its role in conveying the intended meaning.

After the study and analysis, the research comes up at the end with conclusions that have been written in the concluding part of the research.

At the end of the research two important indexes were attached: a list of sources and references, and an index of topics, so that the benefitting becomes easy.

Keywords: Endings- Rhetoric- Meanings- Characteristics- Portraying.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه دراسة تحليلية لجوانب البلاغة ولطائف البيان في خواتيم سورة البقرة، تحاول كشف بعض ما فيها من أسرار البيان، وجمال الأسلوب، وبلاغة التعبير، استعنت فيها بالله ثم بالنظر في كتب علماء التفسير، واللغة، ومن عنوا ببيان جماليات التعبير القرآني.

وقد تناولت فيه لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة، التي برزت في أساليبها، فحاولت الكشف عن دورها في الإبانة عن المقصود، وأثرها في تحقيق المراد من الكلام الرباني. وقد قمت فيه بالتحليل والشرح والبيان والكشف عما في هاتين الآيتين العظيمتين من بلاغة وبيان.

وخواتيم سورة البقرة من الآيات العظيمة التي أشاد بفضلها النبي صلى الله عليه وسلم حيث جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم، سمع نقيضا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: (هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته)^(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعطيت خواتيم سورة البقرة من بيت كنز من تحت العرش، ولم يعطهن نبي قبلي)^(٢).

(١) القشيري، مسلم بن الحجاج، «الصحیح للإمام مسلم»، ت: محمد فؤاد عبد الباقي،

القاهرة، مصر، دار الحديث، ط/١، ١٤٠٤هـ، (١/٥٤٤)، برقم: (٨٠٦).

(٢) الشَّيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، «المسند»، ت: مجموعة من الباحثين،

والمقصود من خواتيم سورة البقرة في حديث ابن عباس، وحديث أبي ذر - رضي الله عنهما - الآيتان الأخيرتان منها، ابتداء من قوله تعالى: (آمن الرسول...) إلى نهاية السورة: (القوم الكافرين)، كما أشار إليه حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ حيث قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه)^(١). وهما المقصودتان بخواتيمها في الروايات الأخرى كما ذكر ذلك شُراح الحديث^(٢). وبينهما صلة ظاهرة وعلاقة قوية واضحة؛ إذ نزلتا معا، واشتملتا على جوامع الدعاء، وقد وضّحتُ المناسبة بين الآيتين، وأجزائهما في بحث مستقل تتناول بلاغة المناسبة في خواتيم سورة البقرة.

وهاتان الآيتان كما أنهما عظيमतان في الفضل والأثر، فإنهما كذلك في الدلالة والبلاغة والبيان، فقد اشتملتا على لطائف بلاغية جمّة، وأسرار بلاغية كثيرة، وحملتنا من دقائق النظم وأسرار البيان، وتميزتا ببديع التناسب وروعة المناسبة.

وقد وفقني الله - عزّ وجلّ - لدراسة هاتين الآيتين دراسة بلاغية بالتفصيل والتحليل في ثلاثة بحوث، فخصصت هذا البحث بخصائص التراكيب، ودقائق التصوير وجماليات التعبير، وتناولت فيه أبرز الجوانب البلاغية والملامح البيانية المتمثلة في الإضافة، والتعبير بالماضي دون المضارع، والالتفات، والجمع، والتقديم والتأخير، والقصر، والفصل، والإطناب، والتشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل، والكناية، والطباق

=

بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط/٢، ١٤٢٠هـ، (٢٧٤/٣٥-٢٧٥)، برقم: (٢١٣٤٥)، وإسناده صحيح.

(١) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، «الجامع الصحيح»، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، لبنان، دار طوق النجاة، ط/١، ١٤٢٢هـ، (٥٤٤/١)، برقم: (٨٠٧).

(٢) ينظر: القارئ، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد الملا الهروي، «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، بيروت، لبنان، دار الفكر، ط/١، ١٤٢٢هـ، (٥٠٧/٦).

والمقابلة، والجمع والتفصيل.

كما جعلت بحثا آخر لدراسة ما في الآيتين من بلاغة الحروف، والألفاظ والتراكيب، واختلاف الإعراب، وتنوع القراءات. وخصصت بحثا ثالثا ببلاغة المناسبة بأنواعها المختلفة في خواتيم سورة البقرة.

وقد رجعت في دراسة هذه اللطائف والمظاهر البلاغية إلى كتب التفسير، والإعراب، والمعاجم، والبلاغة، والمؤلفات الأخرى التي عنيت بدراسة هاتين الآيتين العظيمتين دراسة بيانية تكشف عن جماليتهما. وحاولت أن أقوم بدراسة مظاهر بلاغية ولطائف بيانية في خواتيم سورة البقرة دراسة تحليلية، كاشفا عما فيها من جمال الأسلوب وروعة البيان، ووفقت عندها حسب ما ساعدني فهمي في ضوء أقوال العلماء من المفسرين واللغويين. وهو في الحقيقة جهد متواضع شاركت به في خدمة هذا الكتاب العظيم، وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم القبول.

أهمية الموضوع: يكفي لأهمية هذا الموضوع أنه متعلق بالقرآن الكريم، بل بآيتين عظيمتين من آيات القرآن العظيم، يكشف عن بعض ما اشتملنا عليه من المعاني الجليلة، والمطالب العالية، وينقب عن بعض ما احتوتنا عليه من ألوان البلاغة والبيان، وتتلخص أهميته في النقاط التالية:

١. أن الموضوع متصل بالقرآن الكريم اتصالا مباشرا يبحث فيه، ويكشف عن بعض جمالياته.

٢. أنه متعلق بآيتين عظيمتين من آيات كتاب الله، وهما خواتيم سورة البقرة.

٣. أنه يبحث في جانب يتصل بإعجاز القرآن الكريم.

٤. هذه دراسة تحليلية للمظاهر البلاغية في خواتيم سورة البقرة، والدراسات التحليلية لسور القرآن توضحها للقارئ أحسن توضيح، وتقربه إلى ما فيها من المعاني والبيان المعجز أحسن تقريب، كما تنمي الذوق وتربيته أحسن تربية.

أسباب اختيار الموضوع: هذه الأسباب السابقة الكاشفة عن أهمية هذا الموضوع، ورغبتني في دراسة هاتين الآيتين العظيمتين دراسة تحليلية تنمي الذوق،

وتساعدني على الوقوف عند دقائق القرآن اللغوية والبلاغية، وجماليات القرآن البيانية؛ دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع للدرس والبحث.

أهم الدراسات السابقة: لم أقف على دراسة بلاغية خاصة بخواتيم سورة البقرة.

هدف البحث: يهدف هذا البحث إلى دراسة الجوانب البلاغية والمظاهر البيانية في خواتيم سورة البقرة، والكشف عن جمالياتها، والإبانة عن دورها في توضيح المراد، وتأدية المعنى المقصود.

خطة البحث: اشتملت خطة البحث على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس. **المقدمة:** وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجه، وكلمة الشكر.

المبحث الأول: خصائص التراكيب، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الإضافة.

المطلب الثاني: التعبير بالماضي دون المضارع.

المطلب الثالث: الالتفات.

المطلب الرابع: الجمع.

المطلب الخامس: التقديم والتأخير.

المطلب السادس: القصر.

المطلب السابع: الفصل.

المطلب الثامن: الإطناب.

المبحث الثاني: دقائق التصوير وجماليات التعبير، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: التشبيه.

المطلب الثاني: الاستعارة.

المطلب الثالث: المجاز المرسل.

المطلب الرابع: الكناية.

المطلب الخامس: الطباق والمقابلة.

المطلب السادس: الجمع والتفصيل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال البحث والدراسة.

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

الفهرس: ويشتمل على قائمة المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث: اتبعت في دراسة هذا الموضوع المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك لإبراز لطائف بيانية في خواتيم سورة البقرة، والكشف عنها بعد التأمل فيها، مع شرحها وتوضيحها، وبيان ما لها من أثر واضح في أداء المقصود الرباني، وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع من كتب التفاسير، واللغة، والبلاغة، والبيان. وقمت في أثناء تطبيقه بمراعاة ضوابط البحث العلمي كما يلي:

١- خرّجت الآيات القرآنية بذكر السورة والآية.

٢- خرّجت الأحاديث النبوية من مصادرها.

٣- وثقت المسائل اللغوية والبيانية والبلاغية من مصادرها.

٤- اعتمدت في الشرح والتحليل على مصادر التفسير واللغة والبلاغة والبيان، ومراجعتها.

٥- ضبطت ما يحتاج إلى ضبط.

٦- راعيت القواعد الإملائية الحديثة في كتابة البحث.

٧- وضعت علامات الترتيب في مكانها المناسب.

كلمة الشكر: أشكر الله عز وجل أولاً وآخراً على ما وفقني للقيام بهذا العمل المبارك المتعلق بكتابه العزيز.

كما أقدم جزيل الشكر ووافر الامتنان لكل من له يد بيضاء كريمة في إخراج هذا العمل في هذه الصورة، فجزاهم الله أيضاً خير ما يجازي به عباده الصالحين. وفي الحتام أدعو الله أن يرزقني الفهم والبصيرة، ويهديني إلى الصراط المستقيم، ويجعل القرآن ربيع قلبي، ويثبتني على تلاوته، والتأمل فيه، ويلهمني رشدي، ويوفقني لما يحبه ويرضاه.

كما أدعو الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، ويرزقه القبول، ويوفقني، ويسعدني في الدنيا والآخرة. إنّه ولي التوفيق.

المبحث الأول: خصائص التراكيب

المطلب الأول: الإضافة

الإضافة لا تقتصر على إفادة التعريف أو التخصيص، ولا تنحصر في إفادة المالك والتبعية؛ بل تتجاوز ذلك إلى ما هو أرفع منه، فتفيد التعظيم والتكثير والتحقير والتقليل والاستعطاف، إلى غير ذلك من الفوائد واللطائف تُستنبط من سياق الكلام وظروف الأحوال^(١).

وقد حملت خواتيم سورة البقرة دقائق الإضافة ولطائف الإسناد في أسلوبها المتين المعجر، ومن ذلك:

أولاً: الإضافة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا﴾ في جميع المواضع من خواتيم سورة البقرة: قال ابن فارس: (الراء والباء يدل على أصول. فالأول لإصلاح الشيء والقيام عليه. فالرب: المالك، والخالق، والصاحب. والرب المصلح للشيء. يقال: رب فلان ضيعته، إذا أقام على إصلاحها...)^(٢).

والرب: المالك، والسيد، والمرئي، والقيّم، والمنعم^(٣).

فرّبنا: مالكننا وسيدنا، ومرّبينا، والمنعم علينا.

وقد تكررت كلمة الرب مضافة إلى ضمير الجمع المتكلم (ربنا) في خواتيم سورة

(١) ينظر: القزويني، محمد بن عبد الرحمن الخطيب، «الإيضاح»، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، ط/١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، (١/٩١-٩٢).

(٢) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، «مقاييس اللغة»، ت: عبد السلام محمد هارون، بيروت، لبنان، دار الجليل، ط/١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، مادة "رب" (٢/٣٨١).

(٣) ينظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور، «لسان العرب»، بيروت، لبنان، دار صادر، ط/٣، ١٤١٤هـ، مادة "رب" (٥/٩٥).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

البقرة أربع مرات، وهي تحمل هذه المعاني كلها فيها، وكأن المؤمنين حينما خاطبوا ربهم في سياق الدعاء، أظهروا عجزهم وانكسارهم، وحاجتهم واحتياجهم إليه، فقالوا: يا مالكننا وسيدنا ومربينا والمنعم علينا.

ثم في كلمة الرب إيجاءات ودلالات أخرى، فهي تدل على أنه رب المؤمنين القائم على أمورهم، المدبر لشؤونهم، المصلح لأحوالهم، المنعم عليهم. وهو سيدهم، ومالكهم، وخالقهم، ورازقهم، يسمع لهم، ويعلم بهم، إلى آخر ما هو من صفات الرب الذي يملك ناصية مربوبه. فكأنهم قالوا مخاطبين ربهم ملتجئين إليه في كل دعائهم متضرعين: اغفر لنا يا من هذه صفاته! لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا يا من هذه صفاته! ولا تحمِل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا يا من هذه صفاته، ولا تحمِلنا ما لا طاقة لنا به يا من هذه صفاته.

كذلك فإن في كلمة الرب دلالة على أنهم محتاجون ومفتقرون إليه افتقارا تاما، كما يفتقر المربوب إلى ربه^(١)، فكأنهم قالوا في كل مرة: يا من نحتاج وفتقر إليه افتقارا تاما. وفيه من الاستعطاف ما لا يخفى!

كما أن في قولهم: (ربنا) ردا على اليهود الذين يدعون أن الله رب بني إسرائيل خاصة، وليس رب الخلق الآخرين من البشر، ففي تكرار قولهم: (ربنا) رد عليهم بأنه ربهم كما هو رب العالمين.

ثم في إضافة (الرب) إلى ضمير المؤمنين شرف لهم وافتخار، وعز لهم وكرامة؛ فإن من كان ربه يتصف بهذه الصفات العظيمة الجليلة والجميلة فأى شرف لهم بعد ذلك؟ فإنه سيدهم ومالكهم وخالقهم ورازقهم، يدبر شؤونهم وأمورهم، ويأخذ بناصيتهم،

(١) ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، «التفسير الكبير = مفاتيح الغيب»، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط/٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، (١/١٨٧).

ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

فقد جمعت هذه الإضافة على وجازتها من معاني الاستعطف والشرف والتعظيم ما لا يخفى.

ثانياً: الإضافة في (غفرانك) في قوله تعالى: ﴿غُفْرَانِكَ رَبَّنَا﴾؛ حيث أُضِيفَتْ كلمة الغُفْران إلى الضمير المخاطب به رب المؤمنين ورب العالمين. وكلمة الغفران على وزن فُعْلان، وفُعْلان من الصَّيغ التي تحمل في معناها المبالغة، وتعطي معنى الشمول والامتلاء؛ ليكون غفراً للظاهر والباطن، فهو مصدر محيط المعنى، نازل منزلة الاستغفار الجامع لما أحاط به الظاهر والباطن^(١). ومعنى (غفرانك): اغفر لنا غفرانك، أو نستغفرك غفرانك، أو نسألك غفرانك. فهو في الأول مصدر يخص نوع الغفران بأنه غفران الرب، وفي الثاني مؤكّد لمعنى الغفران الذي يحمل فعل (نستغفر) المقدر، وفي الثالث مفعول للفعل (نسال)^(٢). وفي الجميع فالغفران غفران خاص، وهو غفران الرب، وهنا تكمن بلاغة الإضافة؛ حيث أكسبت الغفران معنى خاصاً، وألقت عليه رداء العظمة، وألبسته لباس الفخامة والشمول، فأصبح الغفران غفراناً عظيماً؛ لأنه يصدر من ربه العظيم الذي يتصف

(١) البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، القاهرة، مصر، مكتبة ابن تيمية، ط/٣، ١٤٢٧هـ، (٤/١٧٢).

(٢) ينظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، «معاني القرآن»، ت: محمد علي النجار وزملاء، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة، ط/١، د. ت، (١/٢٠٧)، والحلي، أحمد بن يوسف السمين، «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون»، ت: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق، سوريا، دار القلم، طبع في عدة سنوات، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (٢/٦٩٦)، والبقاعي، نظم الدرر (مرجع سابق) (٤/١٧٢).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

بالكمال والشرف والجلال والجمال، وكذلك ما يصدر منه، فكأن المؤمنين طلبوا من ربهم أن يعاملهم بما هو أهله لا بما هم أهله، ويمنحهم غفرانا يمحو جميع ذنوبهم، ويحيط بظواهرهم وباطنهم^(١).

والإضافة هنا تحمل أيضا معنى آخر، هو أن المؤمنين حينما قالوا: (غفرانك ربنا) فكأنهم قالوا: ربنا نطلب الغفران منك وأنت الكامل في هذه الصفة، والمرجو من الكامل في صفة أن يعطي عطية كاملة، فقلوه: (غفرانك) طلب لغفران كامل، وما ذلك إلا بأن يغفر جميع الذنوب بفضله ورحمته، ويبدلها بالحسنات. فالمراد من قوله: (غفرانك) هو ذلك الغفران الكبير، وطلب الغفران الذي لا يمكن ظهور أثره إلا في حقي، وفي حق أمثالي من المجرمين، وكأن العبد يقول: هب أن جرمي كبير، لكن غفرانك أعظم من جرمي^(٢).

وفي إضافة الغفران إلى ضمير الخطاب المعنيّ به الرب نكتة أخرى دقيقة، هي أن الرب هو المالك والسيد والمربي والمنعم كما سبق، فكأنهم قالوا: اغفر لنا غفرانك العظيم الشامل للظاهر والباطن يا مالكننا وسيدنا ومربينا والمنعم علينا.

وكذلك الأمر في دلالات كلمة الرب التي جاءت تالية للغفران المضاف إلى ضمير الخطاب المقصود به الرب، وإيجاءاتها الأخرى مما مضى ذكره من صفات الخلق والرزق، والقيام على الأمور، والتدبير، والإصلاح، والإنعام، وحاجة المربوب إلى ربه وافتقاره إليه افتقارا تاما وغيرها، فالمؤمنون نادوا ربهم الذي يتصف بهذه الصفات، وكأنهم قالوا: اغفر لنا غفرانك أو نسألك غفرانك يا من هذه صفاته، واغفر لنا يا من نحتاجه ونفتقر إليه افتقارا تاما.

(١) البقاعي، نظم الدرر (مرجع سابق) (١٧٢/٤).

(٢) الرازي، التفسير الكبير (مرجع سابق) (١٤٩/٧).

ومن هنا فقد حملت هذه الإضافة (غفرانك) من معاني العظمة والشمول والاستعطاف والاسترحام ما نرى.

المطلب الثاني: التعبير بالماضي دون المضارع في قوله تعالى: (سمعنا وأطعنا)

من بلاغة الأسلوب في العربية، والتفنن في كلام العرب، التعبير عن الماضي بصيغة المضارع، والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي، فيعبرون عما مضى وغير بصيغة المضارع الدال على الحال؛ لإحضار الواقع وتصوير المشهد أمام أعين المخاطب، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [فاطر: ٩]؛ حيث قال: (فتثير) استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة^(١).

ويعبرون عن الحال والمستقبل بصيغة الماضي تنبيها على تحقق وقوعه، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]^(٢).

ومن الثاني قوله تعالى في خواتيم سورة البقرة: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

ومعنى سمعنا وأطعنا: أي: بلغنا فسمعنا القول سماع وعي وقبول. وأطعنا ما أمرنا به طاعة إذعان وانقياد، معتقدين أن كل أمر ونهي إنما هو لخيري الدنيا والآخرة^(٣).

فلما كان السمع والطاعة من صفات المؤمنين الراسخة، وأصبح ذلك من طبيعتهم -حيث يطيعون الله في السَّراء والضَّرَّاء والمكره والمنشط، ويرضون عنه في جميع

(١) ينظر: القزويني، الإيضاح (مرجع سابق) (١/١٨٠).

(٢) ينظر: القزويني، الإيضاح (مرجع سابق) (١/١٤٧).

(٣) الحجازي، محمد محمود، «التفسير الواضح»، بيروت، لبنان، دار الجيل الجديد، ط/١٠، ١٤١٣هـ، (ص ٢٠٢).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

أحوالهم - عبّروا عنه بلفظ الماضي؛ ليدلّوا على رسوخ ذلك في نفوسهم، وشدة رغبتهم في تنفيذ ما يترتب على السماع من الالتزام الكامل، وكأنّه في ثبوته لديهم وتحقّق وقوعه عندهم أمرٌ قد حصل^(١)، وهذا ما أكّده عطف (أطعنا) على (سمعنا)، الذي يشهد أنه ليس مجرد سماع للسمع، بل هو سماع للانقياد والالتزام والطاعة والتطبيق والتمثيل على أرض الواقع.

المطلب الثالث: الالتفات

الالتفات أسلوب جدّاب، وتفنن في التعبير يشد انتباه القارئ والسماع ويؤثر في المتلقي. وهو من محاسن الكلام، ووجه حسنه أن الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السماع، وأكثر إيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد^(٢).

ولا يقتصر الالتفات على هذه الفائدة المشهورة والعامّة له، وإنما تختص مواضع الالتفات بفوائد أخرى تُستخرج من سياق الكلام.

وفي خواتيم سورة البقرة موضعان من الالتفات يشدّان انتباه القارئ، هما:

أولاً: الالتفات في قوله تعالى: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ

كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾.

والتقدير: يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله؛ مراعيًا لمعنى (كل)، أو: يقول: لا

(١) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، «التحرير والتنوير»، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، د. ط.، د. ت، (١٣٤/٣).

(٢) ينظر: الرّحشري، محمود بن عمر، «الكشاف»، ت: عبد الرزاق المهدي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط/٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، (٥٦/١).

نفرق بين أحد من رسله؛ مراعيًا لفظ (كل)^(١).

وقد حصل هنا التفتات من الغيبة إلى التكلم^(٢)؛ حيث بدأ بصيغة الغائب في (آمن الرسول)، ثم أكد كلامه بـ (كل آمن) بصيغة الغائب أيضا، ثم التفت إلى التكلم في ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾.

وفي هذا الالتفات فائدة أخرى إضافة إلى فائدته العامة التي تكمن في تطرية نشاط السامع، وإيقاظه أكثر للإصغاء، هي تأكيد إيمانهم بالله تعالى، الذي من مقتضياته الإيمان بجميع رسله، وعدم التفرقة بينهم؛ وذلك أنه حينما أخبر بإيمان الرسول والمؤمنين أكد بـ (كل آمن)، ثم أكد ثانيا بـ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ في أسلوب الخطاب. وهذا الكلام تأكيد لما سبق من إيمانهم بالرسول؛ حيث يوضح أن إيمانهم شامل لجميع الرسل، لا يفرق بين أحد منهم، مثل ما يفعل اليهود والنصارى.

ولما كان أمر التفريق بين الرسل في الإيمان أمرا عظيما، وكان موضع خلاف حاسم بين المؤمنين واليهود والنصارى؛ جاء التأكيد في صيغة التكلم هروبا من الغيبة إليه، فكأنه أخبر أولا عن إيمان الرسول والمؤمنين في أسلوب التأكيد، ثم قاموا يعلنون في بصيغة التكلم: أننا لا نفرق في إيماننا بين الرسل، وهي نقطة الخلاف بينهم وبين اليهود والنصارى، فاقتضى السياق أن يكون التأكيد عليه بأسلوب آخر؛ حتى يكون انتباه السامع له أزيد، وإصغائه له أكثر.

وناسبت هنا صيغة التكلم للالتفات من الغيبة إليها مناسبة تامة؛ لأن فيها اعترافا

(١) ينظر: الحلبي، الدر المصون، (مرجع سابق) (٦٩٤/٢).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٣٣/٣).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

وإعلانا صريحا من المؤمنين أنهم لا يفرّقون بين الرسل، فلا يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، كما هو شأن اليهود والنصارى من أهل الكتاب.

وكأنهم قالوا: لا نفعل كما فعل أهل الكتاب قبلنا، الذين آمنوا ببعض الرسل، وكفروا ببعض^(١).

وكأنهم أعلنوا بعد الإخبار عن إيمانهم: نحن لا نفرّق في إيماننا بالرسل بين أحد من رسله، بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما تفعلونه أنتم يا أهل الكتاب، بل نؤمن بهم جميعا، ونصدق بصحة رسالة كل واحد منهم^(٢).

وقيدوا إيمانهم بذلك؛ تحقيقا للحق، وتنصيحا على مخالفة أولئك المفرّقين من الفريقين بإظهار الإيمان بما كفروا به، فلعنة الله على الكافرين^(٣).

وقد جاء في التفسير أن اليهود قالوا للمسلمين: ديننا أقدم من دينكم، وكتابنا أقدم من كتابكم. فأجابهم المسلمون بأننا آمنّا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم، وآمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وأنتم كفرتم ببعض الرسل، فظهرت حجة المسلمين على الكافرين^(٤). وهذا السياق أيضا يؤكد أهمية الالتفات بالتكلم.

(١) ينظر: الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، «معاني القرآن وإعرابه»، ت: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، القاهرة، مصر، دار الحديث، د. ط. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، (١/٣٦٩).

(٢) ينظر: النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، «معاني القرآن»، ت: محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، مطبعة جامعة أم القرى، ط/١، ١٤٠٩هـ، (١/٣٣١)، والآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، «روح المعاني»، ت: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السّلامي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط/١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٦٦/٢).

(٣) الآلوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٦٦/٢).

(٤) ينظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (مرجع سابق) (٣/٤١٩).

ثانياً: الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٣٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿٣٨٥﴾.

وقد حصل فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، ولهذا الالتفات فائدتان عظيمتان علاوة على فائدته العامة:

الأولى: أنهم حينما طلبوا الغفران من ربهم العظيم، واعترفوا بأنه لا مَصِيرَ إِلَّا إِلَيْهِ؛ عُدِلَ بهم عن الخطاب إلى الغيبة بذكر الاسم الأعظم لله عز وجلّ من باب الإعظام والتزلف والتقرب إليه؛ إذ إن من أقرب ما يُتَقَرَّبُ به إلى الملك الإقرار بعظمته، ومناداته بما يشهد بجلاله والهيبة منه - وذلك أصل الطاعات، بل أصل الإيمان كله - وأن له من صفات العظمة والجلال ما يقتضي العفو عن ضعفهم، ولديه من صفات الحلم والرحمة والرفقة ما يرفقه عنهم^(١).

الثانية: أن يكون قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ من قول الله جل في علاه؛ جزاء لهم وإنعاماً على قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، فبشّرهم بذلك أنه لا يحاسبهم بحديث النفس الذي لا عزم فيه، فانتفى ما شقّ عليهم من قوله: ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]^(٢).

المطلب الرابع: الجمع

لقد شاع استخدام صيغة الجمع في خواتيم سورة البقرة، لا سيما الآية الأخيرة منها في دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (مرجع سابق) (٤/١٧٦).

(٢) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (مرجع سابق) (٤/١٧٦-١٧٧).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا
وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٦﴾

وإذا علمنا أن القارئ لهذه الآيات وإن كان واحدا فإنه يخاطب ربه في هذا المقام
مستخدما صيغة الجمع لا محالة، أدركنا أن له سرا، فإذا تأملنا وجدنا أن لهذا
الاستخدام إيجاءات ودلالات، ولطائف بلاغية، منها:

١. أن سياق الكلام اقتضاه؛ لأن الذين يدعون ربهم جماعة المؤمنين، فجاء
الجمع مراعيًا لمقتضى سياق الكلام.

٢. أن المقام مقام دعاء والتجاء، وإظهار افتقار إلى السيد والمالك والمرئي والمنعم،
وإقرار بالحاجة إلى غفرانه وعفوه ورحمته، فأتى فيه بضمير الجمع، أي: نحن
معاشر المؤمنين مقرون لك بالربوبية والألوهية، نستغفرك، ونتوب إليك،
ونسترحم بك.

فقد تضمن ذلك من الثناء على الرب بسعة مجده، وكثرة عباده المؤمنين، وكثرة
طالبي الغفران والعفو والرحمة، ما لا يتضمنه لفظ الأفراد. وإذا تأملنا أدعية
القرآن وجدنا عامتها على هذا النمط.

٣. أن الدعاء كلما كان أعم كان إلى الإجابة أقرب.

٤. فيه دلالة على أن قبول الدعاء عند الاجتماع أكمل؛ وذلك لأن اللهم
تأثيرات، فإذا اجتمعت الأرواح والدواعي على شيء واحد كان حصوله
أكمل^(١).

٥. فيه بث لروح الجماعة، وإشاعة بجمع الكلمة، وتأكيد لمعنى الحديث: (يد الله
مع الجماعة)^(٢)، وإشارة إلى أنه كلما اجتمعت كلمة المسلمين، وتوحدت

(١) الرازي، التفسير الكبير، (مرجع سابق) (١٦١/٧).

(٢) البستي، محمد بن حبان بن أحمد، «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان»، ت: الأرنؤوط،

صفوفهم؛ كانوا أقرب إلى النجاة والفوز بالغفران والعفو والرحمن، وأبعد من الشقاوة والهلاك، وكلما تشتت شملهم، وتمزقت صفوفهم؛ كانوا أبعد من النجاة، وأقرب إلى الهلاك^(١).

المطلب الخامس: التقديم والتأخير

يتألف الكلام من الأسماء والأفعال والحروف، ولكل من هذه الثلاثة مكانه المناسب في إطار الجملة التي تتكون منها، وإذا كانت الجملة تتكون من الإسناد فإن لكل من المسند والمسند إليه في الجملة الاسمية والفعلية مكانه الذي ينضبط مع قانون اللغة ونظمها.

ويقع التقديم والتأخير في أساليب متعددة من الكلام العربي، فيضيف معاني جديدة على المعاني الأصلية التي يدل عليها الكلام من حيث الوضع اللغوي، وتنصب هذه المعاني في العناية التي يُبَيَّن مكانها ومن أين جاءت؟ وقد أدرك العلماء منذ القدم أهمية التقديم والتأخير في الكلام، وما يهدف إليه المتكلم من ورائه من الأهداف، وما يرمي إليه البليغ من الأغراض والمقاصد؛ فقد نصّ سيبويه على أن العرب يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كان الجميع

=

شعيب، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط/٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، (٤٣٧/١٠)،
(٤٣٨)، برقم: (٤٥٧٧)، والألباني، محمد ناصر الدين، «صحيح الجامع الصغير وزيادته»،
الرياض، المملكة العربية السعودية، المكتب الإسلامي، د. ط. د. ت.، (٦٧٧/١)، برقم:
(٣٦٢١).

(١) ينظر: الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي، «بدائع التفسير
الجامع لما فسرہ الإمام ابن قيم الجوزية»، جمعه: يسري السيد محمد، الدمام، السعودية، دار
ابن الجوزي، ط/١، ١٤٢٧هـ، (٤٥١/٢-٤٥٢)، والرازي، التفسير الكبير، (مرجع سابق)
(٢٠٦/١)، والسامرائي، الدكتور فاضل صالح، «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل»،
عمان، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، ط/٤، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، (ص ٥٧).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

يهمهم ويعينهم^(١).

وقد أخذ الإمام عبد القاهر هذا القول وحوّره ووسّع دائرته وأعطاه آفاقاً جديدة لم تعهد قبله^(٢)، وقال مبينا أهميته ومشيرا إلى فضله وعظم شأنه: (هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جُمُّ المحاسن، واسعُ التصرف، بعيدُ الغاية، لا يزال يُفْتَرُّ لك عن بدعةٍ، ويُفضي بك إلى لطيفةٍ، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطفُ لديك موقعه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أن راقَكَ ولطفَ عندك، أن قَدِمَ فيه شيءٌ، وحوّل اللفظَ عن مكانٍ إلى مكانٍ)^(٣).

ومن التقديم اللطيف التقديم الذكري، ومنه في خواتيم سورة البقرة:

أولاً: تقديم (الله) على (الملائكة)، والملائكة على (الكتب)، والكتب على

(الرسول) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ ءَٰمَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ وُجُوهَهُمْ وَأُسْلِيَ﴾ :

فقد قُدِّمَ لفظ الجلالة على جميع ما بعده من أركان الإيمان؛ لأن معرفة الله تعالى هي الأصل لمعرفة بقية أركان الإيمان؛ وذلك لأنه إذا لم يثبت أن للعالم خالقاً قادراً عالماً غنياً، لا يمكن معرفة صدق الأنبياء، فلذلك تقدّم ذكره، وجُعِلَ في المرتبة الأولى. وأما الملائكة فإن الله تعالى يوحي إلى الأنبياء عن طريقهم، فهم الوساطة بين الله والبشر في الوحي وغيره، ولذلك جعل ذكرهم في المرتبة الثانية، وقبل الكتب والرسول. قال الألوسي: "من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بإنزال الكتب وإلقاء الوحي، ولهذا ذُكِرُوا في النظم قبل قوله تعالى: (وكتبه ورسله)"^(٤).

(١) ينظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، «كتاب سيبويه»، ت: عبد السلام محمد هارون، بيروت، لبنان، دار الجيل، ط/١، د. ت. (٣٤/١).

(٢) ينظر: الجرجاني، الإمام عبد القاهر، «دلائل الإعجاز»، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مصر، مطبعة المدني، ط/٣، ١٤١٣هـ، (ص ١٠٨ وما بعدها).

(٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز، (مرجع سابق) (ص ١٠٦).

(٤) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٦٨/٣).

وأما الكتب فهي الوحي الذي يتلقاه الملك من الله تعالى، ويوصله إلى البشر، فُقِّدَ ذكر المتلقِّي على المتلقَّى، ومن ثمَّ تأخر ذكر الكتب عن الملائكة وتقدَّمت على الرسل.

وأما الرسل عليهم السلام، فهم الذين يقتبسون أنوار الوحي من الملائكة، فأصبحوا متأخرين في الدرجة عن الكتب، وجعل الله ذكرهم تالياً لذكر الكتب، وقُدِّم ذكرها عليهم^(١).

ثانياً: تقديم السمع على الطاعة، وتقديمهما على الغفران في قوله تعالى:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ .

فقد قُدِّم السمع على الطاعة، وقُدِّم على طلب الغفران.

فأما تقديم السمع على الطاعة فلأمور:

الأول: أن السمع عام، والطاعة خاص، فُقِّدَ العام على الخاص، وفي ذكر الخاص بعد العام كما هو مقرر لدى البلاغيين عناية بالخاص، وإشادة بأهميته؛ وذلك لأن الطاعة هي المطلوبة، والسمع طريق إليها.

الثاني: أن السمع مقدم على الطاعة؛ فإنه لا تتحقق الطاعة إلا بعد السماع، فُقِّدَ ما هو مقدم في الواقع، وأجر ما هو مؤخر.

الثالث: أن التكليف طريقه السمع؛ إذ هو الوسيلة له، والطاعة تأتي بعده، وهي الغاية من السمع، فُقِّدَت الوسيلة على الغاية.

وأما تقديمهما على طلب الغفران؛ فلأن السمع والطاعة وسيلة لقبول الطلب والسؤال، فُقِّدَت الوسيلة على المسؤول؛ لأن ذلك أقرب إلى الإجابة والقبول^(٢).

(١) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، (مرجع سابق) (١٤١/٧).

(٢) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٦٦/٢).

المطلب السادس: القصر

القصر أسلوب جليل له دوره في تأدية المعنى على الوجه المطلوب، وجعل الكلام موافقا لمقتضى الحال؛ وذلك لأن المتكلم يريد في أحيان كثيرة أن يفرغ شعوره العميق بشيء ما، فينزع إلى التعبير عنه بشكل مؤكّد وقوي، فيكون أسلوب القصر هو الطريق الموحّد لتحقيق هذا الأمر؛ لأنه من أقوى وسائل التأكيد، فتأكد القصر نابغ من ذاته.

كما أن حال المخاطب يتطلب أحيانا إقناعه بفكرة ما، وتمكينها وتقريرها في ذهنه لدفع ما لديه من إنكار أو شك، فيكون الأنسب أن يكون خطابه بهذا الأسلوب المميز في تأكيده، وفي قدرته على الإقناع.

ونرى أن القرآن الكريم والسنة النبوية اعتمدا كثيرا على أسلوب القصر، فساقا كثيرا من الحقائق الدينية والعقدية الكبرى من خلال أدوات القصر؛ لأنها تحتاج إلى قوة وحسم وإيجاز وتأكيد^(١).

والقصر ينقسم إلى عدة أقسام باعتبارات مختلفة، ويتنوع بتنوع الأساليب والطرق المعروفة لها.

وأشهر أقسامه القصر الحقيقي والإضافي، ومن طرقه المعروفة التقديم المفيد للحصر والقصر والتخصيص.

وقد قدّمت خواتيم سورة البقرة نموذجا للقصر الحقيقي يحمل معنى عميقا؛ ليدل على معنى عظيم هو أساس البعث والنشور، ومحور الإيمان باليوم الآخر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾؛ فقدّم الجار والمجرور (إليك) وهو الخبر، على المبتدأ (المصير)؛ لإفادة القصر، أي: لا مصير إلا إليك. وهو قصر حقيقي تحقيقي يؤكد البعث والنشور، ورجوع الخلق إلى خالقهم للحساب والجزاء، ولذلك طلبوا منه

(١) ينظر: الصعيدي، عبد المتعال، «بغية الإيضاح»، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، ط/١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، (٢/٣-٤).

الغفران؛ ليفوزوا برضاه والسعادة الدائمة.

وفي التعبير بـ(المصير) دلالة على أن مرجع كل شيء هو الله جل جلاله، منه بدأ الخلق وإليه يعود، فإن الله غاية كل شيء: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

قال ابن عاشور: (والمصير يحتمل أن يكون حقيقة، فيكون اعترافا بالبعث، وجعل منتها إلى الله؛ لأنه منتبه إلى يوم أو عالم تظهر فيه قدرة الله بالضرورة. ويحتمل أن يكون مجازا عن تمام الامتثال والإيمان. كأنهم كانوا قبل الإسلام آبقين، ثم صاروا إلى الله، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ ط﴾ [الذاريات: ٥٠]. وجعل المصير إلى الله تمثيلا للمصير إلى أمره ونهيه^(١).

والغرض الأساس من الخبر هنا لازم الفائدة^(٢)، وكأنهم قالوا: ربنا نسألك غفرانك العظيم، لأننا نعلم أننا صائرون إليك، ولا نصير إلى غيرك ممن يعبدهم أهل الضلال، فأمرنا إليك، ومنتهانا إلى قدرتك^(٣).

وقد يكون الغرض أيضا إظهار الضعف والتخضع والاحتياج والافتقار، لا سيما وهم في مقام طلب الغفران والعفو والرحمة، فكأنهم قالوا: ربنا نسألك غفرانك؛ لأننا عبادك الضعفاء، الفقراء إلى عفوك ورحمتك، لا ملجأ لنا إلا أنت، ولا مصير إلا إليك. فضلا عن المدح والتمجيد الذي يترشح من مضمون الخبر، فإنهم يعترفون فيه بقدرة الله العظيمة، وبعثهم يوم القيامة، وأن أمرهم إليه جل جلاله، ولا مفر منه ولا

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٣٤/٣).

(٢) للخبر غرضان رئيسان: فائدة الخبر: وذلك إذا كان المخاطب مجهل بمضمون الخبر، وكان الغرض إفادته بذلك. ولازم الفائدة: وذلك إذا كان المخاطب يعلم بمضمون الخبر، وكان الغرض إشعار المتكلم بأنه عالم بالخبر. وللخبر أغراض أخرى. ينظر: القزويني، الإيضاح، مع الصعيدي، بغية الإيضاح (مرجع سابق) (٤١/١).

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٣٤/٣).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

مهرب. وفيه مدح له تعالى، وتمجيد لشأنه جل في علاه، واعتراف بعظمته وكبريائه.

ثم في قوله: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فائدتان أخريان:

الأولى: أن المؤمنين أقروا بالمعاد كما أقروا بالمبدأ؛ لأن الإيمان بالمبدأ أصل الإيمان بالمعاد؛ فإن من أقرَّ بأن الله عالم قادر، وله ما في السموات وما في الأرض، لا بد وأن يقَرَّ بالمعاد والمصير إليه.

الثانية: أن فيه بيانا أن العبد متى علم أنه لا بد من المصير إلى الله تعالى، والذهاب إلى حيث لا حكم إلا حكمه، ولا يشفع أحد إلا بإذنه، كان إخلاصه في الطاعات أتم، واحترازه عن السيئات أكمل^(١).

المطلب السابع: الفصل

الفصل والوصل من أهم أبواب البلاغة وأدقها، ولمعرفة مواقعهما في الأساليب الأدبية منزلة رفيعة، ولا يرقى إلى هذه المعرفة إلا من سما ذوقه وصفا طبعه ورق حسنه وأعمل فكره. ونظرا لأهميتهما وعظم شأنهما نرى بعض المتقدمين يقصر البلاغة كلها على معرفة الفصل والوصل، فيقول: الجاحظ: (قيل للفارسي^(٢): ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل)^(٣). وما ذلك إلا لما يحويه من أسرار بلاغية وخصائص معنوية ودلالات عميقة.

وحاصل كلام البلاغيين أن الفصل والوصل باب عظيم من أبواب البلاغة، وهو دقيق المسلك، صعب المنال، ولا تتحقق المعرفة بأسرارها ودقائقها إلا لثلة ممن خبروا أساليب العرب، وتأملوا في كلامهم حق التأمل، وأوتوا ذوقا رفيعا وذهنا ثاقبا لمعرفة ما

(١) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، (مرجع سابق) (١٥٠/٧).

(٢) الله أعلم بمقصود الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) من الفارسي، إلا أنه ليس أبا علي الفارسي المشهور (ت: ٣٧٧هـ)؛ لأن أبا علي بعد الجاحظ بأكثر من مئة سنة.

(٣) الجاحظ، عثمان بن بحر، «البيان والتبيين»، بيروت، لبنان، دار الجيل، د. ط.، د. ت. (١/٨٨).

فيها من البلاغة.

وقد حملت خواتيم سورة البقرة نماذج رائعة للفصل، منها:

أولاً: الفصل في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾:

فقد فصلت الآية من التي قبلها، ووقعت بعد ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وكلتا الجملتين خبريتان، ومع ذلك وقع الفصل بينهما؛ وذلك لأن مضمون الجملة الأولى يتحدث عن البعث ورجوع الخلق إلى الله يوم القيامة، والجملة الثانية تتحدث عن تكليف الله الخلق بما يطيقون، فالمعنيان مختلفان، ومن هنا ناسب الفصل بين الجملتين.

ثانياً: الفصل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا﴾:

فقد فصل بين قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ بإعادة (ربنا)، وكان بالإمكان الاستغناء من المنادى في الجملتين الأخيرتين، وعطفهما على الجملة الأولى، ولكن فصل بينها وبينهما لأمرين:

الأول: إعادة كلمة (ربنا)؛ لإظهار التواضع والتخشع والتذلل والفقر والاحتياج، وكل ما تدل عليه كلمة (الرب) وتوحي إليه مع كل دعاء^(١).

الثاني: لِيَتَمَّ كُلُّ دَعَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِقْلَالِ؛ وَكَأَنَّ كَلَامَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْوَارِدَةِ فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ مُسْتَقَلَّةٌ عَنِ الْآخَرَى، مُنْفَصَلَةٌ عَنْهَا؛ وَذَلِكَ لِلإِشْعَارِ بِأَهْمِيَّةِ كُلِّ مِنْهَا، وَالدَّلَالَةِ عَلَى عِظَمَةِ الْمَطْلُوبِ فِيهَا، وَالإِشَارَةِ إِلَى مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كُلُّ دَعَاءٍ مِنَ السُّؤَالِ الْعَظِيمِ وَالطَّلْبِ الْجَلِيلِ.

ثالثاً: الفصل في قوله تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾:

فقد فصل قوله تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ عما قبله؛ وذلك لأن المؤمنين

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (٣/١٤٠).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

حينما قاموا في مقام الطلب، ووقفوا في محل السؤال، ونادوا رحم العظيم، ودعوا بالدعوات الماضية، وهم يطمعون في القبول والاستجابة؛ ذكروا العلة العظيمة وراء ذلك، وكأهم قالوا: ربنا نحن دعوناك بهذه الدعوات، ونطمح في الاستجابة منك، ونرجو منك القبول؛ لأنك سيدنا ومولانا، ومن شأن المولى الرفق بالمملوك، والرحمة به، والشفقة عليه^(١).

فبين الجملتين شبه كمال الاتصال؛ وكأهم سئلوا حينما دعوا بهذه الدعوات العظيمة والمباركة: لماذا تدعوني بهذه الدعوات؟ فذكروا العلة مجيبين: لأنك مولانا، فاقتضى ذلك الفصل بينهما.

المطلب الثامن: الإطناب

أولاً: التكرار:

التكرار من الأساليب البليغة التي لا يتفطن له إلا حُذاق العربية، ولا تتيسر إلا لقلّة من رجال البلاغة، وهو من الإطناب. وإذا حلّ التكرار في محله زاد الكلام قوة، وإذا وُضع في موضعه أثر في نفس المتلقي أيما تأثير. قال الزمخشري: (ولأنّ في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وتثبيتاً لها في الصدور. ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان)^(٢).

والإطناب بالتكرار يكون لأسرار ونكت بلاغية، ويحقق أغراضاً دلالية كثيرة تُعرّف من خلال السياق، منها: التأكيد، وزيادة التنبيه، واستمالة المخاطب، والتفخيم والتهويل، والاستيعاب، وإظهار التحسّر والتفجّع، وقد يكون الإطناب لغير ذلك،

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٤١/٣).

(٢) الزمخشري، الكشاف، (مرجع سابق) (٣٣٤/٣).

كطول الكلام، وتعدد المتعلق. ومن التكرير قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ [التكاثر: ٣ - ٤]، فقد كررت الجملة لإفادة تأكيد الإنذار، وفي "ثم" دلالة على أن الإنذار الثاني أشد وأبلغ^(١). والله تعالى أعلم!

ومن التكرار البليغ في خواتيم سورة البقرة:

الأول: تكرار كلمة (الرب) في خواتيم سورة البقرة:

وقد تكررت كلمة (الرب) في الآيتين خمس مرات، مرة مضافة إلى ضمير الرسول الغائب (ربه)، وأربع مرات مضافة إلى ضمير الجمع المتكلم (ربنا). ولهذا التكرار دلالات وإيحاءات، منها:

١- الإشارة إلى أن الرسول -المؤمنون معه- آمنوا بما أنزل إليهم من ربهم وسيدهم ومالكهم الذي يحتاجون إليه دائما في أمور دنياهم وأخرهم، فهو رهم المتكفل بجميع حاجاته الدنيوية والأخروية، ومنها الهداية لهم، فأنزل هذا الكتاب نظرا لحاجاتهم، فأمنوا به؛ لأنه أنزل ممن يدبر أحوالهم، ويدبر شؤونهم، ويملك ناصيتهم، ويقوم بتربيتهم، ويصلح أحوالهم. وفيه إشارة إلى أن عليهم أن يتمسكوا به؛ لأن فيه صلاحا لأحوالهم، وتديرا لشؤونهم، وقضاء لحاجاتهم في الدنيا والآخرة.

٢- إظهار التذلل والتخشع أمام الرب مرة بعد أخرى، لا سيما في أثنا الدعاء؛ فإنه بلا شك أذعى للقبول؛ فإن العبد كلما أظهر عبوديته، وتذلل باعترافها أمام ربه، وتخشع بذكرها في دعائه كان ذلك أقرب إلى الاستجابة^(٢).

٣- التذكير بعظم مقام الله جل في علاه، والاعتراف بشأن الرب جل جلاله،

(١) القزويني، الإيضاح، (مرجع سابق) (٢/٣٤٨-٣٤٩)

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (٣/١٤٠).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

والإشارة إلى حسن تربيته، ولطف إحسانه، وشدة رأفته، وكثرة شفقتة^(١).
٤- الالتجاء والالتماس بالغفران والعتو الرفق والرحمة والشفقة والقبول، وكأنهم قالوا في كل مرة: ندعوك يا سيدنا ومالكنا ومربينا، فاقبل دعاءنا؛ لأن من شأن المولى الرفق بالمملوك، والرحمة به، والشفقة عليه^(٢).
تهويل المقام وتفخيمه^(٣)، وتكرار ربوبيته في هاتين الآيتين العظيمتين مرة بعد أخرى، والإشادة بذكرها؛ لاحتواء هذه الصفة العظيمة على المعاني الجليلة واشتمالها على صفات أخرى كثيرة تستوجب، كما سبق أكثر من مرة.

الثاني: تكرار مادة (حمل) في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ مع الفرق بينهما في المصدر:

نلاحظ هنا أنه تكرر الحمل في الآية، مرة في الدعاء عن عدم حمل الإصر، وأخرى في عدم تحميل ما لا يُطاق، والسر في ذلك التكرار أنهم طلبوا في الأول ألا يحمل عليهم إصر، أي: عبئا ثقيلا يأسر صاحبه، فيحبسه مكانه. والمراد به التكليف الشاقة، مثل الإصر الذي كُلف به بنو إسرائيل من قتل النفس في التوبة، أو في القصاص، وقطع موضع النجاسة من الثياب ونحوها، وصرف ربع المال في الزكاة^(٤).
وفي الثاني دعوا بعدم تحميلهم ما لا طاقة لهم به من العقوبات النازلة بمن قبلهم. فطلبوا أولا الإعفاء عن التكاليف الشاقة التي كلفها من قبلهم، ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها^(٥).

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (مرجع سابق) (١٧٩/٤).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٤١/٣).

(٣) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٤١/٣).

(٤) الآلوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٦٨/٢).

(٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (مرجع سابق) (٣٣٣/١).

وقيل: المراد بالثاني الشاقّ الذي لا يكاد يُستطاع من التكليف. فيكون تكريرا لقوله: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ وتأكيده له^(١).

وقيل: إن الأول دعاء بمعافاتهم من العقوبات التي عوقبت بها الأمم. والثاني دعاء بمعافاتهم من التكليف الشديدة^(٢).

وقيل: إن في الأول استعفاء عما يؤدي إلى العقوبات، والثاني استعفاء عن العقوبات التي لا تُطاق^(٣).

ولما كان في الأول دعاء بعدم حمل الإصر كما حمله من قبلهم؛ جاء بالحمل تخفيفا؛ لأن ما حَمَلَ به من كانوا قبلهم منه ما يطاق ومنه ما لا يطاق. ولما كان في الثاني دعاء بعدم حمل ما لا يُطاق أصلا؛ جاء بالحمل مشددا، فناسب كل منهما سياقه، وتوافق مع مقامه^(٤).

ثانيا: التذييل:

التذييل نوع جميل من أنواع الإطناب، وهو: وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتأكيد، فالتذييل قائم على أساس التأكيد؛ وفائدته تكمن في ترسيخ الكلام في ذهن السمع، وإقناعه بمعناه^(٥).

ومن التذييل في خواتيم سورة البقرة قوله: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فإنه تذييل لما قبله، وهو: ﴿عُقْرَانِكَ رَبِّنَا﴾؛ لأن المعنى: إليك الرجوع بالموت والبعث. وهذا الرجوع سيكون للحساب والجزاء، ولأجل ذلك يحتاجون إلى المغفرة^(٦).

(١) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (مرجع سابق) (٣٣٣/١).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٤١/٣).

(٣) الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٦٨/٢).

(٤) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، (مرجع سابق) (١٦١/٧).

(٥) ينظر للتفصيل: القزويني، الإيضاح، (مرجع سابق) (٣٥٣-٣٥٢/٣).

(٦) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٦٦/٢).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

قال أبو السعود: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، أي: الرجوع بالموت والبعث، لا إلى غيرك، وهو تذييل لما قبله، مقررٌ للحاجة إلى المغفرة؛ لما أن الرجوع للحساب والجزاء^(١).

ثالثا: الاحتراس:

الاحتراس (أو التكميل): أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود، بما يدفع هذا الإيهام. ومن الاحتراس قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، فقوله: ﴿أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ احتراس لدفع توهم أن ذلتهم على المؤمنين لضعفهم؛ لأنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لثوهم أن ذلتهم لأجل ضعفهم، فلما قيل: ﴿أَعِزَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ عُلِمَ أنها منهم تواضع لهم وعطف وشفقة ورحمة، ومن هنا عُذِّي بـ "على"؛ لتضمينه معنى العطف، وكأنه قال: عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع^(٢).

ومن الاحتراس في خواتيم سورة البقرة قوله تعالى: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾؛ فإنه حينما أخبر الله عنهم أنهم يؤمنون بالرسول أيضا، ومن الناس من يؤمنون بالرسول كذلك، إلا أنهم يفرقون بينهم كما هو حال أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ قالوا مُحترسين: ﴿لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾؛ لئلا يُتوهم أن إيمانهم بالرسول يُشبهُ إيمانَ أهل الكتاب، وأنهم يُفرقون أيضا بين الرسل مثلهم.

وقد جاء التعبير بما يشمل الاثنين فما فوقهما، حيث قال: ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾، أي: واحد وغيره ﴿مِّن رُّسُلِهِ﴾، أي: لا نجعل أحداً منهم على صفة الفرقة البليغة

(١) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، «إرشاد العقل السليم = تفسير أبي

السعود»، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، د. ط.، د. ت. (٢٧٦/١).

(٢) القزويني، الإيضاح، (مرجع سابق) (٣/٣٥٥-٣٥٦).

من صاحبه في ذلك، بل نؤمن بكل واحد منهم^(١).
ويمكن أن يُحمل قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ على التأكيد أيضا؛
حيث أكّد الكلام السابق بالإعلان أن هذا الإيمان هو إيمان كامل لا يُفَرِّق بين
الرسل^(٢).

ولا يخفى أن الاحتراس أيضا يتضمن التأكيد، ويؤكد المعنى السابق عليه، الذي
يتم الاحتراس فيه.

فإن قيل: لماذا حُصّ الرسل بالاحتراس؟ ولم يقع ذلك في غيرهم؟
قيل: إن الأصل في تفریق المفرّقين هو الرسل، وكفرهم بالكتب متفرّع على
كفرهم بهم^(٣).

فإن قيل: لماذا أُوثر إظهار كلمة الرسل هنا في قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ
رُسُلِهِ﴾ مرة أخرى، بعد إظهاره في قوله: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَرُسُلِهِ﴾؟ ولم يؤت بالإضمار بعد
الإظهار، كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]؟

قيل: إما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة ولو على بعد في الحكم، وهو وإن
لم يكن فيه بأس إلا أنه ليس في التعرض له كثير جدوى؛ إذ لا مزاحم في الظاهر، وإن
كان فقليل.

أو للإشعار بعلّة عدم التفریق، أو للإيماء إلى عنوانه؛ لأنّ المعتبر عدم التفریق

(١) البقاعي، نظم الدرر، (مرجع سابق) (٤/١٧٠-١٧١).

(٢) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (مرجع سابق) (٤/١٧٠-١٧١).

(٣) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٢/٦٦).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

من حيث الرسالة، دون سائر الحثيات^(١).

رابعاً: الاعتراض:

الاعتراض: أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين، بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب؛ لنكتة بلاغية سوى دفع الإيهام^(٢).

وهو من دقائق البلاغة، ويأتي لأغراض كثيرة، أهمها: التنزيه والتعظيم، والدعاء، وتنبيه المخاطب على أهمية الشيء، والإسراع إلى الغرض المقصود، والتنبيه على سبب أمر فيه غرابة، والاستعطاف، وغيرها مما يُستنبط من القرائن والأحوال، والسياق الوارد فيه؛ بل قد يأتي الاعتراض لدفع توهم غير المراد^(٣).

والاعتراض من الفنون البلاغية التي يدق سرها في الأساليب، وقد يوهم المتلقي بأنه لا فائدة فيه، فإذا تأمله وجده قد أدى أعظم الفوائد، وتضمن جليل الأسرار. قال الخطيب القزويني: (ووجه حسن الاعتراض على الإطلاق حسن الإفادة، مع أن مجيئه مجيء ما لا معول عليه في الإفادة، فيكون مثله مثل الحسننة تأتيك من حيث لا ترقبها)^(٤).

ومن الاعتراض الجميل في خواتيم سورة البقرة قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

فالأظهر فيه أنه من كلام الله عز وجل، وليس من حكاية كلام الرسول والمؤمنين؛ فيكون اعتراضاً بين الجمل الدعائية والمحكية بالقول، بين قوله: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، وبين قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا

(١) الألوسي، روح المعاني (مرجع سابق) (٦٦/٢).

(٢) القزويني، الإيضاح، (مرجع سابق) (٣٥٩).

(٣) ينظر: القزويني، الإيضاح، (مرجع سابق) (٣٥٩-٣٦٠).

(٤) القزويني، الإيضاح، (مرجع سابق) (٣٦٣/٣).

وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾.

وفائدة الاعتراض هنا تكمن في إظهار ثمرة الإيمان، والتسليم، والطاعة، فأعلمهم الله بأنه لم يجعل عليهم في هذا الدين من التكليف ما فيه مشقة. كما أن في ذلك تبشيرا باستجابة دعوتهم التي لُقِنوا بها، أو التي أُلهموها، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قبل أن يحكي دعواتهم تلك^(١).

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (٣/١٣٤).

المبحث الثاني: دقائق التصوير وجماليات التعبير

المطلب الأول: التشبيه

التشبيه فنٌ واسعٌ من فنون الكلام يدلُّ على خصوبة الخيال وسموّه وسعته وعمقه، وهو فن أصيل عند العرب، جرى في كلامهم، وتناولته أشعارهم، وانبت عليه حُطَبهم، حتى لو قيل: إنه أكثر كلامهم لم يبعد، وقد عدّه بعضهم من أعلى أنواع البلاغة وأشرفها^(١)،

فهو لون من ألوان التعبير الأنيق، تعتمد إليه النفوس بالفطرة حين تسوقها الدواعي إليه، وهو مقتل من مقاتل البلاغة، يجمع ثلاث صفات بلاغية مهمّة، وهي: المبالغة والبيان والإيجاز^(٢).

وللتشبيه روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعةً ووضوحاً، ويكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونبلاً، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتدّ الحواشي، متشعب الأطراف، متوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى^(٣).

ولكنّ التشبيه في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى

(١) ينظر: المبرد، محمد بن يزيد، «الكامل في اللغة والأدب»، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، ط/٣، ١٤١٧هـ، (٣/٧٠)، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، «الإتقان في علوم القرآن»، ت: سعيد المنذوب، بيروت، لبنان، دار الفكر، ط/١، ١٤١٦هـ، (١٤٢/٢).

(٢) ينظر: الجزري، ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، «المتل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، د. ط.، ١٤١٦هـ، (٣٧٨/١).

(٣) ينظر: الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع»، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د. ط. د. ت. (ص ٢٧٢).

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴿١﴾ يختلف عما اصطلح عليه البلاغيون حينما تناولوا التشبيه؛ حيث قالوا: التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، بأداة ملفوظة أو ملحوظة^(١). ولا مشاركة في الآية الكريمة؛ بل فيها طلب نفى عن نفوس المؤمنين ما ثبت لغيرهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى. ولكنَّ المتأوِّل يجد ملامح التشبيه واضحة فيها، وآثاره بادية عليها؛ إذ فيها تمثيل وتشبيه بأشهر أدوات التشبيه الملفوظة^(٢). وأهل التفسير والبيان فسَّروا معنى التشبيه هنا بتفسيرين، وأولوه بتأويلين: الأول: أن قوله تعالى: ﴿كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ في محل نصب على أنه صفة لمصدر محذوف، والتقدير: ولا تحمل علينا حملا مثل حملك إياه على من قبلنا^(٣).

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ في محل نصب على أنه صفة ل(إصر)، والتقدير: ولا تحمل علينا إصرًا مثل الإصر الذي حملته على من قبلنا. وهو ما كُلف به بنو إسرائيل من قتل النفس في التوبة أو في القصاص؛ لأنه كان لا يجوز غيره في شريعتهم. وكذلك قطع موضع النجاسة من الثياب ونحوها^(٤). ويهدف هذا التشبيه إلى الاستعاذة من الحمل المكلف به أهل الكتاب، كما يصور لنا ثقل الحمل الذي حُمِّلوا به من قبلنا، فقد كان حملا ثقيلا ما أطاقوه، فاستحقوا غيظ الله وغضبه.

(١) ينظر: القزويني، الإيضاح، مع الصعيدي، البغية، (مرجع سابق) (٣/٣٨٤).

(٢) وهذا النوع من التشبيه مختلف، فيه من الدقة واللطافة ما يتطلب دراسة مستقلة، وقد أفردت به -ولله الحمد- بحثا، سينشر قريبا بإذن الله تعالى.

(٣) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٢/٦٨).

(٤) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٢/٦٨)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (٣/١٤١).

المطلب الثاني: الاستعارة

إنّ الاستعارة من أدق أساليب البيان تعبيراً، وأرقّها تأثيراً، وأجملها تصويراً، وأكملها تأدية للمعنى، فهي فنٌّ دقيق من فنون البيان، ولون عجيب من ألوانه. وقد عدّها الإمام عبد القاهر من الأصول التي عليها مدار حسن الكلام، فقال في بداية حديثه عن التشبيه والتمثيل والاستعارة: (فإن هذه أصولٌ كبيرة، كأنّ جُلَّ محاسن الكلام - إن لم نُقل كُلهَا - متفرّعة عنها، وراجعة إليها، وكأنّها أقطابٌ تدور عليها المعاني في مُتصرفاتها، وأقطارٌ تُحيط بها من جهاتها)^(١).

والاستعارة إذا وقعت في محلّها، وجاءت مطابقة لمقتضى الحال حققت في الأسلوب جُلَّ مقوّمات البلاغة وعناصر الحسن والجمال، ومن أهمّها: الإيجاز، والمبالغة، والإيضاح والبيان، والتأكيد والتقرير^(٢).

وقد اشتملت خواتيم سورة البقرة على نماذج رائعة للاستعارة:

أولاً: الاستعارة في قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾:

الْوُسْعُ: بَتَثْلِيثِ الْوَاوِ: الْجِدَّةُ وَالطَّاقَةُ. وَمَادَّتْهَا تَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الضِّيقِ وَالْعُسْرِ. يُقَالُ: وَسِعَ الشَّيْءُ وَاتَّسَعَ. وَالْوُسْعُ: الْعَنَى. وَاللَّهُ الْوَاسِعُ، أَي: الْعَنِيُّ. وَالْوُسْعُ: الْجِدَّةُ وَالطَّاقَةُ. وَهُوَ يُنْفِقُ عَلَى قَدْرِ وُسْعِهِ، أَي: عَلَى قَدْرِ طاقته^(٣).

(١) ينظر: الجرجاني، الإمام عبد القاهر، «أسرار البلاغة»، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر،

القاهرة، مصر، مطبعة المدني، ط/١، ١٤١٢هـ، (ص ٢٧).

(٢) ينظر: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، «كتاب الصناعتين»، ت: علي محمد

البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، صيدا، د. ط.

١٤١٩هـ، (ص ٢٦٨)، والخفاجي، ابن سنان، «سر الفصاحة»، شرح: عبد المتعال

الصعيدي، القاهرة، مصر، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د. ط. ١٣٨٩هـ،

(ص ١٠٨-١٠٩)، والجرجاني، أسرار البلاغة، (مرجع سابق) (ص ٤٢-٤٣).

(٣) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (مرجع سابق) (و س ع) (١٠٩/٦)، والجوهري، أبو نصر

وَأَصْلُهُ مِنْ: وَسِعَ الْإِنَاءُ الشَّيْءَ: إِذَا حَوَاهُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ، وَهُوَ ضِدُّ: ضَاقَ عَنْهُ. وَالْوُسْعُ: هُوَ مَا يَسَعُهُ الشَّيْءُ، فَهُوَ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ^(١).

وأصل الوسع هنا استعارة، وقد أشار إليه الزمخشري؛ حيث ذكر هذا المعنى في المعاني المجازية^(٢).

فقد شبه التكليف بما فوق الطاقة - المتعوذ منه هنا - بوضع شيء في مظروف لا يتسع له، وهو ما يبرز ما يحدث لنفس المكلف بما فوق طاقته من مشقة وعناء، بل وعنق.

قال ابن عاشور مبيناً الاستعارة في الآية: (فَكَأَنَّكُمْ شَبَّهُوا تَحْمُلَ النَّفْسِ عَمَلًا ذَا مَشَقَّةٍ بِاتِّسَاعِ الظَّرْفِ لِلْمُحْوَى؛ لِأَنَّكُمْ مَا اخْتَأَجُوا لِإِفَادَةِ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ مَا يَتَوَهَّمُ النَّاطِرُ أَنَّهُ لَا يَسَعُهُ، فَمِنْ هُنَا اسْتُعِيرَ لِلشَّاقِّ الْبَالِغِ حَدَّ الطَّاقَةِ)^(٣).

فالاستعارة هنا تصور المشقة البالغة في منتهى صورها، وتضع حقيقتها أمام الناظر، وكأنه يشاهدها في ظرف موسع، كما تبين لنا مدى رحمة الله بعباده المؤمنين؛ حيث وقَّعهم لهذا الدعاء العظيم، ووضع عنهم الإصر والأغلال.

ثانياً: الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِنَّ إِصْرًا﴾:

=

إسماعيل بن حماد، «الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية»، ت: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط/٤، ١٤٠٧هـ، (و س ع) (١٢٩٨/٣)، وابن منظور، لسان العرب، (مرجع سابق) (و س ع) (٣٩٢/٨).

(١) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (مرجع سابق) (و س ع) (١٠٩/٦)، وابن منظور، لسان العرب، (مرجع سابق) (و س ع) (٣٩٢/٨)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (٤٣٢/٢).

(٢) ينظر: الزمخشري، محمود بن عمر، «أساس البلاغة»، ت: محمد باسل عيون السود، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤١٩هـ، (و س ع) (٣٣٣/٢).

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (٤٣٣/٢).

في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهِنَّ إِصْرًا﴾ استعارتان:

الأولى: الاستعارة في (تَحْمِلُ):

فإن الحمل مجاز في التكليف بأمر شديد يثقل على النفس؛ حيث شبه التكليف المشدد بالحمل الثقيل المعجز، يحمله المرء فوق ظهره، ويعبى بحمله، ثم اشتق منه فعل (تحمل) على سبيل الاستعارة التبعية. وهذه الاستعارة مرشحة ومناسبة لاستعارة (إصرأ) الآتية^(١).

والاستعارة هنا تبرز لنا التكليف الشديد في صورة الحمل الثقيل، وتضعه أمام الناظر وكأنه يراه، ويحس به على ظهره وزرا ثقيلًا.

الثانية: الاستعارة في (إصرأ):

الإِصْرُ: الثَّقَلُ والشِّدَّةُ. وَأَصْلُ مَعْنَى الإِصْرِ: مَا يُؤْصَرُ بِهِ، أَي: يُرْبَطُ، وَتُعْقَدُ بِهِ الْأَشْيَاءُ. ثُمَّ اسْتُعْمِلَ مَجَازًا فِي الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ الْمُؤَكَّدِ فِيمَا يَصْعُبُ الْوَفَاءُ بِهِ؛ لثِقَلِهِمَا. وَالإِصْرُ أَيضًا: الْعِبْءُ الَّذِي يَأْصِرُ حَامِلَهُ، أَي: يَجْبِسُهُ مَكَانَهُ، فَلَا يَسْتَقِلُّ بِهِ؛ لثِقَلِهِ^(٢).

وقد استعير الإصر هنا للتكاليف الشاقة، فشُبِّهت بالإصر، ثم حُذِفَتْ، وبقي المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية^(٣).

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٤٠/٣).

(٢) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (مرجع سابق) (أ ص ر) (١١٠/١-١١١)، وابن منظور، لسان العرب، (مرجع سابق) (أ ص ر) (٢٢/٤-٢٣)، وينظر أيضا: الزمخشري، الكشاف، (مرجع سابق) (٣٣٣/١)، والحلي، الدر المصون، (مرجع سابق) (٧٠٢/٢)، والآلوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٦٨/٢)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٤٠/٣).

(٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف، (مرجع سابق) (٣٣٣/١)، والآلوسي، روح المعاني، (مرجع سابق)

وقد حسنت استعارة (إصرار) هنا؛ لأنها متوافقة مع الحمل، فيكون قوله: (ولا تحمل) ترشيحا مستعاراً لملائم المشبه به الذي هو الإصرار^(١).
وقد جاءت هذه الاستعارة في محلها، فأبرزت المستعار له في صورة محسوسة، وكأن التكاليف الشاقة تجسدت في شكل الحمل الثقيل، والعبء الأصيل الذي يجبس صاحبه، ويجعله لا يتحرك من مكانه؛ لثقله وشدته.

المطلب الثالث: المجاز المرسل

المجاز المرسل نوع من المجاز اللغوي، يقوم على علاقة غير المشابهة، وله علاقات كثيرة، وتختلف بلاغتها حسب اختلاف هذه العلاقات، كالتعبير بالعين عن الجاسوس في قولهم: بعث الحاكم عيوناً في البلد، فالمراد من العيون: الجواسيس، ولكن عبر عنهم بالعيون، وهي جزء منهم؛ للإشارة إلى أهمية هذا الجزء في عملية التجسس، ففيها مجاز مرسل علاقته الجزئية^(٢).

ومن المجاز المرسل في خواتيم سورة البقرة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾؛ فقد عبّر عن تنزيل الأحكام الشديدة التي لا تُحتمل، والتكاليف الشاقة التي لا تُطاق بالتحميل مجازاً مرسلًا باعتبار ما يؤدي إليه^(٣)؛ وذلك لأن التكاليف الشاقة والأحكام الشديدة إذا أنزلت عليهم، أصبحت كالحمل الثقيل الذي لا يطاق ولا يستطاع، فعبروا عنها بالتحميل باعتبار ما يكون على طريقة المجاز المرسل.
وفي التعبير بالتحميل مبادرة إلى ذكر المقصود، ومسارعة إلى ذكر ما يؤول الأمر إليه في النهاية؛ ليكون ذلك أنسب بالدعاء للنجاة منه، وأقرب للقبول، وأدعى للشفقة

سابق (٦٨/٢).

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (٣/١٤٠-١٤١).

(٢) ينظر: القزويني، الإيضاح مع الصعيدي، البغية، (مرجع سابق) (٣/٤٦٢).

(٣) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٦٨/٢).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

عليهم من ربحم الرحيم، فلو قالوا: ربنا ولا تنزل علينا من الأحكام والأوامر ما لا طاقة لنا به، والتي ستكون علينا حملا لا يُطاق؛ لم يحصل هذا المعنى، وذهبت الطلاوة واللطافة، فضلا عما فيه من الإطالة والإسهاب في غير محله. والله تعالى أعلم!

المطلب الرابع: الكناية

الكناية أسلوب ذكي من أساليب التعبير، ومن أبداع فنون الأدب وأجلها، وألطف أساليب البلاغة وأدقها، وهي تفيد القوة والمبالغة في المعنى، كما أنها تشخص المعاني وتبرزها بصورة محسوسة، فيكون ذلك أدعى لتأكيدهما، ورسوخها في النفس، كذلك تقوم الكناية بتفخيم المعاني في نفوس السامعين، كما هو الحال في التعبير عن الأمور العظيمة بالكناية، كآيات التي تصور مشاهد يوم القيامة، وكيفية وقوعها، وما يحصل فيها من أحوال^(١).

ومن الكناية في خواتيم سورة البقرة:

أولا: الكناية في قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾:

السمع في الأصل استقبال الصوت بالأذن كما هو معروف. والمعنى العرفي له: الرضا والقبول والإجابة والاستجابة والامتثال. والمعنى العرفي يحمل المعنى الكنائي كما هو واضح، فكثيرا ما يُستعمل السمع كناية عن القبول والإجابة والاستجابة^(٢).

(١) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، (مرجع سابق) (ص ٧٠-٧٢)، و (ص ٤٣١)، والعاكوب، عيسى علي، «المفصل في علوم البلاغة العربية»، دبي، الإمارات العربية المتحدة، دار القلم للنشر والتوزيع، ط/٢، ١٤٢٦هـ، (ص ٥٤٦-٥٤٨)، والشحات، محمد أبو ستيت، «أفان البيان»، طنطا، مصر، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست، د. ط. ١٤١٧هـ، (ص ٢٦٨-٢٧١).

(٢) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٢/٦٦) و (١٤/١٩٨)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (٣/١٣٣-١٣٤).

قال ابن عاشور: (والسمع هنا كناية عن الرضا، والقبول، والامتثال، وعكسه: لا يسمعون، أي: لا يطيعون...، والمعنى: إنهم آمنوا، واطمأنوا، وامتثلوا)^(١). وقد جعل السمع كناية عن القبول والرضا والامتثال والاستجابة؛ لأنه طريق إليها، وأصل فيها؛ فإنه لا يتحقق القبول والامتثال إلا بعد السماع، وأيضا الغاية من السماع القبول والامتثال، فجعلت الغاية كناية عن المعنى، ودليلا عليه^(٢). ولو بقي السماع على ظاهره، لم يكن مدحا؛ فالسمع المعروف يشترك فيه جميع السامعين، ولا مزية فيه لأحد إلا بالقبول والامتثال، والسمع الذي يصاحبه التعقل والتأمل والعلم بالصحة، ثم الاستجابة والقبول^(٣). وفي التعبير عن القبول والرضا بالسمع دلالة على أن مجرد السماع يكفي للمؤمنين، وأنهم مجرد ما يسمعون أوامر الله ونواهيه، يستجيبون لها امتثالا واجتبابا، ويرضون بها غاية الرضا.

ثانيا: الكناية في قوله تعالى: ﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ﴾:

المصير: هو المرجع والمنتهى، و﴿وَالَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، أي: إليك الرجوع بالموت والبعث، لا إلى غيرك^(٤). ويحتمل المصير هنا أن يكون كناية عن تمام الامتثال والإيمان، وكأن المؤمنين كانوا آبقين قبل الإسلام، شاردين منه، ثم صاروا إلى الله، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]. والمصير إلى الله تمثيل للمصير إلى أمره ونهيه^(٥).

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٣٣/٣-١٣٤).

(٢) ينظر: الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٦٦/٢).

(٣) ينظر: الرازي، التفسير الكبير، (مرجع سابق) (١٤٨/٧).

(٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (تفسير أبي السعود)، (مرجع سابق) (٢٧٦/١).

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٣٤/٣).

المطلب الخامس: الطباق والمقابلة

الجمع بين الأضداد بطريقة مناسبة من محاسن الكلام، والطاق يقوم على ذلك؛ إذ هو الجمع بين الكلمة وضدها في كلام واحد، أو ما هو كالكلام الواحد في الاتصال^(١). وهو لون بديعي جميل يشيع على الألسنة بسبب ما فطر عليه الإنسان من مقارنة الأضداد التي يشاهدها حوله في الكون والحياة، والخلق والخلق، وتتجلى بلاغة هذا الفن في أمرين:

الأول: لفظي: وذلك لمجيئه في الكلام بدون تكلف، فيُضيف على الأسلوب سلاسة وفخامة، كما يجعل له وقعا جميلا مؤثرا.

الثاني: معنوي: ويتحقق بإيضاح المعنى وإظهاره وتقويته عن طريق المقارنة بين الضدين، ولا شك أن تصور أحد الضدين يساعد على تصور ضده الآخر، وعلى هذا فالذهن عند ذكر الضد يكون مهيبا للآخر مستعدا له، فإذا ورد عليه ثبت وتأكد فيه؛ لأن الأشياء بضدها تتميز، والضد يُظهر حسنه الضد^(٢).

ومن الطباق في خواتيم سورة البقرة:

الطاق في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾:

وتُعد هذه الآية من الشواهد المشهورة للطباق لدى البلاغيين، لا سيما الطباق بين الحرفين؛ فإنه وقع الطباق هنا بين الحرفين (اللام) و(على)؛ لأن "اللام" للملك المؤذن بالانتفاع، و"على" للاستعلاء المؤذن بالتحمل والتضرر^(٣).

(١) ينظر: القزويني، الإيضاح، مع الصعيدي، البغية، (مرجع سابق) (ص ٣٦٢)، والشحات، الشحات، محمد أبو ستيت، «دراسات منهجية في علم البديع»، القاهرة، مصر، دار خفاجي للطباعة والنشر، ط/١، ١٤١٤هـ، (ص ٣٣).

(٢) ينظر: الشحات، دراسات منهجية في علم البديع، (مرجع سابق) (ص ٥٠-٥٢)، والعاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية، (مرجع سابق) (ص ٥٦١).

(٣) القزويني، الإيضاح، مع الصعيدي، البغية، (مرجع سابق) (ص ٥٧٣/٤).

وقد جعل عدد من المفسرين والبيانين معنى (كسب) و(اكتسب) من المعاني المتقابلة، وعلى هذا فيكون من أساليب المقابلة لا الطباق؛ لأنه جمع بين معنيين متقابلين^(١).

والتقابل بين المعنيين ظاهر لدى جملة من المفسرين والبيانين؛ حيث رأى الزمخشري أن الخير حُصَّ بالكسب، وحُصَّ الشر بالاكتساب، وعُلِّل ذلك بأن الاكتساب فيه اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس، وهي منجذبة إليه، وأمارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه. ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال^(٢).

وقريب من هذا ذكره الألوسي، فجعل المعنيين متقابلين^(٣).

بينما رأى ابن عاشور أن كسب واكتسب بمعنى واحد في كلام العرب؛ وإنما عُبِّرَ هنا مرة بـ(كسب)، ومرة بـ(اكتسب) تفتُّناً، وكرامية من إعادة الكلمة بعينها. وقد أشار إلى ما ذهب إليه الزمخشري، ولكن بصيغة التمريض والتقليل، فقال: (وقد تكون في اختيار الفعل الذي أصله دال على المطاوعة إشارة إلى أن الشرور يأمر بها الشيطان، فتأتمر النفس وتطوِّعه، وذلك تبغيض من الله للناس في الذنوب. واختير الفعل الدال على اختيار النفس للحسنات؛ إشارة إلى أن الله يسوق إليها الناس بالفطرة)^(٤).

وأما البقاعي فاستلمح معنى لطيفاً آخر؛ حيث أورد أن ذكر الفعل مجرداً في الخير إيماء إلى أنه يكفي في الاعتداد به مجرد وقوعه، ولو مع الكسل، بل ومجرد نيته.

(١) المقابلة: أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم بما يقابل ذلك على الترتيب. ينظر: الإيضاح، للقزويني

(مرجع سابق) (٤/٥٨٠).

(٢) الزمخشري، الكشاف، (مرجع سابق) (١/٣٣٢).

(٣) الألوسي، روح المعاني، (مرجع سابق) (٢/٦٧).

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (٣/١٣٧-١٣٨).

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

فلذلك من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة. وأما الافتعال فهو مشروط بالشر، دال على الاعتمال، وفيه إشارة إلى أن من طبع النفس الميل إلى الهوى بكليتها، وإلى أن الإثم لا يكتب إلا مع التصميم والعزم القوي الذي إن كان عنه عمل ظاهر كان يجد ونشاط ورغبة وانبساط، فلذلك من همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه^(١). وبعد النظر في كلام أهل العلم من المفسرين والبيانين يتضح أن المعنيين في (كسب) و(اكتسب) يتقابلان، ومن هنا يمكن حمل الآية على المقابلة لا الطباق؛ حيث قابلت بين معنيين.

ومهما كان من الأمر فإن الغرض الأساس حاصل بالطباق وبالمقابلة، وهو إيضاح المعنى وإظهاره وتقويته وبيان المقصود في أبلغ صورة، وذلك عن طريق ذكر الأضداد والمقابلة والمقارنة.

المطلب السادس: الجمع والتفصيل

من لطائف البديع الجمع بعد التفصيل، وهو أن يُفصّل في أمر ما، ثم يجمع ذلك في كلمة تؤكد ما سبق، وتضيف دلالات أخرى لا تتأتى بدونه.

ومن لطيف شواهد في خواتيم سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾؛ حيث فصل في بيان إيمان الرسول والمؤمنين بما أنزل من ربهم، ثم أجمل بـ (كل). وهذا ديدن كلمة "كل" إذا جاءت بعد ذكر متعدد في حكم، ثم أريد جمعه في ذلك الحكم، وله شواهد كثيرة في الكتاب والسنة وأشعار العرب. وتقدير الكلام: كلهم آمن...، والتنوين في (كل) تنوينٌ عَوْضٌ عن المضاف إليه المحذوف، لذا سُمي هذا التنوين ومثله تنوين عوض كما هو مقرّر عند النحاة^(٢).

(١) البقاعي، نظم الدرر، (مرجع سابق) (١٧٧/٤-١٧٨).

(٢) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مرجع سابق) (١٣٢/٣).

وهذا يفيد التوكيد؛ فإن الجمع بعد التفصيل تكرر للمعنى السابق على وجه الإجمال، والتكرار من شأنه التأكيد، كما هو مقرر عند البلاغيين. وفي هذا الجمع بعد التفصيل دلالة أخرى، وهي أنه بعد ما فصل، جمعهم في كلية، وكأن قلوبهم قلب واحد لم يختلفوا؛ لأن القبول يكون واحدا، ويقع الرد مختلفا^(١).

كما أن لهذا الجمع هنا فائدة أخرى؛ حيث لحق به تفصيل وبيان لما آمن به كل من الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، فأخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله، بلا تفريق بين الرسل كما هو عمل أهل الكتاب؛ حيث يفرقون بين الرسل، فيؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض، ولذلك قال مؤكدا: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾، أي: واحد وغيره من رسله، فلا نفرق بين أحد منهم على ديدن أهل الكتاب في ذلك، بل نؤمن بكل واحد منهم^(٢).

(١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (مرجع سابق) (٤/١٧٠).

(٢) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (مرجع سابق) (٤/١٧٠-١٧١).

الغاية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:
فهذه دراسة تحليلية تدور حول خواتيم سورة البقرة، وقد توصلت -ولله الحمد- من خلال الدراسة والبحث في الموضوع، والنظر في المصادر والمراجع المتعلقة به إلى نتائج، من أهمها:

١- تشدّ خواتيم سورة البقرة الانتباه إلى لطائف البيان الموجودة فيه بمظهره الكثيرة مع قصرها.

٢- تشتمل خواتيم سورة البقرة على مظاهر بلاغية عديدة تؤدي دورها في تأدية المعنى المقصود وتوضيح المراد.

٣- من المظاهر البلاغية التي اشتملت عليها خواتيم سورة البقرة: بلاغة الإضافة، والالتفات، والجمع، والتقديم والتأخير، والقصر، والفصل، والإطناب، والتشبيه، والاستعارة، والمجاز المرسل، والكناية، والطباق، والمقابلة، والجمع والتفصيل.

أشكر الله مرة أخرى على ما وفقني لإنجاز هذا العمل المبارك المتعلق بكتابه العزيز، داعياً إياه أن ينفعنا به، ويوفقنا دائماً لما فيه خير الدنيا والآخرة.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- ابن عاشور، محمد الطاهر، «التحرير والتنوير»، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، د. ط.، د. ت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس، «مقاييس اللغة»، ت: عبد السلام محمد هارون، بيروت، لبنان، دار الجيل، ط/١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور، «لسان العرب»، بيروت، لبنان، دار صادر، ط/٣، ١٤١٤هـ.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، «إرشاد العقل السليم = تفسير أبي السعود»، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، د. ط.، د. ت.
- الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، «روح المعاني»، ت: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط/١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، «صحيح الجامع الصغير وزيادته»، الرياض، المملكة العربية السعودية، المكتب الإسلامي، د. ط.، د. ت.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، «الجامع الصحيح»، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، لبنان، دار طوق النجاة، ط/١، ١٤٢٢هـ.
- البُستي، محمد بن حبان بن أحمد، «صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان»، ت: الأرنؤوط، شعيب، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط/٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر، «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، القاهرة، مصر، مكتبة ابن تيمية، ط/٣، ١٤٢٧هـ.
- البكري، محمد علي بن محمد بن علان، «دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين»، اعتنى به: خليل مأمون شيخا، بيروت، لبنان، درا المعرفة، ط/٤، ١٤٢٥هـ.

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

الجاحظ، عثمان بن بحر، «البيان والتبيين»، بيروت، لبنان، دار الجيل، د. ط.، د. ت.

الجرجاني، الإمام عبد القاهر، «أسرار البلاغة»، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مصر، مطبعة المدني، ط/١، ١٤١٢هـ.

الجرجاني، الإمام عبد القاهر، «دلائل الإعجاز»، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر، القاهرة، مصر، مطبعة المدني، ط/٣، ١٤١٣هـ.

الجزري، ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الأثير، «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، د. ط.، ١٤١٦هـ.

الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي، «بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية»، جمعه: يسري السيد محمد، الدمام، السعودية، دار ابن الجوزي، ط/١، ١٤٢٧هـ.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، «الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية»، ت: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ط/٤، ١٤٠٧هـ.

الحجازي، محمد محمود، «التفسير الواضح»، بيروت، لبنان، دار الجيل الجديد، ط/١٠، ١٤١٣هـ.

الخلي، أحمد بن يوسف السمين، «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون»، ت: الدكتور أحمد محمد الخراط، دمشق، سوريا، دار القلم، طبع في عدة سنوات، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

الخفاجي، ابن سنان، «سر الفصاحة»، شرح: عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، مصر، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د. ط. ١٣٨٩هـ.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، «التفسير الكبير = مفاتيح الغيب»، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط/٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

- الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، «معاني القرآن وإعرابه»، ت: الدكتور عبد الجليل عبده شليبي، القاهرة، مصر، دار الحديث، د. ط. ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- الزّمخشري، محمود بن عمر، «أساس البلاغة»، ت: محمد باسل عيون السود، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط/١، ١٤١٩ هـ.
- الزّمخشري، محمود بن عمر، «الكشاف»، ت: عبد الرزاق المهدي، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط/٢، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- السامرائي، الدكتور فاضل صالح، «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل»، عمان، الأردن، دار عمار للنشر والتوزيع، ط/٤، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- سيبويه، عمرو بن عثمان، «كتاب سيبويه»، ت: عبد السلام محمد هارون، بيروت، لبنان، دار الجيل، ط/١، د. ت.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، «الإتقان في علوم القرآن»، ت: سعيد المندوب، بيروت، لبنان، دار الفكر، ط/١، ١٤١٦ هـ.
- الشحات، محمد أبو ستيت، «أفنان البيان»، طنطا، مصر، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفست، د. ط. ١٤١٧ هـ.
- الشحات، محمد أبو ستيت، «دراسات منهجية في علم البديع»، القاهرة، مصر، دار خفاجي للطباعة والنشر، ط/١، ١٤١٤ هـ.
- الشّيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، «المسند»، ت: مجموعة من الباحثين، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط/٢، ١٤٢٠ هـ.
- الصعيدي، عبد المتعال، «بغية الإيضاح»، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، ط/١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- العاكوب، عيسى علي، «المفصل في علوم البلاغة العربية»، دبي، الإمارات العربية المتحدة، دار القلم للنشر والتوزيع، ط/٢، ١٤٢٦ هـ.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، «كتاب الصناعتين»، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية، صيدا، د.

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

ط. ١٤١٩هـ.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، «التبيان في إعراب القرآن»، ت: علي محمد البجاوي، القاهرة، مصر، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، د. ط.، د. ت.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، «معاني القرآن»، ت: محمد علي النجار وزملاء، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة، ط/١، د. ت.

القارئ، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد الملا الهروي، «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»، بيروت، لبنان، دار الفكر، ط/١، ١٤٢٢هـ.

القزويني، محمد بن عبد الرحمن الخطيب، «الإيضاح»، القاهرة، مصر، مكتبة الآداب، ط/١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

القشيري، مسلم بن الحجاج، «الصحیح للإمام مسلم»، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، مصر، دار الحديث، ط/١، ١٤٠٤هـ.

المبرد، محمد بن يزيد، «الكامل في اللغة والأدب»، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مصر، دار الفكر العربي، ط/٣، ١٤١٧هـ.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، «معاني القرآن»، ت: محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، مطبعة جامعة أم القرى، ط/١،

١٤٠٩هـ.

الهاشمي، أحمد بن إبراهيم، «جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع»، بيروت، لبنان، دار المعرفة، د. ط. د. ت.

Bibliography

- Ibn 'Āshur, Muhammad Al-Tāhir, “Al-Tahreer Wa Al-Tanweer”, Tunisia: Dār Sahnun li Al-Nashr wa Al-Tawzi', without edition number, without year of publication.
- Ibn Fāris, Abu Al-Husain Ahmad bin Fāris, “Maqāyees Al-Lugha”, investigated by: 'Abd Al-Salām Muhammad Haroon, Beirut, Lebanon, Dar Al-Jeel, Edition/1, 1411 AH - 1991.
- Ibn Manzour, Muhammad bin Mukarram. “Lisān Al-'Arab”, Beirut, Lebanon, Dār Sādir, Edition/3, 1414 AH.
- Abu Al-Sa'oud, Muhammad bin Muhammad bin Mustafa. “Irshād Al-'Aql Al-Saleem = Tafseer Abi Al-Sa'oud”, Beirut, Lebanon, Dār Ihyā Al-Turāth Al-'Arabi, without edition number, without year of publication.
- Al-Alousi, Shihāb Al-Deen Al-Sayyid Mahmoud, “Rouh Al-Ma'āni”, investigated by: Muhammad Ahmad Al-Amad & 'Umar 'Abd Al-Salām Al-Salāmi, Beirut, Lebanon, Dār Ihyā Al-Turāth Al-'Arabi, Edition/1, 1420 AH = 1999.
- Al-Albāni, Muhammad Nāsir Al-Deen, “Sahih Al-Jāmi' Al-Sagheer wa Ziyādātuh”, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, Al-Maktab Al-Islami, without edition number, without year of publication.
- Al-Bukhari, Abu 'Abdullāh Muhammad bin Isma'īl bin Ibrahim, “Al-Jāmi' Al-Sahih”, investigated by: Muhammad Zuhair bin Nāsir Al-Nāsir. Beirut, Lebanon, Dār Touq Al-Najāh, Edition/1, 1422 AH.
- Al-Busti, Muhammad bin Hibbān bin Ahmad, “Sahih Ibn Hibbān be Tarteeb ibn Bilbān”. Investigated by: Shu'aib Al-Arnāut. Beirut, Lebanon, Muassasah Al-Risālah, Edition/2, 1414 AH - 1993.
- Al-Biqā'i, Burhān Al-Deen Ibrahim bin 'Umar. “Nazm Al-Durar Fee Tanāsub Al-Āyāt wa Al-Suwar”. Cairo, Egypt, Maktabah Ibn Taimiyyah, Edition/3, 1427 AH.
- Al-Bakri, Muhammad 'Ali bin Muhammad bin. “Daleel Al-Fāliheen Li Ṭuruq Riyāḍ Al-Sāliheen”, Supervision: Khalil Ma'moun Shehā. Beirut, Lebanon, Dār Al-Ma'rifah, Edition/4, 1425 AH.
- Al-Jāhiz, 'Uthman bin Bahr. “Al-Bayān wa Al-Tabyeen”. Beirut, Lebanon, Dār Al-Jeel, without edition number, without year of publication.
- Al-Jurjāni, Al-Imam 'Abd Al-Qāhir. “Asrār Al-Balāghah”, reading & commentary: Mahmoud Muhammad Shākir. Cairo, Egypt, Matba' Al-Madani, Edition/1, 1412 AH.

- Al-Jurjāni, Al-Imam 'Abd Al-Qāhir, “Asrār Al-Balāghah”, reading & commentary: Mahmood Muhammad Shākir, Cairo, Egypt, Matba' Al-Madani, Edition/3, 1413 AH.
- Al-Jazari, Diyā Al-Deen Nasr Allah bin Muhammad alias Ibn Al-Athīr. “Al-Mathal Al-Sā'ir Fee Adab Al-Kātib wa Al-Shā'ir”, Investigated by: Muhammad Muhyi Al-Deen 'Abd Al-Hameed. Beirut, Lebanon, Al-Maktabah Al-'Asriyyah, without edition number, 1416 AH.
- Al-Jawziyyah, Shams Al-Deen Muhammad bin Abi Bakr “Badā'i' Al-Tafseer Al-Jāmi' Limā Fassarahu Al-Imam Ibn Qayyim Al-Jawziyyah”, collection: Yusri Al-Sayyid Muhammad, Dammam, Saudi Arabia, Dār Ibn Al-Jauzi, Edition/1, 1427 AH.
- Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad, “Al-Sihāh = Tāj Al-Lughah wa Sihāh Al-'Arabiyyah”. Investigated by: Ahmad 'Abd Al Ghafour 'Attar. Beirut, Lebanon, Dār Al-'ilm Lil Malāyeen, Edition/4, 1407 AH.
- Al-Hijāzi, Muhammad Mahmoud, “Al-Tafseer Al-Wāḍih”. Beirut, Lebanon, Dar Al-Jeel Al-Jadeed, Edition/10, 1413 AH.
- Al-Halabi, Ahmad bin Yousuf Al-Sameen, “Al-Durr Al-Maṣoun Fee 'Uloum Al-Kitāb Al-Maknoun”, Investigated by: Dr. Ahmad Muhammad Al-Kharrāt. Damascus, Syria, Dār Al-Qalam, Printed in various years, 1424 AH - 2003.
- Al-Khafāji, Ibn Sinān, “Sirr Al-Fasāhah”, commentary: 'Abd Al-Muta'āl Al-Sa'eedi, Cairo, Egypt, Muhammad 'Ali Subaih & Sons Library & Printer, without edition number, 1389 AH.
- Al-Rāzi, Fakhr Al-Deen Muhammad bin 'Umar, “Al-Tafseer Al-Kabeer = Mafāteeh Al-Ghaib”. Beirut, Lebanon, Dār Al-Kutub Al-'Imiyyah, Edition/2, 1425 AH - 2004.
- Al-Zajjāj, Abu Ishāq Ibrahim bin Muhammad. “Ma'āni Al-Qur'ān wa I'rābuh”. Investigated by: Dr. 'Abd Al-Jaleel 'Abduhu Shilbi. Cairo, Egypt, Dār Al-Hadith, without edition number, 1424 AH - 2004.
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin 'Umar. “Asās Al-Balāghah”. Investigated by: Muhammad Bāsil 'Uyoun Al-Soud. Beirut, Lebanon, Dār Al-Kutub Al-'Imiyyah, Edition/1, 1419 AH.
- Al-Zamakhshari, Mahmoud bin 'Umar, “Al-Kashshāf”. Investigated by: 'Abd Al-Razzaq Al-Mahdi. Beirut, Lebanon, Dār Ihyā Al-Turāth Al-'Arabi, Edition/2, 1421 AH - 2001.
- Al-Sāmurrā'i, Dr. Fāḍil Sālih. “Lamasāt Bayāniyyah Fee Nusous Min Al-Tanzeel”. Oman, Jordan, Dār 'Ammar Li Al-Nashr wa Al-Tawzi', Edition/4, 1428 AH - 2007.

- Sībawaih, ‘Amr bin ‘Uthman. “Kitāb Sībawaih”. Investigated by: ‘Abd Al-Salām Muhammad Haroun, Beirut, Lebanon, Dār Al-Jeel, Edition/1, without year of publication.
- Al-Suyouti, Jalāl Al-Deen ‘Abd Al-Rahman, “Al-Itqān Fee ‘Uloum Al-Qur’ān”, Investigated by: Sayeed Al-Mandoub. Beirut, Lebanon, Dār Al-Fikr, Edition/1, 1416 AH.
- Al-Shahhāt, Muhammad Abu Sittit, “Afnān Al-Bayān”. Tanta, Egypt, Al-Turki for computer & offset printing, without edition number, 1417 AH.
- Al-Shahhāt, Muhammad Abu Sittit, “Dirāsāt Manhajyyah Fee ‘Ilm Al-Badi’”. Cairo, Egypt, Dār Al-Khaffāji for printing & publishing, Edition/1, 1414 AH.
- Al-Shaybāni, Abu ‘Abdullāh Ahmad bin Muhammad bin Hanbal, “Al-Musnad”, Investigated by: a group of investigators. Beirut, Lebanon, Muassasah Al-Risālah, Edition/2, 1420' AH.
- Al-Sa‘eedi, ‘Abd Al-Muta‘āl, “Bughyat Al-Īdāh”, Cairo, Egypt, Maktabah Al-Ādāb, Edition/1, 1430 AH - 2009.
- Al-‘Akoub ‘Isā ‘Ali, “Al-Mufassal Fee ‘Uloum Al-Balāghah Al-‘Arabiyyah”. Dubai, United Arab Emirates, Dār Al-Qalam for printing & distribution, Edition/2, 1426 AH.
- Al-‘Askari, Abu Hilāl Al-Hasan bin ‘Abdillāh, “Kitāb Al-Sinā‘atain”. Investigated by: ‘Ali Muhammad Al-Bajāwi & Muhammad Abu Al-Faḍl Ibrahim. Beirut, Lebanon, Al-Maktabah Al-Asariyyah, Sidon, without edition number, 1419 AH.
- Al-‘Ukbari, Abu Al-Baqā ‘Abdillāh bin Al-Husain, “Al-Tibyān Fee I’rāb Al-Qur’ān”. Investigated by: ‘Ali Muhammad Al-Bajāwi. Cairo, Egypt, ‘Isa Al-Bābi Al-Hilabi & associates, without edition number, without year of publication.
- Al-Farrā’, Abu Zakariyya Yahya bin Ziyād. “Ma‘āni Al-Qur’ān”, Investigated by: Muhammad ‘Ali Al-Najjār & colleagues. Cairo, Egypt, Dār Al-Kutub Al-Misriyyah for writing & Translation, Edition/1, without year of publication.
- Al-Qārī, Abu Al-Hasan Nour Al-Deen ‘Ali bin Muhammad Al-Mullā Al-Hirāwi, “Mirqāt Al-Mafāteeh Sharh Mishkāt Al-Masābeeh”. Beirut, Lebanon, Dār Al-Fikr, Edition/1, 1422 AH.
- Al-Qazweeni, Muhammad bin ‘Abd Al-Rahman Al-Khateeb. “Al-Īdāh”. Cairo, Egypt, Maktabah Al-Ādāb, Edition/1, 1430 AH - 2009.
- Al-Qushairi, Muslim bin Al-Hajjāj. “Al-Sahih Li Al-Imam Muslim”. Investigated by: Muhammad Fu‘ād ‘Abd Al-Bāqi. Cairo, Egypt, Dār Al-Hadith, Edition/1, 1404 AH.

من لطائف البيان في خواتيم سورة البقرة - دراسة تحليلية، د. محمد وسيم خان

Al-Mubarrid, Muhammad bin Yazeed. "Al-Kāmil Fee Al-Lughah wa Al-Adab". Investigated by: Muhammad Abu Al-Faḍl Ibrahim. Cairo, Egypt, Dār Al-Fikr Al-'Arabi, Edition/3, 1417 AH.

Al-Nahās, Ahmad Bin Muhammad. "Ma'āni Al-Qur'ān". Investigated by: Muhammad 'Ali Al-Sābouni. Makkah Al-Mukarramah, Kingdom of Saudi Arabia, Umm Al-Qurā University Press, Edition/1, 1409 AH.

Al-Hāshimi, Ahmad bin Ibrahim. "Jawāhir Al-Balāghah Fee Al-Ma'āni wa Al-Bayān wa Al-Badī'". Beirut, Lebanon, Dār Al-Ma'rifah, without edition number, without year of publication.

**فلسفة الكتابة عند المبدعين
("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً)**

The Philosophy of Writing by the Creative People
(“Dagestan My Country” by Rasul Hamzatov)

د. ماجد بن أحمد الزهراني

أستاذ مشارك بقسم الأدب والبلاغة، بكلية اللغة العربية في الجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: majedag@gmail.com

المستخلص

تتجه هذه الدراسة لتناول آلية نقد الإبداع عند المبدعين، وتتجاوز الأدب العربي إلى الأدب الداغستاني ممثلاً بسيرة (داغستان بلدي) لرسول حمزاتوف. وتظهر أهمية هذه الدراسة في طرافتها، حيث إنها تتناول وعياً نقدياً لدى مبدع غير عربي، طمعا في إضاءة الخطاب النقدي العربي من داخل النسيج الإبداعي الأقرب إلى فقه النص وتلمس فضاءاته، والتزمت الدراسة باختيار مدونة محددة وهي: (داغستان بلدي) رغبة في دقة المعالجة والتحليل. انطلقت الدراسة في تصوراتها من إشكاليين: الإشكال الأول: ما بواعث الكتابة الإبداعية وما مصادرها؟ الإشكال الثاني: ما عناصر الكتابة الإبداعية؟ ومن خلال هذه الأسئلة وفي سياق العناية بتوصيف هذه السيرة وتحليلها، صيغت عناصر الدراسة التي تكونت من مدخل ومبحثين: المدخل: وفيه تعرض الباحث لمفهوم الكتابة لدى (رسول حمزاتوف) وعلاقته بتاريخ التأصيل للجنس الأدبي. المبحث الأول: بواعث الكتابة الإبداعية ومصادرها. المبحث الثاني: عناصر الكتابة الإبداعية. الخاتمة: احتوت على عدة نتائج وتوصيات مضمنة في نهاية الدراسة. الكلمات المفتاحية: نقد المبدعين - الأدب الداغستاني - رسول حمزاتوف.

Abstract

This study addressed the mechanism of criticism of creativity among the creative people, and went beyond Arabic literature to Dagestan literature, represented by the biography (Dagestan My Country) by Rasul Hamzatov.

The importance of this study appears in its novelty, as it dealt with the critical awareness of a non-Arab creative person, in the hope of illuminating the Arab critical discourse from within the creative fabric closest to the understanding of the text and touching its spaces. The study was committed to choosing a specific literary work, titled: (Dagestan My Country) for the sake of accuracy in discussion and analysis.

The study started with its perceptions of two problems:

The first problem: What are the motives of creative writing and what are its sources?

The second problem: What are the elements of creative writing?

Through these questions, and in the context of caring for the description and analysis of this biography, the elements of the study were formulated, made up of a foreword and two topics:

The foreword: In it, the researcher discussed the concept of writing to Rasul Hamzatov and its relationship to the history of originating the literary genre.

The first topic: the motives and sources of creative writing.

The second topic: the elements of creative writing.

Conclusion: It contained several results and recommendations included at the end of the study.

Keywords: Criticism of creative people - Dagestan literature - Rasul Hamzatov.

مدخل

ظلت النظرية الأدبية دهرا من الزمان تركز حضورها التصنيفي على المبدعين، إلا أن هذا التصنيف تبرم منه المبدعون، لذا نجدهم يقترحون مسميات أخرى لإفساح المجال خصبا للصيرورة الجمالية.

يؤصل الاتجاه الأول الذي يرى ضرورة الالتزام بالأصول القديمة للنظرية الأدبية ابتداء من أفلاطون وأرسطو اللذين حصرا مفهوم الأدب في الملحمي والدرامي والغنائي، ووضعوا حدودا مانعة تضمن عدم انفلات الجنس، وتمييزه عن غيره بتحديد شروط دقيقة، لمنح المبدعين النماذج العليا، وعليهم محاكاتها والصياغة وفق قوالبها. إن فكرة الاستقلال والتميز واحترام الحدود هي ما يشغل رواد هذا الاتجاه المغرق في النظرية الأدبية، مما أدى إلى ظهور فكرة نقاء الأجناس، "ويرجع مبدأ النقاء هذا، إلى أرسطو في فصله الحادّ بين المأساة والملهاة، مدعماً من طرف هوراس فيما بعد"^(١).

ويظهر في هذا الاتجاه مدى العقلية المنطقية في تصور الأنواع الأدبية، مما كان له أثر في التجديد خوفا من مخالفة المؤلف والعرف النقدي، ولكن هذه النمطية قوبلت برفض كبير من الاتجاه الثاني في القرن العشرين مع قدوم الاتجاه الرومانسي الذي ضاق أدباؤه ذرعا بهذه القيود وفي مقدمتهم: فيكتور هوجو، وبلغ أوجه مع الناقد الإيطالي: بنديتو كروتشه، الذي أعلن موت الأجناس الأدبية وتجاوز الحدود والتقاليد القديمة، ودعا إلى تمرد على هذه الأنساق المغلقة إلى غير رجعة، مستشرفا عهدا جديدا تنساب فيه النصوص وتتداخل فيما بينها، حيث يصرح: "لا تقولوا هذه

(١) رشيد يحيى، مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، ط ٢ (الرباط: إفريقيا الشرق، ط ٢، ١٩٩٤).

ملحمة، وهذه غنائية أو هذه دراما، تلك تقسيمات مدرسية لشيء لا يمكن تقسيمه. إن الفن هو الغنائية أبداً، وقولوا إن شئتم هو ملحمة العاطفة ودراماها"^(١). وهناك اتجاه ثالث انتهج نهجا وسطا أو عقلا توفيقيا نتاج التطور الكبير على المدونة المدروسة وهي الرواية، التي فتحت نوافذ كانت مغلقة وانطلقت في فضاء التجريب دون سقف يمنعها من توظيف المعارف والفنون في إطارها، لأن "الرواية تسمح بأن تُدخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية، سواء كانت أدبية: (قصص، أشعار، قصائد، مقاطع كوميدية) أو خارج- أدبية (دراسات عن السلوكات، نصوص بلاغية وعلمية، ودينية، إلخ..."^(٢).

ومن هنا فقد أدرك (حمزاتوف) ما يميز الأجناس بعضها عن بعض من صفات جوهرية كالفرق بين الشعر والنثر، ولكنه أيضا دعا إلى ما يسمى بحوار الخطابات أو تفاعلها، وهو فيما يبدو مندرج ضمن هذه الرؤية التي تتجاوز التصنيف تحت هوية الإنسان، لأن الفعل الإنساني لا يتماهى مع التصنيف حتى وإن حاول العلم تكريس هذه الحدود، لذا يتوقف عند سؤال بعض المحررين والنقاد بقولهم: "هذا الذي كتبت ليس رواية ولا قصة ولا أقصوصة، بل نحن لا نعرف ما يمكن أن يكون"^(٣)، ويجيبهم: "أما أنا فلا أصر على إعطاء هوية لما أكتب، عمدوا بالاسم الذي تختارونه ما سوف يخطه قلبي، لست أكتب لكي أوافق أحدا من القوانين الكنسية التي وضعتموها،

(١) رشيد مجايوي، الشعرية العربية (الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق، ١٩٩١، ٢٦. ويُظَر: عبد العزيز شبيل، نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثري (صفاقس: دار محمد علي الحامي، ٢٠٠١) ٦-٧.

(٢) ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩) ١٦٠.

(٣) داغستان بلدي، ١٣٢.

فلسفة الكتابة عند المبدعين ("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً)، د. ماجد بن أحمد الزهراني

ولكني كتبت لألبي نداء قلبي. والقلب لا يعرف قانوناً، أو على الصحيح إن للقلب قوانينه التي لا تناسب الناس جميعاً"^(١).

ولذلك يسوغ منهجه الكتابي من تداخل الأجناس وحضورها في نسيج عمله (داغستان بلدي) فيقول: "من عادي في قصصي المضجرة أن أضيف - كما تضاف الأعشاب ذات الرائحة الطيبة إلى الحساء لتعطيه مذاقاً أفضل - أضيف إليها مثلين سائرين أو كلمتين مأثورتين... أصب في قصتي ذكرياتي وبعض ما هو مسجل في مذكراتي، كأني أضع أحجاراً غير متساوية في حائط صقيل... وهكذا أنتقل من القصيدة والأغنية الملتهبتين إلى القصة الهادئة، إلى النثر"^(٢).

إن هذا العمل الذي أنتجه (حمزاتوف) نص أدبي منفتح على النصوص ومؤمن بالتداخل بينها، وهكذا يرهن نفسه لطبيعة الحياة التي لا تعترف بهذه التقسيمات الشكلية، بل هو يطالبهم بالشعور والتعاطف والتأثير ضمن مقاصد الأدب العليا، لا الالتزام بأصباغ وألوان خارجية نسبية، لذا فهو يعيد الإبداع إلى الصوت الإنساني الخالد والمصدر الأصيل الذي يبيت في الأشكال الحياة، ويمنحها الديمومة والإحالة والمرجعية الدائمة.

ومن خلال هذا المدخل ظهرت أهمية هذه الدراسة، حيث إنها تناولت وعياً نقدياً لدى مبدع غير عربي^(٣)، لتستثمر ذلك في إضاءة الخطاب النقدي العربي من

(١) المصدر والصفحة نفسها.

(٢) المصدر نفسه، ١٣٣-١٣٤.

(٣) رسول حمزاتوف أديب داغستاني، ولد في قرية تسادا في جمهورية داغستان عام ١٩٢٣م، وتوفي عام ٢٠٠٣، اشتهر بشعره وحب لوطنه ولغته الآفارية، له عدة دواوين ترجم منها إلى العربية: قصائد مختارة من أشعار رسول حمزاتوف، ترجمة: مسوح مسوح، (دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٠).

داخل النسيج الإبداعي الأقرب إلى فقه النص وتلمس فضاءاته، والتزمت الدراسة باختيار مدونة محددة وهي عمله: (داغستان بلدي)^(١) بحثا عن دقة المعالجة والتحليل. وبعد أن تعرض الباحث لمفهوم الكتابة لدى رسول (حمزاتوف) وعلاقته بتاريخ

التأصيل للجنس الأدبي، سينتقل إلى المبحثين القادمين:

المبحث الأول: بواعث الكتابة الإبداعية ومصادرها.

المبحث الثاني: عناصر الكتابة الإبداعية.

(١) أهم أعماله النثرية كتاب: **داغستان بلدي**، وقد ظهر الكاتب في نسختين بتعريب واحد مترجمين: عبد المعين الملوحي ويوسف حلاق، ط ١ (دمشق: دار نينوى، ٢٠١٥)، وهذه النسخة الحديثة أضيفت لها مقدمة بقلم عبدالرحيم بدر، لذا ستكون هي المعول في الإحالة والاقتراس لحداثتها، بخلاف نسخة دار الفارابي التي صدرت طبعها الأولى عام ١٩٧٩م، وخلت من أي مقدمة.

المبحث الأول: بواعث الكتابة الإبداعية ومصادرها

الكتابة مثلها مثل أي عمل إنساني، لا يمكن أن تحدث صدفة بل لا بد من وجود علة تدفع الكاتب لتخليد أثره، والتعبير عن مكنونات ذاته المتماوجة والملتبسة، لينظم ما تناثر من تدفق للمشاعر في وعي منسجم ومنظومة متحدة، لذلك سنتلمس البواعث التي دفعت (حمزاتوف) لتدوين إبداعه، ونستنبط مصدره الذي ينهل منه.

أولاً/ بواعث الكتابة:

١- الوطن والحنين

أثناء سبر هذا العمل وبواعثه عند كاتبه، يبادرنا في أكثر من موضع للكشف عن منطلقاته في الكتابة بقوله: "موضوعي هو الوطن. ليس علي أن أبحث عنه وأختاره. لسنا نحن الذي نختار وطننا، بل الوطن هو الذي اختارنا منذ البداية. لا يمكن أن يكون هناك نسر من دون سماء، وليس هناك جبلي من دون صخرة"^(١). إن هذا العمل محفز للقراءة في ضوء الحنين إلى المهدي (الوطن)، إلى الطفولة في نقائها الفطري، التي تعد ثروة لا تقاس بالمعايير المادية التي يتباهى بها الإنسان، بل هي عنصر أصيل للانسجام مع طبيعة الحياة في عصرنا، وحيث إن الأوطان مجرد أماكن تتشابه في نظر الإنسان العادي، إلا إنها في عين الأديب أرواح ناطقة وملهمات للإبداع الإنساني، وتكمن خصوصيتها فيما تنقشه من معان، وما تطبعه من دلالات في وعي القاصد للجمال.

لقد وجد دافعه في التغمي بمباهج داغستان، والتلذذ بتكرار ذكر أمجادها، والتغزل في تضاريسها التي أحيها بقلمه لتصبح كائناً مشخفاً يشعر ويتكلم وينتمي. إن تصوير الوطن بالأم^(٢) التي تتشوف لرؤية أبنائها تعبير عن عاطفة الأمومة، العاطفة الوحيدة المبنية على مفهوم العطاء والحب غير المشروط، فنحن نحب أوطاننا

(١) داغستان بلدي، ٩٠.

(٢) (بتصرف) المصدر نفسه، ٨١، هناك ملامح تشابه في قصيدته: (اللغة الأم) مع قصيدة مالك بن الربيع التي رثى فيها نفسه، مما يوحي باطلاعه عليها، من ذلك قوله:

=

ليس لأنها قدرنا الذي نشأنا فيه فحسب، بل لأنها الأم التي غدّت في ذواتنا مشاعر الانتماء وبلورت تصورنا للكون والعلاقات المحيطة بنا.

إن (حمزاتوف) ينهل من معين البدايات ليذكرنا باستمرار عما غفلنا عنه في زحمة الزمن، الذي صنعه الآخر وتحيّز فيه لثقافة اللحظة والغلبة، ويمكن للقارئ أن يتأمل في نصين له ليستنبط موقفه من علاقة الإنسان بوطنه، التي تتوازى مع قيمة الوجه للإنسان حيث يقول: "أنت وجهي يا داغستان، وإني لا أسمح بأن يمسك أحد... داغستان حيي وقسمي، دعائي وصلاتي. أنت وحدك الموضوع الرئيس لكل كتبي، ولكل حياتي"^(١)، وفي سياق آخر يشبه الوطن بالصخرة: "داغستان بالنسبة إلي هي تلك الصخرة، إنها تساعدني على الصمود في أصعب الأوقات"^(٢).

إن هذين النصين بمثابة أيقونة تأملية دقيقة لأثر المكان على وعيه، حيث إن الوجه هو القيمة الحاضرة التي يستشرف بها الإنسان مستقبله وطموحاته وآماله، ولكنه بحاجة إلى عتاد يمنحه الصبر والثبات في مسيرته، وهنا يظهر الوطن بوصفه الصخرة التي يلوذ بها، حينما تنكشف الساحات وتتغير الطبائع، لأنه رمز الوفاء عند اختلاف القيم وذبولها في الوعي الإنساني.

=
أحتضر لكن أحدا لن يعرف

ولن يحضر إلي...

لا أمّ لا صديق، لا حبيب

حتى ولا نادبة هناك... انظر: داغستان بلدي، ٨٥.

التي تذكرنا بقول مالك بن الربيع:

فمنهنّ أُمّي وابنتايّ وخالتيّ
وباكيّة أخرى تهبّج البواكيا

انظر: ديوان مالك بن الربيع (حياته وشعره) تحقيق: نوري حمودي القيسي (مستل من مجلة

معهد المخطوطات العربية مجلد: ١٥، الجزء الأول، د.ت) ٩٦.

(١) داغستان بلدي، ١٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ٩٣.

وهكذا يستمد الكاتب انتماءه، فهو كالمرآة التي صُقلت بالتجارب، لتمتص كل هذا الرصيد وتعيد إنتاجه مرة أخرى، ومهما تظاهر باستقلاليته، فهو ليس بمنأى عن تصويره لسياقه العام الذي ينهل منه، حيث يقول: "لست أدري بم أشبه نفسي؟ إما بالطريق أو بالنهر. ولكني أعرف أن أفكار أبناء وطني، مشاعر أهل وطني قد تجمعت في نفسي كما تجمعت جداول الجبل ودروبه الملتوية. أما طريقي الخاصة، دربي الخاص، فقد قادني من القرية إلى الشعر"^(١).

ويختتم (حمزاتوف) موقفه من وظيفة الأدب التي تواتر النقاد على طرحها، وبيان اتجاهات الناس منها، ما بين من يحتزلها في تطهير العواطف أو إثارتها، أو للمتعة الخالصة والتسلية البحتة والإحساس بالجمال الخالص، أو تتمثل في الفرار من الواقع، أو العكس دفعا لالتصاق به^(٢)، فيقول: "الأدب حين يتوقف عن التغذي بغذاء آبائه ويتحول إلى أنواع أخرى، مترفة، غريبة، حين يغيّر أعراف شعبه وعاداته، لغته وخلقه، حين يخونها، يعتل ويدوي، ولا تستطيع كل الأدوية أن تقدم له أي عون"^(٣). وهنا نجد أنه ينحاز إلى البعد الاجتماعي، الذي يرى بأن الأدب قناة البشرية التي تتواصل بعمق، وسلسلتها الذهبية التي توثقت عراها برفق، ممهدا الطريق للباعث الثاني من بواعث الكتابة لديه ألا هو المتلقي.

٢- القارئ

وهو باعث تضمنه الباعث الأول ولكنه أخص؛ إذ أن المبدع مرتحن دائما لشغف التواصل مع قارئ ضمني أيا كان قربه وبعده، ولذا تعد منطلقا أصيلا لكثير من المنتج الإنساني عبر العصور، ومطمحا لكل مبدع أن يرى نصوصه متداولة عبر الجماهير، لذا نجده يدعو الله - في سياق حزن أم على ابنها الشاعر الذي يفتقد حضورا اجتماعيا بسبب شعره المتواضع الممل - "أسأل الله ألا يجرمني لغتي؛ لأني أريد

(١) المصدر نفسه، ١٥٢.

(٢) انظر: شكري ماضي، في نظرية الأدب (بيروت: المؤسسة العربية، ٢٠٠٥) ١٢.

(٣) داغستان بلدي، ٢٩٥.

أن أكتب في شكل تكون فيه أشعاري، وكتابي هذا، وكل ما سوف أكتبه غالبا ومفهوما بالنسبة لأمي وأختي ولكل جبلي، ولكل إنسان يقع كتابي بين يديه، لا أريد أن أبعث فيهم الضجر، بل أن أحمل إليهم الفرح. فإذا فسدت لغتي الأم فسيكون هذا بالنسبة لي أفضع شيء في حياتي" (١).

إن العلاقة مع القارئ يعتريها كثير من الشكوك والطموحات، والوعود المؤجلة قبل الكتابة وبعدها، وللكتاب أن يستحضر أثناء الكتابة حالة القراء في استجابتهم لعمله، ويستهدف فئة خاصة يعنيه أمرها، بيد أن (حمزاتوف) يكتب لقارئ عام حينما يقول: "أيها القارئ يا صديقي: كل كتاب إنما يكتب من أجلك. أستطيع أن أقنع الناشر، وأستطيع أن أناقش المحرر والنقاد، لكنّ حكمك وحده الحقيقي، وهو الأخير، إنه كما يقول القضاة: حكم لا يقبل الطعن" (٢).

ولذلك فهو يراه العقل المخول بإبداء النصيحة، ويلج في التعرف على انطباعاته من الكتاب وتوجهاته وموقفه، وهذا السلوك صورة للاستجابة الإيجابية التي ترى النص نتاج شراكة وتواصل مضمّر بين ذاتين تلاقيا عبر عالم يحفل بالحوار والفهم، وهكذا يقول: "إذا وجدت في كتابي فكرة صحيحة فأشر إليها. وإذا وجدت فكرة خاطئة فأشر إليها مرتين..." (٣).

ثانيا/ مصدر الكتابة

منذ الأزل والتساؤل مستمر عن مصدر الإبداع، ما الذي يجعل شخصا موهوبا؟ وهل ذلك عائد لمؤثرات خارجية أو داخلية؟ ولماذا لا يتاح للجميع أن يكون شاعرا؟

(١) المصدر نفسه، ٧٥-٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ٢٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ٢٩٣.

فلسفة الكتابة عند المبدعين ("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً)، د. ماجد بن أحمد الزهراني

يحاول (حمزاتوف) أن يقترب من هذا المصدر الذي يحيله إلى مفهوم العبقرية^(١)، مشخصاً هذه الفكرة التجريدية في صورة إنسان، ومستطرداً عبر الأمثال والذكريات لتفريدها، حيث يقول: "ما العبقرية؟ أنا لا أعرف، مثلما لا أعرف ما الشعر؟ ... يحدث لي أن أحس أن شيئاً ما يوسوس لي أنه شيء نادر، مدهش عجيب قوي. إن عروس الشعر عندي مرتاحة حيناً حزينة حيناً، ولكنها دائماً تحثني على العمل، وتضطرني إلى التعبير عن نفسي، إنها تحيئني من دون أن أواعدها، من دون أن تفرع باب بيتي"^(٢).

هكذا يستهل تحليله لهذا المفهوم بأسلوب حوارى لطيف، ليمنح القارئ شغفا بالتعرف على منتجه، ويشير إلى أن أصل الإبداع منبثق من الموهبة وهي الاستعداد النفسي للمبدع منذ نعومة أظفاره^(٣).

إن العبقرية ليست إرثاً يتناقل بين الأجيال، ولا نسخة يمكن أن تتشابه، فلكل فرد عبقريته وزاويته التي يدور في فلكها ويمتاز بها عن غيره، ولكن هذا السؤال الشائق الشائك يلح عليه كما ألح على علماء النفس في تفسيرهم لشخصية المبدع، فالعبقرية تتأرجح بين أن تكون نتاج الكفاح مع الحياة أو منحة السماء بدون تعب أو اجتهاد، وكثيراً ما تجادل العلماء عن موقعها في الجسد بين قلب أو دم أو دماغ^(٤)، ولذلك

(١) "لم تكتسب كلمة العبقرية معناها الرئيس المعاصر والمختلف اختلافاً واضحاً عن أصلها إلا مع بزوغ عصر التنوير؛ إذ باتت تشير إلى: الفرد الذي تبدو عليه قدرات استثنائية عقلية أو إبداعية، سواء كانت هذه القدرات فطرية أو مكتسبة، أو كلا الأمرين معاً"، أندرو روبنسون، العبقرية، ترجمة: رحاب صلاح الدين (القاهرة: هنداوي، ٢٠١٤) ١٠.

(٢) داغستان بلدي، ٢٢٥.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ٢٠٤.

(٤) بتصرف: المصدر نفسه، ٢٠٥، وانظر كذلك أيضاً: في تاريخ تطور رؤية علماء النفس حول مفهوم العبقرية والإلهام، الإبداع بين الفن والعلم، حسن أحمد عيسى (الكويت: عالم المعرفة، العدد: ٢٤، ١٩٧٩م) ٢١-٣٠.

يفترض أحد علماء النفس أن ولادة العبقرية تنتج عن "الصراع الذي تتعرض له الشخصية، بين أهدافها الخاصة والمهدف المشترك للجماعة"^(١).

إن التجارب تهذب نظرتنا للأشياء، وتمنحنا قدرا من التأمل فيها، ولكن لا بد أن نكون مستعدين، وإلا تحولت إلى مشاعر مبعثرة، وصرخة في واد وصوت في فراغ، ومن ذلك تجربة العشق بما تكفله من إنبات عبقريتنا الغائبة، فالكي يجب الإنسان حبا جميلا، ربما كانت العبقرية ضرورية في الحب أكثر مما يكون الحب ضروريا للعبقرية، وليس في الأمر تناقض: الحب يجري مع العبقرية، ولكنه لا يحل محلها"^(٢).

إنها تدرك فقط من خلال أثرها ووظيفتها، ومن حاول تقريبها في التصور بإيراد مفاهيم مرادفة، قد أبعد النجعة إذ إنها من مجال خاص لا تقبل الاشتراك مع الذكاء، لأن الذكي يجيد التعامل مع الحياة المادية، ولكن الإبداع من واد آخر ما ورائي، لذلك هناك ما يمنع الأذكاء من صياغة مشاعرهم في صورة جمالية، و"يحول دون أن تسيل أفكارهم من رؤوس أقلامهم على أوراقهم"^(٣).

(حمزاتوف) هنا في حديثه عن المشاعر يشير إلى قوة العاطفة^(٤) وحرارتها، إذ إنها المحرك الأساس لكثير من الإبداع الخالد في كل جيل، وعلى المبدع أن ينطلق من تجربته الخاصة، لا أن يكون مرآة لمشاعر الآخرين، "فليفرح الجميع حين يفرح الشاعر، وليعتصر الألم قلوب الجميع حين يفضي الشاعر لهم بوجع قلبه"^(٥).

(١) مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع الفني (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠) ١٢٦.

(٢) داغستان بلدي، ٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ٢٢٣، انظر: قصة حمزاتوف مع الرجل الذي أرسل قريبه ليجعل منه شاعرا مثله، المصدر نفسه، ٢٠٦، وقوله أيضا: "ما من أحد يستطيع أن يخلق شاعرا من شخص ليس هو نفسه شاعرا" المصدر نفسه، ٢٢٠.

(٤) انظر: أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ط ١٠ (القاهرة: النهضة المصرية، ٢٠٠٦) ١٨٠.

(٥) داغستان بلدي، ٩٩.

ويكفي أن نتأمل ذلك في حقل الترجمة لنجد أثر المترجم الذي يعالج النص حرفياً، دون أن يتمثل روح المبدع التي تمزقت لتنتج عملاً يعبر فيه عن ذاته الإنسانية وروحه المنسكبة، لتصل بشحمها ولحمها، لا أن تصل بوصفها معرفة باردة هشة فاقدة للألم والأمل اللذين بزغا من آهات مؤلفها.

إن المبدع كائن محب للوجود، يتلطف في العبور إلى قلب الأشياء ليناجيها، وليحفر في يبايعها المستورة ومجراها المتوقف، والطبيعة لا ترخي عنانها إلا للوصول المتمثل في عاطفة الحب، ولذا "يقال في الواقع: بقدر ما يكون الحب قوياً، يكون الأطفال أجمل. أما الكاتب فلا يُولد من زواجه بلا حب إلا كتب ميتة، على الكاتب أن يصغي إلى نبضات قلبه قبل أن يقتزن بموضوعه"^(١)، ولكن ذلك لا يعني التكاسل اكتفاء بالموهبة بل هي تمنح المبدع قدراً من الاستعداد العالي، وتتوازي مع الجهد والصناعة والصدق مع الذات، قال أبو طالب: "على العبقرية والعمل أن يتلازما كما يتلازم الخنجر والغمد"^(٢).

إن العبقرية سمة ليست قابلة للتصنيف أو التعريف، وإنما هي مجرد شعور نحس به ونفسر من خلاله هذا التمايز بين البشر، إنه كالقدر مهما حاولنا الظفر بعله له نبتعد أكثر عن كشف ماهيته وتحقيق كنهه، ولذلك فإن محاولة ربطها بالخارج من غنى وفقير أو منزلة، أو صحة أو تعليم وثقافة، أو جد واجتهاد لا جدوى منها؛ ولا يمكن اكتسابها أو التوسط من أجل الحصول عليها^(٣).

(١) المصدر نفسه، ١١٣.

(٢) المصدر نفسه، ٢٣٩، يلح الكاتب الروسي تشيكوف على: "أن يكون الفنان مخلصاً غاية الإخلاص مع نفسه وهو يبدع، أن يكون على علاقة مباشرة وطيدة مع أعماقه، لأن أجمل ما في الفن الإخلاص والبساطة" **لعبة الأدب**، فتحي خليل (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠) ٦٧-٦٨.

(٣) داغستان بلدي، ٢٠٦.

وهكذا نجد أن الموهبة تمنح صاحبها قدرا كبيرا من المسؤولية بحيث يتسم بحس نقدي لما ينتجه، بخلاف أصحاب المواهب الضعيفة الذين يكثر من الإنتاج والنشر بدعوى إجادتهم ويستسهلون الإبداع لأنهم شغلوا بقشوره ولم ينغمسوا في جوهره ليدركوا معاناة ولادة النص ونموه.

المبحث الثاني: عناصر الكتابة الإبداعية

أولاً: اللغة والهوية

إن الكلمة في الكتابة الإبداعية ليست مجرد ألفاظ وأصوات، بل هي أمشاج من مشاعر وعواطف ملتبسة بها، تمنحها الحياة والبعد الإنساني الذي يرقى بها عن الحيوان، فالعلامة اللغوية تجسد العلاقات الاجتماعية لمستعملها، وضمن هذا المفهوم، فإن الهوية الاجتماعية حاضرة، في اللغة ذاتها^(١).

وهكذا نجد (حمزاتوف) يلح في أكثر من سياق وفي صيغ مختلفة بأن الكلمة ذات تأثير بالغ إذا امتزجت بالروح، وانطلقت "من اللسان كجواد هابط من درب ضيق وعر إلى فضاء فسيح وممتد. وهل يمكن أن نطلق في العالم كلمة، لم تكن قد عاشت في القلب؟!"^(٢).

لقد تفتن بحسه الاجتماعي أن اللغة مجرد سراب إن لم تحلل وفق وعي مستخدمها، فهو يعرض باستمرار الأمثال والتشبيهات والحوارات المنبثقة من وعي الموازنة، ويحيل إلى الوعي الشعبي بصيغة التجهيل التي تنم عن مدى الانتشار في العبارة وتمثلها لدى مجتمعه، ومن ذلك قوله: "يقال عندنا في الجبال في الكلمة الجيدة المحكمة واللاذعة، إنها تساوي فرسا مسرجا"^(٣).

يستمد (حمزاتوف) كثيراً من افتنانه باللغة من تربية ذوقية مُنحت له من والده، الذي كان شاعراً مشهوراً في داغستان، وقد تردد ذكر هذا التأثير في مواضع متفرقة كثيرة من عمله، ففي سياق الحرص على فصاحة الألفاظ بالنطق الصحيح لها، يعاتبه والده بشدة فيقول له: "هل تشبه الكلمة جوزة يجب أن تقضمها وتكسرها بأسنانك؟ أو هل تشبه الثوم يجب أن تدقه في الجرن بمدقة من حجر؟ أو هل تشبه الكلمة أرضاً

(١) جون جوزيف، اللغة والهوية، ترجمة: عبدالنور خراقي (الكويت: عالم المعرفة، العدد: ٣٤٢، ٢٠٠٧) ٥٤.

(٢) داغستان بلدي، ٦٦-٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ٧٩.

صخرية جافة يجب حرثها بالضغط بكل قوتك على المحراث؟ الفظ الكلمة بخفة، من دون إجهاد، حيث لا ترفس أسنانك ولا تطلقق"^(١).

وهذا التداخل المعقد لمكونات الإبداع، يكشف عن أن "الأدب ليس عملا لغويا، وإنما هو عمل يتوسل باللغة"^(٢)، وهو ما أدركه من تأثير الكلمة على وعيه حيث منحته حاسة دقيقة في أداء الكلمات على النحو الأمثل، حين نظر لها من زاوية جمالية دون تخصيص لها بجنس فني، وتحدث عن نفسه قائلا: "كنت أتبع -وأنا غيور- الممثلين كي لا يغيروا الكلمات، كي يلفظوها بشكل صحيح، وإذا حدث وأغفل ممثل كلمة أو شوهها، كنت أخرج رأسي وألفظ هذه الكلمة بالشكل الصحيح"^(٣).

وهنا ندرك أن اللغة لدى (حمزاتوف) مندججة في الوعي المضمر لتقاليد بلده وعاداتهم، بحيث يستحيل عزلها في سياق نحوي وتنظيري يخفي هذا العمق الأنثروبولوجي للإنسان، ولذلك تجد مدار تشبيهاته نابعة من هذا الإطار، فالعلاقة متينة بين الكلمة الصادقة المستخرجة من ظلال التجارب وبين النبل والمروءة والهيبة والمسؤولية عند بلده في وصفه: "الكاتب يجب أن يكون سيدا حقيقيا لكلماته، لقسمه أو لعناته. فهو لا يستطيع أن يقسم مرتين، بمناسبة واحدة. وبشكل عام أرى أن الذي يقسم كثيرا ليس إلا كذابا"^(٤).

وهو هنا يعلي من قيمة الإبداع الذي أشيع عنه خوضه في الزخارف، وإهماله لجوهر الحياة المتمثل في المواقف والمبادئ والقيم، ولذلك تعد أيقونة الهوية من سمات أسلوبه أثناء تعرضه للغة والاعتزاز بها في علاقتها باللغات الأخرى، فاللغات الشعوب بالنسبة لي كالنجوم في السماء. أنا لا أود أن تذوب النجوم كلها في نجم واحد ضخم

(١) المصدر نفسه، ٧٦.

(٢) يوسف نور عوض، نظرية النقد الأدبي الحديث، (القاهرة: دار الأمين، ١٩٩٤) ١٦.

(٣) داغستان بلدي، ٧٣.

(٤) المصدر نفسه، ٦٧.

فلسفة الكتابة عند المبدعين ("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً)، د. ماجد بن أحمد الزهراني

يغطي نصف السماء. الشمس كفييلة بذلك. لكن لنندع النجوم تتلألاً هي الأخرى، ولتكن لكل إنسان نجمة"^(١).

إنه يأسى لحال الذين يتفاخرون بغير لغتهم، فهم تائهون بين أصلهم الثابت وهويتهم الطارئة، التي تذكره "بغابة يعبث بها حطابون بلداء"^(٢)، أو كالجدي الذي ذهب "إلى الغابة لينمو له ذنب، فعاد حتى من دون قرنين"^(٣).

ينتقل (حمزاتوف) إلى مستوى آخر من مستويات اللغة وهو العلاقة بين السليقة واكتساب اللغة، حين قابل العالم البولوني الذي تخصص في لغة بلده (الآفارية)، وأدرك تفاوت التلقي الهائل للغة بينهما: فقد "كان يتكلم كما يليق بعالم أن يتكلم، بلغة صافية، سليمة جداً، سليمة أكثر من اللازم، لا بل محايدة، كان يفكر في قواعد اللغة أكثر مما يفكر في تلاوينها، وكان يفكر في تركيب الجملة وبنيتها، لا في الجسد الحي لكل كلمة. أريد أن أكتب كتاباً لا تخضع فيه اللغة للقواعد، بل القواعد للغة. وبتعبير آخر، أشبه القواعد بمسافر على قدميه، والأدب بمسافر يركب بغلاً"^(٤).

يلمح هنا إلى مستوى اللغة الأدبية التي تتحول فيها الأشياء إلى رموز وليس إشارات بخلاف اللغة العلمية، مما يعني كما قال جون كوهن: أن "الأشياء ليست شعرية إلا بالقوة، ولا تصبح شعرية بالفعل إلا بفضل اللغة، فبمجرد ما يتحول الواقع إلى كلام يصبح مصيره الجمالي بين يدي اللغة"^(٥).

(١) المصدر نفسه، ٦٩، وانظر في السياق نفسه: ٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ٨٢.

(٣) المصدر والصفحة نفسها، ٨٢.

(٤) المصدر نفسه، ٨٠.

(٥) بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، (الدار البيضاء: دار توبقال،

١٩٨٦) ٣٨.

هذا الإلحاح على الالتزام باللغة لا يعني بحال لديه الغفلة عن تتبع مظاهر تطورها، فاللغة تتغير بالطبع، لن أماري في هذا، وأوراق الشجرة أيضا تتبدل كل عام، بعضها يسقط وبعضها ينمو مكانها، لكن الشجرة ذاتها تبقى" (١).

ثانيا/ الموضوع بوصفه نافذة

الطرافة مكون أصيل من مكونات الشخصية الإبداعية، مما يمنحها طاقة مضاعفة في البحث عما يدهش القارئ ويجذبه بلطف إلى قارعة نضه، وهذه الطرافة تبدأ بالموضوع أو الفكرة وتنتهي بالصياغة والأسلوب الأخاذ الفاتن (٢)، ولذلك تجد أن هذا المضمون يتفاوت فيه المبدعون ما بين مقل ومستكثر، وقد يتوقف المبدع عن الكتابة ما لم يُلهم بأفكار جديدة تتوازي مع شغفه في توليد المعاني البكر.

إن البحث عن المختلف هو ما يقلق المبدعين ويمثل هاجسا دائما لهم، ولذلك يحرص المبتدئون على الإفادة من الخبراء، ومن أمثلة ذلك رسالة الكاتب الشاب لإحدى المجالات، أو لأحد الكتاب: "أيها الرفاق الأعزاء، عندي رغبة كبيرة في الكتابة، لكني لا أعرف عن أي شيء أكتب، أعطوني موضوعا ضروريا وملحا، أكتب لكم كتابا رائعا" (٣).

ويتساءل (حمزاتوف) بنبرة ساخرة عن سؤال صحفي متداول:

هل الكاتب هو الذي يلد الموضوع، أم الموضوع هو الذي يلد الكاتب؟
وفي سياق هذا السؤال السفسطائي الذي يراه مثل سؤال البيضة والدجاجة، يجب بإجابة الأديب الذي يترنم باللغة واستعاراتها "الأفكار والمشاعر طيور، أما الموضوع فهو الغابة، الأفكار والمشاعر غزلان، أما الموضوع فهو الجبال..." (٤).

(١) داغستان بلدي، ٨٤.

(٢) انظر: أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ط ١٠ (القاهرة: النهضة المصرية، ٢٠٠٦) ٢٤١.

(٣) داغستان بلدي، ٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ٩٠.

وهكذا يصرفنا عن التصور المؤلف لمفردة الموضوع، ليفتح لنا أفقا أرحب يتسع ليشمل الفضاء بكل تجلياته؛ حينما يحتوينا ويمنحنا قدرة على الحركة في تضاريس المكان بدون حدود جغرافية، سوى الخيال الرحب الذي وقوده المعطيات الواقعية، وعليه فلا يتصور وجود كاتب بلا موضوع بلا عالم، كتصور اسم بلا مسمى، إنهما وجهان لعملة واحدة لا تقبل التجزئة أو التقسيم، فبالموضوع تتفاوت أقدار الكتاب ويتميزون فيما بينهم^(١).

ولكن هذا العشق لوطنه لم يعمه عن رؤية العالم الخارجي والتواصل معه، خصوصا أنه رحل إلى دول متعددة وشاهد ورأى وسمع، بل سيضيئ له هذا العشق بصره وبصيرته ويمنحه مدارك مختلفة ونوافذ مشرعة، إن حبه لوطنه - كوتد أصله ثابت في الأرض ولكن ارتفاع جبله يطاول السماء - علّمه أن ينظر بحب للوجود والعالم كله مع اختلاف التضاريس وسكانها، فحيثما حل ببلد وجد صوت وطنه حاضرا في وعيه، في نشاط ذهني مستمر من المقايسة والموازنة بين الغائب البعيد والحاضر القريب، ففي كل شبر يلبي نداء الطبيعة التي تصله بمراتع الصبا، وكأن العالم كله تحول إلى وطن، حيث يردد: "من كل مكان أذهب إليه تمتد خيوط تصل إلى داغستان"^(٢). إن الكاتب لا يتعامل مع الموضوعات كالعالم الطبيعي الذي يتعامل مع الأشياء بوصفها براءة اختراع من العدم، بل يتعامل مع الموجودات برؤية فنية ليعيد اكتشافها، وفق أيقوناته الشخصية ليكون مدخله ونافذة رؤيته متباينة، وهنا مكنم التحدي في إشاعة الموضوعات وفلسفة الانتقاء الخفية لدى المبدعين، ويتضح بجلاء أن الموضوع مع دقة اختياره فهو متاح للجميع "ليس مرجا محرما، أو مكانا محرما في مسجد لا يجوز أن تطأه قدم إنسان غريب"^(٣).

(١) المصدر والصفحة نفسها (بتصرف).

(٢) المصدر نفسه، ٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ٩٥.

وهذه العملية ليست سهلة، بل هي بداية الطريق لتمثل نص متفرد، حينما ينتقي الكاتب موضوعا ما من هذه العوالم المتلاطمة والأفكار المشتركة في عالمنا المحيط الذي اعتادت أعيننا عليه، مما يعد بوابة النفاذ الجمالي لما بعده من عناصر تشكيل العمل الإبداعي، وكم من اختيار لفكرة كشف عن وعي قاصر؟! لأن "الموضوع لا يعوم في السطح وبطنه إلى الأعلى كالسمكة الغافية. إنه في العمق، في الجرى السريع، في التيار الصافي والأعنف، اعرف كيف تمسكه هناك، اعرف كيف تنتشله من قلب التيار ومن تحت الشلال، ترى هل تتساوى قيمة مال اكتسب بعمل طويل وشاق، ومال التقط مصادفة على الرصيف؟"^(١).

وهذا الاختيار ليس مرتبطا بدعوى الأفكار العظيمة أو الحقيرة في الوعي الشعبي، فالمبدع يتعامل معها بوصفها مادة خاما لمنتج جديد، والعظمة تكمن في زاوية النظر التي تصنع من الأشياء الحقيرة جمالا باهرا، و"يبدو لبعضهم أنه يكفي المرء أن يباشر موضوعا عظيما، حتى يصبح هو نفسه عظيما. لكن أعظم الأشياء هو أبسطها. ففي قطرة المطر الواحدة يمتد الطوفان"^(٢).

يحدد أحمد الشايب ثلاثة شروط للحقيقة (الموضوع) إذا رامت الإقناع وهي: الكثرة والصحة والوضوح^(٣)، ولكنها في مجال الأدب بحاجة إلى شرطين كي يظفر هذا الاستثمار للأفكار بمنطقية جمالية ألا وهما: الطرافة والتأني، فإهمال الأول يفقدنا الدهشة ويوقعنا في الابتذال، والتهاون في الثاني يوقعنا في عجلة استهلاك الأفكار والتفريط بها.

إن الأفكار كالضوء لا بد أن تشع على الخطاب بانسيابية تامة، وألا توقعه في الفراغ والعمته، وهذا سر الإبداع أن تدرك قدرتك على التطرق للموضوع وإنضاجه حتى تتشبع منه وتكشف عن سياقاته الخفية؛ لأن "بعض الأدباء يقفزون من موضوع

(١) المصدر نفسه، ١٠١، وانظر في السياق نفسه: ٢٤١.

(٢) المصدر نفسه، ١١٧.

(٣) انظر: أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ط ١٠ (القاهرة: النهضة المصرية، ٢٠٠٦) ٢٢٥.

فلسفة الكتابة عند المبدعين ("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً)، د. ماجد بن أحمد الزهراني

إلى آخر دون أن يتموا أي موضوع. إنهم يرفعون غطاء الصندوق قليلاً، وينفضون الخرق العليا ثم يمضون بسرعة"^(١).

ومن عوامل جودة الاختيار عدم التكرار للأفكار، لأنه يشعر المتلقي بالفقر الإبداعي وقلة الثروة اللغوية ونضوب العاطفة، حيث يقول (حمزاتوف): "فإذا كنت ستكرر الموضوع نفسه طوال الوقت فسيصبح تافها ويفقد قيمته، بقدر ما يكون الأملس أكبر يكون أثنى"^(٢)، ولكنه يستدرك بعدها بصفحات بأن هناك موضوعات خاصة وأثرية تزداد قيمة بتكرارها، ف"هناك موضوع كالصلاة، بقدر ما يتكرر، يصبح أكثر قيمة، أسمى، أغنى، الموضوع صلاة، الموضوع وطن"^(٣).

وهنا يظهر التفاوت بين الكاتب الحقيقي الذي يعالج الطبيعة بروح مرهفة ترادف نضارتها، ويختار ما تعنيه منها بدافع مشوب بالحب، وبين المراسل الذي اكتفى بحاسة الشم والتتبع لأخبار يومه، ليخبر بها الذين يجهلونّها، إنه يمثل الروح الجافة التي تتجاهل الخصوبة في إنتاج أفكار تتوالد من تأمله وفطنته، فالعادات والبلدان تتضاعف قيمتها حينما ينظر لها من متلق يعتز بوطنه، ويدرك خصوصيته وتميزه عندما ينظر إلى الآخر المختلف، وليس النموذج المحتذى الذي يفقد فيه هويته بقدر احتقاره لموروثه، لأن الأنا لن يكون الآخر مهما توهم بعضهم^(٤).

(١) داغستان بلدي، ٩٤.

(٢) المصدر نفسه، ١١٩.

(٣) المصدر نفسه، ١٢٤، هنا يشير إلى أن التكرار لا يحمل قيمة ذاتية مستقلة، بل هو مرتبط بمدى التوظيف الصحيح له في السياق، للاستزادة انظر: التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين السيد، ط ٢ (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٦) ٢٢-٧٩.

(٤) داغستان بلدي، ٩٨، (بتصرف).

ثالثا/ الأسلوب والشخصية

إن الأسلوب هو وجه العمل الأدبي الذي يتلقاه القارئ مباشرة ويخلد صداه في الذاكرة، وبه يحصل تمييز الآثار بين المبدعين؛ لأنه من مكامن المفاضلة التي لا يحصل الخلط فيها، "فلكل كاتب طريقته، أسلوبه في العمل"^(١).

يحكي (حمزاتوف) تجربته الإبداعية بعد أن بلغ أشده، مستذكرا شبابه حينما التحق بمعهد الآداب في موسكو، وأراد أن يحاكي المبدعين ويقلدهم، ولكنه أدرك بتوجيه من والده أنه كان يفقد ذاته حين فكّر بعقل غيره، ظنا بأنه يمكن أن يفصل بين شخصية المبدع وأسلوب كتابته، فالقصيدة ينبغي أن تكون جميلة مهما كانت الفكرة التي تعبر عنها مبتكرة. لا جميلة فحسب بل جميلة كما ينبغي أن يكون. إذا وجد الشاعر أسلوبه فقد وجد شخصيته، إنه عندئذ يصبح شاعرا"^(٢).

وهذه المحاكاة حالة من الإعداد يمر بها المبدعون المبتدئون، ولكن عليهم أن ينعثقوا منها وإلا ذابوا في شخصيات من يفتنهم، وفقدوا مكامن التميز لديهم، وهو ما يحدث بعد زمن عند مراجعة النصوص الأولى، فيكتشف المبدع أن هناك أرواحا اقتحمت خصوصيته، وبذرت نباتات من خارج حقله، وحرمت النص أن يعيش الحياة التي أرادها صاحبها.

يستذكر هنا حادثة والده حينما أراد تركيب أسنان له، ثم استعار هذه الحادثة ليكشف البون الشاسع بين الأساليب النابعة من الذات والأساليب المستعارة "ومن ذلك اليوم كان والدي إذا لاحظ في شعر شاعر جملا غريبة أو جملا مقتبسة من شاعر آخر: تلك هي الأسنان الصناعية بدأت تلمع. حقا إنك تستطيع أن تقضم تفاحة بأسنان من ذهب، ولكن أقسم أنك لا تقضمها بالطريقة التي تقضمها بها

(١) المصدر نفسه، ١٤٨، وانظر: أحمد الشايب، الأسلوب، ط ٨ (القاهرة: النهضة المصرية،

١٩٩١) ١٢١.

(٢) داغستان بلدي، ١٤٩.

فلسفة الكتابة عند المبدعين ("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً)، د. ماجد بن أحمد الزهراني

بأسنانك، ولن تجد فيها المذاق ولا العصير الذين تجدهما فيها إذا قضمتهما
بأسنانك"^(١).

إن الأسلوب نسيج عصر الكاتب الذي يتعاطى معه بوصفه مكوناً من
مكونات التفاعل مع زمن خاص، ولا يمكن أن يكون صدى لأزمان أخرى، ولكن
هوية الكاتب هي التي تفرض عليه الصياغة المناسبة لرؤيته، ولطبيعة القراء الذي
يستقبلون أثره.

ولذلك نجد والده لم يستسغ قصيدته المنشورة، وقام بتعديلها، حين أدرك الفرق
بين المعاصرة والرؤية التي لا ينبغي أن تشوبها الضبابية، حيث يوصيه فيقول: "أسلوبك
طريقتك، يعني طبعك، سجيتك، يجب أن يشغلا المحل الثاني في أشعارك. وعليك أن
تجعل لطبع شعبك وسجاياه المحل الأول. أنت قبل كل شيء جبلي، ومن آفار، ثم
إنك بعد ذلك رسول حمزة، أنت في أشعارك تتكلم بلسان لا يتكلم به جبلي. وإذا
كانت أشعارك غريبة عن فكر رجال الجبال، عن سجيتهم، فإن طريقتك في الكتابة
تبقى مصطنعة مزخرفة. وستحول قصائدك إلى دمي جميلة"^(٢).

يسترسل في ضوء هذه الفكرة، فمن الممكن للكاتب أن يستعد لفكرة بتوفير
المعلومات وتخطيط الأهداف، إذا امتلك وعياً ناقداً وخاطباً عقلاً يفرغ فيه هذه
الأفكار بتسلسل منطقي، ولكنه في حقل الشعر المنبثق من باعث وجداني ومشاعر
مختلطة، بحاجة للكثير من الوقت حتى تهطل عليه المعاني وتدفعه دفعا نحو نشرها؛ لأن

(١) المصدر نفسه، ١٦٠، وانظر في السياق نفسه: ١٩٢: "كان أبي يقول: إذا لم نر المؤلف في

أثره الأدبي، فكأننا نرى حصاناً يجري من دون فارس" وكذلك المصدر نفسه، ١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ١٨٩، في الحديث عن خصائص الأسلوب الأصيل، انظر: أسئلة الكتابة،

موريس بلانشو، ترجمة: نعيمة بنعبد العالي وعبد السلام بنعبد العالي (الدار البيضاء:

توبقال، ٢٠٠٤) ٣٩.

"الشعر يأتي على غير توقع، كهدية. ملكوت الشاعر لا يخضع للمشاريع المحكمة. لا يمكن الإنسان أن يخطط لنفسه"^(١).

وهو هنا لا يتوقف عن التأمل والتحليل لذاكرته - لاستثمارها في تجلية موقفه الجمالي - موازنا بين الصنعة والثقافة عند خبير الفنون (غسانوف) والطبع والتقاليد الشعبية عند أبي طالب (الجبلي) ولكن (حمزاتوف) ينحاز للأخير ويفضّل "الماء المتلجج في ينبوع الجبل على أطيب أنواع الشراب المتمدّن. إن الثقافة والتمدّن ودقائق المهنة يمكن أن تكتسب. يمكن للإنسان أن يكتسبها، وإن لم تكن فيه، أما المشاعر الوطنية والشعبية فإنها فطرية في الإنسان عند ولادته"^(٢).

ولكن هذه العلة في التفضيل لا تبدو مقنعة، عندما تكون منبثقة من خلفيات سياقية ترتبط بطبيعة النشأة في التأثير والتكوين؛ حيث إنها تحيل لنتيجة مسبقة في انحيازها للشعبي في مقابل النخبوي، وافتراض إمكانية عيش الآخر لتجربة الثاني تصدق على الاثنين، فبإمكان الشعبي أن يكون نخبويا والعكس صحيح والعبارة باختيارات الحياة، ولكن المعول عليه في هذه القيمة، "أن الأسلوب الجيد هو الذي لا يبدو فيه أثر جهد الكاتب، وإنما تبدو الكتابة كأنها متعة للكاتب نفسه"^(٣).

وهنا يُقدّم (حمزاتوف) جزءا من الوصايا النابعة من تجارب ثرية، حيث يقول: "لكن أهم ما في الأمر كله، هو أن تذكر أنه مهما بلغت حاجتك إلى الخبز، فلا يجوز أن تستنفد كل الحبوب، أفضل الحبوب يقيها الفلاح للبذار"^(٤)، ويلحظ تركيزه في

(١) داغستان بلدي، ٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ١٨٧.

(٣) نص للكاتب الإنجليزي سومرست موم، من كتاب: لعبة الأدب، فتحي خليل، ٣٩.

(٤) داغستان بلدي، ٨٨، ويستمر هذا التشبيه في سياق آخر ليرز أوجه التشابه والاختلاف

بين عمل المبدع (الذهني) غير المحدد بزمن، وعمل المزارع البدني في نهاره، حيث إنهما يشتركان في وعي (حمزاتوف) أثناء قوله: "إنني أفكر ليالي طويلة بيضا في حقلي تماما كما تفكر أنت في حقلك. أنت تنتقي أحسن الحبوب للبذار، وأنا أنتقي أحلى الكلمات من

=

فلسفة الكتابة عند المبدعين ("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً)، د. ماجد بن أحمد الزهراني

هذا النص على اختزاله - كعادته - أفكاره بصورة مكثفة من خلال عرض الأمثال التي يمهّد بها طرحه لموضوعاته، ولذلك وجد برشاقة بالغة علاقةً وطيدةً بين رصيد الفلاح (الحبوب) والكاتب (الكلمات) في الحصاد، ابتداءً-إشارةً إلى القراءة- من تنقية المحصود والإفادة منه في الأكل -الكتابة- وقدم في صورة حجاجية لطيفة مقصوده، المتمثل في البعد عن الإسراف في الكتابة، والمحافظة على استثمار النصوص العميقة وعدم إهمالها.

=

بين كل ما في اللغة من كلمات. يجب على أن أنتقي كلمة واحدة من ألف كلمة. وأنا أيضاً لي أشغالي، النجوم الأولى التي أفرح بها ثمرات جهدي، أنا أيضاً يجب أن أزرع وأقتلع الأعشاب الضارة لأنها في حقلي، من الصعب أن تفصل الحبة الطيبة عن الشوفان المجنون حتى حين تستعمل الآلة، وأصعب من ذلك أن تنتقي الكلمات السيئة لتفصلها عن الكلمات النافعة الصحيحة الطيبة" المصدر والصفحة نفسها.

الخاتمة

- خلصت هذه الدراسة إلى عدة نتائج، ومنها:
- ١- دعا حمزاتوف إلى ما يسمى بحوار الخطابات أو تفاعلها، ضمن رؤية تتجاوز التصنيف لهوية الإنسان المنسجمة؛ لأن الفعل الإنساني لا يتمهى مع التصنيف حتى وإن حاول العلم تكريس هذه الحدود.
 - ٢- هذا العمل محفز للقراءة في ضوء الحنين إلى المهدي (الوطن) فالأوطان أماكن تتشابه في نظر الإنسان العادي، ولكنها في عين الأديب ملهفات للإبداع، وخصوصيتها فيما تنقشه من معان وما تطبعه من دلالات في وعي القاصد للجمال.
 - ٣- ينحاز حمزاتوف إلى البعد الاجتماعي في وظيفة الأدب، الذي يرى بأن الجمال قناة البشرية التي تتواصل بعمق، وسلسلتها الذهبية التي توثقت عراها برفق.
 - ٤- عبقرية الأديب ليست إرثا يتناقل بين الأجيال، والعباقرة لا يتشابهون في الإبداع، فلكل فرد عبقريته وزاويته التي يدور في فلكها ويمتاز بها عن غيره.
 - ٥- اللغة لدى حمزاتوف مندججة في الوعي المضمحل لتقاليد بلده وعاداته، بحيث يستحيل عزلها في سياق نخبوي وتنظيري يخفي هذا العمق الأنثروبولوجي للإنسان، ولذلك تجد مدار تشبيهاته نابعة من هذا الإطار، فهو يوجد علاقة متينة بين الكلمة الصادقة المستخرجة من ظلال التجارب وبين النبل والمروءة والهيبة والمسؤولية عند بلده.
 - ٦- تفضن حمزاتوف بحسه الشعبي أن اللغة مجرد سراب إن لم تحلل وفق وعي مستخدمها، فهو يعرض باستمرار الصيغ التي تنبتق من وعي الموازنة كالأمثال والتشبيهات والحوارات، ولذلك يحيل إلى الوعي الشعبي بصيغة التجهيل التي تنم عن مدى الانتشار في العبارة وتمثلها لديهم.
 - ٧- يصرفنا حمزاتوف عن التصور المألوف لمفردة الموضوع، ليفتح لنا أفقا أرحب يتسع ليشمل الفضاء بكل تجلياته، حينما يحتوينا ويمنحنا قدرة على الحركة في تضاريس المكان بدون حدود جغرافية، سوى الخيال الرحب الذي وقوده معطيات واقعية، وبالموضوع تتفاوت أقدار الكتاب ويتمايزون فيما بينهم.

فلسفة الكتابة عند المبدعين ("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً)، د. ماجد بن أحمد الزهراني

- ٨- الاختيار ليس مرتبطاً بدعوى الأفكار العظيمة أو الحقيرة في الوعي الشعبي، فالمبدع يتعامل معها بوصفها مادة خاماً لمنتج جديد، والعظمة تكمن في زاوية النظر التي تصنع من الأشياء الحقيرة جمالاً باهراً.
- ٩- إن الأسلوب نسيج عصر الكاتب الذي يتعاطى معه بوصفه مكوناً من مكونات التفاعل مع زمن خاص، ولا يمكن أن يكون صدى لأزمان أخرى، ولكن هوية الكاتب هي التي تفرض عليه الصياغة المناسبة لرؤيته، ولطبيعة القراء الذين يستقبلون أثره.
- ١٠- وازن حمزاتوف بين الأجناس الأدبية، فمن الممكن للكاتب أن يستعد لفكرة بتوفير المعلومات وتخطيط الأهداف، إذا امتلك وعياً ناقداً وخاطباً عقلاً نياً يفرغ فيه هذه الأفكار بتسلسل منطقي، ولكنه في حقل الشعر المنبثق من باعث وجداني ومشاعر مختلطة، بحاجة للكثير من الوقت حتى تهطل عليه المعاني وتدفعه دفعا نحو نشرها.
- ١١- توصي الدراسة بانفتاح النقد العربي على الأدب المعاصر في السياقين الإسلامي والعالمي، وعقد مقارنات معهما في تصوراتهما عن الأدب وعناصره المشكّلة له.
- ١٢- تحتوي السيرة على مجموعة وافرة من الأمثال الاجتماعية والاستعارات اللغوية التي تغري بدراستها ضمن نظرية الحقول الدلالية.
- ١٣- توصي الدراسة بأن تكون هذه السيرة أحد مصادر مقررات التحرير العربي، لما احتوته من تجارب أدبية تدعم تدريس هذا المقرر بصورة مشوقة^(١).

(١) قُدمت هذه الدراسة ضمن برنامج تكامل (الحادي عشر) عام ١٤٤١هـ، المدعوم من عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

المصادر والمراجع

أولا/ المصادر:

- حمزاتوف، رسول، داغستان بلدي، تعريب: عبد المعين المّلّوحي ويوسف حلاق (دمشق: دار نينوى، ٢٠١٥).
- حمزاتوف، رسول، داغستان بلدي، تعريب: عبد المعين المّلّوحي ويوسف حلاق، (ط٢، "بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٦).
- حمزاتوف، رسول، قصائد مختارة من أشعار رسول حمزاتوف، ترجمة: مسوّح مسوّح، (دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٠).

ثانيا/ المراجع:

- السيد، عز الدين، التكبير بين المثير والتأثير، ط٢ (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٦).
- الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، ط١٠ (القاهرة: النهضة المصرية، ٢٠٠٦).
- الشايب، أحمد، الأسلوب، ط٨ (القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٩١).
- باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩).
- بلانشو، موريس، أسئلة الكتابة، ترجمة: نعيمة بنعبد العالي وعبد السلام بنعبد العالي (الدار البيضاء: توبقال، ٢٠٠٤).
- بن الرب، مالك (حياته وشعره) تحقيق: نوري حمودي القيسي (مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد: ١٥، الجزء الأول، د.ت).
- جوزيف، جون، اللغة والهوية، ترجمة: عبد النور خراقي (الكويت: عالم المعرفة، العدد: ٣٤٢، ٢٠٠٧).
- خليل، فتحي، لعبة الأدب (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠).
- روبنسون، أندرو، العبقرية، ترجمة: رحاب صلاح الدين (القاهرة: هنداوي، ٢٠١٤).
- سوييف، مصطفى، الأسس النفسية للإبداع الفني (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٠).

فلسفة الكتابة عند المبدعين ("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً)، د. ماجد بن أحمد الزهراني

شبيب، عبد العزيز، نظرية الأجناس الأدبية في التراث النثريّ (صفاقس: دار محمد عليّ الحامي، ٢٠٠١).

عوض، يوسف نور، نظرية النقد الأدبي الحديث، (القاهرة: دار الأمين، ١٩٩٤).
عيسى، حسن أحمد، الإبداع بين الفن والعلم، (الكويت: عالم المعرفة، العدد: ٢٤، ١٩٧٩م).

كوهن، جون، بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٦).

ماضي، شكري، في نظرية الأدب (بيروت: المؤسسة العربية، ٢٠٠٥).

يحياوي، رشيد، الشعرية العربية (الدار البيضاء: دار إفريقيا الشرق، ١٩٩١).

يحياوي، رشيد، مقدمات في نظرية الأنواع الأدبية، ط٢ (الرباط: إفريقيا الشرق، ط٢، ١٩٩٤).

Bibliography

Firstly/ The References:

- Hamzatouv, Rasuul, **Dagistan My Country** (Arabic), Arabization: ‘Abdul Mu‘een Al-Malluui and Yusuf Hallaq. (Damascus: Dār Nainawi, 2015).
- Hamzatouv, Rasuul, **Dagistan My Country** (Arabic), Arabization: ‘Abdul Mu‘een Al-Malluui and Yusuf Hallaq. (2nd ed., Beirut: Dār Al-Faraabi, 2006).
- Hamzatouv, Rasul, **“Selected Poems from the Poems of Rasul Hamzatouv”** (Arabic), Translation: Massuuh Massuuh, (Damascus: The General Syrian Council for Books, 2010).
- As-Seyyid, ‘Izzuddeen, **“At-Takreer Bayna Ath-Thameer wa At-Ta‘theer”**, 2nd ed., (Beirut: ‘Aalam Al-Kutib, 1986).
- Ash-Shāyib, Ahmad, **“Fundamentals of Literary Criticism”** (Arabic). 10th ed., (Cairo: An-Nahda Al-Misriyyah, 2006).
- Ash-Shāyib, Ahmad. **“The Style”** (Arabic). 8th ed., (Cairo: An-Nahda Al-Misriyyah, 1991).
- Bakhtin, Mikhail, **“Narrative Discourse”** (Arabic), Translation: Muhammad Barādah. (Cairo: Ruyah for Publication and Distribution, 2009).
- Blancho, Maurice, **“Writing Questions”** (Arabic), Translation: Na‘eemah Ban‘abd and ‘Abdus Salām Ban‘abd Al-‘Aali (Casablanca: Tubaqaal, 2004).
- Bin Rayb, Mālik (**His Life and His Poem**) (Arabic), Investigation: Nouri Hamūdi Al-Qaysi, (Excerpted from the Journal of Institute of Arabic Manuscripts. Vol. 15, Pt. 1, N.D).
- Joseph, John, **“Language and Identity”** (Arabic). Translation: ‘Abdun Nour Khirāqi. (Kuwait: ‘Ālam Al-Ma‘rifah, issue: 342, 2007).
- Khaleel, Fathi, **“Lu‘bat Al-Adab”**, (Beirut: Dār Al-Āfāq Al-Jadeedah, 1980).
- Robinson Andrew, **“Being Genius”** (Arabic), Translation: Rihāb Salāhuddeen. (Cairo: Hindaawi, 2014).
- Suwayf, Mustafa, **“The Psychological Foundations of Artistic Creativity”** (Arabic), (Cairo: Dār Al-Ma‘arif, 1970).
- Shubayl, ‘Abdul ‘Azeez, **“The Theory of Literary Genres in the Prose Heritage”** (Arabic), (Sfax: Dār Muhammad ‘Ali Al-Hāmi, 2001).
- ‘Awad, Yousuf Nour, **“The Theory of Modern Literary Criticism”** (Arabic), (Cairo: Dār Al-Ameen, 1994).
- Isa, Hassan Ahmad, **“Creativity between Art and Science”** (Arabic), (Kuwait: ‘Ālam Al-Ma‘rifah, issue 24, 1979).

فلسفة الكتابة عند المبدعين ("داغستان بلدي" لرسول حمزاتوف نموذجاً)، د. ماجد بن أحمد الزهراني

- Cohn, John, **"The Structure of Poetic Language"** (Arabic), Translation: Muhammad Al-Waliy and Muhammad Al-'Umari, (Casablanca: Dār Tuubaqaal, 1986).
- Maadi, Shukri, **"In the Theory of Literature"** (Arabic), (Beirut: Al-Muassasah Al-'Arabiyyah, 2005).
- Yahyawi, Rasheed, **"The Arabic Poetry"**, (Casablanca: Dār Ifreeqiyyah Ash-Sharq, 1991).
- Yahyawi, Rasheed, **"Introductions to Literary Genres Theory"**, 2nd ed., (Rabat: Ifreeqia Ash-Sharq, 1994).

أثر استلهام التراث في تجليات الذات الشاعرة في ديوان "مزاجها زنجبيل" لفواز اللعبون

The Impact of Heritage Inspiration on the Poet Self-
Manifestation in Fawwāz Al-La‘boun’s Dīwān
“Mizājuha Zanjabīl”

د. أسماء حسن محمد النويري

أستاذ مشارك بجامعة تبوك بقسم اللغة العربية بكلية التربية والآداب

البريد الإلكتروني: asmanwery@hotmail.com

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة أثر التراث الشعري على تشكيل صورة الذات الشاعرة، في ديوان: مزاجها زنجبيل للشاعر السعودي فوزي اللعبون. وقد هدفت الدراسة إلى رصد تجليات هذه الذات وأثر استلهام التراث وتوظيفه على رسم صورة شخصية للذات الشاعرة. قامت الدراسة بتحليل المواقف المختلفة لتجليات الذات الشاعرة، وهو ما اقتضى تقسيمها قسمين: الأول مخصص لتناول صورة الذات الشاعرة من خلال تتبع ملامح تشكيلها الوجداني في رحلة حياتها المعاصرة، والثاني مخصص لتناول الصور المتعددة للذات الشاعرة، وكل ذلك في ضوء محاكاتها لمواقف أو لنماذج شعرية بارزة في هذا التراث.

وقد توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج، أبرزها نجاح الشاعر في رسم صورة شخصية لذاته الشعرية، تنطلق من صورة الشاعر الحكيم المتصوّف، ثم تمرّ إلى صورة الشاعر المجنون الذي تذوب شخصيته في معية الحب، وتصل إلى صورة الشاعر اللاهبي الذي يتمتع بوصف مفاتن المرأة. وقد تميّز توظيف اللعبون لملامح التراث بالاعتماد على محاكاة النماذج الشعرية التي أحال إليها، سواء على مستوى الإحالة المباشرة على ألفاظ أو تراكيب شعرية، أو مستوى الموقف الكلي لنماذج شعرية. وقد تميّزت لغة اللعبون في هذا التوظيف بالصفاء الوجداني الذي يستعيد موقف الشاعر المعاصر في تجاربه الرومانسية.

الكلمات المفتاحية: أثر، استلهام، التراث، تجليات الذات، مزاجها زنجبيل،

فواز اللعبون.

Abstract:

This study discusses the impact of the heritage structure of ancient Arabic poetry on the contemporary Saudi poetic experience, by addressing the experience of Fawaz Al-La‘boun in his *dīwān* (poetry collection) “*Mizājuhā Zanjabīl*”. The aim is to study the impact of this employment on the formation of the artistic experience itself, and on the creation of the poet self-image in the entire *dīwān*. which necessitated dividing it into two parts: the first is devoted to dealing with the image of the poetic soul by tracing the features of its emotional formation in its contemporary life journey, and the second is devoted to dealing with the multiple images of the poetic self, all in the light of her imitation of positions or prominent poetic models in this heritage.

The study was concluded with a number of findings, most notably the poet’s success in drawing a personal picture of his poetic self, starting from the image of the wise mystic poet, then passing to the image of the crazy poet whose personality dissolves in love, and reaching the image of the divine poet who enjoys describing the charms of women. Al-La‘boun’s usage of heritage features was characterized by reliance on simulating the poetic models to which he referred, whether at the level of direct reference to words or poetic structures, or the level of the overall position of poetic models. Al-La‘boun’s language was well employed and characterized by emotional serenity, which restores the position of the contemporary poet in his romantic experiences.

Keywords: impact, inspiration, the heritage, self-manifestations, Fawwāz Al-La‘boun, *Mizājuha Zanjabīl*.

المقدمة:

يبرز في ديوان "مزاجها زنجبيل" اعتماده على ملامح من التراث الشعري في تشكيل تجربة قصائده، حيث استدعى في بعض القصائد أصواتاً للشعراء القدامى، باستخدام ألفاظ تحيل إلى أبيات مشهورة لدى أولئك الشعراء، بينما استدعى في قصائد أخرى ملامح من خصائص التشكيل الفني في قصائد الشعر القديم، بالإضافة إلى استدعائه ملامح من القصص القرآني التي وظفها في التعبير عن تجربته الخاصة. وقد عمل الديوان على تحويل تلك الملامح التراثية إلى أدوات تصويرية قادرة على رسم صورة خيالية للذات الشاعرة، تعبر عن قلقها في رحلة حياتها المعاصرة، وفي الوقت نفسه ترسم صوراً متعددة لها، تستلهم صور الشاعر القديم. ومن هنا تتناول هذه الدراسة أثر هذا الاستلهام التراثي في ديوان "مزاجها زنجبيل" لفواز اللعبون؛ على تشكيل صورة الذات الشاعرة، في ضوء استلهام ملامح التراث الموجودة في الديوان. ولتحقيق هدف الدراسة فقد اعتمدت على تتبع صور هذا الاستلهام، وبحث أثره على صورة الذات الشاعرة في الديوان. ومن ثم بنيت الدراسة على قسمين: الأول (الذات ورحلة الحياة) يتتبع ملامح التشكيل الوجداني لهذه الذات في ضوء تصورهما لرحلتها في حياتها المعاصرة. والثاني (الصور المتعددة للذات الشاعرة) يتتبع الصور المتعددة لهذه الذات في ضوء استلهامها لنماذج خاصة من حياة الشعراء القدماء؛ تعيد إنتاجها وتستفيد من مواقفها في الدلالة على تجربتها المعاصرة. وقد وضعت تحت كل قسم مجموعة من العناوين التي تهدف إلى تتبع صور هذه الذات على النحو الذي رسمه الشاعر في قصائده. وقد أردت بهذا التقسيم أن أجمع بين تجليات الذات الشاعرة في ضوء ملامح تشكيلها الوجداني، وفي استلهامها المباشر لصور الشعراء في التراث. وفي الأخير وقفت على أثر هذا الاستلهام من خلال توظيف المفردات والمواقف في تشكيل صورة الذات الشاعرة.

وهو الأمر الذي وضعت له عنواناً ختامياً، تحدثت فيه عن الكيفية التي عمل بها الشاعر على توظيف استلهامه وأثر ذلك على تجربته في الديوان، ومن ثم جاءت الخاتمة لتصوغ أبرز ما وصلت إليه الدراسة من نتائج:

أولاً - الذات ورحلة الحياة:

١. الذات القلقة:

يكشف التأمل في الديوان عن تقديم قصائده في صورة مرتبة، وكأنها تحكي قصة ما في صورة مشاهد، تتناول حياة الذات الشاعرة من خلال مشاهد تثير ملامح تراثية في نصوص الشعر العربي القديم. وقد بدأت هذه القصة بتقديم صورة للذات وهي تبحث عن موضع لنفسها في هذا العالم، مستدعية موقف الشاعر القديم في وقوفه على الأطلال، وراسمة صورة للذات المعذبة التي تبحث عن الحقيقة، وتحاول أن تكتشف علاقة الماضي بالحاضر، لترتاح من تيهها، على نحو ما يقول في أول قصائد الديوان، بما يشبه التصريح^(١):

على شرفة الماضي وبوابة الآتي وقفت على الحدين أبحث عن ذاتي
أسأل عنها كل غادٍ ورائحٍ وأذكر من أوصافها بعض آياتي
أقول لهم: هل تمّ ذاتٌ شريفةً عليها من الأهوال ثوبٌ معاناة؟!
طويلةٌ أحزانٍ! قصيرة فرحة! هزيلةٌ أطماعٍ! عريضة غايات!

في هذا الافتتاح الذي يمثل تقديمًا كليًا لتجربة الديوان، تشير الأبيات إلى موقف الشاعر القديم عند وقوفه على الطلل، على نحو ما يقول امرؤ القيس في مفتتح معلقته^(٢):

قفا نبكٍ من ذكري حبيبٍ ومنزلٍ.. بسقط اللوى بين الدخول فحوملٍ
هذا مع اختلاف السياق بين وقوف الشاعر الجاهلي ووقوف اللعبون، فالشاعر الجاهلي ارتبط وقوفه الطللي ببناء غرضي، ويهدف التعبير عن أزمته الوجودية^(٣)، بينما

(١) فواز اللعبون، مزاجها زنجبيل، السعودية، حائل، النادي الأدبي الثقافي في حائل، ١٤٤٠هـ/

٢٠١٩م، ص ٧

(٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط الرابعة، بدون، ص ٧

(٣) ينظر إبراهيم عبد الرحمن محمد، الشعر الجاهلي: قضاياها الفنية والموضوعية، د. ط، مكتبة

الشباب، مصر، د.ت، ص ٢٠٣-٢١٢

يستفيد اللعبون من فكرة الوقوف ذاتها، في التعبير عن قلق الذات الشاعرة تعبيراً وجدانياً رومانسيّ الطابع، يعتمد على استعمال ألفاظ دالة على هذا القلق: " على شرفة الماضي وبوابة الآتي.. وقفتُ على الحدّين أبحث عن ذاتي ". فالبحث عن الذات - كما يقول اللعبون - هو سبب الوقوف، بينما كان الوقوف الطللي مرتبطاً بالذكريات والبكاء على الأطلال^(١). والجامع بين الموقفين هو لفظ الوقوف ذاته، خاصة أن الشاعر نفسه يؤكد هذه الصلة المباشرة بين افتتاحه وافتتاح القدماء في ذكر لفظ الوقوف صراحة في بيته الأول: " وقفت على الحدّين أبحث عن ذاتي "، ثم يعود في منتصف القصيدة ليؤكد هذه الصلة مرة أخرى، بقوله^(٢):

وقفتُ وما في البؤس شكُّ لواقفٍ أسأل عني في دروب انكساراتي
على كتفي أشلاءٌ حلمٍ ممزّقٍ ومزودتي تحوي بقيّة أشتاتي
يمرّ عليّ العابرون وكلّما.. سألتهم عني استخفّوا سؤالاتي!

والطابع الوجداني للألفاظ التي يستعملها الشاعر ظاهر في تعبيراته التي تعتمد على الاستعارات المركبة: "دروب انكساراتي، أشلاء حلم ممزّق، بقيّة أشتاتي". وهذا هو المدخل الذي استعمله الشاعر ليؤكد صلته بالشاعر القديم في استدعائها المباشر لصوت المتنبي في بيته المشهور^(٣):

وقفت وما في الموت شكُّ لواقفٍ.. كأنك في جفن الردى وهو نائمٌ
بكل ما يدل عليه هذا البيت من اعتزاز المتنبي بشخصيته المفردة في مواقف الخطر، مع ملاحظة أن الشاعر في الديوان قام بتغييرين أساسيين لبيت المتنبي، فاستبدل ضمير الأنا بضمير المخاطب، وأسند البؤس إلى الوقوف بدلاً من الموت. وهو تغيير يدل على حالة الشكوى التي يعاني منها الشاعر، في رحلة حياته التي لا

(١) ينظر مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، د. ط، لبنان، د.ت،

ص ٥٦. ٥٣

(٢) اللعبون، ص ٨

(٣) ديوان المتنبي، تقديم إسماعيل العقباوي، القاهرة، دار الحرم للتراث، ٢٠٠٧، ص ٣٠٥

تخلو من مصاعب، بينما تحدث المتنبي عن الوقوف في سياق المدح الذي اختص به سيف الدولة في هذه القصيدة.

وإن بقيت الصلة بين التغيير والأصل عند المتنبي في دلالة البيتين على اعتزاز كل منهما بشخصه وبشعره، وبمواقفه في الحياة، بالتالي فإن الديوان من اللحظة الأولى لالتقاء القارئ بقصائده، يؤسس علاقة واضحة، تقوم على عقد مقارنة أو منافسة بين صوت الشاعر المعاصر، وصوت الشاعر القديم. وهي تستمد من صوت الشاعر القديم ما يؤكد صورتها المعاصرة، باعتبارها ذاتاً تبحث عن الحقيقة، وتستغني بما أعطاه من مواهب عما في أيدي الناس من عطايا^(١):

أنا الغنيّ هنا بئري ونخل أبي ولي من الزاد ما تلقي شمريخي
لم تنسني ناطحات السحب منقلي وما محاصركم أمجاد تاريخي
أنساب من بين أطلالي إلى كتي وأرتدي سمّت شيخ قبل تشيخي

....

لا تستهينوا بضعفي واتقوا غضي ولا تطيلوا معانتي بتويحي
أعرضت عنكم فلا تقسوا على تعي يكفي الزمان الذي غالى بتدويحي
ويبدو أن فكرة الطلل نفسها لدى الشاعر تساوي مفهوم الماضي " أنساب من بين أطلالي إلى كتي " المقترن بالمجد: " وما محاصركم أمجاد تاريخي "، الأمر الذي يشير إلى نوع من الحنين الرومانسي، حين يتذكر الشاعر ماضيه الشخصي؛ معتزلاً بما له في ذلك الماضي: " أنا الغنيّ هنا بئري ونخل أبي.. ولي من الزاد ما تلقي شمريخي "، ومقارناً حاضره بما كان، غاضباً من التحوّل الذي نال حياته، وأثر على صورة ذاته أمام الآخرين: " لا تستهينوا بضعفي واتقوا غضي / فلا تقسوا على تعي.. يكفي الزمان الذي غالى بتدويحي ". وهذا ما يدفع إلى تأمل صورة الذات الشاعرة على نحو ما رسمته من خلال صلتها بالتراث الشعري.

(١) اللعبون، ص ١٧، ١٨

٢. المُشرد المتصوّف:

يمكن أن نلاحظ أن بناء الصورة الشخصية للذات يبدأ من القصيدة الأولى في الديوان، وهي التي تبدأ بالوقوف الطللي - على ما أشرت قبل قليل - وترسم صورة للذات الشاعرة؛ تتخذ من سمت المُشرد المتصوّف الباحث عن الحقيقة إطارًا عامًا لهذه الصورة^(١):

أمد يدي للعابرين وأنزوي بوجهي، وأشري بالهوان مواساتي!
يجود عليّ المحسنون بكسرةٍ وهذا إدامي المرّ من زيت مشكاتي!
معي من بقايا الأمس ومضة خافقي أناجي بها في الليل عذب المناجاة
والحقيقة أن صورة المتصوف العاشق الذي يبحث عن الحقيقة في حقيقة الحب نفسه، لا تغيب عن هذه القصائد، فهي تظهر مرة بعد مرة؛ خاصة في قصيدته ذات العنوان الدال: المسلوب، حيث يقول فيها^(٢):

ماضٍ أنا والعاشقون ورائي يتدارسون الحبّ في أضوائي
أحكى لهم عذب الهوى وعذابه وأعيد شرح سعادتي وشقائي

....

يا ناصحي في الحبّ كفّ ولا تزدُ ضاعفت همّي في الفؤاد ودائي
إن كنتَ تعرف ما الدواء فهاتهُ أو خلّ عنك نصائح الثقلاءِ
فهذه الأبيات تستدعي صوت ابن الفارض في قوله المعروف^(٣):
هو الحبّ فاسلم بالحشا ما الهوى سهل فما اختارهُ مُضنى به وله عقْلُ
وعشّ خاليًا فالحبّ راحتُهُ عنّا وأولهُ سُقْمٌ وآخرهُ قَتْلُ
ولكنّ لديّ الموتُ فيه صَبابةٌ حياةٌ لمن أهوى عليّ بها الفضل

(١) اللعبون، ص ١٠

(٢) اللعبون، ص ٣١

(٣) ديوان ابن الفارض، لبنان، بيروت، دار صادر، بدون بيانات، ص ١٣٤

نصحتك علماً بالهوى والذي أرى
مخالفتي فاختر لنفسك ما يجلو
فإن شئت أن تحيا سعيداً فمُتَّ بهِ
شهيدياً وإلا فالغرامُ له أهل
فمن لم يمُتَّ في حُبِّه لم يَعِشْ بهِ
ودون اجتناءِ النَّحل ما جنتِ النَّحل
وما تقوله هذه الأبيات بوضوح أن الحب هو طريق المعرفة، فبه خبر الشاعران حقيقة الحياة، وبه يدركان المخاطر التي تحيق بالحب، لذا فكل شاعر منهما يستنكر لومة اللائم في هذا الحب، وينصح المنكر بالابتعاد. والمبرر لذلك، على ما يقول فواز اللعبون^(١):

وفي ضفاف الرضا يقطينةً نبتتْ
وتلك أوراقها تمتدُّ للآتي
ماذا أخاف وفي جنبي معجزةٌ
قدسيَّةُ الحرف غزاءِ العلاماتِ؟
والمؤمنون بما زادوا على مئةٍ
من الألوف وما ضاقت بهم ذاتي

المبرر إذن هو الرضا بالحب باعتباره الغاية والوسيلة، فهو "معجزة قدسية الحرف، غزاء العلامات"، وقد آمن به غير قليل من البشر في رحلة الإنسان. وهنا ندرك بوضوح أن الشاعر يستحضر صورة سيدنا يونس عليه السلام الذي أرسله الله تعالى إلى مائة ألف أو يزيدون، بعد أن لفظه الحوت، في القصة المعروفة، على ما وردت في القرآن الكريم^(٢).

والحقيقة أن مما يلفت النظر في الديوان أن الشاعر يستحضر القصص القرآني، ويعيد صياغته بما يصنع الصورة الكلية للذات الشاعرة، ففي الأبيات السابقة يستمر في استحضار القصص القرآني، لكنه ينتقل إلى قصة هاروت وماروت الملكين اللذين ورد ذكرهما في القرآن، باعتبارهما يعلمان الناس السحر ويحذران منه في الآن نفسه، حيث يقول الشاعر، بعد أن ذكر المؤمنين به باعتباره رسولاً للحب^(٣):

(١) اللعبون، ص ١٥

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٤، ص ص ٢٣٩ - ٢٤٤

(٣) اللعبون، ص ١٥

أتلو عليهم تعاويذي وأنشدهم
بقيّة من قوافٍ بابلّيّاتِ
علمتهم كيف يفني الكره عالمنا
كيف بالحبّ نسمو للسماواتِ

...

لنا من الحبّ جيشٌ لا عداد له
سجلّه يتباهى بالبطولاتِ
غداً سأكمل للعشاقٍ بوحهم
وأرتقي في المداراتِ المضيئَاتِ
خليفتي بينهم حربي، ونائبه
ذكرى من الحبّ تحيي ميت أشتاتي

فالبيتان الأول والثاني يشيران بوضوح إلى قصة الملكين اللذين يعلمان الناس السحر، على ما جاء في القرآن الكريم^(١). لكن اللافت في هذا التعليم الجديد أن السحر الذي يعلّمه الشاعر هو الحب، وهو المنهج الذي يقود به أتباعه، ليمحو به منهج الكره. وبالتالي، تصبح صورة الذات الشاعرة في هذا التصوّر، صورة الحكيم المتصوّف الذي يدعو للحب ويدعو بالحب، وغايته أن يشيع السلام في العالم. وعلى الطريق نفسه يمكن نقراً قصائده: طور الحب^(٢)، أوجاع يوسفية^(٣)، طلاس على ألواح الشعر^(٤)، صواع الملك^(٥) التي يستدعي الشاعر فيها جميعاً قصص موسى، ويوسف، ومحمد، عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم. وهو استدعاء المهدف منه استكمال صورة المتصوّف الحكيم الذي يبحث عن الحقيقة ويدعو إلى الحب. ففي هذه القصائد يعيد الشاعر صياغة هذا القصص القرآني بما يعيد بناء

(١) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: البداية والنهاية، ج الأول، تحقيق عبدالله بن عبدالحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، دار هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، إيداع ١٩٩٧، ص ١٠٩، ١١٠

(٢) اللعون، ص ١١، ١٢

(٣) السابق، ص ١٩، ٢٠

(٤) السابق، ص ٢١ - ٢٣

(٥) السابق، ص ٢٤، ٢٥

الصورة الأصلية للنبيّ المشار إليه في الأبيات. ولعلّ من أبرز هذه الاستدعاءات قوله في مطلع قصيدته طلاس على ألواح الشعر^(١):

على دروب النوى كم طال بي المسرى أسري ولا أنتهي سبحان من أسرى
قتلت نفسي فادارات منتظرًا من فاقع لونها أعجوبةً كبرى

ففي هذين البيتين اللذين يفتتح بهما الشاعر القصيدة، يجمع الشاعر بين إسرائ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي تأتي الإشارة له في أول سورة الإسرائ^(٢)، والقصص المتفرق في القرآن الكريم لسيدنا موسى عليه السلام، بداية من ذكر قتله النفس التي كانت سببًا في فراره إلى مدين^(٣)، ومعها الإشارة إلى قتل النفس التي ادارأ فيها اليهود، حتى أمروا بأن يذبحوا البقرة، على ما هو معروف أيضًا^(٤).

واللافت هنا أن الشاعر يخلط بين هذه القصص مجتمعة ويعيد بناء عناصرها لتصب في رسم صورة الذات الشاعرة نفسها. وهي الصورة التي يستقيها مما يرمز إليه هؤلاء الأنبياء الكرام، فالقوة قرينة سيدنا موسى، والمعرفة قرينة سيدنا الخضر، والجمال والصبر قرين سيدنا يوسف، وحسن الخلق وارتفاع المكانة على كل الخلق قرينة سيد البشر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

لذلك فإن استدعاء هذه الشخصيات الكريمة، وتلك القصص المتنوعة من القرآن الكريم، وإعادة صياغة عناصرها، ليس المقصود بها مجرد الاستدعاء أو تطريز القصائد بإشارات بيانية في متن القصائد نفسها، وإنما المقصود هو إضافة ما تعنيه تلك الشخصيات الكريمة وذلك القصص المتنوع إلى صورة الذات الشاعرة، لتمثّل في الأخير صورة الشيخ الصوفيّ الذي يبحث عن الحقيقة، وينشر الحب في كل مكان

(١) السابق، ص ٢١

(٢) محمد متولي الشعراوي: الإسرائ والمعراج، لبنان، بيروت، دار الجيل، القاهرة، دار التراث

الإسلامي، ٢٠٠٤، ص ١٧ - ٢١

(٣) ابن كثير، سابق، ص ٢٥١ - ٢٥٣

(٤) السابق، ص ٣٢١، ٣٢٢

أثر استلهام التراث في تجليات الذات الشاعرة في ديوان "مراجها زنجبيل" لفواز اللعون، د. أسماء حسن محمد النويري

يحلّ به متسلِّحًا بقوة العزيمة، وبمعرفة الحق، وبجمال الخلق والتواضع لله سبحانه والخضوع لأمره والرضا بقضائه. وهي المعاني التي تتكرر وتنبث في كل قصائد الديوان، وفي كل أغراضه، على تنوعها. الأمر الذي يؤكد ما نذهب إليه في تفسير علاقة وجود هذه الشخصيات التاريخية ذات المكانة الخاصة، باعتبارها رموزًا وأقنعة لمعان واحدة، تدور حولها القصائد، وتؤكد دلالاتها المنبثّة في أبياتها.

أما أصوات الشعراء القدماء، فهي التي تمثل الجانب الثاني من جوانب توظيف التراث في هذا الشعر. وهو ما يقتضي الوقوف عند هذه الأصوات لتمييز دلالة وجودها في الديوان، وللكشف عما تعنيه بحضورها الموثوث في قصائده.

ثانيًا - الصور المتعددة للذات الشاعرة:

١. الشاعر المجنون:

إن الصورة التي يرسمها الشاعر لذاته في هذه القصائد تتصل اتصالًا وثيقًا بكل أصوات الشعراء القدماء، إذ يعيد الشاعر أبيات هؤلاء الشعراء، ويضيف إلى صورته الذاتية الشعرية صورًا متنوعة مأخوذة من صور أولئك الشعراء. وهو ما يجعله يظهر في صورة المتصوِّف الذي تغلّفه صورة المجنون مرة، وصورة الفارس النبيل الذي يواجه الأخطار ببسمة واسعة وصدر عارٍ مرة، وصورة الشاعر العابث الذي لا يتورّع عن وصف محبوبته وصفًا حسيًا مباشرًا مرة، وصورة الشاعر الأندلسي الذي يبدع في إنتاج موشحاته مرة.

وهذا يعني أن الشاعر يضيف إلى ذاته ذوات الشعراء في النموذج الأصلي للشاعر العربي، على النحو الذي عرفه الشعراء الأوائل واستقر في وعي الجماعة، باعتبار الشاعر نموذج "العارف بكل شيء القادر على كل شيء"^(١). والهدف من هذه العودة تأكيد كل الوظائف التي يمكن لهذا الشاعر القيام بها، باعتباره مادحًا؛ يشيد بالأخلاق الحميدة، وداعيًا لها، ولاهيًا يغتتم لذته من الحاضر، تعبيرًا عن احتجاجة عما يحمله هذا الحاضر من فساد، وصانعًا مبدعًا؛ يحكم صنعته الشعرية،

(١) جابر عصفور، غواية التراث، الكويت، كتاب العربي، ع ٦٢، أكتوبر ٢٠٠٥، ص ١٤

وداعياً لما يعتقد من أخلاق دينية قويمه^(١). وبالتالي فإن هذا الشاعر المعاصر يؤكد كل الصور والوظائف النمطية في ملامح التراث الشعري، ويعيد صياغتها في صورة معاصرة، ويدعمها بإشارات لغوية دالة على هذه الصلة بين الشاعر الحديث وسلفه الشعري.

فإذا كانت الذات الشاعرة تقدم نفسها في صورة الشيخ المتصوّف الباحث عن الحقيقة، الذات التي تمد يديها إلى الناس، بعينين محبتين، وثرغ باسم، ووجه يشع النور، وورود تبدي البشر لكل من تلقاه، على ما يقول^(٢):

لها عينان ناطقتان حباً
وتغرّ مفعم بالأغنيات
بيسراها عقود من ورودٍ
وفي اليمنى بقايا أمنيات

...

وتهمي رحمةً وتفيض نوراً
وتبدي بشرها شعراً ونثراً
فإن هذه الذات المحبة، تتفاني في حبها إلى درجة الفناء الذي يقربها من الجنون، أو يقربها من الموت، على ما يقول^(٣):

كم لآمني فيك أحبابٌ عذرهم
ووصرت أعجب ممن لم يلوموني
جاوزت في حبك المعقول من ولعي
وكلمّا عيروني قلت: زيدوني
قالوا: جُننتَ بها حباً؟ فقلت: نعم
وليس مجنونٌ ليلاًكم بمجنون
لو تعرفون جنوبي في محبتّها
لقلتم: عاش فوّاز ابن لعبون

والأبيات على طرافتها (لقلتم عاش فواز بن لعبون)، تستعيد بوضوح صورة مجنون ليلي أو مجنون الشعر، رغم تعدد الاجتهادات وعدم الاتفاق على شخصيته

(١) السابق، ص ١٣، ١٤

(٢) اللعبون، ص ٢٤، ٢٥

(٣) السابق، ص ٣٣، ٣٤

أثر استلهام التراث في تجليات الذات الشاعرة في ديوان "مزاجها زنجبيل" لفواز اللعون، د. أسماء حسن محمد النويري

التاريخية^(١)، إلا أن صورة المجنون باعتباره نموذجًا فنيًا دالًا تبقى هي المقصودة^(٢).
ولذلك من اليسير أن نجد تردد هذا المعنى في شعر المجنون، حيث يقول في بعض أبياته^(٣):

قالت: جنت على رأسي، فقلت لها
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه
الحب أعظم مما بالمجانين
وإنما يُصرع المجنون في الحين
لو تعلمين إذا ما غبت ما سقمي
وكيف تسهر عيني لم تلوميني
ومع إحساس هذه الذات بالخفة في حبها أو بسبب حبها، فإنها تستعيد صوت
الشاعر الأندلسي الذي غنى للحب وأبدع في موشحاته الأندلسية، حيث يقول^(٤):
يا زمان الطيش ودّع
وارحلي يا ذكريات

...

فابعثيني من جديد
أنت أسمى أمنياتي
وانفضي عني السُّبات
حين تسمو الأمنيات
فهذا الصوت الفرحان بالحب، يعيدنا مباشرة إلى صوت الشاعر الأندلسي
الذي غنى للحب من قبل، فقال^(٥):
جارك الغيث إذا الغيث همي
لم يكن وصلك إلا حلمًا
يا زمان الوصل بالأندلس
في الكرى أو خلسة المختلس

(١) طه حسين، حديث الأربعاء، ج ١، القاهرة، دار المعارف، ط الثالثة عشرة، ١٩٨٢، ص

ص ١٧٣-١٨٣

(٢) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، القاهرة، دار نضضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧، ص ٣١٠

(٣) ديوان مجنون ليلي، جمع وتحقيق وشرح عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، مكتبة مصر، بدون،

ص ٢١٨

(٤) اللعون، ص ٤٠

(٥) ديوان لسان الدين بن الخطيب، حققه محمد مفتاح، مج الثاني، المغرب، الدار البيضاء، دار

الثقافة، ١٩٨٩، ص ٧٩٢

فزمان الطيش الذي يخاطبه الشاعر، يشير إلى الوصل، باعتبار أن الطيش علامة الشباب، وسبب الإقبال على الحياة، خاصة أن الشاعر يربط هذا الزمان بالذكريات؛ أي بالماضي الذي كان. وهذا المعنى ليس بعيداً عما أشار إليه الشاعر الأندلسي حين خاطب أيضاً زمان الوصل، ووصفه بالحلم أو باللحظة المختلصة في حياة الإنسان.

وفي إطار حديث الذكريات هذا يجعل الشاعر من هذا الليل رفيعاً، يستر مجونه ويصاحب لهوه، ويشهد لذته، حيث قال^(١):

يا ليلة ما كان أعذب أنسها مرّت، وما مرّت مرور كرامها
ألقي الظلام بما علينا سدّله ومضتْ، ولم نمسك بذيل ظلامها
وهو القول الذي يمكن أن نلمح فيه صوت امرئ القيس الذي قال^(٢):
وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

والجامع بين الصوتين لفظ "سدّله" الذي يتفق بالاشتقاق مع "سدول" امرئ القيس، باعتبار اللفظين جمعين لأصل واحد. غير أن اللعبون لا يمضي على نسق امرئ القيس في تعامله مع مفهوم الليل، باعتبار الليل حالة مطلقة، ولحظة زمنية ممتدة، لا يُقصد بها ليلة بعينها، وإنما يقصد بها مطلق الهموم التي تعكس الحالة النفسية للشاعر في لحظة القول، إضافة إلى ارتباط حضور الليل في هذا القول بالبنية الطللية في امتداد وصف امرئ القيس للرحلة^(٣)، بينما تعامل اللعبون مع الليل باعتباره لحظة مفردة تشير إلى ذكرى محددة تقتزن باللذة والخفة التي شعرت بها الذات، وانعكست على لحظة التذكر.

(١) اللعبون، ص ٤٦

(٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط الرابعة، بدون،

ص ١٨

(٣) ينظر قراءة ثانية لشعرنا القديم، سابق، ص ٧٥ - ٨١

غير أن هذه اللذة وتلك الخفة التي تشعر بها الذات، مع تفانيها وإخلاصها في سبيل فكرة الحب لم تعفها من الإحساس بالتقصير في بعض أحوال حبها، فتطلب من حبيبها الغفران، كدأب المحبين المخلصين^(١):

نعم أسأت وجمتُ الآن أعتذرُ والعفو من روحك البيضاء منتظرُ

...

انظر تجد رجلاً جلدًا أضرب به عذابه، وبرى أجفانه السهرُ

قد تظهر البسمة الغراء ملء فمي وخلفها موقدٌ بالحزن يستعرُ

إذا رأيت شفاه الحر باسمه في غير وقت ابتسامٍ فهو ينصهرُ

والطريف هنا أن هذه الذات في الوقت الذي تطلب فيه الغفران، وتؤكد أن ابتسامها سببه انصهارها بسبب الحزن لغضب الحبيب منها، فإنها في الوقت نفسه تحتفظ لنفسها بخط الرجعة، فتبطن قولها بصيغة التهديد المكتسبة من الإشارة المباشرة إلى قول المتنبي المحذر^(٢):

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسمُ

فالليث في حقيقته لا يبتسم، وإنما يكشّر عن أنيابه محدّرًا ومستعدًا للهجوم على فريسته أو خصمه. وهذا ما عناه المتنبي في سياق المدح، حيث يصف قوة الممدوح وصبره على أعدائه، بينما يشير ابتسام اللعبون إلى الإحساس بالخطر الذي يحيط إحساس ذاته بالحب، فطريق الحب ليست خالصة من الغرماء، ولذلك فإن هذه الذات الشعرية المتقلبة، تعود فتتنفض عنها ثوب المحب المجنون الذي لبسته قبل قليل، لتلبس ثوب الحكمة التي ترى الخطر مقترنًا بالحب:^(٣)

أمامي الموتُ يبدو فاغرًا فمه وخلفي البحرُ تطويني دواهيهِ

(١) السابق، ص ٦٠، ٦١

(٢) ديوان المتنبي، راجعه يوسف الشيخ، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون، ص ٢٠٤

(٣) اللعبون، ص ٢٦

وكأن الشاعر هنا يلفت النظر إلى صعوبة اتخاذ الحب عنواناً في الحياة، فكل خطوة في طريق الخير والسلام، يعطل مسيرتها تهديدات تغلق الطريق، فالموت - كما يقول: فاغر فمه، والبحر خلف الظهر يغلق طريق الفرار، ويجعل مواجهة الموت حتمية. وهو تصوّر لإغلاق الطريق يستحضر بوضوح صوت طارق ابن زياد في خطبته الشهيرة: "أيها الناس، أين المفرّ؟ البحر أمامكم والعدوّ خلفكم، وليس لكم إلا الصدق والصبر"^(١)، كما يستحضر صوت أبي العتاهية، في قوله^(٢):

حتى متى أنت في لهو وفي لعبٍ والموت نحوك يهوي فاغراً فاهُ

هذه الاستعادة لفكرة الموت التي تهدد الماضين في طريق المعرفة والخير، كما تهدد كل كائن حيّ، تؤكد إحساس الذات الشاعرة بالخطر، وتؤكد إحساسها بثقل حضوره في حياة الإنسان، حتى توشك حياته كلها أن تكون ظلاماً في ظل هذا الحضور. ومرة أخرى يفيد اللعبون من إشارات الألفاظ في الأبيات المشهورة من التراث، أو في المواقف المشهورة، ليحوّل هذه الإشارات إلى تعبير وجداني عن حالة الذات الشاعرة في سياق الحب.

٢. الشاعر اللاهية:

وما يؤكد هذا المغزى أن الشاعر نفسه يعود إلى استحضار الفراغنة والتاريخ الفرعوني مرة أخرى حين يذكر الأهرام، بوصفها شاهداً على عظمة حضارة قديمة، في عنوان دال للقصيد نفسها "حكاية الأهرام"، حيث تقول القصيدة^(٣):

وحكت عن الأهرام مجداً غابراً وأنا أجيل الطرف في أهرامها

(١) خليل محمد إبراهيم، في الأدب الأندلسي - قضايا وموضوعات، الأردن، عمان، دار الخليج

للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠، ص ٢٣

(٢) ديوان أبي العتاهية، شرح عمر فاروق الطباع، ص ٣٥٢، وأبو العتاهية - أشعاره وأخباره،

تجمع وتحقيق شكري فيصل، سوريا، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٥، ص ٤١٩

(٣) السابق، ص ٤٨

والقصيدة لافتة لا في استحضار أهرام مصر فحسب، وإنما في استحضار نموذج الشاعر الجاهلي الذي يصف ليلة من ليالي لوه، فيصل من ذلك إلى الوصف الحسيّ لمفاتن المرأة، والذي يكاد يكون صريحًا، مستعينًا بالأوصاف المألوفة في وصف آكام الجزيرة العربية وكتباها ورملمها، في الوحدة الطللية. وتحديدًا يمكن أن نلاحظ أن الشاعر يستحضر الأعشى في وصفه لهريرة حيث يقول في قصيدته المعروفة^(١):

غراء فرعاء مصقولٌ عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجى الوجلُ
كأن مشيتها من بيت جارتم مرّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

ووصف الأعشى لهريرة وصف مادي طويل لجسم المرأة ولمفاتها، استغرق عدة أبيات، وهو يليّ حاجة الشعراء القدماء إلى وصف اللذة المصاحبة للشعور بالحب، رغم ما فيه من جرأة في الوصف، لكنها تتلاءم مع طبيعة بناء الغزل في قصيدة الشعر الجاهلي^(٢). ولقد أفاد فواز اللعبون من هذا الوصف في استيحاء لبناته الأساسية، فوقف عند ما يميّز محبوبته من مفاتن جسدية، تحاكي الأهرام والصحراء في ليونة رمالها، وفي ارتفاع آكامها حينًا، وانخفاض سهولها حينًا، حيث قال في بعض أبيات القصيدة^(٣):

زبدية الأكوام تحسب أنها حُشيت نديف القطن في أكوامها
لو مدّ إصبغه إليها لامسٌ من خلفها لانسلّ من قدامها
ترخي لدانتها عرى أعضائها وينوء ضامر خصرها بقوامها
لولا تماسكها لكاد قوامها ينهار منهالاً على أقدامها
كم غرّ الأغرار طول صمودها فاستيئسوا من حلّ عقد نظامها
حتى إذا همّت بأول خطوة نشطت زلازلها على آكامها

(١) مفيد قميحة، شرح المعلقات العشر، لبنان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأخيرة

٢٠٠٣، ص ٣٥٧، ٣٥٨

(٢) حسين، سابق، ص ص ٢٢٤ - ٢٢٦

(٣) اللعبون، ص ٤٨، ٤٩

وتخاصمت في مشيها كثنائها وازدان بالرجفان موجُ خصامها

والوصف الحسّي هنا لا يكتفي بالمعنى الذي يحاكي ما جاء في وصف الأعشى لهريرة، وإنما يؤكده باستحضار بعض المواد اللغوية التي تعود مباشرة إلى مواد اللغة في وصف الأعشى: "لولا تماسكها لكاد قوامها ينهار منهاًلاً على أقدامها"، "كم غرّر الأغرار طول صمودها". وهذا يعني أن اللعبون يعيد بناء النص الشعري القديم، بما يلائم تجربته الشعرية المعاصرة، مدلاً بذلك على قدراته الشعرية البارزة، ومعيداً في الوقت نفسه بناء نموذج الشاعر القديم في صورة معاصرة، حتى لكأنما نشعر في مثل هذا النص أننا نعيش في أجواء الجزيرة العربية القديمة بما فيها من آكام وموج رمال. ولا يكتفي اللعبون بتتبع النموذج الغزلي لدى الأعشى في بناء المعاني الحسية، وإنما يخلطه بنموذج آخر مشهور من معلقات الجاهليين أيضاً، تبرز فيه آكام الجزيرة العربية، بوصفها وحدة أساسية من وحدات الطلل، حيث يقول لبيد بن ربيعة العامري^(١):

عفت الديار محلّها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها

فمدافع الرّيان عزّي رسمها خلقت كما ضمن الوحيّ سلامها

دمنٌ تجرّم بعد عهد أنيسها حججٌ خلون حلالها وحرامها

والوصف طويل ومعروف في القصيدة، ولولا اختلاف حركة الروي في قصيدة اللعبون: الكسر بدلاً من الضم في قصيدة لبيد لأمكن للباحث القول: إن اللعبون يعارض لبيداً ويحاكي قصيدته. ومع ذلك فنموذج قصيدة لبيد يحضر بقوة في قصيدة اللعبون حين يستحضر بيت لبيد^(٢):

فوقفت أسأها وكيف سؤلنا صمّاً خوالد ما يبين كلامها

(١) قمبيحة، سابق، ص ١٩١

(٢) السابق، ص ١٩٢

فيعيد اللعبون صياغة السؤال مع تغيير السياق، من سؤال الأطلال إلى سؤال العيون، لكن مع تأكيده على فهم هذه اللغة الخاصة للجسد، لا لغة الطلل وآثاره، ليتوصل من ذلك إلى إطالة لحظة التواصل والتجاوب بينه وبين المحبوبة^(١):

وسألت عما لست أجهله لكي ألتقط الشذرات من بساتمها

وكم استعدتُ جوابها مستفهمًا لأراقب الشفتين في إفهامها

ولعلّ المشترك بين الشاعرين في هذه الوقفة أمام (آثار) المحبوبة لدى لبيد، وتأثيرها لدى اللعبون، يكمن في التأمل، غير أن لبيد يتأمل ليستخلص العبرة، وليستعيد لحظة الماضي ولدّته، بينما يتأمل اللعبون ليديم لحظة المتعة الحاضرة، وليطيل حضوره بين مفاتن المحبوبة. ولذلك يعود اللعبون في آخر القصيدة ليردّ على لبيد الذي استنكر سؤال "الصم الخوالد" التي لا يبين جوابها، ويقول له ولكل الجاهليين القدماء:

أين الكئيب معقرًا بشحوبه من ذلك المحمود من أوراها؟!

فيها لأهل الجاهليّة سلوةٌ عن ذكّرة الكئيبان واستلهاها

لو عاصرهم ما بكوا كئيب اللوى يومًا ولا التفتوا إلى آرامها

ومعنى ذلك أن اللعبون لا يكتفي باستحضار النموذج العام للشاعر القديم، سواء أكان جاهليًا أو إسلاميًا، وإنما يضيف إلى النموذج المواقف التي يعيد بناء تفاصيلها ويمزجها بتجربته المعاصرة، ليتسع بذلك أفق التأويل الذي يتحوّل في عصور الشعر القديم، ويتصل بتجربة الشاعر الوجداني المعاصر.

٣. الشاعر الحكيم:

والشاعر لا يكتفي باستحضار أصوات الشاعر القديم، لتأكيد صلته بالتراث الشعري، فيعيد تأكيد هذه الصلة باستخدام كلمات تشير إلى التاريخ القديم نفسه: الفراعين، الأهرام، أندلسي، بابليات. وهذه الكلمات تستعيد ذلك التاريخ القديم،

(١) اللعبون، ص ٤٧

جامعة بين الصوت العربي الخالص، وأصوات الشرق كله، فتحضر الفراعين والأهرام، حيث يقول^(١):

خلفي الفراعين لا أحصي لهم عددًا ولا أطيّق على أهوالهم صبرًا
والقصيدة التي يستحضر فيها الشاعر هذه الكلمة لافتة في مضمونها، فهي تأتي
ضمن الصورة الكلية التي ترسمها الذات الشاعرة لنفسها، باعتبارها "رسولًا" للشعر،
يكتب آياته على ألواح مخصوصة. ومن ثم فإن الأبيات التي يسجل فيها رؤاه الشعرية
هي التي تمثل هذه الألواح التي تحكي قصة الشعر، مستحضرًا قصة سيدنا موسى عليه
السلام، في مواقف عديدة، تشمل الهروب من مصر حين قتله الغلام^(٢):

ولم أزل في فجاج الأرض منبعثًا أخفي خطاي وأرجو مطلع البشرى

كما تشمل موقفه مع سحرة فرعون^(٣):

معى عصا الشعر لم تلقف خوارقهم ولم تُشقّ إلى منجأها بحرًا
ثم موقفه مع الخضر عليهما السلام^(٤):

فكم سفينة آمال نجوت بها من كل مغتصبٍ يحوي المنى قهراً

وهكذا إلى نهاية قصة سيدنا موسى عليه السلام، حيث التيه في طور سيناء،

مع الإصرار على تبليغ الدعوة وتحقيق هدفها في نهاية القصيدة^(٥):

لكنني رغم هذا التيه معتقدٌ بأنّ خلف عباوات الدجى فجرًا

وأن في الطور عجلًا سوف أذبجُهُ ليعبد الله في أرواحنا جهراً

(١) اللعبون، ص ٢١

(٢) السابق

(٣) السابق، ص ٢٢

(٤) السابق

(٥) السابق، ص ٢٣

ولا ريب هنا أن المغزى من استحضار قصة سيدنا موسى عليه السلام، ليس المقصود منه تسجيل القصة شعراً، وإنما المقصود الإفادة من المواقف المتعددة التي مرّ بها هذا النبيّ الكريم، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمّ التسليم، في إضافة معنى السحر أو معنى الخوارق التي لا يدركها العقل إلى رسالة الشعر، وهو ما يفسر تعديل أصول القصة القرآنية وإضافة تفاصيلها إلى الذات الشاعرة لا إلى فاعليها الأصليين المذكورين في القرآن الكريم وفي تفاسير القصة؛ إذ إن الشاعر هنا أو الذات الشاعرة، هي حاملة رسالة أخلاقية، هدفها نفي كل العوارض الزائفة عن حياة الإنسان "ليعبد الله في أرواحنا جهراً".

ومن ثم، فإن رسالة الشعر هنا ككل الرسائل السامية، تجذ المواقف والمعارض، كالسامريّ الذي فسد وأفسد دين اليهود، رغم ما ناله من معرفة الحق، بحكم اقتترانه بموسى عليه السلام^(١):

والسامريّ الذي قاسمته شجني أراه يضمّر في أحشائه غدراً

ولذلك فإن الشاعر الذي يحمل مثل هذه الرسالة السامية، يلقي مثلما لاقى كل الأنبياء من إنكار وجحود، مع اختلاف المقصد من المنكرين، فالأنبياء عليهم السلام لاقوا معارضة أقوامهم الذين لم يؤمنوا، لكن الإصرار على تبليغ الرسالة هو الذي يدفعهم إلى مواصلة العمل في سبيل تبليغ دعوة الحق. أما اللعبون فيشير إلى مواقفه الصعبة في الحياة، حيث لاقى من جحود الأصدقاء والمقربين ما جعله يعجب من موقف أولئك الأصدقاء.

والمقصد من استحضار القصة كلها وإعادة صياغتها بما يلائم تجربة الشعر لا يعدو الإفادة من القيمة الكلية لمضمونها؛ أي الإخلاص في التعامل، والجحود الذي لقيه المخلصون، وما يصاحب ذلك من رحلة حياة، تتشابه في مواقفها مع مواقف الأنبياء الذين أشار إليهم اللعبون، مستعيداً قصصهم القرآني. وكل لفظ في هذه

(١) السابق

القصة يمثّل رمزًا لشخصية من الشخصيات أو لموقف من المواقف التي مرّ بها الشاعر، كالسامريّ الذي يضمّر الشر بعدما قاسمته الذات الشاعرة شجنها.

بين الاستلهام والتوظيف:

من خلال التحليل السابق، يمكن للباحثة ملاحظة أن الشاعر اعتمد في توظيفه لملامح التراث على جانبين اثنين: الأول يعتمد فيه الشاعر على تراكيب ذات ألفاظ تحيل على أبيات الشعر القديم ونماذجه المعروفة، على نحو ما فعل في افتتاحية الديوان حين استدعى لفظي الوقوف والطلل. وهو المفتوح الذي قصد به الشاعر أن يتمثّل موقف الشاعر القديم حين يعود إلى ذكرياته، ويتأمل مصيره. غير أن اللعبون في هذا الجانب اكتفى بحضور اللفظ، فلم يستدع سياق الموقف كاملاً، وأعاد توظيفه في حدود تجربته الوجدانية التي تتحدث عن تجارب حبه، على نحو خاص.

والجانب الثاني الذي وظّف فيه اللعبون ملامح التراث، تمثّل في استلهام نماذج كلية مرتبطة بقصص تاريخي، كقصص موسى ويوسف عليهما السلام، لكنه أعاد صياغة هذا القصص في التعبير عن مواقفه المعاصرة؛ خاصة في علاقته بأصدقائه. وقد خصّص الجانب اللفظي في توظيفه لتلك الملامح للتعبير عن تجاربه الشخصية في الحب، واعتمد خاصة على تغيير السياق، بتغيير إسناد اللفظ إلى غير مسنده الأصلي في القصيدة القديمة. وقد يقوم في أثناء ذلك بتغيير صورة اللفظ المستخدم بتغيير الاشتقاق المعجمي الذي يعتمد عليه.

أما في توظيفه لملامح التراث المرتبطة بنماذج كلية، فقد عبر فيها عما مرّ به من لحظات صفاء أو لحظات غدر مع أصدقائه المقربين. ويمكن هنا أيضاً أن نلاحظ أن لغة الشاعر تختلف بين الملمحين في التوظيف، فهي تميل إلى استخدام الألفاظ الوجدانية التي تعتمد على تركيبات مثل "شرفة الذكريات". وهي تركيبات تحيل إلى طيف واسع من الدلالات الشعورية، أكثر من إحالتها إلى معان معجمية محدد.

بينما مالت لغته إلى الصرامة المعجمية التي تعبر عن اعتزازه بنفسه، أو تعبر عما لاقاه من وفاء أو غدر في علاقته بأصدقائه. والملاحظ هنا أيضاً أن الشاعر رسم

أثر استلهم التراث في تجليات الذات الشاعرة في ديوان "مراجها زنجبيل" لفواز اللعبون، د. أسماء حسن محمد النويري

علاقته بأصدقائه في صورة كلية تتبّع الحدود الكلية للموقف التراثي الذي يستدعيه من القصة الأصلية.

وقد عمل الشاعر في توظيفه هذا، سواء في الجانب اللفظي أو في جانب الموقف الكلي، على تصوير ذاته تصويرًا كليًا، فبدت الذات في بعض مواقفها حكيمة، متصوّفة، وبدت في البعض الآخر مجنونة، تذيب ذاتها في تجربة الشعر، وبدت في مواقف أخرى لاهية لا تهتم بالقيم الاجتماعية، وتمعن في الوصف الحسي لمفاتيح المرأة ضمن تعبيره عن لذته بتلك المفاتيح.

والحقيقة أن ما قدمه اللعبون في هذا الديوان يمثّل شكلاً من أشكال الإفادة من التراث الشعري في صناعة تجربة معاصرة، تعبر عن تجارب واحد من محبي الشعر القديم العارفين به معرفة جيدة، على ما يدل تنقله بين عصور الشعر العربي في هذا التوظيف، بداية من الجاهلي، ومرورًا بكل من العصر الأموي، فالعباسي، ثم الشعر في الأندلس، إضافة إلى معرفته الجيدة بالتراث الديني، خاصة القصص القرآني.

غير أن اللعبون في توظيفه هذا وقف عند حدود اللفظ، دون أن يعيد تدوير المفاهيم المرتبطة به تدويرًا يعطي للألفاظ معاني جديدة أو أبعادًا جديدة للمواقف. ولذلك فقد يظن من يقرأ قصائده التي تستلهم قصة موسى ويوسف عليهما السلام، أن الشاعر يهدف إلى إعادة صياغة القصة القرآنية فحسب. ولولا بعض الإشارات التي بثّها الشاعر في هذه القصائد لما يتعلّق بعلاقاته مع أصدقائه، لفات القارئ أن هذه القصائد تعبر عن تجربة شعرية معاصرة.

وبالتالي، يمكن القول إن اللعبون في توظيفه لهذه الملامح اعتمد أكثر على المحاكاة من اعتماده على قراءة الملمح التراثي قراءة جدلية، تعيد إنتاج مفاهيمه، أو تقف منه موقف المختلف في بعض مواقفه. ومع ذلك فمن الإنصاف الإقرار بأن الشاعر تميّزت لغته بالصفاء الوجداني، وبطابعها الرومانسيّ، في التعبير عن الفقد والحنين، بل وفي التعبير شبه الصريح عن الغزل بالمرأة وتصوير مفاتها، وهو ما يوفّر للقارئ متعة في قراءة الديوان.

النتائج:

كشفت التحليل السابق عن مجموعة من الملامح البارزة التي ميّزت هذا الديوان: الأول - اعتمد الشاعر على توظيف ملامح التراث في جانبين أساسيين: جانب يستلهم التراكيب التي تحيل على مفردات ذات دلالة خاصة في الشعر القديم، وجانب النماذج التراثية التي ترتبط بمواقف ومعاني كلية، وقد ربط الجانبين بالسياق المعاصر لتجربته الشعرية.

الثاني - وقد اعتمد في هذا التوظيف على استدعاء مجموعة كبيرة من النماذج الشعرية التي تطوف بعصور الأدب العربي، من العصر الجاهلي إلى الأدب في الأندلس.

الثالث - يبرز في توظيف الشاعر لملامح التراث إفادته من هذه الملامح في صناعة صورة خاصة للذات الشاعرة، تنوّعت ما بين الشاعر الحكيم والشاعر المجنون والشاعر اللاهي.

الرابع - وداخل كل صورة من هذه الصورة برزت مجموعة من إحالاته الشعرية على أبيات مفردة في التراث الشعري، أو على قصائد كلية، على نحو محاكاته لنموذج الغزل في قصيدة الأعشى.

الخامس - كما يبرز توظيفه لهذه الملامح في رسم صورة رمزية لحياته التي مرّت بمواقف السعادة مع الحبيب، أو الحزن لفقده، كما ترسم صورة رمزية لعلاقته بأصدقائه ما بين الود الخالص والضيق لما لاقاه من غدر الأصدقاء.

السادس - اعتمد الشاعر في جانب مهم من قصائده على إعادة صياغة القصص القرآني، صياغة نجح فيها الشاعر في الإفادة من الموقف الأصلي الذي عبرت عنه تلك القصص، ليعيد إسقاطه على مواقفه المعاصرة.

السابع - لذلك فقد مثّل هذا القصص القرآني مع حسن التصوّف المبتوث في ثنايا القصائد إطارًا ثانيًا لقصة الحب الخالص، الحب الذي جعله الشاعر رسالته

أثر استلهم التراث في تجليات الذات الشاعرة في ديوان "مزاجها زنجبيل" لفواز اللعبون، د. أسماء حسن محمد النويري

الأولى في هذا الديوان، داعيًا له، ومدافعًا عنه، في صورة الحكيم الباحث عن الحقيقة، وفي الأطراف المتعددة لأرض الشعر، بقدر ما وسعت أرض الشعر العربي وتجاربه. الثامن - وقد تميّزت لغة اللعبون في توظيفه لملامح التراث بالاعتماد على لغة الشعر الرومانسي في صفاتها الوجداني، وتركيباتها الاستعارية الموحية. التاسع - أثبتت تجربة الديوان قدرة التراث الشعري على الاستجابة للتجارب المعاصرة في حدود ما يوظفه الشاعر له، سواء على المستوى اللفظي المفرد، أو على مستوى النماذج والمواقف الكلية. العاشر - كما أثبتت التأثير الكبير والمتعدد لهذا التراث على وجدان شعرائنا المعاصرين.

توصيات:

- وما قد تخرج به هذه الدراسة من توصيات لا بد أن ينحصر في:
1. تشجيع الشعراء المعاصرين على تمثّل تجربة فواز اللعبون في مزاجها زنجبيل، في صناعة وإنتاج تجارب شعرية مماثلة، لعقد أواصر الصلة بين شعرنا العربي المعاصر وتراثنا الشعري العربي، بكل ألوانه وبتعدد تجاربه.
 2. إعادة قراءة ديوان مزاجها زنجبيل لفواز اللعبون بمنهج أخرى، تستقرئ تأثير القصص القرآني في بنية الديوان، وتقف على البعد الصوفيّ في تشكيله على نحو خاص.
 3. دراسة لغة الديوان في ديوان مزاجها زنجبيل دراسة تعتمد على المناهج الألسنية للوقوف على خصائصها التعبيرية.

المصادر والمراجع:

- إبراهيم، خليل محمد: في الأدب الأندلسي . قضايا وموضوعات، الأردن، عمان، دار الخليج للنشر والتوزيع، ٢٠٢٠.
- ابن جعفر، قدامة: نقد الشعر، ط الأولى، القسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢ هـ.
- حسين، طه: حديث الأربعاء، ج ١، القاهرة، دار المعارف، ط الثالثة عشرة، ١٩٨٢.
- ابن الخطيب: ديوان لسان الدين بن الخطيب، حققه محمد مفتاح، مج الثاني، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٩.
- الشعراوي، الشيخ محمد متولي: الإسراء والمعراج، لبنان، بيروت، دار الجيل، القاهرة، دار التراث الإسلامي، ٢٠٠٤.
- أبو العتاهية: ديوان أبي العتاهية، شرح عمر فاروق الطباع، بدون تاريخ.
- عصفور، جابر: غواية التراث، الكويت، كتاب العربي، ع ٦٢، أكتوبر ٢٠٠٥.
- ابن الفارض: ديوان ابن الفارض، لبنان، بيروت، دار صادر، بدون بيانات.
- فيصل، شكري (جمع وتحقيق): أبو العتاهية . أشعاره وأخباره، سوريا، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٥.
- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، الجزء الأول، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر ٢٣٤، ٢٠١٧.
- قميحة، مفيد: شرح المعلقات العشر، لبنان، بيروت، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٣.
- امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط الرابعة، بدون تاريخ.
- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل: قصص الأنبياء، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٤.

أثر استلهم التراث في تجليات الذات الشاعرة في ديوان "مزاجها زنجبيل" لفواز اللعبون، د. أسماء حسن محمد النويري

البداية والنهاية، ج الأول، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، إيداع ١٩٩٧، ص ١٠٩، ١١٠.
اللعبون، فواز: مزاجها زنجبيل، السعودية، حائل، النادي الأدبي الثقافي في حائل، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م.

المتنبي: ديوان المتنبي، تقديم إسماعيل العقباوي، القاهرة، دار الحرم للتراث، ٢٠٠٧.
المتنبي، ديوان المتنبي، راجعه يوسف الشيخ، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

محمد، إبراهيم عبد الرحمن: الشعر الجاهلي: قضاياها الفنية والموضوعية، د.ط، مكتبة الشباب، مصر، د.ت.

ابن الملوح، قيس: ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق وشرح عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، مكتبة مصر، بدون تاريخ.

ناصر، مصطفى: مصطفى ناصر، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، د.ط، لبنان، د.ت.

هلال، محمد غنيمي: الأدب المقارن، القاهرة، دار نضمة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٧.

Bibliography

- Ibrahim, Khalil Muhammad: **In Andalusian Literature - Issues and Topics**, (in Arabic) Jordan, Amman, Gulf House for Publishing and Distribution, 2020. (in Arabic)
- Ibn Ja'far, Qudāmah: **Naqd Al-She'r**, First Edition, Constantinople, Al-Jawa'ib Press, 1302 AH.
- Husain, Tāha: **Wednesday Discussion**, (in Arabic) volume 1, Cairo, Dār Al Ma'ārif, thirteenth edition, 1982.
- Ibn al-Khatib: **Diwān Lisān al-Dīn Ibn al-Khatīb**, investigated by Muhammad Miftah, Volume II, Morocco, Casablanca, House of Culture, 1989.
- Al-Sha'rāwī, Sheikh Muhammad Mutwallī: **al-Isra wa Al-Mi'rāj**, Lebanon, Beirut, Dār Al-Jeel, Cairo, Dār Al-Turāth Al-Islami, 2004.
- Abu Al-'Atāhiya: **Diwān Abi Al-'Atāhiya**, explained by Omar Farouk Al-Tabbaa, undated.
- 'Usfour, Jabir: **The Seduction of Heritage**, (in Arabic)Kuwait, Kitab Al-Arabi, p. 62, October 2005.
- Ibn al-Farid: **Diwān Ibn al-Fārīd**, Lebanon, Beirut, Dar Sader, without data.
- Faisal, Shukri (collection and investigation): **Abu Al-'Atāhiya – Ash'āruhū wa Akhbāruhu**, Syria, Damascus University Press, 1965.
- Ibn Qutaiba, **al-Shu'arā wa al-Shu'arā**, Part One, investigated by Ahmed Muhammad Shakir, Cairo, The General Authority for Cultural Palaces, Al-Dhakira 234, 2017. (in Arabic)
- Qamiha, Mufid: **Sharh al-Mu'allaqāt al-'Atharr**, Lebanon, Beirut, Dār wa Maktabat Al-Hilal, last edition 2003.
- Imru' al-Qays: **Diwan Imru' al-Qays**: Investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Cairo, Dar al-Maaref, fourth edition, undated.
- Ibn Katheer, 'Ab al-Fidā' Isma'īl: **Qiṣaṣ Al-Anbiyā'**, investigated by Muhammad Ahmed Abdel Aziz, Cairo, Dar Al-Hadith, 2004.
- Ibn Katheer, 'Ab al-Fidā' Isma'īl: **al-Bidāya wa al-Nihāya**, Part One, investigated by: 'Abdullāh bin 'Abd al-Muhsin Al-Turki, in cooperation with the Center for Arab and Islamic Research and Studies, Dār Hajar, Cairo, Dār Hajar for printing, publishing, distribution and advertising, deposit 1997, pp. 109, 110.
- Al-La'būn, Fawwāz: **Mizājuhā Zanjabil**, Saudi Arabia, Hail, Literary and Cultural Club in Hail, 1440 AH / 2019.
- Al-Mutanabbi: **Diwān Al-Mutanabbi**, presented by Ismail Al-Aqbawi, Cairo, Dār Al-Haram for Heritage, 2007.
- Al-Mutanabbi, **Diwān Al-Mutanabbi**, revised by Youssef Al-Sheikh, Lebanon, Beirut, Dār Al-Kitāb Al-'Arabi, undated.

أثر استلهم التراث في تجليات الذات الشاعرة في ديوان "مراجها زنجبيل" لفواز اللعبون، د. أسماء حسن محمد النويري

Muhammad, Ibrahim 'Abd al-Rahmān: **al-She'r al-Jāhili: Qaḍāyāhu al-Fanniyah wa al-Mawḍū'iyah**, Maktabat al-Shabāb, Egypt, d.T.

Ibn al-Malouh, Qais: **Dīwān Majnūn Laila**, collected, investigated and explained by Abd al-Sattar Ahmed Farraj, Cairo, Egypt Library, no date.

Naṣīf, Mustafa: Mustafa Naṣīf, a second reading of our old poetry, (in Arabic) Dār Al-Andalus, d.T, Lebanon, d.T.

Hilāl, Muhammad Ghuneimī: **al-Adab al-Muqāran**, Cairo, Egypt's Renaissance House for Printing and Publishing, 1977.

تصور مقترح لإعداد المدونات اللغوية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء معايير بنائها

A Proposed Concept for Preparing the Necessary
Corpus Linguistics for Learners of Arabic as a
Second Language in Light of the Criteria for their
Construction

د. أيمن بن سويلم الجريشي

الأستاذ المساعد بمعهد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: ayman.jr@iu.edu.sa

المستخلص:

هَدَفَ هذا البحث إلى تقديم تصور مقترح لإعداد المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. ولتحقيق أهداف البحث وُظِفَ المنهج الوصفي، وتم إعداد استبانة لحصر المعايير اللازمة في بناء المدونات اللغوية لكي يبني التصور المقترح على ضوئها، وتوصل البحث إلى أربعة معايير رئيسية هي: معايير عامة، معايير لغوية، معايير ثقافية، ومعايير تقنية، تضمنت (٤٩) مؤشراً، قُدِّمَ على أساسها تصور مقترح لإعداد المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

الكلمات المفتاحية: المدونات اللغوية، المعايير، تعليم اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

Abstract:

The aim of this research is to present a proposed concept for preparing the necessary corpus linguistics for learners of Arabic as a second language. To achieve the objectives of this research, a descriptive approach is employed, and a questionnaire is prepared to identify the necessary criteria in building such corpus. In this regard, the research identifies the following four main criteria: general criteria, linguistic criteria, cultural criteria, and technical criteria. These previous criteria include (49) indicators. Based on them, a concept of how corpus linguistics for learners of Arabic as a second language should be built is proposed.

Keywords:

Corpus Linguistics, criteria, Teaching Arabic for non-Arabic speakers.

الإطار العام للبحث: مقدمة البحث

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه،

وبعد:

من أعظم ما وهبه الله للإنسان وميّزه به عن غيره من المخلوقات: اللغة، وباللغة والفكر والعقل أصبح الإنسان مبدعاً، وسُخِّرَتْ له الدنيا. وأشرف اللغات تلك التي نزل بها أشرف الكتب، وُئِثَتْ بها أشرف المرسلين، واليوم تحل اللغة العربية مكانة عالمية كبيرة، وتشهد إقبالاً كبيراً لتعلمها واكتسابها بدوافع متعددة؛ دينية وغيرها.

ومع التطور في العصر الحديث وحين إنشاء أول مدونة إلكترونية، أصبحت أداة لحفظ اللغة سواء في مفرداتها ودلالاتها واشتقاقاتها وكذلك تراكيبها في السياقات المختلفة، فهي وعاء إلكتروني محوسب يضم عدداً هائلاً جداً من المفردات والسياقات التي يسهل الرجوع إليها والبحث فيها.

«وقد أثبتت منذ ظهورها قبل بضعة عقود قدرتها على إعادة الصياغة لمنهجية البحث في كثيرٍ من الجوانب اللغوية؛ لما توفّره من إمكانيات كبيرة جعلتها أساساً لمادة البحث اللغوي الحديث» (العصيمي وآخرون، ٢٠١٥، ٩٧).

والمدونات أدوات متاحة يسهل الوصول إليها؛ ولذلك فهي أدوات تُيسِّرُ تعليم اللغة العربية وخاصةً للناطقين بلغات أخرى، فمتعلمو اللغة العربية الناطقون بلغات أخرى تختلف دوافعهم وخصائصهم وخلفياتهم اللغوية عن الناطقين باللغة الأم، وبالمدونات اللغوية يستعرض متعلم اللغة العربية الناطق بلغة أخرى كمّاً هائلاً من المعلومات اللغوية والسياقات المختلفة لاستعمال المفردات والتراكيب اللغوية، في السياق الاجتماعي أو الثقافي أو في المدلول المعجمي للمفردة والذي يتحدد مع السياق.

ومن خلال اطلاع الباحث على بعض المدونات اللغوية العربية مثل المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية وجد أن «أغلب المدونات لا توضح المعايير التي انتهجتها في تصميمها وجمع نصوصها» كما أكد ذلك (الثبتي، ٢٠١٥، ١٤٨).

ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث المتمثلة في وضع (تصور مقترح لإعداد المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء معايير بنائها).

الإحساس بالمشكلة:

من خلال الاطلاع على بعض المدونات اللغوية؛ مثل: المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، والمدونة اللغوية لتعلمي اللغة العربية ALC، أتضح أن المدونات تختلف اختلافاً نوعياً من حيث أهدافها وطرق الاستفادة منها في مجال البحث اللغوي، وذكر (صالح، ٢٠١٤، ٢٢) أنه: «يمكن تصنيف المدونات اللغوية من زوايا مختلفة».

إضافة إلى ندرة توضيح معايير بناء المدونات اللغوية وإشباع ذلك بحثاً أو وصفاً، فإن «أغلب المدونات التي صُمِّمت وُجِّعتْ نصوصها لا توضح معاييرها التي بُنيت هذه المدونة ولعلي أستثني من هذا ثلاثاً من المدونات العربية وهي مدونة اللغة العربية المعاصرة من جامعة ليدز، والمدونة العالمية للغة العربية من مكتبة الإسكندرية، والمدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية»، كما ذكر ذلك (الثبيتي، ٢٠١٥، ١٤٩).

كما أنه لا يوجد في حدود علمي واطلاعي على مدونات مصممة لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى تراعي المعايير اللازمة لتعلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، وخاصة المعايير اللغوية والثقافية مما يجعل استخدامهم للمدونات اللغوية بشكل عام غير سهل لهم، دون الصعوبات التي يواجهونها بغية الاستفادة من المدونات اللغوية بشكل عام.

ومن خلال ما سبق فإن أهمية وضع تصور مقترح لإعداد المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء معايير بنائها ضرورة ملحة وحاجة ماسة، خاصة أن «المدونات اللغوية العربية مع اختلافها المذكور صُمِّمت للإفادة العامة منها» (الثبيتي، ٢٠١٥، ١٤٩).

أسئلة البحث:

١- ما المعايير اللازمة لبناء المدونات اللغوية لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى؟

٢- ما التصور المقترح لإعداد المدونات اللغوية لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى على ضوء معايير بنائها؟

أهداف البحث:

١- تحديد المعايير اللازمة لبناء المدونات اللغوية لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى.

٢- وضع تصور مقترح لإعداد المدونات اللغوية لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى على ضوء معايير بنائها.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من عدة أسباب؛ أهمها:

- أهمية الموضوع المرتبط بتعليم اللغة العربية للناطقين بلغات مختلفة، حيث رُصد الإقبال الكبير على تعلمها وبأسبابٍ ودوافعٍ مختلفةٍ، ولغة العربية خصائصها وثقافتها وطبيعتها، فلزم تقديم تصور مقترح لإعداد المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى على ضوء معايير بنائها.

- الإسهام في سد الفراغ العلمي في الموضوع ذاته؛ نظراً لعدم وجود تجربة عربية تضع معايير خاصة عند بناء المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى، حيث إن الدراسات السابقة على قَلَّتْها ركزت على معايير المدونات اللغوية بشكل عام.

حدود البحث:

- **حدود موضوعية:** أربعة معايير لبناء المدونات اللغوية، هي: معايير عامة - معايير لغوية - معايير ثقافية - ومعايير تقنية، التي تم التوصل إليها وفق

الإجراءات المنهجية.

- حدود زمانية: العام الدراسي ١٤٤٢ هـ.

مصطلحات البحث:

المعايير: يُقصد بالمعيار كما استخلصه من معجم أكسفورد للمصطلحات كل من (kleinhenz & Ingvarson, 2007, 27): «اسم أو شعار لمستوى عالٍ، يستخدم مجازاً للتعبير عن المبادئ التي أنشئت من قبل جهةٍ ما قاعدةً لقياس الكمية ومدى قيمة أو نوعية عمل ما».

المدونة اللغوية: المنصة الإلكترونية التي محلها الشبكة العنكبوتية والتي تضم مجموعة الكلمات والجمل العربية ذات سياقات متعددة ومختلفة يشارك في وضعها مجموعة من اللغويين أو المتخصصين باللغويات الإلكترونية والمعجمية مرتبة ترتيباً أبجدياً ومتفاعلة إلكترونياً.

متعلمو اللغة العربية الناطقون بلغات أخرى: عرّفهم (الحديبي، ٢٠١٢، ١٩١): «هم الأفراد الذين ليست اللغة العربية لغة أصلية لهم، ويلتحقون بأحد البرامج المتقدمة؛ لتعلمها سواء داخل بلدانهم أو خارجها؛ لفهم النظام اللغوي والمعاني الثقافية للغة العربية واكتسابها، وتنظيمها وتخزينها».

الإطار النظري والدراسات السابقة

يتناول الباحث إلقاء الضوء على تعريف المدونات اللغوية، وتاريخها، وأهميتها، وكذلك بعض الأدبيات التي تحدثت عن معايير بنائها.

تعريف المدونة لغةً واصطلاحاً:

- المدونة لغوياً:

دَوْنٌ يُدَوَّن، تدوينًا، فهو مُدَوَّنٌ، والمفعول مُدَوَّنٌ، دَوْنُ الشَّيْءِ: سَجَلُهُ، أثبتته بالكتابة حفظاً له من الضَّيَاعِ «دَوْنٌ وَقَائِعٌ ذِكْرِيَاتٌ» تدوين السُّنَّةِ: كتابتها بشكلٍ جماعيٍّ، وكان ذلك على رأس المائة الثانية من الهجرة، دَوْنُ الكِتَابِ: جمعها ورَتْبُها، دَوْنُ الدِّيَوَانِ: أنشأه، «عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أوَّلُ مَنْ دَوَّنَ الدَّوَاوِينَ: رَتَّبَ الصُّحُفَ يَكْتُبُ فِيهَا أَهْلَ الْجَنْدِيَّةِ وَأَهْلَ الْعَطِيَّةِ وَالْعَمَّالَ وَسَوَاهِمَ» (عمر، ١٤٢٩، ٧٩١).
(دَوْنٌ) الدَّالُّ وَالْوَاوُ وَالْتُونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَدَانَةِ وَالْمُقَارَبَةِ. يُقَالُ هَذَا دُونَ ذَلِكَ، أَيُّ هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُ. وَإِذَا أَرَدْتَ تَحْقِيرَهُ قُلْتَ دُونِ. وَلَا يُسْتَقُ مِنْهُ فِعْلٌ، وَيُقَالُ فِي الْإِعْرَاءِ: دُونَكَ! أَيُّ حُدَّةً، أَقْرَبُ مِنْهُ وَقَرَبْتُهُ مِنْكَ. وَيَقُولُونَ أَمْرٌ دُونَ، وَثَوْبٌ دُونَ، أَيُّ قَرِيبٌ الْقِيَمَةِ. قَالَ الْقُتَيْبِيُّ: دَانَ يَدُونُ دَوْنًا، إِذَا ضَعُفَ، وَأُدِينُ إِدَانَةً (ابن فارس، ١٩٧٩، ٣١٧/٢).

- المدونة اصطلاحاً:

كلمة (Corpus) كلمة لاتينية تشير دلالاتها إلى الجسد (Pearce, 2006, 14)، وللكلمة (Corpus) في معناها الاصطلاحي مقابل باللغة العربية وهو مصطلح «المدونة اللغوية» (الربيعة، السلطان وإيريك، ٢٠١٤، ٧).

والمدونة اللغوية كما عرّفها (الدكروني، ٢٠١٨، ٢٧): عبارة عن «رصيد ضخّم من النصوص المكتوبة أو المنطوقة التي تُخْتَرَن على الحاسب الآلي».

كما تعتبر الوثائق المنشورة في الإبستمولوجيا عموماً مصدراً رئيساً لبناء المدونات اللغوية، وذلك حين يُجْمَعُ الكلمات والنصوص من العناوين أو المستخلصات أو المقالات أو النص كاملاً؛ تمهيداً لإجراء تحليل كمي أو نوعي عليها (Schneider,)

(2004, 162).

فالمدونات اللغوية: تحوي نصوصاً وسياقات ضخمة، غير مؤدية غرضاً أو نفعاً إلا بالبرمجيات التي تعمل عليها المدونة وتتولى تقديم الإفادة (Hunstn, 2002, 97). ويمكن أيضاً تعريف المدونات اللغوية بأنها: «مجموعة من نصوص اللغة المكتوبة أو المنطوقة التي يمكن التعامل معها آلياً، والتحكم في بياناتها ومدخلاتها، بالإضافة أو الحذف أو التعديل، من خلال قواعد بيانات صُممت خصيصاً؛ لتكون قادرة على التعامل مع هذه النصوص، حيث تمثل هذه القواعد مخزناً كبيراً للغة، يُرجع إليه وقت الحاجة، ويتحمل أي قدر من النصوص التي يمكن أن تضاف مستقبلاً» (Weisser, 2016, 9).

- المدونة اللغوية إجرائياً:

تعرف المدونة اللغوية في هذا البحث، بأنها: المنصة الإلكترونية التي محلها الشبكة العنكبوتية، والتي تضم مجموعة الكلمات والجمل العربية ذات سياقات متعددة ومختلفة، يشارك في وضعها مجموعة من اللغويين أو المتخصصين باللغويات الإلكترونية والمعجمية، مرتبة ترتيباً أبجدياً ومتفاعلة إلكترونياً.

- تاريخ المدونات اللغوية:

من خلال عَرَض التاريخ نجد أن ما بين شك دي سوسير حول جدوى الدراسة المشروطة والتي جاء بعدها بعقود اعتماداً تشومسكي على البيانات الاستقرائية، كانت هناك فواصل قصيرة في التقليد الطويل لدراسة اللغة عن طريق الرصد؛ يؤكد ذلك أنّ هناك دراسة للمدونات اللغوية قبل الحواسيب (Francis, 1992, 17-32).

إن صناعة المدونة اللغوية وبناءها لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة اللغات الحية والميتة، واللهجات المكتوبة وغير المكتوبة، واكتساب اللغة سواءً الأولى أو الثانية؛ لذلك وفي كل التقاليد اللغوية والميدانية تعود دراسات المدونات اللغوية إلى مئات السنين، وضمن تقاليد أوسع من التحليل البلاغية والنصية (دافيس وإيلدر، ٢٠٠٤، ١/١٠٧). كما نشأ الاهتمام المباشر بالمدونات قبل ظهور الحواسيب لسببين:

الأول: الاهتمام والإشارة إلى المعاني المختلفة التي تنطبق الكلمة عليها.
الثاني: دراسة مجموعات النصوص الكبيرة المؤكدة على الاهتمام بالمعنى؛ لإنتاج قواميس شاملة (دافيس وإيلدر، ٢٠٠٤، ١٠٧).

أمثلة على المدونات القديمة:

- إذا اعتبرنا معجم العين تأليفاً معجمياً للكلمة، فإن الخليل بن أحمد الفراهيدي وضع شفرة قد تكون خوارزمية لسرد الألفاظ، ثم بيان ما هو مستعمل من المهمل فيها، فمثلاً: كان يأخذ الأحرف الآتية (ع ، د ، ل)، ويؤلف منها: (عدل، دعل، عدل، لدع، لعد، دلع، ...). إلخ، ويبيّن رحمه الله المستعمل منها والمهمل بالرجوع إلى سياقات اللفظة في تراكيب الجمل ودلالاتها.

- المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن الكريم والمعاجم المفهرسة لألفاظ الحديث النبوي الذي وضعه **المستشرقون** تُعدُّ من أبرز المدونات اللغوية القديمة تحتم بالكلمة في سياق ما وردت فيه.

- أُعدَّت الفهارس الأولى من نصوص مهمة ثقافياً، مثل الإنجيل (Craden, 1833 عام ١٧٣٧م).

- ملحق آيزكوف (١٧٩٠م) الذي بُني للإشارة إلى المعاني المختلفة التي تنطبق الكلمات عليها (AysCough, 1790).

وتلك الفهارس وحتى وقتنا الحاضر من خلال ضمها للعديد من حالات الكلمة والسياق معاً، تُعتبر دليلاً على مجال استخدامها، وبالتالي على معانيها، وهذه هي أساس دلالات المدونات اللغوية إلى يومنا الحاضر (دافيس وإيلدر، ٢٠٠٤، ١٠٧).

فالسجل التاريخي يحفل بالمدونات اللغوية التي ظهرت هنا وهناك، "وبالنظر إلى المدونات التي تركز على أنواع النصوص الفردية؛ مثل مدونة:

The Corpus of Early English Correspondence (Nevalainen, 1996).
التي تتكون فقط من رسائل، أو حتى المدونات الأقل سعة؛ مثل: مدونة لانكستر لسجلات الأبناء (Lancaster Newsbooks Corpus) (ماكيني وهارداي،

وخلاصة القول: فإن تاريخ المدونات ممتد، وما يزال مستمراً، ويسير وفق تطوّر رهيب، وخصوصاً مع البرامج الحاسوبية الإلكترونية.

أهمية المدونات اللغوية:

نستنتج أهمية المدونات اللغوية من الكم الهائل للكلمات المحفوظة فيها مع السياقات اللغوية المستعملة التي تعطي تلك الكلمات دلالاتها الموضوعية لها. إن انطولوجية اللغات بشكل عام وعلى مرّ التاريخ حتى في اللغات الحية تندثر فيها بمرور الزمن كلماتٌ وتغيب على تعاقب الأجيال كلماتٌ أخرى، وتبدّل معاني ودلالات كلماتٍ كثيرة، والمدونة اللغوية الحاسوبية تستوعب من الكلمات ما يستوعبه أسفارٌ وكتبٌ كثيرةٌ جداً مُضنيةٌ في نقلها أو البحث فيها، وبأسر وأسهل الطرق تُستخرجُ الكلمة مع السياقات المختلفة لها في أقل أجزاء من الثانية، هذا بالنسبة للغة ذاتها، أما للمتعلمين من أبناء اللغة أو من غير الناطقين بها، فالمدونات اللغوية توفر الجهد في البحث، وتضع أمام المتعلم عالماً مليئاً بالكلمات والسياقات اللغوية التي تنتظم فيها تلك الكلمات، ومن ناحية المعاجم والدراسات المعجمية فقد كانت دراستها وصناعتها من أوائل التطبيقات العلمية والعملية للمدونات اللغوية قبل التدوين الإلكتروني.

ومن ناحية الدراسة اللغوية العامة للغة في تراكيبيها وعناصرها نجد أهمية المدونات اللغوية تتجلى في المدونات القائمة على إحصائية جذور الكلمة في المعاجم من أبحاث صوتية تعتمد على الصوائت والصوامت؛ لأن الجذر يتكون من فونيمات (أي: أصوات) وكذلك التراكيب النحوية للكلمة في السياقات المختلفة (الجمل الإسمية والفعلية، التركيب الوصفي والإضافي، المبني للمعلوم والمبني للمجهول) أو دراسة السوابق واللواحق في العربية؛ مثل: (أل، حروف الفعل المضارع: «أنيت»، حروف جمع المذكر السالم: «ون، ين»، حروف المؤنث السالم: «ات»).

وتظهر أهمية المدونات اللغوية أيضاً في تحليل الخطاب وتحليل النصوص، واللدان

يتعاملان مع المعاني الظاهرة، وكذلك المعاني الخفية فوق مستوى الجملة الظاهر، مثل: استخدام الضمائر في السياقات، واستخدام الصيغ الزمنية للأفعال؛ مثلاً في العربية: ورود كان الماضي مع الفعل المضارع كقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ [الجن: ٤].

ومن أهم ما يعطى للمدونات اللغوية من أهمية في مجال تعليم أو اكتساب اللغة كلغة ثانية والتي تتعلق باختيار محتوى مناسبٍ وذو شيوَعٍ لتعلمي اللغة كلغة ثانية، ويشمل ذلك المفردات والعبارات والتراكيب، وتُجدر الإشارة إلى المدونات التي يستفاد منها في هذا المجال مثلاً عند Cosme (, 2008).

معايير بناء المدونات اللغوية في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى:

أقر (Kennedy, 1998, 3-9) وكذلك (Hunston, 2002, 102) أنَّ أغلب المبادئ الأساسية لبناء المدونات اللغوية بسيطة جداً، ويجب أن تتمثل المدونة -التي تدعى أنها متوازنة لاستخدام اللغة- بعوامل من أهمها: عوامل الديموغرافيا والأسلوب والموضوع، ويجب أن تضم نصوصاً مكتوبة ومنطوقة، وفيها تنوعٌ في المستوى العام والتقني وأعمار المستفيدين والأصل الجغرافي للمؤلف، وتوضح فيها مجموعةً واسعةً من مجالات التخصص: العلوم الطبيعية، والإنسانية، والاقتصادية... إلخ (دافيس وإيلدر، ٢٠٠٧، ١٠).

ومن خلال الأدبيات المطع عليها في معايير بناء المدونات اللغوية مثل: دراسة (Biber, 1998) و (McEney, 2006) ومقالة سو Sue (Atkins, 1993) وكذلك في كتاب (Wynne, 2005) قام الباحث بتصميم استبانة معايير مقترحة لبناء المدونة اللغوية العربية لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

وراعى الباحث حال التخطيط لبناء المعايير اللازمة أن يأخذ بعين الاعتبار الآتي:

١- المعايير العامة: وهي عبارة عن الجمل التي تصف الشكل العام للمدونة وما يرتبط بها، من تحديد الإجراءات اللازمة، والعمليات التحديثية المستمرة، وفيما

يلي ذكر لأهم تلك المعايير:

تحديد الهدف والأساس المنطقي أو الغرض الذي تُبنى لأجله المدونة اللغوية، ويعتبر هذا المعيار من أهم المعايير العامة التي يجب ألا تحمل عند إنشاء وبناء المدونات اللغوية وخاصة تلك التي تُعنى بتقديم خدماتها باللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ونشير هنا إلى أن الهدف أو الغرض الذي تبنى لأجله المدونة ينقسم إلى قسمين كما أشار لذلك (العصيمي وآخرون، ٢٠١٤):

القسم الأول: أهداف خاصة، ويُعنى بها: الأهداف المحددة التي لا يصلح تعميمها، كأن يكون الهدف من المدونة دراسة الألفاظ العربية في العصر الجاهلي فقط.

القسم الثاني: أهداف عامة، فالمدونة اللغوية المبنية لأهداف عامة هي: المدونة التي تستطيع الإجابة عن أسئلة متنوعة، ومن أمثلتها: المدونة اللغوية العربية لمدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.

وعند الشروع في بناء المدونة يجب أن يلاحظ مصممها أهمية كتابة المعلومات الأساسية للمؤسسة أو الجهة التي صممت وبنيت المدونة، وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة الكشف عن بيانات الاتصال والتواصل مع مسؤولي المدونة اللغوية؛ كي يسهل التواصل معهم للاستفسار العلمي أو البحثي، أو للدعم الفني، أو للاستفادة من الاستشارات والملاحظات والمقترحات (صالح، ٢٠١٤).

وكذلك على الجهة العلمية أو المؤسسة التعليمية القائمة على بناء المدونات وتصميمها ضرورة تسجيل الحقوق الملكية الفكرية؛ لحفظ العمل من الضياع.

ومن المعايير العامة: قياس حجم المدونة، ونعني بقياس حجم المدونة عدد كلماتها، ويقصد بالكلمة هنا: المجموعة المتتابعة من الرموز لا يفصل بينها فراغ (space)، فمثلاً كلمة «الحمد لله» تعتبر رمزاً واحداً؛ لأننا لم نفصل بين لفظ الجلالة المقدس وبين كلمة الحمد بفواصل، بينما لو كتبت هكذا «الحمد لله» تعتبر رمزين (العصيمي وآخرون، ٢٠١٤، ١٤٨).

ومن المعايير العامة الضرورية عند بناء المدونات اللغوية وتصميمها: تحديد لغة

المدونة، وذلك بالإشارة إلى كونها أولاً عربية أو إنجليزية أو غيرها، وإذا كانت عربية هل هي فصحي أم عامية؟ وفي حالة كونها فصحي تحديد كونها فصحي معاصرة أو تراثية، وإن كانت عامية فهل اللغة باللهجة السعودية أو المصرية أو ... إلخ (الثبتي، ٢٠١٥، ١٥٧).

٢- المعايير اللغوية: وهي عبارة عن الجمل التي تصف اللغة ذاتها المستهدفة لبناء المدونة من جمع للألفاظ والتراكيب المستقاة من المصادر المختلفة للغة، وما يرتبط بها، وفيما يلي ذكر لأهم تلك المعايير:

تحدد المعايير اللغوية بتسلسل منطقي وهرمي عند بناء المدونة اللغوية من خلال تحديد مصادر جمع النصوص من السياقات المختلفة للغة حسب الآتي:

تحديد طبيعة النصوص اللغوية للغة المستهدفة، مثل أن يكون: نصاً منطوقاً أو مكتوباً أو بلغة الإشارة، وكذلك تاريخ النصوص، ويقصد به: تاريخ النص، مثل: دراسة اللغة الحديثة أو التراثية ... إلخ.

وبعد تحديد مصادر جمع النصوص، يُبدأ بذكر البيانات الأساسية للنص المجموع حيث توفر المؤسسة التعليمية البيانات الأساسية للنص مع نصوص المدونة، وتشمل هذه البيانات على سبيل المثال لا الحصر كما ذكر (العصيمي وآخرون، ٢٠١٤، ١٥٩):

- عنوان النص.
 - اسم المؤلف.
 - وعاء النص ومجاله وموضوعه.
 - تاريخ النص.
 - ناشر النص والبلد الذي نُشر فيه.
 - مصدر النص.
 - تاريخ إضافة النص.
- ثم ذُكر الوعاء والمجال التي سيقمت منه النصوص، وقد قدّم (الثبتي، ٢٠١٥، ١٥٩) تعريفاً لكل من الأوعية والمجالات فقال: «الوعاء التي جمعت منه النصوص؛

مثل: الصحف أو المجلات أو الكتب أو الرسائل العلمية، والمجال: لكل وعاء مجال له ويخصه، فمثلاً: وعاء الصحف قد تظهر النصوص فيه عند مجال المقالات أو مجال الأخبار أو مجال التقارير».

ويأتي بعد ما تقدم معيار جمع اللغة المستهدفة في المدونة فمن خلال تحديد المصادر يبدأ جمع النصوص، ويشير (الثبتي، ٢٠١٥، ١٦٠) إلى ضرورة التنبيه إلى أن نتاج الجمع الآلي للنصوص يحتاج مراجعة دقيقة؛ لأن بعضها مليء بالأخطاء، أو مكرر، أو يحتوي على أشياء لا علاقة لها بالنص؛ مثل: روابط أو إعلانات تجارية أو غيرها؛ ولضمان جودة نواتج عملية جمع النصوص يُفضّل أن تُجرى عملية الجمع إلى مراحل، يتم تقسيمها بناءً على الأوعية مثلاً، وكلما انتهى قسم يتم مراجعة نصوصه والتأكد من تحقيقه لمعايير التصميم.

ويكون بعد جمع اللغة الاهتمام بالتحشية من خلال إثراء نصوص المدونة بمعلومات تزيد من فائدتها المرجوة، وتساعد في إجراء المزيد من الدراسات المتعمقة عليها، وتنقسم هذه المعلومات إلى ثلاثة أقسام ذكرها (الثبتي، ٢٠١٥، ١٦٢):

القسم الأول: يتضمن معلومات عن النص نفسه.

القسم الثاني: معلومات تتعلق ببنية النص وتركيبه الظاهري، مثل: تحديد نهاية وبداية الفقرات، والجمل والعبارات داخل النص.

القسم الثالث: ما يتعلق بإضافة نتائج التحليل اللغوي للنصوص؛ كإضافة الوسوم النحوية والدلالية، وإضافة معلومات الإحالة بين الضمائر والأسماء.

وبعد التحشية يجيء معيار مهم عند بناء المدونة اللغوية، وهو: التمثيل والتوازن «ويُقصد بالتمثيل: قدرة المدونة على تمثيل اللغة أو صورها المختلفة محل الدراسة، ويُقصد بالتوازن: أن تمثل نصوص المدونة الواقع اللغوي كما هو في خارجها، فلا تكون منحازة لمحتوى أو مستوى دون آخر» (الثبتي، ٢٠١٥، ١٦٥)؛ ليبدأ بعد ذلك الشروع في تحديد مصادر جمع النصوص، فتوفر المؤسسة التعليمية المعنية ببناء المدونة اللغوية قائمةً بالمصادر - وبروابطها الإلكترونية إن وجدت - التي رجعت إليها عند جمع ألفاظ

المدونة، كما يشمل تحديد مصادر النص: بيان نوع المصدر، كالمصادر التي توفر نصوص إلكترونية؛ مثل: (Doc,Docx,Txt) أو مصادر غير خاضعة للمعالجة الإلكترونية؛ مثل: الصور أو pdf أو مصادر ورقية» (العصيمي وآخرون، ٢٠١٥، ١٦٦).

ومن المعايير اللغوية التي تخص ذات اللغة المستهدفة خصوصاً تلك التي تهم القائمين على بناء المدونات اللغوية في تعليم اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى: ضرورة توضيح نوع الكلمة من ناحية كونها اسماً، أو فعلاً، أو حرفاً، أو من حيث بناءها الصرفي (مجردة أو مزيدة) ... إلخ، وبيان نوع الكلمة من حيث التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع، والأخذ بعين الاعتبار قدرة المدونة على إيضاح نوع الجملة (اسمية أو فعلية).

وضرورة أن تكون السياقات اللغوية بلغة مفهومة غير مقعّرة الألفاظ أو متنافرة الكلمات كقولهم:

وقبرٌ حربٍ بمَكَانٍ قَفْرٍ وليسَ قربَ قبرٍ حربٍ قبرٌ

وألا تكون مكتوبة بأسلوب مبتذل غير فصيح.

وتجدر الإشارة إلى وجوب أن يتسق التركيب اللغوي مع سياقٍ فصيح واضح يحمل معنى جلياً؛ لأن المعنى يجب أن يكون واضحاً بسياقٍ يمثله ويخبر عنه.

ومن أهم المعايير: ذِكْرُ التعبيرات الاصطلاحية المختلفة حسب المعنى الاصطلاحي الوارد بالسياق واستعمالاته، وإيراد المفردة حسب معناها؛ لتناسب مع التركيب النحوي للجملة، وكذلك مراعاة التنوع اللغوي حسب دلالة المفردة حين ورودها في بيئة مغايرة. وأخيراً يحدد معيار حجم العينة ما إذا كانت المدونة تتضمن نصوصاً كاملة، أو أجزاء من النصوص اللغوية.

٣- المعايير الثقافية: وهي عبارة عن الجمل التي تحدد المتغيرات الثقافية التي تغيّر دلالة اللفظة الواحدة، أو التركيب السياقي إلى معنى مختلف باختلاف الجغرافية الثقافية التي قيل فيها السياق.

عند بناء المدونة اللغوية وتصميمها يجب الأخذ بعين الاعتبار بعضاً من المعايير

الثقافية للغة المستهدفة، وبالأخص حين تبني المدونة للمتعلمين الناطقين بلغات مختلفة؛
ومن أهم تلك المعايير:

مراعاة الدلالة الثقافية للمفردة والتي تختلف من ثقافة إلى أخرى.
وكذلك مراعاة الدلالة الثقافية الخاصة بتركيب الجملة حسب ورودها في بيئتها
الثقافية.

وكذلك مراعاة اختلاف الدلالة الضمنية لبعض التراكيب وفقاً للاختلاف الثقافي؛
مثل: (الله يعطيك العافية)، واختلاف مدلولها بين المغرب العربي والجزيرة العربية، مع
الإشارة إلى اختلاف التنوع الجغرافي للمستفيدين.

ومن المهم: إدراج كلمات ذات دلالات ثقافية مختلفة متعلقة بالعادات والتقاليد؛
مثل: (حياكم الله، من العايدين، كل سنة وأنت طيب).

وكذلك إدراج كلمات ذات تنوع دلالي تاريخي؛ مثل: (باشا، مولاي، خليفة
المسلمين، الملك، خادم الحرمين الشريفين).

ثم سرد النصوص والسياقات من خلال السياق الاجتماعي والثقافي التي نشأت
فيها؛ مثل: (الموشحات بالأندلس، والشعر التفعيلي الحر في العصر الحديث)، مع تحديد
المنطقة الجغرافية التي صدرت فيه النصوص.

٤- المعايير التقنية: وهي عبارة عن الجمل التي تصف العملية الإلكترونية
(المحوسبة) التي تعمل عليها المدونة اللغوية.

في حين البدء ببناء نظام محوسب وآلي ذي عمليات خوارزمية حاسوبية؛ لتشغيل
وبرمجة المدونة اللغوية، فإن من المهم النظر بأهم المعايير التي تحدد وتقيس جودة المدونة،
ومن أهمها:

توحيد ترميز النصوص، بيّن (الثبتي، ٢٠١٥، ١٦٨) أنه: «من الأفضل تحويلها
كاملة إلى ترميز واحد يكون مقبولاً في أغلب أنظمة التشغيل وبرامج معالجة المدونات
مثل: (UTF8) و(UTF16)».

توحيد طريقة التسمية: اقترح (الدكروني، ٢٠١٨، ٥٥): استخدام طريقة تعتمد

على الأرقام والأحرف اللاتينية، فيكون لكل بلد ووعاء ومجال وموضوع وفترة زمنية رمزه الخاص، وتكون آخر خانة للرقم التسلسلي للملف.

ويجب حفظ الملفات في مجلدات منفصلة حسب وعائها أو فترتها الزمنية أو البلد الذي صدرت فيه، وكذلك إنتاج بيانات إحصائية عامة عن المدونة؛ كحجمها وعدد كلماتها دون تكرار، وعدد نصوصها، مع إنتاج قوائم التكرار، والتكرار النسبي للمدونة اللغوية. ويكون استخراج الكلمات الدليلية أو المميزة للمدونة اللغوية فعّالاً، وكذلك استخراج عدد التراكيب النحوية والدلالية والصرفية.

ومن المهم: إنشاء خوارزمية ترصد العمليات البحثية، تكون قادرة على إنتاج قوائم الكشف السياقي للكلمة مناط البحث، بمعنى استعراض جميع السياقات التي وردت فيها الكلمة داخل المدونة للكشف عن معانيها المختلفة، وبشكل آلي مرتب ترتيباً ألف بائياً. ومن المعايير المهمة كما ذكر (الدكروني، ٢٠١٨، ٦٦): حسابات التصاحب اللفظي لكلمة معينة من خلال عدة معاملات إحصائية؛ مثل: مربع كاي (-Chi-squared)، ومعامل كسب المعلومات (Information Gain)، ومعامل المعلومات المتبادلة (Mutual Information)، ومعامل الاحتمالية اللوغاريتمي (-Log-likelihood).

وفائدة هذه المعاملات الإحصائية: أنها تسعى للكشف عن مدى ارتباط الكلمة مع الكلمات الأخرى التي ظهرت معها في السياق.

ويمكن استخدام المعاملات الإحصائية أيضاً: لحساب التلازم اللفظي بين كلمتين «بمعنى أن تظهر الكلمة الأولى قبل الثانية مباشرة» (الثبتي، ٢٠١٥، ١٦٩)، وكذلك دقة استخراج نتائج البحث عن المفردات، حيث يكون هناك خوارزمية تُظهر الكلمات المقترحة من بداية كتابة الأحرف الأولى للكلمة، ثم إعطاء نتيجة مطابقة لنسبة كبيرة جداً للكلمة التي أجري البحث عنها، وبنفس الآلية تكون دقة استخراج نتائج البحث عن التراكيب اللغوية المختلفة، ومناسبة التركيب للمدلول الذي بُحث عنه، مع ضرورة ترتيب نتائج البحث (إعطاء أكثر من خيار)؛ مثل: ترتيبها ألف بائياً، أو حسب

السياق، أو حسب المدلول الذي يفيد التركيب في الجملة. ومن المعايير أيضاً: سعة اتساع قاعدة بيانات المدونة بحيث تتضمن عدداً كبيراً من المفردات والتراكيب، والتعامل بأكثر من شكل للكلمة المبحوثة: كمرعاة السوابق واللواحق، وحفظ النصوص في ملفات: سواء كانت مكتوبة أو منطوقة، وتشفير النصوص، وإيجاد مواصفات معيارية تحكم عملية تشفير التمثيلات في المدونات اللغوية، وحفظ نتائج البحث عن المفردات والتراكيب بأكثر من صيغة مثل: (Pdf-Doc).

الدراسات السابقة:

(الفيقي، عبدالله)، بعنوان: (مدونات المتعلمين)، وتهدف الدراسة إلى: استعراض بعض الأسس النظرية التي وضعها الباحثون مثل تعريف مدونات المتعلمين، وبيان أنواعها، وما الذي يميزها عن غيرها؟، مع استعراض المدونات العربية منها، وكذلك هدفت الدراسة إلى التفصيل حول سبعة مجالات تمثل أهم النماذج التي استفادت من مدونات المتعلمين، وهي: ١- أبحاث اكتساب اللغة وتعليمها. ٢- التحليل التقابلي للغة المرئية. ٣- تحليل الأخطاء بمساعدة الحاسب. ٤- دراسة التطور اللغوي لدى الطلاب. ٥- تأليف المعاجم. ٦- تدريس اللغة وتصميم المواد التعليمية. ٧- البحث في معالجة اللغة الطبيعية، وتكلمت الدراسة عن وسم الأخطاء (Error tagging). واتفقت الدراسة الحالية مع دراسة الدكتور عبدالله الفيقي في تناولها لتاريخ المدونات الخاصة بالمتعلمين والحديث عن أهم المدونات العربية، كما تركّز وجه الاختلاف في أن الدراسة الحالية ركّزت على معايير بناء مدونات المتعلمين للعربية الناطقين بلغات مختلفة.

(الجيول، ٢٠١٥)، بعنوان: (البحث اللغوي في المدونات العربية الحاسوبية بين الممكن والمحتمل والمأمول)، وتهدف الدراسة إلى: التعرف بطرائق البحث اللغوي العربي الحاسوبي بصورة أولية ترسم ترحلات التحليل بواسطة المعالجة الحاسوبية بشكل مبسط بدءاً بالتعريف بأنواع المدونات الحاسوبية للغة الطبيعية natural language واتجاهاتها الممكنة والمحتملة والمأمولة، وذلك من أجل فحص المعجم العربي الذهني

التوليدي الواقعي الذي يتمثل في المدونات الحاسوبية والبحث اللغوي من حيث اتساع هذا المعجم أو تحجيمه باتساع المدونة أو تحجيمها، مع المرور بخصائص كل طريقة ومناهجها البحثية من حيث الغرض والتحليل والمعالجة وصولاً إلى اقتراح بعض من الموضوعات البحثية المهمة في هذا المجال. واستفادت الدراسة الحالية من دراسة (المجبول، ٢٠١٥) في الاطلاع على مكونات طرائق تحليل المدونات اللغوية، وخاصة المعجمية العربية وخصائص كل طريق من حيث مناهجه البحثية. وركزت الدراسة الحالية على المعايير العامة لبناء المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى.

١- (الدكروني، ٢٠١٨) بعنوان: (المدونات اللغوية ودورها في معالجة

النصوص العربية):

وتهدف الدراسة إلى: عرض شامل عن المدونات اللغوية، ماهيتها، ونشأتها التاريخية، ومجالات الإفادة منها، كما يتطرق الباحث في الفصل الثاني من الدراسة إلى مراحل إنشاء المدونات اللغوية، حيث سلط الباحث بعد عرض المراحل المتبعة في إنشاء المدونات اللغوية وأساليب تطويرها الضوء على الإفادة منها في علم اللغة، وتدريس وتعلم اللغات، وعلم اللغة الاجتماعي، وصناعة المعاجم، وكذلك الترجمة، ودراسة الأيديولوجيات الفكرية.

وتطرق الباحث في الفصل الثالث إلى «معالجة البيانات اعتماداً على المدونات اللغوية وقد شملت عمليات المعالجة تلك المعالجات التي تتم على مستوى الإدخال، مثل: ترميز المدونات اللغوية، وتحشيتها، وكما شملت أيضاً عمليات المعالجة التي تتم على مستوى الإخراج مثل: تكشيف الكلمات والنصوص... إلخ».

وتوافق البحث الحالي مع دراسة الدكروني في جزء كبير من الإطار النظري من حيث المفهوم العام للمدونات اللغوية ونشأتها وأنواعها وطرق تصميمها وبنائها.

ووجه الاختلاف بين البحث الحالي ودراسة (الدكروني، ٢٠١٨): أن الأخيرة ركزت على الجانب النظري الذي يصف بطريقة السرد بعض الأدبيات في بناء المدونات اللغوية بشكل عام، بينما ركز هذا البحث الحالي على تحديد معايير لبناء المدونات

اللغوية بخاصة تلك الموجهة إلى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

٢- (الثبيتي، ٢٠١٥) بعنوان: (تصميم المدونات اللغوية وبنائها):

وتهدف الدراسة إلى: توضيح الشروط التي يجب توافرها في المدونات اللغوية التي تعطي نتائج من خلال دراسة العينات وتحليلها، وتمثلت هذه الشروط بثلاثة بنود رئيسية: أ- ألا تكون العينة منحازة، وأن تكون كافية للدراسة.

ب- أن تُدرس هذه العينة وتحلل باتباع منهج علمي.

ج- الحصول على نفس النتائج متى ما استخدم المنهج نفسه على ذات العينة.

كما تقدم الدراسة «إطاراً علمياً للإجراءات التي تمكن الباحث بها من تحقيق الشرط الأول من خلال اتباع معايير واضحة لتصميم وجمع نصوص المدونة؛ لتكون عينة متوازنة وممثلة لمجال الدراسة اللغوية».

وتبيّن الدراسة أنه لا بد من تعريف لبعض الأدوات التي تساعد الباحث في دراسة

المدونات بسهولة (الشرط الثاني).

وتذكر الدراسة أنه من الممكن تحقيق الشرط الثالث وهو: وجوب إتاحة معلومات

لتصميم وبناء المدونة اللغوية للباحثين، وتوثيقها، وتمكين الحصول على نصوص المدونة مجاناً، أو بمقابل؛ ليتحقق الباحثون من نتائج الدراسات الأخرى التي أجريت على المدونة.

وتجدر الإشارة إلى أن البحث الحالي يتفق في مجاله البحثي مع دراسة (الثبيتي،

٢٠١٥): في الخطوات الإجرائية التي ينبغي أن تكون إطاراً عاماً يمكن الاسترشاد به عند بناء المدونات اللغوية والأدوات الرئيسة لمعالجة هذه المدونات.

ويختلف هذا البحث مع دراسة (الثبيتي، ٢٠١٥): في وصف المعايير، حيث

وصفت هذه الدراسة وصفاً دقيقاً للمعايير التي يجب الأخذ بها عند بناء المدونات

اللغوية، وبخاصة التي تستهدف متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، وحدد هذا

البحث باستخدام الأداة البحثية (الاستبانة) أربعة معايير رئيسية، وهي: المعايير العامة،

واللغوية، والثقافية، والتقنية، متضمنةً (٤٩) مؤشراً.

الإجراءات المنهجية للبحث

منهج البحث:

في ضوء أهداف هذا البحث، والذي سعى الباحث لتحقيقها؛ استخدم الباحث المنهج الوصفي عند كتابة هذا البحث، ووصف إجراءاته، وإعداد أدواته.

إعداد أداة البحث:

لتحقيق أهداف هذا البحث قام الباحث بإعداد وتصميم استبانة معايير مقترحة لبناء المدونة اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية للناطقين بلغاتٍ أخرى.

الهدف من إعداد الاستبانة:

الهدف من إعداد الاستبانة هو تحديد معايير مقترحة عند بناء أو تصميم المدونات اللغوية والتي تخدم متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى.

مصادر إعداد الاستبانة:

قام الباحث بمقابلة بعض المختصين في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، وكذلك اطلع على بعض البحوث والدراسات العربية؛ مثل: بحث (الثبتي، ٢٠١٥)، و(المجبول، ٢٠١٥)، و(الدكروري، ٢٠١٨)، و(صالح، ٢٠١٤)، وبعض البحوث والدراسات الأجنبية؛ مثل: (Biber: 1998)، و(McEnergy, 2006)، و(Atkins, sue, 1993)، و(Wynne, 2005)، والتي تناولت جميعها مراحل بناء وتصميم المدونات اللغوية.

واستخلص الباحث منها بعض أهم معايير بناء المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية للناطقين بلغاتٍ أخرى.

إعداد الاستبانة في صورتها الأولية:

تضمنت استبانة معايير بناء المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية للناطقين بلغاتٍ أخرى في صورتها الأولية ما يأتي:

١- مقدمة توضح للمحكمين الهدف من البحث ومن إعداد الاستبانة.

٢- معايير بناء المدونات اللغوية اللازمة لبرامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى.

٣- كيفية تدوين التعديل الذي يناسب رأي المحكم. وقد وُضِّح في المقدمة للمحكمين الهدف من إعداد الاستبانة، ثم طُلب منهم قراءتها، وإجراء التعديلات المناسبة وفقاً لما يرونه من حيث:

١- مدى اتساق مؤشرات الأداء مع المعيار.

٢- مدى دقة الصياغة اللغوية للمؤشر.

٣- إضافة معايير أو مؤشرات أداء تحدث لم ترد في الاستبانة.

٤- حذف معايير أو مؤشرات أداء غير مهمة.

وتكوّنت استبانة معايير بناء المدونة اللغوية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى (في صورتها الأولية):

م	المعيار	عدد المؤشرات	النسبة
١	العام	٥	١٢,٥٪
٢	اللغوي	١٥	٣٧,٥٪
٣	الثقافي	٨	٢٠٪
٤	التقني	١٢	٣٠٪
	المجموع	٤٠	١٠٠٪

تعديل الاستبانة وفقاً لنتائج التحكيم:

أولاً: المعايير العامة:

تم تعديل مسمى المعايير العامة أو الأساسية، إلى المعايير العامة فقط. كما عدل مسمى المؤشر الأول من الغرض الذي تبنى لأجله المدونة، إلى الهدف والأساس المنطقي للمدونة.

تم إضافة مؤشر حفظ وتسجيل حقوق الملكية الفكرية للمدونة.

ثانياً: المعايير اللغوية:

تم إضافة المؤشرات الآتية:

- التمثيل والتوازن.

- التحشية.

- حجم العينة.

كما تم إعادة ترتيب بعض المؤشرات؛ لتكون ذا تسلسل منطقي بدهي، مرتباً ترتيباً ذهنياً، يبدأ من الخطوة الأولى ثم التي تليها وهكذا.

ثالثاً: المعايير الثقافية:

تم إضافة مؤشر واحد فقط وهو: تحديد المنطقة الجغرافية التي صدرت بها النصوص.

رابعاً: المعايير التقنية:

تم إعادة ترتيب بعض المؤشرات؛ لتتسلسل منطقياً، كل مؤشر يليه المؤشر المبني عليه.

وتم إضافة المؤشرات الآتية:

- سعة اتساع قاعدة بيانات المدونة.

- حفظ نتائج البحث عن المفردة أو التركيب بأكثر من صيغة.

- التحديثات المستمرة على برامج المدونة اللغوية.

- إنتاج بيانات إحصائية عن المدونة.

قائمة بالمعايير اللازمة لبناء المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية

الناطقين بلغاتٍ أخرى في صورتها النهائية:

م	المعيار	عدد المؤشرات	النسبة
١	العام	٦	١٢,٣%
٢	اللغوي	١٨	٣٦,٧%
٣	الثقافي	٩	١٨,٤%
٤	التقني	١٦	٣٢,٦%
	المجموع	٤٩	١٠٠%

نتائج البحث

أولاً: نتائج البحث المرتبطة بالإجابة عن السؤال الأول، والذي نصُّه: ما المعايير اللازمة لبناء المدونات اللغوية لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى؟ تم التوصل إلى قائمة بالمعايير اللازمة لبناء المدونات اللغوية لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغاتٍ أخرى، على النحو الآتي:

أولاً: المعايير العامة:

- تحديد الهدف والأساس المنطقي.
- كتابة المعلومات الأساسية للمنشئة أو المؤسسة التي صممت وبنت المدونة.
- الكشف عن بيانات الاتصال والتواصل مع مسؤولي المدونة اللغوية.
- حفظ وتسجيل الحقوق الملكية والفكرية.
- حجم المدونة: يقاس بعدد كلماتها.
- لغة المدونة: كونها عربية أو إنجليزية.

ثانياً: المعايير اللغوية:

- تحديد طبيعة النصوص، كأن يكون نصاً منطوقاً أو مكتوباً أو بلغة الإشارة.
- تحديد مصادر جمع النصوص.
- البيانات الأساسية للنصوص المجموعة.
- تاريخ النصوص، ويقصد به: تاريخ النص، مثل: دراسة اللغة الحديثة أو التراثية.
- ذكر الوعاء التي جمعت منه النصوص.
- ذكر المجال في كل وعاءٍ جمعت منه النصوص.
- جمع النصوص من المصادر المحددة.
- التحشية.
- التمثيل والتوازن.
- توضيح نوع الكلمة، من ناحية كونها اسماً، أو فعلاً، أو حرفاً، أو من حيث بناءها الصرفي.
- بيان نوع الكلمة، من حيث التذكير والتأنيث والإفراد، والتثنية والجمع.

- قدرة المدونة على إيضاح نوع الجملة (اسمية أو فعلية).
- أن تكون السياقات اللغوية بلغة مفهومة، غير مقعّرة الألفاظ، أو متنافرة الكلمات.
- اتساق التركيب اللغوي مع سياقٍ فصيح واضح يحمل معنى جلياً.
- ذكر التعبيرات الاصطلاحية المختلفة حسب المعنى الاصطلاحي الوارد بالسياق واستعمالاته.
- إيراد المفردة حسب معناها؛ لتتناسب مع التركيب النحوي للجملة.
- مراعاة التنوع اللغوي حسب دلالة المفردة حين ورودها في بيئة مغايرة.
- حجم العينة.

ثالثاً: المعايير الثقافية:

- مراعاة الدلالة الثقافية للمفردة، والتي تختلف من ثقافة إلى أخرى.
- مراعاة الدلالة الثقافية الخاصة بتركيب الجملة حسب ورودها في بيئتها الثقافية.
- مراعاة اختلاف الدلالة الضمنية لبعض التراكيب وفقاً للاختلاف الثقافي، مثل: الله يعطيك العافية، واختلاف مدلولها بين المغرب العربي والجزيرة العربية.
- مراعاة اختلاف التنوع الجغرافي للمستفيدين.
- إدراج كلمات ذات دلالات ثقافية مختلفة متعلقة بالعادات والتقاليد، مثل: (حياكم الله، من العايدين، كل سنة وأنت طيب).
- إدراج كلمات ذات تنوع دلالي تاريخي، مثل: (باشا، مولاي، خليفة المسلمين، الملك، خادم الحرمين الشريفين).
- سرد النصوص والسياقات من خلال السياق الاجتماعي والثقافي التي نشأت فيه، مثل: (الموشحات بالأندلس، والشعر التفعيلي الحر في العصر الحديث).
- تحديد المنطقة الجغرافية التي صدرت فيها النصوص.

رابعاً: المعايير التقنية:

- توحيد ترميز النصوص.
- توحيد طريقة التسمية.
- حفظ الملفات في مجلدات منفصلة، حسب وعائها، أو فترتها الزمنية، أو البلد الذي صدرت فيه.

- إنتاج بيانات إحصائية عامة عن المدونة.
- إنتاج قوائم التكرار، والتكرار النسبي للمدونة اللغوية.
- استخراج الكلمات الدليلية أو المميزة للمدونة اللغوية، وكذلك استخراج عدد التراكيب النحوية والدلالية والصرفية.
- إنتاج قوائم الكشاف السياقي للكلمة مناط البحث.
- حسابات التصاحب اللفظي لكلمة معينة، من خلال عدة معاملات.
- دقة استخراج نتائج البحث عن المفردات.
- دقة استخراج نتائج البحث عن التراكيب.
- التعامل بأكثر من شكل للكلمة المبحوثة؛ كمرعاة السوابق واللواحق بالكلمة.
- إعطاء أكثر من خيار لعرض نتيجة البحث؛ كأن تكون مثلاً مرتبةً ألف بائياً ... إلخ.
- سعة اتساع قاعدة بيانات المدونة.
- تشفير النصوص.
- حفظ نتائج البحث عن المفردات والتراكيب بأكثر من صيغة مثل: (Pdf-Doc).
- التحديثات المستمرة على برامج المدونة اللغوية.

ثانياً: نتائج البحث المرتبطة بالإجابة عن السؤال الثاني، والذي نصُّه: ما التصور المقترح لإعداد المدونات اللغوية لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء معايير بنائها؟

فيما يأتي تصورٌ مقترحٌ لإعداد المدونات اللغوية اللازمة لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء معايير بنائها التي توصل إليها هذا البحث عند إجابة السؤال الأول:

رسالة التصور:

بناء مدونات لغوية لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء معايير بنائها.

رؤية التصور:

التميز في بناء المدونات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

أهداف التصور:

- يتمثل الهدف الرئيس لهذا التصور في وضع رؤية لبناء المدونات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء معايير بنائها. ويتفرع من هذا الهدف الرئيس الأهداف الفرعية الآتية:
- تحديد المعايير العامة اللازمة لبناء المدونات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
 - تحديد المعايير اللغوية اللازمة لبناء المدونات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
 - تحديد المعايير الثقافية اللازمة لبناء المدونات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
 - تحديد المعايير التقنية اللازمة لبناء المدونات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

منطلقات التصور:

ينطلق هذا التصور من الاستمرار في مواكبة الجهود المبذولة في وضع معايير لبناء المدونات اللغوية في تعليم اللغات الأجنبية، وسد فراغ الدراسات العلمية حول المعايير اللازمة لبناء المدونات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، مما يتطلب بذل جهد وفير للتوصل إلى قوائم معايير أساسية لبناء المدونات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

مسلمات التصور:

- للغة العربية خصائصها ومكوناتها الأساسية، وهي ذات تفرّد وإن تشابهت مع غيرها من اللغات في بعض الخصائص.

- تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى أو تعليمها كلغة ثانية له أسسه، ومناهجه، وطرائق تدريس مُتَّبَعَة، تناسب المتعلمين من حيث الدوافع، والكفاءة اللغوية، والتواصلية.
- حققت المدونات اللغوية الإلكترونية بشكل عام خدمة كبيرة للغات، ولتعليمها من أهلها ومن غير أهلها.
- من الضروري عند بناء مدونة لغوية لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى: الالتزام بمعايير محددة وأسس واضحة.

مكونات التصور:

- لتوظيف المعايير التي توصل إليها هذا البحث، يمكن عرض مكونات التصور وفق المحاور الآتية - علماً بأن هذه المعايير موزعة على المحاور وفقاً لطبيعة كل محور:-

أولاً: الشكل العام للمدونة:

- يكون اسم المدونة واضحاً، وباللغة العربية، خالياً قدر الإمكان من الأسماء الطويلة التي تشتت الذهن عن اسم المدونة.
- يكون رابط المدونة الإلكتروني في الشبكة العنكبوتية ذات دلالة واضحة تعبر عن اسم المدونة بالأحرف، بعيداً عن استخدام الرموز -غير الأحرف- إن أمكن.
- كتابة المعلومات الأساسية للمؤسسة أو الجهة التي صممت وبنّت المدونة بطريقة احترافية، ولا يكون إلا في أماكن المعلومات الاتصالية غالباً كآخر الصفحة الإلكترونية.
- الكشف عن بيانات الاتصال والتواصل مع مسؤولي المدونة، ويكون ضمن حقل إلكتروني واضح في الصفحة الرئيسية للمدونة بعنوان أو رمز مباشر.
- كتابة كود حفظ وتسجيل الحقوق الملكية والفكرية للمدونة أسفل الصفحة الرئيسية، مع تاريخ سنة إنشائها أو تسجيلها.
- ذكر الحجم الفعلي للمدونة في الصفحة الرئيسية، ويقاس الحجم بعدد الكلمات.
- يذكر في العنوان الرئيس للمدونة لغة المدونة.

- واجهة الصفحة الرئيسية للمدونة يجب أن تكون واضحةً وخاليةً من الزخم؛ لكي لا يتشتت المتعلم أو الباحث، ويكون حقل البحث في منتصف الصفحة بصورة أساسية.

ثانياً: محتوى المدونة:

- وضع أكثر الكلمات والألفاظ الشائعة التي جرى بحثها في صفحة المدونة الرئيسية.
- استيعاب الكلمات الشائعة بين متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
- وضع سياقات للألفاظ الشائعة بين متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، حيث تكون تلك السياقات من الاستعمالات العامة في المواقف الحياتية اليومية.
- عند إجراء البحث عن الكلمة، واستخراج السياق، تحدد مصادر تلك النصوص.
- تحديد البيانات الأساسية للنصوص في المدونة.
- تحديد تاريخ نصوص المدونة، بحيث تعطي المدونة تاريخاً للنص في السياقات الناتجة.
- تحشية المدونة من خلال إثراء نصوص المدونة بمعلومات تزيد من فائدتها، وتكون المدونة قادرة على تمثيل محتواها: أي تمثيل اللغة محل الدراسة.
- تكون المدونة قادرة على أن توازن محتواها اللغوي، بمعنى أن تكون اللغة في المدونة توازي اللغة خارجها، مما يضيق فجوة الواقع على متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، حيث يتعلمون اللغة من المدونة التي تخدمهم خارجها.
- تبيين المدونة نوع الكلمة من حيث أنها اسم أو فعل أو حرف.
- تبيين المدونة نوع الكلمة من حيث التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع.
- تبيين المدونة نوع الجملة في السياقات (جمل اسمية أو فعلية).
- تراعي المدونة الدلالة الثقافية للكلمة، حيث تعطي معلومات عن الكلمة في حال اختلاف دلالتها الثقافية من ثقافة إلى أخرى.

- تراعي المدونة الدلالة الثقافية للتركييب، حيث تعطي معلومات عن التراكيب في حال اختلاف السياق الثقافي من ثقافة إلى أخرى.
- مراعاة اختلاف الدلالة الضمنية لبعض التراكيب في المدونة وفقاً للاختلاف الثقافي، حتى يتبين لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى استعمال التركيب في محله الثقافي الصحيح.
- عند سرد النصوص والسياقات سواء اجتماعية أو ثقافية يجب أن تُسرد وفق منشئها، والمنطقة الجغرافية التي نشئت فيها.

ثالثاً: سهولة استخدام المدونة:

- تكون المدونة موحدة في ترميز النصوص
- ترميز المدونة بطريقة موحدة في طريقة التسمية.
- تحفظ المدونة الملفات في مجلدات منفصلة حسب وعائها، أو فترتها الزمنية، أو البلد الذي صدرت فيه.
- تكون المدونة قادرة على إنتاج بيانات إحصائية عامة مثل: عدد المستخدمين، عدد الزائرين، عدد الكلمات المبحوثة ... إلخ
- تكون المدونة قادرة على إنتاج قوائم التكرار، والتكرار النسبي.
- في خانة البحث تكون المدونة قادرة على استنتاج الكلمة المراد بحثها من أول حرف أو حرفين.
- في عرض الكلمة المراد البحث عنها تعطي المدونة في خانة البحث الكلمات ذات الدلالة نفسها أو كلمات في سياق دلالي مشابه.
- عرض الكلمات الأكثر بحثاً في المدونة بالصفحة الرئيسية للمدونة.
- استخدام المدونة اللغوية لصيغة أو أكثر من صيغة المعاملات الإحصائية؛ مثل: مربع كاي Chi-squared، أو معامل كسب المعلومات information Gain، وذلك لحسابات التصاحب اللفظي للكلمة المراد بحثها.
- دقة استخراج المدونة لنتائج البحث عن المفردات والتراكيب.

- إعطاء أكثر من خيار لعرض نتيجة البحث عن المفردات والتراكيب ألف بائياً أو على حسب الشيوخ، مما يساعد متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على الاختيار حسب حاجتهم بأكثر من نتيجة وسياق.
- إضافة رموز للتنقل الإلكتروني بين صفحات المدونة اللغوية بطريقة عرض واضحة وبارزة.
- عرض نتائج البحث في صفحات إلكترونية، أو عن طريق منافذ إلكترونية؛ ليسهل الرجوع إلى الصفحة الرئيسية.
- إتاحة أكثر من صيغة لحفظ نتائج البحث؛ مثل: (pdf-doc).

رابعاً: الإبحار داخل المدونة:

- تضمين الصفحة الرئيسية للمدونة خانة البحث، حيث إن بعض المدونات تجعل الصفحة الرئيسية واجهة كغلاف الكتاب والبحث في صفحة إلكترونية أخرى.
- خيارات (البحث المتخصص، توزيع التكرار، الكشاف السياقي، التصاحب اللفظي) تكون بجانب خانة البحث الرئيسية.
- تضمين المحددات أكثر من خيار للبحث، ولا يقتصر على الوعاء والفترة الزمنية، بل يضاف إليها السياق الثقافي والجغرافي.
- الفترة الزمنية تكون بالتاريخ الهجري والميلادي.
- خانة البحث تكون في وسط الصفحة الرئيسية، وليست عبارة عن خيار جانب الصفحة.
- نتائج البحث تكون في صفحات ارتباطية إلكترونية، بحيث يسهل التنقل من الصفحة الرئيسية إلى صفحة نتائج البحث، ثم العودة للصفحة الرئيسية وإجراء بحث آخر مع الاحتفاظ بصفحة النتيجة السابقة.
- عدد الصفحات المتسلسلة للنتيجة تكون أسفل الصفحة مع وجود خيار (السابق والتالي) للتنقل.

- ظهور نتيجة السياق لوحده، وتكون المعلومات الأساسية للمفردة أو السياق تظهر عند تفعيله أو المرور عليه بسهم الفأرة بشكل تلقائي.
- أيقونة الرجوع للصفحة الرئيسية تظهر مع كل صفحات نتائج البحث.
- ظهور صفحة تحوي رمز عطل إذا تعذر وصول الإنترنت للمدونة أو كان ضعيفاً.
- أسهُم الانتقال والأيقونات ومؤشرات البحث الإلكتروني والرموز الدلالية للمدونة يجب أن تتفق في تصميمها مع الهوية البصرية العامة للمدونة.

خامساً: المراجعة والتحديث للمدونة:

- مراجعة محتوى المدونة اللغوي؛ لتدعيمه بأهم مصادر النصوص، أو إضافة نصوص جديدة تلائم متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
- وجود حساب للمدونة في مواقع التواصل الاجتماعي مثل: فيسبوك وتويتير وغيرها حيث يكون للمدونة حساب خاص بها؛ لنشر ما يستجد في المدونة أو يُحدَّث فيها؛ ولتكون قريبة من مستخدميها.
- تكوين فريق لصيانة المدونة إلكترونياً يسهل التواصل معهم، وتكون مهمته الإشراف على عمل المدونة وإصلاح الخلل الموجود.
- التحديث المستمر للمدونة اللغوية سواء في شكلها العام أو محتواها أو طريقة العرض داخلها.
- تحديث المدونة وفقاً لأحدث البرامج المتاحة، ومتابعة ما يصدر أو يخترع من برامج جديدة؛ لتواكب التطور التقني الحديث، مما يجعلها سهلة وميسرة لتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

التوصيات والمقترحات

التوصيات:

- في ضوء ما أسفر عنه البحث الحالي من نتائج؛ يوصي الباحث بالآتي:
- ضرورة اعتماد معايير مرجعية لبناء وتصميم المدونات اللغوية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
- توظيف المدونات اللغوية في تعليم اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

المقترحات:

استكمالاً لما توصل إليه البحث الحالي، يقترح الباحث إجراء البحوث المستقبلية

الآتية:

- تصور مقترح لبناء المدونات اللغوية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى على ضوء المهارات اللغوية.
- معايير مقترحة لاختيار نصوص المدونات اللغوية اللازمة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
- تقويم محتوى المدونات اللغوية العربية الحالية على ضوء المعايير اللازمة للمدونات اللغوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (١٤٣٤هـ).

المراجع العربية:

الحدادي، علي عبدالمحسن، (٢٠١٢م)، تأثير استراتيجية أتقن المقترحة في تنمية مهارات الفهم القرائي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، بحث منشور في جامعة أفريقيا العالمية (العربية الناطقين بغيرها)، السودان، العدد (١٣).

دافيس، آلان، وإيلدر، كاترين، (٢٠٠٤م)، ترجمة ماجد الحمد وحسين عبيدات، المرجع في اللغويات التطبيقية، دار جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، الرياض. الدكتور، أيمن، (٢٠١٨)، المدونات اللغوية ودورها في معالجة النصوص، الرياض، مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية.

الرازي، مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر.

الريبعة، مها سليمان، السلطان، عبدالمملك سلمان & أتويل، إيريك، الذخيرة اللغوية الفصحى حجر الأساس لدراسة معاني كلمات القرآن الكريم في ضوء نماذج الدلالة المتوزعة.

صالح، د. محمود إسماعيل، (٢٠١٤م) لسانيات المدونات اللغوية، مقدمة للقارئ العربي، مدونة الدكتور محمود إسماعيل صالح على الشبكة العنكبوتية <http://ksucorpus.ksa.edu.sa/wp-content/uploads/2014/01>.

عبد الحميد، محمد، (٢٠٠٧م)، الاتصال والإعلام على شبكة الإنترنت، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى.

العصيمي، صالح بن فهد وآخرون، (٢٠١٤م)، المدونات اللغوية العربية بناؤها وطرائق الإفادة منها، مركز الملك عبد الله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة

العربية، الطبعة الأولى.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م)، معجم اللغة العربية المعاصرة،

عالم الكتب، الطبعة الأولى.

ماكنيري، توني، وهارداي، أندرو، (٢٠١٦ م) ترجمة: سلطان المجيل، لغويات المدونة

الحساوية، جامعة الملك سعود الرياض.

المراجع الأجنبية:

Atkins, Sue, Jeremy Clear and Nicholas Ostley. (1993). Corpus Pesign Criteria, in *Literary and linguistic computing*, 7 (1).

AysCough, S. (1790). *An index to the remarkable Passages and words made use by ShakesPare* London: stockdale.

Biber, D Conrad,s and Reppen, R. (1998): *Corpus linguistics: Inrestigating language structure and use*. Cambridge: CUP.

Craden, A.(1833).*A complete concordance to the Holy Scriptures* (1737), 10 th edn, London: Tegg.

Francis, W.N.(1992).*Corpus Linguistics*, Berlin

Hardie, A and McEnery, T. (2003) *The were subjunctire in British rural dialects: marrying corpus and questionnaire data* *Computeis and Humanities* 37 (2): 205-28.

Hunston, S (2002) *Corpora in applied Linguistics*. Cambridge: Cambridge Universty Press.

Hunston, S. (2002). *Corpora in Applied Ling uistice*. Cambradge: Cambridge: Cambridge University Press.

Kennedy, G. (1998) *An Introduction to corpus Linguistice*. London: Longman

Kleinhenz, E., & Ingvarson, L. (2007). *Standards for Teaching: Theoretical Understanding and Applica-tion* Australian Council for Educational Research (ACER).

McEnery, T and Xiao, R and Tono, Y. (2006) *Corpus-Based language studies: An advanced resoarece book*. London and New York: Routledge.

Nevalainen, T. and Raumolin-Branberg, H (1996) . *Sociclingaistics and Language History: Studies Based an the Corpus of Early English Correspondence*. Amsterdam: Rodopi.

Pearce, M. (2006) *The Routledge Dictionary of English Language studies*. Newyork: Routledge.

Schneider, J. (2004). *Verification of bibliometric methods' applicability for thesaurus construction*. (Doctored dissertation). Aa lborg: Department of information studies, Royal school of library and

information Science.

Weisser, (2016). Practical Corpus Langaistics: An Introduction to Corpus-Based Language Analysis – John Wiley & Sons.

Wynne, M.(2005) (Ed.) Developing linguistic Corpora: A Guide to Good Practice (AHDS Guides to Good Praetice At: [www.ahds : ac.uk](http://www.ahds.ac.uk)).

Bibliography

References

The Noble Qur'an, Mushaf al-Madinah al-Nabawiyah Published by King Fahd Complex for Printing of the Noble Qur'an. (١٤٣٤)

Arabic References

- al-Ḥudaybī, 'Alī 'Abd al-Muḥsin, (2012), **The effect of the proposed Atqan strategy on developing reading comprehension skills of Arabic language learners who speak other languages**, (in Arabic) a research published in the International University of Africa (Arabic for non-native speakers), Sudan, issue (13).
- Davies, Alan, and Elder, Catherine, (2004) Translated by Majid Al-Hamad and Husain 'Ubeidāt. **The reference in applied linguistics**, King Saud University, first edition, Riyadh.
- Al-Dakrouī, Ayman, (2018), **Linguistic corpus and their role in processing the texts**, (in Arabic). Riyadh, King Abdullah bin Abdul Aziz International Center For Arabic Language.
- Al-Rāzi, Ahmad bin Fāris, **Maqāyīs al-Luġha**, (1399 AH- 1979), investigated by: 'Abd al-Salām Muhammad Haroun, Dār al-Fikr.
- Al-Rabī'ah Mahā Sulaymān, al-Salmān, 'Abd al-Malik Salmān & Atwyl, Erik. **The classical linguistic repertoire is the cornerstone for studying the meanings of the words of the Noble Qur'an in the light of distributed semantics models**, (in Arabic).
- Saleh, Dr. Mahmoud Ismā'īl, (2014) **Linguistics of Linguistic corpus, Introduction to the Arab Reader, Dr. Mahmoud Ismā'īl Saleh's Corpus on the internet**, (in Arabic).
<http://ksucorpus.ksa.edu.sa/wp-content/uploads/2014/01>.
- 'Abd al-Ḥamīd, Muhammad, (2007), **Communication and media on the Internet**, (in Arabic), 'Ālam al-kutub, Cairo, first edition.
- Al-'Uṣaymī, Sāleh bin Fahd et el, (2014), **Arabic language corpus, their construction and ways to benefit from them**, (in Arabic). King Abdullah bin Abdul Aziz International Center For Arabic Language, first edition.
- Omar, Ahmad Mukhtār 'Abd al-Ḥamīd, (1429 AH – 2008), **Mu'jam al-Luġah al-'Arabiyyah al-Mu'āṣirah**, 'Ālam al-kutub, first edition.
- McEnery, Tony, Hardie, Andre, (2016) translation of: Sultan Al-Majyoul, **The linguistics of computational corpus**, King Saud University, Riyadh.

English References

Atkins, Sue, Jeremy Clear and Nicholas Ostley. (1993). Corpus Pesign Criteria, in Literary and linguistic computing, 7 (1).

- AysCough, S. (1790). An index to the remarkable Passages and words made use by ShakesPare London: stockdale.
- Biber, D Conrad,s and Reppen, R. (1998): Corpus linguistics: Investigating language structure and use. Cambridge: CUP.
- Craden, A.(1833).A complete concordance to the Holy Scriptures (1737), 10 th edn, London: Tegg.
- Francis, W.N.(1992).Corpus Linguistics, Berlin
- Hardie, A and McEnery, T. (2003) The were subjunctire in British rural dialects: marrying corpus and questionnaire data Computeis and Humanities 37 (2): 205-28.
- Hunston, S (2002) Corpora in applied Linguistics. Cambridge: Cambridge Universty Press.
- Hunston, S. (2002). Corpora in Applied Ling uistice. Cambradge: Cambridge: Cambridge University Press.
- Kennedy, G. (1998) An Introduction to corpus Linguistice. London: Longman
- Kleinhenz, E., & Ingvarson, L. (2007). Standards for Teaching: Theoretical Understanding and Applica-tion Australian Council for Educational Research (ACER).
- McEnery, T and Xiao, R and Tono, Y. (2006) Corpus-Based language studies: An advanced resoarece book. London and New York: Routledge.
- Nevalainen, T. and Raumolin-Branberg, H (1996) . Sociclingaistics and Language History: Studies Based an the Corpus of Early English Correspondence. Amsterdam: Rodopi.
- Pearce, M. (2006) The Routledge Dictionary of English Language studies. Newyork: Routledge.
- Schneider, J. (2004). Verification of bibliometric methods' applicability for thesaurus construction. (Doctored dissertation). Aa lborg: Department of information studies, Royal school of library and information Science.
- Weisser, (2016). Practical Corpus Langaistics: An Introduction to Corpus-Based Language Analysis – John Wiley & Sons.
- Wynne, M.(2005) (Ed.) Developing linguistic Corpora: A Guide to Good Practice (AHDS Guides to Good Praetice At: www.ahds : ac.uk.





جامعة اسلامیة المدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 4

Part : 1

Jan - Apr 2022



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للسنة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

يناير - أبريل ٢٠٢٢ م

الجزء : ٢

العدد : ٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu.edu.sa

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربه المطرفي

(رئيس التحرير)

أستاذ الأدب والنقد المشترك بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي

(مدير التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي

أستاذ النحو والصرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمد علي العوفي

أستاذ اللغويات المشترك بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبوشي

أستاذ البلاغة المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن صالح الشنطي

أستاذ الأدب والنقد بجامعة جدرا-الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض-جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف-جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

قسم النشر: عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب لركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحماش

أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمد بن مريسي الحارثي

أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد. تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية-الخطوم

د. سليمان بن محمد العبيدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة(*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستنلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيتّه.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلّات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤوّل حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلّا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاجو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني أسبابه وأعراضه د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور	٩
(٢)	أحكام النعت في أسلوب التأريخ على ضوء النقوش الإسلامية المبكرة د. سلطان بن عواض العوفي	٦٢
(٣)	مظاهر التعصب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية أ.د. عزمي محمد "عيال سلمان"	٩٣
(٤)	الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين د. سعد بن عبد الله المحمود	١٥٩
(٥)	دلائل الحجاج والإقناع في الخطاب النبوي الشريف (حديث الشفاعة نموذجاً) د. رشا عبد الرؤف عبد الفتاح الحبيشي	٢٠٧
(٦)	استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "ينتظر أن" لعبد الله الوشمي د. فواز بن زايد الشمري	٢٥٥

م	البحث	الصفحة
(٧)	الرؤية الدينية في شعر بدر بن بدر د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان	٢٨٧
(٨)	الجسد: الصورة والدلالة (الأمثال العربية القديمة نموذجاً) د. مطير بن سعيد الزهراني	٣٤١
(٩)	تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير د. مستورة مسفر العرابي	٣٨٥
(١٠)	التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني	٤١٧
(١١)	الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثلاً د. مصطفى سعد الخضر	٤٦٣
(١٢)	فاعلية برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى الباحث الرئيس: د. محمد حسن الحارثي الباحث المشارك: د. عادل علي السناني	٤٩٩

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني أسبابه وأغراضه

The Digression of Constatives to the Connotation of
Imperative in the Qur'anic Genre: Its Causes and Objectives

د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

أستاذ النحو والصرف المشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جازان

البريد الإلكتروني: ga-ga-009@hotmail.com

المستخلص

تُعنى هذه الدراسة بالأساليب القرآنية التي قيل: إنها خرجت من الأسلوب الخبري إلى معنى الأمر، ومحاولة تعرّف الأسباب التي أدت إلى هذا القول، فانطلقت من عرض أقوال العلماء مفسرين ونحويين، ثم حللت آراءهم، قابلة ما بدا لها قبوله وراثة ما رأت أنه بحاجة إلى ردّ، وخلصت إلى أنّ للمقامين: المقالي والمقامي أثرًا في القول بخروج الأسلوب من الخبر إلى معنى الأمر، وانتهت إلى تدوين عدد من فوائد القول بهذا الخروج، منها أنّ فيه تأكيدًا للدلالة على وجوب الأمر، وفيه درء بعض الشبهات التي أوردها بعض المشككين والطاعنين في كتاب الله عز وجل، وغيرها من الفوائد التي دونت في خاتمة البحث.

الكلمات المفتاحية: أسلوب الخبر، أسلوب الأمر، الأسلوب القرآني

Abstract

The present study aims to investigate the reasons behind the Qur'anic genres which was said to have digressed from the predicate genre to the imperative, and an attempt to discover the reasons behind this saying, hence, it started by presenting the opinions of the exegetes and the grammarians, and then analyzed those opinions, it sometimes agreed and other times disagreed with these sayings. And it concluded that both contexts, the situational and the verbal, have influence on the transition from predicate to imperative. And it culminated in recording several benefits of this transition, among them is the affirmation of connotation of the obligatory of the imperative, including responses to the misconceptions directed to the Glorious Quran by some confusionsists and skeptics, among other benefits that were noted in the conclusion.

Keywords: Constative genre, imperative genre, Qur'anic genre.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فمن المعلوم أنّ الأسلوب العربيّ ينقسم قسمين هما: الأسلوب الخبريّ والأسلوب الإنشائيّ، والخبر هو ما احتمال الصدق والكذب والإنشاء ما لا يحتملها. (١) ومن أنواع الإنشاء الطلّب الذي يضمّ أساليب عديدة كالاستفهام، والأمر، والتّهي، والتّداء، وغيرها من الأساليب المعروفة.

ما سبق من البدهيات التي أسّسها النّحويون والبلاغيّون في تقسيم الأساليب العربيّة (٢)، إلا أنّ الهدف من هذا البحث دراسة العلاقة بين الخبر وأحد أنواع الإنشاء، وهو (الأمر)، وتبيّن هذه العلاقة أعلاقة تضادّ هي كما أشار إلى ذلك أبو البقاء العكبريّ، إذ قال: "فأما الأمر والتّهي فضعيفٌ جعلهما خبراً للمبتدأ؛ لأنّهما ضدّ الخبر في المعنى" (٣)؟ أم أنّ العلاقة بخلاف ما ذهب إليه، ويُمكن لأحدهما أن يقع موقع الآخر؟ وكان هذا السؤال هو المشكلة الأولى التي نهض البحث للإجابة عنها، مستحضراً أنّ غاية النحو تتعدى الوقوف عند معرفة الخطأ والصّواب في ضبط أواخر الكلم إلى غاية أخرى تتجلّى في الكشف عن التّمايز بين التراكيب والأساليب والفروق بينها (٤)، فهرع إلى أعلى الأساليب العربيّة (القرآن الكريم) مستقرّاً، فوجد عدداً من الأساليب التي جاء فيها أحد الأسلوبين بمعنى الأسلوب الآخر، وبعد جمع هذه

(١) ينظر على سبيل المثال: أبو الفتح عثمان بن جني، اللّمع في العربيّة، ص ٢٤٨، وعبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٢٦١.

(٢) جعل ابن هشام في شذور الذهب الكلام ثلاثة أقسام: خبراً، وطلباً، وإنشاءً، ثمّ عدل عن ذلك في شرحه للشذور ص ٤٠، ويُنظر: محمد بن عبد المنعم، الجوجريّ، شرح شذور الذهب ١/١٦٥.

(٣) أبو البقاء العكبريّ، اللباب في علل البناء والإعراب ١/١٣٥.

(٤) أشار د. محمد حماسة عبد اللطيف إلى شيء من هذا في كتابه النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى والنحو الدلاليّ، ص ٢٧.

الأساليب التي حوتها آيات كريمة وما قيلَ فيها من توجيهات رأى أن يدرس ضربًا واحدًا، وهو أسلوب الخبر الذي جاء بمعنى الأمر، محاولًا الإجابة عن جملة من الأسئلة منها:

- لم يخرج الخبر في هذه الآيات إلى معنى الأمر؟
 - إذا كان الأمر هو المقصود من الأسلوب فلمَ لم يأت بأحد طرق الأمر؟^(١)
 - هل هذا الخروج ظاهر في الأسلوب؟ أو أنه من اجتهاد المفسرين واللغويين؟
 - أيُسلم لمن قال بهذا القول؟ أم أنه بالإمكان مناقشته؟
- والإجابة عن هذه الأسئلة هي الأهداف التي أراد البحث تحقيقها، فنهض لذلك معتمدًا بعد الله عز وجلّ على جملة من المصادر في النحو واللغة وتفسير القرآن الكريم وإعرابه وبعض الدراسات الحديثة.

وبعد جمع المادة العلمية بدا للباحث تقسيم بحثه إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: خروج الخبر إلى معنى الأمر للسياق المقاليّ.

المبحث الثاني: خروج الخبر إلى معنى الأمر للسياق المقاميّ.

المبحث الثالث: خروج الخبر إلى معنى الأمر للسياقين المقاليّ والمقاميّ معًا.

الدراسات السابقة:

- ١- أسلوب الأمر غير الصريح وطرائقه في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة كلية التربية والعلوم الإنسانية بجامعة البصرة، المجلد (٢٥)، العدد (٣)، إعداد: مهند ناصر حسين، وحسين علي ناجي، وهذا البحث هو ألصق الدراسات

(١) من المعلوم أنّ الأمر يأتي بأربع طرق: الأولى صيغة الأمر، نحو (اكتب)، والثانية: المضارع المقترن بلام الطلب، نحو: (ليذهب عليّ)، والثالثة: أسماء أفعال الأمر، نحو: (صه) بمعنى: اسكت، والرابعة: المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَا أَوْلَادِ بْنِ إِحْسَانَ﴾ (البقرة: ٨٣) ينظر: مهند حسين، وحسين ناجي، أسلوب الأمر غير الصريح وطرائقه في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة كلية التربية والعلوم الإنسانية بجامعة البصرة، المجلد (٢٥)، العدد (٣) ص ١٧٤ وما بعدها.

التي وقفت عليها ببحتي، غير أنه لم يتناول قضية خروج أسلوب الخبر إلى معنى الأمر إلا في صفحتين ونصف، موردًا عددًا يسيرًا من الآيات، وكانت الدراسة لهذه الآيات خاطفة، ولم تتأنّ وتقف على المقصود من مجيء الأمر بهذه الصورة، وكذا لم تناقش القائلين بهذا القول.

٢- **صيغ الأمر في القرآن والسنة**، وهي رسالة ماجستير أعدها الباحث: ناصر بن خلف الشمري في قسم: الشريعة الإسلامية، بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة بإشراف أ.د. محمد بلتاجي حسن، وهي رسالة - كما هو واضح - غير معنية بالعلاقات النحوية، وقد أفرد الباحث فيها مطلبًا ذا علاقة بما نحن في صدده عنون له بـ(الخبر المعبر عن الأمر) وقع في خمس صحائف (١٣٦ - ١٤٠)، لم يتقاطع مع بحثي إلا في آيتين اثنتين، وقد كانت غاياته تختلف عمّا أصبو إليه.

٣- **بلاغة القرآن في استعمال الخبر بمعنى الإنشاء والإنشاء بمعنى الخبر**، إعداد الباحث: خالد بن نواف الشوكة، بحث منشور في مجلة تبيان للدراسات القرآنية، العدد (١٢)، ١٤٣٤هـ، وهذه الدراسة عنيت بالجانب البلاغي، وكما هو بيّن من عنوانها شملت العلاقة المتجاذبة بين الأسلوبين، كما أنها شملت أنواع الإنشاء كلها، ولم تفرد ضربًا واحدًا وطريقًا واحدةً كما صنعت، وقد تقاطعت معي في ثلاث آيات كريمات، وكانت الغاية مختلفةً.

٤- **ورود الخبر بمعنى الأمر والنهي عند الأصوليين**، إعداد د. محمود شاکر مجيد، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد (١٥)، عدد (٩)، أيلول ٢٠٠٨م، وهذه الدراسة جامعة لما ورد من الخبر بمعنى الأمر والنهي معًا، وهي دراسة صغيرة لم تحلل الآيات تحليلًا نحويًا كما صنعت، وقد تقاطعت معي في أربع آيات، وكان الطرح مختلفًا عن طرح دراستي.

٥- الخبر الوارد بمعنى الأمر، دراسة أصولية تطبيقية، إعداد د. عبد الهادي ثابت هاشم، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، مجلد (٥)، عدد (٢)، رجب ١٤٣٣هـ، مايو ٢٠١٢م، وقد عُنت هذه الدراسة بالمقدمات كثيراً من التعريف بالخبر والأمر، والفرق بين الخبر والإنشاء، ومراد الأصوليين منها، ثم قسمت الآيات بناء على الأحكام الفقهية المؤدية إليها، وتقاطعت معي في ثلاث آيات، وكان التناول والتحليل مختلفين لاختلاف الدوافع والأهداف. هذه أبرز الدراسات التي وقفت عليها ذات اتصال بدراستي، وقد أفدت منها بلا شك، غير أنني لم أجد من تصدى إلى دراسة الأسباب السياقية التي أدت إلى الحكم بخروج أسلوب الخبر إلى معنى الأمر، كما أنني درست آيات تصل العشر لم تُدرس من قبل، هذه فروق عامة، وثمت فروق تزعم هذه الدراسة أنها تُفارق الدراسات السابقة، أجمالها فيما يأتي:

- ١- أنها حاولت الكشف عن أسباب الخروج عن طريق السياقين: المقالي والمقامي.
 - ٢- أنها الدراسة الأولى - فيما أعلم - التي نسبت القول بخروج أسلوب الخبري إلى معنى الأمر ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.
 - ٣- أنها ناقشت القائلين بخروج أسلوب الخبر إلى معنى الأمر، ورَدَّت بعض الأقوال مبقية الأسلوب على بابه من الخيرية.
 - ٤- أنها وظفت الأدوات النحوية في الحكم على خروج أسلوب الخبر إلى معنى الأمر أو بقاءه.
- ومع ذلك تعي الدراسة أنها عمل بشريٌّ قاصرٌ يعتريها ما يعتري البشر من الخطأ والنقص والقصور.
- وختاماً أسأل الله أن يكتب لعملي القبول والصلاح وأن يهديني سواء السبيل.

المبحث الأول: خروج الخبر إلى معنى الأمر للسياق المقالي

تعمدت عدم إيراد تمهيدٍ أذكر فيه تعريفًا بالسياقين: المقاليّ أو المقاميّ؛ لأنّ المصطلحين مصطلحان قارّان معروفان لدى الدارسين، وقد تناولتهما دراساتٌ كثيرةٌ موظّفةً إياهما في غير فكرة^(١)، ولكنني سأذكر في بداية كلّ مبحثٍ تعريفًا موجزًا للسياق الوارد فيه، فأقول: إنّ السياق المقاليّ يُقصدُ به البيئة اللغوية التي تحيط بمكونات الكلام من مفردات وجمل وخطاب من خلال عناصر التركيب، سواء أكانت صوتية أم صرفية أم نحوية أم معجمية^(٢).

المطلب الأول: القرينة الإعرابية

القرائن - كما يصفها تمام حسّان - كالمعالم للطريق التي يهتدي بها السائر إلى المكان الذي يقصده^(٣)، ومن هذه القرائن القرينة اللفظية، وهي: "عنصرٌ من عناصر الكلام يُستدلُّ به على الوظائف النحويّة"^(٤)، ومن أبرز القرائن اللفظية قرينة الإعراب، التي سأورد في هذا المطلب - إن شاء الله - الأساليب التي وقفتُ عليها خرج الأسلوب فيها من الخبر إلى معنى الأمر، وكان الدالُّ على هذا الخروج قرينة الإعراب، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: العلامة الإعرابية:

من المعلوم أنّ العلامة الإعرابية ذات شأنٍ في المعاني الوظيفية للمفردة داخل التركيب، كالفاعلية، والمفعولية، والإضافة بقول الزجاجي: "إنّ الأسماء لما كانت تعورها

(١) من مثل محمود حسن الجاسم، أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة، وخلود العمر، أثر السياق اللغوي في تعدد الأوجه الإعرابية للأسماء (دراسة نحوية لغوية لبعض آي سورة البقرة)، وفضومة حمادي، السياق والنص (استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي)، وغيرها من الدراسات.

(٢) ينظر: عرفة عبد المقصود، السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكون التركيبي ص ٤.

(٣) ينظر: تمام حسّان، البيان في روائع القرآن الكريم ١٠/١.

(٤) السابق ١٠/١.

المعاني، فتكون فاعلةً ومفعولةً ومضافةً ومضافاً إليها، ولم تكن في صورها مشتركةً جعلت حركات الإعراب فيها تُنبئ عن هذه المعاني " (١)

وهذا قول جميع النحويين - كما يذكر الزجاجي - إلا قطرباً الذي يرى أنّ الإعراب لم يدخل الكلام لبيان معانيه، بل دخله في درجه معاقباً للإسكان الذي يكون عند الوقف (٢).

وثمة عددٌ من اللغويين الذين ذهبوا مع الزجاجي إلى أنّ الإعراب دالٌّ على المعاني ومميّز بعضها عن بعض، ومن هؤلاء ابن فارس في كتابه الصحاح (٣)، وابن جني في كتابه الخصائص (٤)، وأبو الحسن المجاشعي في كتابه شرح عيون الإعراب (٥)، وابن الخشاب في كتابه المرتجل (٦).

وعلى الرغم من أنّ مقولة الزجاجي السابقة لم تسلم من النقد، وليس المقام مقام عرض ذلك (٧)، إلا أن المفسرين والنحويين - فيما نحن بصدده - قد تجاوزوا ذلك إلى جعل العلامة الإعرابية قرينةً لتحديد نوع الأسلوب، وليس لوظيفة المفردة داخل التركيب فحسب، والعلامة الإعرابية - كما يقول تمام حسان - أوفر القرائن حظاً من اهتمام النحاة لدرجة أنّهم جعلوا الإعراب نظريّةً كاملةً سموها نظريّة العامل (٨).

(١) أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو ص ٦٩.

(٢) السابق ٧٠.

(٣) ينظر: ابن فارس، الصحاح، وقد تحدث عن ذلك في غير موطن، منها ص ٥٥، وص ٧٦، وص ٣٠٩.

(٤) ابن جني، الخصائص ٣٧/١.

(٥) أبو الحسن المجاشعي، شرح عيون الإعراب ص ٣١.

(٦) ابن الخشاب، المرتجل ص ٣٤.

(٧) في هذا الخصوص بحوث ودراسات كثيرة، من أبرزها: إبراهيم أنيس في كتابه من أسرار اللغة ص ١٨٣ وما بعدها، ومحمد بن ربيع الغامدي، العلاقة بين الإعراب والمعنى في الدرس التحوي، بحث منشور في مجلة الطائف المجلد الثاني، العدد الطائف، ص ٢٨٦ وما بعدها.

(٨) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٠٥.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

ومّا جاء في توظيف قرينة العلامة الإعرابية في الحكم على خروج الأسلوب من الخبر إلى معنى الأمر قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّم عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنْحِيكُم مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ۗ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿١٢﴾﴾ (الصف: ١٠-١٢)

ذهب غير واحد من النحويين ومفسري القرآن الكريم ومعريه إلى أنّ قوله تعالى: (تؤمنون) خبرٌ خرج إلى معنى الأمر، تقديره: (آمنوا)، وذلك لأنّ قوله تعالى: (يغفر) جاء مجزوماً، قال أبو إسحاق الزجاج: "وقوله: (يغفر لكم ذنوبكم) هذا جواب (تؤمنون بالله وتجاهدون)؛ لأنّ معناه معنى الأمر، المعنى: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم يغفر لكم ذنوبكم، أي: إنّ فعلتم ذلك، والدليل على ذلك قراءة ابن مسعود^(١): (آمنوا بالله ورسوله)"^(٢)

فالزجاج من هذا النصّ يتبيّن حكمه على خروج الأسلوب الخبري (تؤمنون) إلى معنى الأمر (آمنوا)، جاعلاً قوله تعالى: (يغفر) جواباً له، واستند إلى قراءة ابن مسعود التي جاء فيها الفعل على صيغة الأمر، وقال بهذا الرأي أبو عليّ الفارسيّ الذي جعل الدليل على هذا التقدير هو جزم الفعل (يغفر)؛ إذ قال: "و(تؤمنون) على لفظ الخبر، ومعناه الأمر، والدليل على ذلك أنّ الجواب فيه قوله: (يغفر لكم)"^(٣)، ووافق الزجاج وأبا عليّ فيما ذهبوا إليه غير واحدٍ من العلماء كابن جني^(٤)،

(١) نسب هذه القراءة إلى ابن مسعود - رضي الله عنه - غير واحدٍ كأبي زكريّا الفراء في معاني القرآن ١٥٤/٣، ومكي بن أبي طالب القيسي في مشكل إعراب القرآن ٧٣١/٢، والسيوطي في معترك الأقران ٤٣٠/٣.

(٢) أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١٦٦/٥.

(٣) أبو عليّ الفارسيّ، الإغفال ٥٧/٢.

(٤) ينظر: ابن جني، المنصف ٢١٨/١.

والزخشري^(١)، والمرادي^(٢)، والزركشي^(٣).

وثمة فريق آخر يرى أنّ (يغفر) جُزم لوقوعه جواباً للاستفهام (هل أدلكم)، لأنّ فيها معنى (إن)، قال سيبويه: "وزعم الخليل أنّ هذه الأوائل كلها فيها معنى (إن)، فلذلك انجزم الجواب... وإذا قال أين بيتك أزرك، فكأنه قال إن أعلم مكان بيتك أزرك... ومما جاء من هذا الباب في القرآن وغيره قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيحُكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿١٠١﴾... فلما انقضت الآية قال: (يغفر لكم)" (٤)

فيتضح من هذا النص أنّ المصنّف يرى أنّ (يغفر) جوابٌ للاستفهام (هل أدلكم)، وقد قال بهذا القول أبو العباس المبرد^(٥)، وأبو زكريّا الفراء^(٦)، وابن السراج^(٧). **والذي يراه الباحث في هذه المسألة أنّ (يغفر) جوابٌ لقوله تعالى: (تؤمنون) لخروجه إلى معنى الأمر؛ لأنّ المغفرة مترتبة على الأعمال المذكورة بعدها من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله بالمال والنفس، لا على مجرد الدلالة عليها^(٨)، وعليه لا يوجد سبب لجزم يغفر إلا ما ذكر من أن قوله تعالى: (تؤمنون وتجاهدون) بمعنى: (آمنوا وجاهدوا)، ويؤيده - كما ورد سابقاً - قراءة ابن مسعود (آمنوا)، والأصل أن تتوافق**

(١) ينظر: أبو القاسم الزخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٤/٥١٤.

(٢) ينظر: أبو محمد بدر الدين المرادي، توضيح المقاصد والمسالك ٣/١٢٥٨.

(٣) ينظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٣/٣٤٩..

(٤) سيبويه، الكتاب ٣/٩٤.

(٥) ينظر: أبو العباس المبرد، المقتضب ٢/٨٢.

(٦) ينظر: أبو زكريّا الفراء، معاني القرآن ٣/١٥٤.

(٧) ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو ٢/١٧٦.

(٨) ينظر: ناصر الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/٢٠٩.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

القراءات^(١)، وإذا قيل: لم جاء بلفظ الخبر ومعناه الأمر، ولم يأت بإحدى طرُق الأمر مباشرة؟ فإنّ الإجابة عن ذلك نجدها عند البيضاوي، إذ يقول: "وإنما جيء بلفظ الخبر إيداناً بأن ذلك مما لا يُترك"^(٢)، وكذلك فإنّ فيه إشعاراً بالاستمرار والتّجديد كما أشار إلى ذلك ابن عاشور^(٣).

ثانياً: الموقع الإعرابي:

ومما جاء متعلّقاً بالموقع الإعرابي ما يأتي:

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ (النساء: ٤٥) في

فاعل (كفى) في هذه الآية وما شابهها قولان:

القول الأول: أنّ ما دخلت عليه الباء مثل لفظ الجلالة (الله) في الآية فاعلٌ

مرفوع بالفعل (كفى)، والباء زائدة، قال سيبويه: "وإذا قلت: مررتُ بزید وعمراً ...

ونحو ذلك قولك: خشنتُ بصدري، فالصدر في موضع نصب وقد عملت الباء، ومثله:

(كفى بالله شهيداً بيني وبينكم)^(٤) إنما هي كفى الله، ولكنتُ لما أدخلت الباء عملت،

والموضع موضع نصب وفي معنى النصب^(٥)، وهذا قول الخليل رحمه الله^(٦).

فسيبويه - في النص السابق - يرى أنّ الباء زائدة عملت في اللفظ لا في المحل،

ويدلّ على ذلك قوله: "إنما هي كفى الله"، فالباء - هنا - قد جرّت لفظ الجلالة بعدها،

وإن كان موضعه رفعاً بالفعل الذي قبله^(٧).

(١) ينظر: الفارسي، الإغفال ٥٧/٢.

(٢) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢٠٩/٥.

(٣) ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ١٩٤/٢٨.

(٤) الرعد: ٤٣، والأسراء: ٦٩.

(٥) يعني في (مررتُ بزید) لا في (كفى بالله). يُنظر: شرح كتاب سيبويه للسيراني ٢١٢/٣.

(٦) سيبويه، الكتاب ٩٢/١.

(٧) أبو سعيد السيراني، شرح كتاب سيبويه ٢١١/٣.

وقد وافق سيبويه غير واحد من النحويين، كابن السراج في أحد قوليه^(١)، وابن جني^(٢)، والزحشري^(٣)، والعكبري^(٤)، والمرادي^(٥).

القول الثاني: أنّ فاعل (كفى) مصدرٌ محذوف دلّ الفعل عليه، والتقدير: (كفى كفايتي)، وهذا قول ابن السراج في قوله الآخر، وقد ضعّف هذا القول ابن جني، معللاً بأنّ الباء على هذا تكون متعلّقةً بمصدرٍ محذوف^(٦)، وكذلك صنع أبو حيان، مبيّناً أنّ هذا التقدير لا يجوز إلا على مذهب الكوفيين الذين يجيزون إعمال ضمير المصدر كإعمال ظاهره^(٧).

هذان هما التوجيهان اللذان وقفتُ عليهما في فاعل قوله تعالى: (كفى)، وقد وافق أبو إسحاق الزجاج رأي الجمهور في قولهم: إنّ فاعل (كفى) هو لفظ الجلالة (الله) والباء زائدة غير أنّه وظف ما نحن بصدده من خروج الخبر إلى معنى الأمر، وأنّ (كفى) بمعنى (اكتفوا)؛ إذ قال: "وكفى الله ولياً وكفى الله نصيراً؛ إلا أنّ الباء دخلت في اسم الفاعل^(٨)؛ لأنّ معنى الكلام الأمر، المعنى: اكتفوا بالله"^(٩)، وقال في إعراب قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧): "ودخلت الباء في (وكفى بالله)؛ لأنّه خبر بمعنى الأمر، والمعنى: اكتفوا بالله حسيباً"^(١٠).

وقد وافق الزجاج في تعليقه هذا بعض مفسري القرآن الكريم ومعريه كأبي جعفر

(١) ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو ١/١٠١.

(٢) ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/١٤١.

(٣) ينظر: الزحشري، المفصل في صناعة الإعراب ٣٨١.

(٤) ينظر: العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب ١/٢٠٣.

(٥) ينظر: المرادي، الجنى الداني ٤٦.

(٦) ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب ١/١٤٢.

(٧) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٣/١٨٢.

(٨) يعني الفاعل بـ(كفى).

(٩) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ٢/٥٧.

(١٠) السابق ٣/٣٩٤.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

النحاس^(١)، ومكي ابن أبي طالب القيسي^(٢)، وابن عطية^(٣).

وقد خالف أبو عليّ الفارسي الزجاج ولم يرتضِ تعليقه السابق، وعقد مسألة في كتابه (الإغفال) أورد فيها نصّ الزجاج في إعراب آية الأنبياء، وعلّق عليه قائلاً: "لم تدخل الباء من حيث كان خبراً بمعنى الأمر؛ إذ ليس هذا الكلام خبراً بمعنى الأمر، ولكنّه على لفظ الخبر ومعناه"^(٤)، ويبيّن أنّ دخول الباء لا يدلُّ على خروج الخبر إلى معنى الأمر، وقد زيدت في غير أسلوب ولا مذهب للأمر فيها، وأضاف أنّ الأسلوب لو خرج إلى معنى الأمر لجاز قولنا: (كفى بالله تُتّب عليه) كما جاز في نحو (اتقى الله امرؤُ يُتّب عليه) وامتناع جواز ذلك دليل على عدم خروج الأسلوب إلى معنى الأمر^(٥).
والذي بدا لي بعد هذا التطواف أنّ الأسلوب هاهنا لم يخرج عن الخبر إلى معنى الأمر، وأنّ في تقدير الزجاج السابق عدم مراعاة وظائف المفردات داخل التركيب؛ إذ إنّ الفاعل في تقديره (اكتفوا) واؤ الجماعة (ضمير المخاطبين) والفاعل في الأسلوب القرآني هو الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا يكون ثمة تناقض بين أسلوب القرآن والتقدير، وقد ألمح إلى ذلك السمين الحلبي^(٦).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَلَبْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ

(١) ينظر: أبو جعفر النحاس، إعراب القرآن ١/٤٦٠.

(٢) ينظر: مكي القيسي، مشكل إعراب القرآن ١/١٩٨.

(٣) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز ٢/١٦٢.

(٤) الفارسي، الإغفال ٢/٤١٧.

(٥) ينظر: السابق ٢/٤١٨.

(٦) ينظر: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون

٣/٥٨٧.

يَا لَلَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٦﴾ (المائدة: ١٠٦):

قوله تعالى: (تحبسوهما) من الآية السابقة جملة خبرية في محل رفع صفة لـ (آخران)، وهذا قول جمع من المفسرين^(١)، غير أنّ مكّيّ أبي طالب كان له رأي آخر، إذ قال: "قوله: (فيقسمان بالله) الفاء لعطف جملة على جملة، ويجوز أن يكون جواب جزاء؛ لأن (تحبسوهما) معناه الأمر بذلك فهو جواب الأمر الذي دلّ عليه الكلام، كأنه قيل: إذا حبستموهما أقسما"^(٢)

فيتضح أنّ القيسيّ من خلال نصّه السابق يرى أنّ الأسلوب الخبريّ (تحبسوهما) خارج إلى معنى الأمر، ولذلك عدّ الفاء جزائيةً، غير أنّ تقديره: إذا حبستموهما جعلني حائرًا متسائلًا: هل يعني بالأمر الأسلوب الطلبيّ المعروف؟ أو أنّ مراده بالأمر هنا الشرط؟

وبعد البحث والتدقيق واستنطاق ما كتب العلماء ومحاولة الكشف عن فهمهم لهذا النص زالت حيرتي؛ فقد وجدت السمين الحلبيّ يفهم أنّ مراد القيسيّ الأمر الطلبيّ؛ إذ قال بعد أن نقل نص القيسيّ السابق: "وأيضًا فإنّ (تحبسوهما) تقدّم أهما صفةً، فكيف يجعلها بمعنى الأمر والطلب لا يقع وصفًا؟"^(٣)

فمن خلال هذا النصّ يُبيّن السمين الحلبيّ أنّ مراد القيسيّ من الأمر الطلبيّ، وقد ردّه معللاً ذلك بأنّ (تحبسوهما) صفة لـ (آخران)، والطلب - كما ذكر - لا يقع صفةً. والذي بدا لي أنّ توجيه مكّيّ القيسيّ يُمكن أن يكون له وجهة من حيث المعنى، وذلك على تقدير: (احبسوهما فيقسمان)، وهو توجيه متنسق مع المقام الوارد فيه، ولا سيما أنّ الحجة الصنّاعية التي دفع بها السمين الحلبيّ قول القيسيّ يُمكن أن تُردّ بأنّ

(١) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز ٢/٢٥٢، وأبو حيان، البحر المحيط ٤/٤٧، والسمين الحلبيّ، الدرّ المصون ٤/٤٦٣.

(٢) القيسيّ، مشكل إعراب القرآن ١/٢٤٢.

(٣) الحلبيّ، الدرّ المصون ٤/٤٦٥.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

(تجسونهما) جملة استثنائية لا صفة، وهذا التوجيه قد قال به الزمخشري^(١)، واختاره السميئ نفسه عادةً إياه أوفق من جهة الصناعة، معللاً ذلك بأنّ في القول يكون (تجسونهما) صفة ل(آخران) فصلاً بكلام طويل بين الصفة وموصوفها^(٢).

وبناءً على ما تقدّم تبرز إمكانية قبول توجيه مكّي القيسيّ صناعياً، والمعنى يقبله كذلك، فلذا لا أرى مانعاً من القول: إنّ الأسلوب الخبريّ (تجسونهما) قد خرج إلى معنى الأمر (احبسوهما).

المطلب الثاني: دلالة الألفاظ

أولاً: معنى الأداة:

من المعلوم أنّ للأدوات أثراً بارزاً في ربط التركيب العربيّ، وأثماً كذلك حمالة للمعاني، ولذا انتشر بين المصنفين ما يُسمّى: (حروف المعاني)، وسنرى في هذا الجزء من البحث أثر معنى الأداة في تصنيف الأسلوب خبراً وإنشاءً، وذلك من خلال توجيه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ﴾ (الكهف: ٢٩).

الذي عليه معظم المفسرين أنّ الأسلوب في الآية السابقة دالٌّ على التخيير، ولكنّ هذا التخيير فيه معنى التهديد، قال أبو إسحاق الزجاج: "هذا الكلام ليس بأمرٍ لهم، ما فعلوه منه فهم فيه مطيعون، ولكن كلام وعيد وإنذار قد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر"^(٣)، وقد سمى بعض اللغويين وأصحاب حروف المعاني هذه اللامَ لامَ التهديد، قال الفيروز آبادي: "وأثماً العاملة للجزم فنحو: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمَرُوا بِي﴾، ومن أقسامها:

(١) ينظر: الزمخشريّ، الكشاف ١/٦٧٣.

(٢) ينظر: الحلبيّ، الدرّ المصون ٤/٤٦٣-٤٦٤.

(٣) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ٣/٢٨١.

لام التهديد: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(١).

وقد أورد السمرقندي أن الأسلوب في قوله تعالى: (فمن شاء فليؤمن) أسلوب خرج من معنى المشيئة إلى معنى الأمر، وتقديره: آمنوا، وكأنّ التقدير: (وقل الحق من ربكم فآمنوا)، كما أنّ قوله تعالى: (ومن شاء فليكفر) خرج إلى معنى النهي^(٢)، والتقدير: (فلا تكفروا).

وهذا التقدير - من وجهة نظر الباحث - ليس بعيداً عن معنى المشيئة؛ لأنّ الأمر هنا أمرٌ دينيٌّ شرعيٌّ قد يحصل من المأمور وقد لا يحصل^(٣)، ويُعدّ تفسير معنى؛ فمعنى المشيئة ما زال حاضراً، والمراد بالحقّ القرآن عند جمع من المفسرين^(٤) ونحن - بلا شك - مأمورون بالإيمان به.

ثانياً: المعنى المستنبط من التركيب:

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (آل عمران: ٩٧)

لا شك أنّ من دخل المسجد الحرام فهو آمن، وقد تعددت أقوال المفسرين في المراد بهذا الأمن، فقيل: إنّ من ارتكب جريرةً ثمّ دخل المسجد فلا يؤخذ منه حتى يخرج من المسجد، ويروى عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: "لو وجدت فيه قاتل الخطاب من المسجد، ويروى عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: "لو وجدت فيه قاتل الخطاب

(١) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز ٤/٤١١، وينظر: البيهوشي، الحفاية بتوضيح الكفاية ص ٢٧٢.

(٢) ينظر: السمرقندي، بحر العلوم ٢/٣٤٥.

(٣) يذكر علماء العقيدة أنّ الأمر نوعان: أمر كونيّ كقوله تعالى: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (يس: ٨٢)، وأمر دينيّ كقوله تعالى: (إنّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (النساء: ٥٨)، ينظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح ١/١٥١.

(٤) ينظر - على سبيل المثال -: ابن عطية، المحرر الوجيز ٣/٥١٣، وأبو حيان، البحر المحيظ ٦/١١٥، والآلوسي، روح المعاني ١٥/٣١٧.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

ما مسسته حتى يخرج منه" (١)، وعند أبي حنيفة من لزمه القتل في الحِلِّ بقصاص أو ردة أو زنا لم يُعَرِّضْ له إذا التجأ إلى المسجد الحرام (٢).

وقيل: إنه آمنٌ من النار، وروى في ذلك غيرُ حديثٍ دالة عليه (٣).
فالأمن بناء على ما سبق قد يكونُ أمناً من الله عز وجلّ وقد يكونُ أمناً من المخلوقين (٤).

و(من) في الآية الكريمة تحتل أن تكون موصولةً وأن تكون شرطيةً، وأياً كان تقديرها فهي في موضع رفع بالابتداء وما بعدها الخبر (٥)، وعليه فالأسلوب خبريٌّ متضمّنٌ إطلاق الحكم بأمن داخل المسجد الحرام.

وهذه الدلالة المتترعة من الأسلوب الخبري هي التي جعلت زعيم القرامطة الحسن بن بمرام الجُنَّابي (٦) حين قتل آلافاً من الناس بمكة يقول لهم: "يا كلاب، أليس قال لكم محمدٌ المكِّيُّ: (ومن دخله كان آمناً)؟ أيّ أمنٍ هنا؟"، وقد أورد الطاهر بنُ عاشور هذه الحادثة، وقال معلّقاً عليها: "وهو جاهلٌ غيبيٌّ؛ لأنَّ الله أراد الأمر بأن يجعلَ المسجدَ الحرامَ مأمناً في مدّة الجاهليّة؛ إذ لم يكن للناس وازعٌ عن الظلم، أو هو خيرٌ مُرادٌ به الأمر" (٧).

(١) الصنعاني، مصتف عبد الرزاق الصنعاني ١٥٣/٥.

(٢) ينظر: أحمد بن محمد القدوري، التجريد ٥٦٧٦/١١.

(٣) ينظر: أبو الفداء الدمشقي، جامع المسانيد والسنن ٤٩٩/٣، رقم الحديث (٤٣٢٦)، وجمال الدين السيوطي، جامع الأحاديث ٢/٢٤.

(٤) ينظر: تاج القراء الكرمان، غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢٦٤/١.

(٥) ينظر: المنتجب الهمداني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٩٧/٢.

(٦) وقيل: إنه ابنه أبو طاهر سليمان. ينظر: أبو المحاسن الظاهري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢/٢٢٥.

(٧) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ٧١٠/١.

والذي يعني في تعليق ابن عاشور السابق قوله: "أو هو خبرٌ مرادٌ به الأمر"؛ لأنّ الدلالة على الأمر لا تستلزم إطلاق الحكم الذي يقتضيه الخبر، وهو ما فهمه القرمطي، وجعل يسخر من الناس ونبّيهم صلى الله عليه وسلم.

وخروج الأسلوب من الخبر إلى معنى الأمر في هذه الآية قد سبق إليه أبو يعلى؛ إذ نقل عنه ذلك ابنُ الجوزي في قوله: "قال القاضي أبو يعلى: لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر، وتقديره: ومن دخله فأمنوه" (١)

وفي هذا الفهم ملامح جميل، وهو درءُ الشبهات بالتحليل النحويّ للأساليب، فما أراد القرمطي من قوله السابق إلا الاستهزاء بكتاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتشكيك الناس في مصدرى تشريعهم، وفي الردّ عليه بهذا التحليل درءٌ لهذه الشبهة.

والذي بدا لي جواز خروج الخبر إلى معنى الأمر في هذه الآية، وأنّ المراد أمرُ المؤمنين بتأمين داخل المسجد الحرام.

المطلب الثالث: ذكر جملة لاحقة

من المعلوم أنّ للتعالق بين الجمل أثرًا في مدلول الأسلوب، سواء أكانت هذه الجملة سابقة أم لاحقة، وهنا سأعرض لأثر الجملة اللاحقة في تحديد نوع الأسلوب، وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة: ٢) في قوله تعالى: (الحمد لله) من الآية السابقة قراءة ثان (٢):

(١) جمال الدين الجوزي، زاد المسير ٤٢٧/١.

(٢) أعني القراءتين المؤثرتين في الإعراب، وإلا فهناك قراءتان أخريان لا تأثير لهما في الإعراب، ذكرهما ابن جني في المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ١١٠/١ وما بعدها، وهما: (الحمد لله) بكسر الدال واللام، و(الحمد لله) بضمّ الدال واللام، وكلتا القراءتين على الإتيان.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

القراءة الأولى: بنصب (الحمد)، وهي قراءة لم يعزها من ذكرها^(١) إلى أحد، ووجهت على أن نصب (الحمد) إما على المصدرية لعامل محذوف تقديره: (أحمد الحمد)، أو على المفعولية لفعل محذوف، والتقدير: (اقرأوا الحمد أو اتلوا الحمد)^(٢).

القراءة الثانية: برفع (الحمد)، وهي قراءة الجمهور، وهذه القراءة هي التي تعني هذا البحث؛ فالجملة - كما هو بيّن - جملة خبرية مكونة من مبتدأ وخبر، واللام في (لله) للاستحقاق، وهذا الأسلوب يفيد الثبوت والدوام، فالله عز وجل أخبر بأن الحمد مستقر ثابت له سبحانه^(٣)، غير أن بعض المفسرين ذكروا أن الأسلوب هاهنا قد خرج من الخبر إلى معنى الأمر، ومن أوائلهم ابن جرير الطبري؛ إذ قال: "وما معنى قوله "الحمد لله"؟ أحمد الله نفسه جل ثناؤه فأثنى عليها، ثم علمناه لنقول ذلك كما قال ووصف به نفسه؟ فإن كان ذلك كذلك، فما وجه قوله تعالى ذكره إذا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

وهو عزّ ذكره معبود لا عابد؟ أم ذلك من قيل جرير أو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقد بطل أن يكون ذلك لله كلامًا.

قيل: بل ذلك كله كلام الله جل ثناؤه، ولكنه جلّ ذكره حمد نفسه وأثنى عليها بما هو له أهل، ثم علم ذلك عباده، وفرض عليهم تلاوته، اختبارًا منه لهم وابتلاءً، فقال لهم قولوا: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، وقولوا: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). فقوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) مما علمهم جلّ ذكره أن يقولوه ويدينوا له بمعناه، وذلك موصول بقوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، وكأنه قال: قولوا هذا وهذا^(٤).

فمن هذا النص يتضح أن ابن جرير الطبري يرى أن الأسلوب خرج إلى معنى

(١) ممن ذكرها: أبو منصور الأزهري في معاني القراءات ١/١٠٨، وأبو حيان في البحر المحيط

٣٤/١، والسّمين الحلبي في الدرّ المصون ١/٤٠.

(٢) ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون ١/٤٠.

(٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ١/٣٤.

(٤) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/١٣٩.

الأمر؛ إذ إنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نقول: (الحمد لله) كما أمرنا أن نقول: (إياك نعبد)، ويتضح كذلك أنّ ما دعا الطبريّ إلى ذلك هو ما يُلاحظ من عدم اتفاق للمتأمل - إذا جرى الكلام على أصله في أسلوبه الخبريّ - بين قوله تعالى: (الحمد لله رب العالمين) وقوله: (إياك نعبد)، ولذا قدّر ابن جرير (قولوا) قبل الآيتين؛ ليتسق الكلام. وقد وافق الطبريّ غير واحدٍ من المفسّرين، ومنهم: الماتريدي^(١)، والتعلبي^(٢)، والواحدي^(٣)، والسمعاني^(٤). غير أنّ الرازيّ لم يرتضِ هذا القول، وعدّ خروج الأسلوب هاهنا من الخبر إلى الأمر ضعيفاً، إذ قال: " من النَّاس من قال: تقدّر الكلام قولوا الحمد لله، وهذا عندي ضعيف، لأنّ الإضمار إنّما يُصار إليه ليصحّ الكلام"^(٥)، فالرازي يرى أنّ هذا التقدير ضعيف، بل ذهب إلى أنّه يفسد الكلام؛ لأنّ الكلام تامٌّ فلا حاجة للإضمار، وبين كذلك أنّ الله مستحقٌّ سواءً حمده الخلق أم لم يحمده^(٦)، وقد بين في موطنٍ آخر الفوائد التي من أجلها جاء التركيب على صيغة الخبر، وهي: إفادة تعليم اللفظ والمعنى، واستحقاق الله عز وجلّ الحمد سواءً حمده حامداً أو لم يحمده، وأنّ المقصود من قوله تعالى: (الحمد لله) ذِكْرُ الْحُجَّةِ، وذكرها بصيغة الخبر أولى^(٧).

بقي أن أشير في نهاية هذا التحليل إلى أنّ الخرج المقول به هنا لم يكن في تقدير مذكورٍ وإعطائه صيغةً غير التي جاء عليها كما مرّ بنا في الآيات السابقة، بل التقدير هنا لمحدوفٍ يسبق الأسلوب القرآني، وهذا نمطٌ من أنماط التقدير في القول بخروج الأسلوب الخبريّ إلى معنى الأمر.

(١) ينظر: أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة ١/٣٥٨.

(٢) ينظر: التعلبي، الكشف والبيان ٢/٣٧٦.

(٣) ينظر: الواحدي، البسيط ١/٤٨٣.

(٤) ينظر: أبو المظفر السمعاني، تفسير القرآن ١/٣٥.

(٥) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ١/١٩٥.

(٦) ينظر: السابق ١/١٩٦.

(٧) ينظر: السابق ١٢/٤٧٥.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

والذي يبدو لي أنّ الأسلوب في الآية الكريمة أسلوب خبري لم يخرج إلى معنى الأمر، بل هو باقٍ على خبريته مفيداً معنى الاستقرار والثبات، وهذه المصادر - كما يرى المرّاد^(١) - إذا دلّت على الاستقرار لم يكن لها إلاّ الرفع، وأرى أنّ الأسلوب في هذه الآية دالٌّ على الاستقرار والثبوت.

(١) ينظر: المرّاد، المقتضب ٢٢٢/٣.

المبحث الثاني: خروج الخبر إلى معنى الأمر للسياق المقامي

السياق المقامي أو ما يُسمى مقام الحال يعني خلفياً غير لغوية للكلام أو النص، أو هو العناصر غير اللغوية التي تحيط بالنص يكتسب منها تمام معناه ومدلوله^(١)، وفيما نحن بصدد الحديث عنه في هذه الدراسة نجد عناصر ليست لغوية أسهمت في تحديد الأسلوب، وقيل اعتماداً عليها: إنّ الأسلوب خرج من الخبر إلى معنى الأمر، ومن ذلك ما يأتي:

المطلب الأول: سبب النزول

من المعلوم أنّ لأسباب النزول أثراً في فهم النص القرآني وتوجيه تراكيبه وأساليبه، وقد كان له حضورٌ في هذه الدراسة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٧٢)

نزلت هذه الآية - كما جاء في ذكر أسباب نزولها - مشرعة التصدق على المشركين والكفار، فقد كانوا يُمنعون الصدقة حتى نزلت هذه الآية^(٢)، وقد تعددت أقوال المفسرين في الأسلوب الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: أن الأسلوب خبريٌّ باقٍ على أصله، ويكون موقع الجملة إما حال وتقديرها: "إذا كان حالكم ألا تنفقوا إلا لأجل وجه الله، أو إلا طالبين وجهه سبحانه غير مؤذنين ولا مانئين"^(٣)، أو تكون معطوفةً على ما قبلها أو مستأنفة^(٤)، وتقديرها: أن نفقتكم ما وقعت إلا لوجه الله، ويكون الخطاب خاصاً بالصّحابة رضوان الله عليهم، وهو -

(١) ينظر: سمية محامدية، دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية، رسالة ماجستير، جامعة محمد

خيضر بسكرة، الجزائر، ١٤٣٤هـ، ٢٠١٣م.

(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب ٦٥/٧.

(٣) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ٤٦٩/٣.

(٤) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٣٤١/٢.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

كما يقول أبو حيان - خيرٌ من الله عزّ وجلّ وأنّ نفقة الصّحابة وقعت على الوجه المطلوب من ابتغاء وجه الله عزّ وجلّ، وفيه شهادة لهم بذلك وتبشير بقبول الصدقة (١)، وقد يكون لعموم المؤمنين، كما ذهب إلى ذلك أبو إسحاق الزجاج؛ إذ قال: "هذا خاصٌّ للمؤمنين أعلمهم أنّه قد علم أنّهم يريدون بنفقتهم ما عند الله جلّ وعزّ؛ لأنّه إذا أعلمهم ذلك فقد علموا أنّهم ماثبون عليه" (٢).

ثانياً: أنّ الأسلوب خبرٌ ومعناه النهي، و التقدير: ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله، وقد سار معظم المفسّرين على هذا التقدير، ومن أبرز من قال بذلك: السمرقندي (٣)، والثعلبي (٤)، وتاج القراء الكرمانى (٥)، والبغوي (٦)، واختاره السيوطي (٧)، وقد وجدت لدى الواحدي عبارة جعلتني أضمن هذه الآية بحثي هذا، وذلك قوله: ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ خيرٌ والمراد به الأمر (٨)، إذ إنّ هذه العبارة قد استوقفتني، متسائلاً ما مراد الواحدي بقوله: "الأمر" (٩)؟ وبدأتُ أبحثُ عمّن يعينني على فهمها، فوجدتُ الطاهر بن عاشور يشرح المسألة قائلاً: " وقوله: ﴿ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ جملةٌ حاليّةٌ، وهو خير مستعملٌ في معنى الأمر، أي إنّما تكون منفعة الصّدقات لأنفسكم إن كنتم ما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله لا للرياء ولا لمراعاة حال مسلم وكافر، وهذا المعنى صالح لكلا المعنيين المحتملين في الآية التي

(١) ينظر: الكرمانى، غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢٣٣/١.

(٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ٣٥٥/١.

(٣) ينظر: أبو الليث السمرقندي، بحر العلوم ١٨١/١.

(٤) ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان ٣٣٨/١.

(٥) ينظر: الكرمانى، غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢٣٣/١.

(٦) ينظر: أبو محمد البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٣٧٧/١.

(٧) ينظر: جلال الدين السيوطي، معترك الأقران ١٩٥/١.

(٨) الواحدي، الوجيز في التفسير ١٩٠/١.

(٩) مع أنّه ذهب في البسيط ٤/١٥٥ إلى أنّ الأسلوب خبرٌ ومعناه النهي.

قبلها، ويجوز كونها معطوفةً عليها إذا كان الخبر بمعنى التَّهْيِ، أي: لا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ" (١)

غير أنّ هذا النَّصَّ الذي علّق فيه ابن عاشور على كلام الواحدي _ ولو لم ينسبه إليه - زاد كلام الواحدي غموضاً وإغلاقاً، فقد فسره بأسلوب نفى خبري، ولم يزد على نصّ الآية إلا منفيين تالين له، وهو قوله: "لا للرياء ولا لمراعاة حال مسلم" والذي أراه أنّ الواحدي عني بقوله: "والمراد به الأمر" أي: أنفقوا ابتغاء وجه الله، ويكون توجيهه تفسير معنى، على الرّغم من أنّ فيه تعطيلاً لأداة الاستثناء (إلا) الواردة في الآية التي تزيد المعنى قوة؛ إذ إنّ الاستثناء على معنى النهي استثناءً مفرّغاً يُفيد الحصر، وقد اخترتُ هذا التفسير لعبارة الواحدي؛ لأنّ تفسير أسلوب السلب بأسلوب إيجاب وعكسه معهود لدى المفسرين، ولا سيّما في أساليب الاستثناء المفرّغ، فحينما وجدوا استثناءً مفرّغاً في أسلوب إيجاب قدّروه بأسلوب سلب منفي، قال السمين الحلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٥): "قوله: "إلا على الخاشعين" استثناء مفرّغ، وجاز ذلك، وإن كان الكلام مثبتاً، لأنّه في قوّة المنفي، أي: لا تسهل ولا تخفّ إلا على هؤلاء" (٢)

ويُفادُ من هذه المسألة أنّ الأمر الذي قد يخرج إليه الأسلوب الخبري يكون دائماً على التَّهْيِ، وإن كان لا يؤدّي قوته في المعنى كما رأينا.

المطلب الثاني: الثقافة الشرعية

لن أضيف جديداً إذا تحدثت عن العلاقة بين النحو والشريعة الإسلامية، والتفاعل بينهما من جهتين لا من جهة واحدة (٣)، وقد وجدتُ في هذا المطلب ما اتكأ على الشريعة الإسلامية، سواءً أكان حكماً فقهياً أم ثقافةً شرعية، وقد تجلّى ذلك فيما يأتي:

(١) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير ٧٢/٣.

(٢) السمين الحلبي، الدّر المصون ٣٣١/١.

(٣) ينظر: جمال الدين الإسوي، الكوكب الدرّي فيما يتخرّج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، مقدمة المحقق ص ٨.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)

الآية السابقة جملة خبرية ركنها: المبتدأ (الوالدات)، والخبر (يرضعن)، إلا أن غير واحد من النحويين والمفسرين قد ذكر أن قوله تعالى: (يرضعن) خبر خرج إلى معنى الأمر^(١)، معللين ذلك بأنه لو كان المراد به الخبر لوجد محبره، وهذا غير متحقق، وذلك أنه وجد في الوالدات من لا تُرضع، فعلم أن المراد به الأمر، وإذا علم ذلك فلم يخل من أن يكون المراد به إيجاب الرضاع على الأم وأمرها به، أو إثبات حق الرضاع لها. والذي يظهر أن الأمر واجب على الأم التي في العصمة وليس واجباً على المطلقة^(٢)، بل هو للاستحباب وإثبات حق الرضاع للأم المطلقة، وأما أولى بذلك من غيرها، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بِئِنَّكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمُوهُنَّ فَمَسْرُوعٌ لَهُنَّ أُخْرَى﴾ (الطلاق: ٦)، فدل هذا على أن الأمر ليس للإيجاب، وأن الوالدة إنما تُرضع للأب^(٣).

ولهذه الآية نظائر، من مثل قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ

قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، وقد قيل فيها بالتقدير نفسه الذي قيل به في الآية السابقة إلا أن التربص على سبيل الإيجاب، والسياق - كما قال الزركشي - "يدل على أن الله تعالى أمر بذلك، لا أنه خير، وإلا لزم الخلف في الخبر"^(٤) وقد أورد السمين الحلي توجيهاً آخر لهذه الآية ونعته بالبعد، وهو أن من جعل الآية على بابها (جملة خبرية لم تخرج إلى معنى الأمر) قدر: وحكم المطلقات أن يتربصن، فحذف (حكم) من الأولى

(١) مثل أبي إسحاق الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ١٨٧/٥، وأبي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه ١٥٨/٩، وأبي البقاء العكبري في التبيان في إعراب القرآن ١٢٤/١، وابن يعيش في شرح المفصل ٢٦٠/٤-٢٦١.

(٢) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز ٣١٠/١.

(٣) ينظر: الجصاص، أحكام القرآن ٧٤/٢، وأبو إسحاق الثعلبي، الكشف والبيان ١٨٠/٢.

(٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن ٣٢٠/٢.

و(أن) المصدرية من الثاني، وهو كما قال السمين بعيد جدًا.
والذي بدا لي أن في آية المسألة وما شابهها خروجًا من الأسلوب الخبري إلى
معنى الأمر، والتقدير: ليُرضعن.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ^ط
تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ^ط﴾ (البقرة: ١٩٦)

تناول المفسرون هذا الجزء من الآية الكريمة الذي يبدو فيه وضوح أن الثلاثة
والسبعة عشرة، فما الحكمة من ذكر العشرة، ثم ما الحكمة من نعت عشرة بـ(كاملة)؟،
وقد بينوا بعض الأسباب التي تفسر ذلك، ومنها:
١- أنه أُتيّ بالعشرة توطئة للخبر بعدها، لا أنها هي الخبر المستقلّ به الفائدة،
كقولك:

(زيد رجل صالح)؛ إذ المقصود الإخبار بالصلاح، وحيء بـ(رجل) توطئة للإخبار
بالصلاح عنه، فمن المعلوم أن زيدًا رجل^(١).

٢- أن العرب إذا ذكروا عددين فمذهبهم إجمالها، وهذا يُسمى فذلّة الحساب،
ذلك أن العرب كانوا قليلي المعرفة بالحساب^(٢)، أي: إجمالها تفصيلها، وقد ورد ذلك
عنهم كقول النابغة:

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتُهَا ** لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامِ سَابِعٍ^(٣)

وقول الأعشى:

ثَلَاثٌ بِالْغَدَاةِ فَهِنَّ حَسْبِي ** وَبِسْتُ حِينَ يُدْرِكُنِي الْعِشَاءُ

(١) نُسِبَ هذا القول لابن الباذش في البحر المحيط ٨٧/٢، والدرّ المصون ٣٢١/٢.

(٢) ينظر: الزمخشري، الكشاف ٢٤١/١، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٣٠/١.

(٣) بيت من الطويل للنابغة في ديوانه ٣٠، وهو بيت سيّار في كتب النحو يستشهدون به لغير
قضية. ينظر - على سبيل المثال -: سيبويه، الكتاب ٤١٢/٢، وأبو حيان، ارتشاف

الضرب ١٩٧٣/٤، وخالد الأزهرّي، التصريح بمضمون التوضيح ٤٩٣/٤.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

فَذَلِكَ تِسْعَةٌ فِي الْيَوْمِ رَبِّي * * * وَشُرْبُ الْمَرْءِ فَوْقَ الرَّبِّيِّ دَاءٌ^(١)

وقول الفرزدق:

ثَلَاثٌ وَاثْنَتَانِ فَهِنَّ خَمْسٌ * * * وَسَادِسَةٌ تَمِيلُ إِلَى شِمَامٍ^(٢)

٣- لئلا يتوهم أنّ الواو بمعنى (أو)، ومعلوم أنّ الواو قد تقوم مقام (أو)، كقوله تعالى: ﴿فَأَنذِكُوهَا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَتِلْكَ وَرُبْعٌ﴾ (النساء: ٣)، أي: مثنى أو ثلاث أو رباع، وهذا القول منسوب إلى الزجاج^(٣).

٤- أنّ لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر، أي فأكملوا صيامها ولا تُنقصوها، وهذا التوجيه هو الذي يعني هذا البحث، وقد أورده غير واحد من المفسرين، كابن جرير الطبري^(٤)، والواحدي^(٥)، وابن عطية^(٦)، وعبد الرحمن الجوزي^(٧)، والقرطبي^(٨)، وأبي حيان^(٩)، ومعلوم أنّ الأمر بإكمال الصيام حكم فقهي، والثقافة الشرعية بهذا الحكم

(١) بيتان من الوافر نسبهما إلى الأعشى أبو حيان في البحر المحيط ٢/٢٨٦، والسمين الحلبي في الدر المنصون ٢/٣٢٠، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٣/٧٧، ولم أجدتها في ديوان الأعشى.

(٢) بيت من الوافر للفرزدق في ديوانه ٢/٢٩٠، وينظر: بدر الدين العيني، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور ب(شرح الشواهد الكبرى) ٢/٦٠٤، و(شمام): اسم جبل له رأسان يسميان ابني شمام ينظر: الخليل بن أحمد، العين (ش م م) ٦/٢٢٤، وابن منظور، لسان العرب (ش م م) ١٢/٣٢٧.

(٣) ينظر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير ١/٢٠٨، وأبو حيان، البحر المحيط ٢/٢٦٩.

(٤) ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان ٣/١٠٩.

(٥) ينظر: الواحدي، التفسير البسيط ٤/٢٦.

(٦) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز ١/٢٧٠.

(٧) ينظر: الجوزي، زاد المسير ١/١٦٣.

(٨) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢/٤٠١.

(٩) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٢/١٣٦.

هي التي دعت قائله إلى القول به.

وفي هذه التوجيهات جميعها - كما ذكر أبو حيان - ردُّ على الملحدّين في طعنهم بأنّ المعلوم بالضرورة أنّ الثلاثة والسبعة عشرة، فهو إيضاح للواضحات، وبأنّ وصفَ العشرة بالكمال يوهم وجود عشرة ناقصة^(١).

فمن كلام أبي حيان السابق نستنبط أنّ في القول بخروج الأسلوب الخبري إلى معنى الأمر - وهو أحد الأوجه المقول بها في توجيه هذه الآية - فائدة الرد على أصحاب الشُّبه.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسِنٍ﴾

(البقرة: ٢٢٩)

مما قيل في سبب نزول هذه الآية أنّ العرب في الجاهليّة كانوا يطلقون نساءهم ويراجعونهم من غير حدٍّ ولا عدٍّ^(٢)، وفي هذا ضرر بالمرأة فنزلت هذه الآية لتبيّن أن حد الطلاق الرجعيّ مرّتان.

وقد ذهب معظم المفسرين إلى أنّ الأسلوب خبريٌّ، والجمله مكوّنة من مبتدأ وخبر، وأنّ التقدير: عدد الطلاق الذي تجوز معه المراجعة مرّتان^(٣)، غير أنّ بعض المفسرين ذهبوا إلى أنّ الأسلوب خبر معناه الأمر، وممن وقفوا عليهم يقول بذلك أبو بكر الرازيّ المعروف بالخصّاص، إذ قال: "وقوله تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ﴾ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ الْخَبَرُ فَإِنَّ مَعْنَاهُ الْأَمْرُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ

(١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ١٣٦/٢.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٤٦٣/٢، وينظر - من قبل - مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ص ٦٦، والزهرّي، الناسخ والمنسوخ ص ٢٠، فقد بيّن هناك أنّ العربيّ كان يُطلق زوجته ثلاثاً ويراجع بعدها.

(٣) ينظر - على سبيل المثال -: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ٣٠٧/١، والقيسي، مشكل إعراب القرآن ١٣/١، والهمداني، الكتاب الفريد ٥١٩/١، والسّمين الحلبي، الدرّ المصون ٤٤٤/٢.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ وَمَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى مِمَّا هُوَ فِي صِيغَةِ الْخَبَرِ وَمَعْنَاهُ الْأَمْرُ^(١).

فمن هذا النص يتبين أنّ الجصاص يصرح بخروج الخبر (الطلاق مرتان) إلى معنى الأمر، ثمّ نجده يُدلل على قوله هذا بما يأتي:

١- أنّ الأسلوب لو كان خبراً لصدّق على كلّ طلاق، أي: لوجد محبّره على ما أخبر به؛ لأنّ أخبار الله لا تنفك، فلما وُجد أنّ الناس يُطلقون الواحدة والثلاث معاً حُكِم أنّ الأسلوب ليس خبراً.

٢- لو كان الأسلوب خبراً لا ستوعب جميع ما تحته، فلما كان الناس يُطلقون لا على الوجه المذكور عُلم أنّه ليس خبراً.

ثمّ بيّن الجصاص أنّ الأمر الذي خرج إليه الأسلوب يُفيد أحد معنيين: إمّا بتفريق الطلاق متى أردنا الإيقاع، أو الحثّ على المندوب المسنون في الطلاق. وقد وافق الجصاص فيما ذهب إليه تاج القراء الكرمانيّ الذي بيّن أنّ حقيقة (مرتان) ظرف، ولكنّه أُنسج فيه فارتفع، والتقدير: (فطلقها مرتين)^(٢)، واختار ما ذهب إليه إسماعيل حقي الخلوئي معللاً هذا الاختيار بتعليل الجصاص نفسه، وهو الخلف في أخبار الله تعالى الذي يجب ألا يكون في أخباره خلف^(٣).

ما سبق هو أبرز ما قيل في نوع أسلوب قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾، والذي أراه جواز كلا القولين وموافقتهما للمعنى والمقام؛ إذ إنّ جملة (الطلاق مرتان) - كما أسلفنا - ذُكرت تشريعاً لعدد الطلاق المشروع فيه المراجعة، فمن ذهب إلى أنّ الأسلوب على طبيعته خبريٌّ غير خارج إلى معنى الأمر قدّر مبتدأً مضافاً يلتزم به السياق وكذا ليكون الخبر نفس المبتدأ فقدّر (عدد الطلاق) ثمّ قدّر نعتاً يفسّر المراد، وهو (المشروع فيه المراجعة)، ومن ذهب إلى أنّ الأسلوب خبرٌ معناه الأمر - وإن كان

(١) الجصاص، أحكام القرآن ٧٤/٢.

(٢) ينظر: تاج القراء الكرمانيّ، غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢١٥/١.

(٣) ينظر: إسماعيل حقي، روح البيان ٣٥٦/١.

تعليلهم يوحى بفصلهم الآية عن سياقها؛ لأنهم نصُّوا على أنّ الأسلوب الخبري لا بُد أن يوافق محبوراته - إلا أنّي أرى أنّ في تقديرهم التحامًا مع السياق، وإن لم يذكره، ولكن لمستنبط أن يستنبطه؛ ليكون التقدير: (إذا أردت المراجعة فطلقها مرتين)، أي: إذا زدت عليها فلا مراجعة حتى تنكح زوجًا غيرك، وبهذا التقدير المستنبط يمكن أن يكون الأسلوب بمعنى الأمر، ويكون ملتئمًا مع السياق غير منفصل عنه.

المطلب الثالث: الاعتماد على الروايات

ومما ورد معتمدًا في تحديد الأسلوب والحكم على خروجه من الخبر إلى معنى الأمر

قوله تعالى: ﴿يَنْزِكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ﴾ (مريم: ٧)

روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لم يُسم أحدٌ قبله يحيى" (١).
وقد أورد الواحدي هذه الرواية، وعلّق عليها قائلاً: "وعلى هذا فالفضيلة تثبت ليحيى من حيث إنّ الله تعالى تولّى تسميته باسم لم يسبق به، ولم يكِل تسميته إلى الأبوين" (٢).

وذكر تاج الفراء الكرماي أنّ الله عز وجلّ تولّى تسمية (يحيى) تبجيلًا وتكريمًا (٣).
وأسماء أبناء الأنبياء قيل فيها: إنّ واضعها هو الله تعالى بالوحي إلى ذلك النبي، وقد أشار إلى ذلك الصبان (٤) مستشهدًا بهذه الآية، وبقوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ (الصافات: ١١٢).

وقد تعددت أقوال المفسرين في معنى (يحيى) وهل عربيٌّ هو أو أعجميٌّ؟ وتفصيل ذلك لا يعني هذا البحث، بل يعنيه أنّ قوله تعالى: (اسمه يحيى) جملة خبرية مكونة من مبتدأ وخبر في محلّ جر نعت (لغلام)، غير أنّ هذه الجملة بناء على ما مهّدت به من

(١) أبو بكر بن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة ٦/٣٤٥، رقم الحديث (٣١٩٠١)

(٢) الواحدي، التفسير البسيط ١٤/١٨٢-١٨٣.

(٣) ينظر: الكرماي، غرائب التفسير وعجائب التأويل ١/٦٨٧.

(٤) ينظر: محمد بن علي الصبان، حاشية الصبان على الأشعري ١/٢٦٣.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

أنّ الله عز وجل هو الذي سماه تحتل أن تكون جملة خبرية خرجت إلى معنى الأمر، والتقدير: (سمّه يحيى)، وقد قال بذلك الطاهر ابن عاشور^(١)، وإن كان ثمة مانع صناعي من هذا التقدير، وهو وقوع جملة الطلب صفةً، ومن المعلوم أنّ جمهرة النحويين لا يرون ذلك، وجعلوا من شروط وقوع الجملة صفةً أن تكون خبرية^(٢)، ولكن يمكن أن تكون جملة الطلب هنا استثنائية تُفيد تفسير ما قبلها وتوضيحه، كأن أقول لك مثلاً: (أعطيتك ماءً اشربه)، وكأنّ فيه إجابة لسائل يقول: (ما أصنع به؟)، والآية - كذلك - يُمكن أن تُوجّه على هذا، فكأنّ زكريّا عليه السلام سأل: (ما ذا أسميه؟) فجاءت الإجابة بأمر الله عز وجل: (سمّه يحيى).

وبناءً على ما تقدم لا يرى الباحث مانعاً من القول بأنّ جملة (اسمه يحيى) يمكن أن تكون خبرية ومعناها الأمر؛ لورود بعض الروايات التي تفيد أنّ الله عز وجل تولى تسميته تشريعاً له، ولتوجيه الأسلوب بعد دلالة على الطلب توجيهاً يمكن قبوله صناعياً، مع عدم منعي كذلك أن يبقى الأسلوب خبراً على تقدير: إنّنا نبشرك بغلام سميّناه يحيى فسّمه يحيى.

(١) ينظر: ابن عاشور التحرير والتنوير ٦٩/١٦، وينظر: محمد حسين، وحسين ناجي، أسلوب

الأمر غير الصريح وطرائقه في القرآن الكريم، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم

الإنسانية / المجلد ٥٢ / العدد الثالث أيلول ٢٠١٨ م ص ١٨٢.

(٢) ينظر - على سبيل المثال -: الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب ١٤٩، وابن هشام،

أوضح المسالك ٢٧٨/٣.

المبحث الثالث: خروج الخبر إلى معنى الأمر للسياقين المقالي والمقامي معاً

سأتناول في هذا المبحث الآيات التي اجتمع فيها السياقان المقالي والمقامي، وكان لاجتماعهما أثرٌ في القول بخروج الأسلوب من الخبر إلى معنى الأمر، ومن ذلك الآيات الآتية:

أولاً: قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ (الأنفال: ٦٥) الذي عليه جمهور المفسرين أنّ قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾

أسلوب خبريٌ خرج إلى معنى الأمر، ومعناه: ليكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين^(١)، والذي يدلّ على ذلك وجوه، منها:

١- أنّه لو كان خبراً محضاً للزم أنّ يُقال: إنه لم يغلب قطّ مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين، وهذا باطل^(٢).

٢- أنّ الله عز وجلّ قال بعد ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَنَكُمُ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ (الأنفال: ٦٦)، وقد ذكر أصحاب النسخ أنّ هذه الآية نسخت الآية السابقة لها^(٣)، بل جعلها بعضهم مثلاً على المنسوخ الذي نُسخ حكمه وبقي رسمه في القرآن^(٤)، ومعلومٌ أنّ النسخ يكون في الأحكام التي تقتضي الأمر والنهي لا في الخبر.

(١) ينظر - على سبيل المثال -: الماتريدي، تأويلات أهل السنة ٢٥٥/٥، وابن عطية، المحرر الوجيز ٢٥/٢، والجوزي، زاد المسير ٢٢٣/٢، والبحر المحيط ٥١١/٤.

(٢) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب ٥٠٤/١٥.

(٣) ينظر: الزهري، الناسخ والمنسوخ ص ٢٦.

(٤) ينظر: الحارث المحاسبي، فهم القرآن ومعانيه ص ٢٥٦.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

٣- أنّ الله عزّ وجلّ قال بعد ذلك: (والله مع الصّابرين)، فعلم أن في ذلك ترغيباً في الثبات، وليس خيراً.

مما سبق يتبيّن أنّ الأسلوب خبر (أسلوب شرط وجزاء) خرج إلى معنى الأمر، ويدلّ على ذلك السياق المقالي الوارد في الآية التالية لآية المسألة، ويدلّ عليه كذلك السياق المقامي المبنيّ على العقل والمنطق والمشاهد، فغلبة المؤمنين عشرة أضعافهم لا تكون دائماً.

وخروج الخبر في الآية إلى معنى الأمر هو الذي يراه الباحث لما سبق إيراد من أدلة.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي

أَذْبَحُكَ﴾ (الصفّات: ١٠٢)

من الأساليب القرآنية التي ذكر اللغويون والمفسرون أنّها أسلوب أمر خارج عن أنواع الأمر الصريحة الآية السابقة، ومن ذلك ما ورد عن الرّاجب الأصفهاني حين عدّد أنواع الأمر بقوله: "والأمر: التقدّم بالشيء سواء كان ذلك بقولهم: افعل ليفعل، أو كان ذلك بلفظ خبر نحو: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، أو كان بإشارة أو غير ذلك، ألا ترى أنّه قد سمى ما رأى إبراهيم في المنام من ذبح ابنه أمراً حيث قال: (إني أرى في المنام أنّي أذبحك فأنظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمّر) (الصفّات: ١٠٢) فسمّى ما رآه في المنام من تعاطي الذبح أمراً^(١)

فمن النّص السابق يتبيّن أنّ أسلوب الأمر لم يكن صريحاً، ونجد أنّ ابن العربيّ كان أكثر وضوحاً في الإشارة إلى أنّ الأسلوب أسلوب خبر خرج إلى معنى الأمر؛ إذ قال: "وقول إبراهيم: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ وَإِنْ كَانَتْ صَبِيغَةُ صَبِيغَةِ الْخَبْرِ فَإِنَّ مَعْنَاهَا الْأَمْرُ ضَرُورَةً؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عِبَارَةً عَنْ خَبْرٍ وَقَعَ لَمَا كَانَ لَهُ تَأْوِيلٌ يُنْتَظَرُ، وَإِنَّمَا هُوَ بِصَبِيغَةِ الْخَبْرِ، وَمَعْنَاهُ الْأَمْرُ ضَرُورَةً. فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ لِأَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿أَفْعَلْ

(١) الرّاجب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ٨٨ (أمر).

مَا تُؤْمَرُ ﴿١﴾، فَعَبَّرَ عَنِ نَفْسِهِ بِالْإِنْقِيَادِ إِلَى مَعْنَى خَبَرِ أَبِيهِ، وَهُوَ الْأَمْرُ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ صَدَّقَتِ الرُّعْيَا﴾^(١)

فهذا النص - كما أشرت - أكثر إيضاحاً أنّ الأسلوب أسلوب خبر ومعناه الأمر، ونجد أنّ ما دلّ على كونه أمراً السياق المقالي، وذلك من قول إسماعيل عليه السلام الذي حكاه الله عز وجل عنه: (افعل ما تؤمر)^(٢)، ومن هذا التوجيه يتضح أنّ من قرائن الدلالة على أسلوب الأمر الآتي على صيغة الخبر السياق المقالي، والسياق هنا متمثلٌ في لفظ الأمر الذي دلّ عليه قول إسماعيل عليه السلام (افعل ما تؤمر)، ولنا هنا أن نوظف أمراً آخر، وهو خصوصية المخاطبين، فمن المعلوم أنّ رؤيا الأنبياء حقٌّ، وأتّم مأمورون بما يرون في منامهم، ولذا حين خاطب إسماعيلُ أباه عليهما السلام قال له: (افعل ما تؤمر)، ولم يقل له: (افعل ما ترى) على الرّغم من أنّ أباه قال له: (إني أرى)، ولم يقل: (إني أؤمر).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّا اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ٦٤)

انقسم مفسرو القرآن الكريم ومعربوه في نوع الأسلوب (يحذر المنافقون) قسمين: الأول: يرى أنّ الأسلوب أسلوب خبريٌّ، ونُسب هذا القول إلى الحسن وقتادة^(٣)، وفي هذا إخبارٌ من الله عز وجل أنّ المنافقين كانوا يحذرون أنّ يُنزل فيهم قرآنٌ يفضحهم، ولذلك روي عن بعضهم أنه كان يقول: "والله لا أرانا إلا شر خلق الله، لوددت أني

(١) ابن العربي، أحكام القرآن ٤/٣٢.

(٢) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٩/١١٦.

(٣) ينظر: الماوردي، النكت والعيون ٢/٣٧٨.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

قدمت فجلدت مائة جلدة، وألا ينزل فينا شيء يفضحنا" (١)، واختار هذا القول عددًا من المفسرين (٢).

الثاني: أنّ الأسلوب أسلوب خبر خرج إلى معنى الأمر، وهذا رأي أبي إسحاق الزجاج؛ إذ قال: " لفظ يَحْدُرُ لفظ الخبر، ومعناه الأمر، لأنه لا لَبَسَ في الكلام في أنه أمر، فهو كقولك ليَحْدُرُ المنافقون، وعلى هذا يجوز في كل ما يؤمّر به أن تقول يَفْعَلُ ذَلِكَ، فَيُنُوبُ عن قولك ليفعل ذلك" (٣).

فمن نص الزجاج السابق يتضح أنّه يرى أنّ الخبر في هذا الأسلوب معناه الأمر، وقد نقل عنه ذلك عدد من مفسري القرآن ومعريبه، ومنهم من وافقه ومنهم من خالفه؛ فممن وافقه السمرقندي (٤)، والرازي (٥)، والنسفي (٦)، والمنتجب الهمداني الذي علّل ذلك قائلاً: "ودلّ على ذلك ما في الكلام من معنى التهديد" (٧)، وقد بين أبو حيان أنّ ما دعا الزجاج إلى هذا القول هو تحرّزه من أن يكون كفر المنافقين عناداً (٨).

ومن خالف الزجاج في قوله هذا الواحد الذي قال معلقاً على قول الزجاج: "وهذا بعيد، وآخر الآية دليل على أنّ المراد بقوله تعالى: (يَحْدُرُ المنافقون) الخبر، وهو قوله تعالى: (إنّ الله مخرّج ما تحذرون)" (٩)، وخالف الزجاج كذلك أبو حيان، ناعتاً قوله بالبعد (١٠).

(١) الزمخشري، الكشاف ٢/٢٨٦.

(٢) كالواحد في البسيط ١٠/٤٩٠، وأبي حيان في البحر المحيط ٥/٤٥٣.

(٣) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ٢/٤٥٩.

(٤) ينظر: الماوردي، النكت والعيون ٢/٣٧٨.

(٥) ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ١٦/٩٣.

(٦) ينظر: أبو البركات النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ١/٦٩٠.

(٧) المنتجب الهمداني الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ٣/٢٩٠.

(٨) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٥/٤٥٣.

(٩) الواحد في البسيط ١٠/٤٩٠.

(١٠) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ٥/٤٥٣.

ومن خلال ما سبق يتبين أنّ موافقي الزّجاج اعتمدوا على معنى التهديد الذي يُستشفّ من الآية الكريمة، وأنّ مخالفيه اعتمدوا على مقام داخلي، وهو السياق الذي دلّ عليه آخر الآية، والباحث يميل إلى أنّ الأسلوب هنا أسلوبٌ خبريٌّ لم يخرج إلى معنى الأمر خلافًا للزّجاج ومن وافقه، وذلك لما يأتي:

أولاً: دلالة آخر الآية عليه كما بيّن ذلك الواحدي وغيره.

ثانياً: معنى التهديد الذي اعتمد عليه بعض موافقي الزّجاج لا أراه واضحاً في الآية الكريمة.

ثالثاً: الرواية التي نقلت عن بعضهم من أنّه يودّ أن يجلد مائة جلدة ولا يُنزل فيهم قرآن يفضحهم، فهم حذرون حقاً وليسوا مأمورين بالحذر.

الخاتمة

- في ختام هذه الدراسة التي أرجو أن أكون قد وفقت في شيء مما كانت تصبو إليه أذكر بإيجاز أبرز ما أفضت إليه من نتائج، وهي:
- ١- أفاد خروج الأسلوب من الخبر إلى معنى الأمر تأكيداً على الأمر لن يُفیده لو جاء بإحدى طرقه الصريحة.
 - ٢- كان للقول بخروج الأسلوب من الخبر إلى معنى الأمر أثرٌ في درء بعض الشبهات التي أوردها بعض المشككين.
 - ٣- لم يُقل بخروج الأسلوب من الخبر إلى معنى الأمر إلا استناداً إلى أحد السياقين: المقاليّ أو المقامي أو إليهما مجتمعين.
 - ٤- كان للإعراب أثرٌ في تحديد الأسلوب والقول بخروجه إلى معنى الأمر، وفي هذا ردُّ على من يزعم أن ليس للإعراب أثرٌ في معنى التركيب، وهنا نرى أن أثره تجاوز التراكيب إلى الأساليب.
 - ٥- أثبتت الدراسة أن لدى مفسري القرآن الكريم ومعريه عنايةً بتوظيف النحو في تصنيف الأساليب.
 - ٦- أثبتت الدراسة أن النحو وأدواته ليست محصورةً في الناحية المعيارية المعنوية بتصحيح ضبط أواخر الكلم، بل هي متجاوزةٌ ذلك إلى الأساليب، بله التراكيب.

المصادر والمراجع

- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، تحقيق ماهر حبوش وآخرين، دمشق: دار الرسالة العالمية، ط ٣، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- الأزهري، خالد زين الدين بن عبد الله، **التصريح بمضمون التوضيح**، تحقيق أ.د. عبد الفتاح بحيري إبراهيم، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- الإسنوي، جمال الدين، **الكوكب الدرّي فيما يتخرّج على الأصول النحويّة من الفروع الفقهيّة**، تحقيق د. محمد حسن عواد، عمّان: دار عمار للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- الأصفهاني، أبو القاسم محمد بن الحسين الراغب، **المفردات في غريب القرآن**، مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- أنيس، إبراهيم، **من أسرار اللغة**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٦٦ م.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: محمد بن عبد الله النمر وآخرين، القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- البيتوشي، عبد الله بن محمد، **الحفاية بتوضيح الكفاية**، تحقيق د. طه صالح أمين آغا، بيروت: دار الكتب العلمية.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث، ط ١، ١٤١٨ هـ.
- ابن تيمية، تقّي الدين أبو العباس، **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح**، تحقيق: عليّ بن حسن وآخرين، الرياض، دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- الثعلبي، أبو إسحاق، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق خالد بن عون العنزي وآخرين، جدة: دار التفسير، ط ١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

الجاسم، محمود حسن، أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة التركيبية لدى مفسري القرآن الكريم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد (١٢)، ربيع الآخر ١٤٣٥هـ، فبراير ٢٠١٤م.

الرجائي، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، جدة: دار المدني.

الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن، تحقيق محمد صادق القمحاوي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥هـ.

• ابن جني، أبو الفتح عثمان:

١- الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢- سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دمشق، دار القلم، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٣- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤- المنصف (شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري)، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٥- اللمع في العربية، تحقيق: حامد المؤمن، بيروت: عالم الكتب - مكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الجوزي، محمد بن عبد المنعم، شرح شذور الذهب، تحقيق د. نواف بن جزاء الحارثي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.

● حسان، تمام:

- ١- البيان في روائع القرآن، القاهرة: عالم الكتب، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
 - ٢- اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٩٤م.
- حسن، عرفة عبد المقصود، السياق في فكر سيبويه وعلاقته بالمكوّن التركيبيّ، شبكة الألوكة.

حسين، محمد، وناجي حسين، أسلوب الأمر غير الصريح وطرائقه في القرآن الكريم، مجلة كلية التربية والعلوم الإنسانية بجامعة البصرة، المجلد (٢٥)، العدد (٣)

● الحلبي، أحمد بن يوسف (السمين):

- ١- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق د. أحمد الخراط، دمشق: دار القلم، ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
 - ٢- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- لحمادي، فطومة، السياق والنص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصيّ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العددان (٢)، و(٣)، جوان ٢٠٠٨م.

● أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف:

- ١- البحر المحيط، تحقيق الشيخ عاد عبد المجيد وآخرين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
 - ٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. رجب عثمان محمد، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ابن الخشاب، أبو محمد عبد الله بن أحمد، المترجل في شرح الجمل، تحقيق علي حيدر، دمشق: دار القلم، ط ١، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- الخلوتي، إسماعيل حقي، روح البيان، بيروت: دار الفكر.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط ٢، (د.ت)

الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق د. عبد الفتاح شليبي، بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

الزجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق د. مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، ط ٥، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مكتبة دار التراث.

• الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود:

١ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ٤، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٢ - المفصل في صناعة الإعراب، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

الزهري، محمد بن مسلم، الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. حاتم ضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

ابن السراج، أبو بكر، الأصول في النحو، تحقيق د. عبد الحسين فتلي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، بحر العلوم، تحقيق د. محمود مطرحي، بيروت: دار الفكر.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، الرياض: دار الوطن، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

سيبويه، عمرو عثمان بن قنبر، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، القاهرة: شركة القدس للنشر والتوزيع.

السيوطي، جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق أحمد شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، توزيع مكة المكرمة: دار الباز، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، المصنف في الحديث والآثار، تحقيق كمال يوسف الحوت، الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ.

الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيبي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: المكتبة القومية.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات - دار التأصيل، القاهرة: دار التأصيل، ط٢، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ.

الظاهري، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة: دار الكتب. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

ابن العربي، محمد بن عبد الله، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ.

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

• العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين:

١- التبيان في إعراب القرآن، تحقيق سعد كريم الفقي، المنصورة: دار اليقين، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢- اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق غازي مختار طليمات، بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر، ط١، ١٩٩٥ (إعادة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)

العمري، خلود بنت عبد الله، أثر السياق اللغوي في تعدد الأوجه الإعرابية للأسماء دراسة نحوية لغوية لبعض من آي سورة البقرة، مجلة الشمال للعلوم الإنسانية، جامعة الحدود الشمالية، المجلد (٢)، العدد (٢)، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

العيني، بدر الدين محمد بن أحمد، المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بشرح الشواهد الكبرى، تحقيق أ.د. علي محمد فاخر وزميليه، القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

الغامدي، محمد بن ربيع، العلاقة بين الإعراب والمعنى في الدرس النحوي، بحث منشور في مجلة الطائف المجلد الثاني، العدد التاسع، جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. الفارسي، أبو علي الحسن بن أحمد، الإغفال وهو المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق د. عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢٥م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة، ديوان الفرزدق، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- الفيروز آبادي، أبو طاهر مجد الدين، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- القدوري، أحمد بن محمد، التجريد، تحقيق د. محمد أحمد سراج، ود. علي جمعة، القاهرة: دار السلام، ط ٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- القيسي، مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٤، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الكرماني، تاج القراء محمود بن حمزة، غرائب التفسير وعجائب التأويل، تحقيق د. شمران سركال العجلي، جدة: دار القبلة للثقافة وبيروت: مؤسسة علوم القرآن، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق د. مجدي باسلوم، بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، تفسير الماوردي (النكت والعيون)، تحقيق السيد بن عبد المقصود، بيروت: دار الكتب العلمية.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، بيروت: عالم الكتب.
- المجاشعي أبو الحسن علي بن فصال، شرح عيون الإعراب، تحقيق د. عبد الفتاح سليم، القاهرة: دار المعارف، ط ١.
- مجيد، محمود شاكر، ورود الخبر بمعنى الأمر والنهي عند الأصوليين، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد (١٥)، عدد (٩)، أيلول ٢٠٠٨م

خروج الخبر إلى معنى الأمر في الأسلوب القرآني - أسبابه وأغراضه، د. حسن بن إبراهيم بن محمد قابور

المحاسبي، الحارث بن أسد، فهم القرآن ومعانيه، تحقيق حسين القوتلي، بيروت: دار الفكر، ط ١، ١٣٩٨ هـ.

محامدية سمية، دور السياق في تحديد الدلالة الوظيفية، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ١٤٣٤ هـ، ٢٠١٣ م.

• المرادي، أبو محمد بدر الدين:

١- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق أ.د. عبد الرحمن سليمان، بيروت: دار الفكر العربي، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢- الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط ٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط ١. النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، بيروت: عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

النسفي، أبو البركات، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف علي بديوي، بيروت: دار الكلم الطيب، ط ١، ١٤٩٩ هـ - ١٩٩٨ م.

هاشم، عبد الهادي ثابت، الخبر الوارد بمعنى الأمر، دراسة أصولية تطبيقية، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، مجلد (٥)، عدد (٢)، رجب ١٤٣٣ هـ، مايو ٢٠١٢ م.

• ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن أحمد:

١- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٢ هـ - ١٩٩٩ م.

٢- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، اعتنى بها محمد أبو الفضل عاشور، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

الهمداني، المنتجب بن أبي العز، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق محمد نظام الدين الفتيح، المدينة المنورة: مكتبة دار الزمان، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

• الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد:

١- التفسير البسيط، تحقيق د. محمد بن صالح الفوزان وآخرين، الرياض: شركة

البيكان للتعليم، ط٢، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

٢- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق صفوان عدنان داودي، دمشق: دار

القلم، ط١، ١٤٠٥هـ.

ابن يعيش، أبو البقاء موفق الدين، شرح المفصل، بيروت: عالم الكتب.

Bibliography

- Al-Aaluusi, Abu Al-Fadl Shihaabudeen, "Ruuh Al-Ma'aani fi Tafseer Al-Qur'aan Al-'Adheem". Investigation: Maahir Habuus et al., (3rd ed., Damascus: Daar Al-Risaalah Al-'Aalamiyyah, 1436 AH – 2015).
- Al-Azhari, Khaalid Zainudeen bin 'Abdillaah, "Al-Tasreeh bi Madmuun Al-Tawdeeh". Investigation: Prof. 'Abdul Fataah Buhayri Ibrahim. (1ed., Cairo: Al-Zahraa for Arabic Publicity, 1418 AH – 1997).
- Al-Isnawi, Jamaaludeen, "Al-Kawkab Al-Duriy feemaa Yatakarraj 'alaa Al-Usuul Al-Nahwiyyah min Al-Furuu' Al-Fiqhiyyah". Investigation: Dr. Muhammad Hassan 'Awaad, (1st ed., Amman: Daar 'Amaar for Publication and Distribution, 1426 AH – 2005).
- Al-Asfahani, Abu Al-Qaasim Muhammad bin Al-Husain Al-Raagib, "Al-Mufradaat fi Gareeb Al-Qur'aan". (Makkah: Maktabah Nizaar Mustafa Al-Baaz).
- Anees, Ibrahim, "Min Asraar Al-Lugha". (3rd ed., Cairo: Maktabah Al-Anjluu Al-Misriyyah, 1966).
- Al-Bagawi, Abu Muhammad Al-Husain bin Mas'uud, "Ma'aalim Al-Tanzeel fi Tafseer Al-Qur'aan". Investigation: Muhammad bin 'Abdillaah Al-Namir et al., (4th ed., Cairo: Daar Taibah for Publication and Distribution, 1417 AH – 1997).
- Al-Baytuushi, 'Abdullaah bin Muhammad, "Al-Hafaayah bi Tawdeeh Al-Kifaayah". Investigation: Dr. Taha Saalih Ameen Aagha. (Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah).
- Al-Baydaawi, Naasirudeen Abu Sa'eed, "Anwaar Al-Tanzeer wa Asraar Al-Tahweel". Investigation: Muhammad Al-Mir'ashli. (1st ed., Beirut: Daar Ihyaa Al-Turaath, 1418 AH).
- Ibn Taimiyyah, Taqiudeen Abu Al-'Abbas, "Al-Jawaab Al-Saheeh liman Baddala Deen Al-Maseeh". Investigation: 'Ali bin Hassan et al., (2nd ed., Riyadh: Daar Al-'Aasimah, 1419 AH – 1999).
- Al-Jaasim, Mahmuud Hassan, 'Athar Al-Siyaaq Al-Khaariji fi Tawjeeh Al-Dalaalah Al-Tarkeebiyyah Ladaa Mufassiri Al-Qur'aan Al-Kareem, Umm Al-Qura University Journal for Sciences of Languages and Literature, Issue (12), Rabi-ul-Awwal 1435 AH, February 2014.
- Al-Jurjaani, Abu Bakr 'Abdul Qaahir bin 'Abdul Rahmaan, "Asraar Al-Balaaga". Investigation: Mahmuud Shaakir. (Jeddah: Daar Al-Madani).
- Al-Jassaas, Ahmad bin 'Ali, "Ahkaam Al-Qur'aan". Investigation: Muhammad Saadiq Al-Qamhaawi. (1st ed., Beirut: Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arabi, 1415 AH).
- **Ibn Jinni, Abu Al-Fath 'Uthman:**

1. "Al-Khasaais". Investigation: 'Abdul Hameed Hindaawi. (1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1421 AH – 2001).
 2. "Sirr Sinaa'a Al-I'raab". Investigation: Hassan Hindaawi. (2nd ed., Damascus: Daar Al-Qalam, 1413 AH – 1993).
 3. "Al-Muhtasib fi Tabyeen Wujuuh Shawaadh Al-Qiraa'at wa Al-Eedooh 'Anha". Investigation: Muhammad 'Abdul Qadir 'Ataa. (1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1419 AH – 1998).
 4. "Al-Munsif (Sharh Al-Imam Abi Al-Fath 'Uthman bin Jinni Al-Nahwi li Kitaab Al-Tasreef li Al-Imam Al-Maazini Al-Nahwi Al-Basri)". Investigation: Ibrahim Mustafa and 'Abdullaah Ameen. (1st ed., Cairo: Sharikah Maktabah Mustafa Al-Baabi Al-Halabi, 1373 AH – 1954).
 5. "Al-Luma' fi Al-'Arabiyyah". Investigation: Haamid Al-Muhmin. (2nd ed., Beirut: 'Aalam Al-Kutub – Maktabah Al-Nahdah Al-'Arabiyyah, 1405 AH – 1985).
- Al-Jujariy, Muhammad bin 'Abdil Mun'im, "Sharh Shuduur Al-Dahab". Investigation: Dr. Nuwaaf bin Jazaa Al-Haarithi. (2nd ed., Madinah; Islamic University, 1429 AH – 2008).
- Al-Jawzi, Jamaaludeen Abu Al-Faraj 'Abdul Rahmaan, "Zaad Al-Maseer fi 'Ilm Al-Tafseer". Investigation: 'Abdul Razaq Al-Mahdi. (1st ed., Beirut: Daar Al-Kitaab Al-'Arabi, 1422 AH).
- **Hassaan, Tamaam:**
 1. "Al-Bayaan fi Rawaai' Al-Qur'aan". (2nd ed., Cairo: 'Aalam Al-Kutub, 1420 AH – 2000).
 2. "Al-Lugha Al-'Arabiyyah Ma'naaha wa Mabnaaha". (Casablanca: Daar Al-Thaqaafah, 1994).
- Hassan, 'Arabiyyah 'Abdul Maqsoud, "Al-Bayaan fi Fikr Seebawayh wa 'Alaaqatihi bi Al-Mukawwan Al-Tarekeebi". (Aloukah Network).
- Husain, Muhammad wa Naaji Husain, "Usluub Al-Amr Ghar Al-Sareeh wa Taraaifihi fi Al-Qur'an Al-Kareem". Journal of Faculty of Education and Humanities at Basra University, vol (25), issue (3).
- **Al-Halabi, Ahmad bin Yusuf (Al-Sameen):**
 1. "Al-Durr Al-Masoun fi 'Uluum Al-Kitaab Al-Maknoun". Investigation: Dr. Ahmad Al-Kharaat. (2nd ed., Damascus: Daar Al-Qalam, 1424 AH – 2003).
 2. "Umdah Al-Huffaaz fi Tafseer Ashraf Al-Alfaaz". Investigation: Muhammad Baasil 'Uyuun Al-Suud. (1st ed., Beirut: Daar Al-Kutuub Al-'Ilmiyyah, 1417 AH – 1996).
- Al-Hamaadi, Futuumah, "Al-Siyaaq wa Al-Nass Istiqsaa Dawr Al-Siyaaq fi Tahqeeq Al-Tmaasuq Al-Nasiyy". Journal of Faculty of

Arts and Humanities and Social Sciences, Muhammad Khayder University. Biskra, Algeria, issues (2) and (3), June 2008.

• **Abu Hayyaan Al-Andaaluusi, Muhammad bin Yusuf:**

1. "Al-Bahr Al-Muheet". Investigation: Shaykh 'Aad 'Abdul Majeed et al., (1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1422 AH – 2001).
2. "Irtishaaf Al-Darb min Lisaan Al-'Arab". Investigation: Dr. Rajab 'Uthmaan Muhammad. (1st ed., Cairo: Maktabah Al-Khaanji, 1418 AH – 1998).

Ibn Al-Khashaab, Abu Muhammad 'Abdullaah bin Ahmad, "Al-Murtajal fi Sharh Al-Jamal". Investigation: 'Ali Haydar. (1st ed., Damascus: Daar Al-Qalam, 1392 AH – 1982).

Al-Khalwati, Isma'il Haqqi, "Ruuh Al-Bayaan". (Beirut: Daar Al-Fikr).

Al-Dhubyaan, "Deewaan Al-Naabigah Al-Dhubyaani". Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim. (2nd ed., Cairo: Daar Al-Ma'aarif, N.D).

Al-Zajjaaj, Abu Ishaq Ibrahim bin Al-Sarri, "Ma'aani Al-Qur'aan wa I'raabihi". Investigation: Dr. 'Abdul Fattaah Shalabi. (1st ed., Beirut: 'Aalam Al-Kutub, 1408 AH – 1988).

Al-Zajaaj, Abu Al-Qaasim, "Al-Eedooh fi 'Ilal Al-Nahw". Investigation: Dr. Maazin Al-Mubaarak. (5th ed., Beirut: Daar Al-Nafaais, 1406 AH – 1986).

Al-Zarkashi, Badrudeen Muhammad bin 'Abdillaah, "Al-Burhaan fi 'Uluum Al-Qur'aan". Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim. (Cairo: Maktabah Daar Al-Turaath).

• **Al-Zamakshari, Abu Al-Qaasim Jaarullaah Mahmud:**

1. "Al-Kashaaf 'an Haqaaq Gawaamid Al-Tanzeel wa 'Uyuun Al-Aqaaweel fi Wujuuh Al-Tahweel". Investigation: Muhammad 'Abdul Salaam Shaaheen. (4th ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1427 AH – 2006).
2. "Al-Mufasssal fi Sinaa'at Al-I'raab". Investigation: Dr. Emil Badi' Ya'qub. (1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1420 AH – 1999).

Al-Zuhri, Muhammad bin Muslim, "Al-Nasikh wa Al-Mansuukh". Investigation: Dr. Haatim Daamin. (2nd ed., Beirut: Muassasah Al-Risaalah, 1418 AH – 1998).

Ibn Al-Sarraaj, Abu Bakr, "Al-Usuul fi Al-Nahw". Investigation: Dr. 'Abdul Husain Fatli. (3rd ed., Beirut: Al-Risaalah Foundation, 1417 AH – 1996).

Al-Samarqandi, Abu Al-Layth Nasr bin Muhammad, "Bahr Al-'Uluum". Investigation: Dr. Mahmud Mitrahi. (Beirut: Daar Al-Fikr).

- Al-Sam'aani, Abu Al-Muzaffar Mansour bin Muhammad, "Tafseer Al-Qur'aan". Investigation: Yaasin bin Ibrahim and Ganeem bin 'Abaas. (1st ed., Riyadh: Daar Al-Watan, 1418 AH – 1997).
- Seebawayh, 'Amr 'Uthman bin Qunbur, "Kitaab Seebawayh". Investigation: 'Abdul Salam Haaroun. (3rd ed., Cairo: Maktabah Al-Khaanji, 1408 AH – 1988).
- Al-Seeraafi, Abu Sa'eed Al-Hassan bin 'Abdillaah, "Sharh Kitaab Seebawayh". Investigation: Dr. Abdul Mu'ti Qal'aji. (Cairo: Al-Quds Company for Publication and Distribution).
- Al-Suyuuti, Jalaaludeen, "Mu'tarak Al-Aqraan fee I'jaaz Al-Qur'aan". Investigation: Ahmad Shamsudeen. (1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, distributed by Makkah: Daar Al-Baaz, 1408 AH – 1988).
- Ibn Abi Shaybah, Abu Bakr Abdullaah bin Muhammad, "Al-Musannaf fi Al-Hadigh wa Al-Aathaar". Investigation: Kamaal Yusuf Al-Hout. (1st ed., Riyadh: Maktabah Al-Rushd, 1409 AH).
- Al-Sabaan, Muhammad bin 'Ali, "Haashiyah Al-Sabaan 'ala Sharh Al-Ashmouni li Alfiyyah Ibn Maalik, with Sharh Shawaahid Al-'Aini". Investigation: Taaha 'Abdul Rauf Sa'd. (Cairo: Al-Maktabah Al-Qawmiyyah).
- Al-San'aani, Abu Bakr 'Abdul Razaq bin Humaam, "Al-Musannaf". Investigation: Center for Research and Information Technology – Daar Al-Tahseer. (2nd ed., Cairo: Daar Al-Tahseel, 1437 AH – 2016).
- Al-Tabari, Muhammad bin Jareer, "Jaami' Al-Bayaan". (Beirut: Daar Al-Fikr, 1405 AH).
- Al-Zaahiri, Abu Al-Mahaasin, "Al-Nujuum Al-Zaahirah fi Muluuk Misr wa Al-Caahirah". (Cairo: Daar Al-Kitaab).
- Ibn 'Aashour, Muhammad Al-Taahir bin Muhammad, "Al-Tahreer wa Al-Tanweer". (Tunisia: Daar Suhnuun for Publication and Distribution, 1997).
- Ibn Al-'Arabi, Muhammad bin 'Abdillaah, "Ahkaam Al-Qur'aan". Investigation: Muhammad 'Abdul Qadir 'Ataa. (3rd ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1424 AH – 2003).
- Ibn 'Atiyyah, Abu Muhammad 'Abdul Haq bin Gaalib, "Al-Muharrar Al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitaab Al-'Azeez". Investigation: 'Abdul Salam 'Abdul Shaafi Muhammad. (1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1422 AH).
- **Al-'Ukbari, Abu Al-Baqaa 'Abdullaah bin Al-Husain:**
 1. "Al-Tibyaan fi I'raab Al-Qur'aan". Investigation: Sa'd Kareem Al-Faqqi. (1st ed., Al-Mansoura: Daar Al-Yaqeen, 1422 AH – 2001)

2. "Al-Lubaab fi 'Ilal Al-Binaa wa Al-I'raab". Investigation: Gaazi Mukhtaar Tulaymaat. (1st ed., Beirut: Daar Al-Fikr Al-Mu'aasir, and Damascus: Daar Al-Fikr, 1995, reprinted in 1422 AH – 2001).
- Al-'Umar, Khaluud bint 'Abdillaah, "Athar Al-Siyaaq Al-Lugawi fee Ta'addud Al-Awjuh Al-I'raabiyyah lil Asmaa Diraasah Nahwiyyah Lugawiyyah liba'd min Aay Suurah Al-Baqarah". Journal of the North for Humanities, University of Northern Borders, vol (2), issue (2), 1438 AH – 2017.
- Al-'Aini, Badrudeen Muhammad bin Ahmad, "Al-Maqaasid Al-Nahwiyyah fi Sharh Shawaahid Shuruuh Al-Alfiyyah popular as Sharh Al-Shawaahid Al-Kubra". Investigation: Prof. 'Ali Muhamamd Faakhir et al., (1st ed., Cairo: Daar Al-Salaam for Printing and Publication, 1431 AH – 2010).
- Al-Gaamidi, Muhammad bin Rabee', "Al-'Alaaqa Bayna Al-I'raab wa Al-Ma'naa fi Al-Dars Al-Nahwi". A paper published in Taif Journal, Volume 2, issue 7, Jumaada Al-Aakhira, 1434 AH – 2013.
- Ibn Faaris, Abu Al-Husain Ahmad, "Al-Saahibi fi Fiqh Al-Lugha Al-'Arabiyyah wa Masaailiha wa Sunan Al-'Arab fi Kalaamiha". Investigation: Al-Seyyid Ahmad Saqar. (Cairo: Isa Al-Baabi Al-Halabi Print co).
- Al-Faarisi, Abu 'Ali Al-Hassan bin Ahmad, "Al-Igfaal wa Huwa Al-Masaail Al-Muslaha fi Kiaab Al-Ma'aani Al-Qur'aan wa I'raabihi li Al-Zajaaj". Investigation: Dr. 'Abdullaah bin 'Umar Al-Haaj Ibrahim. (1st ed., Abu Dhabi: The Cultural Council, 1424 AH – 2003).
- Al-Faraa, Abu Zakariyyah Yahya bin Ziyaad, "Ma'aani Al-Qur'aan". Investigation: Muhammad 'Ali Al-Najaar. (2nd ed., Cairo: Daar Al-Kutub wa Al-Wathaiq Al-Qawmiyyah, 1422 AH – 2002).
- Al-Faraheedi, Al-Khaleel bin Ahmad:
Al-'Ayn". Investigation: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, and Dr. Ibrahim Al-Saamraai. (Beirut: Muassasah Al-A'lami for Publications, 1408 AH – 1988).
- Al-Farazdaq, Humaam bin Gaalib bin Sa'sa'a, "Dewaan Al-Farazdaq". (Beirut: Daar Beirut for Printing and Publication, 1404 AH – 1984).
- Al-Fayrouzabaadi, Abu Taahir Majdudeen, "Basaair Dawi Al-Tamyeez fi Lataaif Al-Kitaab Al-'Azeez". Investigation: Muhammad 'Ali Al-Najaar. (Cairo: The Supreme Council for Islamic Affairs).
- Al-Quduuri, Ahmad bin Muhammad, "Al-Tajreed". Investigation: Dr. Muhammad Ahmad Siraaj, And Dr. 'Ali Jum'ah. (2nd ed., Cairo: Daar Al-Salaam, 1427 AH – 2006).
- Al-Qurtubi, Abu 'Abdillaah Muhammad bin Ahmad, "Al-Jaami' li Ahkaam Al-Qur'aan". Investigation: Ahmad Al-Barduuni and

- Ibrahim Utaifis. (2nd ed., Cairo: Daar Ak-Kutub Al-Misriyyah, 1384 AH – 1964).
- Al-Qaysi, Makki bin Abi Taalib, “Mushkil I’raab Al-Qur’aan”. Investigation: Dr. Haatim Saalim Al-Daamin. (4th ed., Beirut: Muassasah Al-Risaalah, 1408 AH – 1988).
- Al-Karmaani, Taaj Al-Quraa Mahmuud bin Hamzah, “Garaaib Al-Tafseer wa ‘Ajaab Al-Tahweel”. Investigation: Dr. Shamraan Sarkaan Al-‘Ujaili. (1st ed., Jeddah: Daar Al-Qablah for Culture, Beirut: Mu’assah ‘Uluum Al-Qur’aan, 1408 AH – 1988).
- Al-Maaturidi, Abu Mansour Muhammad bin Muhammad, ‘Tafseer Al-Maaturidi (Tahweelaat Ahl Al-Sunnah)’. Investigation: Dr. Majdi Baasluum. (1st ed., Beirut: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah, 1426 AH – 2005).
- Al-Maawardi, Abu Al-Hassan ‘Ali bin Muhammad, “Tafseer Al-Maawardi (Al-Nukat wa Al-‘Uyuun)”. Investigation: Al-Seyyid bin ‘Abdul Maqsood. (Beirut: Daar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah).
- Al-Mubarrid, Abu Al-‘Abbas Muhammad bin Yazeed, “Al-Muqtadab”. Investigation: Muhammad ‘Abul Khaaliq ‘Adeemah. (Beirut: ‘Aalim Al-Kutub).
- Al-Majaashi’I, Abu Al-Hassan ‘Ali bin Fasaal, “Sharh ‘Uyuun Al-I’raab”. Investigation: Dr. ‘Abdul Fataah Saleem. (1st ed., Cairo: Daar Al-Ma’aarif).
- Majeed, Mahmuud Shaakir, “Wuruud Al-Khabar bi Ma’naa Al-Amr wa Al-Nahy ‘Inda Al-Usuuliyeen”. University of Tikrit Journal for Humanities, vol. (15), issue (9), April 2008.
- Al-Muhaasibi, Al-Haarith bin Asad, “Fahm Al-Qur’aan wa Ma’aaneehi”. Investigation: Husain Al-Quutili. (1st ed., Beirut: Daar Al-Fikr, 1398 AH).
- Mahaamadiyyah Samiyyah, “Dawr Al-Siyaaq fee Tahdeed Al-Dalaalah Al-Wadheefiyyah”. (Master’s thesis, Muhammad Khaydir University in Biskrah, Algeria, 1434 AH, 2013).
- **Al-Muraadi, Abu Muhammad Badrudeen:**
 1. “Tawdeeh Al-Maqaasid wa Al-Masaalik bi Sharh Alfiiyyah Ibn Maalik”. Investigation: Prof. ‘Abdul Rahmaan Sulaymaan. (1st ed., Beirut: Daar Al-Fikr Al-‘Arabi, 1422 AH – 2001).
 2. “Al-Jinni Al-Daani fi Huruuf Al-Ma’aani”. Investigation: Fakhrudeen Qubaawah, and Muhammad Nadeem Faadil. (2nd ed., Beirut: Daar Al-Afaaq Al-Jadeedah, 1403 AH – 1983).
- Ibn Mandhuur, Abu Al-Fadl Muhammad bin Makram, “Lisaan bin Makram”. (1st ed., Beirut: Daar Saadir).
- Al-Nahaas, Abu Ja’far Ahmad bin Muhammad, “I’raaf Al-Qur’aan”. Investigation: Dr. Zuhayr Gaazi Zaahid. (1st ed., Beirut: ‘Aalim Al-Kutub wa Maktabah Al-Nahda Al’Arabiyyah, 1417 AH – 1996).

Al-Nasafi, Abu Al-Barakaat, “Madaarik Al-Tanzeel wa Haqaiq Al-Tahweel”. Investigation: Yusuf ‘Ali Badeewi. (1st ed., Beirut: Daar AL-Kalim Al-Tayyib, 1439 AH – 1998).

Haashim, ‘Abdul Haadi Thaabit, “Al-Khayr Al-Waarid bi Ma’naa Al-Amr, Diraasah Usuuliyyah Tatbeeqiyyah”, Journal of Islamic Legal Sciences, Qassim University, Vol. (5), issue (2), Rajab 1433 AH – May 2012.

• **Ibn Hishaam, Jamaaludeen ‘Abdullaah bin Ahmad:**

1. “Awdah Al-Masaalik Ilaa Alfiyyah Ibn Maalik”. Investigation: Muhammad Muhyiddeen ‘Abdul Hameed. (Beirut: Al-Maktabah Al-‘Asriyyah, 1429 – 1999).

2. “Sharh Shuduur Al-Dahab fi Ma’rifah Kalaam Al-‘Arab”. Cared for by: Muhammad Abu Al-Fadl ‘Aashuur. (1st ed., Beirut: Daar Ihyaa Al-Turaath Al-‘Arabi, 1422 AH – 2001).

Al-Hamadaani, Al-Muntakhab bin Abi Al-‘Izz, “Al-Kitaab Al-Fareeb fi I’raab Al-Qur’aan Al-Majeed”. Investigation: Muhammad Nidhaamudeen Al-Fateeh. (1st ed., Madinah: Maktabah Daar Al-Zamaan, 1427 AH – 2006).

• **Al-Waahidi, Abu Al-Hassan ‘Ali bin Ahmad:**

1. “Al-Tafseer Al-Baseet”. Investigation: Dr. Muhammad bin Saalih Al-Fawzaan et al., (2nd ed., Riyadh: Sharikah Al-Obeikan lil Ta’leem, 1439 AH – 2018).

2. “Al-Wajeez fee Tafseer Al-Kitaab Al-‘Azeez”. Investigation: Safwaan ‘Adnaan Daawudi. (1st ed., Damascus: Daar Al-Qalam, 1405 AH).

Ibn Ya’eesh, Abu Al-Baqaa Muwaffaqudeen, “Sharh Al-Mufassal”. (Beirut: ‘Aalam Al-Kutub).

أحكام النَّعت في أسلوب التَّأريخ على ضوء النُّقوش الإسلامية المبكِّرة

The Rulings of Adjective in the Method of
Writing the Hijiri Date
in light of the Early Islamic Inscriptions

د. سلطان بن عواض العوفي

أستاذ مشارك بكلية اللُّغة العربيَّة بالجامعة الإسلاميَّة، بقسم اللُّغويات

البريد الإلكتروني: sultanhh77@gmail.com

المستخلص

عرض هذا البحث أحكام النُّعْت في أسلوب التَّأْرِيخ في اللُّغة العربيَّة على ضوء ما ورد في النُّقُوش الإسلاميَّة المبكِّرة بدايةً من القرن الأوَّل إلى الرَّابِع الهجري، وتعدُّ تلك النُّصوص من أوْثق ما ورد عن العرب من استعمالات في التَّأْرِيخ، وتميَّزت بأنَّها مما كتبه العرب الفصحاء الذين يحتج بنطقهم واستعمالاتهم عند النُّحاة، فأكثرها في الحجاز مهد الفصاحة، ومنزل الوحي المطهَّر، قام البحث بدراسة تلك النُّصوص وتحليلها وفق المنهج الوصفيِّ، وبيان أحكام النُّعْت فيها، والمقيس منها والشَّاذ، مع توجيه تلك النُّصوص نحوياً، ومقارنة ما فيها من أحكام مع ما قرَّره العلماء من قواعد وأحكام؛ لتكون مؤيِّدة لما ذكره وموضِّحة له، ومضيفة ما تمَّ الكشف عنه من أحكام لم يذكرها العلماء ثبتت عن طريق نصوص هذه النُّقُوش.

الكلمات المفتاحية: صياغة التَّأْرِيخ، النُّعْت، الوصف، النُّقُوش الإسلاميَّة المبكِّرة.

Abstract

This research presents the rulings of the adjective in the method of writing dates in the Arabic language in light of what was mentioned in the early Islamic inscriptions from the first to the fourth century of Hijrah (Islamic calendar), these texts are among the most reliable of what was reported on the Arabs in terms of uses in writing dates, it was distinguished for it being written by the eloquent Arabs whose pronunciation and their uses are proven by the grammarians, most of them are in the Hijaz, the cradle of eloquence and the home of the purified revelation. The research has studied and analyzed these texts according to the descriptive approach, clarifying the rulings of the adjective in them, the measured and the irregular ones, while directing those texts grammatically, and comparing what they contain with the rules decided by scholars. to serve as a support of what they mentioned and an explanation to it, and an addition of what was revealed from the rulings which were not mentioned by the scholars, which were proven through the texts of these inscriptions.

Keywords: Historiography, the adjective, description, early Islamic inscriptions.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا بَعْدُ:

فقد استعمل المسلمون التَّأْرِيخَ استجابةً لمتطلَّبات العصر المتغيِّرة، ويُعَدُّ استعماله من مظاهر التَّطْوِيرِ وَالتَّنْظِيمِ الَّتِي قَامَ بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي إِدَارَةِ شُؤُونِ الْبِلَادِ إِبانَ خِلاَفَتِهِ، وَكَانَتْ وَسِيلَةً تَعْبِيرَهُمْ عَنْهُ بِطَرِيقَةٍ لُغَوِيَّةٍ مَرْكَبَةٌ تَرْكِيبِيًّا نَحْوِيًّا، وَلَمْ يَسْتَحْدِمُوا التَّعْبِيرَ بِالْأَرْقَامِ كَمَا هُوَ سَائِدُ الْيَوْمِ.

وَيَتَكَوَّنُ أَسْلُوبُ التَّأْرِيخِ فِي أَوْسَعِ صُورِهِ فِي نَحْوِ: كَتَبْتُهُ لثَلَاثِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ، مِنْ عَدَّةِ أَلْفَاظٍ، فِعْلٌ يَعْبِّرُ عَنِ الْحَدِثِ الْمُرَادِ تَوْثِيقَ تَأْرِيخِهِ، وَمَا يَتَطَلَّبُهُ الْفِعْلُ، ثُمَّ لَفْظٌ مَا يُؤرِّخُ بِهِ مِنْ وَقْتٍ أَوْ لَيْلَةٍ أَوْ شَهْرٍ أَوْ سَنَةٍ، وَلَفْظٌ عَدَدٌ يَحْدِدُ مَا يُؤرِّخُ بِهِ، وَمَعَهُ مِنْ مَتَطَلِّبَاتِ الْعَدَدِ التَّمْيِيزِ، وَنَعْتٌ وَوَصْفٌ لِبَعْضِ مَا يُؤرِّخُ بِهِ، وَبَيْنَ ذَلِكَ حُرُوفٌ جَرِّ لَهَا مَعَانٍ خَاصَّةٌ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ.

وبعد أن تحدَّثت عن بعض الأجزاء التي يتركَّب منها هذا الأسلوب وأحكامها في أبحاثٍ سيأتي بيانها في الدِّراسَاتِ السَّابِقَةِ، يَأْتِي هَذَا الْبَحْثُ بِعَنْوَانِ: أَحْكَامُ النَّعْتِ فِي أَسْلُوبِ التَّأْرِيخِ عَلَى ضَوْءِ النَّقُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُبَكَّرَةِ، لِدِرَاسَةٍ دَقِيقَةٍ مَتَعَمِّقَةٍ فِي أَحْكَامِ جِزءٍ مَحْدَدٍ مِنْ أَسْلُوبِ التَّأْرِيخِ، وَهُوَ النَّعْتُ، أَوْ الْوَصْفُ وَهُمَا مِصْطَلِحَانِ شَائِعَانِ لِنَوْعٍ وَاحِدٍ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، إِلَّا أَيَّْ اخْتَرْتِ مِصْطَلِحَ النَّعْتِ فِي الْعَنْوَانِ لِكُونِهِ أَكْثَرَ اخْتِصَاصًا بِالنَّحْوِ، فَهُوَ أَوْضَحُ فِي الْبَيَانِ، وَفِي الْبَحْثِ لَمْ أَلْتَزِمَ بِأَحَدِهِمَا، بَلْ كَانَ الْأَكْثَرَ اسْتِعْمَالَ مِصْطَلِحِ الْوَصْفِ وَكِلَاهُمَا مِصْطَلِحَ مَشْهُورٍ.

وتبرز العلاقة بين تلك النَّقُوشِ وَمَجَالِ دِرَاسَةِ أُسَالِيبِ التَّأْرِيخِ فِيهَا نَحْوِيًّا مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا نَقُوشٌ يَحْرُصُ كَاتِبُوهَا عَلَى تَوْثِيقِهَا تَأْرِيخِيًّا، فَكُونُهَا الْأَنْسَبُ لِمِثْلِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ وَنَحْوِهَا وَاضِحَةٌ بَيْنَهُ.

وَكَانَ الْغَرَضُ الْعَامُّ مِنَ الْبَحْثِ بَيَانُ مَا يَوْصَفُ وَمَا يَوْصَفُ بِهِ، وَعَرَّضَ مَا ذَكَرَهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَحْكَامِ فِي ذَلِكَ، وَمَا شَاعَ مِنْ اسْتِعْمَالَاتٍ، وَمَقَارَنَةٌ ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ مِنْ

نصوص في نقوش العصور الإسلامية المبكرة؛ فهي أصح ما وصل إلينا من نصوص في التأريخ منقولة عن العرب الذين يحتج بهم؛ فأكثر تلك النقوش في القرنين الأول والثاني الهجريين، وفي الحجاز تحديداً، فهي مما اتفق العلماء على قبول نصوصه اللغوية زماناً ومكاناً، ودعمتها بنقوش ما بعد ذلك ولم أتجاوز حدود القرن الرابع الهجري، مراعيًا أبعاد الأجلين فيما حدده العلماء في زمن الاحتجاج^(١).

يزيد من أهمية مسألة مقارنة الأحكام مع ما ورد في هذه النقوش قلة ما يورده النحاة من شواهد عند تقرير قواعد أسلوب التأريخ، فبالرغم من حديث معظم كتب النحو عن قواعد التأريخ النحوية يلحظ قلة الشواهد التي اعتمدوا عليها في ذلك، ولم أقف - فيما اطّلت عليه - إلا على شاهد واحد، لم يعرف قائله، ومشكوك في صحته، وهو قول الشاعر:

حُطَّ هَذَا الْكِتَابُ فِي يَوْمِ سَبْتٍ لِثَلَاثِ خَلْوَنٍ مِنْ رَمَضَانَ^(٢)

فجاءت هذه النقوش لتسدّ هذا الفراغ، وتكون داعمة لما ذكره العلماء، أو موجهة له، وإضافة ما لم يذكروه من استعمالات وأحكام.

وأقول في هذا الصدد: إن تلك النقوش جعلتنا نشارك العلماء الأوائل الذين اسقروا اللغة وقرروا القواعد والأحكام على ضوء ذلك في مهمتهم تلك، حيث تُعدّ تلك النصوص كنوزاً حفظتها لنا جبال الحجاز وأوديته ووهاده، ووصلتنا عابرة العصور على صفحات الصُخور، وناطقةً بإرث لغويٍّ يستحق أن يدرس ويتأمل لنوسّع جوانب التّعميد ونكمل ما بدأه سلفنا من العلماء المخلصين في خدمة هذه اللغة العريقة الخالدة، لغة القرآن الكريم.

ويهدف البحث تفصيلاً إلى الآتي:

(١) ينظر: مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة ١/ ٢٠٢، وحسّان، الأصول ص/٨٩، ١٠١، وعيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة ص/١٣٦، ١٧٩، ١٩١، والخطيب، نقد فكرة الاحتجاج في التراث العربي، ص/ ٣٢.

(٢) ينظر: ابن عصفور، شرح جمل الرّجّاجي ٢/ ٨٠، وأبو حيان، التذليل والتكميل ٩/ ٣٥٤.

أحكام النَّعْتِ فِي أَسْلُوبِ التَّأْرِيخِ عَلَى ضَوْءِ النُّقُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُبَكَّرَةِ، د. سلطان بن عَوَّاض العوفي

١. بيان أحكام النَّعْتِ فِي التَّأْرِيخِ، وفق ماورد فِي نقوش الدِّرَاسَةِ، ومقارنة ذلك بما ذكره النَّحَاةُ، ليكون ما وافقها داعماً لتلك القواعد، وشواهد لغويَّة مؤيِّدة لها، واستخدامها فِي التَّرْجِيحِ فيما يذكرونه من أوجه وأحكام.

٢. بيان ما لم يذكره العلماء من أحكام واستعمالات ثبتت عن طريق نقوش الدِّرَاسَةِ.

٣. تصنيف الأوجه المستخدمة فِي النَّعْتِ من حيث القلَّة والكثرة، وبيان ما يؤكِّد ذلك عن طريق نقوش الدِّرَاسَةِ.

٤. توجيه نقوش الدِّرَاسَةِ وتحليلها لغويًّا بما يناسب مجال البحث.

بنيت هذه الدِّرَاسَةُ على استعراض أكثر من خمسة آلاف نقش، أغلبها موجودة فِي أمكانها إلى وقتنا الحاضر، وقليل منها حفظت فِي المتاحف، قمت عند استعراضها بحصر المؤرِّخ منها، ونسبتها قليلة إلى مجمل النُّقُوشِ غير المؤرِّخَة، حيث بلغت ممَّا حصرتُه أربعة وأربعين نقشًا، ودخل فِي حدود الدِّرَاسَةِ مما استعمل فيه الوصف اثنان وعشرون نقشًا؛ لأنَّ استعمال الوصف لا يرد فِي جميع أساليب التَّأْرِيخِ، وبعد تحديد النُّقُوشِ التي تدخل فِي حدود البحث قمت بدراستها معتمداً على المنهج الوصفيّ فِي بيان أحكام وقواعد الوصف فِي أسلوب التَّأْرِيخِ، محللاً ومناقشاً، مع مقارنة تلك الأحكام التي أصِلُّ إليها مع ما ذكره النَّحَاةُ مبيِّناً ما كان موافقاً أو مخالفاً، ومبيِّناً كذلك الأحكام التي لم يذكروها.

وجعلت البحث فِي الأقسام الآتية: أوَّلاً: المقدِّمة، وفيها الحديث عن أهميَّة البحث، ومنهجه، وأهدافه، وخطَّته، ثانياً: المباحث، وجاءت فِي مبحثين، شملت ما يرد موصوفاً فِي أسلوب التَّأْرِيخِ، فالمبحث الأوَّل: الأوصاف المتعلقة بالليالي المؤرِّخ بها، والثَّاني: الأوصاف المتعلقة بالأشهر، ثم بعد ذلك خاتمة البحث متضمِّنة أبرز النَّتائِجِ.

أمَّا عن الدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ فما وقفت عليه مما تناول التَّأْرِيخِ فِي النُّقُوشِ دراستان، الأولى بعنوان: أنظمة التَّأْرِيخِ فِي النُّقُوشِ السَّبَبِيَّةِ، للباحث هزاع الحمَّادي، والثَّانية: مناهج التَّأْرِيخِ وأساليبه عند العرب فِي ضوء النُّقُوشِ العربيَّة المبكِّرة، للدُّكتور مشلح المريخي، والدِّرَاسَاتان مجالهما مختلف عن مجال دراستي، وكذلك الغاية منها، فهما

تَهْتَمَانِ بِالنُّقُوشِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، مِمَّا كَتَبَ بِمُخَطُوطٍ أُخْرَى غَيْرِ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ الْمَشْهُورِ الْيَوْمَ، وَغَرَضُهُمَا يَهْتَمُّ بِبَيَانِ مَا يُؤرِّخُ بِهِ مِنْ حَوَادِثٍ وَوَقَائِعٍ وَأَيَّامٍ وَشَخْصِيَّاتٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ غَرَضُهُمَا الْحَدِيثَ عَنِ صِيَاغَةِ أَسْلُوبِ التَّأْرِيخِ لِعَوِيًّا، أَوْ الْحَدِيثَ عَنِ جِزْءٍ مِمَّا يَتَرَكَّبُ مِنْهُ، وَهُوَ مَا عَنِي بِهِ هَذَا الْبَحْثُ.

وَأُنْجِزَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى بَعْضُ الْأُبْحَاثِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَسْلُوبِ التَّأْرِيخِ، وَهِيَ التَّمْيِيزُ فِي أَسَالِيبِ التَّأْرِيخِ الْمَهْجَرِيِّ الْوَارِدَةِ فِي نَقُوشِ الْحِجَازِ دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ^(١)، أَحْرَفَ الْجُرِّيُّ فِي أَسَالِيبِ التَّأْرِيخِ الْوَارِدَةِ فِي نَقُوشِ الْحِجَازِ مِنَ الْقَرْنِ الْمَهْجَرِيِّ الْأَوَّلِ إِلَى الرَّابِعِ دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ^(٢)، الْأَوْقَاتُ الْمُوَرَّخُ بِهَا فِي نَقُوشِ الْحِجَازِ فِي الْقُرُونِ الْمَهْجَرِيَّةِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ^(٣)، وَمَا يَمَيِّزُ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ اخْتِصَاصُهَا بِجِزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ أَسْلُوبِ التَّأْرِيخِ وَهُوَ النَّعْتُ، وَهُوَ مَا لَمْ أَعْرُضْ لَهُ فِيمَا سَبَقَ.

وَأَشِيرُ إِلَى أَيٍّْ اعْتَمَدْتُ فِي الْغَالِبِ عَلَى النُّقُوشِ الْمَنْشُورَةِ فِي كُتُبٍ أَوْ مَجَلَّاتٍ، لِتَسْهِيلِ الْإِحَالَةِ إِلَيْهَا، ذَاكِرًا نَصَ النَّقْشِ، مَعَ الْإِحَالَةِ إِلَى مَصْدَرِهِ، وَلِكُونَ بَعْضُ النُّقُوشِ مِمَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي أَمَاكِنِهَا، وَلَمْ يَسْبِقْ أَنْ نَشَرْتُ، أَوْ أَنَّهَا نَشَرْتُ فِي مَوَاقِعٍ وَوَسَائِلٍ إلكترونيَّةٍ قَدْ لَا يَسْهَلُ الْإِطْلَاعُ عَلَيْهَا لِلْقَارِئِ الْعَزِيزِ فَقَدْ جَعَلْتُ مَلْحَقًا لِلصُّورِ عَرَضْتُ فِيهِ صُورَ تِلْكَ النُّقُوشِ، وَبَيَّانَ مَوْقِعِهَا أَوْ مَصْدَرِهَا، وَأَحِيلُ إِلَى ذَلِكَ الْمَلْحَقِ فِي الْبَحْثِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ تِلْكَ النُّقُوشِ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى خَيْرِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) الْبَحْثُ مَنْشُورٌ فِي مَجَلَّةِ الرَّهَاءِ، كَلِيَّةِ الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، التَّابِعَةِ لِجَامِعَةِ الْأَزْهَرِ. الْعَدَدُ: ٣١، (أَكْتُوبَرُ ٢٠٢١).

(٢) الْبَحْثُ مَنْشُورٌ فِي مَجَلَّةِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى الشَّبَكَةِ الْعَالَمِيَّةِ، السَّنَةِ: ٩، الْعَدَدُ: ٢٦، رَبِيعِ الْأَوَّلِ ١٤٤٣ هـ.

(٣) الْبَحْثُ مَقْبُولٌ لِلنَّشْرِ فِي مَجَلَّةِ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَآدَابِهَا، الَّتِي تُصَدِّرُهَا الْجَامِعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

المبحث الأول: الأوصاف المتعلقة بالليالي المؤرَّخ بها:

عند التَّأريخ بدءًا بالليالي^(١) ورد وصفها بأحد وصفين، وهذا الوصف من قبيل الوصف بالجملة، والجملة الموصوف بها إما بقولهم: خلت، أو: بقيت، والقاعدة في ذلك أنَّ ما كان قبل منتصف الشَّهر فتوصف بأنَّها مما خلا، وما بعده توصف بأنَّها مما بقي، مع مراعاة لفظ التَّمييز، إفرادًا وجمعًا، فما مُيِّز بالجمع وهو تمييز العشرة وما دونها يوصف بفعل مسند لضمير الجمع، فيقال: لثلاث ليالٍ خلون، أو مَضين، أو بَقين، وما كان تمييزه مفردًا جاء الفعل مناسبًا له، فيقال: لثلاث عشرة ليلة بقيت، أو مضت، أو خلت، فتتصل به التاء دالة على تأنيث فاعله، مع جواز الوجهين كما سيأتي، ونصَّ العلماء أيضًا على أنَّه بعد منتصف الشَّهر يُورَّخ بما بقي، فيقال: كتبت لأربع عشرة ليلة بقيت، أو لعشر بقين، ويعللون لذلك بأنَّ الغرض منه مراعاة للعدد الأقل، ولفظ التَّمييز في كلِّ ذلك مراعى حتى لو لم يذكر، كما في نحو: كتبت لإحدى عشرة خلت، فالتَّقدير: لإحدى عشرة ليلة خلت^(٢).

ومن ذلك يتَّضح سبب الحاجة إلى الوصف عند التَّأريخ بالليالي والغاية منه، وهي قصد التَّوضيح، لأنَّه إذا قيل مثلاً: لعشر ليالٍ، لم يعلم هل المقصود مما بقي أو مما مضى؛ فلفظ (عشر) محتمل للأمرين، ولذلك كانت الحاجة داعية إلى وصفها بما يبيِّن المقصود.

(١) يلحظ في النُّقوش أنَّه قد يُورَّخ بدءًا من اللَّيلة، فيقال: كتبت لثلاث ليالٍ خلت من شَوَّال سنة عشرين، وقد يكون البدء بالشَّهر، فيقال: كتبت في شَوَّال من سنة عشرين، والأكثر في النُّقوش أن يكتب بالتَّأريخ بالسَّنَة، فيقال: كتبت سنة عشرين، وقد وضَّحت تلك الأساليب و تحدت عن أحكامها في بحث خاص بها، ينظر: الأوقات المؤرَّخ بها في نُقوش الحِجاز في القرون الهجرية الثلاثة الأولى دراسة نحوية، وهو بحث مقبول للنشر في مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة للغة العربيَّة وآدابها، التي تصدرها الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة.

(٢) ينظر: الرَّجَاجي، الجمل ص ١٤٦، وابن الأثير، البديع في علم العربيَّة ٣٠٧/٢، وابن مالك، شرح الكافية الشَّافية ٣/ ١٦٩١، وشرح التَّسهيل ٤١١/٢، وابن عقيل، المساعد ٩٣/٢، وأبو حيان، التَّذليل والتكميل ٣٥٦/٩. ٣٥٧، والصبان، حاشية شرح الأشموني ٧٨ / ٤.

والأشهرُ في الوصف بالفعلين (خَلَّت) و(بَقِيَّت)، ونصَّ العلماء على جواز ما كان نحوها في المعنى، مثل: (مَضَّت)، ونحو ذلك^(١).

هذا ما قرَّره العلماء، ومما جاء مؤيِّدا لما قرَّروه في النقوش ما يلي:

. الوصف ب(خَلُّون) كما في شاهد قبر وفيه: "... توفِّي يوم الجمعة لستِ خَلُّون من ذي الحجة سنة ستِّ وأربعين ومئتين"^(٢)، ونحو ذلك ورد في نقوش أخرى^(٣)، فجاء الفعل (خَلُّون) متصلاً بضمير الجمع، لأنَّ الوصف للجمع، إذ التَّقدير: لستِ ليالٍ خَلُّون، وجاء الوصف مبيِّناً أنَّ المقصود بالعدد ما قبل المنتصف، وهذا موافق لما قرَّره العلماء كما تقدم.

. الوصف ب(خَلَّت)، كما في شاهد قبر علي بن محمَّد وفيه: "... توفِّي علي بن محمَّد بن أحمد بن الضَّحَّاك رضي الله عنه يوم الاثنين لأربع عشرة خَلَّت من ربيع الآخر سنة ثمانين ومئتين"^(٤)، فجاء الفعل (خَلَّت) متصلاً بتاء التَّأنيث، لأنَّه روعي في ذلك المفرد المؤنَّث، إذ التَّقدير: لأربع عشرة ليلة خَلَّت، وغاية الوصف بيان أنَّ المقصود بالعدد ما قبل المنتصف، وهذا موافق لما قرره العلماء كما تقدَّم.

. الوصف ب(مَضَّت) أو(مَضَيْنَ)، وهذا ممَّا أجازاه العلماء كما تقدَّم؛ لأنَّه بمعنى (خَلَّت) و(خَلُّون)، ومن أمثلة ذلك في النقوش، نقش إبراهيم بن ميمون الأسلمي، وفيه قوله بعد الشَّهادتين: "... وكتب إبراهيم ابن ميمون الأسلمي معلِّم الكتاب لصبح إحدى عشرة مضت من شوال سنة خمس وثلاثين ومئة"^(٥).

ومما ورد من الوصف بالفعل (مَضَيْنَ) نقش صالح بن عمير وفيه: "اللَّهُمَّ اغفر لصالح بن عمير وكتب يوم الأربعاء لسبع مَضَيْنَ من جماد الآخر سنة

(١) ينظر: أبو حيَّان، التَّنْذِيل والتَّكْمِيل ٣٥٥/٩.

(٢) ينظر: الفعر، تطوُّر الكتابات والنقوش في الحجاز ص/٢٣١.

(٣) ينظر: الزَّهراني، كتابات إسلامية من مكَّة المكرمة ص/٢٤٦.

(٤) ينظر: السَّابق ص/١٠٩.

(٥) ينظر: صورة رقم (١) من ملحق الصور، ورسم الهزمة في (ابن) هو من اصطلاحات ذلك العصر، ووردت في نص النقش؛ ولذلك أثبتتها مراعاة لذلك.

تسع وخمسين ومئة" (١).

ويلحظ في هذين النَّقْشَيْنِ مراعاة الأحكام التي أشير إليها سابقاً، فجاء الفعل (مَضَى) متصلاً بالتاء مراعاةً للمفرد المؤنث، إذ التَّقْدِيرُ فِي النَّقْشِ الْأَوَّلِ: لَصَبْحِ إِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ، وَجَاءَ مَتَّصِلاً بِالنُّونِ مَرَاةً لِلْجَمْعِ الْمَوْثُوثِ، وَالتَّقْدِيرُ فِي النَّقْشِ الثَّانِي: لَسَبْعِ لَيَالٍ مَضَيْنَ، وَغَايَةُ الْوَصْفِ فِي كُلِّ ذَلِكَ بَيَانُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْعَدَدِ مَا قَبْلَ الْمُنْتَصَفِ.

. الوصف بالفعل (بَقِيْنَ) إِذَا كَانَ التَّأْرِيخُ بَعْدَ مُنْتَصَفِ الشَّهْرِ، وَمِنْ ذَلِكَ نَقْشٌ: "اللَّهُمَّ اَرْضِ عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَفِيَّانِ بْنِ عَمْرٍو ... وَكُتِبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا الْكِتَابَ لِعَشْرِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ" (٢)، وَشَاهِدَ قَبْرَ فِيهِ: "... تَوَفِّيَ يَحْيَى بْنُ حَمَّادٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْأَحَدِ لِثَلَاثِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِ وَأَرْبَعِينَ وَمِئَتَيْنِ ..." (٣)، وَفِي هَذَيْنِ النَّقْشَيْنِ يَلْحَظُ أَنَّهَ جَاءَ الْفِعْلُ (بَقِيْنَ) مَتَّصِلاً بِضَمِيرِ الْجَمْعِ، لِأَنَّ الْوَصْفَ لِلْجَمْعِ، وَجَاءَ الْوَصْفُ مَبِينًا أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْعَدَدِ مَا قَبْلَ الْمُنْتَصَفِ، وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا قَرَّرَهُ الْعُلَمَاءُ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَمَّا جَاءَ فِي الْوَصْفِ بِالْفِعْلِ (بَقِيْ) مَاوَرِدَ فِي نَقْشِ الْعَلَاءِ بْنِ يَزِيدَ فِيهِ: "... وَكُتِبَ الْعَلَاءُ بْنُ يَزِيدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي يَوْمَيْنِ بَقِيَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِئَةً" (٤)، وَيُلْحَظُ أَنَّهُ رُوِيَ فِي الْوَصْفِ مَعْنَى التَّذْكِيرِ، لِأَنَّهُ أَرَّخَ هُنَا بِالْأَيَّامِ عَلَى خِلَافِ الْمَشْهُورِ فِي التَّأْرِيخِ بِاللَّيَالِي، وَهَذَا مَا بَيَّنَّتْهُ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ أَنْوَاعِ مَا يُؤرَّخُ بِهِ فِي بَحْثٍ خَاصٍ بِذَلِكَ (٥)، وَهُوَ مِنَ الْأَسَالِيبِ الْقَلِيلَةِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ، وَأُورِدْتَهُ هُنَا لِأَشِيرَ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ الْوَصْفِ، حَيْثُ يَلْحَظُ أَنَّهُ رُوِيَ فِي الْفِعْلِ مَعْنَى التَّذْكِيرِ كَمَا تَقَدَّمَ، وَمَعْنَى

(١) ينظر: صورة رقم (٢) من ملحق الصور.

(٢) ينظر: صورة رقم (٣) من ملحق الصور.

(٣) ينظر: الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ص/٢٢٤.

(٤) ينظر: صورة رقم (٤) من ملحق الصور.

(٥) ينظر: ينظر: الأوقات المؤرَّخ بها في نُقُوشِ الْحِجَازِ فِي الْقُرُونِ الْمَهْجَرِيَّةِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى دِرَاسَةٌ نَحْوِيَّةٌ، وَهُوَ بَحْثٌ مَقْبُولٌ لِلنَّشْرِ فِي مَجَلَّةِ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَدَابِهَا.

التثنية أيضًا، وكلُّ ذلك مما تتطلبه الصِّفة من مطابقة للموصوف. ونُقِلَ عن بعض العلماء أنه قد يُؤرَّخ بما مضى لتحققه، فيجوز: كتبت لستَّ عَشْرَةَ لَيْلَةً مضت، نُقِلَ ذلك عن الدَّماميني^(١)، وورد هذا في نقش واحد وفيه: "ياولي نعمتي اغفر لي خطيَّتي وكتب سليمان بن عبد الله بن سليم يوم الجمعة لثنتين وعشرين من رجب من سنة ثلاث وثلاثين ومئتي سنة، وهو يسأل الله الجنة ويعوذ من النَّار"^(٢)، حيث راعى في عدِّ اللَّيالي ما مضى بعد منتصف الشَّهر، وذلك قليل، ولم يستخدم الوصف لما سيأتي.

وما أشير إليه من مراعاة معنى الجمع والمفرد فيما يتَّصل بالفعل المستعمل في الصِّفة من ضمائر وأحرف على نحو ما تقدَّم هو الأشهر، وذكر العلماء أنه يجوز في نحو: كتبت لإحدى عشرة خلت، أن يقال: (خَلَوْنَ)، مراعاة لمعنى الجمع في العدد إلا أنَّ الأجود (خَلَّتْ)، مراعاة للفظ التَّمييز المنوي، وهو (ليلة) الذي أتى على صيغة الإفراد، وذكروا أنَّ هذا جائز حتَّى لو صُرح بلفظ التَّمييز مفردًا، إذا قيل: كتبت لإحدى عشرة ليلة خلون، وكذلك أجازوا العكس، وهو أن يقال مع ما كان تمييزه جمعًا: كتبت لثلاث ليال خلت، أو بقيت، لكن الأصل ما تقدَّم^(٣).

وجاء نحو ذلك في نقش واحد مما وقفت عليه، وهو نقش إبراهيم بن منظور وفيه: "اللَّهُمَّ اغفر لإبراهيم بن منظور ... وكتب يوم الثلاثاء لتسع ليالٍ مضت من جمادى الأولى لسنة ثلاث وثلاثين ومئتين"^(٤)، فهنا يلحظ أنه استعمل الفعل (مَضَّتْ) بالتاء مع الجمع، والأشهر أن يقال في نحو هذا: لتسع ليالٍ مَضَيْنَ، بالتون؛ لأنها أنسب مع الجمع، وقلة هذا في النقوش مؤكِّدة لما قرره العلماء من أنَّ هذا مع جوازه قليل.

(١) ينظر: أبو حيان، التذييل والتكميل ٣٥٧/٩، والصبان، حاشية شرح الأشموني ٤ / ٧٨.

(٢) ينظر: صورة رقم (٥) من ملحق الصور.

(٣) ينظر: ابن عصفور، شرح جمل الرَّجَاجِي ٧٩/٢، وابن مالك، شرح التَّسهيل ٢ / ٤١١،

والرَّضِي، شرح الكافية ٣١٣/٣، وابن عقيل، المساعد ٩٣/٢.

(٤) ينظر: الرَّاشِد، الصُّوَيْدَرَة ص/٣٦٠.

أحكام النَّعت في أسلوب التَّأريخ على ضوء النُّقوش الإسلاميَّة المبكِّرة، د. سلطان بن عَوَّاض العوفي

ولم يرد في النُّقوش عند التَّأريخ بالليالي الاستغناء عن وصفها، وذلك لما سبق بيانه من الحاجة إليه، إلا في موضع واحد، وهو ما تقدَّم في نقش: "ياولي نعمتي اغفر لي خطيئي وكتب سليمان بن عبدالله بن سليم يوم الجمعة لثنتين وعشرين من رجب من سنة ثلاث وثلاثين ومئتي سنة، وهو يسأل الله الجنة ويعوذ من النار"^(١).

حيث يلحظ عدم وصف الليالي المؤرخ بها، وسبب الاستغناء عن الوصف هنا هو أنَّ أسلوب التَّأريخ روعي فيه التَّأريخ بما مضى لتحققه، فمعلوم أنَّ: "ثنتين وعشرين" مما مضى حتمًا، وبناء على ذلك يتَّضح أنَّه لا يجوز الاستغناء عن الوصف مع الليالي المؤرخ بها إلا في مثل هذه الحالة، وهي وجود قرينة تدلُّ على أنَّ المقصود ما بعد المنتصف، وذلك بأن يذكر عدد ما بعد المنتصف، ولا يجوز أن يقال مثلًا: كتبه لثلاث من شهر كذا.

(١) ينظر: صورة رقم (٥) من ملحق الصُّور.

المبحث الثاني: الأوصاف المتعلقة بالأشهر:

جاء الوصف في أسلوب التأريخ مرتبطاً بأسماء الأشهر عند الحاجة إليه لغرض التّحديد الدّقيق للمراد، وذلك في الأشهر التي سمّيت باسم واحد، وهما اسمان سُمِّي بكلِّ اسم منهما شهران متواليان، وهما (رَبِيع) و(جُمَادَى)، فيفرّق بينهما ويحدد المقصود منهما عن طريق أسلوب الوصف، وهذا هو الغرض من التأريخ، والمستعمل وصفهما بالأوّل والآخر، مع (رَبِيع)، أو مؤنّث ذلك وهو الأوّل والآخرة، مع (جُمَادَى)، مراعاة للتذكير والتأنيث.

أمّا بقية أسماء الأشهر فليست بحاجة لوصفها، لأنّها أسماء خاصّة بها لا تشاركها فيها أشهر أخرى، فالمقصود واضح ومحدّد دون وصف.

وبهذا تتحدّ الغاية والعلّة في استعمال الوصف مع الأشهر والليالي، وهي أنّ ذلك مرتبط بالحاجة إليه، وعند عدمها لا يلجأ للوصف في أسلوب التأريخ طلباً للاختصار، فجاء الوصف مع الليالي التي يُعبّر عنها بعدد يُحتمل أن يقصد به ما قبل المنتصف أو ما بعده، كما تقدّم بيانه، وجاء مع الأشهر فيما تكرّرت تسميته باسم واحد.

وفي النقوش ورد في الغالب تحديد أحد الشّهرين المتّفقين في الاسم عن طريق الوصف، ومن ذلك نقش: "كُمّل هذا السّد في شهر ربيع الأوّل من سنة ثمانٍ وسبعين ومئة"^(١)، ونقش إبراهيم بن محمّد، وفيه: "تاب الله على إبراهيم بن محمّد ... وكتب في سنة إحدى وسبعين ومئة في شهر ربيع الآخر"^(٢)، وشاهد قبر عليّ بن محمّد وفيه: "... توفّي عليّ بن محمّد بن أحمد بن الضّحّاك رضي الله عنه يوم الاثنين لأربع عشرة خلّت من ربيع الآخر سنة ثمانين ومئتين"^(٣).

(١) ينظر: صورة رقم (١١) من ملحق الصور.

(٢) ينظر: مجلة أطلال، تقرير عن أعمال مسح منطقة المدينة المنوّرة، مسوحات وادي العقيق، العدد ١٩، ص: ٩٥، والصّور في ملحق اللوحات، لوحة رقم (٥،١٩).

(٣) ينظر: الزّهري، كتابات إسلاميّة من مكّة المكرّمة ص/ ١٠٩.

ومع (جمادى) ورد نقش: "اللَّهُمَّ ارض عن عبد الرَّحْمَنِ بن سفيان بن عمرو أمين ربِّ العالمين، وكتب عبد الرَّحْمَنِ هذا الكتاب لعشر ليالٍ بَقِيْنَ من جمادى الآخرة من سنة ستِّ وثمانين" (٤)، وكذلك نقش تأسيسي لمجلس ورد فيه: "عمل هذا المجلس عبد الملك بن عبد الله بن أبي الوليد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين ومئة، وكتب مروان بن عبد الملك" (٥)، ونقش إبراهيم بن منظور وفيه: "اللَّهُمَّ اغفر لإبراهيم بن منظور ... وكتب يوم الثلاثاء لتسع ليالٍ مضت من جمادى الأولى لسنة ثلاث وثلاثين ومئتين" (٦).

ويظهر من تلك النقوش مايلي:

١. تذكير (ربيع)، ولذلك جاء وصفه مذكراً، فيقال: الأوَّل، أو الآخر.
 ٢. تأنيث (جمادى)، ولذلك جاء وصفه مؤنثاً، فيقال: الأولى، أو الآخرة، هذا هو المشهور في النقوش، وهذا مما أشار إليه اللغويون، حيث ذكروا أنَّ أسماء الأشهر كلها مذكرة إلا شهري جمادى، فإنها مؤنثة (١).
 ٣. المستعمل في الثاني من الشهرين الوصف ب(الآخر) أو (الآخرة)، وهذا يؤكد ما اشتهر من أنه لا يقال: ربيع الثاني، ولا جمادى الثانية، وهذا ما تؤكد النقوش؛ حيث التزم فيها بالوصف ب(الآخر) أو (الآخرة).
- ومع شهرة عدم صحّة الوصف ب(الثاني) و(الثانية) اليوم لدى المهتمين بتصويب الأساليب اللغوية، إلا أني لم أجد من ينصُّ على ذلك نصّاً من العلماء المتقديمين، وغاية ما يرد عندهم أنه يقال في الوصف (الآخرة) و(الآخر)، لكن دون نصِّ على عدم جواز (الثاني) و(الثانية) (٢)، وأيضاً هذا الأسلوب وهو الوصف ب(الثاني)

(٤) ينظر: صورة رقم (٣) من ملحق الصور.

(٥) ينظر: صورة رقم (٨) من ملحق الصور.

(٦) ينظر: الرَّاشِد، الصُّويدرة ص/٣٦٠.

(١) ينظر: ابن سيده، المحكم واخيط الأعظم، ٧/٣٤٩، وابن منظور، لسان العرب (جمد)

١٢٩/٣، والرَّبيدي، تاج العروس (جمد) ٧/٥١٩.

(٢) ينظر: الفيومي، المصباح المنير، (جمد) ١/١٠٧.

و(الثانية) يرد في استعمالات بعض العلماء^(٣)، ومع صحته لغوياً من حيث القياس، إلا أنّ الأولى الالتزام بما وافق السماع والقياس.

٤. الأشهر استعمال أسماء تلك الأشهر موصوفة، والغرض من ذلك تحديدها. هذا ما ظهر من النقوش التي سبق استعراضها، لكن ورد في نقوش أخرى مخالفة بعض تلك الأحكام، فمسألة تأنيث (جُمَادَى) جاء في بعض النقوش مخالفتها، وهي كما يلي:

أ. نقش صالح بن عمير وقد عُرضَ فيما سبق، وفيه: "اللَّهُمَّ اغفر لصالح بن عمير وكتب يوم الأربعاء لسبع مضيّن من جُمَادِ الآخِرِ سنة تسع وخمسين ومئة"^(٤). وواضح من النقش تذكير (جُمَادَى)، لأنّ المثبت فيه: "جُمَادِ الآخِرِ"، بدون ألف في آخرة، وحكمه حينئذ من حيث الصّرف وعدمه أنّه مصروف؛ لأنه مذكّر، وأكّد ذلك عدم تأنيث الوصف، فجاء مذكّراً.

وتوجيه ذلك أنه استعمال شاذّ قليل، مخالف للأشهر في النقوش، وفيما ذكره العلماء، وقد أشار إلى هذا الاستعمال الفراء فيما نقل عنه، حيث قال: "الشّهور كلّها مُدكّرة إلاّ جُمَادَيَيْنِ فَإِذَا مُؤنّثان، فإن سمعت تذكير جُمَادَى فَإِذَا يُذهب به إلى الشّهَر"^(١).

ولا يظهر مما نُقل عن الفراء تصريح بالسماع في ذلك وإثماً التعليل له وتأكيّد صحته قياساً إن ورد، ولذلك يكون ما ثبت في هذا النقش من المسموع عن العرب، فهو في حدود ما يصحّ الاستدلال به زماناً ومكاناً كما هو ظاهر، أقول ذلك بناء على ما يظهر من قراءة النقش على ما أورده ناشره، وهو الأظهر، لكن يضعف ذلك

(٣) ينظر: العيني، عمدة القاري ٢٤ / ١٢٠، والرّبيدي، تاج العروس (نقط) ٢٠ / ١٥٢، و(أدك) ٢٧ / ٣٥.

(٤) ينظر: صورة رقم (٢) من ملحق الصور.

(١) ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٧ / ٣٤٩، وابن منظور، لسان العرب (جمد) ٣ / ١٢٩، والرّبيدي، تاج العروس (جمد) ٧ / ٥١٩.

أحكام النَّعت في أسلوب التَّأريخ على ضوء النُّقوش الإسلاميَّة المبكِّرة، د. سلطان بن عَوَّاض العوفي

ما ظهر لي بعد تأمُّل الصُّورة المنشورة للنَّقش من أنَّ أَلْف (جُمَادَى) المقصورة كُتبت وأتَّصلت بما تحتها، وعلى هذا فصحَّة القراءة: (جُمَادَى)، أمَّا الألف المتوسِّطة فحذفت اختصارًا في الكتابة، وهذا أمر شائع في اصطلاحات ذلك العصر، وعلى هذا فعدم تذكير الوصف يحمل على أنه خطأ من الكاتب، كما سيأتي بيانه في النُّقوش التَّالية.

ب . شاهد قبر ورد فيه: "بسم الله الرَّحمن الرَّحيم هذا القبر لعبدالرَّحمن بن جابر ... وكتب هذا الكتاب في جمادى الآخر من سنة إحدى وثلاثين" (٢).

وشاهد آخر ورد فيه: "...توفيَّ غريبًا في جمادى الآخر من سنة ثلاث وأربعين ومائتين" (٣).

وهذه النُّقوش يتعيَّن حملها على أنَّها خطأ من الكاتب، وما ورد فيها ليس استعمالًا لغويًّا ثابتًا؛ وذلك لمخالفتها حكمًا من أحكام ما يطابق الوصف فيه موصوفه، ولا وجه لتأويلها أو حملها على شيء آخر، والخطأ في الكتابة بحذف حرف من الكلمة يقع في بعض النُّقوش (١).

وأما مسألة استعمال أسماء تلك الأشهُر موصوفة في التَّاريخ . وذلك هو الأشهُر كما تقدَّم . فجاءت مخالفة لذلك نقوش استعمال فيها لفظ (رَبِيع) و(جُمَادَى) دون تحديد بوصف، ومن ذلك نقش عبد الله بن سعد وفيه: "اللَّهُمَّ اغفر لعبدالله بن سعد بن أبي ذباب النَّمري أمين ربِّ العالمين، وهو أمر بهذا المجلس في جمادى لسنة ثمان وثمانين" (٢)، ونقش محمود بن عمرو، وفيه: "الله أكبر الملك لله وكتب محمود بن عمرو في شهر ربيع سنة إحدى وعشرين ومئة ..." (٣)، وكذلك شاهد قبر وفيه: "هذا قبر فاطمة ابنت عبدالرَّحمن ... وكتب عليُّ بن محمَّد بن الحسن بن القاسم بخطِّه في جُمَادَى من سنة إحدى وثلاث مئة سنة وهو

(٢) ينظر: الفعر، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز ص/١٦٣، وصورته في ص/ ٣٧٧.

(٣) ينظر: السَّابق ص/ ٢٢٠.

(١) ينظر أمثلة لذلك: الصُّويدرة ص: ١٦٢، ١٩٨، ٣٣٥.

(٢) ينظر: صورة رقم (٩) من ملحق الصور.

(٣) ينظر: مجلَّة أطلال ١٩ / ٣١٦، لوحة (٥، ١٠).

يستغفر الله ويتوب إليه ويسأله أن يوفقه لما يرضيه^(٤).
ويلحظ في تلك النقوش أنه لم يُحدّد أيُّ الربيعين أو الجماديين، ولا يعلم المقصود على وجه التحديد، وهنا تظهر فائدة ذكر الوصف وهي تحديد الشهر المقصود تحديداً دقيقاً.

وجاء قريباً من أسلوب وصف الشهر بصفة استخدام أسلوب البدل في ذلك، وذلك في نقش: "عامر بن عمر إلى الله راغب وكتب في ذي الحجة تمام سنة إحدى وأربعين ومئة"^(٥)، فلفظ (تمام) لا يمكن أن يجعل نعتاً لـ (ذي الحجة)، من حيث الصنعة النحويّة؛ لاختلافهما تعريفاً وتنكيراً، فهو بدل، وله في البدليّة احتمالان، إما أن يكون بدلا من الجارّ والمجرور، فأبدلت شبه جملة من شبه جملة، ويكون على هذا الوجه إمّا منصوباً، وكأنّه قيل: وكتب في ذي الحجة كتب تمام سنة إحدى وأربعين ومئة؛ لصحة نصب (تمام) ظرفاً حينما أضيف إلى (سنة)، التي يصح أن تنصب على الظرفية، لو قيل: كتبه سنة عشر، أو نحو ذلك، أو مجروراً إذا كان التّقدير: كتب في ذي الحجة كتب في تمام سنة إحدى وأربعين ومئة، أو أن يكون بدلا من المجرور بحرف الجر، ويكون على هذا مجروراً فقط، وكأنّه قيل: وكتب في ذي الحجة في تمام سنة إحدى وأربعين ومئة، والبدل هنا من حيث المعنى والغرض يلمح منه قصد الإيضاح وهذا من أغراض البدل، كما أنّه من أغراض الوصف^(١)، فكأنّ المراد في المعنى: ذي الحجة المتّم لسنة إحدى وأربعين ومئة.

وجاء في نقش: "اللهم صلّ على محمد ... وكتب بكر بن أبي بكرة الأسلمي تمام سنة ثمانين"^(٢)، الاستغناء بلفظ (تمام)، وهو هنا منصوب على الظرفية وجهاً واحداً، ونصبه هنا قد يرجّح وجه النّصب في الاستعمال السّابق.

(٤) ينظر: صورة رقم (١٠) من ملحق الصور.

(٥) ينظر: الصورة رقم (٦) من ملحق الصور.

(١) ينظر: الخضري، حاشيته على شرح ابن عقيل ٥١/٢، ٦٨.

(٢) ينظر: الصورة رقم (٧) من ملحق الصور.

أحكام النَّعت في أسلوب التَّأريخ على ضوء النُّقوش الإسلاميَّة المبكِّرة، د. سلطان بن عَوَّاض العوفي

والفرق بين هذا الأسلوب وأسلوب الوصف على نحو ما تقدَّم أنَّ الغرض من الوصف التَّحديد الدَّقيق للمقصود، وما جاء على وجه البديل هو زيادة توضيح لما هو واضح، فهو بمثابة التَّأكيد لما هو معلوم، ولم يأت بمعنىَّ جديد، فمعلوم أنَّ ذي الحجَّة هو تمام السَّنَّة، وجاء التَّأكيد عليه بقوله: تمام سنة كذا، ومثل هذا لا يلتزم به، ويمكن الاستغناء عنه دون إخلال بالمعنى.

الخاتمة

- أسطرّ في ختام هذا البحث أبرز ما ظهر لي من نتائج، وذلك كما يلي:
١. الوصف ملتزم به في أسلوب التّاريخ عند الحاجة إليه في تحديد المقصود تحديداً دقيقاً بما يناسب الغرض من التّاريخ، فجاء الوصف مع اللّياالي التي يُعبّر عنها بعدد يُحتمل أن يقصد به ما قبل المنتصف أو ما بعده، وجاء مع الأشهُر فيما تكرّرت تسميته باسم واحد، فيستعمل الوصف لقصده التّوضيح والتّحديد.
 ٢. لا يجوز الاستغناء عن الوصف مع اللّياالي التي تحتاج إليه على نحو ما تقدّم إلا إذا وجدت قرينة تدلّ على صفة اللّيلة المؤرخ بها.
 ٣. ورد في الأشهُر التي تحتاج إلى وصف على نحو ما تقدّم استعمالها غير موصوفة، وذلك قليل في الاستعمال.
 ٤. الأشهُر في الاستعمال أن ما كان قبل منتصف الشّهر من اللّياالي المؤرخ بها توصف بأنّها ممّا خلا، وما بعده توصف بأنّها ممّا بقي، وقد يؤرخ بما مضى لتحققه، وذلك قليل، وهو ما أكدته نقوش الدراسة حيث لم يرد مثل ذلك إلا في نقش واحد من نقوش الدراسة، ولم يستخدم الوصف لعدم الحاجة إليه، ووضوح المقصود بدونه.
 ٥. الأشهُر في الفعل الذي يرد في الجملة التي توصف بها اللّياالي أن يكون: (حَلَّتْ) و(بَقِيَتْ)، ويجوز الوصف بما كان بهذا المعنى نحو: (مَضَتْ).
 ٥. الأشهُر أن يراعى لفظ التّمييز الموصوف إفراداً وجمعاً، فما مميّز بالجمع وهو تمييز العشرة وما دونها يوصف بفعل مسند لضمير الجمع، وما كان تمييزه مفرداً جاء الفعل مناسباً له، مع جواز عدم المراعاة بقلّة، وأكدت ذلك نقوش الدّراسة.
 ٦. يحتمل أحد نقوش الدّراسة حملة في أرجح الاحتمالات على استعمال في أسلوب التّاريخ لم يذكره العلماء، وأشار الفراء إلى صحّته لو وُرد، وهو

استعمال لفظ (جُمادى) مذكَّراً، ووصفه بالمدكَّر، فيقال: (جُمادى الآخر)، وعلى هذا فما ثبت في النَّقش شاهد على ورود ذلك الاستعمال بقلَّة.

٧. من الأوصاف العامَّة المستعملة اليوم في أسلوب التَّأريخ أن يوصف التَّأريخ بما يحدِّد نوعه، فيوصف التَّأريخ بأنَّه هجري، أو ميلادي، أو يوصف بأنَّه قبل ذلك، وهذا الوصف يأتي مراعاة للسَّنَّة، فيؤنَّث في نحو: كتبتَه سنة عشرين هجرية، أو السَّنَّة الخامسة الهجرية، أو (عام) إذا ذكر هذا اللفظ، فيكون الوصف مذكَّراً، نحو: كتبتَه في عام عشرين هجري، في العام العاشر الهجري، والغرض من الوصف في كل ذلك تحديد نوع التقويم، وقد يأتي ذلك التحديد بأساليب أخرى، مثل أن يقال: كتبتَه سنة عشرين من هجرة المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم، أو نحو ذلك، ومما يلحظ في نقوش الدِّراسة أنَّه لم يرد في جميع ما وقفت عليه ورود وصف في أسلوب التَّأريخ لبيان أنَّه هجري، وتوجيه ذلك أنَّه معلوم لدى القارئ أنَّ المقصود تأريخنا الهجري، رمز من رموز الكرامة والعزة لهذه الأمة، مما عمله عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الرَّاشدين المهديين، وسارت عليه الأمة بعد ذلك، واشتهر استعماله، فلا داعي للتَّنبيه عليه بوصف أو تخصيص يميزه عن غيره.

٨. من الأساليب الشائعة اليوم في التَّأريخ أن يستخدم العدد في التَّأريخ على سبيل الوصف، فيقال: كتبتَه في الليلة الثالثة من شهر شوال، ووقع هذا الحدث في السَّنَّة الخامسة من الهجرة، ونحو ذلك، ولم أجد فيما طالعته من نقوش استخدام مثل هذا الأسلوب، وكل ما ورد كان على نحو: كتبتَه لثلاث حلَّوَن من شوال من سنة خمس وثلاثين، فتأتي ألفاظ الأعداد موصوفة، أو مضافاً إليها، وكلُّ ذلك من باب التَّخصيص لها والتَّحديد.

وفي الختام أسأل الله سبحانه أن يتقبَّل مِنِّي هذا العمل، خدمةً للغة كتابه، ولسان خاتم شرائعه وأنبيائه، وأن يعفو عن الخطأ والزَّلل، فسبحان من تفرَّد بالكمال، وتنزَّه عن الخطأ والتَّسيان، وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا المصطفى المختار، وعلى آله الأطهار، وعلى صحابته الأبرار، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

ملحق صور النقوش

المصدر	صورة النقش وقراءته	م
<p>هذا النقش مما نشره الأستاذ محمد المغذوي في حسابه: نوادر الآثار والنقوش، على الرابط: https://twitter.com/Muhammad93athar</p>		١
<p>هذا النقش مما نشره أ.د. عبدالله مصلح الشمالي، في حسابه على تويتر، ذكرا أنّ مكان النقش شرق مدينة رابغ، وذلك على الرابط التالي: (تويتر \ أ.د. عبدالله مصلح الشمالي على تويتر": نقش صخري مؤرخ، من القرن الثاني الهجري، قريب من قرية مغينيه، شرق مدينة رابغ، وفيه: اللهم اغفر لصالح بن عمران وكتب يوم الأربعاء، لسبع مضين من جماد الآخر سنة تسع وخمسين ومئة"</p>		٢

وخمسين ومئة:

<https://t.co/0wBcPrn3hG>

((twitter.com))،

وقراه ناشره: "صالح بن
عمران"، والذي يظهر من النقش
أنه (عمير).

هذا النقش مما نشره الأستاذ

محمد المغذوي في حسابه: نوادر

الآثار والنقوش، على الرابط:

<https://twitter.com/Muhammad93athar>

hammad 93athar



"اللهم ارض عن عبد الرحمن بن سفيان بن عمرو أمين
رب العالمين، وكتب عبدالرحمن هذا الكتاب لعشر ليال بقين
من جمادى الآخرة من سنة ست وثمانين".

٣

هذا النقش مما نشره الأستاذ

محمد المغذوي في حسابه: نوادر

الآثار والنقوش، على الرابط:

<https://twitter.com/Muhammad93athar>

hammad 93athar



" بسم الله الرحمن الرحيم إن الله وملائكته يصلون على
النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما والسلام
عليه ورحمة الله وبركاته وكتب العلاء بن يزيد رحمه الله في يومين
بقيا من شهر رمضان سنة أربعين ومئة".

٤

هذا النقش مما نشره أ.د.

عبدالله مصلح الشمالي، في حسابه

على تويتر، الرابط:

<https://twitter.com/thoomaly11>

aly11



"ياولي نعمتي اغفر لي خطيئي وكتب سليمان بن عبدالله

٥

بن سليم يوم الجمعة لثنتين وعشرين من رجب من سنة ثلث
وثلاثين ومائتي سنة، وهو يسأل الله الجنة ويعوذ من النار"

هذا النقش مما نشره الأستاذ

محمد المغذوي في حسابه: نواذر

الآثار والنقوش، على الرابط:

[https://twitter.com/M](https://twitter.com/Muhammad93athar)

uhammad 93athar



"عامر بن عمر إلى الله راغب وكتب في ذي الحجة تمام
سنة إحدى وأربعين ومائة"

٦

النقش نشره فريق الصحراء

من منطقة حسمي شمال غرب

المملكة، على الرابط التالي:

<http://www.alsahra.org>

وهو فريق علمي متخصص

في نشر نقوش شمال الجزيرة عبر

موقعه الإلكتروني.

هذا النقش مما نشره

الأستاذ محمد المغذوي في

حسابه: نواذر الآثار والنقوش،

على الرابط:

[SA نواذر الآثار والنقوش](https://twitter.com/SA_Nawadur)

نقش يؤرخ " [on Twitter](https://twitter.com/SA_Nawadur):

لتأسيس مجلس عبدالمملك بن



نقش: "اللهم صل على محمد وتقبل سعيه في أمته وارحمنا

به في الآخرة كما رحمتنا به في الدنيا وكتب بكر بن أبي

بكرة الأسلمي تمام سنة ثمانين"

٧



نقش تأسيسي لمجلس ورد فيه: "عمل هذا المجلس

عبدالمملك بن عبدالله بن أبي الوليد في جمادى الآخرة سنة

ثلاث وستين ومئة، وكتب مروان بن عبدالمملك"

٨

عبدالله بن أبي الوليد كتبه ابنه
قبل ١٢٧٧ عاماً، في جمادى
الآخرة سنة ١٦٣هـ يقول فيه :
عمل هذا المجلس عبدالمملك بن
عبدالله بن أبي الوليد في جمادى
الآخرة سنة ثلاث وستين ومائة
وكتب مروان بن عبدالمملك
<https://t.co/USLdkbDtSt> /
Twitter

هذا النقش مما نشره
الأستاذ محمد المغدوي في
حسابه: نوادر الآثار والنقوش،
على الرابط:

<https://twitter.com/Muhammad93athar>



"اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي ذَبَابٍ التَّمْرِيِّ آمِينَ
رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ أَمْرٌ بِهَذَا الْمَجْلِسِ فِي جَمَادَى لِسَنَةِ ثَمَانٍ
وِثْمَانِينَ"

هذا النقش مما نشره
الأستاذ محمد المغدوي في
حسابه: نوادر الآثار والنقوش،
على الرابط:

<https://twitter.com/Muhammad93athar>



uhammad 93athar

شاهد قبر وفيه: " هذا قبر فاطمة ابنت عبد الرحمن ...
وكتب علي بن محمد بن الحسن بن القاسم بخطه في جمادى
من سنة إحدى وثلاث مئة سنة وهو يستغفر الله ويتوب إليه
ويسأله أن يوفقه لما يرضيه".

هذا النقش مما نشره أ.د.
عبدالله مصلح الشمالي، في حسابه
على تويتر، الرابط:

<https://twitter.com/thoomaly11>

ذاكرا أن الصورة المنشورة
منقولة عن الدكتور ناصر الحارثي.



"كُمّل هذا السّد في شهر ربيع الأوّل من سنة ثمانٍ
وسبعين ومئة"

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة:

- ابن الأثير، أبو السعادات مجد الدين، *البدیع في علم العربية*، تحقيق: د. صالح حسين العايد، و د. فتحي أحمد علي الدين، من مطبوعات جامعة أم القرى، ط/١، ١٤٢٠هـ.
- حسان، تمام، *الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب*، عالم الكتب، ١٤٢٠هـ.
- الحَمَّادي، هزاع محمد، *أنظمة التَّأريخ في النقوش السَّبَّيَّة*، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، معهد الآثار، قسم النقوش، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- أبو حيان، الأندلسي، *التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل*، تحقيق: د. حسن هندراوي، دار القلم، وكنوز إشبيلية، ط/١.
- الخصري، محمد الدمياطي، *حاشية الخصري على شرح ابن عقيل*، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٥٩هـ.
- الخطيب، عماد علي، *نقد فكرة الاحتجاج في التراث العربي*، بحث منشور في مجلة حوليات التراث العدد ١١، ٢٠١١م.
- الراشد، سعد بن عبدالعزيز، *الصويدرة (الطرف قديماً) آثارها ونقوشها الإسلامية*، مؤسسة ليان، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- الرضي، رضي الدين الاسترابادي، *شرح الكافية*، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط/٢، ١٩٩٦م.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، *تاج العروس من جواهر القاموس*، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين
- الزجاجي، أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق، *الجمل في النحو*، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة.

- الزهراني، عبدالرحمن بن علي، كتابات إسلامية من مكة المكرمة، من القرن الأول إلى السابع الهجري، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٤هـ.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.
- الصبان، محمد علي، حاشية الصَّبَان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، مطبوع مع شرح الأشموني، دار الفكر.
- ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تحقيق: صاحب أبو جناح، دار الكتب للطباعة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.
- ابن عقيل، بهاء الدين، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق د. محمد بركات، من مطبوعات جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ.
- عيد، محمد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، عالم الكتب، ١٩٨٨م.
- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الفرع، محمد فهد، تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجري، دار تامة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م.
- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- ابن مالك، جمال الدين محمد،
- شرح التسهيل، تحقيق عبدالرحمن السيد ومحمد المختون، هجر للباعة، ط / ١، ١٤١٠هـ.
- شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم محمد هريدي، الطبعة الأولى، مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، سوريا، دار المأمون للتراث، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

أحكام النَّعت في أسلوب التَّأريخ على ضوء النَّقوش الإسلاميَّة المبكِّرة، د. سلطان بن عَوَّاض العوفي

المريخي، مشلح، **مناهج التَّأريخ وأساليبه عند العرب في ضوء النقوش العربية المبكرة**، بحث منشور في مجلة أدماتو، العدد ٦، ٢٠٠٢م.

ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

ثانياً: المجلَّات والدُّوريات والمصادر الإلكترونيَّة:

أطلال، **حواليَّة الآثار العربيَّة السُّعوديَّة**، العدد التَّاسع عشر، الصَّادرة عن وكالة الآثار والمتاحف بوزارة التَّربية والتَّعليم في المملكة العربيَّة السُّعودية، ١٤٢٧هـ.

مجلة مجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، العدد الأوَّل، رجب ١٣٥٣هـ، ١٩٣٤م، المطبعة الأميريَّة ببولاق.

حساب (أ.د. عبدالله مصلح التِّمالي) تويتر،

<https://twitter.com/thoomaly11>

حساب (نوادير الآثار والنقوش) للأستاذ محمَّد المغدَّوي، تويتر،

https://twitter.com/Muhammad_93athar

Bibliography

- Ibn al-Athīr Abi Al-Sa'ādāt Majd Al-Dīn, **Al-Badī' fi 'Ilm al-'Arabiyyah**, investigated by: Dr. Saleh Husain Al-'Āyid, and Dr. Fathi Ahmad 'Ali Al-Dīn, from Umm Al-Qura University publications.
- Abu Hayyan, Muhammad bin Yousuf, **Al-Tadhyīl wa al-Takmīl fi Sharḥ Kitāb al-Tashīl**, investigated by: Dr. Hasan Hindāwī, Dār Al-Qalam, and kunuz Ishbīliya.
- Al-Khudārī 1940, Muhammad al-Dimyāṭī, **Hāshiyat al-Khudarī 'alā Sharḥ Ibn Aqeel**, Maktabat al-Faisaliah, 1359 AH.
- Al-Rashid, Sa'd bin 'Abd al-'Azīz: **Al-Suwaidra (al-Tarf) its Islamic monuments and inscriptions**, (in Arabic) Lian Foundation for Culture, 1430 AH - ٢٠٠٩.
- Al-Raḍī, Raḍī Al-Dīn Al-Istirabaḍī, **Sharḥ Al-Kāfiyah**, investigated by Yousuf Hasan Omar, Qar Younis University Publications, Benghazi, 2nd edt, 1996.
- Al-Zajjājī, Abu Al-Qasim 'Abd al-Rahmān bin Ishāq, **Al-Jumal fi Al-Nahw**, investigated by Ali Al-Hamad, Al-Resala Foundation.
- Al-Zahrānī, 2003, 'Abd al-Rahmān bin 'Ali, **Islamic writings from Macca, (in Arabic) 1st to 7th century AH**, King Faisal Center for Research and Islamic Studies, 1424 AH.
- Al-Sabbān, Muhammad 'Ali, **Hāshiyat Al-Sabbān al-Ṣabbān 'alā Sharḥ al-Thummunī li Alfīyat Ibn Mālik**, printed with Sharḥ Al-Ashmouni, Dār Al-Fikr.
- Ibn 'Usfour, 1980, **Sharḥ Jumal al-Zajjājī**, Dr. Sahib Abu Jinnah, Book House, 1400 AH.
- Ibn 'Aqeel, 1984, **Al-Musā'id 'alā Tashīl al-Fawā'id**, Dr. Muhammad Barakat, 1405 AH.
- Al-Fae'r, Muhammad Fahd, 1984, **the development of writings and inscriptions in Hijaz from the dawn of Islam until the middle of the 7th century AH**, (in Arabic) Dār Tihama, 1405 AH.
- Ibn Malik, Jamāl al-Dīn;
Sharḥ al-Tashīl, Investigation: 'Abd al-Rahman Al-Sayyid and Mohammad Almakton, dar hajar' 1410 AH.
- Sharḥ al-Kāfiya al-Shāfiya**, investigated by: 'Abd al-Mun'im Muhammad Haridi, first edition, Center for Scientific Research, and the Revival of Islamic Heritage, Umm Al-Qura University, Dār Al-Mamoun Heritage, 1402 AH - 1982.
- The Journal of the Arabic Language Academy in Cairo
<https://twitter.com/thoomaly11> -
<https://twitter.com/Muhammad93athar> -

**مظاهر التعصب اللساني ضد اللغة العربية
في دوائر البحث الغربية**

Manifestations of Linguistic Bigotry Against
the Arabic Language in Western Research Circles

أ.د. عزمي محمد "عيال سلمان"

أستاذ الدراسات اللغوية بقسم اللغة العربية بكلية العلوم والآداب بجامعة نجران

البريد الإلكتروني: amsalman@nu.edu.sa

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى رصد مظاهر التعصب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، ولا تدّعي أنها ستقف على كل مظاهر التعصب هذه، فحسبها أن تُحيط بجزئية منها، وبالذات تلك المتعلقة بالأثر المتبادل بين بنية اللغة العربية والبنية العقلية للناطقين بها، وما نتج عنها من مزاعم وانطباعات ذاتية. وقد جاءت مظاهر التعصب المحددة بهذا الإطار في ثلاث دعاوى أساسية، هي: أولاً: القصور العقلي، وثانياً: عدم القدرة على التفكير الصادق والحقيقي، وثالثاً: اللعب الكلامي. فالادّعاء الأول والثاني يتعلقان بالأثر السالب لبنية اللغة العربية في البنية العقلية للناطقين بها، وأما الادّعاء الثالث فيتعلّق بالأثر السالب للبنية العقلية في بنية اللغة العربية. وقد اتّخذت الدراسة من المنهج الوصفي التحليلي أداة لتفحص تلك المزاعم وبيّنت أسبابها وفرضياتها، وانتهت إلى أنها لا تستند في معظمها إلى أي أسس سليمة، وإنما هي انطباعات ذاتية، لا قيمة لها في ميزان العلم. وهي بذلك تُشكّل استثناءً صارخاً في مسيرة حديثة لحقل معرفي يُعدُّ الخطي ليلحق بركب (العلمية). واللسانيات اليوم، وإن كانت تدّعي الظفر بالسّمة: (العلمية)، كما أراد لها رائدها (فردينان دي سوسير) قبل مائة عام أو يزيد، فإنها، في الحقيقة، يعتبرها بعض الأباطيل والخرافات، وهي بذلك ليست موضوعية تماماً، وليس أدلّ على ذلك من ظاهرة التعصب اللساني التي تشي بتضمّن اللسانيات لكثير من النظرات الشعبية. وبذلك فإن اللسانيات المعاصرة، من الناحية الموضوعية، ليست بريئة تماماً سواء في مجرياتها أم منطلقاتها.

كلمات مفتاحية: التعصُّب، البنية العقلية، البنية اللغوية، الموضوعية، العلمية،

اللغة العربية.

Abstract:

This study aims to monitor the manifestations of linguistic bigotry against the Arabic language in Western research circles, and it does not claim that it will discuss every manifestation of this bigotry, as it is sufficient to cite some of them, especially those related to the mutual impact between the structure of the Arabic language and the mental structure of its speakers, and the resulting subjective claims and impressions. The specific manifestations of bigotry in this framework came in three basic claims: First: mental deficiency, secondly: the inability to think honestly and truly, and thirdly: verbal play. The first and second claims relate to the negative impact of the structure of the Arabic language on the mental structure of its speakers, and the third claim relates to the negative impact of the mental structure on the structure of the Arabic language. The study took the analytical descriptive method as a tool to examine these allegations and showed their reasons and hypotheses, and concluded that they are not based in most of them on any sound foundations, but rather they are subjective impressions, which have no value in the balance of scholarship. It thus constitutes a glaring exception in the modern march of a field of knowledge that is feeding the pace to catch up with (scholarly). Linguistics today, even if it claims to have the achieved: (scholarly), as its pioneer (Ferdinand de Saussure) intended for it a hundred or more years ago, it is, in fact, riddled with some falsehoods and myths, and thus it is not completely objective, and the best evidence for that is the phenomenon of linguistic bigotry, which indicates that linguistics includes many popular views. Thus, contemporary linguistics, in some respects, is not completely innocent, either in its processes or its sources.

Key words: Bigotry, mental structure, linguistic structure, objective, scholarly, Arabic language.

المقدمة:

يتطلّب التعقيد غير المتناهي لمسألة تنوع اللغات وتفوق بعضها على بعض فهمًا علميًا أكثر موضوعية، فهناك أحاديث مُقوّلة وأنصاف حقائق مشكوك فيها، لا تزال تُعدّي التعصب اللساني في الجانب المتحضر من العالم، وإذا ما بقي الأمر على هذا النهج فسند أنفسنا مُضطّرين إلى غمغمة لسانية، أو نجد أنفسنا مُجبرين على أن نواصل البحث في مسألة تنوع اللغات مستعملين منظورًا متحيّرًا لتحديد اللغة المثالية من بين جميع اللغات.

واللسانيات اليوم تدفعنا، من وجهة نظر منهجية، إلى نموذج جديد للموضوعية، وإن الموضوعية المطلوبة إلى الآن في العلوم الإنسانية هي موضوعية المعطى، فالمقصود هو قبولها بالكامل. وإن اللسانيات من جهة أولى لتقترح علينا أن تُميّز التنوعات اللغوية، وأن تُصنّف العناصر المميزة لكل نوع منها. وبالاختصار، فإنها تقترح علينا أن نُؤسّس التمييز الخاص بنوع ما، ولا تقترح علينا تقييم النوع نفسه. وإنها لتدعونا، من جهة أخرى، إلى الاعتراف بأن التنوع اللغوي أمر قائم، وعلينا ألا نسمح للتنوع الواسع بين اللغات بالاختفاء خلف مفهوم (اللغة المثالية)؛ تلك اللغة التي حُيِّلت لغةً أساسية، ونُظر إليها بأنها ذات أصل إلهي، فهي اللغة التي تتكلمها القوى الخيرة فوق مستوى البشر كما عند الآلهة أو الملائكة والرسل الإلهية؛ ولذلك فإنها لغة ثابتة وغير قابلة للتغير، وغريزية، ورمزية مطابقة، ومختصرة للغاية ومنطقية وطبيعية. وتُعزى هذه المواصفات نفسها إلى اللغة الأولية، أو لغة الإنسان الأصلية المفترضة، والتي تعدّها معظم الأنظمة الدينية ذات أصل إلهي.

وهناك بالطبع مصاعب جمة تُحيط بمفهوم (اللغة المثالية)، فمن وجهة النظر اللسانية، سيكون من المستحيل الكذب في مثل هذه اللغة؛ لأن الانسجام التام بين اللفظ والواقع سيُعني أنه لا يمكن نطق سوى الأقوال الصحيحة، وأكثر من ذلك، فإنه لا يمكن نطق أي شيء جديد، وإن الأقوال الممكنة كافة ستكون معروفة مسبقًا للمستمعين، أو أن نطق كلمة واحدة سيُعني في واقع الأمر عن

الأقوال الأخرى الممكنة كافة^(١).

وبالإضافة إلى ذلك هنالك إشكالات أخرى يفرضها هذا المفهوم في اللسانيات المعاصرة، لعل من ضمنها أن التمييز بين اللغات وإجراء مفاضلات بينها خارج عن إطار العلم والموضوعية، فإن كان الماضي القريب قد شهد، بشكل ظاهري، اندحارًا كبيرًا للتمييز العرقي، ولم يكن ذلك نتيجة لتطبيق بعض الحجج المعرفية، بل لأسباب عملية؛ أي لما تُحدثه من مآس وويلات، فإنه ليس غريبًا اليوم أن نجد بعض من يتورعون عن تأييد الأفكار غير الناضجة عن الأعراق، لا يزالون يتكلمون بثقة وبفخر عن لغات متحضرة وأخرى بدائية، أو أن يصفوا لغة ما بأنها مرنة وعقلانية، وأخرى بأنها جامدة وحسية.

ومثل هذه الأحكام ليست أحاديث تُدار في المجالس أو المقاهي، بل إنها صادرة عن نقاشات تُقام في ندوات ومجلات علمية تعدُّ نفسها جادة. وقد اعتاد الدرس اللساني على سماع كلام ساذج عن اللغة من قِبَل علماء غير متخصصين في اللغة، ولكن في مسألة التعصب اللساني، فإننا لا نزال نسمع ونقرأ لكثير من اللسانيين المتخصصين الذين تعجُّ كتاباتهم بالعنصرية والتحيز لفصيلة ما من الفصائل اللغوية.

وسيتضح الآن أن بالإمكان الوقوف على مثل هذا التعصب اللساني، وبالذات ذلك التعصب الذي مُورس على اللغة العربية، من قِبَل اللسانيين الغربيين. فهنالك توصيفات سعت إلى تصوير اللغة العربية تصويرًا مختصرًا، وهذا الهدف مقبول؛ ذلك أنه عادة ما يحاول بعض اللسانيين الجادين تحديد تلك الخصائص العامة التي تُتميز اللغات تمييزًا جذريًا، وذلك بالكيفية نفسها التي يُستعمل بها الجنس والسنّ مادة أساسية لتصنيف الناس، فوصف اللغات بأنها:

(١) يُنظر: ليكوك، دونالد وموهيسلر، بيتر: هندسة اللغة (لغات خاصة)، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، ضمن كتاب (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثالث (بعض المظاهر الخاصة باللغة)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٨٥٥.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

إلصاقية في مقابل اللغات المتصرفة، أو أن الترتيب فيها هو: (فاعل - فعل - مفعول) في مقابل (فعل - فاعل - مفعول) ... إلخ، فمثل هذه الأوصاف وغيرها، هي مفاتيح يُنظر إليها على أنها أساسية في تصنيف اللغات وتمييز بعضها من بعض. ونتيجة لذلك فإن تقسيم اللغات إلى أنواع وأصناف تبقى تقسيمات اسمية محضة، ولا تُمثّل سوى وسائل تتعلّق بحاجاتنا وحدود معرفتنا^(١).

وأما الهدف غير المقبول، فهو الهدف الذي يسعى إلى وصف اللغات وتصنيفها ليجعل من ذلك وسيلة علمية خادعة لإعلاء شأن فصيلة لغوية ما، وإلحاق فضائل أخرى، وعادة ما ينتج عن مثل هذه التصنيفات إطلاق أحكام جائرة على اللغات المقصاة، ووصفها بألقاب لا تتفق مع البحث اللساني العلمي أو الجاد.

وبما أن هذه الدراسة قد جاءت لترصد الموقف المتعصب ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، فإنها سترصد بعض النماذج المقولبة عن العربية، وبالذات تلك النماذج المتعلقة بالأثر المتبادل بين بنية اللغة العربية والبنية العقلية للناطقين بها، وما نتج عن ذلك من أحكام منحازة تنسب القصور والعجز إلى كلتا البنيتين. وتجدد الإشارة إلى أن الباحث قد استفاد فائدة كبيرة في رصد تلك النماذج بما جاء في كتاب: (محاسن العربية في المرآة الغربية) لمؤلفه ديفيد جستس^(٢)، والسبب في ذلك

(١) يُقدّم التصنيف النمطي للغات في الحقيقة مشاكل عديدة مثل التجميع الوراثي، ولكن في مثل هذا المستوى يُصبح اختيار المعايير على وجه الخصوص هو الذي يطرح نوعاً من الصعوبة. فإذا كانت نظرية عوملة الخصائص البنوية العامة التي يمكن للأبنية النوعية المحتملة أن تقتصر عليها في النهاية، فإنه من الرصانة ألا نزع ذلك الأمر مسبقاً، وعندها تفقد فكرة تصنيف اللغات على أساس نمطي جزءاً من مضمونها. يُنظر: مالبرج، برتيل: مدخل إلى اللسانيات، ترجمة: السيد عبد الظاهر، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م، ص ٢٨٥.

(٢) يُنظر: جستس، ديفيد: محاسن العربية في المرآة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، ترجمة: حمزة قبالان المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٥هـ.

يعود إلى وقوفه على أكثر المقالات المتحيزة تأثيراً وانتشاراً في دوائر البحث الغربية. وقد استقت الدراسة مُحدّاتها، وهي تبني موضوعها، من اللسانيات المعاصرة، وجعلت من المنجز اللساني في الغرب أداة لدفع مظاهر التعصب ضد العربية، فإن كانت الدعاوى المنحازة منحصرة في دوائر البحث الغربية، فإن الردود في غالبها قد توسّلت أيضاً بالمعطيات العلمية التي أقرتها دوائر البحث نفسها.

ومن الجدير ذكره أن الباحث وهو يتتبع مظاهر التعصب ضد العربية، لم يقف على دراسة عربية استثمرت مظاهر التعصب هذه، ومن هنا كان لزاماً على الباحث أن يفرد هذه الصفحات لمعالجتها ضمن مقارنة محددة نظرياً باللسانيات النظرية، وزمناً بالمبادئ والمناويل النظرية التي سادت خلال فترة القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين.

وبالاتكاء على المنهج الوصفي التحليلي، حاولت الدراسة ضمن أهدافها المتعددة الإجابة عن السؤال الآتي: ما مظاهر التعصب اللساني ضد اللغة العربية، وما موقف اللسانيات العلمية منها؟ فإن استطاعت الدراسة أن تُجيب عن هذا، فإنها ستكون بذلك قد حققت الغاية التي وُضعت من أجلها، والله وليّ التوفيق.

وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة هي مشروع بحثي يحمل الرمز (NU-/SEHRC/10/1071)، ضمن المشاريع البحثية المدعومة للمرحلة العاشرة في جامعة نجران، ولهذا فإنني أتحنن الفرصة لأزجي جزيل الشكر وعظيم الامتنان لوزارة التعليم وعمادة البحث العلمي في جامعة نجران - المملكة العربية السعودية، للدعم المالي والتقني الذي حظيتُ به طيلة إعداد المشروع.

تهديد: تأسيس الثقافة الغربية لظاهرة التعصب اللساني:

ينبغي التنبيه، من البداية، إلى أن الموقف المتعصّب ضد اللغة العربية لم يكن ردّة فعل على تحيّر علماء العربية للغتهم، فمثل هذا التحيّر لا يمكن نفيه، ولكن يمكن وصفه بأنه قليل للغاية، فتحيز كل أمة للغتها هو من الأمور المتوقّعة، فهناك أقوال للعلماء تُشير إلى تفوّق العربية على غيرها من اللغات. ولكن، وللحقيقة، فإن الشعور بتفوّق العربية عادة ما يُوازن بين العربية ولهجاتها، فيُقيم مقارنة بينهما، ويحكم بتميّز العربية الفصيحة بالمنطقية^(١).

ولكن عندما ننظر في ظاهرة التعصب اللساني، ونتساءل عن أصلها ونُسلط الضوء على التفاسير الأيديولوجية التي قدّمتها الثقافة الغربية لها، سوف نجد أنها قد جعلت الثقافة الإسلامية هي المسؤولة عن تأسيس أسطورة تفوّق إحدى اللغات على غيرها، تلك الأسطورة التي تحمل في طياتها أدلة أيديولوجية من شأنها أن تُغذي الصراع بين اللغات. فالمظهر الأيديولوجي لهذه الأسطورة كان له آثاره المستمرة عبر العصور.

فباسم قراءة معينة للقرآن الكريم، طوّرت نظرية عرقية تحاول إثبات تفوّق العربية على غيرها من اللغات. ففي القرآن الكريم إشارات لغوية كثيرة ترجع إلى فكرتين أساسيتين: الفكرة الأولى أن لغة القرآن؛ أي لغة النص الذي أنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - هي العربية الفصيحة^(٢). والفكرة الأساسية الثانية هي أن الأسلوب

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٤٩، ٥٠.

(٢) لقد قيّض للغة القرآن أن تحفظ العربية في صورتها النموذجية الصرفة، وعُدّ أي انحراف عن هذه الصورة دليلاً على البُعد عن نخب الفصاحة والبلاغة، ومن ثمّ لم يحدث أن تطوّرت اللهجات الدارجة المتولدة عن العربية النموذجية إلى درجة تصل فيها إلى مستوى لغات منفصلة ومعترف بها كما هي الحال في اللغات المنحدرة من اللاتينية أو السنسكريتية أو الماندارينية. فكل لغة عادة ما تتكوّن في ذاتها من عدد من اللهجات المحلية، وهي غالباً ما تكون مختلفة إلى درجة قد يصعب معها بالنسبة إلى مستعملي إحداها أن يفهموا أولئك

القرآني هو أسلوب مُعجَز، والآيات التي يظهر فيها تأكيد هذا الإعجاز كثيرة، فالنص القرآني ليس من اختراع البشر، وإنما أنزله الله على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فليس بمقدور أحد أن يأتي بمثله.

وترى هذه القراءة أنه في أدب الرؤى وفي الاتجاه الإسلامي العام تأكيد بأن العربية لغة آدم، وهي أيضًا لغة الجنة، وحين عصى آدم ربّه جعل الله السريانية لغة له. فكان العقاب الأعظم هو حرمان الإنسان العاصي من لغته العربية. وفي الاتجاه الإسلامي العام فكرة مؤداها أنه لا يمكن للغة أخرى أن تتفوق على العربية في الفصاحة وفي الشعر؛ ذلك أن نظرية إعجاز القرآن تتجاوز إلى حدّ كبير الدليل الذي ذُكر، والذي يبتغي إثبات حقيقة الأصل الإلهي للنص القرآني. فلئن كان البلاغيون العرب الأوائل قد أخذوا على أنفسهم عمومًا إثبات أصالة القرآن ومصدره الإلهي، عن طريق الأدلة اللغوية، فإن مشروعهم ما لبث أن تجاوز حدوده الأصلية الدينية ليُعبر عن رهان اجتماعي قديم.

وأما مراحل هذا المسعى فهي على هذا النحو: يُثبت في المرحلة الأولى أن النص القرآني نص إلهي؛ لأنه مُعجَز، والدليل عليه، موجود في القرآن نفسه. ثم يُبين في مرحلة ثانية أن الفصاحة الإلهية مرتبطة باللغة العربية التي يستغل النص المقدس إمكاناتها أحسن استغلال، مصداقًا للآية الكريمة: "بلسان عربي مبين" (سورة الشعراء: ١٩٥). ومن جهة أخرى، لا يمكن لأحد أن يزعم أنه يستطيع في أي لغة أخرى أن يفعل ما عجز العرب عن فعله؛ أي تجاوز القرآن في فصاحته. وهكذا يستتبع إعجاز القرآن تفوق اللغة العربية نفسها؛ لأنه إن كان العربي الفصيح لا يستطيع أن يُباري النص القرآني، فستكون اللغات

=

الذين يستعملون لهجة أخرى. يُنظر: دو سوان، أبرام: كلمات العالم (منظومة اللغات الكونية)، ترجمة: صديق محمد جوهر، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠١١م، ص ١٤٠، ١٤١؛ ديكرو، أوزوالد وسشايفر، جان ماري: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ١٢٨.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

الأخرى والمتكلمون بما حُلف ذلك بكثير.

ووفقاً لهذه القراءة، فقد نتج عن ذلك نشوء نظرية تجعل الفصاحة سمة من سمات العرب، فالعربية هي لغة الله، وهي إذًا لغة كاملة، والعرب يتكلمون لغة الله، فهم إذًا شعب مختار، والعربي أفصح الناس، لا يفوق كلامه، فصاحةً، إلا الكلام الإلهي، والعربي أمير الفصاحة والشعر. فليس في الأصل إلا لغة واحدة هي العربية: لغة الله، ولغة آدم، ولغة الجنّة^(١).

وفي حقيقة الأمر، إن المسألة بخلاف ذلك، وما قيل سابقاً ليس سوى محض افتراء، سواء أتعلق الأمر بتأسيس الثقافة الإسلامية لظاهرة التعصب اللساني، أم الادّعاء بأن الاتجاه الإسلامي العام يرى أن العربية تتفوّق على جميع اللغات. فليس في القرآن الكريم ما يُشير إلى ذلك أو يؤكّده، فهذا ابن حزم يقول: وقد توهّم قوم في لغتهم أنّها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له؛ لأن وجوه الفضل معروفة، وإنما هي بعمل أو اختصاص، ولا عمل للغة، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة، وقد قال تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيّن لهم" (سورة إبراهيم: ٤)، وقال تعالى: "فإنّما يسرّناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون" (سورة مريم: ٩٧). فأخبر تعالى أنه لم يُنزل القرآن بلغة العرب إلا ليفهم ذلك قومه عليه السلام لا لغير ذلك.

وقد غلط في ذلك جالينوس (١٢٩ - ٢١٦م)، فقال: إن لغة اليونانيين أفضل اللغات؛ لأن سائر اللغات إنّما هي تُشبهه: إمّا تُباح الكلب أو نقيق الضفادع. وهذا جهل شديد؛ لأن كل سامع لغة ليست لغته، ولا يفهمها، فهي عنده في النصاب الذي ذكر جالينوس ولا فرق. وقد قال قوم: العربية أفضل اللغات؛ لأنه بها نزل كلام الله تعالى. وهذا لا معنى له؛ لأن الله عزّ وجلّ قد أخبرنا أنه لم يُرسل رسولاً إلا بلسان قومه، وقال تعالى: "وإنّ من أمة إلا خلا فيها نذير"، (سورة فاطر: ٢٤)، وقال تعالى: "وإنه لفي زير الأولين" (سورة الشعراء: ١٩٦). فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى

(١) يُنظر: كالفي، لويس جان: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة

العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ٦١ - ٧٦.

ووحيه، وقد أنزل التوراة والإنجيل والزيور وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية. وأنزل الصحف على إبراهيم عليه السلام بالسريانية، فتساوت اللغات في هذا تساوياً واحداً. وأما لغة أهل الجنة وأهل النار، فلا علم عندنا إلا ما جاء في النص والإجماع. ولا نص ولا إجماع في ذلك، إلا أنه لا بد لهم من لغة يتكلمون بها ضرورة، ولا يخلو ذلك من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها: إما أن تكون لهم لغة واحدة من اللغات القائمة بيننا الآن، وإما أن تكون لهم لغة غير جميع هذه اللغات، وإما أن تكون لهم لغات شتى. لكن هذه المحاورة التي وصفها الله تعالى توجب القطع بأنهم يتفاهمون بلغة، إما بالعربية المختلفة في القرآن عنهم، أو بغيرها مما الله تعالى أعلم به، وقد ادعى بعضهم أن اللغة العربية هي لغتهم واحتج بقول الله عز وجل: "وآخر دعوانهم أن الحمد لله رب العالمين" (سورة يونس: ١٠). وبذلك يمكن أن يقال إنها لغة أهل النار أيضاً لقوله تعالى عنهم أنهم قالوا: "سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص" (سورة إبراهيم: ٢١)، ولأنهم قالوا: "أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله" (سورة الأعراف: ٥٠)، ولأنهم قالوا: "لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير" (سورة الملك: ١٠).

ولو أن اللغة العربية هي لغة أهل الجنة ولغة أهل النار، فإن ذلك يقضي بأن موسى وجميع الأنبياء عليهم السلام كانت لغتهم العربية؛ لأن كلامهم محكي في القرآن عنهم بالعربية، وهذا ما لا يُصدِّقه القرآن الكريم؛ لقوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليُبَيِّنَ لهم" (سورة إبراهيم: ٤). فصحَّ أن الله تعالى إنما يحكي لنا معاني كلام كل قائل في لغته باللغة التي بها نتفاهم ليُبَيِّنَ لنا عز وجل فقط، وحروف الهجاء واحدة لا تفاضل بينها ولا قُبْح، ولا حُسْن في بعضها دون بعض، وهي تلك بأعيانها في كل لغة، فبطلت هذه الدعاوى الزائغة الهجينة وباللغة تعالى التوفيق^(١).

(١) يُنظَر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٣٣ - ٣٥؛ ابن حزم، أبو محمد =

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

وإن اللغة العربية التي تُمثّلها المادة الضخمة التي بين أيدينا اليوم هي لسان التنوع العرقي الإسلامي العظيم، الذي كان نتيجة للتوسع الإسلامي، وهي التي تُمثّل أعظم تجاوز للنسب والمكان الخالصين، ويجب أن تُنبذ أي محاولة يُقصد منها استخلاص أي شيء عن العرب من اللغة العربية، ولا سيما أننا لا نملك إلا قدرًا محدودًا من الأدلة اللغوية الموثوق بها، التي تعود إلى الفترة التي كانت هذه اللغة خلالها مقصورة على عرق متجانس تقريبًا؛ أي فترة (الجاهلية) حين كان البدو المنعزلون في جزيرتهم مجردين من أي رسالة عالمية كبرى^(١).

فاللغة العربية قد امتدّت خطوطها عبر الشمال الأفريقي إلى الطرف الجنوبي من إسبانيا، متخللة الشاطئ الشرق أفريقي، متوغلة في عمق آسيا الوسطى. فهذه اللغة المنحدرة من شبه الجزيرة العربية قد انتشرت برًّا عن طريق الفتوحات والتجارة. وعلاوة على ذلك فقد فاقت غيرها من اللغات في الانتشار بحرًا بسبب اعتناق الشعوب للإسلام.

وهكذا فقد غطت اللغة العربية العالم الإسلامي بصورة تكاد تكون شاملة، فهي لغة الحديث الأولى في شمال أفريقيا وفي الشرق الأوسط، وفي ما سوى ذلك أدامت التنافس مع لغات مركزية عظمى، وقبعت في الأعم منحصرة في المجال الديني في شبه القارة الهندية وفي جنوب شرق آسيا وفي أجزاء من جنوب الصحراء الأفريقية. وفي عهد قريب نسبيًا، جلب المهاجرون المسلمون اللغة العربية معهم إلى أوروبا، كلغة شعائر، وكلغة منزلية أيضًا بالنسبة إلى كثير من مسلمي الشمال الأفريقي. ومن الجدير بالذكر أن التمدد الشاسع للغة العربية هو ما تبقى من أثر

علي بن أحمد: "نقض تفاضل اللغات"، ضمن كتاب (اللغة: دفاتر فلسفية)، إعداد وترجمة:

محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، الدار البيضاء، دار توبقال، ط ٤، ٢٠٠٥م، ص ٦٠.

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٣٨٤.

سلسلة متوالية وطويلة من الفتوحات الإسلامية. وفي الحقيقة فإن محاولة إقصاء اللغة العربية؛ كي تتحوّل إلى لغة دينية يقتصر دورها على القيام بوظائف شعائرية يكشف عن السطوة المتنامية للقوى الغربية^(١).

فاللغة العربية، بوصفها لغة دين عالمي، تقتضي أن تكون لغة حضارة وعلم وتعليم وتأليف، استوعبت جميع المعارف الدينية والدنيوية، منذ ما يزيد على ألف سنة ونيف، بمختلف أنواعها وبيئاتها وأجناسها. وبهذا المفهوم الواسع فإن اللغة العربية أصبحت لغة دينية منذ أن نزل بها الوحي الأمين، فانتقلت به من القومية إلى اللغة الدينية، كما انتقل به العرب من المحلية المغرقة في الانعزال إلى العالمية، عندما أصبحوا مسؤولين عن حمل هذا الدين وإبلاغه. وعندما يتقرر ذلك، فإن اللغة العربية تكون هي اللغة الجامعة لمختلف ثقافات شعوب العالم الإسلامي وأجناسه.

ومهما يكن من أمر، فإن الأصول الأولى لظاهرة التعصب اللساني سابقة للإسلام، فهي موجودة في الثقافة الغربية منذ زمن الإغريق، فالغرباء هم (برابرة) عند أهل أثينا؛ لأنهم لا يتكلمون الإغريقية. ويمكن أن نتصوّر أن الناس حتى قبل ذلك الزمن كانوا دائماً، في مواجهة الاختلاف اللغوي، ميّالين إلى السخرية من عادات الآخرين، وإلى اعتبار أن لغتهم هم هي الأجمل، وهي الأنجع، وهي الأدق؛ أي أنهم كانوا دائماً ميّالين إلى تحويل اختلاف الآخر إلى نقصان فيه؛ لأن من الطبيعي أن يكون الآخر دائماً هو صاحب الاختلاف، فما دُمت لا تتكلم مثلي، فإذا أنت تتكلم بصورة مضحكة.

كان من الممكن أن نتخيّل هذا كله، وأن نحلم بعلم لحرب لغوية في ما قبل التاريخ، ولكن النظر في واقع الثقافة الغربية يُبعدنا عن مثل هذه التخيلات؛ لكونه يُقدّم الوثائق الأولى لظاهرة التعصب اللساني، كما نجدها في الثقافة الإغريقية وخصوصاً عند أفلاطون في كتابه (كراتيلوس)، فهو يورد على لسان سقراط حديثاً

(١) يُنظر: دو سوان: كلمات العالم (منظومة اللغات الكونية)، ص ٢٦، ٣٩.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

عن احتواء اللغة الإغريقية لكلمات ذات أصل أجنبي، حيث يرى سقراط أن اليونانيين وخصوصًا الذين كانوا تحت سيطرة البرابرة، غالبًا ما استعاروا منهم ألفاظًا^(١). فمع أنه يبدو لنا واضحًا أنه لا يمكن إلا أن تكون قد وقعت نزاعات من هذا القبيل، إلا أنه من واجبنا أن نكتفي بالآثار التاريخية التي خلفتها إدارة شؤون الاختلاف في الثقافة الغربية التي تُقدّم مصادر على هذا الصعيد لا تمضي بعيدًا.

ففي اليونان القديمة برزت معاملة خاصة للآخر من خلال تأثيل كلمة لا تزال حيّة في اللغات الحديثة، وهي كلمة: (البرابرة). فقد وجد الإغريق وسيلة مريحة لتصنيف العالم، فصنّفوا كل من لا يتكلم اللغة الإغريقية؛ أي (الغرباء)، في صنف البرابرة المتوحشين، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، فقد استعار الرومان من الإغريق هذه اللفظة بمعناها؛ أي: (الغريب)، غير أن ترجمتها بـ(الغريب) تُحمل جانبًا مهمًا من المعنى؛ لأن لفظ (البرابرة) كان يعني من الوجهة التأثيلية التي تهتم بإعادة الكلمة إلى أصولها: من لا يتكلم؛ لأنه لا يتكلم الإغريقية، ولا يستطيع أن يُصدر إلا صوتًا هو أشبه بالضجيج منه بالكلام، أو غمغمة، أو قرقرة؛ أي باختصار شيئًا يمكن أن يكون، على سبيل السخرية، محاكاة لصوت من أصوات الطبيعة، مبني على تكرار مقطع يشبه صوته صوت الأطفال: (بِرْ) (بِرْ)؛ مما يُعطي (بِرْبِرْسوس).

وسوف تأخذ اللغات الرومانية هذا اللفظ بهذا المعنى. فأحد المعاجم الفرنسية في القرن الرابع عشر جاء فيه: (البرابرة) هم كل من كانت لغتهم غريبة. وفي القرن الخامس عشر، جاء في كتاب عن نحو اللغة الإسبانية: "(البرابرة) هي عيب لا يمكن التسامح معه في جزء من الجملة، ويُسمّى هذا العيب بربرة؛ لأن الإغريق كانوا يُسمّون كل الشعوب (برابرة) باستثناءهم هم. وقد سمّى اللاتينيون بدورهم (برابرة) كل الشعوب الأخرى باستثناءهم هم والإغريق. ولأن الغرباء الذين كانوا يُسمّونهم (برابرة)، كانوا يُفسدون عليهم لغتهم، حين كانوا يُريدون التكلم بها، فقد سمّوا: (بربرة) العيب

(١) يُنظر: أفلاطون، محاوراة كراتيليوس (في فلسفة اللغة)، ترجمة: عزمي طه السيد أحمد، عمان،

منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٥م، ص ١٤٣، ١٤٤.

الذي يقع في كلمة من كلامهم. ويمكن أن تُسمّى (برابرة) جميع الغرباء عن لغتنا باستثناء اللاتين والإغريق^(١).

يظهر في هذا الاستشهاد أنه حتى وإن اتسعت رقعة غير البرابرة اتساعاً تدريجياً - يعطي مشروعية للاتينية بعد الإغريقية، ثمّ للإسبانية التي تُصبح في عداد اللغات المشروعة - فإن مفهوم البربرة في أصله مفهوم عرقي لتمييز اللغة الإغريقية. فالتاريخ الغربي يعج بعبارات تدل على عدم تقدير لغة الآخر، منذ زمن الإغريق إلى وقتنا المعاصر، ومثال ذلك في الإنجليزية والفرنسية عبارات يمكن ترجمتها بما يلي: (قُل كلامًا أبيض)؛ أي كلامًا صادقًا ذا قيمة، و(توقّف عن الرطانة)؛ أي عن الكلام السخيف. (ما هذا الخليط العربي؟)؛ أي هذا الحديث المشوش المتنافر... إلخ.

إن إطلاق اسم (البرابرة) على الغرباء لا يمكن إلا أن يكون مصدره النظرة الشعبية للخلاف اللغوي، فكل من لا نفهمه ولا يفهمنا هو مدعاة دائماً للسخرية أكثر منّا، بل إننا نجد صدقاً لهذا التحقير عند من تُسمّيه في أيامنا بالمتقفين^(٢).

وأما في الثقافة العربية فإن مصطلح (البربري) لا يتعلق بنعت سلمي أو عنصري يُمكن إطلاقه وفقاً لمعايير غير علمية على بعض اللغات، وإنما وروده قديماً وحديثاً جاء تسمية لمجموعة من اللغات واللهجات المتعلّقة بالتمركز الأساسي للناطقين باللغات البربرية في الجزائر والمغرب بشكل خاص، وهم الذين عناهم ابن حزم في قوله: "وإذا تعرّب البربري، فأراد أن يقول: (الشجرة)، قال: (السجرة)"^(٣). وقد جاء ذلك في معرض حديثه عن تبديل العامّة في زمانه لألفاظ اللغة العربية في الأندلس وقرطبة والقيروان وخراسان، وبذلك فإن ورود هذا المصطلح في الثقافة العربية يتعلّق بتلك الجماعة اللغوية التي تقطن تلك البقعة

(١) كالفني: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص ١٠٢.

(٢) يُنظر: كالفني: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص ٦٥، ٦٦، ص ١٠١ - ١٠٣.

(٣) ابن حزم: الأحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٣١، ٣٢.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

الجغرافية المحددة، ولا يمكن أن يشي بأي صبغة سلبية أو عنصرية.

وأما عتبة التعصب اللساني الغربي في العصر الحديث فإنها تعود إلى القرن التاسع عشر، فمع ازدياد قوة الحجّة التي قدّمها القياس على علم الأحياء، ازدادت أهمية الاعتقاد بوجود جهة للتطور في وضع النظريات اللغوية. ومن فروع النظرية التي تقول بوجود جهة للتطور اللغوي، فرع ينص على إمكانية تصنيف اللغات في عدد صغير من الأنواع، وهي في العادة، وفقاً لهذا النموذج الثلاثي الذي اقترحه الإخوان شليجيل وشلايخر على النحو الآتي^(١):

١. اللغات العازلة: وفيها تتألف الكلمة من جذر جامد، حيث تُركّب الجملة من كلمات لا تتغير، وهذه الكلمات ذات مقطع واحد، لها علاقات محددة بترتيبها، ولكن دون مادة صرفية، وكثيراً ما يُضرب المثل على هذا النوع من اللغات بالصينية والفيتنامية.

٢. اللغات اللاصقة: وفيها تحتوي الكلمات على لواحق بالإضافة إلى الجذر مع وضوح تقسيم الكلمة إلى جذر ولواحق، فلكل منها معنى دقيق للغاية وقابل للتعين، ويُضرب المثل على هذا النوع من اللغات بالتركية واللغة اليابانية.

٣. اللغات المتصرفة: وفي هذه اللغات تشتمل الكلمة الواحدة على عدد من وحدات المعاني، فتركّب الجملة من كلمات تتغير، وتُعبّر التغيرات الداخلية فيها؛ أي الإعراب والتصريف، عن العلاقات المختلفة. وتندرج لغات أوروبية جمّة في عداد اللغات المتصرفة، ولكن بدرجات متفاوتة، فتتصف اللغة اللاتينية بطابعها المتصرف للغاية، في حين تُعد الفرنسية لغة متصرفة أقل بكثير^(٢).

والهدف من الأصناف الثلاثة هو استعمالها كنماذج مثالية للغات مع الاعتراف بأن اللغات الحقيقية تتوزع ضمن حدود هذا التقسيم. وقد أُقيمت براهين عديدة على

(١) يُنظر: سامسون، جفري: مدارس اللسانيات (التسابق والتطور)، ترجمة: محمد زياد كبة،

جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٧هـ، ص ١١.

(٢) يُنظر: مالبرج: مدخل إلى اللسانيات، ص ٢٨٥.

أن تصنيف اللغات على أساس نمطي بنيوي، يُعدُّ أمرًا ممكنًا في البداية، إلا أنه صعب التحقيق تفصيلًا في الوقت نفسه، ويُصبح في حالات عديدة أمرًا تعسفيًا^(١).

ولا تكمن المشكلة هنا في هذا التصنيف أو غيره، ولكن في إسقاط كل نوع منه على سُلَّم طبقات التطور الحضاري والفكري، كأن يُقال مثلاً: إن اللغات العازلة تتطابق مع المرحلة الأسرية، واللغات اللاصقة مع مرحلة البداوة، واللغات المتصرفة مع المرحلة السياسية للمجتمعات^(٢). فقد كان ميدان البحث اللساني في ذلك الوقت يخضع لنظرية ترى أن اللغات تمر بحالات ثلاث على التتابع: حالة العزل، وحالة الإلصاق، وحالة التصريف. وكان من المسلّم به أن كل لغة من اللغات المعروفة كانت على إحدى هذه الحالات الثلاث وفقًا لمرحلة التطور التي تمر بها. ومعنى ذلك أن هذه النظرية كانت تسعى إلى حصر التقدم اللغوي في النظام الصرفي^(٣).

وقد كان الرومانسيون الألمان من علماء اللسانيات يُلاحظون منذ ذلك العصر ميزة اللغات الكبرى في الغرب، وهي كلها مُتصرفة. وبحلول منتصف القرن التاسع عشر، ادعى شلايخر (١٨٤٨م) أن تاريخ اللغات القديم يشتمل على تطور منتظم من العزل إلى اللصق ومن ثم إلى التصريف، وأن هذا هو تطور من النقص نحو الكمال. وهنا يذهب شلايخر إلى أن تطور اللغة واكب في أغلب الظن تطور الفكر، حيث وصلت اللغة مع الفكر حد الكمال^(٤).

ولكن حتى في تلك الآونة كان من الشاق التوفيق بين هذه الفرضية ووجود اللغة الصينية؛ إذ كان من العسير القول إن لغة كونفوشيوس (٥٥١ - ٤٧٩ ق.م)

(١) يُنظر: مالبرج: مدخل إلى اللسانيات، ص ٢٨٦.

(٢) يُنظر: موانان، جورج: علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة: نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٢م، ص ٢٤٢.

(٣) يُنظر: فندريس، جوزيف: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص ٤٢٣.

(٤) يُنظر: سامسون: مدارس اللسانيات، ص ١٢.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

كانت اللغة الأكثر تحلّفًا في تاريخ البشرية!^(١) وهكذا ثمة اعتراضات واضحة ومهمة على هذا، فلو أن شعبًا يمثل ذكاء الشعب الصيني يمكنه أن يتدبّر أمره بلغة كانت، على الأقل في مرحلة التأريخ، مغرقة في العزل تقريبًا، فمن أين لنا أن نعلم بحاجة الإنسان إلى تطوير لغات متصرفة لكي يُحقّق قدراته الفكرية؟ وإلى أي مدى نستطيع أن ندمج اللسانيات بعلم الأحياء، إذا كان تاريخ اللغات المكتوب لا يُبيّن سوى التراجع بدلًا من التقدم^(٢). ونتيجة لذلك لا يوافق كل من ناقش تصنيف اللغات على أن اللغات المتصرفة كانت في الواقع (أفضل) أو (أسمى) من اللغات العازلة.

مظاهر التعصّب اللساني ضد العربية:

للتوسّع في ظاهرة التعصّب اللساني سوف نستقصي جانبًا من مظاهرها التي مُورست ضد اللغة العربية في الأوساط الغربية، وسنركّز الدراسة هنا على الدعاوى المتعلقة بالأثر المتبادل للبنية العقلية على البنية اللغوية والعكس. وهدف الدراسة في كلا المنحيين هو دفع تلك الدعاوى بموضوعية علمية مُبنية على أحدث المناهج التي توصلت إليها الاتجاهات اللسانية المعاصرة في الغرب. وإن كان لبعض هذه الدعاوى حظ من المصادقية، فسنبين أن ذلك لا يصم اللغة العربية وحدها؛ إذ إن لها مشابهاً أساسية في اللغات الأوروبية المعروفة. فهنالك مجموع نموذجي متوسط للغات قد يجعل من بعضها مرآة للأخرى، وحافز محاولة التقريب هذه هو أن الصورة النمطية للعربية كثيراً ما تتعرض لسوء فهم كبير.

ويجب التنبيه إلى أن مثل هذه المزاعم، التي سنرصدها الآن تباعاً، قد جاءت متفرقة في كتب الباحثين الغربيين ودراساتهم، ومن الغريب أن يعتمد كثير من الباحثين إلى الحكم على اللغة العربية بناء على جزئية واحدة يرون فيها مظهرًا من مظاهر عدم كمالها، ففكرة الكمال لا يمكن تبريرها، إذا أردنا تطبيقها على جزء واحد من أجزاء

(١) يُنظر: بيك، باسكال وآخرون: أجمّل قصة عن اللغة، ترجمة: ريتا خاطر، المنظمة العربية

للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٣٠.

(٢) يُنظر: سامسون: مدارس اللسانيات، ص ١٣.

اللغة، كالأصوات مثلاً أو التراكيب النحوية أو الصرفية. فبعض اللغات تمتاز عن بعضها الآخر بالانسجام والعدوبة، ويمتاز بعضها عن غيره بسهولة النطق. ومع ذلك فإن تقدير هذه المزايا يرجع إلى حدّ كبير إلى الذوق الشخصي، ومن ثم يدخل في المناقشة عنصر ذاتي من شأنه أن يُزيّف المسألة من أساسها^(١).

(١) يُنظر: فندريس: اللغة، ص ٤٢٢.

المبحث الأول: القصور العقلي:

تُتهم العربية، في جانب من النقد الموجّه إليها، بأن لها تأثيراً على نفسية العربي، ويتمحور ذلك الجانب حول عدد من الأحكام اللاذعة التي تسمها بأنها قاصرة وتؤدي إلى شلّ فكر مُتكلّمها^(١). وهذه الأحكام في حقيقة الأمر مختصرة، وتقوم على احتجاج ضعيف، ربما لا يستحق أن يؤخذ على محمل الجد أو أن يُسجّل ضده أي ردود، بله أن نصيّد أي قصور عقلي قد يجده المرء بسبب من وجودها. ولكن بما أنها تُمثّل حالة معاصرة مدهشة للمعالجة التي تنظر إلى اللغة كأنها سجن، وتتسم بافتراض بعض العلاقات التي تبدو واضحة بشكل كاف؛ مما يجزّض على تصديقها. فعمق انفصام الشخصية العلمية المتزايد في بعض دوائر البحث يجعلها تأخذ طابع المسلمات التي يصعب هزّها، وسنذكر الآن بعض النقاط التي انبنى عليها هذا النقد الجائر:

أ. اللبس وغموض المعنى: يُشير (ي. شوي) إلى أن هنالك غموضاً عاماً في الكلمات والجمل العربية، ولهذا الأمر انعكاس على ذكاء العربي، فالملاحظون المثقفون من الأجانب في الأقطار العربية لا يفهمون السبب الذي يجعل العربي الذي يبدو على مستوى عالٍ من الذكاء في مجال تخصصه لا يُبين عن مثل هذا المستوى من الذكاء فيما يخصّ الحقول المجاورة أو الحقول الأخرى عموماً. وهكذا فإن غموض العربية أمر لا يمكن للفرد أن يتعلّب عليه إلا بالتدريب المتخصص وحده، بل لا يمكن أن يتجلّى إلا في ذلك المجال الدقيق الذي تُخصّص فيه.

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٥٩. يتضمّن مقال (ي. شوي): "تأثير اللغة العربية على نفسية العرب" عدداً من الأحكام اللاذعة المختصرة. ونُشر هذا المقال أول مرة في مجلة الشرق الأوسط في سنة ١٩٥١، وبما أنه كان يبدو مؤثراً، أو مثيراً في الأقل، فقد أُعيد نشره عام ١٩٧٠ في كتاب يحوي مجموعة من المقالات، حرّره عبد الله لطيفة وتشارلز تشرشل، بعنوان: "قراءات في المجتمعات والثقافات العربية في الشرق الأوسط". وقد استنكر إدوارد سعيد هذا المقال استنكاراً شديداً، ولكنه لم يدحضه في الحقيقة.

وبحسب هذا الادّعاء، فهذه مشكلة مألوفة لدى العرب، وذلك لأسباب منها: أولاً: الغموض الأصلي للمعنى الذي لا تزال الكلمات تُحافظ عليه، وثانياً: تراكم المعاني عبر قرون من الاستعمال الكتابي، وثالثاً: تفاعل الكُتّاب والبلدان العربية مع التأثيرات الخارجية بصورة مختلفة. أما النقطة الأولى، فلا تزيد عن كونها افتراضاً، بل هي أمر مشكوك فيه، خاصة حين نلتفت إلى ما نعرفه عن التغيّر الدلالي. وأما التراكم التعاقبي نفسه فينتج عنه بعض الدقة التي لا تتحوّل إلى غموض، إلا إذا انحلت الثقافة الأدبية نفسها، فتتضمن الكلمة الواحدة علاقات بالغة الدقة من المعاني المتقاربة، لكن المتكلم المتوسط لا يستطيع أن يلحظ أي فروق دقيقة بينها، فيستعملها بوصفها كلمة واحدة لها معنى واحد. وأما النقطة الثالثة، أي التشرّد، فيمكن القول: إنها ليست إلا ادّعاءً مختصراً عن العربية الأدبية المعاصرة في تقابلها مع العربية في عصور الازدهار العربي؛ إذ كانت اللغة العربية، على الرغم من امتدادها من البرتغال إلى أواسط آسيا، لغةً موحّدة بشكل يُثير الإعجاب^(١).

ب. القصور التركيبي: يتمثّل القصور التركيبي للغة العربية من وجهة نظر

الباحثين الغربيين في ناحيتين^(٢):

أولاً: بُعد البنى التركيبية عن البنى العقلية: لقد فصل الباحثون بين وظيفيّ اللغة: التواصلية والتمثيلية، وزعم فريدريك همبولت (١٧٦٧ - ١٨٣٥م) أن التمثيل، الذي هو نوع من المحاكاة المادية للفكر، هو الوظيفة الأساسية للغة في تاريخ الإنسانية. فاللغة لديه ليست أداة للتواصل فقط، ولكنها تعبير عن العقل وعن متصور المتكلمين للعالم، فالعيش في مجتمع ما يُعدّ مساعداً لا غنى عنه لتطورها، ولكنه ليس الهدف الذي تميل إليه على الإطلاق. فجهود العقل وحده يُمثّل ذاته بذاته

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٥٩ - ٦١.

(٢) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٦١.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

وينتمي إلى جوهر اللسان، وأما التواصل فليس سوى وظيفة ثانوية^(١). ولذلك يرى هبولت أنه لفهم العلاقة المتبادلة بين اللغة والعقل، ومن ثمّ معرفة القدرة الفكرية لدى الشعوب التي أوجدتها، لا بد أن يُكشَف، عند النظر في أي لغة، عن بنية معينة من بين جميع البنى، تكون أكثر انسجامًا مع أهداف اللغة التمثيلية، وبذلك نستطيع أن نزن فضائل كل لغة، وعلينا أن نعترف أن واحدة من هذه اللغات تزداد حيوية بمبدأ النمو الذهني النافع جدًّا.

وهكذا يجد هبولت ما يُسوّغ له وضع معيار يحكم به على محاسن اللغات ومساوئها الموجودة وفقًا للدرجة التي تقترب بها تلك اللغات من البنية التركيبية التي تعكس البنية العقلية بأصدق صورة، ولما ظهر له أن تلك البنية أفضل في لغة منها في لغة أخرى، فإنه استطاع أن يحكم بأن تلك البنية تمتاز في اللغة السنسكريتية عمّا في اللغة الصينية، وهي أفضل في اللغة اليونانية منها في اللغة العربية، وذلك، بحسب قوله، ما لا يمكن معارضته لدى الباحث النزيه^(٢). إنّ من الجائز أن تكون اللغة والعقلية نتاجًا لأسباب واحدة، وأن تكون المميزات التي تُميّزها واحدة دون أن يترتّب على ذلك صدور إحدهما من الأخرى. فإذا كانت اللغة علامة مميزة لصورة من صور التفكير، فإنه من الممكن أن نصل بتحليل مقارن للغات إلى سيكولوجية للأجناس.

هذه هي الفكرة التي ينطلق منها هبولت، وفي بدايات القرن العشرين عاد علماء اللغة إليها محاولين تكميلها، وفي رأيهم أنه لا يجب علينا أن ننظر إلى اللغات إلا بوصفها آثارًا مُعبّرة عن عقلية الشعوب. وأن اللغات ليست إلا تصويرات، لا تُقدّم أمام عين العالم السيكولوجي أي حقيقة واقعية ملموسة. وإن من الخداع لأنفسنا أن ندرسها على أنها حقائق واقعة؛ إذ يجب أن تُطبّق عليها طريقة ذاتية محضة بألا

(١) يُنظر: ديكرو: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ٦٨٩.

(٢) يُنظر: هاريس، روي وتيلر، تولبيت: أعلام الفكر اللغوي (التقليد الغربي من سقراط إلى

سوسير)، تعريب: أحمد شاكر الكلاي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ٢٠٠٤م،

ص ٢٢٤، ٢٢٥.

نبدأ من اللغة التي ليست إلا نتيجة، بل من العقل الذي يخلق اللغة. هذه الطريقة، من وجهة النظر هذه، خير الطرائق لدراسة بعض نتاج النشاط النفساني كالمعتقدات الشعبية، وهي نفس الطريقة المتبعة في دراسة الخوف أو الحلم أو الإيمان. وها نحن أولاء بهذا الرأي قد ابتعدنا عن علم اللغة.

ولكن يمكن أن نجيب همبولت ومن بنى على فكرته، بأن اللغة حقيقة واقعة مهما كانت الحال. فاللغة بصوتياتها وبكياتها الصرفي لها وجود خاص مستقل عن استعدادات المتكلم النفسية، واللغة تفرض نفسها عليه في صورة نظام قد أُعِدَّ من قبل، في هيئة آلة وُضعت في يده. وهو يستعملها لغايات شتى: فيستعملها في حاجات سوقية أو يستخرج منها آثاراً تدلّ على الحدق وتدعو إلى الإعجاب. ولكنها في كل الحالات آلة واحدة بعينها، ومهمّة اللساني هي بالضبط أن يدرس ما في هذه الآلة من جوهري ودائم.

ومن ثمّ كانت الطريقة الموضوعية صالحة للتطبيق في علم اللغة تمام الصلاحية، واللغة في وسعها أن تُدرّس مستقلة عن العقلية. فضلاً عن ذلك فليس من المؤكد أن الأسباب التي تؤثر على اللغة تُحدث في العقلية آثاراً مماثلة. فالأجزاء الجوهرية الدائمة في اللغة تتحوّل وفقاً لقواعد ليس للعقلية فيها أي نصيب. وهذا بالذات هو ما أدّى إلى الافتراض بأن اللغة حياة مستقلة عن كل حياة نفسية أو فسيولوجية أو اجتماعية. والواقع أن الفروق التي نلاحظها في فترة ما من التاريخ بين لغتي شعبيين، حتى ولو كانتا من أصل واحد، يمكن تفسيرها بظواهر لغوية خاصة بتطور كل واحدة من اللغتين، وبالتالي لا تسمح لنا بحال أن نصدر حكماً ما على عقلية الشعبين^(١).

ثانياً: صرامة نحو اللغة العربية وصرافها: يرى (شويبي) أنه حين تُقارن العربية بالإنجليزية أو الألمانية، وهما لغتان تتميزان بكثرة قواعد التحويل والدمج والجمل المعترضة، لا تبدو العربية غنية بأنواع الجمل. وأما النحو الذي يُعبّر عن الأفكار في

(١) يُظنّ: فندريس: اللغة، ص ٢٩٩، ٣٠٠.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

العادة بوسائل شبه معجمية، فيمكن أن يكون أكثر صعوبة، فقد تغلّبت الإنجليزية على فقرها الاشتقاقي بتطوير النحت تطويراً كبيراً، بخلاف العربية التي يمنعها قصورها التركيبي من تطوير ذاتها^(١).

ولا يعلم المرء من أي مكان جُلب هذا النقد، وعلى أي أساس بُني، فمعظم من درس النحو العربي من غير العرب، رأى أن شبكة العلاقات بين قواعد اللغة العربية هي قوية البنیان وشديدة الوضوح، مما يُتيح لمستعملها التعبير بها عن أي فكرة على نحو دقيق، وبشكل يُميّزها عن الأفكار الأخرى. وقد انعكس ذلك على الدرس النحوي العربي الذي يتميز بشهادة بعض الدارسين الغربيين باستقصاء وإتقان أكثر شَبَهًا بالدرس الذي أُنجز في اللغة السنسكريتية منه بما حدث في اللغات الرومانسية، ويعود ذلك إلى مركزية النصوص المقدسة.

ويمكن الردّ على ذلك الادّعاء بالقول: إن صرامة النحو العربي، إن كان ذلك صحيحاً، هي فكرة مختصرة وممتازة ويمكن أن تُعدّ في صالح العربية؛ لأنها غير مُقنعة بوصفها قيماً على الفكر، فهل ستكون العربية أحسن حالاً لو كانت تمتلك نحواً مُتسبباً؟! ولنأخذ على سبيل المثال الترتيب الصارم بين (النعته) و(المنعوت)؛ إذ لا يمكن في العربية إطلاقاً أن نُغيّر الترتيب بينهما: (المنعوت + النعته)، حتى وإن كان ذلك من أجل التوكيد كما يحدث في الفرنسية مثلاً. لكن هذا الترتيب لا يُشعر بأنه صارم، بل هو سهل على السامع، ولا يوجب على المتكلم أن يختار بين احتمالات لا حاجة لها.

ومثل هذا الادّعاء لو اتصفت به أي لغة بشكل حقيقي، فإنها ستتغلب عليه من مؤلّف إلى مؤلّف ومن عقد إلى آخر، ويمكنها أن تتغلب عليه أيضاً بأبسط السبل، فتُصبح أكثر كفاءة للتعبير عن الفكر إن أحسنت استخدام علامات الترقيم المعاصرة استخداماً مُطرّداً. وأما في مجال الصرف، فإن اللغة العربية قد ورثت رصيدها الغني على مستوى الصرف تحديداً، وهو الذي يتميّز بالصرامة لكنه مطواع^(٢).

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٦١.

(٢) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ١٩، ص ٦١، ٦٢، ص ٣٨٨.

ج. **التخلف الحضاري:** يعترف العلماء بأن هناك عنصراً عقلياً يتدرج شيئاً فشيئاً في تطور اللغات حتى ينتهي بالغلبة. فهم يربطون التطور اللغوي بالمدنية، ويؤمنون، بيقين تام، في أي اتجاه تسير اللغة: فهي تسير من المشخص إلى المجرد. فلغات المتوحشين والبدائيين مفعمة بفصائل التشخيص والتخصيص، أما لغات المتحضرين والمتمدنين، فلا يكاد يوجد فيها إلا الفصائل التجريدية! وإن وُجدت الفصائل التشخيصية، فهي في سبيل الانقراض^(١).

ولذلك ترى الطريقة التي تتلأشى بها الفصائل التشخيصية من اللغات تُعصّد أهمية الدور الذي تلعبه المدنية هنا، ومن أوضح الأمثلة على ذلك هي حالة (المثنى). فاستعمال المثنى في اللهجات مرتبط بدرجة المدنية: واللهجات التي فقدت هذا (العدد) منذ فترة ما قبل التاريخ هي اللهجات نفسها التي كان يتكلمها أكثر الناس ثقافة. وعلى هذا فالاحتفاظ بالمثنى يبدو كما لو كان دليلاً على حضارة متأخرة، واختفاؤه على العكس من ذلك يدل على تقدم الحضارة.

فتاريخ معظم اللغات يؤيد ذلك؛ تؤيده المجموعة الهندو أوروبية، وكذلك اللغات السامية وغيرها من المجموعات اللغوية الأخرى. فاللغات التي تُعدّ من أقدم اللغات السامية تقدماً؛ لغات الحضارة القديمة كالأشورية والعبرية والآرامية والحبشية، لم تعد تستعمل المثنى إلا في بعض كلمات ذات دلالة مزدوجة، أما اللغة العربية، التي كانت حتى القرن السابع الميلادي لغة بدو ذوي حظ يسير من الحضارة، فقد احتفظت بالمثنى في الاسم والضمير والفعل، ولذلك يذهب هؤلاء العلماء إلى أن درجة الحضارة تُحدد درجة الاحتفاظ بالمثنى في تاريخ اللغة العربية. وإذا هبطنا درجات في سلم الحضارات، وجدنا لغات تستعمل المثلث، كما هي الحال في لغات بعض الشعوب الأمريكية أو الأسترالية^(٢).

(١) يُنظر: فندريس: اللغة، ص ١٨، ١٩.

(٢) يُنظر: فندريس: اللغة، ص ٤٢٩، ٤٣٠.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

ومما يحتاج إلى التنبيه أننا حين ندرس هنا العمليات النفسية التي تعد العدة للغة، فإننا نغض النظر عن الظروف النحوية التي تتكون فيها اللغة؛ لأنهما شيئا توجب العناية بالترفة بينهما. إن ضعف التشخيص لا يحول دون التعقيد النحوي. وليست هناك أي صلة تُقام بين طبيعة أطوار النفس وبين العدد أو بين ما في الفصائل النحوية من تعقيد.

فالفصائل النحوية تعتمد قبل كل شيء على الذاكرة. والذاكرة عند البدائيين نامية عادة نموًا كبيرًا. فقد فرضتها عليهم حاجات كبيرة الأهمية وضرورات حيوية بالنسبة لهم. فنشاطهم العقلي لا تعاونه تلك الطرائق العديدة التي تحل في سهولة ويسر عند المتحضرين محل الذاكرة، وتورثها الكسل دون أي ضرر في ذلك. مع أننا نشاهد بعض لغات غير المتحضرين قد مُلئت بالصيغ المتنوعة، وظلت بهذا الوضع زمنًا طويلًا جدًا، فنُظّمها الصرفية شديدة التعقيد أو أن مفرداتها كثيرة الثراء، ومثل هذه اللغات مرتبطة دون شك بتطور عجيب للذاكرة. ومن الطبيعي أن تكون الذاكرة محافظة، وعلى هذا فليس البناء النحوي هو الذي يُعبر عن آثار اختلاف الحضارة، وإنما يكون ذلك في العناية التي يُعبر بها عن التفصيلات المشخصة. فهناك رابطة بين درجة الحضارة والطابع المشخص إلى حدّ ما لأطوار النفس^(١).

فالتحريات حول تأثير اللغة على الذاكرة لا زالت في بدايتها كمشروع علمي جاد، فقد جرت دراسة مجالات عديدة في الآونة الأخيرة، بيد أنها لم تُقدّم أدلة مقنعة بشكل كافٍ لتعريفها. وأحد هذه المجالات هو تحديد صيغ الجمع. فبينما تتطلب اللغة الإنجليزية من متحدثيها تحديد الفرق بين المفرد والجمع عند ذكر أي اسم، فهناك لغات لا تفرض مثل هذا بشكل روتيني. وقد جرى افتراض أن ضرورة تحديد صيغ الجمع من عدمها تؤثر في أنماط الانتباه والذاكرة للمتحدثين. وعلى رغم احتمال

(١) يُنظر: فندريس: اللغة، ص ٤٣١.

صحة هذا الافتراض نظريًا، فإنه لم يجرِ تقديم أي أدلة دامغة على ذلك بعد^(١).
د. **عدم النضج:** يتّهم (شويي) اللغة العربية بعدم نضجها، فهي لا تُسعف المتكلمين بما أن يقرأوا المواضيع العلمية المعاصرة من خلالها، بل إن من اللافت للنظر أنه حتى عندما لا يُجيد العربي اللغة الإنجليزية إجادته للعربية، فإنه يُفضّل بالرغم من ذلك أن يقرأ المواضيع المهمة بالإنجليزية.

وفي الحقيقة إن هذا الأمر لا يقتصر على العرب، فبعض الأوروبيين الذين درسوا النحو التحويلي أو الهندسة ربما يفضلون القراءة عن هذه المواضيع باللغة الإنجليزية. وهذا لا يعني تفوّق بنيوي لازم للغة الإنجليزية على اللغة العربية أو اللغات الأوروبية، وإن كان في الحقيقة يشي بتفوّق معجمي مُؤقّت. إن المجموع غير المتناهي من الوحدات البنوية يُكوّن معجم اللغة، ويمكن لهذا المعجم أن يتجاوز المائة ألف وحدة في اللغات التي لها تاريخ طويل. وإن المتكلم البالغ ليستعمل بلا صعوبة عدة آلاف. وإن يكن المرء (عاملًا)، فهذا يعني في جزء منه زيادة العدد، كما يعني الهيمنة على الاستخدام^(٢).

فلغات العالم كلها تسمح بغض النظر عن الإثنية التي تنتمي إليها، بقول كل ما نوّد قوله، فصحيح أن لغات الصيادين البابويين تفتقر إلى معجم المفردات الإدارية، وكذلك إلى معجم المفردات المعلوماتية، ولكن ذلك لا يُعدُّ نقصًا فعليًا؛ إذ يمكن اقتراض مفردات المعجم أو ابتكارها. ففي بعض المعاجم كلمات اصطناعية، وهو إجراء مبتكر في الاختراع غير مشروط. ويمكن تفسير نجاحها بخاصيتين، وقياسه وفق معيارين: فهي، أولاً، تُشبع رغبة ما حين ينتمي المفهوم أو الغرض الذي تُشير إليه إلى البيئة المحيطة من دون أن يكون قد اكتسب اسمًا. وهي، ثانيًا، لا تنتهك البنى التي

(١) يُنظر: دويتشر، غاي: عبر منظار اللغة (لم يبدو العالم مختلفًا بلغات أخرى؟)، ترجمة: حنان عبد المحسن مظفر، سلسلة عالم المعرفة (٤٢٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٥م، ص ٢٥٨.

(٢) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٦٣.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

اعتاد عليها المتكلمون. ومن جهة أخرى، يقبلها الجمهور وأسياد الإعلام المرئي والمسموع، وفي أحسن الأحوال ينسى الناس أصلها المصطنع أو يجهلونه^(١).

ويمكن كذلك استغلال الأدوات التقليدية بمهارة في إغناء المفردات: من استعارة داخلية (من اللغة الأم) لألفاظ علمية، واستعارة خارجية (من لسان ذي نفوذ)، ومن صناعة محلية عن طريق التأليف أو الاشتقاق (وخاصة بالإلصاق أو بحذف أول الكلمة أو آخرها)، ومن توسيع؛ أي إضافة معنى جديد أو أكثر إلى معنى آخر مرتبط سابقاً بمعنى موجود. وهناك مجامع مؤلفة من اختصاصيين، تُعيد استخدام هذه الطرائق، وابتدعت وما تزال تبتدع مفردات تقنية قادرة على تلبية الطلب الواسع لكلمات يفرزها التطور الكبير للمعارف وللقدرات البشرية^(٢).

ولتبسيط ذلك نقول: إذا حاولت مثلاً أن تُترجم دليل استخدام غسالة الأطباق إلى لغة قبيلة جبال البابوا، فسرعان ما ستجد نفسك عاجزاً عن ذلك، فليس هناك مرادف لكلمة شوكة أو طبق أو كأس أو أزرة أو مسحوق غسيل أو برامج شطف أو مؤشرات خلل. لكن ما يُعيق فهم شعب البابوا لهذه المفاهيم ليس طبيعة لغتهم، بل لأنهم وببساطة، لم يتعرفوا على تلك المنتجات الحضارية. لكن الوقت كفيل بأن يُمكنك من شرح جميع هذه الأمور إليهم بلغتهم الأصلية.

وعلى المنوال نفسه إذا حاولت أن تُترجم مقدمة في علم الميتافيزيقا أو الطوبولوجيا الجبرية، أو حتى مقاطع من الإنجيل إلى لغة البابوا، فلن تستطيع الاستمرار في ذلك؛ لأنك لن تجد مفردات مرادفة لأكثر المفاهيم المجردة المطلوب ترجمتها. غير أنك تستطيع أن تُكوّن مفردات لمثل هذه المفاهيم المجردة في أي لغة، إما باستعارتها من لغة أخرى، أو بتوسعة استخدام المفردات الموجودة لتشمل معاني مجردة. وقد استخدمت اللغات الأوروبية الطريقتين.

(١) يُنظر: حجاج، كلود: إنسان الكلام (مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية)، ترجمة: رضوان

ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م، ص ٢٥٤.

(٢) يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

وتلك الدعاوى الجريئة بإمكانية التعبير عن الأفكار المعقدة نظريًا بأي لغة، ليست مجرد آمال عريضة، فقد جرى إثباتها عمليًا وبشكل متكرر، ليس على دليل تشغيل غسالات الأطباق أو كتب الميتافيزيقا بخاصة، بل طُبِّقت مرارًا على الإنجيل الذي يحتوي على موضوعات دينية وفلسفية بدرجة عالية جدًا من التجريد. وإذا كنت لا تزال مشدودًا نحو النظرية التي ترى أن مخزون المفاهيم الجاهزة في لغتنا الأمم يُحدد المفاهيم التي نستطيع إدراكها، فاسأل نفسك ببساطة: كيف يتمكن أي شخص من تعلم مفاهيم جديدة إذا صدقت النظرية؟^(١) فالتركيب إذ يبدو أحيانًا نظامًا مغلقًا يسم وجود أي لسان، فإن ذلك يعود جزئيًا إلى جمود في المفاهيم عبر الزمن، غير أن الإنسان لا يتكلم لتطبيق أو تمثل قواعد التراكيب، وإنما يتكلم لينقل معنى ما^(٢).

وهكذا فإن المستوى المفرداتي هو أكثر مستويات اللغة عرضة للتنوع، ذلك أنه خلافًا للمستويات الأخرى، ليس نظامًا مغلقًا، فالكلمات يمكن تبنيها أو نقلها أو تبديلها بكلمات أخرى، دون تبعات أساسية تلحق بالتركيب اللغوي أو عوائق في التخاطب^(٣).

ففي المستوى المفرداتي ينبغي إعطاء شيء من الأهمية للخلفية العميقة للإدراك الذي يظل في تحول دائم، ومن هنا رُفضت السيرورات الدلالية القائمة على النموذج الثابت واللساني المحض للمعجم، فتأويل الكلمات يُشكِّل عُمقًا لموسوعة متعددة الأبعاد وفعالة وتغتني من كل فعل تأويلي جديد^(٤). وحتى مع توفّر نجاح الإصلاح

(١) يُنظر: دويتشر: عبر منظار اللغة، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٢) يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص ٢٨١.

(٣) يُنظر: ديورل، مارتن: اللغة انتماء جغرافي، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، ضمن كتاب (الموسوعة اللغوية)، المجلد ٣ (بعض المظاهر الخاصة باللغة)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٩٣٦.

(٤) يُنظر: ديكرو: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ٢٠١.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

المعجمي، فهو لا ينال سوى الأقسام الأقل بناء. ومما لا شكّ فيه أن علم تراكيب البنى قد ساهم في المداخلات، إلا أن مداخلاته كانت محافظة أكثر منها إصلاحية؛ لأن معظم الحالات المعروفة هي عبارة عن إحياء^(١).

ومع ذلك، تسمح لغاتهم كلها، من حيث البنية، بالإدلاء بأي فكرة مهما تكن، ودليل ذلك أن كل شيء قابل للترجمة من لغة إلى أخرى^(٢). فسمّة الترميز اللغوي واضحة بشكل خاص في الترجمة، حيث يهتم المرء بإيجاد نظائر مناسبة بين اللغة الأولى واللغة الثانية، فعلى مُترجمي (الكتاب الأحمر الصغير) لرئيس الحزب الصيني (ماو) إلى اللغة السواحلية، على سبيل المثال، أن يُنتجوا مجموعة كاملة من الكلمات الجديدة، ابتكاراً أو اقتراضاً، كي ينقلوا التعابير السياسية الخاصة بالشيوعية الصينية؛ لتُصبح الكلمات المبتكرة وغير المتوقعة شائعة ومنتشرة في اللغة السواحلية^(٣).

(١) يُنظر: حجاج: إنسان الكلام، ص ٢٥٧.

(٢) يُنظر: بيك: أجمل قصة عن اللغة، ص ١٣١.

(٣) يُنظر: بولوم، إيدجر: اللغة والسلوك (اللغويات الأنثروبولوجية)، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، ضمن كتاب: (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثاني (مجال اللغة الأوسع)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ، ص ٤٦١. وليس الغرض من الترجمة العلمية للكلمة تقديم مُعادها التقريبي الذي يفني بالأغراض العملية، بل الغرض من ذلك أن يُبيّن بدقة: أتناظر كلمة محلية فكرة موجودة، ولو جزئياً، عند الذين يتحدّثون الإنجليزية، على سبيل المثال، أم تتناول تصوّراً أجنبياً تماماً؟ وكون هذه التصوّرات الأجنبية موجودة في اللغات الأجنبية، بعدد كبير، أمر واضح. فجميع الكلمات التي تصف النظام الاجتماعي المحلي، وجميع التعبيرات التي تُحيل على اعتقادات محلية، وعلى عادات واحتفالات وطقوس سحرية مخصوصة - جميع ما كان نحو هذه الكلمات من الواضح أنه لا وجود له في الإنجليزية كما أنه لا وجود له في أي لغة أوروبية. ومثل هذه الكلمات لا يمكن أن تُترجم إلى الإنجليزية باللجوء إلى معادلاتها المُتخيّلة - فمن الواضح عدم إمكان إيجاد المعادل الواقعي - بل بإيضاح معنى كل منها من خلال وصف إثنوغرافي دقيق لعلم اجتماع هذه التجمعات المحلية وثقافتها وتقاليدها. يُنظر: أوغدن، تشارلز كي وريشاردز، آنفر

فوضعية الكلمات كثيراً ما تحمل شكلاً خارجياً معيناً لا تستطيع أي ترجمة التعبير عنه. وبهذا المعنى قد تكون إحدى اللغات أكثر تهيؤاً من غيرها لخدمة أغراض معينة، إلا أن هذا لا يعني أن إحدى اللغات أغنى أو أفقر جوهرياً من غيرها. ويمكن افتراض أن كل اللغات الحية هي بطبيعتها أنظمة اتصال فعالة، ومع تغير حاجات المجتمع الاتصالية فإن لغة هذا المجتمع نفسها سوف تتغير لتلبية هذه الحاجات الجديدة، وسوف تتسع مجموعة المفردات، إما بالاستعارة من اللغات الأخرى أو بخلق كلمات جديدة من الكلمات الموجودة^(١).

ولا يعني افتقار ما يُسمى أحياناً بـ(لغات العالم المتخلف) إلى كلمات تدل على مفاهيم العلم والتكنولوجيا الحديثة ومنتجاتها المادية، أن هذه اللغات بدائية أكثر من اللغات التي تحتوي على مثل هذه الكلمات، إنَّ هذا يعني ببساطة أن بعض اللغات لم تُستعمل حتى الآن، على الأقل، من قِبَل أولئك المشتغلين بتطوير العلم والتكنولوجيا^(٢).

وإن كان لا يُستغرب أن تُقرأ النظريات المعرفية والتخصصات التقنية بلغة المناخ الذي نبتت فيه الأفكار المتعلقة بها، فإن الذي يُستغرب، ويصل إلى حد الدهشة، أن يُبدع كاتب أو أديب في الكتابة بلغته الأم، كحالة الكاتب المسرحي الإيرلندي

=
آرمسترونغ: معنى المعنى (دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية)، ترجمة: كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، د.ت.، ص ٤٥٢.

(١) وفي الحقيقة إن هذه العملية تُعدُّ تحويراً لما هو موجود وليس خُلُقاً، فالقدرة على خُلُق الكلمات ليست إلا نوعاً من الخداع، فاللغات تسير على تحوير العناصر الموجودة لا على الخلق. يُنظر: فندريس: اللغة، ص ٢٩٤.

(٢) يُنظر: ليونز، جون: اللغة واللغويات، ترجمة: محمد إسحاق العناني، مؤسسة رلي للنشر، عمان، ١٩٩١م، ص ٦٤.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

صمويل بيكيت (١٩٠٦ - ١٩٨٩م) أو الروائي الكولومبي غابرييل ماركيز (١٩٢٧ - ٢٠١٤م)، وتجنده مع ذلك يُفضّل أن يقرأ أعماله بترجماتها الإنجليزية.

ولا ريب أن أسباب هذه الظاهرة لا تعود إلى أن فشل الترجمة من الإنجليزية إلى العربية أو نجاحها من الإسبانية إلى الإنجليزية هو من أسباب تفضيل اللغة الإنجليزية على غيرها من اللغات، فيقال مثلاً: إن فشل الترجمة العربية في التعبير عن طريق التوكيد والمبالغة لتوصيل ما يؤدّى في الإنجليزية بوسائل بسيطة هو مظهر من مظاهر عدم نُضج العربية، فمثل هذا القول لا يصح بأي حال، ففي اللغة العربية مصادر غنية لمساعدة المترجم، إذا ما رغب في القيام بذلك على وجه التحديد، وما نقرأه ونظالعه كل يوم من الترجمات العربية الرصينة خير دليل على ذلك^(١).

هـ. كثرة المبالغات والتوكيدات: تُشير هذه النقطة من الدعاوى، التي يُوجّهها (شوي) إلى العربية، إلى أنّها تفيض بأشكال التوكيد والمبالغة بصورة يندم فيها وجود علامة واضحة ومحددة لهما، وهو عامل من عوامل صعوبة قراءة النصوص العربية، فإطّراد ظهور (إنّ) و(قد)، على سبيل المثال، بصورة واضحة وجلية في الكلام العربي، هو دليل على استعمال غير متروّ، وهو ما يُقلّل من قيمتهما الأسلوبية، فكلما كثر استعمالها قلّ توكيدهما، وربما وقع المرء ضحية لفهم خاطئ إن تُرجمت (إنّ) بـ(بلا ريب) دائماً؛ إذ يُمكن أن تُترجم الجملتان: (خرج زيد)، و(إنّ زيداً قد خرج)، بـ(left Zaid)^(٢).

ويمكن التأكيد بشكل جازم، إن كانت الأحكام السابقة قليلة الأهمية، فإن هذا الحكم بالذات هو أقلها أهمية، فالاختلاف في مثل هذه الأمور لا يُعدُّ فرقاً بنوياً بين لغة وأخرى. فصحيح أن التصريحات التي يصوغها متكلمو اللغة العربية في الوقت

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٦٣، ٦٤.

(٢) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٦٤.

الحاضر عن القضايا السياسية والاجتماعية قد تبدو للأسماع التي تعودت الأسلوب الذي يتصف بعدم الجزم وبالتروي الحذر، كأنها تتسم بالمبالغة الغريبة، وهو أمر لا يمكن عدّه شأنًا لغويًا على وجه الدقة.

وليس هذا الأسلوب غريبًا عن اللغات الأخرى، فهل بعد مبالغة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون (١٩١٣ - ١٩٩٤م)، عندما قال عن رحلة أبولو ١١ التي استغرقت (١٦ يوليو ١٩٦٩ - ٢٤ يوليو ١٩٦٩م)، وهي الرحلة الأمريكية الأولى للهبوط على سطح القمر: (إن هذا الأسبوع أعظم أسبوع منذ بدء الخليقة) من مبالغة. فحسُّ الأسلوب الذي يتَّسم بالمبالغة في أي لغة ليس له ارتباط بنيته اللغوية بقدر ارتباطه بالمشيرات والدوافع الأيديولوجية المتعددة والمتنوعة^(١).

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٦٤ - ٦٦.

المبحث الثاني: العجز عن التفكير الصادق والحقيقي:

يرى (مورو بيرجر) أن اللغة العربية ما دامت ملائمة بقدر كبير للخطابة، فلا يستطيع العرب تبعاً لذلك أن يُفكِّروا تفكيراً صادقاً وحقيقياً^(١). ومهما يكن الموقف الذي قد يُسوِّغ إطلاق مثل هذا الادّعاء، فإنه لا يُعقل أن نقول: إن لغة ما ملائمة للخطابة بأكثر من معقولية القول: إن لغة ما ملائمة للسوناتات (المقطعات الشعرية المعروفة في الأدب الإنجليزي)؛ ذلك أن من الصعب تخيُّل وجود لغة تتسم بالفقر حتى يصل بها الأمر إلى عدم صلاحها لتكون أداة للتفكير والتأمل؛ إذ إن التطور المدهش للغات المولّدة من بداياتها الهزيلة يوحي بأنه يمكن حتى عندما يكون الأصل متواضعاً أن تكون له القدرة على أن يغتني بسرعة.

زيادة على ذلك فإن الخطابة مُلبّسة بشكل ضار، ومن الواضح أنه لا يمكن أن توصف لغة بهذه الصفة بمعناها غير اللغوي؛ أي بمعنى (الجعجعة)، وأما بمعناها اللغوي فتعني الكلمات الميجنحة، وهي من الأشياء الممتازة إذا ما اقتترنت بالأفكار الرزينة المهمة. وهنا سيقول نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠): إن المقصود من الخطابة هو فنّ جمهوري يُعوّد على سماع آراء ووجهات نظر غريبة جداً.

والأمر في كلا الحالين يتعلّق بالنمط الأسلوبي، أو ما يُسمّى (فن صياغة العبارة)، ولا يتعلّق باللغة من أساسها، فالأسلوب أو فن صياغة العبارة يُمثّل فصلاً متطوراً جداً، وستكون مدونته الاصطلاحية مستعارة من الشعرية والقواعد، وكذلك من الموسيقى والهندسة. فصياغة العبارة تُعدُّ فناً أسلوبياً؛ لكونها تقوم على عناصر، منها: التصحيح القاعدي، واختيار الكلمات، وتأثير الإيقاع، والتماثل الصوتي، والصور، والاستعارات. ويجب على الأسلوب أن يكون واضحاً، ويلاحظ الصواب، وملائماً للذات وللأخلاق ولجنس الخطاب. كما يجب أن يكون لامعاً. فميدانه هو ميدان الزينة: لقد أخذت الدراسات تُميّز بين الاستعارات وصور الكلمات وصور

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٥٦.

الفكر. ولذلك يُمكن عدّ ثلاثة أجناس للخطاب موزعة تدريجيًا، وذلك تبعًا لثبُل المادة أو السبب، وهي: الخطاب الوضعي، والخطاب الوسط، والخطاب الرفيع^(١). وقد عرّف النسق الأسلوبي عدة تحولات كبرى، وإن مسؤولية ذلك لتقع جوهريًا: أولًا: على المتغيرات الاجتماعية والتاريخية لممارسة عدد من أجناس الخطاب. وثانيًا: على عودة المضادات البلاغية (المسيحية، والفلسفية...) وثالثًا: على إعادة التنظيم الدوري للحقل سواء كان داخليًا، في تنظيم علاقاته مع الفنون الثلاثة الأخرى: الجدل، والقواعد، والشعرية. أم كان خارجيًا من خلال اختزال البلاغة إلى صياغة العبارة بعد الصراع بين المحاجة والتعبير^(٢).

وفي اللغة الواحدة وعبر تاريخها، عادة ما يكون هنالك أنماط أسلوبية رائجة في عصر ما وغير رائجة في عصر آخر، فالأنماط الأسلوبية التي تُشكّل خطابات لغة من اللغات تحكمها ذائقة المتكلمين المتغيرة من عصر إلى آخر. فعلى سبيل المثال، ظلّ التقليد الرئيس للفكر الإغريقي وفيًا للمقاربة الخطابية، فثمة طريقتان لفهم الطبيعة، تقوم إحداها على اختبار الكلمات وحدها والأفكار التي تستدعيها، والأخرى على الاهتمام بالوقائع والأشياء التي تُخرج هذه الأفكار إلى حيز الوجود. وقد اتّبع الإغريق الطريقة الأولى؛ أي: الوجهة الخطابية أو الفكرية، فأخفقوا.

(١) يُنظر: ديكرو: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ١٥٨. ولذلك يجب ألا يتبادر إلى الأذهان أن مفهوم الأسلوب كان غائبًا عن التحليل البلاغي، فالتمييز بين الأسلوب البسيط والأسلوب الموزون (أو الرديء)، وبين الأسلوب العظيم (أو الراقي) يُعدُّ جزءًا من الفئات التقليدية للبلاغة. فقد عبّر مصطلح (الأسلوبية) خلال القرن التاسع عشر من اللغة الألمانية إلى اللغات الأوروبية الأخرى، وخاصة إلى الإنجليزية والفرنسية، فولادة هذا العلم في نهاية القرن التاسع عشر لثُعد علامة على الاستغناء عن البلاغة، حتى وإن كانت الأسلوبية ستأخذ منها بعض الوجوه، خاصة فيما يتعلّق بتحليل الصور والاستعارات.

يُنظر: ديكرو: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ١٥٨.

(٢) يُنظر: ديكرو: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ١٥٩.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

وإذا حللنا الأدوات التي يتواصل بها البشر جهازًا، فإن البلاغة تُشكّل الشاهد الغربي الأول على فكر يتعلّق بالخطابة. فهي على أراضي المعرفة والأخلاق واللسان، تدخل في صراع مع الإجابة التي تُثيرها، ومع الفلسفة التي تُشكّك فيها، وذلك للأسباب التالية:

أولاً: إنها تُعبّر عن الرأي وليس عن الكائن، وإنها لتجد ينبوعها في نظرية للمعرفة التي تتأسس على المحتمل، والمقبول ظاهراً، والممكن، وليس على الحقيقي وعلى اليقين المنطقي. إنها وَهْمٌ؛ فالحجة الأكثر ضعفاً يمكن أن تُصبح الأكثر قوة. وإن الخطابة لتجعل الصغير يبدو كبيراً، إلى آخره.

ثانياً: إنها الفن الذي يجعل السبب الذي ندافع عنه منتصراً، فالبلاغي يُدافع بلا مبالاة عن ال(مع) وعن ال(ضد). وإن هذه الحيادية القيمية غير مقبولة.

ثالثاً: ليس الأمر تقنية، ولكنه ديمagogية. فالبلاغة من خلال الانفعال تسعى إلى إنتاج الالتحام مع رأي معين. وإنها لتولّد القناعة التي تتعلّق بالاعتقاد، وليس القناعة الخاصة بالمعرفة. والخطيب لا يتعلم واقعاً ما هو حق، ولكن ما يبدو كذلك في نظر العدد الكبير الذي يجب عليه أن يحكم. وإنه ليستطيع أن يرفع بالمدح وأن يخفض بالنقد، إلى آخره.

هذا هو، منذ جورجياس (٤٨٣ - ٣٧٥ ق.م) وفيدر، إطار الإجراء الذي ستدعيه الأفلاطونية والفلسفة الغربية بانتظام للبلاغة: تُشكّل البلاغة التقانة الأدبية للإقناع، وذلك من أجل الأفضل والأسوأ^(١). إن التمييز، بعد أفلاطون، بين الرأي والمعرفة، ليس مع ذلك بوجود النسق الأرسطي:

فأولاً: تُمثّل البلاغة المعادل في حقل الإقناع لما يُمثّله الجدل في حقل الإثبات. ففي حين تكون المعارف الحقيقية هي نقطة انطلاق الإثبات، فإن الآراء غير المثبتة، ولكن التي يقبلها الجميع، تُمثّل المقدمات المنطقية للمُحاجة. وموضوع المداولة ليس

(١) يُنظر: ديكرو: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ١٥٤.

موضوعًا من موضوعات العلم، وإنه لا يستطيع أن يفسح المجال إلا للآراء. فالبلاغة قوة وتقانة، وإنها لتتميز من الفلسفة والأخلاق كما تتميز من السفسطة. وكما الأخلاق والسياسة، فإنها تخضع للنظم العملية. وهي تهتم بالعناصر المادية للممارسة البرهانية. وإنها لتنشر أبعاد العقل الأول (اللوغوس) على فلك القيم، والمعتقدات والمظاهر والمحتمل.

وثانيًا: إن البرهان الأفلاطوني على عدم اهتمام البلاغة بحقيقة البراهين ليُعدُّ حقيقة مرفوضة. فأن يتعلّم المرء أن يرافع عكس أطروحته، فإنّ هذا يخدم ذلك الذي يريد أن يعرف ما الوقائع وكيف تُطرح الأسئلة.

وحيثُ قد يستطيع أرسطو أن يُعرّف البلاغة بكونها فنًا شكليًا، يقضي باستخلاص درجة من الإقناع تشتمل عليها كل ذات من الذوات، فيفتح الطريق بذلك لمشاريع تصنيفية^(١).

والنزوع إلى البحث عن المبادئ الكامنة في الاستعمالات الشائعة للغة، ربما كان قد اكتُشف في مرحلة مبكرة جدًّا؛ إذ نجد عند أرسطو تحققًا لهذا التوجه الفكري. ومنذ القرن التاسع عشر بات مقبولًا على وجه العموم عدم إمكان دراسة المقولات والعلامات الفارقة المشابهة التي تؤدي دورًا كبيرًا في نظام أرسطو، بمعزل عن خصائص اللغة الإغريقية. فأرسطو كثيرًا ما يسمح لنفسه بالانقياد لأشكال اللغة، ولم يكن ذلك دائمًا عن عدم قدرة على التحرر من تلك الروابط، ولكن بالقدر نفسه، في الأقل، بسبب أن مطالب الجدل لم تكن لتسمح له بمغادرة مُعتركه. وهكذا انتزع التفريق بين المعرفة إجمالًا والعلوم المخصوصة، الذي كان مُستندُه الوحيد أن أغراض العلوم المخصوصة مُضمّنة في أسمائها، وكثيرًا ما كان يحكم تصنيفه للمقولات اعتبارات الملاءمة اللغوية^(٢).

(١) يُظنّ: ديكر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ١٥٥.

(٢) يُظنّ: أوغدن وآنفر: معنى المعنى، ص ١٠٢، ١٠٣.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

وفيما يتعلّق بعلاقة العربية بالأفكار الصادقة، فإن جميع اللغات لديها طرائق مألوفة تُستعمل بوساطتها الكلمات للتضليل والخداع، فاللغة آلة لإنشاء الأغراض أكثر منها وسيلة للرمز إلى الإحالات، وهو أمر مرهون دائماً بقصد المتكلم وغاياته، فرمما لا يكون الإنسان المحترم مُهيئاً للمدى الذي يمكن أن تُساق إليه البراعة اللفظية واستعمال الرموز المتعمّد في تضليل المستمع.

وثمة أعذار معروفة لهذه الممارسة في حالة المجنون الذي نرغب في أن نُخفي عنه مكان أداة حادّة قد تُلحق ضرراً به وبغيره. غير أنه قد كانت كذلك ثمة محاولات لتسوية أوسع للأمر. ففي الأوساط الغربية عادة ما يُسمَع في العهد المسيحي عن تزييفات لوثائق واختلاقات لأساطير، وتزويرات لكل وصف جعل من الكنيسة الكاثوليكية مقراً حقيقياً للكذب. وقد رُحِّص في جميع ذلك اللعب بالكلمات التي يأخذها المتكلم على معنى معين، ويُقصّد بها معنى آخر للمستمع. فهناك رجال أنزلوا منازل القديسين كانوا قد ميّزوا أنواعاً من المراوغات التي يمكن استعمالها في حال وجود سبب وجيه، كأبي غرض صادق لمحافظة على مصالحنا الدينية أو الدنيوية.

وفي العصر الحديث زاد اشتداد النزعة الوطنية القتالية سبباً وجيهاً آخر؛ ذلك بأن القانون العسكري يتضمن كل الإجراءات مع المعادي من الدول أو الأفراد، بوصفها جزءاً من عملية المحافظة على المصالح الدينية والدنيوية. وفي زمن الحرب تغدو الكلمات جزءاً طبيعياً من آلة الخداع، وقد لُحِّص أحد اللوردات أخلاقيات الحالة على نحو ملائم عندما قال: سنظلُّ نُردّد إيماننا بأن الصدق خير سياسة، وبأن الغلبة تكون دوماً للصدق على المدى البعيد. فلهذه الجمل الجميلة فعلها الحسن في دفتر الطفل، ولكن الرجل الذي يتصرّف بموجبها في الحرب فيحسن به أن يُعَمِد سيفه إلى الأبد.

وقد كان الإغريق غير بعيدين، بطرائق شتى، عن موقف الرجل البدائي من الكلمات. وليس بمستغرب أن نجد أن الآليات اللفظية للسلّم بعد الحرب البيلوونيزية أصبحت عاطلة تماماً، ولم تُمكن إعادتها للاستعمال؛ إذ إن معاني الكلمات لم تعد لها العلاقة نفسها بالأشياء، وإنما بدّلتها الناس على النحو الذي رأوه ملائماً. فلم يكن للإغريق قبلاً بمواجهة مثل هذه الحالة.

ويبدو أن العالم المتحضر اليوم قد أوجد أعرافاً تجعله، بَعْدُ، أكثر عجزاً. فالشيء الجديد الوحيد بشأن الخداع في الحرب هو ما لدى الإنسان المعاصر من وسيلة أكمل لممارسته؛ إنه الإعلام والصحافة، يُطلق بهما على رأس العدو ما لا يُلمَس أو يُحَسَّ به. ولكن هل كان هذا استعمالاً مؤقتاً لآلة التضليل المعاصرة، وبعودة السِّلْم فُقدت هذه العادة؟ إن الأمر ليس كذلك؛ إذ إن أي سلاح تستعمله في حرب ما يُخَلِّف فاتورة لتُسَدَّد في السِّلْم، وسلاح الدعاية له تكلفته كأى سلاح آخر.

وبمقاييس أقلّ ضخامة يمكن أن تدرس آلة التضليل المتعمد دراسة تنظر في مقاييس التصحيح. ومن خلال إيضاح مرامي ذلك فرصة لوصف عملية (التزييف)؛ أي فن تزييف النزول من المقدمات المنطقية إلى الاستنتاج، فمن أجل تزييف جيد لا بد من توافر شروط مختلفة: أولها: تمييز جيد للكلمات يُمكنك من تشكيل سهل وطبيعي لعدد كبير من القضايا المتدرجة جيداً، التي تتحوّل تدريجياً، إن جاز التعبير، من الجزم بأن (س) هي أبيض إلى الجزم بأن (س) هي أسود. وثانيهما: ازدراء داخلي ومطلق للمنطق وللکلمات، فهل الكلمات سوى لُعب وحلوى للصغار البالغين الذين يُسمُّون أنفسهم رجالاً؟ ولكن حتى حيث تكون المراجع الحقيقية غير مشكوك فيها، قد يصعب إدراك المدى الذي تنتشر فيه عادة استعمال سلطة الكلمات بوصفها أسلوب تضليل.

وفي عالم كعالم اليوم يُحتمل أن يُضللَّ المؤوّل الساذج تضليلاً خطيراً في مناسبات كثيرة إن أُغفل وجود هذه الميزة غير السارة التي تسود اللغات والطبقات والجماهير على حدّ سواء من غير تمييز لعرق أو عقيدة أو جنس أو لون. فإذا ما واصل الباحث، في أي لغة، فحص ظروف التواصل، فسيرى سبب كون أي عُدَّة رمزية عامة الاستعمال عُرضة للنقص والخلل. لكن إن تكن عُدَّتنا غرّارة، فهي مع ذلك، لا غنى عنها، وكذلك لن تتحسن الأمور بالضرورة بوجود عُدَّة أخرى كاملة، ولو كان كمالها مُضاعفاً عشر مرّات. وليست الكلمات الجديدة هي ما يُحتاج إليه دائماً، وإنما يُحتاج إلى وسيلة لضبطها بوصفها رمزاً، وسيلة للكشف

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

الفوري عمّا تُحيل إليه عادة في العالم في أي مناسبة^(١).

وأما علاقة اللغة العربية بالأفكار الحقيقية، فهي من حيث المبدأ مسألة طريفة، وهي مثال مُحيرٍ للمسألة الشائكة المتصلة بالعلاقة بين الفكر واللغة بصفة عامة، فمن الصعب أن يُقال شيء محدد عنها، وذلك لطبيعة الفكر غير المحددة. فإذا كان المنتمون إلى جماعة لغوية واحدة، ولنقل (سكنر) صاحب المدرسة السلوكية و(تشومسكي) صاحب المدرسة التحويلية، فإنه يبدو أن الواحد منهم كأنه يُنكر امتلاك الآخر فكرًا حقيقيًا. وهكذا فإنه من الواضح أن تحديد الفكر المتعدد المستويات عند مجموعة لغوية تنتمي إلى دول عديدة يُعدُّ أفرادها بالملايين، سيكون ضحية لصعوبات منهجية كثيرة^(٢).

ويُضاف إلى ذلك أن اللغة نفسها لا تُشير دائمًا إلى الفكر، فبالرغم من أن العنصر اللغوي النمطي يُسمّى التصوّر، غير أن هذا لا يعني أن استعمال اللغة هو دائمًا أو أساسًا استعمال تصوّري، فمن المرجح حقًا أن اللغة أداة موضوعة أصلاً لاستعمالات أدنى من المستوى التصوري، وأن الفكر ينشأ كتأويل مُصغّرٍ لمحتواها. فنحن لا نُهتم في حياتنا اليومية بالتصورات كما نُهتم اهتمامًا بالغًا بالجزئيات العينية والعلائق الخاصة، وعندما أقول مثلًا: (لقد تناولت فطورًا جيّدًا هذا الصباح)، فواضح أنني لست في نزاع مع الفكر المضني، وأن ما ينبغي عليّ قوله ليس سوى ذكرى ممتعة زُدت رمزيًا إلى مجاري التعبير المعتاد. فكل عنصر من عناصر الجملة يُحدّد تصوّرًا منفصلاً، أو علاقة تصورية، أو كليهما معًا. وأما الجملة ككل، فليست لها دلالة تصورية من أي نوع^(٣).

(١) يُنظر: أوغدن وآنفر: معنى المعنى، ص ٧٤ - ٨٠.

(٢) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٥٥، ٥٦.

(٣) يُنظر: سايبير، إدوارد: مدخل للتعريف باللغة، اختيار وترجمة: سعيد الغانمي، ضمن كتاب: اللغة والخطاب الأدبي (مقالات لغوية في الأدب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،

١٩٩٣م، ص ١٨.

بل إن هنالك فئة من العلماء ترى أن اللغة الإنسانية العادية ليست ضرورية للتفكير، إلا إذا افترضنا أن الناس كلهم يُفكِّرون كابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧م) أو ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠م). فبما أن التفكير تجسيد داخلي للتجارب، فإن هذا التجسيد يمكن أن يتخذ شكل صور عمل أو لغة. ونحن نستخدم كامل أشكال تجاربنا الموجودة، لكن بعض الناس يرون استخدام بعض الأشكال أكثر من غيرها، ويمكننا أن نفكر من خلال تصورات داخلية غير واضحة الرؤية عندما نفكر في حل مشكلة ما، مثل: كم حقيبة نعتقد أنه يمكن وضعها في صندوق السيارة. وغالبًا ما يُفكر مهندسو العمارة والفنانون من خلال صور مرئية. ويمكن تمثيل الفكر أيضًا بوساطة عمل داخلي أو صور عضلية. وفي حل مشكلة التسديد والقوة اللازمين لوضع (كرة التنس) في مكان لا يصل إليه الخصم، نفكر في شروط الحركة والفعل. ويفكر الرياضيون وبعض الفيزيائيين بالطريقة نفسها.

ولذلك تبدو التمثيلات العقلية في بعض اللغات، بغض النظر عن كونها لغات طبيعية أو رياضية، على قدر كبير من الأهمية في النشاط العقلي عند مستخدمي هذه اللغات. وعلى الرغم من أنه من الممكن أن نفكر من دون معرفة أي لغة رسمية، كما هو واضح في حالة الأطفال الصُّمِّ وبعض الأطفال الذين يعانون من عجز نطقي، يبدو أيضًا أن الذين يعرفون لغة ما يستخدمونها في الاستعانة على التفكير^(١).

لقد عانى كل منّا من تجربة الحصول على فكرة وجد من الصعب التعبير عنها شفويًا؛ لذا تبدو الكلمات، أحيانًا، غير مناسبة حقيقة. ولا تبدو أفكارنا التي عبّرنا عنها سوى ملامح بسيطة لتفكيرنا. ويُظهر الناس الذين يُعانون من (الحُبسة)، وهي عدم القدرة على الكلام بسبب آفة في الدماغ، استقلال الفكر واللغة. إذ كثيرًا ما يبدو من يُعاني من الحُبسة كأنه يمتلك فكرة يحاول التعبير عنها، ولكن تنقصه اللغة

(١) يُنظر: ج. بوردن، جلوريا وس. هاريس، كاثرين: أساسيات علم الكلام، ترجمة: محيي الدين حميدي، دار الشرق العربي، حلب، ١٩٩٠م، ص ١٧، ١٨.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

التي يُجسّد بها هذه الفكرة.

وبالفعل فإن الأشخاص الذين تعطلت قدراتهم الإدراكية على أثر خلل دماغي، لِيُمثّلون عموماً اضطرابات منفصلة؛ إن بعض قدراتهم فقط تكون معطلة، بينما يكون بعضها الآخر سليماً. وهناك انفصال مذهل بين اللسان وميادين إدراكية أخرى قد أصبحت بديهية منذ زمن طويل. فبعض الرضوض الدماغية تستطيع أن تُحدث فقداناً للسان من غير مساس بالملكات الأخرى؛ فنجد بعض المرضى الذين انعطبت لغتهم، ولكن قدراتهم على معرفة الأشياء بصرياً لا تزال سليمة، كما نجد، على العكس من ذلك، مرضى احتفظوا بلسان سليم بينما معرفتهم بالأشياء قد تعطلت.

وكذلك، فإن القدرات الحسائية والاستدلالية، أو حتى القدرات الموسيقية، تستطيع أن تبقى سليمة عند مرضى أُصيبوا بالحبسة. وعلى العكس من هذا، فإن بعض المختلّين عقلياً ليستطيعون أن يُظهروا عجزاً إدراكياً شديداً، بينما قدراتهم اللسانية، فتكون، نسبياً، في معزل عن هذا. ومن هنا، فإن ملاحظة هذا الانفصال المزوج ليدعو إلى النظر إلى اللسان بوصفه نسقاً لمعالجة مستقلة نسبياً ومتميزة عصبيّاً من الوظائف الإدراكية الأخرى ذات المستوى العالي^(١).

وكذلك يتأخر بعض الأطفال الذين لم يتعرّضوا كثيراً للغة الإشارات في تعلم لغة مجتمعهم بسبب الصعوبات التي يُلاقونها في تعلم الكلام الشفوي، ولكن العلماء بينوا أن القدرات العقلية لهؤلاء الأطفال تنمو على نحو طبيعي تقريباً. وتكتب هيلين كيلر (١٨٨٠ - ١٩٦٨م)، الكاتبة الأمريكية المشهورة العمياء والصماء منذ الشهر الثامن عشر من عمرها، قائلة: إنها لم تفهم المبدأ الأساس الأول في تعلم اللغة؛ أي فكرة تمثيل الرموز اللغوية لعناصر تجاربنا، إلى أن بلغت سنّ التاسعة، عندما كان أحد أساتذتها يُعلّم كلمة (الماء) من خلال جعل الطفلة تلمس وجهها بإحدى يديها أثناء نطق الكلمة، وتلمس الماء باليد الأخرى، وعلى نحو مفاجئ يكتشف الطفل العلاقة

(١) يُنظر: ديكرو: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ٣١٧.

الرابطة، وبعد ذلك تعلّمت هيلين مُسمّيات كل الأشياء بسرعة. لقد بدأ تعلم اللغة، لكن هيلين لم تكن طفلة غير مفكرة قبل هذه التجربة، كان تفكيرها يُمثّل من خلال الصور الذهنية لزاماً^(١).

فلذلك يكون القول، على سبيل المثال: إن اللغة الإنجليزية أكثر ملاءمة لعملية التفكير من اللغة العربية، لا معنى له على الإطلاق، فالمعرفة الإنسانية والتفكير المنطقي محلّهما لغة التفكير، وهي شكل من أشكال اللغة العقلية، لها قواعدها النحوية والدلالية الخاصة التي تسبق وجود اللغة والتي لا يمكن اكتساب اللغة بدونها^(٢)، فهي لغة لا تُشبه أي لغة خارجية كالعربية أو الإنجليزية؛ لأنها تُمثّل مستوى مُتقدِّماً من مستويات نشاط الدماغ، فالدماغ مُجهّز بالتوصيلات المناسبة والقدرات الافتراضية على تمثيل التصرّوات، وبالمجال الكافي لجمع هذه التصرّوات وفق علاقات الفاعل والمفعول والهدف وما إلى ذلك.

وهذه كلها أشياء أساسية سابقة لتكوين الجمل في اللغة الخارجية، ودليل ذلك أمران، يتمثل أحدهما بالفكرة القائلة بوجود (الكلام الداخلي) لدى الأطفال، فعلى الرغم من أن اللغة المبكرة تخاطبية الوظيفية أساساً، إلا أن العلماء احتفظوا بالقول: إن بعض الاستخدامات المبكرة للغة هي استخدامات فردية؛ أي يُخاطب الطفل فيها

(١) يُنظر: ج. بوردن وس. هاريس: أساسيات علم الكلام، ص ١٨، ١٩.

(٢) يذكر آينشتاين في وصف فهمه لكيفية تفكيره، بأن كلمات اللغة، سواء أكانت مكتوبة أم شفوية، يبدو أنها لا تقوم بأي فعل في آلية تفكيره. وتمثل الوحدات الفيزيائية التي يبدو أنها تعمل بوصفها عناصر في التفكير رموزاً معينة وصوراً واضحة نسبياً، يمكن إعادة إنتاجها وتركيبها بطيب خاطر. أمّا إن أخذ هذا النشاط التركيبي من وجهة نظر نفسية، فإنه يبدو السمة الأساسية في التفكير الفعّال المنتج قبل أن يكون هناك أي صلة بالبناء المنطقي للكلمات أو الرموز الأخرى التي يمكن مخاطبة الآخرين من خلالها. وتكون العناصر الأنفة الذكر في حالة آينشتاين عناصر مرئية وبعضها من أنموذج عضلي. يُنظر: ج. بوردن وس. هاريس: أساسيات علم الكلام، ص ١٧، ١٨.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

نفسه. ويقل الجهر بالكلام الداخلي بين سنّ الثالثة والسابعة تدريجيًا. ويصبح كلامًا داخليًا غير مجهور ليغدو إحدى طرائق النجوى. والكلام الداخلي في هذه المرحلة ليس بكلام ولا لغة، إنه شيء يقع بينهما. فعندما نفكر مستخدمين اللغة، فإننا نفكر ضمن جزئيات لغوية وعبارات مختصرة، حيث تبتهت الكلمات بسرعة، أو لا تظهر إلا جزئيًا^(١).

وثانيهما أن الصّم البكم لا يفقدون سوى التكلّم بلغة خارجية، وأمّا لغة التفكير لديهم وكذلك قدراتهم العامة على الإدراك السليم فهي باقية وموجودة، فليس هنالك ما يدعو إلى الافتراض بأن فقدان القدرة على استعمال العمليات الهامشية المتعلقة بالمؤثرات والمخرجات سيؤثر بأي حال من الأحوال في الآليات الدائمة التحتية التي تعتمد عليها اللغة، فالآليات التحتية لا تختفي، بل تظل سليمة تمامًا حتى خلال انقطاع وظائفها الخارجية المؤقتة. فالناس يُفكّرون بنبضات كهروكيميائية، وهي التي يمكن أن تتحوّل في مرحلة متأخرة جدًا أو حتى قبل نهائية، من عملية التفكير، إلى كلمات أو صور.

ويُلخص عالم النفس السويسري جان بياجيه (١٨٩٦ - ١٩٨٠م)، من خلال مراقبته للأطفال العاديين، أن الإدراك يتطور وينمو مستقلاً، وتتداخل اللغة مع العقل، وتعكس حتمًا تفكير الطفل، لكن اللغة لا تُقرّر التفكير أو الإدراك. فبنائية بياجيه ترى في تطور اللسان حالة خاصة من حالات تطور الإدراك عمومًا، وإنه يجعل منه إنتاجًا للتفاعل بين تطور الذكاء الحسي المحرك والمحيط. فوفقًا لرأيه، ليس من المفيد تدريب الطفل على لغة ما، إن أُريد تطوير إدراكه. إلا أنه يرى أن مراحل التطور الإدراكي عند الطفل تنعكس في استخدامه للغة. وقد لاحظ العلماء أيضًا برهانًا على وجود إدراك وفهم غير لغويين عند الأطفال. ويُبدي الرضع فهمًا للعلائق وقدرات على حلّ المشاكل على نحو منفصل عن استخدامهم للغة، تمامًا مثلما

(١) يُنظر: ج. بوردن وس. هاريس: أساسيات علم الكلام، ص ١٩.

يستخدمون أصوات البأبة التي تبدو خلواً من أي محتوى ذهني. وبعد ذلك يتحد الفكر واللغة في تطور الطفل^(١).

فاستعمال لغة بدل أخرى لا يُؤخذ دليلاً على قوّة التفكير ما دام تلبس الأفكار بالكلمات يأتي كلمة أخيرة بعد اكتمال عملية التفكير^(٢)، فادعاء التمييز بين التفكير باللغة العربية والتفكير باللغة الإنجليزية أو التفكير بأي لغة أخرى ينطوي على ميزة الوصول إلى جميع مستويات نشاط الدماغ، وهذا افتراض غير صحيح، فنحن لسنا بحاجة إلى معرفة الكيفية التي تتم بها عملية تفكيرنا أكثر من حاجتنا إلى معرفة

(١) يُنظر: ج. بوردن وس. هاريس: أساسيات علم الكلام، ص ١٩.

(٢) يمتلك إدوارد ساير (١٨٨٤ - ١٩٣٩م) لهذه المسألة وجهة نظر مختلفة تماماً، فهو يرى أن اللغة وظيفة قبل - عقلية، وفي ذلك يقول: إن اللغة يمكن اعتبارها أداة قادرة على تشغيل سلسلة من الاستعمالات النفسية. وتدققها لا يتماثل مع تدقق المحتوى الداخلي للوعي فقط، بل بمآله على عدّة مستويات، ابتداء من حالة الذهن التي تُهيمن عليها صور معينة، إلى الحالة التي ينصرف فيها الانتباه إلى المفاهيم المجردة وعلاقتها فقط، وهي الحالة التي تُسمّى تقليدياً بالتفكير الاستدلالي. وهكذا فإن الشكل الخارجي للغة هو فقط الثابت، أما معناها الداخلي وقيمتها النفسية أو توترها، فيختلفان باختلاف التركيز، أو اهتمام الذهن، ولا داعي للقول إنهما يختلفان مع التطور العام للذهن. ومن وجهة نظر اللغة، فقد يُعرّف الفكر بأنه المحتوى الأعلى الكامن أو الممكن للكلام، أو المحتوى الناتج عن تأويل كل العناصر في تيار اللغة على أنه مسكون بقيمتها التصورية الكاملة. ويستتبع ذلك أن اللغة والفكر لا يشتركان في حدودهما. وفي أفضل الأحوال، لا يمكن للغة سوى أن تكون الوجهة الخارجي للفكر في أرقى مستويات التعبير الرمزي وأكثرها تعميماً، ولكي يُعبّر ساير عن وجهة نظره تعبيراً مختلفاً بعض الشيء، يقول: إن اللغة هي في الأساس وظيفة قبل - عقلية. فهي تسبغ على الفكر الكامن فيها؛ الفكر الذي كثيراً ما يُقرأ منها، تصنيفاتها وأشكالها بتواضع؛ أي أنها ليست، كما يدّعي بعضهم، بسداجة، التسمية الأخيرة للفكر. ويرى ساير أنه يقف وراء هذا الوهم عدد من العوامل، أبسطها هو الإخفاق في التمييز بين التفكير والتخييل. يُنظر: ساير: مدخل للتعريف باللغة، ص ١٩، ٢٠.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

الكيفية التي تتمثّل بها غذاءنا ونُدوّر الدم في عروقنا وتؤلّف جملاً صحيحة لغويّاً أو نفعلاً كثيراً من الأشياء الأخرى التي تقوم بها أدمغتنا دون أي مساعدة من انتباهنا الواعي. فهناك مستويات عدة من نشاط الدماغ تشترك في عملية التفكير، إنه أشبه بجبل جليدي عائم، ويا لسعادتنا لو استطعنا أن نرى جزءاً يسيراً من تلك الكتلة الهائلة الكامنة!^(١).

وهكذا فإن حجج أولئك الذين يرون أن لغة ما أكثر ملاءمة للتفكير من لغة أخرى تسقط أمام هذا الدليل العلمي الواضح، فيجب ألا نخلط بين اللغة الداخلية

(١) قد يعترض أحدهم قائلاً: إنه من الظلم وصف حاضر معرفتنا بهذا الشكل المظلم، خاصة في ضوء التطور التكنولوجي المذهل الذي اعتمدت عليه آخر التجارب العلمية، فقد انطوت على مسح لنشاط الدماغ، وبيّنت المناطق التي تنشط عند تأدية الدماغ لمهام معينة. فكيف لنا أن نصف ذلك بالنقص؟ ولتوضيح ذلك ينبغي النظر إلى هذا الأمر من هذا المنطلق: تخيل حاجتك إلى معرفة طريقة عمل مؤسسة كبيرة، ولم يُنح لك أكثر من الوقوف خارج منابها والنظر إلى النوافذ من بُعد. فلن يسعك وقتها إلا الاعتماد على الدليل الوحيد الذي ينطوي على معرفة الغرف التي أُبريت فيها المصاييح في أوقات مختلفة من اليوم. إن ظننت أن تلك المقارنة متشائمة، فلتتذكر أن أكثر أجهزة التصوير بالرنين المغناطيسي تطوراً لا تقوم بما هو أكثر من إيضاح موقع المصاييح المضيفة في الدماغ. فهي تُبيّن فقط أماكن ازدياد تدفق الدم في أي لحظة معينة، فنستنتج من ذلك ازدياد النشاط العصبي في تلك المواقع. لكننا لا نقرب بتاتاً من معرفة ما يُقال في الدماغ: لا نعلم بتاتاً طريقة برمجة أي مفهوم محدد، أو مصطلح أو قاعدة نحوية أو انطباع ألوان أو استراتيجية اتجاهات. فنحن لا نزال قصيري النظر بعمل الدماغ، فصحيح أن لدينا علمًا بما يدخل الدماغ من جانب (الفوتونات في العين) مثلاً، ونعلم ما يخرج من الجانب الآخر، بيد أن عملية اتخاذ القرار التي تجري بين هذا وذاك لا تزال تحدث من خلف أبواب مغلقة. في المستقبل، عندما تُصبح الشبكات العصبية بنفس وضوح بنية الـ(DNA)، وعندما يستطيع العلماء معرفة كل ما يُقال عند استماعهم إلى الخلايا العصبية، فستصبح أجهزة التصوير بالرنين المغناطيسي بنفس درجة تعقيد تجارب قطع ذيل أجيال من الفئران، في بداية القرن العشرين، لمعرفة ما إذا كانت الإصابة ستتكرر في سلالتهم. يُنظر: دويتشر: عبر منظار اللغة، ص ٢٥٩، ٢٦٠.

التي هي، لطبيعتها البيولوجية، واحدة لدى جميع البشر وبين الستة آلاف لغة التي توجد بشكل منفصل وفي معزل عن أي مثال منها^(١).

ونتيجة لذلك، فإنه ليس هناك أي لغة غير مؤهلة للتعبير عن الفكر الحقيقي أو عن أعمق الأفكار، مهما اتّصفت قبائل مُتحدّثيها بالبدائية. ولا يوجد أي دليل على أن أي لغة قد تمنع متحدثيها من التفكير في أي شيء، فنحن لا نستطيع البحث عن التأثيرات التي تُسببها اللغة الأمّ بما تسمح به اللغات العديدة من أفكار لمُتحدثيها. وأي قصور في قدرة اللغة على التعبير عن فكر ما، فإنما يعود إلى خلوّها من مصطلحات معينة أو بعض قواعد لغوية، وتلك يمكن استعارتها، تمامًا كما فعلت جميع اللغات الأوروبية التي استعانت باللاتينية للتعبيرات الفلسفية، التي بدورها استعانت بالإغريقية بشكل أساس. وإذا رغب الناطقون في أي من اللغات القبليّة بذلك، فيمكنهم أيضًا الاستعانة بلغات أخرى. ولا شك في أنه من الممكن التحوار بلغة (الزولو) حول فوائد الفلسفة التجريبية أو العقلانية، أو التحدّث عن الفينومينولوجيا الوجودية بلغة غرينلانديّة الغربية^(٢).

(١) بيكرتون، ديريك: **اللغة وسلوك الإنسان**، ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠١م، ص ١١٨ - ١٢٣.

(٢) يُظنّ: دويتشر: **عبر منظار اللغة**، ص ١٨، ١٩. منذ القرن السادس عشر وما بعده، بدأت الفكرة القائلة بأنه من الممكن ابتكار لغة فلسفية عالمية، تتركز على تصنيف فلسفي لتجربة الإنسان ومنظمة تمامًا في الصرف والاشتقاق، تتبلور بين علماء الغرب. وربما لم تكن مصادفة أن هذه الفكرة نمت بقوة مع انحسار اللاتينية التدريجي كلغة مشتركة للعلماء والمتقنين في أوروبا. ويعود فضل السبق لمقترحات جادة لمثل تلك اللغة الأولية، في أغلب الأحيان، لديكارت. إلا أن ديكارت لم يعترف إلا على مضض بالفائدة الممكنة من قاموس متعدد اللغات ومفتاح بين اللغات، ولم يقدم سوى مقترحات محددة قليلة حول تركيب لغة تتركز على الفئات الفلسفية، زيادة على اقتراحه في أنه يجب على الفلسفة أن تكون صحيحة، ويجب أن يكون الصرف منتظمًا أيضًا. وقد دغدغت الفكرة أيضًا لينز في الربع =

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

فبعض النظريات على غرار فرضية ساير - وورف، تفترض أن اللغة تُكَيَّف الفكر لدرجة أن متكلمي اللغات المنظمة تنظيمًا مختلفًا يعجزون عن تصور العالم بالطريقة نفسها. ومثل هذا الافتراض يفتقر إلى البراهين الميينة للتأكيد على صحة هذا الأمر. ويبدو بالأحرى أن اللغة تكون مستقلة بما فيه الكفاية عن الفكر، وأنه، على أي حال، ليس من شأن التكلم بلغة ما أن يجعل متكلمي هذه اللغة يفكرون بطريقة خاصة، فنحن جميعًا نملك الدماغ نفسه، بمعزل عن التجارب الشخصية، كما أن اللغات تسلك الدروب نفسها على غرار التبدلات النحوية المقولبة وتغير معاني الكلمات^(١).

الأخير من القرن السادس عشر، ولكن أفكاره كانت ذات طبيعة نظرية فقط. يُنظر: ليكوك وموهيسلر: هندسة اللغة (لغات خاصة)، ص ٨٥٦.
(١) يُنظر: بيك، باسكال وآخرون: أجمل قصة عن اللغة، ص ١٣١.

المبحث الثالث: اللعب الكلامي:

يَتَّهَم (شويبي) العرب بالغرام باللعب الكلامي على حساب الفكر بما يصل إلى حدِّ يُشبه أمراض الكلام التي تسم الشخصيات المنفصمة^(١). فقد انبثقت أمراض في قلب القدرة اللسانية، كان الممثلون لها موضوعًا لخسارات انتقائية، فقد وُصِفَ مثلاً مريض لا يقدر أن يعطي كلمات (واقعية)، بينما هو ينجح في تحديد كلمات (مجردة) كانت قد اقترحت عليه، وكان هنالك مرضى يُمثِّلون الحالة المعاكسة. وقد رويت أيضاً حالات لمصابين بالخُبْسة كانوا يعانون من مصاعب انتقائية مع فئات دلالية خاصة جداً، وذلك مثل: الفواكه والخضار، أو الأشياء المنزلية أو أجزاء الجسم. وهناك دراسات عن (النحو) تُشير إلى أن وجوهاً خاصة من المعالجات النحوية يمكن أن تكون مضطربة، ومثال ذلك القدرة على إنتاج كلمات قاعدية. ويبدو أن هنالك انفصلاً بين اضطرابات صرفية إمالية واضطرابات صرفية اشتقاقية^(٢).

وعلى هذا النحو، ولكن بشكل مححف، فإنه يُنظر إلى بنية اللغة العربية على أنها ثلاثية بصورة خاصة التنكيث والعبارات المسجوعة التي تُستعمل فيه، ويُذكر مثلاً على الاهتمام المبالغ فيه بالشكل اللغوي، القصة التي تُضرب مثلاً على أدب التوقيعات، حيث يُروى في كُتب الأدب أن أحد الخلفاء وردته رسالة من قاضي (فُهم) في إيران، فجلس يتفكّر ماذا يوقّع على رسالته، فكتب: (أَيُّهَا الْقَاضِي بِقُمِّ قَدْ عَزَلْنَاكَ فِي قُمِّ). وكان هذا القاضي يقول إذا سئل عن سبب عزله: أنا معزول السجع من غير جرم ولا سبب. فما مضت أيام حتى أعاده^(٣).

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٦٢.

(٢) يُنظر: ديكرو: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص ٣١٧، ٣١٨.

(٣) يُنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله (٦٢٦): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط ٢،

١٩٩٥م، ج ٤، ص ٣٩٨.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

وقد عُرفَ الصاحب بن عبّاد (٣٢٦هـ - ٣٨٥هـ) بإكثاره من مثل هذه التوقيعات، حيث وردت عنه الأعاجيب، ومن ذلك أن عاملاً كتب رقعة إليه في التماس شغل، وفي الرقعة: إن رأى مولانا يأمر بإشغالي ببعض أشغاله فَعَل. فوَقَّع الصاحب تحتها: "من كتب (إشغالي)، فلا يصلح لأشغالي". وكان يقصد أن الصواب هو (شُغلي)؛ لأنَّ (أشغل) هي لغة رديئة في شغل^(١).

ومثل هذه القصص التي يظهر فيها التلُعب بالكلمات، موجودة في أكثر اللغات والآداب، إن لم يكن فيها كلها، ويمكن مقارنة ذلك في الإنجليزية بالقصائد الهزلية التي تُسمَّى (limericks). وهل نظن أن مثل هذه القصص الواردة في الأدب العربي حقيقية، بشكل يُماثل الحال التي أمر فيها أحد القضاة الفرنسيين بجرمان عائلة كان لقبها (Trognon) من هذا اللقب؛ لأنه لقب سخيف؟ وهل الغرض من استعمال هذه الوسائل هو التلُعب بالكلمات في أثناء الحديث من غير هدف، بحيث لا يؤدي إلى تغيير المعنى، أم أنه يُخفي وراءه رسالة ما؟

إن اجتماع الكلمات تبعاً لأصواتها يؤدّي دوراً فيما يُسمّى ب(الاشتقاق الشعبي)، فبعض العلاقات الآنية بين كلمة وأخرى تظهر غير مبرّرة من وجهة نظر تعاقبية، فتكون بذلك علاقتهما علاقة اشتقاق شعبي اخترعها المتكلمون؛ لأنها تندمج جيّداً في نسق اللغة. وسيكون غير مفيد، بل مُضللاً، في لحظة معينة إنشاء تنظيم داخلي للغة لا تسمح الدراسة التعاقبية بتفسيره. وعكس ذلك ما يمكن أن يُسمّى ب(الاشتقاق المنسّي)، فإن هنالك عدداً من العلاقات التاريخية المؤسسة ليس لها واقع آني، وإن هذا ليكون؛ لأنها لم تستطع أن تندمج في نسق اللغة الحالية، والسبب في ذلك نسيان المتكلمين لها.

ومعظم اللغات تتعرّض لهذين النوعين من الاشتقاق، فالذهن، في الاشتقاق الشعبي، يميل إلى أن يصل بين الكلمات تبعاً لشكلها الخارجي، وأحياناً على عكس

(١) يُنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت: ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق:

أحمد الأرنؤوط وتركبي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ٩، ص ٨٠.

ما يقتضي المعنى، بل على عكس ما يقتضي العقل السليم، وهو بخلاف ما يقوم عليه البحث الاشتقاقي الدقيق الذي يُقيم علاقة لكلمة مع كلمة أخرى، محتبئة فيها، وتعطيان المعنى العميق نفسه.

وقد تسوق مشابحة غامضة بين كلمة وكلمة أخرى لم تأت منها، تكون أشيع استعمالاً أو أكثر شهرة إلى التقريب بينهما، ومن هنا تنشأ بعض التشويهاات الغربية. وهو ما لا يُقرّه (الاشتقاقي التاريخي) الذي يُقيم علاقة لكلمة مع أخرى سابقة عليها جاءت منها. وفي الصيغ الظرفية التي تأخذها أسماء الأمراض والأدواء الفنية في أفواه العامة كنز لا يفنى من التسلية للمشتغلين بتسجيل الطرائف. فهناك دائماً في اللغات أمثلة بيّنة من ترابط الكلمات الذي يحصل في الذهن، فحدوثه بصورة غير شعورية عادة لا يمنع من أنه بالغ الأثر.

وإذا استقصيت نتائج التلاعب بالكلمات خرجنا من الميدان اللغوي إلى ميدان الفلكلور، فكم من الأساطير ولدت من أحداث لغوية مرتبطة بالتلاعب بالألفاظ؟! فبالقرب من جرينوبل قلعة تُسمّى سان فران Saint-Vrain، حُرِف اسمها إلى سن فان Sans-Venin لتعني: (دون سُم)، فُنسجت حولها أسطورة منشؤها هذا الاشتقاق الشعبي. فالاسم - وهو مطية الأفكار - يؤدي بتلاعب التشابه والجرس إلى مقاربات تُغرّر بالعقل. فهناك أشياء يرفضها العقل السليم، ينظر فيها الإنسان، فيظنها من خيال الأطفال، ولكنها تأخذ سيما الحقيقة.

فلَمْ تعد المسألة أن نضع لغة صحيحة للتفكير بطريقة صحيحة. فيما أن اللغة لعب، فيجب العبث بهذا الاختلال، واستخدام اللعب وأنصاف الكلام وما هو تقريبي لإنتاج حقيقة ما. تلك هي سياسة اللغة المعقدة حين تواجه الرغبة في إشارة ذات معنى واضح بإشارة مبهمّة ولكن مقصودة. وهذه هي عين الفكرة المعبر عنها حين يُقال: إن معنى الكلمة يتركز فقط في لعب اللسان الذي يسمح به. وينتج عن هذا أن معنى الوحدة اللسانية يكمن في الألعاب التي تسمح بها. ولذلك يمكن القول: إن أحد أسباب نشوء الأساطير هو التلاعب بالألفاظ.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

وفي قصص الأولياء أيضاً نصيبها من مسؤولية ذلك، في غالب الأحيان، فكثير من القديسين المعروفين بشفاء المرضى في الريف الفرنسي، على سبيل المثال، يدينون ببركاتهم إلى أنواع من الجناس، ساعدت عليها صيغ أسمائهم. كذلك يطفح الطب الشعبي بالوصفات الناشئة عن اللعب بالألفاظ، فتربط الأفكار يخلق أدوية من نوع الأمراض؛ ذلك أن الكلمات لها دائماً قيمة رمزية^(١)، إن قليلاً وإن كثيراً^(٢).

وهذا كما يقول فوكو: أمر واقع أصبح منذ زمن طويل مجالاً مشتركاً لعلم الاجتماع وعلم النفس المرضي، وهو أن لا وجود حقيقي للمرض ولا قيمة له إلا في ثقافة تُعطيه هذه الصفة. ويتابع فوكو متسائلاً: كيف يُعبر مجتمعنا عن نفسه رغم

(١) إن معرفة الإنسان للأشياء بأسمائها هو إمساك لها في قبضته، لذلك كان السحرة المتطربون يقولون في رقايم: (أيتها الحمى! لن تغلتي متي، فإني أعرفك باسمك!) والأمر الذي يُوجّه إلى الداء ليفارق المريض أبلغ دلالة من ذلك. ففي معرفة اسم المرض شفاء من نصفه، ولا ينبغي لنا أن نسخر من هذه المعتقدات البدائية؛ فإنها لا تزال سارية حتى يومنا هذا؛ إذ لا زلنا نعتقد في أهمية الألفاظ التي تُعبر عن تشخيص الأمراض. فعندما يقول المريض: (عندي ألم شديد في الرأس يا دكتور). فيُجيب الطبيب: (عندك صداع). أو عندما يقول المريض: (إني سيئ الهضم يا سيدي الطبيب)، فيُجيب الطبيب: (عندك عُسر هضم). مثل هذه المحاور تتكرر كل يوم في عيادات الأطباء. فقد يقال: إن الاسم الفني يُحدّد المرض بأكثر مما يفعله الاسم العادي، وأنه يدل على مجموعة أعراض معينة، بحيث يتمكن الطبيب من القول في المريض قولاً له بنية علمية، وأن (الصداع)، على سبيل المثال، ليس مرادفاً لوجع الرأس، و(عُسر الهضم) ليس مرادفاً لسوء في الهضم. ولكن الواقع أن الطبيب لا يفعل أكثر من أن يضع كلمة مُعمّية مكان كلمة عادية مبتذلة يفهمها هؤلاء المرضى جميعاً، والمرضى يشعرون بالارتياح حينما يعلمون بأن رجل الطب قد عرف الداء الخفي الذي يشكون منه، عرفه باسمه. يُنظر: فندريس: اللغة، ص ٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) يُنظر: فندريس: اللغة، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

ذلك بصيغ مرضية يتنكر لها؟^(١).

وما يُعانيه القرن العشرون من تلك الخرافات اللفظية أكبر، على نحو ما، مما عاناه أي عصر سابق، فبفعل التطورات الحاصلة في مناهج التواصل، وخلق عدة أنظمة رمزية خاصة، تغيّر شكل المرض بوضوح، وبصرف النظر عن الثبات الغريب للمنافحات الدينية أصبح يتخذ أشكالاً أكثر مكرّاً مما كان عليه في الماضي. فالتأثيرات التي تُحدث الانتشار الواسع لهذا المرض هي: التعقيد المحيّر في المنظومة الرمزية التي تحت تصرفنا الآن، وامتلاك الكُتّاب لمفردات لغوية هائلة شبه اصطلاحية مع عدم توافر الفرصة أو الرغبة لديهم للاستفسار عن استعمالها اللائق، ونجاح المفكرين التحليليين في مجالات متاخمة للرياضيات حيث يكون الطلاق بين الرمز والواقع صريحاً جداً والميل إلى إضفاء الصفة المادية مغرياً جداً، والتعرف على أشكال أكثر بساطة للمواضعة الرمزية، وارتباط ذلك باتساع الفجوة بين العامة والتفكير العلمي للعصر، وأخيراً استغلال آلات الطباعة وذلك بنشر القوالب اللفظية الثابتة وتكرارها لأغراض سياسية وتجارية. إن الحضور الملحّ لوجهة النظر اللغوية البدائية في أعمال أكثر المفكرين عمقاً هو حقاً واحد من أكثر السمات لفتاً للنظر في الفكر المعاصر^(٢).

وكذلك يُسيطر اللعب بالألفاظ على طريقة حياة كثير من الجماعات البشرية، ويُزوّدها بطرائق لمعالجة المشاكل وتسوية الخلافات، الفردية والاجتماعية، في كلام منضبط بدقة، تحتل فيه اللباقة والانضباط مكان تعابير عدم الموافقة العلنية. وما هو على قدر من الأهمية هو التركيز على تنوع أفعال الكلام التي تحدث في مجموعة سكانية والاهتمام بسمات أنماط الكلام الرمزية والفنية، وخصوصاً في الكلام الرسمي والشعائري، بالإضافة إلى الاستراتيجيات التي يُلجأ إليها في السلوك التواصلية وجهها

(١) يُنظر: أوزياس، جان ماري: البنيوية، ترجمة: ميخائيل إبراهيم مخول، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٢م، ص ١٥٧.

(٢) يُنظر: أوجدن وأنفر: معنى المعنى، ص ٩٤، ٩٥.

لوجه.

ويمكن لألعاب الكلام والاستراتيجيات والعادات الكلامية أن تتنوع بشكل كبير في الأداء الفعلي، ويعتمد ذلك على المواضيع الثقافية والاجتماعية المطروحة، فبالرغم من وجود تركيب ثابت بالنسبة لسيناريو الأحاديث الشعائرية المستخدمة في طلب الزواج، على سبيل المثال، لدى بعض المجتمعات، وهو سيناريو مقبول لأفراد المجموعة السكانية كافة، حيث يحتوي على مناقشات أولية، وبإمكانية تمسك كل طرف من الطرفين بالمواضيع بأساليب متباينة، إلا أن هناك متسعاً كبيراً للتنوع أو الاختلاف في استراتيجية مبالاة الأفعال الكلامية هذه الدالة على التعقل والذكاء؛ وحالما تهدأ حالة التوتر بين العائلتين، يصبح هناك شعور متزايد نحو الالتزام بدقة وصراحة بطريقة أو بأخرى، ويؤدي التسامح والقبول بعدة أساليب في نهاية المطاف إلى تقارب ناجح. إن الإجراء لا يتقدم بنعومة ويُسّر، حيث إن هناك نوبات عاطفية أثناء المناقشة؛ فسمّة عدم إمكانية التنبؤ بما سيحدث نفسها هي التي تُثير الخطابة أو الكلام المنمق وتوصل الأداء إلى نهاية ناجحة^(١).

ومن بين استخدامات المناورة في اللغة، نجد أن اللعب بالكلمات يحتل مكانة خاصة، فهو يؤكّد أسلوبية اللغة أو وظيفتها (الاجتماعية - التعبيرية)، أكثر مما تفعله الوظيفة المرجعية للغة. ففي حين تزيد استمرارية التخاطب الكلامي الممثل بمجرد كلام وسيلي، وتُركّز على نتيجة عملية التخاطب، نجد العكس في اللعب بالكلمات، حيث العملية تكتسب أولوية على النتيجة. ويمكن للباحث أن يكون مجرد اللعب، أو التمويه.

ولم تتم محاولة إظهار الوظيفة (الاجتماعية - التعبيرية) للغة في الأدب الرفيع فقط، ولكن إلى حدّ أكبر في أنواع متعددة من الثقافات والآداب كما في المبالغة الكلامية حول موضوع بعينه، أو لغات اللعب بالألفاظ؛ تلك اللغات التي تنطوي

(١) يُظَر: بولوم: اللغة والسلوك (اللغويات الأنثروبولوجية)، ص ٤٧٤.

على تحويلات منتظمة. وتُشكّل لغات اللعب هذه جزءًا من الكفاءة اللغوية لمجموعة سكانية كاملة، ولكن بما أن استخدامها يتطلب الممارسة، فإنها غالبًا ما توظف كلغات سرّية لمجموعات فرعية محددة من المجموعة السكانية الكبيرة؛ لأن أعضاء المجموعة السكانية الآخرين يفتقرون إلى الطلاقة التي لا تأتي إلا من خلال الاستخدام الدائم. وغالبًا ما تتألف هذه المجموعة الفرعية من طلبة مراهقين ومن هم أصغر سنًا من المراهقين يشعرون الآن، بعدما أتقنوا صيغ لغتهم القواعدية الأساسية، بحرية تجريب لغتهم في بيئة ربما كانت اهتماماتهم (الجنسية والفردية) تتعارض تمامًا مع اهتمامات عالم الكبار حولهم^(١).

واللعب بالكلمات مُهمّ نفسيًا وعرفيًا في استراتيجيات المزاج، فبعض المجموعات البشرية في مرتفعات شيباس في المكسيك تستعمل بدكاء فقدان التتابع أو الانسجام بين نظام الدلالة ونظام الخطاب في مصطلحات القرابة؛ للعب بالنظامين عكس بعضهما؛ لأن نظام الدلالة يتعامل مع مصطلحات القرابة على قدم المساواة، في حين يُميّز نظام المخاطبة بينها. واللسانيات الأثنوبولوجية اليوم تتفحص أشكال الكلام ذات الصلة بكل نمط سلوكي، ولو كان على شكل ألعاب بالكلمات أو على شكل مباراة كلامية (مجرد كلام طائش عابث، يتعلق بسلوك اجتماعي، أو كان ذلك مجرد كلام في الغاز)^(٢).

وهكذا فإنّ كان هنالك هدف ما أو غاية من وراء اللعب بالكلمات، فإنّ في اللغة العربية ما يُساعد على استعمال هذا النمط من الأسلوب، بخلاف اللغات الأخرى التي تصاغ فيها النكات والأكاذيب باستعمال نثر عادي عاطل من أي حلية لفظية. فكتابة بعض الناثرين العرب فقرة بكاملها باستعمال حروف ذات أشكال معينة فقط، هو أمر يؤدي بالتأكيد إلى حجب الرسالة التي يُريد أن يوصلها، لكن

(١) يُنظر: ليكوك وموهيسلر: هندسة اللغة (لغات خاصة)، ص ٨٥٣.

(٢) يُنظر: بولوم: اللغة والسلوك (اللغويات الأثنوبولوجية)، ص ٤٧٢.

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

هذا نفسه هو ما يحصل حين يُستعمل الشعر السداسي الذي يُسمّى: (sestina).
ومثل هذه الألعاب الكلامية التي هي أشبه بوسائل التسلية، لا يمكن أن ينجم
عنها الحدّ من قدرة المتكلم على التفكير، إلا إن كانت اللعبة التي تُسمّى لعبة الحروف
المتقاطعة تؤدي إليها، وزيادة على ذلك لا يمكن أن نعد اللعب بالكلمات والتفكير
الجاد أمرين لا يمكن الجمع بينهما، ولك أن تُقارن بذلك شكسبير (١٥٦٤ -
١٦١٦م) أو هوبكنز (١٩٣١ - ١٩٩٨م).

ويُعدُّ الكاتب الفرنسي رابليه (١٤٩٤ - ١٥٥٣م) واحدًا من الكُتّاب الذين
يؤدي غرامهم بالجانب غير الناضج من اللغة إلى نوع من ضحالة الفكر أو التحجر،
لكن اللوم هنا يجب ألا يُوجّه إلى اللغة الفرنسية؛ ذلك أن الكاتب هو الذي يخلق
أسلوبه ومعجمه الخاص به، وإذا كانت سمعة رابليه عالية اليوم في فرنسا، فلا بد أن
ذلك يعود جزئيًا إلى الصرامة والجد والجفاف الذي اتّسم به النثر الفرنسي بعده.
ومقارنة اللعب بالكلمات بالجمل المفككة التي يقولها المصابون بانفصام
الشخصية أمر يُضعف من حجة القائلين بها؛ ذلك أن السبب هنا هو أن العقل في
هذه الحال هو الذي يُؤثر على اللغة، فيمكن أن ينتمي الفرد إلى لغة تتسم بالمنطقية
والوضوح كالإنجليزية، ومع ذلك لا يزال من الممكن له أن يكون عرضة للإصابة
بالجنون أو أمراض الكلام^(١).

(١) يُنظر: جستس: محاسن العربية في المرأة الغربية، ص ٦٢، ٦٣.

الخاتمة:

وبعد، فقد انتهت الدراسة من رصد مظاهر التعصب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، وانحصر ذلك جزئياً في الأثر السالب المتبادل بين البنية اللغوية للعربية والبنية العقلية للناطقين بها، وما انبثق عن ذلك من دعاوى ترمي البنية الأولى بالتخلف والجمود، وتُحيط البنية الثانية بالعجز والقصور. والدراسة بعد فحصها لهذه الدعاوى ونقدها نقداً علمياً موضوعياً، وبيانها لبطلان الأسس التي تقوم عليها، تزعم أنها قد توصلت إلى نتائج متنوعة يمكن تعداد أبرزها فيما يلي:

١. يمكن أن نتصور أن الناس منذ تكوّن الجماعات اللغوية المتنوعة كانوا دائماً، في مواجهة الاختلاف اللغوي، ميّالين إلى السُّخرية من عادات الآخرين، وإلى اعتبار أن لغتهم هم هي الأجمَل، وهي الأنجَع، وهي الأدق؛ أي أنهم كانوا دائماً ميّالين إلى تحويل اختلاف الآخر إلى نقصان فيه؛ لأن من الطبيعي أن يكون الآخر دائماً هو صاحب الاختلاف، فما دُمّت لا تتكلم مثلي، فإذا أنت تتكلم بصورة غريبة. ومن ثمّ فإن تقدير هذه المزايا التي يفترض المتكلمون أنها موجودة في لغاتهم فحسب، يرجع إلى حدّ كبير إلى الذوق الشخصي، ومن ثم يدخل في المناقشة عنصر ذاتي من شأنه أن يُزيّف المسألة من أساسها. ومن هنا يقع على عاتق اللسانيات المعاصرة دحض مثل هذه الدعاوى الزائغة والنظرات الشعبية التي لا تزال قائمة. فهناك مجموع نموذجي متوسط للغات يجعل من غير المقبول إقامة تفاوت بالغ بينها. ومن ثمّ كانت الطريقة الموضوعية صالحة للتطبيق في اللسانيات تمام الصلاحية.

٢. إن التنوع اللغوي أمر قائم، وعلينا ألا نسمح له بالاختفاء خلف مفهوم (التفاضل) الذي يفترض وجود تفاوت بين اللغات. فالتمييز بين اللغات وإجراء مفاضلات بينها خارج عن إطار العلم والموضوعية، ومع ذلك فلا نزال نجد إلى اليوم من يتكلم بثقة وبفخر عن لغات متحضرة وأخرى بدائية أو متخلفة.

٣. إن الأصول الأولى لظاهرة التعصب اللساني سابقة للحضارة الإسلامية، فهي موجودة في الثقافة الغربية منذ زمن الإغريق، فالغرباء هم (برابرة) عند أهل أثينا؛

مظاهر التعصّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

لأنهم لا يتكلمون الإغريقية. فالنظر في واقع الثقافة الغربية يُقدّم الوثائق الأولى لظاهرة التعصب اللساني، كما نجدها في الثقافة الإغريقية القديمة.

٤. إن اللغة العربية التي تُمثّلها المادة الضخمة التي بين أيدينا اليوم هي لسان التنوع العرقي الإسلامي العظيم، الذي كان نتيجة للتوسع الإسلامي، وهي التي تُمثّل أعظم تجاوز للنسب والمكان الخالصين، ويجب أن تُنبذ أي محاولة يُقصد منها استخلاص أي شيء عن العرب من اللغة العربية أو العكس.

٥. إن اللغة بصوتياتها وبكياتها الصرفي وتراكيبها النحوية لها وجود خاص مستقل عن استعدادات المتكلم النفسية والعقلية، واللغة تفرض نفسها عليه في صورة نظام قد أُعدّ من قَبْل، في هيئة آلة وُضعت في يده. وهو يستعملها لغايات شتى، ولكنها في كل الحالات آلة واحدة بعينها، ومُهَمّة اللساني هي بالضبط أن يدرس ما في هذه الآلة من جوهرية ومن دائم. ومن ثَمَّ فإن اللغة في وسعها أن تُدرّس مستقلة عن العقلية. فضلاً عن ذلك، فليس من المؤكّد أن الأسباب التي تؤثر على اللغة تُحدِث في العقلية آثاراً مماثلة. فالأجزاء الجوهرية الدائمة في اللغة تتحوّل وفقاً لقواعد ليس للعقلية فيها أي نصيب. وهذا بالذات هو ما أدّى إلى الافتراض بأن اللغة حياة مستقلة عن كل حياة نفسية أو فسيولوجية أو اجتماعية. والواقع أن الفروق التي نلاحظها في فترة ما، من التاريخ بين لغتي شعبيين، حتى ولو كانتا من أصل واحد، يمكن تفسيرها بظواهر لغوية خاصة بتطوّر كل واحدة من اللغتين، وبالتالي لا تسمح لنا بحال أن نصدر حكماً ما على عقلية الشعبين.

٦. إن علاقة اللغة العربية بالأفكار الحقيقية هي من حيث المبدأ مسألة طريفة، وهي مثال مُحَيّر للمسألة الشائكة المتصلة بالعلاقة بين الفكر واللغة بصفة عامة، فمن الصعب أن يُقال شيء محدد عنها، وذلك لطبيعة الفكر غير المحددة. وهكذا فإنه من الواضح أن تحديد الفكر المتعدد المستويات عند مجموعة لغوية تنتمي إلى دول عديدة، سيكون ضحية لصعوبات منهجية كثيرة. وبما أنه يُنظر إلى اللسان بوصفه نسقاً لمعالجة مستقلة نسبياً ومتميزة عصبياً من الوظائف الإدراكية الأخرى، فإن القول بأن اللغة الإنجليزية، على سبيل المثال، أكثر ملاءمة لعملية التفكير من اللغة العربية، لا معنى له

على الإطلاق، فالمعرفة الإنسانية والتفكير المنطقي محلّهما لغة التفكير، وهي شكل من أشكال اللغة العقلية التي تسبق وجود اللغة، والتي لا يمكن اكتساب اللغة بدونها. ٧. ليس صحيحًا أن العرب مولعون باللعب الكلامي على حساب الفكر، وإذا كان هنالك هدف ما أو غاية من وراء اللعب بالكلمات، فإنّ في اللغة العربية ما يُساعد على استعمال هذا النمط من الأسلوب، بخلاف اللغات الأخرى التي تصاغ فيها النكات والأكاذيب باستعمال نثر عادي عاطل من أي حلية لفظية. ومثل هذه الألعاب الكلامية التي هي أشبه بوسائل التسلية، لا يمكن أن ينجم عنها الحدّ من قدرة المتكلم على التفكير، إلا إن كانت اللعبة التي تُسمّى لعبة الحروف المتقاطعة تؤدي إليها، وزيادة على ذلك لا يمكن أن نعد اللعب بالكلمات والتفكير الجاد أمرين لا يمكن الجمع بينهما.

المصادر والمراجع:

- أفلاطون: محاوره كراتيلوس (في فلسفة اللغة)، ترجمة: عزمي طه السيد أحمد، عمان، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٥م.
- أوزيباس، جان ماري: البنيوية، ترجمة: ميخائيل إبراهيم محّول، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٢م.
- أوغدن، تشارلز كي وريتشاردز، آنفر آرمسترونغ: معنى المعنى (دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية)، ترجمة: كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، د.ت.
- بولوم، إيدجر: اللغة والسلوك (اللغويات الأنثروبولوجية)، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، ضمن كتاب: (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثاني (مجال اللغة الأوسع)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ.
- بيك، باسكال وآخرون: أجمل قصة عن اللغة، ترجمة: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩م.
- بيكرتون، ديريك: اللغة وسلوك الإنسان، ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، ٢٠٠١م.
- ج. بوردن، جلوريا وس. هاريس، كاثرين: أساسيات علم الكلام، ترجمة: محيي الدين حميدي، دار الشرق العربي، حلب، ١٩٩٠م.
- جستس، ديفيد: محاسن العربية في المرأة الغربية أو دلالة الشكل في العربية في ضوء اللغات الأوروبية، ترجمة: حمزة قبلان المزيني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢٥هـ.
- حجاج، كلود: إنسان الكلام (مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية)، ترجمة: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (٤٥٦هـ): الإحكام في أصول الأحكام، الجزء الثالث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.

- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت: ٤٥٦هـ): "نقض تفاضل اللغات"، ضمن كتاب (اللغة: دفاتر فلسفية)، إعداد وترجمة: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، الدار البيضاء، دار توبقال، ط٤، ٢٠٠٥م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله (٦٢٦): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- دو سوان، أبرام: كلمات العالم (منظومة اللغات الكونية)، ترجمة: صديق محمد جوهر، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، ٢٠١١م.
- دويتشر، غاي: عبر منظار اللغة (لم يبدو العالم مختلفاً بلغات أخرى؟)، ترجمة: حنان عبد المحسن مظفر، سلسلة عالم المعرفة (٤٢٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١٥م.
- ديكرو، أوزوالد وسشايفر، جان ماري: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ديورل، مارتن: اللغة انتماء جغرافي، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، ضمن كتاب (الموسوعة اللغوية)، المجلد ٣ (بعض المظاهر الخاصة باللغة)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ.
- سايبير، إدوارد: مدخل للتعريف باللغة، اختيار وترجمة: سعيد الغانمي، ضمن كتاب: اللغة والخطاب الأدبي (مقالات لغوية في الأدب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٣م.
- سامسون، جفري: مدارس اللسانيات (التسابق والتطور)، ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٧هـ.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
- فندريس، جوزيف: اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٤م.

مظاهر التعصُّب اللساني ضد اللغة العربية في دوائر البحث الغربية، د. عزمي محمد "عيال سلمان"

كالفني، لويس جان: **حرب اللغات والسياسات اللغوية**، ترجمة: حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨م.

ليكوك، دونالد ومولهيسلر، بيتر: **هندسة اللغة (لغات خاصة)**، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، ضمن كتاب (الموسوعة اللغوية)، المجلد الثالث (بعض المظاهر الخاصة باللغة)، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢١هـ.

ليونز، جون: **اللغة واللغويات**، ترجمة: محمد إسحاق العناني، مؤسسة رلي للنشر، عمان، ١٩٩١م.

مالبرج، برتيل: **مدخل إلى اللسانيات**، ترجمة: السيد عبد الظاهر، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠م.

موان، جورج: **علم اللغة في القرن العشرين**، ترجمة: نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، ١٩٨٢م.

هاريس، روي وتيلر، تولبيت: **أعلام الفكر اللغوي (التقليد الغربي من سقراط إلى سوسير)**، تعريب: أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ٢٠٠٤م.

Bibliography

- Plato: **The Cratylus Conversation (On the Philosophy of Language)**, translated by: Azmi Taha El-Sayed Ahmed, Amman, Ministry of Culture Publications, 1995 AD.
- Ozias, Jean-Marie: **Structuralism**, translated by: Mikhail Ibrahim Makhoul, Ministry of Culture and National Guidance, Damascus, 1972 AD.
- Ogden, Charles Key and Richards, Andrew Armstrong: **The Meaning of Meaning (A study of the impact of language on thought and the science of symbolism)**, translated by: Kayan Ahmed Hazem Yahya, United New Book House, Benghazi, d.T.
- Bolun, Edger: **Language and Behavior (Anthropological Linguistics)**, translated by: Mohieddin Hamidi and Abdullah Al-Humaidan, in the book: (The Linguistic Encyclopedia), Volume Two (the wider field of language), King Saud University, Riyadh, 1421 AH.
- Beck, Pascal and others: **The most beautiful story about language**, translated by: Rita Khater, The Arab Organization for Translation, Beirut, 2009 AD.
- Bickerton, Derek: **Language and Human Behavior**, translated by: Muhammad Ziyad Kubba, King Saud University, Scientific Publishing and Printing Press, 2001 AD.
- J. Borden, Gloria and S. Harris, Catherine: **The Basics of Theology**, translated by: Mohiuddin Hamidi, Arab Orient House, Aleppo, 1990 AD.
- Justice, David: **The Advantages of Arabic in the Western Mirror or the Significance of Shape in Arabic in the Light of European Languages**, translated by: Hamza Qabalan Al-Muzaini, King Faisal Center for Research and Islamic Studies, Riyadh, 1425 AH.
- Hajjaj, Claude: **Man of speech (a linguistic contribution to the human sciences)**, translated by: Radwan Zaza, The Arab Organization for Translation, Beirut, 2003 AD.
- Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali bin Ahmad: **The Accuracy in the Fundamentals of Judgments**, Part Three, investigated by: Ahmad Muhammad Shakir, Dar Al Afaq Al Jadeeda, Beirut, 1983 AD.
- Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali bin Ahmed: **"Refutation of the Differentiation of Languages"**, in the book (Language: Philosophical Notebooks), prepared and translated by: Muhammad Sabila and Abd al-Salam Ibn Abd al-Aali, 4th edition, Casablanca, Dar Toubkal, 2005 AD.

- Al-Hamawi, Yaqout bin Abdullah (626): **Dictionary of Countries**, Dar Sader, Beirut, 2nd Edition, 1995 AD.
- Du Swan, Abram: **Words of the World (The Universal Language System)**, translated by: Siddiq Muhammad Jawhar, Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage, Abu Dhabi, 2011 AD.
- Deutscher, Guy: **Through the Perspective of Language (Why does the world look different in other languages?)**, translated by: Hanan Abdel Mohsen Muzaffar, The World of Knowledge Series (429), the National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 2015 AD.
- Decroux, Oswald and Schaeffer, Jean-Marie: **The New Encyclopedic Dictionary of Linguistics**, translated by: Munther Ayachi, The Arab Cultural Center, Beirut, 2003 AD.
- Durrell, Martin: **Language is a geographical affiliation**, translated by: Mohiuddin Hamidi and Abdullah Al-Humaidan, in the book (The Linguistic Encyclopedia), Volume 3 (Some aspects of language), King Saud University, Riyadh, 1421 AH.
- Sapir, Edward: **Introduction to Language Definition**, Selected and Translated by Saeed Al-Ghanimi, in the book: Language and Literary Discourse (Linguistic Articles in Literature), Arab Cultural Center, Casablanca, 1993 AD.
- Samson, Jeffrey: **Schools of Linguistics (Race and Evolution)**, translated by: Muhammad Ziyad Kubba, King Saud University, Riyadh, 1417 AH.
- Al-Safadi, Salah Al-Din Khalil bin Aybak (T: 764 AH): **Al-Wafi with Deaths**, investigation: Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, Heritage Revival House, Beirut, 2000 AD.
- Fenderes, Joseph: **Language**, translated by: Abdel Hamid Al-Dawakhli and Muhammad Al-Qassas, The National Center for Translation, Cairo, 2014 AD.
- Calvi, Louis Jean: **The Language War and Language Policies**, translated by: Hassan Hamza, The Arab Organization for Translation, Beirut, 2008 AD.
- Lecock, Donald and Mullheisler, Peter: **Language Engineering (Special Languages)**, translated by: Mohieddin Hamidi and Abdullah Al-Humaidan, in the book (The Linguistic Encyclopedia), Volume Three (Some Specific Aspects of Language), King Saud University, Riyadh, 1421 AH.
- Lyons, John: **Language and Linguistics**, translated by: Muhammad Ishaq Al-Anani, Riley Publishing Corporation, Amman, 1991 AD.

- Malberg, Bertil: **An Introduction to Linguistics**, translated by: El-Sayed Abdel-Zaher, Cairo, The National Center for Translation, 2010 AD.
- Monan, George: **Linguistics in the Twentieth Century**, translated by: Najib Ghazzawi, Ministry of Higher Education, Damascus, 1982.
- Harris, Roy and Teller, Tolbit: **Flags of Linguistic Thought (The Western Tradition from Socrates to Saussure)**, Arabization: Ahmed Shakir al-Kalabi, United New Book House, Benghazi, 2004 AD.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين

The Rhetorical Effect of the Difference
in the Morphological Structure in Qur'ānic Readings
of the Interpreters (Al-Mufasireen)

د. سعد بن عبد الله المحمود

أستاذ النحو والصرف المشارك بكلية التربية بالزلفي بجامعة المجمعة

البريد الإلكتروني: s.almahmood@mu.edu.sa

المستخلص

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية عند المفسرين، عنوان يعكس الهدف الأسمى لهذا البحث العلمي؛ إذ تعد هذه الغاية هي هدف هذا البحث الأول التي سعى البحث للوصول إليه.

جاء البحث بمقدمة رُسمت فيها خطة البحث ومنهجه، ثم أُتبعتْ بتمهيد أوضحته فيه المراد بمصطلح البنية التصريفية والذي يقصد به: الهيئة التي تتألف منها الكلمة العربية بحروفها، وحركاتها، وسكوئها، وتكون هيئتها دالة على معنى عام لتلك البنية يختلف في حقيقته على المعنى المعجمي. تضمن التمهيد كذلك إشارة إلى أثر البنية التصريفية في المعنى العام وإلى أثر البلاغي لذلك الاختلاف عند العرب.

وللوصول إلى هدف البحث الأسمى اعتمد البحث في مادته على ما نقل عن المفسرين أو من وقف على معاني القرآن وقراءاته من علماء اللغة محاولاً الوقوف على أثر البنية التصريفية في الأحكام البلاغية، فجاءت النقول عن المفسرين في هذه الباب متعددة، تدور في مجملها حول تلك الآيات التي روي فيها أكثر من قراءة، وتختلف القراءة عن الأخرى في بنيتها التصريفية، اختلاف ترتب عليه اختلاف في الدلالة. فكان وقفات عند تلك القراءات ومعانيها.

هذا وكان في خاتمة البحث إثبات لبعض النتائج التي توصل إليها الباحث، والتي من أهمها: التأكيد على أثر البنية التصريفية في الحكم البلاغي.

الكلمات المفتاحية: (البنية التصريفية - التصريف - البلاغة القرآنية - التفسير

- القراءات).

Abstract

The effect of the morphological structure on the rhetorical rulings of the interpreters (al-Mufasireen), a title that reflects the ultimate goal of this scientific research; This is the goal that this research sought. The research started with an introduction that presented the research proposal and methodology, then it was followed by a preface that clarified what is meant by the term morphological structure, and that: is the form of which the Arabic word is composed with its letters, Al-Harakāt, and al-Sukoun, and its form is indicative of a general meaning of that structure that differs in its reality from the lexical meaning. The preface also included a reference to the effect of the morphological structure on semantics in general, and its impact on rhetorical judgment through what was narrated from the Arabs in that. In order to reach the goal of the research, the research relied in its material on what was quoted from the interpreters or those who study the meanings of the Qur'ān and its readings from linguists to be a field for study, trying to collect some of the sayings of the interpreters which included a rhetorical ruling that showed the effect of the morphological structure in it, so he proved from the interpreters statements that revolve in their entirety around verses whose readings differed, and differed by their difference in the morphological structure, a difference that resulted in a semantic difference. In the conclusion of the research, evidence of some of the findings reached by the researcher, the most important of which was to emphasize the effect of the morphological structure on the rhetorical ruling.

Keywords: (morphological structure - inflection - Quranic rhetoric - Tafseer – al-Qirā'āt).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن من منن الله على هذه الأمة أن أنزل القرآن منهجًا ودستورًا، وأنزله بحروف سبعة تسهيلًا وتيسيرًا. فكان ميدانًا للعلماء، يسبحون في لوجه، ويستخرجون الدر من أحكامه وحكمه، وكان لعلوم العربية نصيب من ذلك، فهو الميدان الرحب لدراساتها بمختلف علومها، فظهرت العناية به؛ يقفون عند ألفاظه، ويرتسمون قواعد اللغة من تراكيبه، فيحتجون لقراءته؛ لأنه الحاكم على قواعد اللغة وقوانينها.

وإن مما اشتغل به المفسرون البحث في بنية الألفاظ القرآنية، وأحكامها التصريفية، فبينوا الأحكام التصريفية للألفاظ القرآنية، ووقفوا على أصول اشتقاقها، وأحكام ما يدغم منها، وما يعل منها وما يبدل، يعرضون الخلاف التصرفي فيها، ويؤيدون بنية اللفظ القرآني بما يوافقها من كلام العرب، ويعترضون على من يحكم على اللفظ القرآني بلحن أو شذوذ.

وكان لهم بذلك وقفات فاضلوا فيها بين القراءات، فحكموا لقراءة بأنها أولى، ولأخرى بأنها أبلغ؛ لعل أثبتها في مصنفاتهم، لعل جعلت من البنية التصريفية سببًا يعتمد المفسر في ترجيح قراءة.

ورغبة في الوقوف على بعض تلك الأحكام التصريفية والبحث في تعليقاتها كان البحث في بنية اللفظ القرآني هدفًا، ولما كان البحث في اختلاف البنية التصريفية أو أثرها الدلالي على اتساع حدوده ميدانًا لبعض الدراسات والبحوث، حرصت أن يكون هذا البحث محددًا في الأثر البلاغي للبنية التصريفية، فعنوانته ب: الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية عند المفسرين في القراءات القرآنية. لتظهر من خلاله بعض ملامح الاختلاف بينه وبين من سبقه من الباحثين، وأهم تلك الملامح:

١- حددت هذه الدراسة جانب الأثر اللغوي للبنية التصريفية، في أثرها في بلاغة الألفاظ، بينما كان غالب الدراسات أو البحوث مرتكزة على أثر الاختلاف

في الدلالة^(١).

٢- لم يلتزم البحث بقراءة معينة أو تفسير محدد، بل حاول الوقوف على نماذج من أحكام المفسرين على ألفاظ القراءات مما كان للبنية التصريفية أثر فيه، سواء كان ذلك الحكم عند اختلاف القراء، أو كان مقارنة بين قراءة ولفظ وارد في آية أخرى.

٣- كان للقراءات القرآنية نصيب من البحث، فوفقت الدراسة على بعض الآثار البلاغية من المفسرين ظهر فيها أثر البنية التصريفية في الحكم. وتأتي أهمية هذا البحث إلى جانب أهميته الظاهرة في اشتغاله بأشرف كلام وأعلاه، القرآن الكريم، في أمور، منها:

- اتصاله بسبب من علوم متعددة، يجمعها القرآن الكريم، وهي القراءات، والتفسير، والتصريف، والبلاغة، والمعاجم، ما يعكس جانباً من علاقة هذه العلوم ببعضها، وأهمية هذه العلاقة في الوصول إلى فهم النص القرآني وبيانه، كما ويبين مكانة الدرس الصرفي للمفسر.
- إظهاره جانباً من العلاقات المتميزة بين مستويات اللغة العربية، وقدرته على بيان جانب من التأثير والتأثر في تلك المستويات.

(١) تعدد الدراسات اللغوية في البنية التصريفية مما قد يتصل من البحث بسبب، ومنها إيجاباً لا حصراً:

- ١- البنية الصرفية وأثرها في تغيير الدلالة (دراسة تطبيقية على قراءة الإمام عاصم) رسالة دكتوراه تقدم بها: محروس محمد إبراهيم. وخلاف البحث عن هذه الرسالة ظاهر في مادة الدراسة وفي الأثر.
- ٢- اختلاف البنية التصريفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية (توجيهه وأثره في المعنى) رسالة تقدم بها: منصور سعيد أحمد. والفرق بين هذه الرسالة والبحث ظاهر، فمادة البحث القراءات القرآنية، وغايته الأثر البلاغي للبنية التصريفية، بخلاف الرسالة المتقدمة.
- ٣- الخلاف التصرفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم، رسالة تقدم بها: فريد بن عبدالعزيز الزامل. وهدف هذه الرسالة الوقوف على الخلاف التصرفي في القرآن وأثر هذا الخلاف في الدلالة، واختلاف البحث ظاهر.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

- الوقوف على أثر علماء التفسير في الدراسات اللغوية عموماً، وفي الدرس التصريفي خاصة. من خلال اهتمامه بدراسة البنية التصريفية وأثرها الدلالي والبلاغي في الأسلوب القرآني.

لهذه الأسباب ولتلك الغاية رسمت لهذا البحث خطة جاءت في مقدمة، وتمهيد، ودراسة تطبيقية في مبحثين، ثم خاتمة، يتبعها ثبت بمصادر الدراسة ومراجعتها. فالمقدمة، بينت أسباب اختيار الموضوع، وغاية البحث وهدفه، وعرضاً لخطة البحث، ومنهجه.

وفي التمهيد عرض لمفهوم البنية التصريفية، واختلافها وأثر ذلك في اختلاف الدلالة في الألفاظ.

بعدها عرضت الدراسة المسائل التصريفية، وجعلتها في مبحثين، أولهما في: الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية عند المفسرين في بنية الأفعال. والثاني في: الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية عند المفسرين في بنية الأسماء.

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي، واعتمدت في ترتيب المسائل في مباحثها على البنية الأبلغ، فإن كانت فعلاً نظمته في مبحث الأفعال، وإن كانت اسماً انتظمت في مبحث الأسماء، وجعلت ترتيب المسائل في المبحث على ترتيب الآي. وقصرت الاختيار على المسائل التي نصّ بعض المفسرين فيها على أثر بلاغي، وظهر فيها ما للبنية التصريفية من أثر، وحرصت على تنوع البنى التصريفية واختلافها بين الاسمية والفعلية، وبين التجرد والزيادة، وبين الأصالة والاشتقاق، ولم أحصِ جميع ما وقف عليه المفسرون؛ إذ يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

بعدها جاءت الخاتمة، وفيها أثبت بعض نتائج هذه الدراسة، ثم فهرس لمصادر البحث ومراجعته.

والحمد لله أولاً وآخراً.

التمهيد

تختلف البنية التصريفية في دلالتها عن دلالة اللفظ المعجمية، فإن كان لكل لفظ في اللغة معناه الخاص به، فإن للبنية التصريفية دلالتها الخاصة التي تختلف فيها عن بقية الصيغ الأخرى، ويقصد بالبنية التصريفية: الهيئة التي تتألف منها الكلمة العربية بحروفها وحركاتها وسكوئها، وفق القواعد العامة لعلم التصريف، وتكون دالة بعمقها على معنى عام لتلك البنية تشترك فيه مع غيرها، ويختلف في حقيقته على المعنى المعجمي^(١). أدرك العرب ذلك الاختلاف وتلك القيمة التي تحملها البنية التصريفية، وأدركوا قيمة ذلك الاختلاف في بلاغة التراكيب. فظهر ذلك من خلال ما روي من الآثار التي تعكس ذلك الإدراك العربي، ومن أظهر تلك الصور ما حوته كتب الأدب من قصص تحمل في ثناياها معالم ذلك الإدراك، من ذلك ما روي أن النابغة الذبياني لما عرض عليه حسان بن ثابت قصيدته التي منها:

لنا الجفَنَاتُ العُرَّى يَلْمَعْنَ بالضُّحَى ... وأسيافُنَا يَفْطُرْنَ من نُجْدَةٍ دَمَا

قال: أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وسيوفك^(٢). إذ يتبين من هذا الأثر إدراك النابغة ما للبنية التصريفية من أثر بلاغي، فقد كان مأخذه البلاغي على حسان إنما مرده إلى البنية التصريفية حين جاء بالجمع على وزن جموع القلة، ولو جاء على أحد أوزان الكثرة لما كان عليه في ذلك مأخذ.

ولما شرف الله الأمة بالقرآن الكريم، وخفف عليهم بقراءته، تبع ذلك تعدد في البنية التصريفية لبعض الألفاظ القرآنية، فكان علم التصريف حاضرًا في الدراسات التفسيرية، وكان أحد علوم المفسر؛ لفائدته المتمثلة في "حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة؛ لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها"^(٣).

(١) ينظر: الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، ١٧.

(٢) ينظر: العسكري: المصون في الأدب، ٣.

(٣) الزركشي: البرهان، ١: ٢٩٧.

واستطاع المفسرون من خلال هذا العلم، إدراك كثير من الدلالات اللغوية التي تحتملها الصيغ التصريفية، واستنبطوا منها معانٍ دقيقة، وكان لهذا العلم أثر في كثير من الأحكام التي أثبتتها العلماء في القراءات، أو التفسير، أو العقيدة، أو الفقه، أو علوم اللغة؛ وما ذلك إلا لما يترتب على اختلاف البنية التصريفية، من تعدد في الدلالة، واختلاف في المعاني.

وإلى جانب ما يترتب على البنية التصريفية للألفاظ القرآنية في اتحادها من تعدد الأحكام واحتمال المعاني، كان لتعدد القراءة أثر مضاعف في هذا الميدان، إذ قد يترتب على تعدد القراءة تعدد البنية التصريفية واختلاف أوزانها، ويترتب على ذلك معانٍ إضافية للبنية الجديدة تضاف إلى المعاني التي تحتملها البنية الأولى، وكلما تعددت الصيغ تعدد المعاني بصورة تسهم في جمع أوجه المعاني المحتملة فيها.

وكان من أثر البنية التصريفية في القراءات القرآنية أن بنى بعض المفسرين بعض الأحكام اللغوية على بعض القراءات، بأن وقفوا على القراءات المروية الثابتة، فنظروا في بنيتها التصريفية، وفي دلالة تلك البنى على المعاني التي تحتملها الآيات، فحكموا لقراءة بأنها أولى من أختها؛ لما تحتمله البنية في تلك القراءة من معنى قد يكون أصدق في الدلالة، وأقرب للمراد، من ذلك ما جاء في تفسير الطبري، قال: "فالواجب إذًا أن يكون الصحيح من القراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ ﴿دون﴾ — وَمَا يُخَادِعُونَ ﴿؟ لأن لفظ المخادع غير مُوجب تثبت خديعة على صحة، ولفظ خادع موجب تثبت خديعة على صحة. ولا شك أن المنافق قد أوجب خديعة الله عز وجل لنفسه بما ركب من خداعه ربه ورسوله والمؤمنين بنفاقه، فلذلك وجبت الصحة لقراءة من قرأ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾" (١).

ومع اليقين التام بصحة القراءات القرآنية الثابتة سندًا ومنتًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وثبوت القراءات القرآنية الأخرى، وإن اختلفت في القراءة بها، فإن من الحق أن يقال إن من الاعتقاد الجازم أن مثل هذه الأحكام لا يقصد منها المفسرون أو علماء

(١) الطبري: جامع البيان، ١: ٢٧٥.

اللغة القدح في القراءة القرآنية أو الاعتراض عليها، إنما هي أحكام اجتهادية غايتها إثبات أصح تلك القراءات؛ إذ لم تكن القراءات فترة تلك الأحكام قد سُبِّعت، أو أنها سُبِّعت لكن لم يكن القطع بالتواتر فيها ثابتًا ومسلّمًا به؛ ذلك أن الفضل - بعد الله - في القطع بالتواتر في تلك القراءات يعود إلى ابن الجزري؛ لذا ربما لحظ القارئ تقدم تلك الأحكام البلاغية من المفسرين قبل ابن الجزري، وما روي بعدُ فهو نقل لحكم مفسرٍ أو لغوي سابق.

المبحث الأول: الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية عند المفسرين

في بنية الأفعال

- قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾
[البقرة: آية ٩]

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: — وَمَا يُخَادِعُونَ ُ بِالْف. وقرأ الباقون: ﴿ وَمَا يُخَادِعُونَ ُ﴾ بغير ألف، مع فتح الياء^(١).

اختلفت البنية التصريفية للفظ — يُخَادِعُونَ ُ باختلاف القراءة، فجاء الحرف في القراءة الأولى مصوغاً على وزن من أوزان المفاعلة، الدال في صيغته على المشاركة^(٢)، من الفعل خدع الدال على المخاتلة، وإظهار غير ما يبطن^(٣). أما القراءة الأخرى فجاء الحرف فيها على وزن الفعل المضارع من الفعل نفسه، ودلالة هذه الصيغة منحصرة في الدلالة على الحدث وزمنه.

وكان للمفسرين في معنى القراءتين خلاف، وخلافهم في القراءة المروية عن ابن كثير ومن معه، وما ذاك إلا لما تحمله الصيغة التصريفية لهذا الحرف من دلالة، فالطبري يرى أن اختلاف المبني أوجب خلافاً في المعنى، وإن كان كل من اللفظين دال في أصله على المخاتلة، إلا أن في الصيغة الثانية وهي: الصيغة الدالة على المفاعلة — يُخَادِعُونَ ُ مزيد دلالة توجب حقيقة خدعة جازت لهم على المؤمنين، بخلاف الصيغة الأخرى فإنها لا توجب هذه الحقيقة؛ ولذا رأى أن القراءة بصيغة ﴿يُخَادِعُونَ ُ﴾ هي الأولى بالصحة من الأخرى^(٤).

(١) ينظر: ابن مجاهد: السبعة، ١٤١. وينظر: الأزهري: معاني القراءات، ١: ١٣٣. وينظر:

الفارسي: الحجة، ١: ٣١٧.

(٢) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤: ٦٥. وينظر: المبرد: المقتضب، ١: ٧٢.

(٣) ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة، ١: ١٥٧.

(٤) ينظر: الطبري: جامع البيان، ١: ٢٧٥.

ومن المفسرين من حمل معنى الصيغة في هذه القراءة على حقيقتها، وهي الدلالة على المفاعلة والمشاركة^(١) إلا أنه نص على أن المفاعلة فيها مما يختص بالواحد^(٢)، معنى ذلك أن تحمل صيغة: فَاعَل، على: فَعَلَ على ما هو ثابت في اللغة وما بينه غير واحد من المفسرين وعلماء اللغة^(٣).

وكان للزمخشري رأي في الآية حكم فيه بأن: —يُخَادِعُونَ— أبلغ من ﴿يَخَادِعُونَ﴾، جاء في الكشاف: "فإن قلت: هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح؟ قلت: وجهه أن يقال: عنى به فعلت، إلا أنه أُخرج في زنة فاعلت؛ لأن الزنة في أصلها للمغالبة والمباراة، والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مُبارٍ لزيادة قوة الداعي إليه"^(٤).

والزمخشري حين حكم بأن صيغة —يُخَادِعُونَ— أبلغ من الصيغة الأخرى إنما كان حكمه هذا بأثر تصريفي، إذ نظر إلى صيغة (فَاعَل) في حقيقة دلالتها، وفيما تتضمنه من معانٍ في مثل هذا السياق القرآني فرأى أن هذه البنية التصريفية تحتل معنى المباراة والمغالبة، الذي يقتضي المشاركة، وإنما تكون المشاركة بين اثنين أو أكثر وهذا يتعذر في رأيه في مثل هذا المعنى؛ لاستحالة المخادعة في حقيقتها مع الله سبحانه وتعالى؛ لذا حمل هذه البنية التصريفية معنى آخر لتكون أصدق في الدلالة وأبلغ في التعبير، فعدل بصيغة (فَعَلَ) إلى (فَاعَل)؛ لتكون المشاركة بين الفعل نفسه وفاعله لا يشاركه فيه فاعل آخر.

ومما سبق يتبين أثر البنية التصريفية في ذلك البلاغي من خلال هذا الحكم الذي قرره الزمخشري وحاول فيه توجيه البنية التصريفية بما يتوافق ودلالاتها اللغوية، كما يتبين

(١) ينظر: ابن الحاجب: شرح الشافية، ١: ٤٤٥.

(٢) ينظر: البغوي: معالم التنزيل، ١: ٦٦.

(٣) ينظر: الكرمانى: غرائب التفسير، ١: ١٢٠. وينظر: الزمخشري: الكشاف، ١: ١٧٤. وينظر:

ابن عطية: المحرر الوجيز، ١: ٢٨٧.

(٤) الزمخشري: الكشاف، ١: ١٧٤.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

أنه لم يخرج عمّا تقرر عند علماء اللغة في دلالة هذه البنية بل حاول توجيهها بما يمكن الحمل عليه مع بقاء البنية على أصل دلالتها.

- قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: آية ١٣٢]

قرأ جمهور القراء ﴿وَوَصَّىٰ﴾ بفتح الفاء وتضعيف العين من الفعل، وقرأ نافع وابن عامر — وَأَوْصَىٰ ۗ، بفعل ثلاثي في أصله ألحق الهمزة في أوله^(١).

وتختلف الأحكام التصريفية في هاتين القراءتين، وهو ما أشار إليه بعض المفسرين، إذ بينوا أن قراءة الجمهور جاء الحرف فيها مضعفًا على وزن: فَعَّلَ، وهو مأخوذ من الوصية التي تدل في أصلها اللغوي على وصل الشيء بالشيء^(٢).

أما قراءة نافع وابن عامر فجاء الحرف فيها على وزن: أَفْعَلَ، مأخوذ مما أخذ منه فعل القراءة الأولى. وعليه فهما متفقتان في أصل الدلالة، لكن الاختلاف بينهما سببه الفرق في البنية التصريفية على ما سيظهر.

وكان للمفسرين أكثر من رأي في معنى القراءتين، فمنهم من لم يفرق بين معنهما، وهما عنده لغتان بمعنى واحد، ذهب إلى ذلك، الفراء^(٣)، والنحاس^(٤)، والأزهري^(٥)، والبغوي^(٦)، والعكبري^(٧).

أما الرأي الآخر فهو رأي من فرّق بينهما، فجعل لكل قراءة دلالتها، واختلاف المعنى فيهما لاختلاف البيئة التصريفية، فمعنى ﴿وَوَصَّىٰ﴾: أنه عهد إليهم عهدًا بعد

(١) ينظر: ابن مجاهد: السبعة، ١٧١. وينظر: ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ٨٩.

(٢) ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة، ٦: ١١٦.

(٣) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ١: ٨٠.

(٤) ينظر: النحاس: إعراب القرآن، ١: ٧٩.

(٥) ينظر: الأزهري: معاني القراءات، ١: ١٧٩.

(٦) ينظر: البغوي: معالم التنزيل، ١: ١٥٣.

(٧) ينظر: العكبري: التبيان، ١: ١١٧.

عهد، وأوصى وصيةً بعد وصية. ومعنى: **وَأَوْصَى** عهد، وقد قال بذلك غير واحد، منهم: الطبري^(١)، والزجاج^(٢)، والبيضاوي^(٣).

ومن المفسرين من فرّق بين معنى القراءتين تفريقاً تجاوز الجانب الدلالي إلى الأثر البلاغي، فرأى أن أحد اللفظين أبلغ من الآخر، ومن حكم بذلك الزجاج الذي نصّ بأن قراءة الجمهور، وهي القراءة بالتضعيف ﴿وَوَصَّى﴾ أبلغ في دلالتها من قراءة نافع وابن عامر **وَأَوْصَى**^(٤). ووافق البيضاوي^(٥)، والطبي^(٦).

وما حكم به الزجاج ومن تابعه في هذه القراءة قد يكون موافقاً لما قرره سيبويه في كتابه من أن (فعل) أبلغ من (أفعل)، جاء في الكتاب: "قال الفرزدق:

[البسيط]

ما زلتُ أفتحُ أبواباً وأغلقُها
حتى أتيتُ أبا عمرو بن عمارٍ
وفتحتُ في هذا أحسن" (٧).

وكان مما تقرر عند علماء التصريف أن البنية المضعفة العين أقوى في الدلالة على المراد من البنية غير المضعفة^(٨)، وما ذلك إلا لما في التضعيف من دلالة على المبالغة والتكثير في غالب وضعها. بهذا يظهر أن أولئك الذين أثبتوا الأثر البلاغي للفظ المضعف قد تابعوا سيبويه، وعليه يكون معنى التضعيف: عهدٌ بعد عهدٍ؛ أي أنه عهد مكرر سبقه عهد، وتكرار العهد فيه دلالة على أهمية المعهود. وهذا الحكم منهم دليل على ما للبنية التصريفية من أثر البلاغي.

(١) ينظر: الطبري: جامع البيان، ٣: ٩٥.

(٢) ينظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ١: ٢١١.

(٣) ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ١: ١٠٧.

(٤) ينظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ١: ٢١١.

(٥) ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ١: ١٠٧.

(٦) ينظر: الطبي: فتوح الغيب، ٣: ٩٩.

(٧) سيبويه: الكتاب، ٤: ٦٥.

(٨) ينظر: ابن جني: المحتسب، ١: ٢٠٧.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

- قال تعالى: ﴿يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: آية ٧٩].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب: —تَعَلَّمُونَ— بفتح التاء، وسكون العين، وتخفيف اللام مفتوحة. وقرأ الباقون: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بضم التاء، وفتح العين، وتشديد اللام مكسورة^(١).

تختلف البنية التصريفية هنا باختلاف القراءة، فقراءة ابن كثير ومن وافقه —تَعَلَّمُونَ—، فعلها مضارع من الثلاثي المجرد: فَعَلَ، فهي من باب: فَعَلَ يَفْعَلُ، دال على المعرفة. وجاء الفعل في قراءة ﴿تُعَلِّمُونَ﴾، مضعفاً من الرباعي المضعف: فَعَّلَ يُفَعِّلُ، وهو في أصل الدلالة موافق للفعل في القراءة الأولى.

وبناء على اختلاف البنية، كان اختلاف الدلالة، ففرّق المفسرون في الحرف بصيغتيه، فبصيغة التخفيف يكون معنى —تَعَلَّمُونَ— من العلم والمعرفة، أي: بما كنتم تعرفون، بمعنى أنكم عالمين وعارفين. والفعل بهذه الصيغة المخففة متعدٍ إلى مفعول واحد. أما قراءة التضعيف ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ فيكون الفعل متعدياً لاثنتين لتضعيفه، ويكون من التعليم، ومعناه: بتعليمكم الناس الكتاب ودراستكم إياه. ولا شك أن الفرق بين معنى الفعل في القراءتين واضح، وأن من علل هذا الفرق: الخلاف في بنيته التصريفية^(٢).

ولما ترتب على الاختلاف في البنية وما ترتب عليها من خلاف دلالي وقففة لبعض المفسرين حول أي الفعلين في القراءتين أبلغ في الدلالة من الآخر، جاء في المحرر: "قال القاضي أبو محمد: والقراءتان متقاربتا المعنى، وقد رُجحت قراءة التخفيف بتخفيفهم ﴿تَدْرُسُونَ﴾ وبأن العلم هو العلة التي توجب للموقِّف من الناس أن يكون ربّانياً، وليس

(١) ينظر: الأزهرى: معاني القراءات، ١: ٢٦٣. وينظر: ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع،

١١٢. وينظر: الفارسي: الحجة، ٣: ٦٠.

(٢) ينظر: الطبري: جامع البيان، ٦: ٥٤٥. وينظر: البغوي: معالم التنزيل، ٢: ٦١. وينظر: أبو

حيان: البحر، ٧: ٤٧٧.

التعليم شرطاً في ذلك، ورجحت الأخرى بأن التعليم يتضمن العلم، والعلم لا يتضمن التعليم، فتجيء قراءة التثقيل أبلغ في المدح^(١).
فالأوّل في القراءة عند ابن عطية القراءة بالتخفيف؛ لسببين أحدهما لغوي والآخر معنوي:

أما اللغوي فموافقة قراءة التخفيف للفعل بعدها الوارد في الآية، وهو قوله تعالى: ﴿تَدْرُسُونَ﴾. وأما السبب المعنوي فمتعلق بما قبله وهو قوله تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ﴾ وبالعلم يكون العالم رباناً، وإن لم يُعلم.

أما من حيث البلاغة، فكان الحكم فيما نقله ابن عطية لقراءة التخفيف، فهي عنده أبلغ، وما هذا الحكم لهذه القراءة إلا موافق لما قرره سيبويه ومن تابعه من دلالة بنية التخفيف على المبالغة والكثرة غالباً^(٢). من هذا يظهر ما للبنية التصريفية من أثر في أحكام المفسرين البلاغية على الآيات القرآنية.

- قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: آية ٣٧]

قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر: ﴿لِيَمِيزَ﴾، بفتح الياء وتخفيفها، وقرأ حمزة والكسائي — لِيَمِيزَ — بضم الياء والتشديد^(٣).
كان لبعض المفسرين وقفة على الأحكام التصريفية للقراءتين، بينوا فيها الفروق التصريفية والدلالية المترتبة على اختلاف القراءة، فحددوا أصول هذه الأفعال اللغوية، وأبوها التصريفية، وأشار غير واحد منهم إلى ذلك، كابن عطية^(٤)، وأبي حيان^(٥)،

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز، ٢: ٤٨٣.

(٢) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤: ٦٤. ابن الحاجب: شرح الشافية، ١: ٤٤٢. أبو حيان: الارتشاف، ١: ١٧٤.

(٣) ينظر: ابن مجاهد: السبعة، ٢٢٠ - ٣٠٦. الأزهري: معاني القراءات، ١: ٢٨٤. الفارسي: الحجة، ٤: ١٥٢.

(٤) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ٤: ٥٦١.

(٥) ينظر: أبو حيان: البحر، ٨: ٤٢٨.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

والبغوي الذي بيّن أن الفعل في قراءة التخفيف من باب: باع، قال: "قرأ حمزة والكسائي ويعقوب بضم الياء والتشديد وكذلك التي في الأنفال، وقرأ الباقون بالتخفيف يقال: مَازَ الشَّيْءَ يَمِيْرُهُ مَيْرًا وَمَيْرُهُ تَمِيْرًا إِذَا فَرَّقَهُ فَامْتَاَزَ"^(١).

أما قراءة التضعيف، فالفعل فيها مضارع لفعلٍ مضعف العين هو الفعل مَيّر على زنة فَعَّل، ووزن الفعل فيها هو: يُفَعِّل^(٢).

وكان للمفسرين وقفة حول دلالة هذه الألفاظ بناء على اختلاف بنيتها التصريفية، فمنهم من لم يفرّق بين معنى هذين الفعلين فعدهما بمعنى واحد؛ المجرد، والمضعف، اعتمادًا على ما نقل عن علماء اللغة من أن فَعَّل قد يكون بمعنى فَعَّل، إذ حكى ابن عطية عن ابن السكيت اتفاق معناهما لأحدهما لغتان^(٣).

ومنهم من فرّق؛ لاختلاف بنيتهما التصريفية، ومن فرق بينهما اختلف في دلالتهما، فقليل: لا يقال مَيّر إلا في كثير من كثير، ويقال ماز في التفريق بين الشيعين. وقيل العكس^(٤)، وقد تنبه بعض المفسرين إلى هذا التفريق، فبنى عليه المعنى، جاء في معالم التنزيل: "قال أبو معاذ: إذا فرقت بين شيئين قلت: مَرَّتَ مَيْرًا، فإذا كانت أشياء قلت: مَيْرُهَا تَمِيْرًا. وكذلك إذا جعلت الشيء الواحد شيئين قلت: فَرَّقْتَ بالتخفيف ومنه فَرَّقُ الشعر، فإن جعلته أشياء قلت: فَرَّقْتَهُ تَفْرِيقًا"^(٥).

وأكد البيضاوي تفريقه بين معنى هذين اللفظين فقرر الحكم بأن أحدهما أبلغ من الآخر، قال: "وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب — لِيُمَيِّرَ — من التمييز وهو أبلغ من الميز"^(٦). وحكم البيضاوي ببلاغة هذا اللفظ — ولا شك — سببه البنية التصريفية لهذا الفعل، وهذا ما أثبتته الشهاب الخفاجي، قال: "وكون التمييز أبلغ من الميز؛ لزيادة

(١) البغوي: معالم التنزيل، ٢: ١٤١.

(٢) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ٤: ٥٦٢.

(٣) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ٢: ٧٠٨. وينظر: ابن الحاجب: شرح الشافية، ١: ٤٤٤.

(٤) ينظر: السمين الحلبي: الدر المصون، ٣: ٥٠٩.

(٥) البغوي: معالم التنزيل، ٢: ١٤١.

(٦) البيضاوي: أنوار التنزيل، ٣: ٥٩.

حروفه" (١). وهذا التعليل يوضح حقيقة التضعيف في الألفاظ؛ إذ ترتب على تضعيف بنية الفعل، زيادة حروف المصدر، ففضل مصدر الفعل المضعف على مصدر الفعل المخفف بحرفين، والزيادة في المبنى تقتضي زيادة في المعنى، فإذا قيل إن الحبيث متعدد فإن دلالة المضعف أبلغ لما فيها من دلالة.

والناظر إلى ما حكم به البيضاوي فيه هذه القراءات، وما قرره من أن قراءة التضعيف أبلغ يتبين أن سببه ما تضمنته البنية التصريفية من تضعيف اقتضى زيادة حروف اللفظ، وهي زيادة اقتضت الزيادة في المعنى.

- قال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾ [الشورى: آية ٥].

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم، ويعقوب، والكسائي، ونافع: ﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ على خلاف بينهم في حرف المضارعة، وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، — يَنْفَطِرْنَ^(٢).

ولاختلاف البنية التصريفية أثر في الدلالة، ذلك أن قراءة الجمهور ﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾، جاء الفعل فيها على وزن (تفعّل)، الدال في العربية على معانٍ منها: المطاوعة لفعل، أو الدلالة على تكلف الفعل، أو التكرار، أو الصيرورة، كما استعمل بمعنى استفعل، ومعانٍ آخر غيرها^(٣).

أما القراءة الأخرى — يَنْفَطِرْنَ^(٤)، فالفعل هنا على وزن (انفعل) وهو مطاوع ل(فعل)^(٤). ومع اختلاف البنية التصريفية فالأصل اللغوي واحد، إذ أخذ كلا الفعلين

(١) الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب، ٤: ٢٧٤.

(٢) ينظر: ابن مجاهد: السبعة، ٥٨٠. وينظر: الأزهري: معاني القراءات، ٢: ١٤٠. وينظر: ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ٢٣٩.

(٣) ينظر: سيبويه: الكتاب، ٤: ٧١. وينظر: ابن الحاجب: شرح الشافية، ١: ٤٤٨.

(٤) ينظر: أبو حيان: الارتشاف، ١: ١٧٦.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

من الفعل فطر الدال على الشق^(١).

وكان للمفسرين في بيان المعنى مذاهب، فمنهم من فسر التفطّر بالانفطار، من غير تفريق أو اعتبار للبنية التصريفية، جاء في معاني القرآن: "وقوله جل وعز: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ﴾ قال مجاهد: الانفطار الانشقاق. قال أبو جعفر: وذلك معروف في اللغة، يقال: فطر ناب البعير إذا انشق اللحم وخرج"^(٢).

وهذا ما أكده ابن عطية في المحرر، قال: "وقرأ ابن كثير وابن عامر وحزمة والكسائي ونافع وابن عباس وأبو جعفر وشيبة وقتادة: ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ من التفطّر، وهو مطاوع فَطَّرَ. وقرأ أبو عمرو وعاصم والحسن والأعرج وأبو رجاء والجحدري: — يَنْفَطِرْنَ من الإفطار وهو مطاوع فَطَّرَ، والمعنى فيهما: يتصدعن ويتشققن من سرعة جريهن خضوعًا وخشية من سلطان الله تعالى"^(٣).

ومن المفسرين من فرّق بين معنى الفعل في القراءتين، وكان التفريق مرتكزًا على ما تحتمله البنية التصريفية، وإليه ألمح الزمخشري، قال: "وقرئ — يَنْفَطِرْنَ الانفطار من فطّره إذا شقه. والتفطّر، من فطّره إذا شققه وكرر الفعل فيه"^(٤).

وفي الحجة بين أبو علي أثر الاختلاف في بينة الفعلين البلاغي، قال: "فمطاوع: فطر، انفطر، كما أن مطاوع فطّر، تفطّر. وفطّر للتكثير؛ فمطاوعه في الدلالة على الكثر مثل ما مطاوع له، فكأنه أليق بهذا الموضع"^(٥).

وكذا أشار النحاس إلى أثر البنية التصريفية البلاغي، فعرض موضحة أي القراءتين أبلغ، وأولى في الدلالة، قال: "﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ بالياء والتاء في هذا الموضع أولى لأن فيه

(١) ينظر: الأزهرى: تهذيب اللغة، ١٣: ٢٢٥ (فطر). وينظر: ابن منظور: لسان العرب، ١٠:

٢٨٥ (فطر)

(٢) النحاس: معاني القرآن، ٤: ٣٦٤. وينظر: الأزهرى: معاني القراءات، ٢: ١٤٠.

(٣) ابن عطية: المحرر الوجيز، ٨: ٥٤٩.

(٤) ينظر: الزمخشري: الكشاف، ٤: ٥٧.

(٥) الفارسي: الحجة، ٣: ٥٠٩.

معنى التكثير فهو أولى لأنهم كفروا فكادت السماوات تتشقق فتسقط عليهم عقوبة بما فعلوه" (١). وتابع غير واحد من المفسرين النحاس فيما قرر، وممن تابعه في ذلك الهمداني (٢)، والبيضاوي (٣).

والحكم السابق على قراءة **يَتَفَطَّرْنَ** بأنها أبلغ سببه ما تضمنته تلك البنية التصريفية من زيادة في المبنى استدعت معها الزيادة في المعنى، فلعظم الفعل، وتعدد الواقع عليه، احتيج إلى لفظ دال على تكرار الانفطار فجاء بـ **يَتَفَطَّرْنَ**. وهذا التعليل وذلك البيان من أبي جعفر يظهر جانباً من أثر البنية التصريفية البلاغي عند علماء التفسير.

(١) النحاس: إعراب القرآن، ٣: ٢٠.

(٢) الهمداني: الكتاب الفريد، ٤: ٣٩٤.

(٣) البيضاوي: أنوار التنزيل، ٤: ٢٠، ٥: ٧٦.

المبحث الثاني: الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية عند المفسرين

في بنية الأسماء.

- قال تعالى: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: آية ٤]

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة بن حبيب: —مَلِكٍ— بدون ألف، وقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب الحضرمي: ﴿مَلِكٍ﴾^(١).

وعلى هذا الاختلاف في القراءة ترتب الاختلاف في البنية، فقراءة ابن كثير ومن وافقه —مَلِكٍ—، جاء الحرف على وزن من أوزن الصفة المشبهة، وهو وزن فَعِل.

أما قراءة عاصم ومن وافقه فجاء الحرف فيها على وزن اسم الفاعل من الفعل الثلاثي، وهو فاعل. ومع اتفاق هاتين الصيغتين على الدلالة على الحدث وعلى الذات فإن في كل واحدة منهما دلالة نائفة عن الأخرى، إذ تدل صيغة اسم الفاعل على فاعل الحدث، وعلى اتصافه بالحدث على صفة التجدد، في حين تدل صيغة الصفة المشبهة على اتصاف الفاعل بالحدث على صفة الدوام والثبوت^(٢).

ولما كان الفرق في البنية التصريفية يورث فرقاً في الدلالة كان اختلاف المفسرين في دلالة ألفاظ هاتين القراءتين، وكان لهم في التفريق أقوال:

الأول: إن معنى هذين اللفظين واحد، حكى ذلك البغوي في تفسيره، وقال في

معناها: الملك والمالك: هو الرب، وهو القادر على اختراع الأعيان^(٣).

الثاني: إن بينهما فرقاً، واختلف فيه الفرق عموماً وخصوصاً، فقليل إن لفظ: مَلِك

أعم من لفظ مالك؛ إذ كل مَلِك مَالِك وليس كل مالك مَلِكاً. والمالك الذي يدبر

(١) ينظر: ابن مجاهد: السبعة، ١٠٤. وينظر: ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ٦٢.

والفارسي: الحجة، ١: ١٩.

(٢) ينظر: ابن السراج: الأصول، ١: ١٣٣. وينظر: ابن مالك: شرح الكافية الشافية، ٢: ١٠٥٥.

(٣) ينظر: البغوي: معالم التنزيل، ١: ٥٣. وينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ١: ٢٣٤ - ٢٣٥.

المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك، وإن كان أعم فإن القراءة به أمدح من الأخرى^(١).

وقيل: إن مالكا أجمع وأشمل من ملك؛ لأنه يقال مالك الدينار والعبد ونحوها، ولا يقال: ملك هذه الأشياء. ولأنه لا يكون مالكا لشيء إلا وهو يملكه، ومالك في صفة الله تعالى يعم ملك أعيان الأشياء ومملك الحكم فيها، وقد يكون ملك الشيء ولا يملكه^(٢).

ونتيجة لاختلاف هاتين القراءتين، والاختلاف في دلالتها كان الاختلاف في أيهما أولى بالقراءة، وأبلغ في التعبير، جاء عند الطبري: "وأولى التأويلين بالآية، وأصح القراءتين في التلاوة عندي، التأويل الأول، وهي قراءة من قرأ: —مَلِكٌ— بمعنى المملك؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك، إيجاباً لانفراده بالملك، وفضيلة زيادة المملك على المالك، إذ كان معلوماً أن لا مَلِكٌ إلا وهو مالكٌ، وقد يكون المالك لا ملكاً"^(٣). وقد وافق غير واحد من المفسرين وعلماء اللغة ابن جرير الطبري فيما ذهب إليه، منهم ابن خالويه الذي ذكر أن مَلِكاً أمدح من مَلِكٍ، عند أهل النحو^(٤).

وفصل ابن عطية فبين فيه أن الحكم بأن قراءة —مَلِكٌ— أبلغ من القراءة الأخرى سببه أنهم أخذوا اللفظين على إطلاقهما، لا بالنسبة إلى ما هو مملوك وفيه الملك، ليبين بعدها أن اختلاف الرؤية قد يترتب عليه اختلاف الحكم، وذلك إذا كانت نسبة المملك هي نسبة المالك، فالمملك قد لا يكون مالكا للشيء^(٥).

(١) ينظر: النحاس: معاني القرآن، ١: ٦١. وينظر: ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، ٤٧: ١.

(٢) ينظر: النحاس: معاني القرآن، ١: ٦١. وينظر: ابن خالويه: إعراب القراءات السبع وعللها، ٤٧: ١. وينظر: البغوي: معالم التنزيل، ١: ٥٣.

(٣) الطبري: جامع البيان، ١: ١٤٩.

(٤) ينظر: ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة من القرآن، ٢٣. وينظر: ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ٦٢.

(٥) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ١: ٢٣٤.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

وهذا إيضاح وجيه وبيان مفصل من ابن عطية لهذا الحكم ووجهه، فمتى ما اختلفت النظرة التي يبدأ منها العالم في مقارنته بين هاتين الصيغتين اختلف الأثر البلاغي فيهما، فما كان بليغاً قد يكون غيره أبلغ، وما كان مفضولاً قد يكون فاضلاً.

ولا شك أن أحكام المفسرين البلاغية في هاتين القراءتين مبنية في أصلها على ما أوجدته البنية التصريفية في ألفاظها من دلالة ترتب عليها اختلاف المعنى، مع حكمهم القاطع بصحة القراءة بأي القراءتين قرأت، وبصدق دلالة كل منهما على ما مراد الله فيهما.

- قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة: آية ٣]

قرأ جمهور القراء: ﴿مُتَجَانِفٍ﴾ وهي القراءة السبعية، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، والنخعي ويحيى بن وثاب: ﴿مُتَجَنِّفٍ﴾، بدون ألف^(١).

وتختلف بنية الكلمة في قراءة الجمهور عنها في قراءة السلمي بنيةً وحكمًا. ذلك أن الحرف في قراءة الجمهور جاء على زنة اسم الفاعل من الفعل بَجَّانَفٍ الدال في صيغته على المشاركة. وجاء في قراءة السلمي على وزن اسم الفاعل من الفعل بَجَّانَفٍ، وعلى هذا فاللفظان في القراءتين قد اتفقت دلالة صيغتهما على الحدث وعلى صاحب الحدث، والخلاف بين هاتين الصيغتين إنما هو خلاف في الأصل الذي صيغ منه الحرف، وعليه فاختلاف الدلالة إنما جاء من بنية أصله قبل بنيته التصريفية.

ومع اختلاف البنية الخاصة بالفعل الذي اشتق منه اسم الفاعل في هاتين القراءتين تضعيفًا وتخفيفًا، لا يكاد يختلف الرأي فيهما، إذ رأى بعض المفسرين أن معنى الحرف بقراءته واحد، يدل فيهما على: الميل والانحراف^(٢). ولم يكن منهم

(١) ينظر: ابن خالويه: مختصر الشواذ، ٣٧. وينظر: ابن جني: المحتسب، ١: ٢٠٧. وينظر:

العكبري: التبيان، ١: ٤١٩. وينظر: الهمذاني: الكتاب الفريد، ٢: ٤٠٦. وينظر: السمين

الحلي: الدر المصون، ٤: ٢٠٠.

(٢) ينظر: الثعلبي: الكشف والبيان، ٤: ١٧.

تفريق في الدلالة بسبب ما تحمله البنية التصريفية من تضعيف سواءً في ذاتها أو في أصل اشتقاقها.

إلا أن ابن جني حين عرض القراءة في كتابه المحتسب نظر إلى قراءة السلمي وما تضمنته من تضعيف، وما يترتب عليه من أثر في المعنى، فبيّن ذلك، جاء في المحتسب: "قال أبو الفتح: كأنَّ — مُتَّخَفٍ ُ أبلغ وأقوى معنى من ﴿مُتَّجَانِفٍ﴾؛ وذلك لتشديد العين، وموضوعها لقوة المعنى بها، نحو: تَصَوَّنَ، هو أبلغ من تصاون؛ لأنَّ تَصَوَّنَ أوغل في ذلك، فصح له وعرف به، وأما تصاون فكأنه أظهر من ذلك وقد يكون عليه، وكثيراً ما لا يكون عليه" (١).

وقد وافقه على هذا بعض المفسرين منهم ابن عطية في المحرر (٢)، والقرطبي في تفسيره (٣). وحكم ابن جني هذا وإن لم يقطع به — أدباً مع القرآن الكريم — فإنه قد وضح فيه الأثر البلاغي للبنية التصريفية في القراءة وبلاغة صيغتها في الدلالة على المعنى. - قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً﴾ [المائدة: آية ١٣]

اختلف في قراءة ﴿قَلْسِيَةً﴾ فالجمهور من القراء يقرؤون ﴿قَلْسِيَةً﴾، وقرأ حمزة والكسائي بحذف الألف وتشديد الياء، ﴿قَلْسِيَةً﴾ (٤). واختلاف القراء هنا أورت اختلافاً في البنية التصريفية وخلافاً في الدلالة، فقراءة الجمهور جاء الحرف فيها اسماً مشتقاً على وزن اسم الفاعل من الفعل قسا، الدال على

(١) ابن جني: المحتسب، ١: ٢٠٧.

(٢) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ٣: ٤١٩.

(٣) ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٦: ٦٤.

(٤) ابن مجاهد: السبعة، ٢٤٢. وابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ١٢٩. والأزهري: معاني القراءات، ١: ٣٢٧.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

الصلابة والغلظة واليبس^(١). وأما قراءة الأخوين فكان لبعض المفسرين رأي فيها، فاختلّفوا في الحرف وفي أصل اشتقاقه على قولين:

الأول: أنه اسم مشتق من الفعل قسا، جاء على وزن فَعِيل من صيغ المبالغة، النابتة عن اسم الفاعل للدلالة على المبالغة والتكثير في الحدث^(٢).

الثاني: أنه اسم مشتق على وزن فَعِيل، مأخوذ من قولهم: درهم قَسِيٌّ، أي: رديء أو مزيف^(٣).

هذا الخلاف في اشتقاق هذا الاسم، وفي بنيته التصريفية، أوجد خلافاً بين المفسرين في معنى هاتين القراءتين، فكانت لهم توجيهات متعددة، أولها: قول ذهب أصحابه إلى أن الحرف في القراءتين بمعنى واحد ﴿قَلِيسِيَّةٌ﴾ بمعنى قَسِيَّةٌ^(٤)، كما قيل في معنى شاهد وشهيد، وغيرها مما اتحد معناه وإن اختلفت بنيته. وممن قال بهذا الرأي: الفراء^(٥)، وأبو جعفر النحاس^(٦)، والأزهري^(٧)، وابن عطية^(٨)، وأبو حيان^(٩).

المذهب الثاني: فرق أصحابه بين معنى القراءتين، فقراءة ﴿قَلِيسِيَّةٌ﴾ تدل على القسوة من غير مبالغة في هذه القسوة. أما قَسِيَّةٌ فتدل على واحد من أمرين:

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ١١ : ١٦٨ (قسا)

(٢) ينظر: الطبري: جامع البيان، ١٠ : ١٢٧. وينظر: البغوي: معالم التنزيل، ٣ : ٣١. وينظر:

الرازي: مفاتيح الغيب، ١١ : ٣٢٥. وينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ٢ : ١١٩.

(٣) ينظر: الطبري: جامع البيان، ١٠ : ١٢٧. وينظر: البغوي: معالم التنزيل، ٣ : ٣١. وينظر:

الزمخشري: الكشاف، ٢ : ٢١٦. وينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ٣ : ٤٥٥.

(٤) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ٢ : ١٥٥.

(٥) ينظر: النحاس: معاني القرآن، ٢ : ٢٨١.

(٦) ينظر: الأزهري: معاني القراءات، ١ : ٣٢٧.

(٧) ينظر: البغوي: معالم التنزيل، ٣ : ٣١.

(٨) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ٣ : ٤٥٥.

(٩) ينظر: أبو حيان: البحر، ١٠ : ٤٣٥. اختار أبو حيان في البحر هذا القول، ثم حكى الخلاف

في معنى هذا اللفظ.

إما الدلالة على المبالغة في القسوة؛ لأنها جاءت على وزن من أوزان المبالغة. أو أن تدل على معنى آخر غير القسوة، وهو الدلالة على الرداءة والغش والتزييف. وممن ذكر هذا الخلاف: الطبري^(١)، وابن خالويه^(٢)، وأبو حيان^(٣).

واعترض الفارسي على من قال بأنها مشتقة من قولهم: درهم قسي بمعنى مزيف ومغشوش؛ إذ رأي أن هذا اللفظ معرب وليس بأصل في كلام العرب، وعليه فلا يشتق منه تحقيقاً للقاعدة^(٤).

وبناء على هذا الخلاف التصريفي زاد بعض المفسرين التفريق بين معنى القراءتين، وتجاوز إلى بيان الأثر البلاغي، فحكم بأن قراءة الأخوين أبلغ، جاء في تفسير الطبري: "وأعجب القراءتين إليّ في ذلك، قراءة من قرأ: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً﴾ على فعيلة؛ لأنها أبلغ في ذم القوم من: ﴿قَلْسِيَةً﴾"^(٥). وتابع الرازي الطبري في ذلك^(٦). والناظر لما قرره الطبري من حكم في هذه القراءة يجد أن هذا الحكم يوافق مع ما تقر من نيابة وزن (فعليل) عن وزن (فاعل) في الدلالة على المبالغة والتكثير، ولما كانت الآية في الذم، وكان الفعل منهم عظيمًا، وكان حكم الله في ذلك عدلاً، فجعل القسوة في قلوبهم، وللدلالة على المبالغة في هذه الصفة جاءت القراءة لهذا الحرف مضعفة في بنيتها، وكان اختيار تلك الصيغة الدالة على التكثير أولى من الصيغة التي لا تدل عليه؛ لذا كان هذا الحكم البلاغي. وقد أشار الهمداني وغيره إلى هذا التعليل^(٧).

(١) ينظر: الطبري: جامع البيان، ١٠: ١٢٧.

(٢) ينظر: ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ١٢٩.

(٣) ينظر: أبو حيان: البحر، ١٠: ٤٣٥.

(٤) ينظر: الفارسي: الحجة، ٢: ٢١٧.

(٥) الطبري: جامع البيان، ١٠: ١٢٧ - ١٢٨.

(٦) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ١١: ٣٢٥.

(٧) ينظر: الهمداني: الكتاب الفريد، ٢: ٤١٨. وينظر: الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب،

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

واجتهاد المفسرين في توجيه هذه القراءة توجيه للمعنى بما يتوافق وقواعد اللغة العامة من دلالة صيغ المبالغة على التكثر في الحدث، وهذا الحكم يظهر أثر البنية التصريفية البلاغي عند المفسرين.

- قال تعالى: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّمَّةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام: آية ١٦١]

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، ويعقوب الحضرمي: **قِيَمًا**، مفتوحة القاف مشددة الياء، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿قِيَمًا﴾ مكسورة القاف مفتوحة الياء^(١).

واختلاف القراءة تبعه اختلاف البنية التصريفية، فقراءة ابن كثير ومن تابعه، **قِيَمًا** جاء الحرف فيها على وزن: **فَيْعِل** من الفعل قام^(٢)، أو من القيام^(٣)، وفي الكلمة إعلال، وإدغام، إذ أصله في التصريف: **قِيَوْم**، قلبت الواو فيه ياءً، ثم أدغمت في الياء.

أما قراءة التخفيف ﴿قِيَمًا﴾ فهي مما اختلف في حكم بنيته تصريفًا، ولعلماء التصريف في ذلك أقوال:

أولها: أنه مما جاء من المصادر كالقيام، ونحوه، وهو مما جاء على وزن **فَعِل**، وقد أعلت عينه فقلبت واوه ياءً حملاً على إعلالها في المصدر: قيام^(٤)، وهي بهذا مما استُدرك على سيبويه فيما جاء من الصفة على هذا الوزن، وبهذا قال بعض

(١) ينظر: ابن مجاهد: السبعة في القراءات، ٢٧٤. والأزهري: معاني القراءات، ١: ٣٩٧. والفارسي: الحجة، ٣: ٤٣٩.

(٢) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ١٤: ١٩٠. وينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ٢: ١٩١.

(٣) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠: ١٦٢.

(٤) ينظر: العكبري: التبيان، ١: ٣٣١.

المفسرين وبعض النحويين منهم الفراء^(١)، ومكي^(٢)، وغيرهم^(٣).
الثاني: قيل إن ﴿قِيَمًا﴾ بالتخفيف جمع قيمة؛ مثل: ديمة وديم، ذكر ذلك ابن خالويه^(٤)، وردّ الفارسي هذا الوجه، وحكم بطلانه؛ إذ لا وجه للجمع فيه^(٥).
الثالث: قيل فيه إن الأصل في ﴿قِيَمًا﴾ هو: قيامًا، على زنة المصدر الأصيل للفعل قام؛ إلا أن الألف حذفت منه كما حذفت في: خيم من خيام، فقرأ: ﴿قِيَمًا﴾^(٦).

ومع هذا التفصيل اللغوي واختلاف النحويين في حقيقته وأصله نجد أقوال المفسرين في عرضهم لمعنى الحرف بقراءاته تكاد تتفق على أن معنى القراءتين واحد، وأنهما لغتان فيه، ذكر الأخفش ذلك في معانيه، مبيّنًا أن معنهما الدين المستقيم^(٧)، وتابعه على ذلك غير واحد منهم الطبري^(٨)، والبغوي^(٩)، وغيرهم^(١٠).
وللطبري وقفة خاصة تجاوز فيها بيان المعنى الخاص بالقراءتين إلى الحكم بأي القراءتين أفصح، جاء في جامع البيان: "والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، متفقتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب

- (١) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ١: ٢٥٦.
- (٢) ينظر: مكي: مشكل إعراب القرآن، ١: ٢٧٩.
- (٣) ينظر: السيرافي: شرح كتاب سيبويه، ١٧: ٦٩. وينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ١٠: ١٦٢.
- وينظر: ابن عصفور: الممتع في التصريف، ٥٣.
- (٤) ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ١٥٢.
- (٥) ينظر: الفارسي، الحجة، ٣: ١٣١. وينظر: العكبري: التبيان، ١: ٣٣١.
- (٦) ينظر: العكبري: التبيان، ١: ٣٣١. وينظر: أبو حيان: البحر، ٩: ٧١.
- (٧) ينظر: الأخفش، معاني القرآن، ١: ٣١٨.
- (٨) ينظر: الطبري: جامع البيان، ١٢: ٢٨٢.
- (٩) ينظر: البغوي: معالم التنزيل، ٣: ٢١١.
- (١٠) ينظر: الثعلبي: الكشف والبيان، ٤: ٢١٢. وابن عطية: المحرر الوجيز، ٤: ١٨٥. وينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ١٤: ١٩٠.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

مصيبٌ، غير أن فتح القاف وتشديد الياء أعجب إليّ، لأنه أفصح اللغتين وأشهرهما^(١). فعلة الحكم اللغوي التي نص عليها الطبري في تفسيره هي شهرة اللفظ وفصاحته، أما الشهرة فقد نص الأخفش في معانيه على أن اللفظ بالتخفيف غير مسموع عنده عن العرب^(٢). وهذا معيار معتبر في الحكم بفصاحة لفظ، لكن القراءة بالتخفيف ثابتة متناً وسنداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان للزمخشري حكم بلاغي في هذه القراءة ذكر فيه بأنه القراءة بالتضعيف **قَيِّمًا** أبلغ من القائم، والقائم لفظ لم ترد القراءة به لكن الزمخشري ساقه ليبين بلاغة اللفظ القرآني في الدلالة على المراد^(٣).

وقارن البيضاوي بين وصفين وردا في القرآن للدلالة على معنى الاستقامة، وهما: القيم والمستقيم، فنص على أن الوصف بالقيم أبلغ من الوصف بالمستقيم من حيث الوزن؛ وما ذاك إلا لدلالة هذا البنية على الثبوت، أما من حيث الصيغة فلفظ المستقيم أبلغ؛ وذلك لزيادة حروفه على حروف ما وردت القراءة به^(٤).

وهذا المقارنة من البيضاوي تظهر حقيقة أثر البنية التصريفية في دلالات الألفاظ، والأثر البلاغي المترتب على تلك الأبنية، فما تقتضيه دلالة بنية الصفة المشبهة من دلالة على الثبوت والدوام جعل الحكم بأنها أبلغ في هذا الجانب. وما يترتب على زيادة حروف البنية من زيادة في المعنى جعل الحكم لها بلاغيًا من حيث دلالته على معنى زائد عن دلالة تلك البنية.

(١) الطبري: جامع البيان، ١٢: ٢٨٢.

(٢) ينظر: الأخفش، معاني القرآن، ١: ٣١٨.

(٣) ينظر: الزمخشري: الكشاف، ٢: ٤١٩.

(٤) ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ٢: ١٩١. وينظر: الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب،

- قال تعالى: ﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾
[الأعراف: آية ٦٤]

قرأ جمهور القراء ﴿عَمِينَ﴾ بفتح العين، وكسر الميم مخففة، وقرئ في الشواذ
﴿عَامِينَ﴾^(١).

وكان لبعض المفسرين وقفة بينوا فيها أن قراءة الجمهور ﴿عَمِينَ﴾، جاء
اللفظ فيها على وزن فَعِيلٍ من العمى، دالاً على اتصاف صاحبها بالحدث على جهة
الدوام^(٢)، ألحقت به علامة جمع المذكر السالم فصار: عَمِينَ، على وزن: فَعِيلِينَ؛ فالتقى
ساكنان: لام الفعل (الباء)، والياء علامة إعراب جمع المذكر السالم، فحذفت اللام،
فقرئ: ﴿عَمِينَ﴾، وأصبح وزنه: فَعِين.

أما القراءة الأخرى، ﴿عَامِينَ﴾، فاللفظ فيها على وزن اسم الفاعل الدال
بصيغته على الحدوث، جاء من الفعل الثلاثي عَمِيَ؛ وألحق به ما ألحق بسابقه من
علامة لجمع المذكر السالم، وأعلّ بما أعلّ به، فقرئ: ﴿عَامِينَ﴾، وصار على وزن:
فاعين.

وكان بيان المفسرين لمعنى هذا اللفظ بقراءته أنه العمى عن الحق، أو هو الكفر،
ولم يختلف بيان جمهورهم في ذلك^(٣). وكان الاختلاف في القراءتين في طبيعة العمى،
أثبت هو أم حادث، وخلافهم هذا سببه الخلاف في البنية التصريفية؛ لذا قيل إن
القراءة الأولى ﴿عَمِينَ﴾ تدل على عمى ثابت؛ لدلالة بنية الصفة المشبهة على
هذا المعنى. أما القراءة الأخرى، فذكر بعض المفسرين أنها إنما تدل على عمى حادث؛

(١) ينظر: ابن خالويه: مختصر الشواذ: ٤٤. وينظر: الزمخشري: الكشاف، ٢: ٤٥٧. وينظر:

البيضاوي: أنوار التنزيل، ٣: ١٨. وينظر: الهمداني: الكتاب الفريد، ٣: ٨٠.

(٢) ينظر: العكبري: التبيان، ١: ٥٧٨. وينظر: الهمداني: الكتاب الفريد، ٣: ٧٩. وينظر:

البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣: ١٨. وينظر: أبو حيان: البحر، ١٣: ٣٨.

(٣) ينظر: الطبري: جامع البيان، ١٢: ٥٠٣. وينظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ٢: ٣٤٧.

وينظر: البغوي: معالم التنزيل، ٣: ٢٤٢. وينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ٣: ١٨.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

لدلالة البنية التصريفية فيها على معنى الحدوث^(١).

وأثبت البيضاوي في تفسيره القراءات الواردة، مبيّناً معناها الخاص، ليحكم بعدها لقراءة الجمهور بأنها أبلغ من القراءة الأخرى، جاء في التفسير: "﴿إِنَّهُمْ كَأُولَى قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمى القلوب غير مستبصرين، وأصله عمين فخفف. وقرئ —عَامِينَ—، والأول أبلغ؛ لدلالته على الثبات"^(٢).

ولم يكن البيضاوي قد خرج فيما قرره من أثر بلاغي عما هو ثابت عند علماء اللغة من دلالة وزن (فَعِل) على الثبوت في الوصف، ودلالة الوصف من اسم الفاعل على الحدوث، وكان لأبي حيان إشارة إلى ذلك في تفسيره، جاء في البحر: "﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾ من عمى القلب، أي: غير مستبصرين. ويدل على ثبوت هذا الوصف كونه جاء على وزن فَعِل، ولو قصد الحدوث لجاء على فاعل، كما جاء ضائق في ضيق، وثاقل في ثقل، إذا قُصد به حدوث الضيق والثقل"^(٣).

وهذا الحكم من البيضاوي، وذاك البيان من أبي حيان يوضح حقيقة الأثر البلاغي في القراءات القرآنية، والتي كان لبعض المفسرين حرص على بيانها وإظهارها عند حديثهم وتفسيرهم لتلك الآيات.

- قال تعالى: ﴿أَقْتَلْتَنَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: آية ٧٤]

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، ويعقوب الحضرمي: —زَاكِيَّةٌ— بألف، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿زَكِيَّةٌ﴾ بغير ألف مع التشديد^(٤).

اختلفت البنية التصريفية بين القراءتين، فقراءة أهل الحجاز ومن تابعهم: —زَاكِيَّةٌ—، جاء الحرف فيها اسمًا مشتقًا على وزن اسم الفاعل من الفعل الثلاثي:

(١) ينظر: الزمخشري: الكشاف، ٢: ٤٥٧.

(٢) البيضاوي: أنوار التنزيل، ٣: ١٨.

(٣) أبو حيان: البحر، ١٣: ٣٨.

(٤) ينظر: ابن مجاهد: السبعة، ٣٩٥. وينظر: الأزهري: معاني القراءات، ٢: ١١٥. وينظر: ابن

خالويه: الحجة، ٢٢٧.

زكى، الدال في أصله على النماء، كما يدل على الطهر والتقوى^(١).
وجاءت قراءة أهل الكوفة: ﴿زَكِيَّةٌ﴾، على وزن: فعيل، المحول من فاعل؛ دلالة على المبالغة.

واختلف المفسرون في معنى الحرف فيهما، فذهبت طائفة من المفسرين أن الصيغتين بمعنى واحد، يراد بهما: الطاهرة من الذنوب، حكى النحاس ذلك عن الكسائي^(٢)، وبه قال الفراء^(٣)، واختاره الطبري ورجحه، وتابعهم الزمخشري^(٤)، وابن عطية^(٥)، جاء في جامع البيان: "كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل الكوفة يقول: معنى الزكية والزكوية واحد، كالفاسية والقسية، ويقول: هي التي لم تجن شيئاً، وذلك هو الصواب عندي لأنني لم أجد فرقا بينهما في شيء من كلام العرب"^(٦).

وفرق مجموعة من المفسرين بين القراءتين، فكانت لهم أقوال في معناها، فقليل: إن معنى ﴿زَكِيَّةٌ﴾: الثابتة المغفورة لها ذنوبها^(٧)، ومعنى زَكِيَّةٌ الْمُسْلِمَةُ الْمُطَهَّرَةُ الَّتِي لَا ذَنْبَ لَهَا، أَوْ الَّتِي لَمْ تَذَنْبْ قَطُّ^(٨).

وكان لبعض المفسرين وقفة بلاغية، حاولوا فيها بيان بعض الآثار البلاغية المترتبة على اختلاف القراءة، فذكر النحاس أن أبا عمرو البصري يذهب إلى أن قراءة أهل الحجاز أولى من قراءة أهل الكوفة؛ لأن دلالة الاسم المشتق فيها على من قتله الخضر عليه السلام، وهو الطفل الذي لم يذنب أظهر^(٩).

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ٦: ٦٤ (زكا)

(٢) ينظر: النحاس: إعراب القرآن، ٢: ٣٠٢. وينظر: البغوي: معالم التنزيل، ٥: ١٩١.

(٣) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ٢: ١٥٥.

(٤) ينظر: الزمخشري: الكشاف، ٣: ٦٠١.

(٥) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ٦: ٤١٧.

(٦) الطبري: جامع البيان، ١٨: ٧٥.

(٧) ينظر: الطبري: جامع البيان، ١٨: ٧٥. وينظر: البغوي: معالم التنزيل، ٥: ١٩١.

(٨) ينظر: الطبري: جامع البيان، ١٨: ٧٥. وينظر: البغوي: معالم التنزيل، ٥: ١٩١.

(٩) ينظر: النحاس: إعراب القرآن، ٢: ٣٠٢.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

وخالف غير واحد أبا عمرو فيما نُقل عنه، فذهبوا إلى أن قراءة أهل الكوفة أبلغ؛ لدلالة البنية التصريفية لتلك القراءة على المبالغة والتكثير، ففيها زيادة معنى ومبالغة في الدلالة عليه، وهذا مما حكاه أبو جعفر النحاس عن بعض المفسرين^(١)، وتابعه البيضاوي^(٢)، وأبو حيان في البحر، قال: "قرأ زيد بن علي، والحسن، والجحدري، وابن عامر، والكوفيون: ﴿زَكِيَّةٌ﴾ بغير ألف وبتشديد الياء وهي أبلغ من —زَاكِيَّةٌ—؛ لأن فاعلاً المحول من فاعل يدل على المبالغة"^(٣).

وأظن أن الحكم بالأولى أو الأبلغ فيهما مُحتمل ومتوجه في كلا القراءتين، يحكمه في ذلك المعنى العام للآية، والدلالة العامة للبنية التصريفية؛ فإن كان المقتول صبيًا صغيرًا لم يكلف فما نقل عن أبي عمرو أظهر في الدلالة؛ لأن دلالة لفظ —زَاكِيَّةٌ— المسلمة المطهرة التي لا ذنب لها، أو التي لم تذنب قط وصف صادق على الصبي الذي لم يكلف ولم يذنب. أما إن كان لفظ الغلام دالًّا على البالغ، فالقراءة الأخرى هي الأبلغ؛ لاحتمال الذنب منه والتوبة، وهنا تكون البنية المضعفة أبلغ لصدق دلالتها على التكثير.

- قال تعالى: ﴿وَتَنجِيُونَ مِنَ الْجِبَالِ الَّتِي أُوتِيَ بِهَا قُرَيْشٌ﴾ [الشعراء: آية ١٤٩]

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، ويعقوب: —قُرَيْشٌ— بغير ألف، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: ﴿قُرَيْشٍ﴾ بألف^(٤).

وخلاف القراء في هذا الحرف هو خلاف في البنية التصريفية، فقراءة ابن كثير ومن وافقه جاءت على وزن من أوزان الصفة المشبهة، وهو وزن: فَعِلٌ، من الفعل الثلاثي: قَرِهَ، الدال على معنى الأشر والبطر. وألحق بهذا الوزن علامة جمع المذكر السالم، فقرأ: —قُرَيْشٍ—. وجاءت قراءة الكوفيين على وزن اسم الفاعل الدال على الحدوث،

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ٣: ٢٨٨.

(٣) أبو حيان: البحر، ١٨: ٢٠٨.

(٤) ينظر: ابن مجاهد: السبعة، ٤٧٢. وينظر: الأزهري: معاني القراءات، ٢: ٢٢٨. وينظر: ابن

خالويه: الحجة في القراءات السبع، ٢٦٨. وينظر: الفارسي: الحجة، ٥: ٣٦٦.

مأخوذ من فَرَّه، الدال في معناه على الحذق^(١).

وبناء على اختلاف القراء، واختلاف البنية التصريفية له كان خلاف المفسرين، فتعددت الأقوال فيه، وهم فيه على مذهبين:

أولهما: أنهما لغتان، فهما بمعنى واحد، هذا فيما حُكي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وعن أبي عبيدة وقطرب^(٢)، واللفظة هنا مأخوذة من الفراهة، وهي النشاط والكيس، وجودة منظر الشيء وخبرته وكماله في نوعه. فمعنى الآية: كيسين، ويكون فاره اسم فاعل مشتق من فَرَّه، وبابه فَعَّل يَفْعَل. أما فَرِه فهو صفة، كما يقال: فلان حاذق بهذا الأمر وحذق، ويكون من معناهما: أشْرين، وبطرين، ومتجبرين، ومرحين^(٣).

الثاني: قيل فيه إن معناهما مختلف؛ لاختلاف بنيتهما التصريفية: فقيل في معنى

﴿فَرِهَيْنَ﴾ حاذقين بنحتها، متخيرين مواضع النحت. ومعنى: ﴿فَرِهَيْنَ﴾ أشْرين، بطرين، وقيل: فرحين، ذلك أن العرب تعاقب بين الهاء والحاء، وقيل: معجبين بصنيعكم^(٤).

وبناء على الاختلاف في البنية التصريفية واختلاف دلالتيهما كان لبعض المفسرين موقف تجاوز التفريق الدلالي بين معاني هذين الحرفين إلى الأثر البلاغي؛ لبيان أيهما أبلغ من الأخرى في الدلالة على المراد. ومن حكم بذلك: البيضاوي في تفسيره، إذ نص على أن قراءة نافع أبلغ، قال: "وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿فَرِهَيْنَ﴾"

(١) ينظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ٤: ٩٦. وينظر: النحاس: إعراب القرآن، ٣: ١٢٨.

وينظر: ابن منظور: لسان العرب، ١٠: ٢٥٤ (فره)

(٢) وينظر: النحاس: إعراب القرآن، ٣: ١٢٩. وينظر: النحاس: معاني القرآن، ٥: ٩٧. وينظر:

العكبري: التبيان، ٢: ١٠٠٠. وينظر: الهمداني: الكتاب الفريد، ٥: ٦٦.

(٣) ينظر: الطبري: جامع البيان، ١٩: ٣٨٣. وينظر: النحاس: إعراب القرآن، ٣: ١٢٨. وينظر:

ابن خالويه: إعراب القراءات السبع، ٢: ١٣٧.

(٤) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ٢: ٢٨٢. وينظر: الطبري: جامع البيان، ١٩: ٣٨٣. وينظر:

الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ٤: ٩٦. ينظر: النحاس: إعراب القرآن، ٣: ١٢٨. وينظر:

البغوي: معالم التنزيل، ٦: ١٢٥.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله المحمود

وهو أبلغ من ﴿فَرِهَيْنَ﴾^(١). ووافقه على ذلك أبو السعود^(٢).

والناظر فيما تقدم من حكم البيضاوي، وما سبقه من بيانه لمعنى القراءتين، يظهر له اعتماد البيضاوي في حكمه البلاغي على هاتين القراءتين على البنية التصريفية، إذ حكم ببلاغة القراءة التي جاءت البنية فيها على وزن فَعَلٍ، أحد أوزان الصفة المشبهة؛ وما ذاك إلا لدلالة هذه البنية على الثبوت الصفة ودوامها. بخلاف القراءة الأخرى التي جاءت على وزن اسم الفاعل الدال على الحدوث، ولا شك أن ثبوت الصفة واستمرارها في مثل هذه الحالة أبلغ من حدوثها.

- قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: آية ٥]

لم يختلف السبعة في قراءة قوله تعالى: ﴿عُجَابٌ﴾ في الآية، إذ قرئ بالتخفيف، على وزن: فُعَالٍ، بضم الأول وفتح الثاني، وقراءة الجمهور. وقرئ في الشواذ: بتشديد العين، على وزن: فُعَالٍ — عُجَابٌ^(٣).
وخلاف القراءة خلاف في البنية التصريفية؛ فالحرف في قراءة السبعة على وزن من أوزان المبالغة، هو: فُعَالٍ، من العجب^(٤). واختلفت القراءة الأخرى عنها بالتضعيف في هذا الوزن، فجاء الحرف على وزن: فُعَالٍ.

وكان لبعض المفسرين وقفة في بيان معنى الحرف في القراءات، ولهم فيه آراء: منهم من ذهب إلى أن دلالة الحرف في القراءتين لا تختلف، فلم يفرقوا بين صيغتي

(١) البيضاوي: أنوار التنزيل، ٤: ١٤٧.

(٢) ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، ٦: ٢٥٩.

(٣) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ٢: ٣٩٨. وينظر: ابن جني: المحتسب، ٢: ٢٣٠. وينظر: ابن

عطية: المحرر الوجيز، ٨: ٣٠٦.

(٤) ينظر: أبو حيان: البحر، ٢٢: ١٥١.

المبالغة مضعفة ومخففة، ومن ذهب إلى هذا الرأي، الفراء^(١)، والزجاج^(٢)، والنحاس^(٣)، وابن جني الذي ذكر أن مجيء الصفة التي على زنة فعيل على أحد الوزنين فُعَالٌ وفُعَّالٌ وارد في لغة العرب من غير أن يفرق بين دلالة هاتين البنيتين^(٤)، وتابعهم الزمخشري^(٥)، وابن عطية^(٦).

ولعل هذا الاتحاد في المعنى عند من لم يفرق بينهما عائد إلى تعدد اللغات، إذ حُكي أن لغة التضعيف في هذا الحرف من لغة أزد شنوءة، وعليه فلا فرق بين دلالة هاتين القراءتين مع اختلاف بنيتهما التصريفية؛ لاختلاف اللغة في ذلك عن العرب^(٧). وكان لبعض المفسرين رأي يخالف في هذا، إذ جعلوا بينهما فرقاً، وطبيعة الفرق متمثلة في دلالتهما على المبالغة؛ ففي الصيغة المضعفة مزيد دلالة، حكى ذلك الهمداني فقال: "وقيل: الكُبَّارُ أكبرُ من الكبير، والكُبَّارُ أكبر من الكُبار، ونحوه: عُجَابٌ وعُجَابٌ، وحُسَانٌ وحُسَانٌ، وطَوَالٌ وطَوَالٌ بالتخفيف والتشديد"^(٨).

ولما كانت دلالة المضعف على المبالغة في الأمر أظهر، كان لبعض المفسرين حكم فيها، إذ حكموا أن قراءة التشديد، أعني قراءة السلمي وعيسى بن عمر أبلغ من قراءة الجمهور؛ وما كان هذا الحكم إلا بسبب التضعيف في البنية التصريفية في القراءة، فالزيادة في اللفظ وبنيته التصريفية في هذه الآية دليل على الزيادة في المعنى. وقد بيّن ابن خالويه ذلك قال: "ورجل خَفِيفٌ وخُفَّافٌ، كقولهم: شيء عَجِيبٌ وعُجَابٌ، ورجل

(١) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ٢: ٣٩٨.

(٢) ينظر: الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، ٤: ٣٢١.

(٣) وينظر: النحاس: معاني القرآن، ٦: ٧٩.

(٤) ينظر: ابن جني: المحتسب، ٢: ٢٣٠.

(٥) ينظر: الزمخشري: الكشاف، ٥: ٢٤٣.

(٦) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ٨: ٣٠٦.

(٧) ينظر: المهدي: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، ٥: ٤٧٥. وينظر: أبو حيان: البحر، ٢٢:

١٥١.

(٨) الهمداني: الكتاب الفريد، ٦: ٢٣١.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

كبيرٌ وكَبَّار. فإن أردت المبالغة في المدح قلت: حُفَّافٌ، وكُبَّارٌ" (١). وهذا التقرير لهذه المسألة من ابن خالويه جعل بعض المفسرين يحكم ببلاغة قراءة التضعيف على قراءة التخفيف مع أن كلا الوزنين دال على المبالغة. وممن قال ببلاغة قراءة التضعيف الزمخشري، وتابعه فيه المنتجب الهمداني (٢)، والبيضاوي (٣)، وأبو حيان (٤)، جاء في تفسير الكشاف: "﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ أي: بليغ في العجب. وقرئ: —عُجَابٌ، بالتشديد، كقوله تعالى ﴿مَكْرًا كَبَّارًا﴾، وهو أبلغ من المخفف" (٥).

ولم ينتعد الزمخشري في حكمه عما قرره علماء اللغة من أن الزيادة في المبنى تفيد الزيادة في المعنى، وما تقرر عندهم مما نص عليه ابن جني سابقاً من أن تشديد العين يعطى اللفظ قوة في معناه، وعليه فحكم الزمخشري هنا صادر من قواعد التصريف وأحكامه. وهذا يؤكد أثر البنية التصريفية في أحكام المفسرين البلاغية.

- قال تعالى: ﴿قَلْبَتْ تَلْبَتٍ عِيدَاتٍ سَلِيحَاتٍ تَلْبَتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحریم: آية ٥]

لم يختلف السبعة في قراءة الحرف ﴿سَلِيحَاتٍ﴾ من هذه الآية، إذ قرؤوا به على صيغة اسم الفاعل ملحقة به علامة المجموع بالألف والتاء، وقرأ عمرو بن فائد في الشواذ: —سَلِيحَاتٍ (٦).

وتختلف البنية التصريفية لهذا الحرف في قراءته، مع اتحاد أصل اشتقاقهما، إذ اللفظ في كلا البنيتين مأخوذ من الفعل ساح الدال في أصله اللغوي على الماء الظاهر

(١) ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة من القرآن، ١٦٢.

(٢) ينظر: الهمداني: الكتاب الفريد، ٥: ٤١٠.

(٣) ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ٥: ٢٤.

(٤) وينظر: أبو حيان: البحر، ٢٢: ١٥١.

(٥) الزمخشري: الكشاف، ٥: ٢٤٣.

(٦) ينظر: ابن خالويه: مختصر الشواذ، ١٥٩. وينظر: الزمخشري: الكشاف، ٦: ١٦٠. وأبو

حيان: البحر، ٢٤: ٤٠١.

الجاري على وجه الأرض، وهو هنا دال على الصائم، وإنما سمي الصائم سائحًا؛ لأن السائح لا زاد معه، فكذلك الصائم يسبح في النهار بلا زاد، ولا يفطر حتى يجده ويحل وقت الفطر^(١).

وجاء الحرف في القراءة السبعية على وزن اسم الفاعل من الفعل، ثم ألحقت به علامة المجموع بالألف والتاء فقرأ: ﴿سَيِّحَاتٍ﴾. أما قراءة —سَيِّحَاتٍ—، فجاءت البنية التصريفية فيها على وزن فَعِيلٍ من الفعل ذاته، فقليل فيه: سَيَّوح، اجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت الواو بالسكون فقلبت ياءً وأدغمت فيه الياء. ومع اختلاف البنية التصريفية بين القراءتين يكاد يجمع المفسرون على أن مراد الآية وصف خاص بالصائم، حمل فيه وزن: فَعِيلٍ على وزن فاعل^(٢).

إلا أن من المفسرين مَنْ خالف في الجانب البلاغي، وما كانت هذه المخالفة إلا بسبب ما تحتمله البنية التصريفية من دلالة، فكان أن حكم بأن من قرأ —سَيِّحَاتٍ— أبلغ في قراءته ممن قرأ: ﴿سَيِّحَاتٍ﴾، وما ذلك إلا لدلالة وزن فَعِيلٍ على المبالغة أكثر من وزن فاعل. ومن قال بذلك: الزمخشري في كشافه، قال: "وقرئ: —سَيِّحَاتٍ—، وهي أبلغ"^(٣).

وهذا الحكم البلاغي من الزمخشري لهذه القراءة على شذوذها ومخالفتها قراءة السبعة إنما سببه البنية التصريفية؛ إذ نظر الزمخشري إلى بنية فَعِيلٍ التي عدل إليها للدلالة على معنى ما جاء من الأسماء المشتقة على وزن فاعل، فحكم لها بالبلاغة على الصيغة الأصيلة، ما يبين أثر البنية التصريفية على بلاغة الألفاظ القرآنية.

- قال تعالى: ﴿أَوَذَاكَ عَظَمَاتٍ خَوَّءٌ﴾ [النازعات: آية ١١]

- (١) ينظر: أبو حيان: البحر، ٢٤: ٤٠١. وينظر: الطيبي: فتوح الغيب، ١٥: ٥٠٥.
(٢) ينظر: الطبري: جامع البيان، ٢٣: ٤٨٩. وينظر: الزمخشري: الكشاف، ٦: ١٦٠. وينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ٥: ٢٢٥. وينظر: أبو حيان: البحر، ٢٤: ٤٠١. وينظر: الطيبي: فتوح الغيب، ١٥: ٥٠٥. وينظر: أبو السعود: تفسير أبي السعود، ٨: ٢٦٨.
(٣) الزمخشري: الكشاف، ٦: ١٦٠.

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

اختلف القراء في قراءة ﴿نَحْرَةً﴾، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم: ﴿نَحْرَةً﴾ بدون ألفٍ. وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: **نَاخِرَةٌ** (١).

والاختلاف في القراءة تبعه اختلاف في البنية التصريفية، إذ جاء في قراءة ابن كثير على وزن: فَعَلَةٌ. وجاء في قراءة حمزة ورواية أبي بكر عن عاصم على وزن: فاعل. وكان لبعض المفسرين وقفة حول معنى هذا الحرف في القراءتين، فكانوا في ذلك على مذاهب:

الأول: من لم يفرق بين هذا الحرف في قراءتيه، فعَدَّ النخرة والناخرة لفظان روبا عن العرب في لغاتهم يدلان على العظام البالية، وهذا مذهب جمهور أهل اللسان، كما نص على ذلك الثعلبي. ومن نُقِلَ عنه القول بهذا الرأي: الكسائي (٢)، الأخفش (٣)، والفراء (٤)، والزجاج، وأجاز الأزهري ذلك في معانيه (٥)، والفارسي (٦).

الثاني: أن هناك فرقاً في معنى الحرف في القراءتين، فقالوا: النَّخْرَةُ: وصف مأخوذ من الفعل: نَخَرَ، الدال على البلى في العظم فإذا لمست تفتتت، يقولون: نَخَرَ الْعَظْمُ يَنْخَرُ فَهُوَ نَخْرٌ. أما الناخرة: فهي العظام الفارغة التي يحصل من هبوب الريح فيها صوت كالنخير، وعلى هذا الناخرة من النخير بمعنى الصوت كنخير النائم والمخنوق (٧). ونقل

(١) ينظر: ابن مجاهد: السبعة، ٦٧٠. وينظر: الأزهري: معاني القراءات، ٣: ١١٩. وينظر: ابن

خالويه: الحجة في القراءات السبع، ٣٦٢. وينظر: الفارسي: الحجة، ٦: ٣٧١.

(٢) ينظر: ابن مجاهد: السبعة، ٦٧١.

(٣) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ٣١: ٣٥.

(٤) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ٣: ٢٣١.

(٥) ينظر: الأزهري: معاني القراءات، ٣: ١١٩.

(٦) ينظر: الفارسي: الحجة للقراء السبعة، ٦: ٣٧١.

(٧) ينظر: الطبري: جامع البيان، ٢٤: ١٩٥. وينظر: الأزهري: معاني القراءات، ٣: ١١٩.

وينظر: الثعلبي: الكشف والبيان، ١٠: ١٢٥.

عن أبي عمرو بن العلاء أن "الناخرة: التي لم تنخر بعد. والناخرة: التي قد بليت"^(١). وعليه فالتفريق من أبي عمرو يجعل أصل الدلالة واحداً لكن النخرة أبعد وأبلغ دلالة على البلى.

وترتب على هذه التفريق من بعض المفسرين في معنى هاتين القراءتين اختلاف أصل اشتقاق هذين الوصفين عند هؤلاء المفسرين. واختلاف دلالتهما الخاصة فضلاً عن اختلاف دلالة البنية التصريفية.

وتبع الخلاف في قراءة الحرف ودلالته خلاف في أي القراءتين أبلغ؟ فكان لبعض المفسرين حكم بلاغي تمثل في أن قراءة: ﴿نَخْرَةٌ﴾ أبلغ من في بنيتها التصريفية من القراءة بصيغة: —نَاخِرَةٌ، قال بذلك البيضاوي في تفسيره^(٢)، وابن جزي في التسهيل^(٣)، والشهاب الخفاجي في حاشيته^(٤).

وكان حكم أولئك المفسرين حول بلاغة تلك القراءة مرده إلى البنية التصريفية التي جاءت عليها القراءة؛ إذ جاءت على صيغة من صيغ المبالغة، ووزن من أوزانها وهو وزن: فَعَلٌ، فكانت دلالتها على المعنى أبلغ من دلالة اسم الفاعل بصيغته، وهذا ما صرح به ابن جزي، والشهاب الخفاجي في تفسيريهما، جاء في حاشية الشهاب: "وَفَعَلٌ أبلغ من فاعل وإن كانت حروفه أكثر وكثرة البنية لا تدلّ على كثرة المعنى مطلقاً"^(٥).

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز، ١٠: ١١٨.

(٢) ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل، ٥: ٢٨٣.

(٣) ينظر: ابن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل، ٤: ٥٩٧.

(٤) ينظر: الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب، ٨: ٣١٣.

(٥) الشهاب الخفاجي: حاشية الشهاب، ٨: ٣١٣.

الخاتمة

وقف هذا البحث على أمثلة متعددة من القراءات القرآنية التي اختلف القراء في بنيتها التصريفية، فكان لذلك الخلاف أثر في دلالة الألفاظ ومعاني الآيات، وكان لهذا الخلاف في البنية التصريفية أثر تجاوز الدلالة إلى الجانب البلاغي للفظ، فحاولت الدراسة الوقوف على هذا الأثر والبحث عن معالم في عبارات المفسرين وعلماء اللغة وألفاظهم.

وقد تبين من خلال الدراسة والمراجعة تعدد العوامل المؤثرة في البلاغة القرآنية، والتي كان للمفسرين وقفات عندها، فكان للتركيب النحوي أثره البلاغي عندهم، كما كان للأسلوب التعبيري أثره الخاص في البلاغة القرآنية، ولما كان هدف الدراسة الوقوف الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية عند المفسرين اقتصر البحث على هذا الجانب، وكانت أهم نتائج هذه الدراسة ما يأتي:

- لم يكن الغرض العلمي أو الهدف البلاغي من تلك الأحكام التي أصدرها المفسرون القدح في لغة القرآن أو رد قراءته، بل هم على يقين واعتقاد لا يعارض بفصاحة القرآن وأن لغته أعلى لغة العرب فصاحة وبلاغة، وما هذه الأحكام منهم إلا آراء شخصية نظروا فيها إلى دلالات تلك البنية التصريفية وما تحملها من دلالات، فما ظهر لهم أنهم أبلغ في الدلالة كان الحكم منهم ببلاغته.

- كان لعلماء التفسير أثر ظاهر في الدرس التصريفي، أثر ظهر من خلال تلك المسائل المثبوتة في ثنايا هذا العلم، وفي معالجة كثير من المسائل عند ورود شواهدا من القرآن الكريم، وما دلالات الأوزان إلا نموذج لذلك الأثر.

- كان لعلم التصريف ولأئمة العلم أثر في المفسرين، وربما اعتمد المفسر في حكمه في مسألة على قول لعالم ففاس عليه المسألة وحكم بحكمه، كما قيس حكم سيبويه في بيت الفرزدق على ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ﴾ من قراءة.

- أثبتت الدراسة أن للبنية التصريفية أثرها البلاغي الخاص عند المفسرين، من خلال عبارات المفسرين وأحكامهم التي نصوا فيها على ذلك الأثر وبينوه.
 - قد تختلف الآثار البلاغية المبنية على البنية التصريفية باختلاف المعنى، أو باختلاف الاعتبار الذي نظر المفسر فيه إلى الآية، كما اختلف حكمهم في قراءة **مَلِكٍ** وقراءة: ﴿مَلِكٍ﴾.
 - كانت نظرت المفسرين لتلك القراءات ومعانيها منحصرة في الجانب التصرفي؛ ولذا جاءت الأحكام مبنية عليه، ولو اختلف النظر، أو اختلف تقدير المعنى بما تحتمله الآية من دلالة لاختلفت تلك الأحكام البلاغية في بعض الآيات.
 - لم تخالف الآثار البلاغية من المفسرين قواعد التصريف وأحكامه الخاصة بالأوزان التصريفية ودلالاتها، بل تكاد تتوافق مع تلك الأحكام وتعتمدها منطلقاً في ذلك.
 - قد يكون للمعنى العام أو لبعض العوامل الأخرى أثر في البنية التصريفية وبلاغة دلالتها في الآية، كما ظهر ذلك في دلالة لفظ الغلام، واختلاف المفسرين في الأثر البلاغي في تلك الآية.
- والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- الأزهري: محمد بن أحمد،
تهذيب اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون وآخرون (ط ١)، دار إحياء التراث العربي بيروت،
(٢٠٠١).
- معاني القراءات (ط ١)، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود/ الرياض،
(١٤١٢ - ١٩٩٢).
- الأخفش: سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق: هدى محمود قراعة (ط ١)، مكتبة
الخانجي / القاهرة، (١٤١١).
- الأنباري: أبو البركات، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي (ط ٣)،
مكتبة المنار / الأردن، (١٤٠٥)
- الأندلسي: أبو حيان،
ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد (ط ١)، مكتبة الخانجي/
القاهرة، (١٤١٨).
- البحر المحيط، تحقيق: عبدالله التركي (ط ١)، دار هجر / (١٤٣٦)
- الثعلبي: أحمد بن محمد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمد بن عاشور
(ط ١)، دار إحياء التراث العربي / بيروت، (١٤٢٢).
- ابن جزري: محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبدالله الخالدي (ط ١)، دار
الأرقم بن أبي الأرقم / بيروت، (١٤١٦).
- ابن جني: أبو الفتح، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (المجلس
الأعلى للشؤون الإسلامية، (١٤٢٠).
- ابن الحاجب: عثمان بن عمر، شرح الشافية، تحقيق: غازي العتيبي (ط ١)، مكتبة الرشد/
الرياض، (١٤٤٢)
- الحديثي: خديجة، أبنية الصرف في كتاب سيبويه (ط ١)، مكتبة النهضة / بغداد، (١٩٦٥)
- ابن خالويه: الحسين بن أحمد، إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق: عبدالرحمن
العثيمين (ط ١)، مكتبة الخانجي / القاهرة، (١٤١٣).

إعراب ثلاثين سورة من القرآن، (دار الكتب المصرية/ القاهرة، ١٣٩٠).
الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم (ط ٤)، دار الشروق/ بيروت،
١٤٠١).

مختصر في شواذ القرآن الكريم من كتاب البديع (مكتبة المتنبي/ القاهرة).
الرازي: فخر الدين، مفاتيح الغيب (ط ٣، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ١٤٢٠).
الزجاج: إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبدالجليل عبده (ط ١، عالم
الكتب/ بيروت، ١٤٠٨).

الزركشي: بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط ١،
دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦).

ابن السراج: محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: عبدالحسين الفتلي (ط ٤،
مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤٣٦).

أبو السعود: محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم (دار إحياء التراث العربي/ بيروت).
السمين الحلبي: أبو العباس أحمد بن يوسف، الدر المصون، تحقيق: أحمد محمد الخراط
(دار القلم/ دمشق).

سيبويه: عمرو بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون (ط ١، دار الجيل/ بيروت).
السيرافي: أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: رمضان عبدالتواب وآخرون (ط ٢،
دار الكتب والوثائق القومية/ القاهرة، ١٤٢٩).

الشهاب الخفاجي: أحمد بن محمد، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (دار صادر/
بيروت).

الطبري: محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاکر (ط ١،
مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤٢٠).

الطبي: شرف الدين الحسين بن عبدالله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب،
تحقيق: إياد محمد (ط ١، جائزة دبي الدولية للقرآن/ دبي، ١٤٣٤).

ابن عصفور: علي بن مؤمن، الممتع في التصريف (ط ١، مكتبة لبنان، ١٩٩٦).

الأثر البلاغي لاختلاف البنية التصريفية في القراءات القرآنية عند المفسرين، د. سعد بن عبد الله الحمود

ابن عطية: عبدالحق بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: مجموعة من الباحثين (ط ١، وزارة الأوقاف/ قطر، ١٤٣٦).

العكبري: أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي (عيسى البابي الحلبي وشركاه).

الفارسي: أبو علي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي وآخرون (ط ٢، دار المأمون/ دمشق، ١٤١٣).

الفراء: يحيى بن زياد، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي (ط ٣، دار الكتب المصرية/ القاهرة، ١٤٢٢)

القرطبي: محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني (ط ٢، دار الكتب المصرية/ القاهرة، ١٣٨٤).

ابن مالك: محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، تحقيق: عبد المنعم هريدي (ط ٣، جامعة أم القرى/ مكة المكرمة، ١٤٣٤).

المبرد: محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة (عالم الكتب/ بيروت، ١٤٣١).

ابن مجاهد: أحمد بن موسى، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف (ط ٢، دار المعارف/ القاهرة، ١٤٠٠).

مكي: ابن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم الضامن (ط ١، دار البشائر/ دمشق، ١٤٢٤).

ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب (ط ٣، إحياء التراث العربي/ بيروت).
المهدوي: أبو العباس أحمد بن عمار، التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، تحقيق: دار الكمال المتحدة (ط ١، وزارة الأوقاف/ قطر، ١٤٣٥).

النحاس: أبو جعفر

إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد (ط ١، مطبعة العاني/ بغداد، ١٣٩٧).
معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد الصابوني (ط ١، جامعة أم القرى/ مكة، ١٤١٠).

الهمذاني: المنتجب، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، تحقيق: محمد الفتيح (ط ١)،
دار الزمان/ المدينة، ١٤٢٧).

ابن يعيش: يعيش بن علي، شرح المفصل، تحقيق: إبراهيم عبدالله (ط ٢)، دار سعد الدين
/ دمشق، ١٤٣٦).

Bibliography

- Al-Azhari, Muhammad Ahmad, **Tahdhīb al-Lugha**, investigated by ‘Abd al-Salam Haroun and others. (1st Edition, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, 2001).
- Ma‘ānī al-Qirā’āt** (1st Edition, Research Center at the College of Arts - King Saud University / Riyadh, 1412 - 1992).
- Al-Akhfash Sa‘eed Masada, **Ma‘ānī al-Qur’ān**, investigated by Huda Mahmoud Qara’a (1st edition, Al-Khanji Library / Cairo, 1411).
- Al-Anbārī, Abu Al-Barakāt, **Nuzhat Al-Albaa fi Tabaqāt Al-Al-Udabā**, investigated by Ibrahim Al-Samurrā’i (3rd Edition, Al-Manar Library / Jordan, 1405).
- Al-Andalusi, Abu Hayyan.
- Irtishaf Al-Darb Min Lisān al-Arab**, investigated by Rajab ‘Uthman Muhammad (1st ed., Al-Khanji Library / Cairo, 1418).
- Al-Bahr Al-Muheet**, investigated by Abdullah Al-Turki (1st ed., Dar Hajar / 1436)
- Al-Thalabi, Ahmed Muhammad, **al-Kashf wa al-Bayān ‘an Tafsīr al-Qur’ān**, investigated by Abi Muhammad bin ‘Āshour (1st Edition, House of Revival of Arab Heritage / Beirut, 1422).
- Ibn Jazzī, Muhammad bin Ahmad, **Al-Tasheel Li ‘Uloum Al-Tanzīl**, investigated by Abdullah Al-Khalidi (1st edition, Dār Al-Arqam bin Abi Al-Arqam/ Beirut, 1416).
- Ibn Jinnī, Abu al-Fath, **Al-Muhtasib fi Tabyīn Wujūh Shawādh al-Qirā’āt wa al-Idāh ‘anhā**, (Supreme Council for Islamic Affairs, 1420).
- Ibn Al-Hājib, ‘Uthman bin Omar, **Sharh Al-Shāfiya**, investigated by Ghazi Al-‘Utaibi (1st edition, Al-Rushd Library / Riyadh, 1442).
- Ibn Khālawaih: Al-Hussein bin Ahmad,
- I‘rāb al-Qirā’āt al-Sab‘ wa al-‘Ilal**, investigated by ‘Abd al-Rahman al-‘Uthaymeen (1st Edition, Al-Khanji Library / Cairo, 1413).
- I‘rāb Thalāthīn Souratan min al-Qur’ān**, (Dār Al-Kutub Al-Masryah / Cairo, 1390).
- Al-Ḥujjat fi al-Qirā’āt al-Sab‘**, investigated by ‘Abd al-‘Āl Salim Mukarram (4th edition, Dar Al-Shurouk / Beirut, 1401).
- Mukhtasharr fi Shawādh al-Qur’ān al-Karīm min Kitāb al-Badī‘** (Al-Mutanabbi Library / Cairo).
- Al-Rāzī, Fakhr Al-Dīn, **Mafāteeh Al-Ghaib** (3rd Edition, House of Revival of Arab Heritage / Beirut, 1420).
- Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sarri, **Ma‘ānī al-Qur’ān wa I‘rābuh**, investigated by ‘Abd al-Jalīl ‘Abdu (1st edition, ‘Ālam Al-Kutub/ Beirut, 1408).

- Al-Zarkashi, Badr Al-Dīn, **Al-Burhān Fī 'Uloum Al-Qur'ān**, investigated by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim (1st Edition, House of Revival of Arabic Books, 1376).
- Ibn Al-Sarrāj, Muhammad bin Sahl, **al-Ouṣoul fī al-Nahw**, investigated by 'Abd al-Husain Al-Fatli (4th Edition, Al-Resala Foundation / Beirut, 1436).
- Abu Al-Sa'ūd, Muhammad bin Mustafa, **Irshād al-'Aql al-Salīm** (House of the Revival of Arab Heritage / Beirut).
- Al-Samīn Al-Halabi, Abu Al-'Abbās Ahmad bin Youssuf, **Al-Durr Al-Maṣoun**, investigated by Ahmad Muhammad Al-Kharrāṭ (Dār Al-Qalam / Damascus).
- Sibāwaih, 'Amr bin Qunbur, **al-Kitāb**, Investigated by 'Abd al-Salām Haroun (1st Edition, Dār Al-Jeel / Beirut).
- Al-Sirāfi, Abu Sa'eed, **Sharḥ Kitāb Sibawayh**, investigated by Ramadan 'Abd al-Tawwāb and others (2nd Edition, Dār Al-Kutub and National Documents / Cairo, 1429).
- Al-Shihāb Al-Khafājī, Ahmad bin Muhammad, **Ḥāshiyat Al-Shihāb 'alā Tafsir Al-Baydāwī** (Dār Sādir / Beirut).
- Al-Ṭabarī, Muhammad bin Jarir, **Jāmi' al-Bayān fī Ta'wīl al-Qur'ān**, investigated by Ahmad Muhammad Shākir (1st edition, Al-Risala Foundation/ Beirut, 1420)
- Al-Ṭayyibī, Sharaf Al-Dīn Al-Husain bin 'Abdillāh, **Futouh Al-Ghaib Fī Kashf Qinā' Al-Raib**, investigated by 'Iyād Muhammad (1st Edition, Dubai International Quran Award / Dubai, 1434).
- Ibn 'Usfūr, 'Ali bin Mu'min, **Al-Mumti' Fī al-Taṣrīf** (1st Edition, Library of Lebanon, 1996).
- Ibn 'Attia, 'Abd al-Haq bin 'Attia, **al-Muḥararr al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-'Azīz**, investigated by a group of researchers (1st edition, Ministry of Awqaf / Qatar, 1436).
- Al-'Ukburī, Abu Al-Baqā', **Al-Tibyān fī I'rāb Al-Qur'ān**, investigated by 'Ali Muhammad Al-Bajāwī (Issa Al-Babi Al-Halabi and Co.).
- Al-Fārisī, Abu 'Ali, **al-Ḥujja li Qurra' al-Sab'ah**, investigated by Badr Al-Dīn Kahwaji and others (2nd edition, Dār Al-Ma'moun / Damascus, 1413).
- Al-Farrā, Yahya bin Ziyād, **Ma'ānī al-Qur'ān**, investigated by Ahmad Youssuf Najati (3rd edition, Dār Al-Kutub Al-Masriyah / Cairo, 1422).
- Al-Qurṭubī: Muhammad bin Ahmad, **al-Jāmi' li Aḥkām al-Qur'ān**, investigated by Ahmad Al-Baradouni (2nd Edition, Dār Al-Kutub Al-Masryah / Cairo, 1384).

- Ibn Malik, Muhammad bin ‘Abdillāh, **Sharh Al-Kāfiyah Al-Shāfiyah**, Investigated by ‘Abd al-Mun‘im Haridi (3rd Edition, Umm Al-Qura University / Makkah Al-Mukarramah, 1434).
- Al-Mubarrad, Muhammad bin Yazīd, **Al-Muqtadab**, investigated by Muhammad Abdul-Khaliq ‘Udaymah (‘Ālam Al-Kutub/ Beirut, 1431).
- Ibn Mujāhid, Ahmad bin Musa, **al-Sab‘ah fī al-Qirā’āt**, investigated by Shawqi Dhaif (2nd Edition, Dār Al-Ma‘ārif / Cairo, 1400).
- Makki, Ibn Abi Talib, **Al-Mushkil Fī I‘rāb Al-Qur’ān**, investigated by Hatim Al-Damin (1st edition, Dār Al-Bashā’ir / Damascus, 1424 AH).
- Ibn Manzour, Muhammad bin Mukarram, **Lisān al-‘Arab** (3rd Edition, Revival of Arab Heritage/ Beirut).
- Al-Mahdāwi, Abu Al-‘Abbas Ahmad Bin ‘Ammar, **Al-Tahseel Li-Fawā’id Kitāb Al-Tafseel Al-Jami‘ Li-‘Uloum Al-Tanzīl**, investigated by the United House of Al-Kamal (1st Edition, Ministry of Endowments / Qatar, 1435)
- Al-Nahhās, Abu Ja‘far
I‘rāb al-Qur’ān, investigated by Zuhair Ghazi Zahid (1st Edition, Al-Ani Press / Baghdad, 1397).
- Ma‘ānī al-Qur’ān al-Karīm**, investigated by Muhammad Al-Sabouni (1st Edition, Umm Al-Qura University / Makkah, 1410).
- Al-Hamadhāni, Al-Muntajab, **al-Kitāb al-Farīd fī I‘rāb al-Qur’ān al-Majīd**, investigated by Muhammad Al-Fātih (1st edition, Dār Al-Zaman / Al-Madina, 1427).
- Ibn Ya‘īsh: Ya‘īsh bin ‘Ali, **Sharh al-Mufaṣṣal**, investigated by Ibrahim ‘Abdullah (2nd Edition, Dār Sa‘d al-Dīn / Damascus, 1436).

دلائل الحجج والإقناع في الخطاب النبوي الشريف

(حديث الشفاعة نموذجاً)^(١)

Signs of Proofs and Persuasion in the Prophet's Speech (Hadith of Intercession as Case Study)

د. رشا عبد الرؤف عبد الفتاح الحبيشي

أستاذ مساعد الأدب والنقد بقسم اللغة العربية بجامعة نجران

البريد الإلكتروني: raelhebishy@nu.edu.sa

(١) الشكر لعمادة البحث العلمي بجامعة نجران لدعمها هذا المشروع تحت رقم (NU/-/SEHRC/10/1040)

المستخلص

لقد احتوي الخطاب النبوي الشريف على العديد من الآليات التي جعلت منه خطابًا حجاجيًا إقناعيًا، حيث اشتمل على الروابط الحجاجية اللفظية والتراكيب الاستفهامية والصور البيانية، ويستلزم بالضرورة الإقناع في سائر المتلقين وعموم المخاطبين، ولما كان هؤلاء المتلقين للبيان النبوي من مستويات مختلفة جاء الحجج فيه بمستويات ومظاهر مختلفة كذلك، وهي سمة أساسية من سمات الخطاب الحجاجي. ومن يقرأ حديث الشفاعة يجده قد ابتدأ ببرهان قاطع، وهو قوله ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" ثم أتبعه بالحجج والأدلة الداعمة لقوله ﷺ، مستخدمًا العديد من الآليات والوسائل الحجاجية كالاستفهام والتأكيد والقسم والتصوير القصصي والتشبيه والتكرار... وتهدف تلك الوسائل إلى تحقيق الإقناع والتأثير في مواقف وسلوك المخاطبين، وذلك من خلال تقوية علاقة التخاطب بين المرسل والمتلقي، ووصولًا إلى غاية الإقناع فالإقناع.

الكلمات المفتاحية: الحجج، الإقناع، الاقتناع، حديث الشفاعة، الأساليب الحجاجية.

Abstract:

The prophetic discourse contained several mechanisms that makes it a convincing argumentative speech, as it includes verbal argumentative nexuses, and inquisitive compositions and rhetorical depictions, and it necessarily requires persuasion of all recipients and the addressee in general, and since these recipients of the prophetic statement are of different levels, hence, the argument therein came in different levels and manifestations as well, and this is a fundamental feature of the argumentative discourse.

Whoever reads the hadith of intercession will find out that it started with a conclusive proof, which is his saying –peace and blessing upon him-: "I am the master of all people on the Day of Resurrection", then followed by arguments and evidence that support his saying, using diverse argumentative mechanisms and means such as questioning, affirmation, oath, storytelling, analogy, and repetition... These means are aimed at achieving persuasion and influencing the attitudes and behavior of the addressees, by strengthening the communication relationship between the sender and the receiver, and to the point of persuasion and conviction.

Keywords: Argument, persuasion, conviction, hadith of intercession, argumentative methods.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.
وبعد،

فالمتبع للخطاب النبوي الشريف يجده مليئًا بالآليات الحجاجية والإقناعية، حيث اشتمل على الروابط الحجاجية اللفظية والتراكيب الاستفهامية والصور البيانية، ويستلزم بالضرورة الإقناع في سائر المتلقين وعموم المخاطبين، ولما كان هؤلاء المتلقين للبيان النبوي من مستويات مختلفة جاء الحجاج فيه بمستويات ومظاهر مختلفة كذلك، وهي سمة أساسية من سمات الخطاب الحجاجي.

ومن يقرأ حديث الشفاعة يجده قد ابتدأ ببرهان قاطع، وهو قوله ﷺ: "أنا سيّد الناس يوم القيامة" ثم أتبعه بالحجج والأدلة الداعمة لقوله ﷺ، مستخدمًا العديد من الآليات والوسائل الحجاجية كالاستفهام والتأكيد والقسم والتصوير القصصي والتشبيه والتكرار... وتهدف تلك الوسائل إلى تحقيق الإقناع والتأثير في مواقف وسلوك المخاطبين، وذلك من خلال تقوية علاقة التخاطب بين المرسل والمتلقي، ووصولًا إلى غاية الإقناع فالإقناع.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان كيفية تحقيق القيمة الحجاجية الإقناعية في الخطاب النبوي الشريف، مستندًا إلى التفاعل بين الصور والروابط والآليات المستخدمة بغرض التأثير في المتلقي وتقويمه إيجابًا وسلبًا، من خلال نقل الأمور العقلية إلى أمور محسوسة مجسدة رأي العين مما يسهل عملية الإقناع والتصديق.

أدبيات البحث:

نشأت فكرة موضوع هذا البحث الموسوم بدلائل الحجاج والإقناع في الخطاب النبوي الشريف (حديث الشفاعة نموذجًا) من خلال الكشف عن الآليات والأساليب الحجاجية التي وردت في نص مقدس له خصوصيته التي تميزه عن غيره من النصوص، ومحاوله استجلاء عناصر الإقناع والإقناع وإظهار الغايات والأغراض

الكامنة في جوانبها التأثيرية، ونظرا لما تتمتع به لغة الأحاديث الشريفة من ألفاظ إيحائية، وأبعاد سياقية، تثمر حقولاً خصبة لهذه المقاربة، ولآلياتها الإجرائية.

وهناك بعض الدراسات التي اقتربت من موضوع البحث مثل:

- الحجاج في الحديث النبوي - دراسة تداولية، د. آمال يوسف المغامسي، الدار المتوسطة للنشر: تونس، ١٤٣٧هـ
- تجليات الحجاج في الخطاب النبوي، دراسة في وسائل الإقناع، الأربعون النووية أتمودجًا، هشام فروم (رسالة ماجستير) في تخصص اللغويات ولسانيات اللغة العربية بجامعة الحاج لخضر بالجزائر: ٢٠٠٩م.
- حجاجية الصورة الفنية في الحديث النبوي، الأستاذة: حورية عميروش. (بحث منشور)
- الحجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن مقارنة إبستمولوجية، د. محمد حمودي (بحث منشور)
- الحجاج وآليات الإقناع في الحديث النبوي الشريف، د. بلخير ارفيس (بحث منشور)

منهجية البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تسير على المنهجين الوصفي، والاستقرائي، وتتكون خطة البحث مما يلي:

- المقدمة.
- المبحث الأول: دلالة الحجاج والإقناع.
- المبحث الثاني: الأساليب الحجاجية في حديث الشفاعة.
- الخاتمة.
- قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: دلالة الحجج والإقناع

يقوم "الحجاج" (Argumentation) بدور مهم في تحليل الخطاب بكل أدواته وتقنياته وآلياته، من أجل غاية واحدة، هي "الإقناع فالقناع". ويُعدُّ هذا دليلًا كافيًا على قدرة "الحجاج" في تحقيق "الانسجام" (Coherence) التام له، أمّا نظرية الحجج في اللغة، فندرس منطق الخطاب، أي تسلسل الأقوال وتواليها داخل الخطاب بصورة استنتاجية^(١)، أي الآليات والقواعد الحجاجية التي تحكم الخطاب وتضمن انسجامه.

الحجاج في اللغة:

الحجُّ القصد، حجَّ إلينا فلان أي قَدِم، وحجَّه يُحجُّه حجًّا قَصْدُهُ، والحجَّة: البرهان؛ وقيل: الحجَّة ما دُوِّفِعَ بِهِ الحُصْمُ؛ وَقَالَ الأزهري: الحجَّة الوُجْه الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الحُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مُحْجَّجٌ أَي جَدِلٌ. والتَّحَاجُّ: التَّخَاصُّمُ؛ وَجَمْعُ الحجَّةِ: حُجَجٌ وَحِجَاجٌ. وحاجَّه مُحَاجَّةً وَحِجَاجًا: نَارَعَهُ الحجَّة. وحجَّه يُحجُّه حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ. واحتجَّ بالشيء: اتَّخَذَهُ حُجَّةً؛ قَالَ الأزهري: إِنَّمَا سُمِّيَتْ حُجَّةً لِأَنَّهَا تُحجُّ أَي تَقْتَصِدُ لِأَنَّ القَصْدَ لَهَا وَإِلَيْهَا؛ وَكَذَلِكَ مَحَجَّة الطَّرِيقِ هِيَ المَقْصِدُ والمَسْلُكُ.^(٢) كما قال الزمخشري: "احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب. وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاحة. وسلك المحجة، وعليكم بالمناهج النيرة، والمحاج الواضحة."^(٣)

وقد ورد لفظ الحجج في عدة آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ جَاحِقًا فِي رَبِّهِ إِنَّ آتَاءَ اللَّهِ أَلْفَ أَلْفٍ إِنَّ اللَّهَ الْمَلِكُ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي

(١) ينظر أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج (المغرب: العمدة في الطبع، ٢٠٠٦م) ص ١٧، ٧٢

(٢) ينظر ابن منظور الأنصاري، لسان العرب (بيروت، دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ) ج ٢،

٢٢٦: ٢٢٨

(٣) الزمخشري، أساس البلاغة (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨) مادة (حجج)، ج ١،

ص ١٦٩.

يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ﴿ (سورة البقرة: ٢٥٨)، وقوله تعالى: ﴿ هَاتِئْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبَتُمْ فِي مَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ٦٦)، وقوله تعالى: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ٨٠).

وتتلخص معاني الحجاج في المعاجم عند اللغويين في: التخاصم، والجدل، والتنازع وتقديم البراهين خلال المنازعة والمخاصمة، ويقدم المتنازع البراهين للطرف المقابل بقصد التأثير فيه وإقناعه. ولا بد من الانتباه إلى أن الحجاج ليس مرادفا للجدل، فالحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدلا، فالاحتجاج من مصطلحات النقد العربي القديم، وهو "لون من ألوان الكلام سماه بهذا الاسم جماعة منهم أبو حيان الأندلسي، وابن قيم الجوزية، وسماه الزركشي إجماع الخصم بالحجة، والبلاغيون يسمونه المذهب الكلامي".^(١)

إن الإطار العام للحجاج بوصفه جدلا بين متخاصمين، يحقق أحدهما العلبة على الآخر بالدليل والبرهان (الحجة). وهذا يعني أن الحجاج، بما يقرنا من مفهومه النظري مبني على الاختلاف، مما يولد الخصام، وتفاعلي لا يكون إلا في التواصل، فهو موجّه إلى خصم.

المفهوم النظري للحجاج:

يقصد بالحجاج تقديم الحجج والأدلة اللغوية المؤدية إلى نتيجة ما، ويتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، أو إنجاز متواليات من الأقوال بعضها هو بمثابة حجج، والبعض الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها^(٢)،

(١) ينظر هاني بن يوسف، الحجاج في النص القرآني (الأردن، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م)، ص ٧

(٢) ينظر أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي (الأردن، عالم الكتب الحديث ٢٠١٠م)

كما يُعرف الحجاج بأنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى بخصوصية يحق له الاعتراض عليها^(١).

فالمتتبع لمصطلح الحجاج يجده متداولًا بكثرة، فلا تكاد تخلو كتب التراث العربي وغيرها من تداوله، وتعددت تسمياته من حجاج إلى احتجاج أو محاجة، وتنوعت مجالاته، لذا كثرت معانيه ودارت حوله عناصر موضوعية وبنائية ووظيفية شتى^(٢).

كما أن مصطلح الحجاج قائم على العلاقة بين مخاطب المتكلم والمستمع حول قضية ما، فالمتكلم يدعم أقواله بالحجج والبراهين، من أجل إقناع المستمع أو المتلقي، في حين أن المستمع له الحق في الاعتراض عليه إن لم يقتنع، ولذلك فإن الهدف من الحجاج إقناع المخاطب، ويعد الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل فيها اللغة ويتجسد من خلالها الإقناع، والخطاب الحجاجي هو خطاب موجه وكل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بعد حجاجي^(٣).

ومما سبق نستنتج أن الحجاج عملية فكرية تُخاطب العقل، وأدواتها اللغة ومجالاتها الخطاب، وحيثما وجد خطاب العقل واللغة، فإنّ ثمة استراتيجية معيّنة نعمد إليها، لغويًا أو عقليًا، إمّا لإقناع أنفسنا، أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية هي الحجاج ذاته، وهذا يعني أنّ الحجاج مرتبط باللغة الطبيعية؛ لأنّ استعمالها يعني أنّ هناك متخاطبين يلجؤون بفكرهم إلى اللغة لا ليبلغوا محتوى خطاباتهم فقط، وإنما ليؤثروا ويتأثروا، وليقنعوا ويقتنعوا.

ولا بدّ أن يمرّ الحجاج بثلاث مراحل بين المتكلم والمخاطب، فالمتكلم يقدم كلّ

(١) ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي (المغرب، المركز الثقافي العربي،

١٩٩٨م) ص ٢٢٧

(٢) محمد العبد، النص الحجاجي دراسة في وسائل الإقناع (مجلة الهيئة المصرية العامة للكتاب،

مصر، العدد ٢٠٠٢، ٦٠، م) ص ٤٤

(٣) ينظر الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجًا (مجلة اللغة

والأدب، الجزائر، عدد ١٢، ١٩٩٧م) ص ٣٣٠.

الحِجَج التي من شأنها أن تقنع المخاطَب "مرحلة الإقناع"، والمخاطَب مطالبٌ ببذل جهدٍ تأويليٍّ مناسب للمقام، ليصل إلى النتيجة المبتغاة من الخطاب "مرحلة الاقتناع"، ولا يتم الحِجَج بحدود "الإقناع"، و"الاقتناع"، بل لابد من "العمل" بتلك القنوات "مرحلة العمل"؛ لأنَّ العمل دليل مادي على الاقتناع، ولعلَّ هذه المرحلة هي مقصود "أوستين" من "تأثير العمل في القول"، فعندما ينجز المتكلم عملاً حجاجياً "عمل الإقناع"، فإنَّ له تأثيراً سلوكياً، أو فكرياً، ينتظره المتكلم من المخاطَب، كردِّ فعلٍ على حِجَاجه، وهو الدليل على "نفاذ الخطاب أو تحقيق التأثير".^(١)

مفهوم الحِجَاج عند الغرب:

لقد ربط "بيرلمان Perelman"، و"تيتيكا Tytca" الحِجَاج بالخطاب باعتباره فن الإقناع حيث عرفاه بأن "موضوع نظرية الحِجَاج هو درس التقنيات الخطابية التي بدورها تدفع بالأذهان إلى التسليم لما يعرض عليها من أطروحات أو الزيادة في حجم ذلك التسليم، فالحِجَاج غايته التأثير العملي، الذي يمهد له التأثير الذهني، ويجعل القول الحِجَاجي مرهوناً بالاقتناع والعمل".^(٢)

وبناءً على هذه الثنائية فإنَّ المتكلم يسعى في حِجَاجه إلى تغيير معتقدات المخاطَبين وسلوكياتهم، مما يجعل من الحِجَاج عملاً صعباً؛ لأنَّ الباعث على الحِجَاج هو وجود شك في صحة فكرة ما، تبعث على النزاع والاختلاف في وجهات النظر، أو تحقيق الاقتناع بفكرة ما، وهذا ما يفسر انتماء الحِجَاج إلى المحتمل لا الحقيقي المطلق، وأنَّ يجعل المتكلم المحتمل مطلقاً، والشك يقيناً، يعني أنه بحاجة إلى قوَّة خطابية، تستنفد كل طاقتها من أجل الإقناع، لهذا فإنَّ الحِجَاج هو النسق القوليّ

(١) ينظر محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحِجَاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة

المعاصرة (الكويت، عالم الفكر، ٢٠٠٠م)، ٢٨م، ٣ع، ص ٥٧

(٢) ينظر عبد الله صولة، الحِجَاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته (تونس، كلية الآداب، ١٩٩٩م)

الذي ينوب عن "القوة المادية" في تحقيق النتائج الملموسة.^(١)

ومن ثم فإن حدّ الحجاج يمثل فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضًا جدي؛ لأن هدفه إقناعي؛^(٢) لذلك كان حتمًا على المتكلم وهو ينجز عمله الحجاجي، أن يكون واعيًا بكُلِّ أدواته وتقنياته الخطابية، بالإضافة إلى مراعاته للجوانب النفسية والاجتماعية واللياقة الأدبية، وكلُّ ذلك من شأنه أن يسهم في "نفاذ خطابه"، ورفع مستوى حججه، والقدرة على تحقيق الاقتناع لدى مخاطبه، الذي لولاه لما كان هناك حجاج.^(٣)

كما يُعدُّ الحجاج شكلاً من أشكال التواصل اللغوي، تتفاعل فيه الذوات (الأنا والأنت)، ويقوم على جملة من العناصر لا ينجح إلا بها وهي القصدية، والاتِّفاق، والسياق المقامي^(٤). فالحجاج يتحقق بالقصد الإقناعي - غرض المتكلم الحجاجي - والقصد الانعكاسي / الإقناعي - قبول المخاطب - وينطلق من أرضية مشتركة بين المتخاطبين، تُحرِّك المخاطب نحو العمل الحجاجي، وتُضفي مصداقية مبدئية على فرضيات المتكلم، أي خطابه الذي يعطيه السياق المقامي مشروعية التواصل.

وإذا كان التواصل هو الطريقة التي يمارس فيها المتكلم حججه وتأثيره على المخاطب اعتمادًا على آليات وأدوات حججيه ماثلة في الخطاب، بالإضافة إلى ما يصحبها من تغييرات صوتية - وظيفية مثل: التنعيم والنبر،

(١) ينظر محمد الأمين، مرجع سابق ص ٨٢

(٢) ينظر طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام (بيروت، المركز الثقافي العربي، ط ٢٠٠٠م) ص ٦٥.

(٣) ينظر خالد حسين دلكي، أحمد محمد أبو دلو، الدرس الحجاجي، في نظرية تحليل الخطاب (الأردن، جامعة آل البيت، مجلة المنارة، ٢٠١٥م) مج ٢١، ع ٣، ص ٣٨.

(٤) ينظر عبد العزيز السراج، التواصل والحجاج (الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م) ص ٢٧٥.

وتغييرات إشارية كتعبير الوجه واليدين.^(١)

أصناف الحجاج:

يقسّم الحجاج إلى صنفين هما: الحجاج التوجيهي والحجاج التقويمي، وذلك باعتبار استحضر حجاج المرسل إليه من عدمه، سواء الحجاج السابق أو الحجاج المتوقع، فقد يكتفي المرسل بإنتاج خطابه دون تفكير فيما لدى المرسل إليه من حجج يرد بها، أو بأن يضع تلك الحجج المفترضة أو المتوقعة في حسابانه فتصبح أساساً يبنى عليه خطابه.

الحجاج التوجيهي:

المقصود بالحجاج التوجيهي هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه. الذي يختص به المستدل، علما بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره؛ فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاءها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير إن قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعاً بحق الاعتراض.^(٢)

الحجاج التقويمي:

هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرّد من نفسه ذاتاً ثانية ينزلها منزلة المعارض على دعواه؛ فهاهنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفا عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍ لما

(١) المرجع نفسه، ص ٢٧٤

(٢) عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، مقارنة لغوية تداولية (بيروت، دار

الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠٠٤م) ص ٢٧٢

يلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها، وهكذا فإن المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه، مراعيًا فيه كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعاملية، حتى وكأنه عين المستدل له في الاعتراض على نفسه. (١)

استراتيجية الإقناع:

الإقناع: أن يعقل نفس السامع الشيء بقولٍ يصدق به وإن لم يكن برهان. (٢)، فالإقناع يحتاج إلى التصديق بالدرجة الأولى، حيث يبدأ بالمصدقية فإذا لم تكن صادقًا في القول فلا يمكن أن يصدقك الآخرون، فالإقناع هو عملية تأثير وتأثر سواء بالحجة والبرهان، أو بالتصديق دون برهان، وأن عملية الإقناع لا تستلزم أسلوبًا واحدًا، بل يجب أن تتعدد أساليبه للحصول على عملية حجاجية إقناعية ناجحة.

ويعرف الحجج بأنه فن الإقناع، والإقناع هو فن المراوغة، والمناورة، فالإقناع إذن غاية الحجج، والحجاج سبيل الإقناع. (٣) كما أن الإقناع، عملية خارجية يسعى الآخر إلى تحقيقها في غيره، وهي عملية أساسية لا يقوم الاقتناع إلا بها، فالضرورة تقتضي دائما تحقق الإقناع أولا، ثم الاقتناع ثانيا. وأما الاقتناع فإنه عملية ذاتية، وهو إيذان بنجاح عملية الإقناع.

وإذا كان الإقناع غاية العملية الحجاجية، فإن هنريش بليث يلغي الحدود بين الوسيلة والغاية حيث يساوي بين الحجج والإقناع. فيعرّف الإقناع بأنه " قصد

(١) المرجع نفسه ص ٢٧٣

(٢) أبو عبد الله الخوارزمي، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري (بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، د.ت) ص ١٧٧

(٣) عند العزيز الحويدق: الأسس النظرية لبناء شبكات قرائية للنصوص الحجاجية، مقال ضمن كتاب الحجج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ج٣، ص ٣٤٤.

المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري والعاطفي عند المتلقي." (١) ولكن يظهر خلاف جوهري بين الإقناع والحجاج مفاده أن الإقناع يقصد التأثير في مستمع سلبي بينما يتطلب الحجاج مستمعا فعالا ونشيطا في عملية البحث عن الأفضل، غير أن طه عبد الرحمن يرى الإقناع عملية بعيدة عن صبغة الإكراه " وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر الغير جرا إلى الاقتناع برأي المحاور. " (٢)

مسوغات استعمال استراتيجية الإقناع:

هناك عدد من المسوغات التي تترجح استعمال الإقناع، فمما يرجح استعمالها دون غيرها من الاستراتيجيات ما يلي: (٣)

- أن تأثيرها التداولي في المرسل إليه أقوى، ونتاجها أثبت وديمومتها أبقى، لأنها تنبع من حصول الاقتناع عند المرسل إليه غالبا، لا يشوبها فرض أو قوة تمايزها عن الاستراتيجيات المتاحة الأخرى، مثل استراتيجيات الكراهية لفرض قبول القول أو ممارسة العمل على المرسل إليه دون حصول الاندفاع الداخلي أو الاقتناع الذاتي؛ فاقتناع المرسل إليه هدف خطابي يسعى المرسل إلى تحقيقه في خطابه.
- الأخذ بتنامي الخطاب بين طرفيه عن طريق استعمال الحجاج، فالحجاج شرط في ذلك، لأن شروط التداول اللغوي شرط الإقناعية.
- الرغبة في تحصيل الإقناع؛ إذ يغدو هو الهدف الأعلى لكثير من أنواع الخطاب، خصوصا في العصر الحاضر، عندما يفضل المرسل استعمال استراتيجية الإقناع.

(١) هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيمائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم

وتعليق: محمد العمري (بيروت، إفريقيا الشرق، ط٢، ١٩٩٩م) ص ١٠٢

(٢) طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام (المغرب، المركز الثقافي العربي، ط٢،

١٩٩٨م) ص ٣٨.

(٣) ينظر عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب، ص ٤٤٥

- إبداع السلطة، فالإقناع سلطة عند المرسل في خطابه، ولكنها سلطة مقبولة إذا استطاعت أن تقنع المرسل إليه، إذ لا تحقق استراتيجية الإقناع نجاحها إلا عند التسليم بمقتضاها، إما قولاً أو فعلاً.
- شمولية استراتيجية الإقناع، إذ تمارس على جميع الأصعدة، فيمارسها الحاكم والفلاح الصغير، وكبير القوم والطفل والمرأة، وكل ذلك بوعي منهم.

السُّلم الحجاجي:

يرتبط مفهوم السُّلم الحجاجي بمفهوم القوة الحجاجية، والتي تعني تلك الطاقة الإقناعية التي يمنحها السياق، وقصد المتكلم، إلى القول في موقف ما.^(١) ومن هذا المفهوم، يمكن أن ندرك أنّ لكل وحدة من الحجج طاقةً إقناعية تتفاوت قوةً وضعفًا في الخطاب الواحد، فثمة حجج قوية، وأخرى أقوى، وضعيفة وأضعف، وقاطعة وعادية، لكنّ تواجهها في خطاب واحد، يعني أنّها تُخدم نتيجة واحدة. وتسمى مجموعة الحجج المتفاوتة في طاقتها الإقناعية أو قوتها الحجاجية، والتي تدخل في نطاق حجاجي واحد، فتؤدّي نتيجة واحدة، بالفئة الحجاجية.^(٢)

وبما أنّ الفئة الحجاجية تتكون من مجموعة الحجج المتفاوتة في قوتها وضعفها، بحيث تتوجّه جميعها إلى نتيجة واحدة (ن)، فإنّه يمكن ترتيب تلك الحجج تصاعديًا، من الأضعف إلى الأقوى، بحيث تُعتبر الحجة الثانية (ق ٢) أقوى من الأولى (ق ١)، والثالثة (ق ٣) أقوى من الثانية (ق ٢)، وهكذا... إلى نحصل على متوالية حجاجية تتوزّع على محور عمودي.^(٣)

كما أنّ الرابط إذا جمع بين حجّتين، فإنّ الحجة التي تليه هي الأقوى، وهي، بالتالي، الأقرب إلى النتيجة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ السُّلم الحجاجي يعمل على تنظيم الخطاب في شبكةٍ واحدة، ممّا يضمن انسجامه، اعتمادًا على أنّ

(١) ينظر أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص ١٢٧

(٢) ينظر طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص ٢٧٦

(٣) ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة (تونس، كلية الآداب ١٩٩٩م) ص ٣٦٥.

السلم الحجاجي ينطلق من مبدأ تلازم النتيجة للحجة (١)، فالحجة التي يوظفها المتكلم في خطابه، إذا راعى فيها مقاصد المتكلمين وتوجهاتهم، وكانت وفق مقتضيات السياق، فإن لها نتيجة تعقبها وتؤكددها، سواء أكانت النتيجة صريحة أو مضرة، وهذا ما يجعل من الحجاج أداة فعالة في تحليل الخطاب.

الآليات والروابط الحجاجية:

تُعرف بأنها الطرائق والمبادئ التي تحكم البناء الحجاجي في خطاب ما، والطرق والأساليب التي يستخدمها المتكلم، عن وعي وقصد حجاجيين، من أجل رفع رصيده الحجاجي، بما يكفل له القدرة على التأثير في المخاطب وإقناعه بشكل أنجع، ويشترط لسلامة العملية الحجاجية الربط بين الحجة والنتيجة بمؤشرات، تقوم بالحصص والتقييد للإمكانات الحجاجية بالربط بين قضيتين، أو جملتين، أو أكثر لتكوين قضايا، أو جمل مركبة. (٢)

إن وظيفة الروابط لا تقتصر على أنها وصلات للجمل أو النصوص فحسب، ولكنها أيضاً تؤدي أغراضاً استدلالية حجاجية، فالفاء في قولك: "لم أذهب اليوم إلى الجامعة؛ فالسما كانت تمطر"، تعدّ رابطاً حجاجياً؛ يربط بين الحجة والنتيجة، فنزول المطر حجة لامتناع الذهاب إلى الجامعة. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنّ اللغة ثرية بالأدوات اللغوية التي يتوافر عليها المتكلم في خطابه، فالخطاب السابق يمكن أن يحقق النتيجة نفسها في أكثر من صياغة حجاجية، كأن يلجأ إلى الأدوات الآتية (لأنّ، إنّ، إذن، و)، أو أدوات الاستفهام الإنكاري، إذا ما تعرّض لسؤال من قبيل: "لماذا لم تذهب إلى الجامعة؟"، فيكون جوابه: "لم تكن تمطر اليوم؟". والمهم من هذا كله أنّ هذه المعطيات اللغوية تتمثل تعليمات توجه استخلاص النتيجة. (٣)

(١) المرجع نفسه، ص ٣٦٣.

(٢) ينظر آن ربول وجاك موشلار، التداوية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين

دغفوس وآخرين (بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٣م) ص ٢٦٥

(٣) المبخوت، مرجع سابق ص ٣٧٨.

وتكمن الوظيفة الحجاجية لبعض الروابط، مثل الروابط "حتى، بل، لكن، مع ذلك"، في أنّها تربط بين قولين، كلاهما حجة، تخدم نتيجة واحدة، ولكن بدرجات متفاوتة، فالحجة التي تلي الرابط "حتى"، مثلاً، أقوى من الحجة التي تسبقه، وبالمثال يتّضح المقال: "باع خالدٌ حتى بيته الذي يأويه"، فمن الواضح أنّ في الخطاب السابق حجتين: أحدهما: باع خالدٌ كلَّ شيء، والثانية: باع خالد بيته، وكلاهما يخدمان نتيجة من قبيل: "خالد مُفلسٌ"، لكنّ الحجة الثانية التي تلي "حتى" أقوى من الأولى؛ إذ هي ألصق بالنتيجة. (١)

وتُقسم الروابط الحجاجية إلى:

- الروابط المدرجة للحجاج، وهي: أنّ، إنّ، قد، الكاف، لو.
- الروابط المدرجة للنتائج، وهي: حتى، أمّا، إذ، إذن، كي.
- روابط التعارض الحجاجي، وهي: لكن، بل، ومع ذلك، أم، غير.
- روابط التساوق الحجاجي، وهي: ثم، الفاء، الواو، أو، لا سيما. (٢)

وثمة نوع آخر من الأدوات اللغوية، يسميها "ديكرو" العوامل الحجاجية: التي تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتشمل أدوات الحصر والنفي، وبعض المكونات اللغوية، مثل: "تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً"، وغيرها من المكونات اللغوية التي تؤدي دوراً مهماً في توسيع أو تضيق الاحتمالات الحجاجية. (٣) وتظهر الوظيفة الحجاجية للعوامل في أنّ "اختيار المتكلم الملفوظ، وقد دخلت عليه العوامل الحجاجية أنفع في إقامة الحجة من الملفوظ العاري عن تلك العوامل؛ وذلك أنّ النتيجة التي يريد إيصال المخاطب إليها مضمونة الوصول" (٤)

(١) ينظر أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص ٢٧

(٢) ينظر عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية (تونس، مكتبة علاء الدين،

٢٠١٨م) ص ٢٩

(٣) ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص ٣٧٧

(٤) عبد الله صولة، الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة،

(الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م) ص ٣٤.

المبحث الثاني: الأساليب الحجاجية في حديث الشفاعة

لقد احتوي الخطاب النبوي الشريف العديد من الآليات التي جعلت منه خطابًا حجاجيًا إقناعيًا، حيث اشتمل على الأساليب الحجاجية اللفظية والتركييب الاستفهامية والصور البيانية، ويستلزم بالضرورة الإقناع في سائر المتلقين وعموم المخاطبين، ولما كان هؤلاء المتلقين للبيان النبوي من مستويات مختلفة جاء الحجاج فيه بمستويات ومظاهر مختلفة كذلك، وهي سمة أساسية من سمات الخطاب الحجاجي، وسأتناول بالعرض والتحليل حديث الشفاعة برواية البخاري حيث يزخر بالكثير من الحجج الإقناعية.

فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرَفَعَ إِلَيْهِ الدِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَهَشَّ مِنْهَا مَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأُولَى وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصْرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ هَابَنِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ

غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ، مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَصَلِّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحَ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكَرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ سَيْنًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى " (١)

الآليات الحجاجية والإقناعية بالحديث الشريف:

تقوم الوسائل الحجاجية بتحقيق الإقناع والتأثير في مواقف وسلوك المخاطبين،

(١) أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح تحقيق: جماعة من العلماء

(بيروت، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢ هـ) ج ٦، ص ٨٤، حديث رقم ٤٧١٢.

وذلك من خلال تقوية علاقة التخاطب بين المرسل والمتلقي، القائمة على مبدأ التعاون، وأن المرسل يفرض مسبقاً تعاون المرسل إليه لفهم قصده، مما يؤكد أن عملية الفهم والإفهام متوقفة على علاقة المرسل بالمستقبل، سواء أكانت إيجابية أم سلبية ليستطيع تفكيك الخطاب، وتأويله انطلاقاً من علاقته السابقة بالمرسل، وموقفه من الموضوعات التي يتناولها الخطاب، كل ذلك يترك أثره في المتلقي، لمعرفة مقاصد المرسل وأهداف الخطاب^(١)، ومن صور تلك الآليات الحجاجية التي تحمل المخاطب على استنتاج معانٍ ضمنية تدعوه للإقناع فالإقناع في حديث الشفاعة : الاستفهام والتأكيد والقسم والتصوير القصصي والتشبيه والتكرار...

أولاً: الاستفهام

يعد الاستفهام من أهم الآليات الحجاجية، ونادراً ما يخلو خطاب حجاجي من توظيف بنية الاستفهام، ويقصد به "طلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون، والأول هو التصديق ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق، ثم المحكوم به إما أن يكون نفس الثبوت أو الانتفاء"^(٢)، وهو من الأساليب الإنشائية التي تقوم بدور مهم في العملية الحجاجية؛ إذ كثيراً ما تنبني الحجة بأسلوب إنشائي، وكثيراً ما تعضد الأساليب الإنشائية حججاً قائمة الذات بما توفره من إثارة وما تستدعيه من عواطف وأحاسيس؛ وذلك لأن الأساليب الإنشائية خلافاً للخبرية لا تنقل واقعا ولا تحكي حدثاً فلا تحتمل تبعاً لذلك صدقاً أو كذباً وإنما تثير المشاعر،

(١) عطا الله رحيم، سناء عائشة خان، مستويات الخطاب الحجاج البلاغي في الحديث النبوي

الشريف (مجلة الإعجاز، د. م، عدد ديسمبر ٢٠٢٠) ص ٤٣

(٢) السكاكي، مفتاح العلوم (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، ١٩٩٠)

وتشحنها بطاقة حجاجية مهمة؛ كما أن إثارة المشاعر ركيزة أساسية كثيرًا ما يقوم عليها الخطاب الحجاجي.^(١)

وقد يستعمل مرسل الخطاب الاستفهام أو النفي أو الإثبات في الحجاج بوصف هذه الأفعال اللغوية هي الحجج بعينها، فالاستفهام من أنجع الأفعال اللغوية حجاجًا، لذا يستعمله كثير من مرسلي الخطابات^(٢)، والاستفهام بوصفه أحد آليات الحجاج يبين أن: " طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما كان يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم، وبإمكان المتكلم كذلك تعميق نقاط الاتفاق مع المخاطب إذا ما كان مقرا بما يطرحه عليه من أجوبة."^(٣)

وإذا فُصد بالكلام إثارة السؤال أو الاستدعاء له فإنه يولد بالضرورة نقاشًا ومن ثمة حجاجًا، وبعد الحجاج ماثلاً في جميع أنواع الخطاب، وبناءً عليه يظهر خطورة طرح الأسئلة في الخطاب فهو وسيلة مهمة من وسائل الإثارة وجذب الانتباه.^(٤) ابتدأ الحديث الشريف بالنتيجة وهي قوله ﷺ (أنا سيد الناس يوم القيامة) وذلك لأنه السيد الفائق قومه المفزوع إليه عند الشدائد، ويفهم من قوله ﷺ (أنا سيد

(١) سامية الدردوي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة.

بنيته وأساليبه (الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨م) ص ١٤٠

(٢) ينظر حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م) ج ١/ص ٧٥

(٣) محمد علي القارصي: البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسائلة لميشال ميار، بحث منشور ضمن كتاب " أهم نظريات الحجاج"... جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس: ص ٣٩٩

(٤) ينظر سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، ص ١٤١

الناس) المقدم عليهم والسيد هو الذي يسود قومه أي يفوقهم بما جمع من الخصال الحميدة بحيث يلجئون إليه ويعولون في مهماتهم ، حيث يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وهو المقام الذي يحمده ويغبطه فيه الأولون والآخرين ويشهد له بذلك النبيون والمرسلون وهذه حكمة عرض الشفاعة على خيار الأنبياء فكلهم تبرأ منها ودل على غيره إلى أن بلغت محلها واستقرت في نصيبها. وخص يوم القيامة وإن كان سيدهم أيضا في الدنيا لخلوص ذلك اليوم له بلا منازع لأن آدم - عليه السلام - وجميع أولاده تحت لوائه صلى الله عليه وسلم.

وقوله ﷺ (أنا سيد الناس) أمر من الله سبحانه لرسوله أن يبلغ هذه النصيحة للأمة ليعرفوا حقه صلى الله عليه وسلم فيحبه ويعظموه ويمثلوا أمره ويتقربوا إليه بالصلاة عليه والمدح له وإعمال المطي في زيارة مسجده صلى الله عليه وسلم والاعتباط بذلك وكثرة حمد الله تعالى على التوفيق لاتباعه فيكثر بذلك ثوابهم وترتفع درجاتهم ويتخلصوا بذلك من أهوال الدنيا والآخرة.

فقد عمد الرسول ﷺ إلى استخدام الاستفهام التقريري الذي يحمل المتلقي أو المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه^(١)، مستعملاً الإقناع وإلزام المخاطبين بالحجة؛ لأن الإنسان منذ الوجود وبحكم الغريزة مدفوع إلى الاستطلاع والبحث فيما يحيط به من الكائنات، تأملاً وتفكيراً واستفهاماً بالتساؤل، فإن العدول عن الإخبار إلى الاستفهام يحمل المخاطب على الاعتراف بعد التدبر والأناة، فهو سؤال عن معلوم ثابت بغرض إقراره والاعتراف به.^(٢)

ومن ذلك قوله ﷺ (وهل تدرون بم ذاك؟) حيث يجمع الله سبحانه وتعالى يوم

(١) ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق: حنا الفاخوري (بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٩٩١ م)

ج ١ / ٣١

(٢) باطاهر بن عيسى، البلاغة العربية (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠٠٨ م)

ص ٨٣.

القيامة الأولين والأخرين في صعيد واحد ، بأرض واسعة مستوية يسمعون الداعي ويجرقهم ويجاوزهم البصر ويبلغهم بصر الناظر أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم لاستواء الصعيد، ويحتمل المعنى الكناية حيث يدل على بروز الجميع في أرض مستوية ليس بعضها أخفض من بعض ولا فيها سرب ولا مدخل ولا شجر يستتر به أحد ويخفي نفسه حتى لا ينال حر الشمس ولا يشاهد تلك الأهوال العظام لأن تعلق البصر بكل واحد من جماعة واستماعهم لداعيهم يستلزم عادة استواءهم في الظهور فعبر بهذا الملزوم وأريد لازمه على ما تقرر في الكناية.

فالاستفهام في الحديث الشريف ليس استفهامًا حقيقيًا لطلب الفهم، وإنما هو استفهام لغرض الإثارة واستدعاء الأفكار، واستحضار المعنى وتوليد النقاش، فالنبي ﷺ يملك الجواب، ولكنه يلتمس تحقيق الهدف التأثيري من خلال جذب ذهن المتلقين عن طريق التشويق والإثارة وصولًا إلى الإقناع.

ثانيًا: التصوير القصصي

إن إخراج الخبر مخرج القصة من شأنه دعم النتيجة الأولى وهي قوله ﷺ (أنا سيد الناس يوم القيامة) بالأدلة والبراهين وإحداث تأثيرًا تمثيليًا قويًا في نفوس المتلقين، فقد أدى وظائف حجاجية بالغة الأهمية كالنفسير والتبرير والحث والتحضيض والسرود والتخويف والتشويق.... ويتجلى ذلك التصوير القصصي حين تضافرت الحجج الإقناعية في تصوير النبي ﷺ لمشاهد وأحداث يوم القيامة حين تدنو الشمس من رؤوس الناس فيبلغ منهم الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، وتتعدد الوسائل الحجاجية وتتوالى الحجج والنتائج في مشاهد لقاء الناس واستنجادهم بأبي البشر وأولي العزم من الرسل للتخفيف من هول من يجيدون.

المشهد الأول: آدم ﷺ

فيقول بعض الناس لبعضهم على سبيل الاستفهام التقريري: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ أي من يطلب لكم الخير

والنجاة من هذه الشدائد، والاستفهام التقريري بالهمزة يشترط فيه أن يلي الهمزة المقرر به. (١)

(فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم) ويعلل ذلك بحجج كثيرة، أولها : (أنت أبو البشر) وجدهم الأعلى ولك منزلة وخاصة عند ربك لم توجد لغيرك؛ وثانيها: لأنه قد (خلقك الله) سبحانه وتعالى وأوجدك (بيده) أي بلا واسطة والدين ، وثالثها: (ونفخ فيك من روحه) والإضافة إلى الله تعالى لتشريف المضاف وتعظيمه، ورابعها: (وأمر الملائكة) بالسجود لك (فسجدوا لك) ؛ فلتلك الخصائص التي لم توجد لغيرك وتوجب لك منزلة عند ربك (اشفع لنا إلى ربك) ثم يتبع ذلك الاستفهام التعجبي في قوله: (ألا ترى إلى ما نحن فيه) من الشدائد (ألا ترى إلى ما بلغنا) أي وصل إلينا وحل بنا من الأهوال ، وتكرار (ألا) في الجملتين للعرض والتحضيض ، (فيقول آدم) عليه السلام (إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله) قال النواوي: والمراد بغضب الله تعالى ما يظهر من انتقامه ممن عصاه وما يروونه من أليم عذابه وما يشاهده أهل المجمع من الأهوال التي لم تكن قبل ولن يكون مثلها بعد ولا شك في أن هذا كله لم يتقدم قبل ذلك اليوم مثله ولا يكون بعده مثله، وهذا معنى غضب الله تعالى كما أن رضاه ظهور رحمته ولطفه بمن أراد به الخير والكرامة لأن الله تعالى يستحيل في حقه التغيير في الغضب والرضاء.

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي على هذا النحو:

(١) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، الإيضاح، تحقيق: عبد القادر حسين، (مصر، مكتبة الآداب، ط ١، ١٩٩٦م) ص ١٧١.



ويبدأ آدم عليه السلام في تقديم الحجج التي تمنعه من استحقاق الشفاعة ، فيستخدم أسلوب التأكيد في قوله: (وإنه نُهاني عن الشجرة) ^(١) والنتيجة استخدم فيها (الفاء) حيث قال: (فعميته) للدلالة على التعقيب والتوالي فلم يلتزم آدم عليه السلام أمر ﷻ ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ (سورة طه: الآية ١٢١) فالיום تهمني (نفسي نفسي) قالها مرتين على سبيل التأكيد، وأن نفسه هي التي تستحق أن يُشفع لها ، ثم يعرض لهم من أحق بالشفاعة وفقًا للترتيب الزمني في بعث الأنبياء عليهم السلام (اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح) من قبيل التخصيص بعد إطلاق العام لأنه أوقع في النفس .

المشهد الثاني: نوح عليه السلام

(فيأتون نوحا) ويذكرون له الحجج الداعمة لكونه أحق بالشفاعة، (فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض) أول رسول إلى أهل الأرض، كما أن الله سبحانه

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف: الآية ٩ ﴿وَيَقَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَامٍ

حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

(سماك الله عبدا شكورا) أي كثير الشكر لنعم ربه صيغة مبالغة من الشكر، حيث قال في كتابه العزيز: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْحَمًا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء: الآية ٣) (اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟) من الشدائد والأهوال (ألا ترى ما قد بلغنا؟) أي وصل إلينا من المخاوف وتكرار (ألا) على سبيل الحث والتحضيض أيضًا.

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي:



ويقدم النبي نوح ﷺ الحجج التي تنقض أحقيته بالشفاعة في ذلك اليوم العصيب فيقول: (إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) كما أنه (قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (سورة نوح: الآية ٢٦)، فاستجيب لي، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لَأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(١) فاليوم تهمني (نفسى نفسى نفسى) كررها ثلاث مرات للدلالة على هول الموقف يوم القيامة، ويدلهم على سيدنا إبراهيم ﷺ

(١) أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د ت) الحديث رقم ١٩٩، ج ١ / ص ١٨٩

خليل الرحمن ظنًا منه أنه أولى بالشفاعة.

المشهد الثالث: إبراهيم عليه السلام

فيأتون إبراهيم عليه السلام ويذكرون الحجج الداعمة لكونه أحق بالشفاعة فهو (نبي الله) بل أبو الأنبياء عليهم السلام، كما أنه (خليله من أهل الأرض) أي صفيه من خلقه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه من الأهوال العظام (ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟) ووصل إلينا من الشدائد.

والسلم الحجاجي لتلك المقدمات يمكن تمثيله:



فيرد عليهم إبراهيم عليه السلام بنقض تلك الحجج الداعمة لأحقيته بالشفاعة، وذلك بأمرين: أولهما قوله: (إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) وثانيهما: (وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ) وهي قوله: بل فعله كبيرهم هذا^(١)، وقوله: إني سقيم^(٢)، وقوله عن زوجته سارة: هي أختي^(٣)،

(١) إشارة إلى قوله تعالى في (سورة الأنبياء: الآية ٦٢، ٦٣) ﴿قَالُوا يَا هَذَا هَذَا إِلَهُنَا يَا بَرَاهِيمَ ۖ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ (سورة الصافات: الآية ٨٨، ٨٩).

(٣) وقد روي أن سارة كانت من أجمل النساء، وكانت لا تعصي لإبراهيم، عليه الصلاة والسلام، شيئا، فلذلك أكرمها الله تعالى فأتى الجبار رجل وقال: إنه قدم رجل ومعه امرأة من أحسن الناس وجهها، ووصف له حسنها وجمالها، فأرسل الجبار إلى إبراهيم، عليه الصلاة والسلام،

وليست بكذبات حقيقة لأن الأولى على تقدير الاستفهام الإنكاري، وتوطئة للاستدلال على أنها ليست آلهة وقطعاً لدعواهم أنها تضر وتنفع؛ ولذا أعقبه بقوله: ﴿فَسَاءَ لَوْ هُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ﴾، والثانية إنما قالها من باب ذكر الحال وإرادة المستقبل؛ أي سيسقم في المستقبل، لأن اسم الفاعل يكون بمعنى المستقبل، والثالثة إنما عنى أنها أخته في الإسلام كما نص عليه بقوله لها أنت أختي في الإسلام، ويعد الاستفهام من أجود الطرائق في إثارة الانتباه وجذب المتلقين، لقدرتة على إيصال الحجة بطريق غير مباشر وتحقيق التواصل بين المخاطبين، ومن أبلغ صوره الحجاجية (الاستفهام الإنكاري)؛ لأن فيه حثاً للمخاطب على التفكير، وذلك لأن المتلقي يجب بعد تفكير وروية عن هذه الأسئلة بالنفي، وكأن توجيه السؤال إليه حملاً له على الإقرار بهذا النفي، ومن ثم الاقتناع بالفكرة المراد لها أن تناسب في عقل المتلقي ووجدانه، فلا يطلب به معرفة شيء مجهول؛ بل هو استدلال عبر الاستنكار وإضعاف حجة الخصم. فتهمني اليوم (نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى).

المشهد الرابع: موسى عليه السلام

فيأتون موسى عليه السلام ويقدمون له الحجج التي تؤهله أن يكون أحق بالشفاعة،

فقال: ما هذه المرأة منك؟ قال: هي أختي، وخاف إن قال: امرأتي، أن يقتله، فقال له: زينها وأرسلها إلي. ولا تمتنع حتى أنظر إليها، فرجع إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، إلى سارة وقال لها: إن هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني عنده، فإنك أختي في كتاب الله تعالى، وأنه ليس في هذه الأرض مسلم غيري وغيرك، ولوط، ثم أقبلت سارة إلى الجبار، وقام إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، يصلي، فلما دخلت عليه ورآها فتناولها بيد، فبيست إلى صدره، فلما رأى ذلك فرعون أعظم أمرها، وقال لها: سلي إلهك أن يطلق عني، فوالله لا أؤذيك. فقالت سارة: اللهم إن كان صادقاً فأطلق له يده، فأطلق الله له يده، وقيل: فعل ذلك ثلاث مرات، فلما رأى ذلك ردها إلى إبراهيم ووهب لها هاجر، فأقبلت سارة إلى إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، فلما أحس بما انفتل من صلته، فقال: مهيم؟ فقالت: كفى الله كيد الفاجر، وأخدمني هاجر.. ينظر بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (بيروت، دار إحياء التراث العربي، دت) ج ١٣، ص ١٦٩.

فيعمدوا إلى أسلوب النداء والتخصيص في قوله (يا موسى أنت رسول الله) كما أنه قد (فضلك الله برسالاته وتكليمه على الناس) وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَالِمِ فَاخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: الآية ١٤٤) ولا خلاف بين أهل السنة في أن موسى سمع كلام الله الذي لا يشبهه كلام البشر الذي ليس بصوت ولا حرف ولو سمعه بالحرف والصوت لما صحت خصوصية الفضيلة لموسى بذلك.

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي على هذا النحو:

ق ١	• موسى ﷺ رسول الله
ق ٢	• اصطفاه الله ﷻ بالرسالة
ق ٣	• خصه الله ﷻ بكلامه
ن	• أحقيته بالشفاعة يوم القيامة

ويرد موسى ﷺ بالحجج التي تنقض قولهم، وهي قوله: (إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) كما (أني قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها)^(١) فلا أدري ما يعاملني ربي فيها وهو قتل القبطي الذي استغاثه عليه الإسرائيلي وهو كافر، ثممني اليوم (نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى ﷺ)

المشهد الخامس: عيسى ﷺ

فيذهبون إلى عيسى ﷺ ليطلبوا منه الشفاعة ويعلمون ذلك بالحجج المؤكدة

(١) ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ (سورة القصص: الآية ١٥)

لذلك: فأولها النداء والتخصيص (يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ)، وثانيها (وَكَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) سماه كلمة لأنه كان بكلمة (كن) من غير أن يتقلب في أطوار الخلق كما تقلب غيره، وثالثها (كَلَّمَتِ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا)، ويظهر التكرار في كل مرة يطلبون فيها الشفاعة (فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟) من الشدائد والأهوال (ألا ترى ما قد بلغنا؟) للحث والتحضيض.
ولتمثيل السلم الحجاجي:



فيرد عليهم عيسى عليه السلام بقوله: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) ولكنه (لم يذكر له ذنبا) في هذه الرواية يعتذر به، وإلا فقد روي في مسند الإمام أحمد بن حنبل قوله: (إِنِّي اتَّخَذْتُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ لَا يُهْمُنِي الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي، وَلَكِنْ أَرَأَيْتُمْ لَوْ كَانَ مَتَاعٌ فِي وَعَاءٍ مَحْتُومٍ عَلَيْهِ، أَكَانَ يُفَدَّرُ عَلَى مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يُفَضَّ الْحَاتِمُ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا، قَالَ: فَيَقُولُ إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وَقَدْ حَضَرَ الْيَوْمَ وَقَدْ عُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ) (١)، ويدلهم على النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) وهو حديث حسن، دون قول عيسى عليه السلام: "إني اتخذت إلهًا من دون الله"، فإنه مخالف لما في الصحيح من أن عيسى لم يذكر ذنبا، ثم إن هذا لا يُعد ذنبا له، وإسناده هذا

المشهد السادس: محمد ﷺ

فيأتون النبي محمد ﷺ ويذكرون الأدلة الحجاجية بأحقيته للشفاعة، فأولها استخدام أسلوب النداء والتخصيص (يا محمد أنت رسول الله) وثانيها (خاتم الأنبياء) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (سورة الأحزاب: الآية ٤٠)، وثالثها (وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (سورة الفتح: الآية ٢) والسلم الحجاجي يتمثل في:



فيقبل النبي الكريم ﷺ الشفاعة ، ويستخدم الرابط الحجاجي (الفاء) ليفيد الترتيب الزمني للأحداث وترابط الحجج الدلالية وتواليها، فيقول (فَأَنْطَلِقُ) ، (فَأَتِي

الحديث ضعيف، أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ) ج ٤، ص ٣٣١.

تَحْتِ الْعَرْشِ)، (فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ) ، (ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي) وإنما يدل ذلك على مراعاة النبي ﷺ لآداب اللقاء مع العلي القدير ، كما أن هذا الانطلاق من النبي ﷺ إنما هو إلى جنة الفردوس التي هي أعلى الجنة وفوقها عرش الرحمن كما جاء في الصحيح بناء على أن لا محل له هناك إلا الجنة والنار وعلى أن العرش محيط بأعلى الجنة ولا شك في أن دخول الجنة هو المحل الكريم والله تعالى منزه عن الجسمية ولوازمها.

(ثم يفتح الله علي ويلهمني) أي يلقي في روعي (من محامده) جمع محمده بمعنى الثناء والوصف الجميل (وحسن الثناء عليه) عطف تفسير لما قبله وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف أي والثناء الحسن (شيئا لم يفتحه لأحد قبلي) وذلك يدل على أنه صلى الله عليه وسلم أكثر من التحميد والثناء في هذا المقام كله في قيامه وسجوده إلى أن أسعف في طلبته

(ثم قال يا محمد ارفع رأسك) من السجود، و (سل) ما شئت (تعطه) و (اشفع) لمن شئت بما شئت (تشفع) أي تقبل شفاعتك فيه ، (فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن) إشارة إلى قوله ﷺ «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بغيرِ حِسَابٍ، هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رِجْلِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١) ، والضمير في قوله (وهم شركاء الناس) أي في دخولهم (فيما سوى ذلك من الأبواب) أي لا يمنعون منها، يحتمل أن يعود إلى الذين لا حساب عليهم وهو الظاهر ويكون معناه أنهم لا يلجؤون إلى الدخول من الباب الأيمن بل يدخلون من أي باب شاءوا تكروما لهم.

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي بهذا الشكل:

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، الحديث ٦٤٧٣٢، ج ٨، ص ١٠٠

- ق ١ • قبول الشفاعة وانطلاق النبي ﷺ
- ق ٢ • المجيء إلى عرش الرحمن ﷻ
- ق ٣ • أن يخر ساجدًا لله ﷻ
- ق ٤ • يفتح الله ﷻ عليه بالمحمد والثناء الحسن
- ن • دخول السبعين ألفًا من أمته ﷺ الجنة بغير حساب، والتعجيل بحساب بقية البشر

وقد لجأ إلى النداء لتبنيه المخاطب على أهمية القرائن المصاحبة لهذا الموقف، فقال (يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه) يدل على أنه شفع فيما طلبه من تعجيل حساب أهل الموقف فإنه لما أمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم، وقد قال القاضي رحمه الله تعالى: شفاعات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أربع: الأولى: شفاعته العامة لأهل الموقف ليعجل حسابهم ويراحوا من هول موقفهم وهي الخاصة به صلى الله عليه وسلم. الثانية: في إدخال قوم من أمته الجنة دون حساب. الثالثة: في قوم من موحدي أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيخرجون من النار ويدخلون الجنة بشفاعته. الرابعة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترفيعها والله سبحانه وتعالى أعلم.^(١)

ثالثًا: التأكيد والقسم

يندرج ضمن الروابط الحجاجية (أدوات التوكيد) التي تُضيف إلى المعنى الأول -

(١) محمد الأمين بن عبد الله الشافعي، الكوكب الوهاج والروض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (مكة المكرمة، دار المنهاج، دار طوق النجاة ٢٠٠٩م) ج ٥ / ص ٧٢

القول الخالي من أدوات التوكيد "الخبر الابتدائي" - معانٍ لم يفدها الإسناد الخبري له؛ وهذا لأن كل توكيد يزداد فيدخل على الإسناد الخبري الابتدائي، تحصل بفضله بلاغيًا ودلاليًا زيادة في المعنى الأصلي لذلك الإسناد^(١).

والتأكيد فعل حجاجي كثير الورد في لغة التواصل اليومية، وليس مجرد وظيفية نحوية محددة، فهو يندرج ضمن الأفعال الكلامية التقريرية، كما أن القسم من الأفعال الكلامية التأكيدية التي يلجأ إليها المتكلم في كثير من الأحيان لتأكيد كلامه وتقريره، فهو فعل حجاجي يثبت القضية ويوجهها ويلزم المتلقي بها، والقسم لا يراد لذاته، وإنما يراد لغرض تواصلية، هو دفع المخاطب إلى الثقة بكلام المخاطب^(٢).

وقد عمد النبي الكريم ﷺ إلى التعبير بالقسم والتأكيد ب (إن) والجملة الإسمية لتقوية توجيه الحجاج نحو النتيجة المرجوة، وهي سعة أبواب الجنة فقد قال: (والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة) أي إن بعد ما بين طرفي المصراعين من مصاريع الجنة وطرفاه هما المتصلتان بالعضادتين، (كما بين مكة وهجر) أي مثل بعد مسافة ما بين مكة المكرمة وبين هجر التي من بلاد البحرين (أو) (كما بين مكة وبصرى) بالشام، فقد سلك بها مسلك التخيير فكأنه قال قدروها إن شئتم بكذا وإن شئتم بكذا. وهجر هذه مدينة في بلاد البحرين، وبصرى بضم الباء وسكون الصاد وبألف مقصورة هي مدينة مشهورة من مدن الشام بينها وبين مكة شهر وهي على ثلاث مراحل من دمشق^(٣).

وبالإضافة إلى ذلك، فإن جملة القسم (والذي نفس محمد بيده) تحقق قياسًا منطقيًا للنتائج على المقدمات. والقياس المنطقي أساسي في الخطاب الحجاجي، إذ يُعدُّ

(١) ينظر عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية

(بيروت، دار الفارابي، ط ١، ٢٠٠٨م) ص ٢٠٩

(٢) ينظر آمال المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي - دراسة تداولية (تونس، الدار المتوسطة

للنشر، ط ١، ١٤٣٧هـ) ص ٢٢٧.

(٣) محمد الأمين بن عبد الله الشافعي، المرجع نفسه ج ٥/ ص ٧٣

من مظاهر الانسجام الخطابي؛ فهو يعلّق الأقوال بعضها ببعض ببنية منطقية قوامها الاستدلال، ويتكوّن القياس المنطقيّ، غالبًا، من مقدّمتين (كبرى وصغرى)، يترتّب عليهما نتيجة ما. وتكمن وظيفته الحجاجية في "الانتقال ممّا هو مسلّم به عند المخاطب، أي المقدمة الكبرى، إلى ما هو مُشكّل، أي إلى النتيجة"^(١)

رابعًا: التشبيه:

يعد التشبيه من أكثر الوسائل الحجاجية استعمالًا وتداولًا، إذ يسعى إلى بناء الواقع عن طريق الربط بين القضايا المتباينات في الجنس. وقد حده "ابن رشيق" بقوله: "التشبيه: صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه."^(٢) فالتشبيه يتحقق عنده ما لم تكن فيه مطابقة كلية بين المشبه والمشبه به، بل تكون المطابقة في بعض الأجزاء أو الصفات، ويعتبر التشبيه أقرب إلى خيال الإنسان وأدنى إلى إدراكه وتصوره وهو من أكثر صور البيان تداولًا وتوظيفًا.^(٣)

فالتشبيه يسعى إلى الإفهام وتوضيح بعض الظواهر الضمنية، وهو معيار ووسيلة للتلميح وعدم التصريح بوجه الشبه، في شكل خطاب غير مباشر، يتوجه به المرسل إلى متلقٍ، يختار من سمات المشبه به ما يستطيع إفهامه به، وتقريبه إلى فهم قصده، فيختار السمة الإضافية الأكثر ورودًا وتميزًا في سياق معين ويعد الاستدلال بحجة التشبيه هو طريقة إثبات الشيء بآخر، وهو ما يؤخذ ظاهر الاستدلال، دون أن يحمل دائمًا المعاني الدقيقة للكلمات، وقد وظف بشكل

(١) محمد العبد، النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع (مجلة فصول، ٢٠٠٢م، العدد ٦٠) ص ٥٦

(٢) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (بيروت، دار الجيل، ط ٥، ١٩٨١م) ج ١/ ص ٢٨٦

(٣) ينظر صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن (القاهرة، دار الكتاب الحديث، ط ١، ٢٠٠٣م) ص ٧٢

لافت في حديث الشفاعة لما له من أثر في تحريك المشاعر والنفوس، ودفع لإمعان العقل والتدبر. وذلك قوله ﷺ: (إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمَيْرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى) حيث دعم حجته بالتشبيه لتمثيل الصورة في ذهن المتلقين (كما بين مكة وهجر) أي مثل بعد مسافة ما بين مكة المكرمة وبين هجر التي من بلاد البحرين (أو) (كما بين مكة وبصرى) بالشام، ويحتمل أن يكون المعنى هنا على سبيل التشبيه المتعدد وتنويحاً للمعنى المقصود، كأنه ﷺ قال: إذا رأى ما بينهما راءٍ قدره بكذا وقدره آخر بكذا.

إن من وظائف التشبيه في الحديث النبوي الشريف إخراج ما خفي وتقريبه إلى الأفهام، وذلك بإبراز المعقولات الخفية في صورة المحسوسات الجلية؛ ليتمكن المخاطبون من إدراك المقصود من المشبه، وانتزاع الصفات المتعددة لوجه الشبه، ومما يقيم الحجة على المخاطبين أن المشبه به معروف ومسلم به لديهم وهو اتساع المسافة بين مكة وهجر، وذلك مما ينير لهم السبيل لتجلية الحقائق والافتناع بها.

وتظهر أهمية الخصائص الإقناعية للتشبيه في الحديث النبوي الشريف لكونه، من أهم طرق الاستدلال والحجاجة في سبيل الوصول إلى الحقائق، وسوق الخبر مقروناً بالحجة والدليل، ليلقى قبولا واستجابة من المخاطبين، متجنباً في ذلك طريقة السرد المباشر.^(١) فالتعبير بالتصوير يكتسب قيمته الدلالية والوظيفية من كونه يحمل بعدين أولهما إقناعي يتجه إلى العقل وينهض على الحجة والدليل أو الاستدلال، والثاني جمالي تأثيري يخاطب الوجدان، ويسعى إلى إثارة عواطف النفس وانفعالاتها.

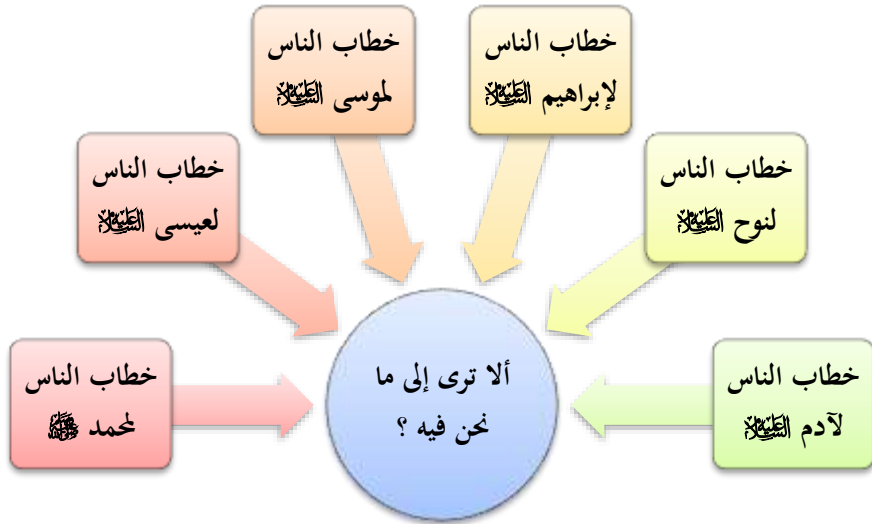
خامساً: بنية التكرار:

إن أسلوب التكرار كان متداولاً عند العرب القدامى، وقد وضعوا له الضوابط التي لا تجعله يستعمل إلا عند الحاجة، وبالقدر الذي يليق بالمقام، وللتكرار مواضع

(١) ينظر: بلخير ارفيس، الحجاج وآليات الإقناع في الحديث النبوي الشريف (مجلة جامعة

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، مجلد ٣٤، عدد ١، ٢٠٢٠) ص ٤٦٠

يحسن فيها، ومواقع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه.^(١) وقد ذكر ابن الأثير أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيداً له، وتشبيهاً من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك؛^(٢) ومنه ما جاء في الحديث الشريف على لسان الخلق عند مخاطبتهم للأنبياء - عليهم السلام - بقولهم (أَلَا تَرَى إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ) بالتكرار ست مرات في خطاب كل نبي من الأنبياء الذين طلبوا منهم الشفاعة، ويمكن تمثيل ذلك الموقف بالشكل التالي:

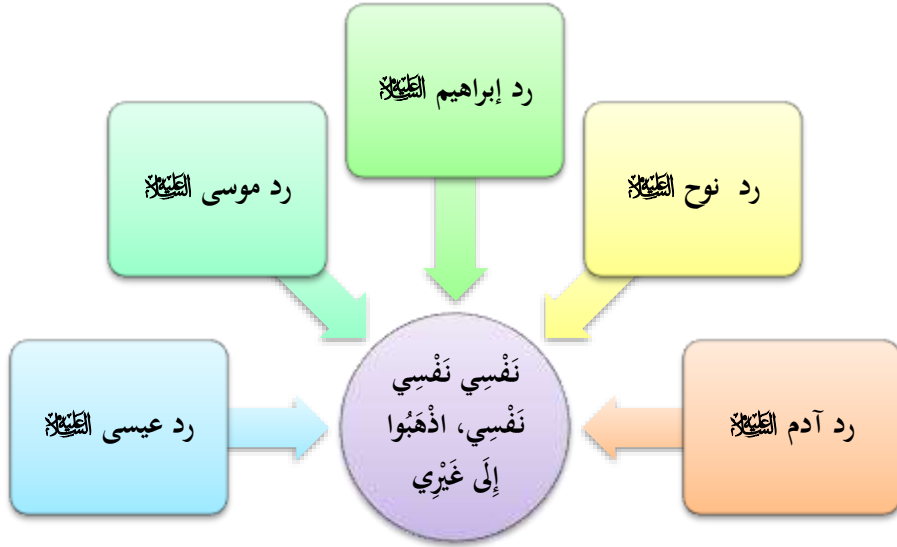


كما إن التكرار يسهم في تصعيد قوة النص حتى يبين عن مضمونه، ويخلق نوعاً من التوتر الذي يدفع المجادلات إلى الأمام دون تدليل صريح على الدعاوى،^(٣) فقد

(١) ابن رشيقي القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج ٢/ ص ٧٢، ٧٣.
(٢) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ) ج ٢/ ص ١٤٧
(٣) عدنان الجبوري: دور التكرار في خطاب المجادلة العربي، من كتاب (بحوث في تحليل الخطاب الإقناع)، اختيار وترجمة: محمد العبد (مصر، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٩٩م) ص ١٠٦

لجأ الأنبياء عليهم السلام إلي التكرار اللفظي في قولهم: (إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ) والمراد به ما يظهر من انتقامه ممن عصاه وما يشاهده أهل الموقف من الأهوال التي لم يكن مثالها ولا يكون ، وقيل المراد بالغضب لازمه وهو إرادة إيصال السوء للبعض وقول آدم ومن بعده (نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي) أي نفسي هي التي تستحق أن يشفع لها ، وليبان شدة أهوال يوم القيامة، حيث يفر المرء من بنيه وأمه وأبيه، فبرزت دقة التعبير النبوي الشريف لرد الحججة بالحجة والبرهان بالبرهان ، وفيه تفضيل محمد ﷺ على جميع الخلق لأن الرسل والأنبياء والملائكة أفضل ممن سواهم وقد ظهر فضله في هذا المقام عليهم ، " ولو لم يكن في ذلك إلا الفرق بين من يقول نفسي نفسي وبين من يقول أمتي أمتي لكان كافيا." (١)

ويمكن تمثيل التكرار بهذا الشكل:



(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)

ويقوم التكرار في الخطاب الحجاجي بألية يوظفها المرسل مستهدفًا التأثير في المتلقي وإقناعه، أي أنه يساعد على أداء الوظيفة الاتصالية؛ بأن يعبر المكرر عن الحالة الانفعالية للمرسل، ويؤثر في الحالة الانفعالية للمتلقي، أو في إحباط دعاوى الخصوم، أو في تقوية الدعوى وتدعيمها، أو تثبيت الحجة وصولاً إلى إقناع^(١).
وتكون النتيجة شفاعة المصطفى ﷺ في الخلق أجمعين وأمته على وجه التخصيص فيقول: (أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ) حيث جاء التكرار في هذا الموقف للاسترحام وطلب المغفرة من رب العالمين.

وبعد،

فلقد تحققت القيمة الحجاجية الإقناعية في الخطاب النبوي الشريف، نتيجة للتفاعل التام بين الصور والروابط والآليات المستخدمة بغرض التأثير في المتلقي وتقويمه إيجابًا وسلبًا، من خلال نقل الأمور العقلية إلى أمور محسوسة مجسدة رأي العين مما يسهل عملية الإقناع والتصديق.

(١) ينظر إيمان السعيد جلال: الوسائل اللغوية للتأثير والإقناع في مقالات إحسان عبد القدوس (مجلة كلية الألسن جامعة عين شمس، مصر، عدد يناير ٢٠٠٨م) ص ٤٣

الخاتمة:

إن لغة الخطاب النبوي الشريف لا يمكن أن تسير أغواره أو تنكشف دلالاته على الوجه الأمثل إلا بمراعاة البعد التداولي عند تلقيه وكشف مظاهر الاتساق والانسجام، فهو أداة إيصالية نفعية تقوم على جملة من المقاصد والأهداف تتحدد وجهتها التبليغية نحو الإنسان، حيث تخاطبه عقلاً ووجداناً، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج نجلها:

- يعد أسلوب الاستفهام من أنجع الطرائق اللغوية حجاجاً، لذا عمد الرسول ﷺ إلى استخدامه حيث بلغ عدد صور الاستفهام في حديث الشفاعة عشر صور تقريرية؛ وذلك لحمل المخاطبين على الإقناع، والاقتناع، وإلزامهم بالحجة، والبرهان.
- إن التصوير القصصي وإخراج الخبر مخرج القصة من شأنه دعم النتائج بالأدلة والبراهين وإحداث تأثيراً تمثيلاً قوياً في نفوس المتلقين، فقد أدى وظائف حجاجية بالغة الأهمية في حديث الشفاعة كالتفسير والتبرير والحث والتحضيض والسرد والتخويف والتشويق في تصوير النبي ﷺ لمشاهد وأحداث يوم القيامة حيث تعددت الوسائل الحجاجية وتوالت البراهين والنتائج في إظهار أهوال تلك المشاهد واستنجاد الناس بأبي البشر وأولي العزم من الرسل للتخفيف من هول من يجيدون.
- تنوعت الآليات الحجاجية في حديث الشفاعة ما بين الاستفهام، والتأكيد والقسم والتشبيه والتصوير القصصي والتكرار، وذلك من أجل تقوية علاقة التخاطب بين المرسل والمتلقي، ووصولاً إلى غاية الإقناع فالإقناع.
- أن الحجاج النبوي الشريف عملية فكرية تُخاطب العقل، وأدواتها اللغة ومجالاتها الخطاب، وحيثما وجد خطاب العقل واللغة، فإن ثمة استراتيجية معينة نعمل عليها، لغويًا أو عقليًا، إما لإقناع أنفسنا، أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية هي الحجاج ذاته، وهذا يعني أن الحجاج مرتبط باللغة الطبيعية؛ لأنَّ

استعمالها يعني أنّ هناك متخاطبين يلجؤون بفكرهم إلى اللغة لا ليبلّغوا
محتوى خطاباتهم فقط، وإنما ليؤثروا ويتأثروا، وليقنعوا ويقتنعوا.

التوصيات:

- قراءة الخطاب النبوي الشريف ودراسته من منظور تداولي دلالي، للتمكن من فهم النصوص فهمًا دقيقًا، وتحديد آليات التأثير والتأثر للإسهام في تطبيق السنة النبوية المطهرة.
- استخدام المناهج الحديثة في دراسة النصوص العربية التراثية، والنظر إليها من زوايا متعددة تسهم في بيان ثرائها والكشف عن مكنونها.
- وبعد فهذا ما وفقني الله تعالى إليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،
وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون) بيروت، مؤسسة الرسالة (ط ١) (١٤٢١ هـ)
- البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل. الجامع الصحيح (تحقيق: جماعة من العلماء) بيروت، دار طوق النجاة (ط ١) (١٤٢٢ هـ)
- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) بيروت، دار إحياء التراث العربي (د ط) (د ت)
- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد) بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر (د ط) (١٤٢٠ هـ)
- الأنصاري، ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر (ط ٣) (١٤١٤ هـ)
- الأنصاري، ابن هشام، مغني اللبيب (تحقيق: حنا الفاخوري) بيروت، دار الجيل (ط ١) (١٩٩١ م)
- الزمخشري، أبو القاسم، أساس البلاغة، بيروت، دار الكتب العلمية (د ط) (١٩٩٨).
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (ط ٢) (١٩٩٠ م)
- العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة (د ط) (١٣٧٩ هـ)
- العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د ط)
- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح (تحقيق: عبد القادر حسين) مصر، مكتبة الآداب (ط ١) (١٩٩٦ م).

القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه (تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد) بيروت، دار الجيل، بيروت، ط ٥، ١٩٨١م)

ثانيًا: المراجع

ابن عيسى، باطاهر، البلاغة العربية (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠٠٨م).

ابن يوسف، هاني، الحجاج في النص القرآني (الأردن، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م).
الأمين، محمد سالم ولد محمد، مفهوم الحجاج عند "بيرلمان" وتطوره في البلاغة المعاصرة (الكويت، عالم الفكر، ٢٠٠٠م)

آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس وآخرين (بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٣م).

الجبوري، عدنان: دور التكرار في خطاب المجادلة العربي، من كتاب (بحوث في تحليل الخطاب الإقناع)، اختيار وترجمة: محمد العبد (مصر، دار الفكر العربي، ط ١، ١٩٩٩م)

الدردري، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة. بنيتها وأساليبه (الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨م)

السراج، عبد العزيز، التواصل والحجاج (الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م).
الشافعي، محمد الأمين بن عبد الله، الكوكب الوهاج والرّوض البهّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج (مكة المكرمة، دار المنهاج، دار طوق النجاة، ٢٠٠٩م)

الشهري، عبد الهادي ظافر، استراتيجية الخطاب، مقارنة لغوية تداولية (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠٠٤م)

صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية (بيروت، دار الفارابي، ط ١، ٢٠٠٨م)

صولة، عبد الله، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته (تونس، كلية الآداب، ١٩٩٩م).
صولة، عبد الله، الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، (الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م).

عبد التواب، صلاح الدين محمد، النقد الأدبي دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن (القاهرة، دار الكتاب الحديث، ط ١، ٢٠٠٣م)
عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي (المغرب، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م).

عبد الرحمن، طه، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام (المغرب، المركز الثقافي العربي، ط ٢، ١٩٩٨م).

الغزاوي، أبو بكر، الحجاج والمعنى الحجاجي (الأردن، عالم الكتب الحديث ٢٠١٠م).

الغزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج (المغرب: العمدة في الطبع، ٢٠٠٦م)
علوي، حافظ إسماعيلي، الحجاج مفهومه ومجالاته (الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م)

المبخوت، شكري، نظرية الحجاج في اللغة (تونس، كلية الآداب ١٩٩٩م).
المغامسي، آمال، الحجاج في الحديث النبوي - دراسة تداولية (تونس، الدار المتوسطة للنشر، ط ١، ١٤٣٧هـ)

الناجح، عز الدين، العوامل الحجاجية في اللغة العربية (تونس، مكتبة علاء الدين، ٢٠١٨م)

هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيمائي لتحليل النص، ترجمة: محمد العمري (بيروت، إفريقيا الشرق، ط ٢، ١٩٩٩م)

ثالثاً: المجالات العلمية:

بلخير ارفيس، الحجاج وآليات الإقناع في الحديث النبوي الشريف (مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، مجلد ٣٤، عدد ١، ٢٠٢٠م)

جلال، إيمان السعيد: الوسائل اللغوية للتأثير والإقناع في مقالات إحسان عبد القدوس (مجلة كلية الألسن جامعة عين شمس، مصر، عدد يناير ٢٠٠٨م)

دلائل الحجاج والإقناع في الخطاب النبوي الشريف (حديث الشفاعة نموذجًا) د. رشا عبد الرؤف عبد الفتاح الحبيشي

دلکي، خالد حسين، أحمد محمد أبو دلو، الدرس الحجاجي، في نظرية تحليل الخطاب (مجلة المنارة، جامعة آل البيت، الأردن، مجلد ٢١، عدد ٣، ٢٠١٥ م).
رحيم، عطا الله، سناء عائشة خان، مستويات الخطاب الحجاج البلاغي في الحديث النبوي الشريف (مجلة الإعجاز، عدد ديسمبر ٢٠٢٠ م)
العبد، محمد، النص الحجاجي دراسة في وسائل الإقناع (مجلة الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، العدد ٢٠٠٢ م).
القارصي، محمد علي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المسائلة لميشال ميار، بحث منشور ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج (مجلة جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، د.ت)
مسعودي، الحواس، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجًا (مجلة اللغة والأدب، الجزائر، عدد ١٢، ١٩٩٧ م).

Bibliography

First: sources

- Al-Aini, Badr Aldeen. Explanation of Sahih Al-Bukhari. Beirut: Dar Ehiaa Al-Tourath Al-Arabi.
- Al-Ansari, Ibn Hisham. (1991). Mughna Al-Labib (Investigated by Hanna Al-Fakhouri) (1st edition). Beirut: Dar Al-Jeel.
- Al-Ansari, Ibn Manzour.(1993). Lisan Al-Arab (3rd edition). Beirut: Dar Sader.
- Al-Asqalani, Ibn Hagar. (1379 AH-1959). Explanation of Sahih Al-Bukhari. Beirut: Dar Al-Maarifa.
- Al-Bukhari, Abu Abdullah. (1422 AH-2001). Al-Gamea Al-Sahih (Ṣaḥīḥ al-Bukhārī (Investigated by some scholars) (1st edition). Beirut: Dar Touq Al-Najaa.
- Al-Naysaburi, Abu Al-Hussein Muslim ben Al-Haggag Al-Koshari. (n.d.). Sahih Muslim (Investigated by Muhammad Fouad Abdel-Baqi). Beirut: Dar Ehiaa Al-Tourath.
- Al-Qayrawani, Ibn Rashi. (1981). On figures of speech of poetry (Investigated by Muhammad Muhi Al-Din Abdelhamid) (5th edition). Beirut, Dar Al-Jeel.
- Al-Qazwini, Galal Aldeen Mohammed ben Abdelrahman. (1996). Al-Edah (1st Ed.) (Investigated by Abdelkader Hussein) (1st edition). Egypt: Al-Adab Bookshop.
- Al-Sakaki, Yousef bin Abi Bakr. (1990). Miftah Al-Ulum (2nd edition). Egypt: Mustafa Al-Babi Al-Halabi and his Sons Press.
- Al-Zamakhshari, Abu Alkasem. (1998). Asas Al-Balaghah (Foundation of rhetoric). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Ibn Al-Atheer, Diaa Aldeen. (1420 AH-1999). Proverb in literature of author and poet (Investigated by Muhammad Muhyi Al-Din Abd al-Hamid). Beirut: Modern Bookshop for Printing and Publishing.
- Ibn Hanbal, Ahmed. (1421 AH-2000). Musnad Al-Imam (Investigated by Shuaib Al-Arnaout et al.) (1st edition). Beirut: Al-Resala Foundation.

Second: References

- Abdel Rahman, Taha, in the origins of dialogue and the renewal of speech science (Morocco, Arab Cultural Center, i2, 1998).
- Abdel Rahman, Taha, Tongue, Balance or Mental Coherence (Morocco, Arab Cultural Center, 1998).
- Abdul Tawab, Salaheddine Mohammed, Literary Criticism Critical and Literary Studies on the Miracle of the Qur'an (Cairo, Dar al-Hadith, i1, 2003)

- Al-Amin, Mohammed Salem Ould Mohammed, The Concept of Pilgrims at Perlman and its Development in Contemporary Rhetoric (Kuwait, World of Thought, 2000)
- Alawi, Hafiz Ismaili, Pilgrims Concept and Areas (Jordan, Modern Book World, 2010)
- Al-Dardi, Samia, pilgrims in ancient Arabic poetry from Jahiliya to the second century of migration. Its structure and methods (Jordan, Modern Book World, 2008)
- Al-Jubouri, Adnan: The Role of Repetition in the Arab Debate Discourse, from a book (Research in The Analysis of Persuasion Speech), Selection and Translation: Mohammed al-Abd (Egypt, Arab Thought House, I1, 1999)
- Al-Mabkhout, Shukri, Pilgrims' Theory in Language (Tunisia, Faculty of Arts, 1999).
- Al-Magamsi, Amal, Pilgrims in the Prophet's Hadith - Deliberative Study (Tunisia, Mediterranean Publishing House, I1, 1437 Ah)
- Al-Sarraj, Abdul Aziz, Communication and Pilgrims (Jordan, Modern Book World, 2010).
- Al-Shafei, Mohammed Al-Amin bin Abdullah, Al-Kawkab al-Wahaj and Al-Rawd al-Bahaj in True Explanation Muslim bin Al-Hajjaj (Mecca, Dar al-Muhajj, Dar Al-Tuq al-Najat, 2009)
- Al-Shahri, Abdulhadi Zafer, Speech Strategy, Deliberative Language Approach (Beirut, United New Book House, i1, 2004)
- Anne Rupaul and Jacques Muchlar, Deliberative Today a New Science in Communication, translated by Seifeddine Daghvos and others (Beirut, Dar al-Tala'a, 2003).
- Azzawi, Abu Bakr, Language and Pilgrims (Morocco: Mayor in Print, 2006)
- Azzawi, Abu Bakr, Pilgrims and The Meaning of Pilgrims (Jordan, Modern Book World 2010).
- Heinrich Blythe: Rhetoric and Style, Towards The Simai Model for Text Analysis, Translation: Mohammed Al-Omari (Beirut, Africa East, i2, 1999)
- Ibn Issa, Bataher, Arabic Rhetoric (Beirut, United New Book House, i1, 2008).
- Ibn Yusuf, Hani, Pilgrims in the Qur'anic Text (Jordan, Ata University, 2008).
- Sola, Abdullah, Pilgrims in the Holy Quran through its most important stylistic characteristics (Beirut, Dar al-Farabi, I1, 2008)
- Sola, Abdullah, Pilgrims: Frameworks, Origins and Techniques (Tunisia, Faculty of Arts, 1999).

Solah, Abdullah, Pilgrims, his concept and fields, theoretical and applied studies in the new rhetoric (Jordan, Modern Book World, 2010).

Successful, Ezzedine, Hajji Factors in Arabic (Tunisia, Aladdin Library, 2018)

Third: Scientific journals

Al-Abed, Mohammed, Al-Hajjaji text is a study in persuasion (Journal of the Egyptian General Book Authority, Egypt, Issue 2002).

Al-Qarsi, Mohamed Ali, Rhetoric and Pilgrims through The Theory of Accountability by Michel Mayar, Published In The Book "The Most Important Theories of Pilgrims" Journal of the University of Arts, Arts and Humanities, Tunisia, D.T.)

Belkhair Arvis, Pilgrims and Persuasion Mechanisms in the Prophet's Hadith (Prince Abdelkader University journal of Islamic Sciences, Algeria, Volume 34, Issue 1, 2020)

Dalki, Khaled Hussein, Ahmed Mohammed Abu Dalou, Al-Hajjaji Lesson, in The Theory of Speech Analysis (Al-Manara Magazine, Al-Bayt University, Jordan, Volume 21, Issue 3, 2015).

Jalal, Iman Al-Saeed: Linguistic Means of Influence and Persuasion in The Articles of Ihsan Abdel Kaddous (Faculty of Tongues Magazine, Ain Shams University, Egypt, January 2008 issue)

Massoudi, Senses, Pilgrim Structure in the Holy Quran, Surat al-Ant model (Language and Literature Magazine, Algeria, No. 12, 1997).

Rahim, Atallah, Sina Aisha Khan, Levels of Rhetorical Pilgrims Speech in The Prophet's Hadith (Miracle Magazine, December 2020 issue).

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "ينتظر أن" لعبد الله الوشمي

Evoking Heritage Characters in Abdullah Al-Washmi's Poetry Collection "Waiting To"

د. فواز بن زايد الشمري

الأستاذ المشارك في الأدب والنقد بكلية الآداب والفنون في جامعة حائل

البريد الإلكتروني: dr.fauwaz@gmail.com

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول ظاهرة توظيف التراث في ديوان الشاعر عبدالله الوشمي الموسوم بـ "يُنْتَظَرُ أَنْ". وقد اشتملت الدراسة على مبحثين، الأول: بعنوان "علاقة الشاعر العربي بالتراث". والثاني: بعنوان "الشخصيات التراثية، ودورها في تجربة الشاعر عبدالله الوشمي في ديوانه "يُنْتَظَرُ أَنْ". وقسمت هذه الشخصيات إلى: شخصيات دينية (الرسُل، والأنبياء)، وشخصيات أدبية (شعراء)، وشخصيات أسطورية (شهرزاد). سبقتها مقدمة أشارت إلى هدف الدراسة، ومنهجها، وحدودها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة. ثم جاءت الخاتمة التي أبرزت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة. وأخيراً قائمة المصادر والمراجع التي أفادت منها.

الكلمات المفتاحية: الشخصيات الدينية، الأدبية، الأسطورية، الوشمي، الشعر السعودي المعاصر.

Abstract

The study aims at addressing the phenomenon of heritage employment in Al-Washmi's collection of poetry entitled: "Waiting To". The study is divided into two sections: "The relationship of the Arab poet to heritage" and "traditional characters and their role in the experience of Al-Washmi in his collection, "Waiting To." The characters are divided into religious characters (messengers and prophets), literary characters (poets), and mythical characters (Scheherazade). Prior to that, an introduction comes to indicate the goals of the study, its approach, its limitations, previous studies, and the study plan. Finally, the conclusion wraps up the most important findings of the study, followed by a list of references and works cited in the study .

Keywords: religious characters, literary characters, mythological characters, Al-Washmi, contemporary Saudi poetry.

المقدمة:

لقد شاعت في الآونة الأخيرة؛ في شعرنا الحديث، والمعاصر ظاهرة فنيّة لافتة للنظر ألا وهي لجوء الشعراء المحدثين، والمعاصرين إلى التراث العربيّ، والإسلامي، بل إلى التراث الإنسانيّ بعامّة، فاستمدوا منه كلّ ما ساهم في إثراء تجاربهم الشعريّة، أو ما تناغم، وانسجم مع تجاربهم الشعوريّة، والنفسية، فوظفوا شخصيات التراث، وأحداثه، ومواقفه، وأساطيره؛ للتعبير عن همومهم، وآمالهم الذاتيّة، أو معاناة، وطموح أمّتهم، بل ما أهمّ الإنسانيّة جمعاء، ومن ثمّ، فقد مزجوا بين العامّ، والخاصّ، والذاتيّ، والجمعيّ، والأصالة، والمعاصرة.

وأصبح استلهام التراث بمختلف أشكاله؛ تقنية جديدة في الخطاب الشعريّ الحديث، والمعاصر، فمنح القصيدة سمة جماليّة، وفنيّة عميقة، وشحنها بدلالات ذاتيّة، وقوميّة، وإنسانيّة، فعدت تجارب الشعراء؛ نظراً لارتباطها بالقيم الروحيّة، والفكريّة، أصيلة، وعميقة، وشاملة، فتخلّصت القصيدة من العفويّة الساذجة، والغنائيّة الضيقة، وارتقت فنيّاً، وجماليّاً، وفكريّاً إلى مجالها الأرحب، وفضاءاتها الواسعة؛ أعني الفضاء الإنسانيّ الواسع. فكان للمثاقفة مع التراث دور في تعميق تجربة الشاعر الشعريّة، والشعوريّة، وإرهاق أدواته التعبيريّة. وقد تبدّى ذلك جليّاً في ديوان الوشميّ "يُنْتَظَرُ أَنْ"، وذلك من خلال استدعاء الشخصيات التراثيّة، سواء أكانت شخصيات دينيّة، أم شخصيات أدبيّة، أم شخصيات أسطوريّة.

هدف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى:

- التعرف إلى مبررات (مسوغات) استدعاء هذه الشخصيات في ديوان الوشمي من الناحية الفنية، والنفسية، والثقافية، والاجتماعية.
- بيان دور استدعاء الشخصيات الدينية، والأدبية، والأسطورية في تخصيب النص الشعري لدى الوشمي، واتخاذها معادلاً موضوعياً لآلامه، وهمومه، ومعاناته، وواقعه.

منهج الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة الاتكاء على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يرصد النصوص الشعرية الدالة، ويحللها.

حدود الدراسة:

وتمثلت في ديوان الشاعر عبد الله الوشمي، الموسوم بـ "يُنْتَظَرُ أَنْ"، منشورات الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠١٧ م.

الدراسات السابقة:

لم يعثر الباحث - بعد التحري، والتدقيق - على أية دراسة علمية عاجلت حضور الشخصيات التراثية في ديوان الشاعر مدار الدراسة. أما الدراسات الموازية، فهي كثيرة، وأهمها:

١. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، للباحث: عليّ عشريّ زايد.
٢. أثر التراث العربي القديم في الشعر العربي المعاصر، للباحث: ربيّي محمد عبد الخالق.
٣. استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث، للباحث: محمد بن عبدالله منور.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "يُنْتَظَرُ أَنْ" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

الخاتمة:

وقد رصدت أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

قائمة المصادر والمراجع:

وُدُونُ فيها المصادر والمراجع التي أفادت منها الدراسة.

خطة الدراسة:

المقدمة:

وتناولت: هدف الدراسة، ومنهجها، وحدودها، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.

المبحث الأول: "علاقة الشاعر العربي المعاصر بالتراث".

المبحث الثاني: "الشخصيات التراثية، ودورها في تجربة الشاعر عبدالله الوشمي في ديوانه "يُنْتَظَرُ أَنْ".

المبحث الأول: علاقة الشاعر العربي المعاصر بالتراث

لعلّ من أهمّ ما يميّز التجربة الشعريّة الحديثة، هو اتّكاؤها على التّراث، وميلها الجليّ إليه، والاستعانة به؛ إمّا لتعزيز فكرة، أو نقد واقع، أو تقديم رؤية تُسهم في إعادة الفرحة، والبسمة، والأمل. فضلاً عن دور هذا التّراث في تحصيب التجربة الشعريّة، ومدّها بعناصر الحياة، وصوتها من التّلاشي، والانحناء السّريع، زد على ذلك أنّ اختفاء الشّاعر وراء هذه الشّخصيّات يُعدّ قناعاً، ومتنفساً يبتّ من خلاله ما يجول في خاطره، وما يجيش في صدره، وما يعتمل في ذاته. فالبوح المباشر لما يختلج في النّفس؛ يُفسد لذّة التّواصل مع النّصّ، ويحرم المتلقّي متعة التّأمل، والتّفكير.

ويشكّل التّراث - بكلّ أبعاده، وتفصيله - دوراً بالغ الأهميّة في تشكيل شخصيّة الشّاعر التّفافيّة، والفكريّة، والأدبيّة، ويعيد صياغة الذّائقة الفنيّة لديه، ويمنحه فضاءً رحباً للتّعبير عن أفكاره. فقد "كان التّراث - في كلّ العصور - بالنّسبة للشّاعر الينبوع الدّائم التّفجّر بأصل القيم، وأنصعها، وأبقاها، والأرض الصّلبة التي يقف عليها؛ ليبنى فوقها حاضره الشعريّ الجديد على أرسخ القواعد"^(١)؛ ولهذا لا تكاد تجد شاعراً إلّا له اتّصال بهذا التّراث، فالارتداد إلى الماضي أمر حتميّ، وضروريّ، وله مسوّغاته، ومبرراته العقليّة، والنّفسيّة، شريطة ألاّ نجترّ هذا التّراث، ونحمله أكثر ممّا يحتمل.

وينبغي ألاّ يكون ارتباط الشّاعر بالتّراث ارتباطاً سطحياً، أو شكلياً، بل يجب أن يلتفت إليه؛ من حيث هو حصيلة مواقف إنسانيّة لها أبعادها الروحيّة، والفكريّة، واستكشاف قيم جديدة في هذا التّراث الزّاخر؛ ولذلك على الشّاعر أن يتغلغل داخل التّراث، بحيث يصبح جزءاً من مكوناته؛ من أجل الوصول إلى أسلوب خاصّ، يمكن

(١) عليّ عشريّ زايد، استدعاء الشّخصيات التّراثيّة في الشّعر العربيّ المعاصر، (دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م)، ص ٧.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "ينتظر أن" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

المتلقي من فهم روح العصر.^(١)، فالتاريخ - في كثير من مفاصله وإشكالياته، وقضاياه الكبرى- يعيش في الحاضر. ومن يتأمل تجربة الشاعر المعاصر الجديدة، يجد "أن علاقة الشاعر المعاصر بهذا التراث؛ هي علاقة استيعاب، وتفهم، وإدراك واع للمعنى الإنساني، والتاريخي للتراث، وليست بحال من الأحوال علاقة تأثر صرف."^(٢) ومن يتوقف عند النماذج الشعرية الراقية يلمح - بكلّ جلاء- الطريقة الواعية بالتعامل مع التراث، والإفادة منه بما يخدم قضايا العصر، وتمثله جوهراً، وروحاً، لا شكلاً، وصورة، فقد يحضر هذا التراث بصورة واعية؛ عمداً، وقد يحضر عفواً؛ دون قصد.

ومن هنا "فإنّ أشدّ الشعراء أصالة، وتفرداً، يحوّرون إلى موروث، ويقع في ما يسميه بارت (Barthes) "التذكّر"، وإنّ الانفراد المطلق أمر يعزّ على أيّ إنسان، إلّا إذا شاء ألاّ يقيم أيّة علاقة بين الألفاظ."^(٣) ولكنّ طريقة الشاعر تختلف، وتباين في طريقة تعامله مع التراث؛ بين التقليد، والابتكار، والاجترار، وإعادة الصياغة بما يخدم التجربة الشعرية، والشعورية الجديدة، فالعلاقة بين الشاعر، والتراث الإنسانيّ عموماً، تتسم بالجدلية، والمحاورة، والتثاقف ف "يغدو الأدب أكثر حياة، وتدقق الدماء في عروقه كلّما اقترب من الكلام، وحين تضيع التقاليد التراثية من الشعر، يصبح متقطعاً غير استمراريّ."^(٤)، وحين تنعقد الصلة بين الشاعر، وتراثه، وتتمتّن عرى هذه العلاقة يحافظ الشاعر على ألقه، واستمراريّته، وتدقق الحياة فيه، ويصبح أكثر قابلية للبقاء.

وثمة أسباب عديدة تستدعي الشاعر لاستحضار التراث الإنسانيّ بصورة

(١) ينظر: السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، (دار

المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م)، ص٤١.

(٢) إسماعيل عزّ الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، (دار الفكر

العربي، القاهرة، ط٣، د.ت)، ص٣٠.

(٣) إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، (عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب، الكويت، ع (٢)، ١٩٧٨م)، ص١١٢.

(٤) عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص١١٣.

عامّة، والتراث الإسلاميّ، والعربيّ بصورة خاصّة، ومنها فيما يتعلّق بتراثنا الإسلاميّ، والعربيّ:

أولاً: الفخر بمآثر العرب، والمسلمين، وتاريخهم المجيد، وقد يلجأ الشاعر إلى ذلك عندما يرى الواقع العربيّ يئنّ تحت نير التخلّف، والتراجع، فيقدّم رؤية خاصّة للنّهوض بهذه الأمة، ولعلّ الكتاب، والأدباء أكثر حرّيّة في ذلك؛ نظراً لطبيعة الكتابة التثريّة التي تنهض على الجدل، والحوار، وتقديم الحجج، ودحض وجهات النظر بالأسلوب العلميّ، والمنطق العقليّ. فقد اتّجهت عواطف بعض الكتاب في مطلع القرن العشرين نحو التاريخ العربيّ؛ يستوحون بعض المواقف؛ وذلك لأسباب قوميّة، وسياسيّة، واجتماعيّة، منها: استفحال ظلم العثمانيين في البلاد العربيّة، وطغيان المستعمرين في البعض الآخر، ثمّ تأخر الشعوب عامّة عن موكب الحضارة الحديثة. (١)

ثانياً: التمسك بالهويّة القوميّة العربيّة، وهي من أهمّ الأسباب التي شغلت الشعراء، والأدباء، والمفكرين، وغيرهم، وذلك بعد الهزات السياسيّة التي مُني بها الكيان العربيّ؛ حيث خيم عليه الإحساس بالضّياع، والإحباط، واليأس، ومن ثمّ يمكن إدراك لماشيوغ ظاهرة استخدام الشخصيات التراثيّة بعد هزيمة ١٩٦٧م، بشكل لم يعرف من قبل في تاريخ شعربنا؛ إذ أحسّ الشاعر المعاصر أنّ هذه الهزيمة قد عصفت بكيانه القوميّ أكثر ممّا عصفت به نكبة ١٩٤٨م ذاتها، ومن ثمّ ازداد تشبّثه بجذوره القوميّة، علّها؛ تمنحه بعض التماسك أمام تلك الهزّة العنيفة التي تعرّض لها كيانه القوميّ، أو تمنحه - في الأقلّ - بعض العزاء، والسّلو. (٢) فوجدوا في هذه الشخصيات ما يمنحهم مزيداً من الثقة، ويعيد إليهم التوازن النفسيّ، ويخفّف عنهم الإحساس بالإحباط، والضّياع، واليأس؛ للنّهوض من حالة التّشظي، والتشويه، والوقوع في براثن القنوط، والتّردّي.

(١) ينظر: محمّد يوسف نجم، المسرحيّة في الأدب العربيّ الحديث (١٨٤٧ - ١٩١٤م)، (دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٥٦م)، ص ٢٩٣.

(٢) ينظر: زايد، استدعاء الشخصيات التراثيّة، مرجع سابق، ص ٤١.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "ينتظر أن" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

ف "الأديب الذي يفقد اتصاله بتاريخ قومه، وتراث أمته، لا يصلح بحال ما أن يعبر عن وجدانها المعاصر؛ لأن فقدان وعيه لشخصيتها، يجعله أجنبياً غريباً عنها." (١)

ثالثاً: ما يتضمّن التراث من عناصر جمالية قوية لم تفقد - مع مرور الزمن - طلاوتها، وسحرها، وروعها، وليس ثمة شك في أنّ الحساسية الجمالية التي يثيرها الأدب بالذات، تعدّ من أرسخ مقومات الوحدة النفسية الإنسانية، ويمكن القول: إنّ أعمق التحام بالتراث، وأفضل مدخل إليه، يمكن أن يتمّ بالأدب بمعناه الواسع، والإفادة منه؛ تساعد على تشكيل تجانس ذهني روحي إنساني؛ يمدّ جذوره في الحساسية نفسها، وهي بصفقتها هذه، تعكس الجانب الخالد من التراث. (٢)

رابعاً: ثمة ما يُسمى بـ "الجدوى" فمن الثابت أنّ التراث يشتمل على عناصر ذات جدوى، يمكن استخدامها في الزمن الحاضر، يستطيع الشاعر، وغيره أن يمتح منها، ويوظفها في معالجة قضاياها الحديثة، والراهنة. ومن هنا فليس التراث أمراً يصحّ التهاون في أمره، أو التقليل من شأنه، فالدور الذي يقوم به خطير جداً، وليس دوراً هامشياً، فهو يشكّل الأفراد، والأمم نفسياً، واجتماعياً وقومياً. (٣)

ولكنّ يتعيّن على الشاعر أن يتجاوز من التراث المفاهيم، والقيم، والمواقف، والإشكاليات التي عبرت عن حالات، وأوضاع لم يعد لها أثر حيّ في عصره، في حين يتمثّل من التراث كلّ ما يضيء رؤيته للحاضر، ويضيء تجربته الفنية، والشعورية، ويفتح له الطريق نحو مستقبل إبداعي. (٤)

- (١) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، (دار المعارف، القاهرة، ط ٢، د. ط، د. ت)، ص ١٦٥.
- (٢) ينظر: فهمي جدعان، نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، (دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٨٥م)، ص ٣٠.
- (٣) ينظر: جدعان، نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، مرجع سابق، ص ٣١.
- (٤) ينظر: عدنان حسين العواد، لغة الشعر الحديث في العراق، بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، (منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط ١، ١٩٨٥م)، ص ١٦١.

وتتحوّل عملية توظيف التراث في القصيدة إلى "أداة فنيّة تسهم في إنتاج النّصّ إنتاجاً ثريّاً حافلاً بالثقافة، والتّواصل؛ ممّا يحيل التراث عنصراً فاعلاً، دائم التأثير، والتأثير. "(١) وبذلك تتعمّق تجربة الشّاعر، وتصبح أكثر نضجاً، ومواءمة للتعبير عن روح العصر، وإشكاليّاته الجديدة، وقضاياه المفصليّة، وتتجاوز قصيدته الغنائيّة، والموضوعات الضيقة المحدّدة إلى الانفتاح على الهموم، والآلام العامّة، والانتقال إلى مجالات أكثر عمقاً، وإبداعاً. وكثيراً ما يجد الشّاعر مادّة تراثية صالحة، يمكن استقطابها إلى سياقاته الشّعريّة، ويجعلها جزءاً أصيلاً من هذه السياقات؛ يعبر من خلالها عمّا يمور في صدره، وما يشغله من قضايا شتى. ولعلّ من إخلاص الشّاعر لفنّه، وإدراكه لدوره الكبير في الحياة؛ ما يوجب عليه أن ينهل ما استطاع من منابع الثقافة الإنسانيّة؛ ليكون لنفسه إطاراً ثقافياً أعمّ، وأشمل؛ ليكون - أيضاً - أقدر على العطاء(٢)، ومن ثمّ لا يضير الشّاعر العودة إلى هذه المنابع الثّرة، واستيحاء ما يلزم منها؛ لإعادة صياغة الواقع من جديد فنيّاً، وجماليّاً.

والقول الذي تطمئن إليه النّفس: إنّ التراث يُعدّ رافداً مهمّاً، ونبعاً ثراً للتّوظيف الفنّيّ، وفيه من المواطن، والمواقف، والمضامين، والشخصيّات ما يتلاءم وطبيعة تجربة الشّاعر المعاصر، ورؤيته الفكرية، والجماليّة، فيستحضر منه ما يراه "ضرورياً؛ لتعميق فكرته المطروحة، أو بلورة رؤيته في قضية ما، أو ما يراه منسجماً مع البناء الفنّيّ، أو الأسلوبيّ، أو اللّغويّ."(٣)، ومن ثمّ فإنّ النّصّ الجديد يجمع فضاءً واسعاً من الماضي، في بناء جديد، ورؤية عصريّة، تواكب روح العصر، وتخدم القضايا، والأفكار المستجدّة.

(١) سامح الرّواشد، مغاني النّصّ، دراسات تطبيقية في الشّعر الحديث، (المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م)، ص ١١.

(٢) ينظر: ربيعيّ محمّد عبد الخالق، أثر التراث العربيّ القديم في الشّعر العربيّ المعاصر، (دار المعرفة، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٩م)، ص ١٦.

(٣) أحمد الرّعيّ، التناصّ نظريّاً وتطبيقياً، (مؤسسة عمّون للنّشر والتّوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٠م)، ص ٢٩.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "ينتظر أن" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

ومما تجدر الإشارة إليه أن توظيف الشخصيات التراثية يُعدّ من أهمّ، وأبرز حالات التوظيف في الشعر المعاصر؛ إذ استدعاء مثل هذه الشخصيات التراثية، ليس مجرد ظاهرة عابرة، بل لها دلالتها التاريخية، والنفسية، والفنية، فقد حملها الشعراء المعاصرون دلالات، وإيحاءات جديدة، ومعاصرة، قابلة لتأويلات، وتفسيرات شتى، أثرت التجربة، وخصبتّها، وجعلتها أكثر تأثيراً في المتلقي، بل أتاحت للمبدع أن يقول من خلالها ما لا يستطيع قوله مباشرة، ومن ثمّ جعلها قناعاً يتقنّع به للدخول إلى عوالم محظورة. "وهكذا تكتسب تجربة الشاعر المعاصر باستدعاء هذه الشخصيات التراثية غنى، وأصالة، وشمولاً في الوقت ذاته...، بتحريها من إطار الجزئية والآنية، إلى الاندماج في الكلّي، وفي المطلق." (١) وقد تمتح هذه الشخصيات النصّ الشعريّ شكلاً درامياً نامياً، وتجسّد رؤية الشاعر تجسيداً حازماً في مواجهة التخلف، أو التزييف، ومن ثمّ فإنّ الشاعر يزيل عنها ما يعيق انسجامها مع عصره الحاضر. (٢)

فعملية نقل الشخصية من زمنيّتها الماضية إلى زمنيّة الحاضر، والتعبير عنها شكلاً ملمحاً متميزاً من ملامح الشعر المعاصر، وأضفى على التجربة الشعريّة بُعداً إنسانياً شاملاً. (٣) وبذلك تُشكّل "زمنيّة آنية، تختصر المسافة بين الصوتين؛ ليتلبّس كلّ منهما صاحبه، ومع المشابهة في الموقف قد تنبثق مفارقة، أو مفارقات بحتمية اختلاف الطّرف التاريخي، فتضاف إلى المعطى شذرات تحويريّة تتسق مع الحالة المفارقة؛ فيما يشبه تنوعات على الفكرة الأولى." (٤) وبذلك تتفاعل الشخصية

(١) زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) ينظر: عليّ جعفر العلق، في حداثة النصّ الشعري، دراسة نقدية، (دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ط ١، ١٩٩٠م)، ص ٧١.

(٣) ينظر: إبراهيم نمر موسى، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطينيّ المعاصر، (مجلة عالم الفكر، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج (٣٣)، ع (٢)، (٢٠٠٤م)، ص ١٢١.

(٤) رجاء عيد، الأداء الفنيّ والقصيدة الجديدة، (مجلة فصول (مجلة النقد الأدبي)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، مج (٧)، ع (٢+١)، (١٩٨٦م)، ص ٥٤.

التاريخية الماضية مع الشخصية المعاصرة، أو قل يتفاعل الماضي مع الحاضر؛ من أجل إنتاج دلالات جديدة تُعبّر عن روح الشاعر، والجماعة، وما يعترّ بها من آلام، وآمال، وهموم، وأحلام. (١)

ولكن ليست كلّ الشخصيات التراثية تصلح موضوعاً معاصراً، وذلك لانعدام السمة الدالة فيها، ومن هنا تنشأ الصعوبة، فلا بدّ، إذن، للشاعر من قراءة التراث قراءة عميقة من خلال رؤية عملية فلسفية شاملة، وبعد ذلك يأتي موضوع الاختيار، وأن يربط ربطاً موقفاً بينها، وبين ما يريد أن يعبر عنه الشاعر من أفكار، مع مراعاة الحدائث، والسمة المتجددة. (٢) ومن ثمّ فإنّ الاستلهام الفني الواعي للشخصيات التراثية يمرّ في ثلاث مراحل، هي: (٣)

الأولى: مرحلة الاختيار، فالشاعر يختار الشخصية المستلهمة برؤية معينة تلحّ عليه، ويقوده الوعي بحاجته إليها؛ بحيث تحقّق له الانسجام في اللاشعور.

الثانية: مرحلة الانفعال بالشخصية التراثية التي اختارها؛ ليقبس منها معاني جديدة، يلقي عليها بظلال أحاسيسه المتوقّدة.

الثالثة: مرحلة التنظيم، والتشكيل، بطرح ما لا يتناسب مع رؤيته للواقع من سمات الشخصية، وضخّ ما يختاره من دماها الحية في نسيج الواقع الحيّ الذي يعيشه الشاعر؛ ممّا يجعله حياً فاعلاً مؤثراً في صميم فضايه المعاصرة. ويتّضح ممّا تقدّم أنّ استدعاء التراث؛ بمفهومه الإنسانيّ الواسع يُعدّ ظاهرة شعريّة في الشعر العربيّ المعاصر، تستدعي الوقوف، والتأمّل. فتداخل الماضي مع الحاضر؛ يزيد من إخصاب النصّ الجديد، وتطويره بما يتلاءم ومتطلّبات العصر،

(١) ينظر: موسى، توظيف الشخصيات التاريخية، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٢) ينظر: محيي الدين صبحي، الرؤيا في شعر البياتي، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٨م)، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٣) ينظر: محمد بن عبدالله منور، استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث، (النّادي الأدبي، الرياض، ط ١، ٢٠٠٧م)، ص ١٩.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "ينتظر أن" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

وحاجاته العصرية، فالتراث جزء أصيل من أي أمة، والتواصل معه أمر ضروري، لا يستغني عنه الأديب، والشاعر، والمثقف؛ وذلك لاستيعاب المستجدات الحديثة، والمكتسبات المتنوعة، ومن هنا، فالتراث - كما قيل - ليس مادة هامدة ساكنة، لا يمكن بث الحياة فيه من جديد، أو تجاوزه، وتخطيه.

وقد تفاوت استدعاء الشعراء لهذا التراث الزاخر الضخم بين الاجترار الذي لا فائدة، ولا جدوى منه، واقتصارهم على حشد الأحداث، والقضايا، والشخصيات دون اختيار واع، وإعادة تشكيل كل ذلك فنياً، وجمالياً، ومعرفياً، وبين الاختيار الفني الواعي الذي يتيح للشاعر التعبير عن الآلام، والآمال، والهموم، والطموحات العامة؛ حيث ينأى النص عن الغنائية، والذاتية، فيصبح نصاً عالمياً، وإنسانياً، يستغل الرموز، والشخصيات، والمواقف بأبعادها الإنسانية الثرية بالدلالات، والإيحاءات؛ لتكون قادرة على تشكيل رؤية فنية جمالية عامة، ولا شك في أن شعرنا المعاصر قد استغل هذه الجوانب، وقدم رؤية معاصرة جديدة؛ مزجت بين الأصالة، والمعاصرة.

كما شكّل استلهام الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر قيمة رئيسة جسدت القضايا القومية، والتفسيية، وكذا الإنسانية؛ عبر من خلالها الشعراء عما ألمّ بهم من سرور، وفرح، وحزن، وأسى على المستويين الجمعي، والذاتي، فأضحت هذه الشخصيات تفاجئنا بوجوهها الحزينة البائسة تارة، ووجوهها الفرحة المنتصرة تارة أخرى، وشكّلت مشاهد متنوّعة من النصر، والهزيمة، والنهوض، والانكسارات، والضعف، والقوّة، واليقظة، والصحو... إلخ.

المبحث الثاني: الشخصيات التراثية، ودورها في تجربة الشاعر عبدالله الوشمي في ديوانه "يُنْتَظَرُ أَنْ"

إنّ المتأمل لديوان الوشمي المتقدّم الذّكر؛ يلمح - بصورة واضحة - استحضار الشاعر للشخصيات التراثية: التاريخية، والأدبية، والشعبية، والأسطورية، وتوظيفها توظيفاً مناسباً، "تجعل النصّ ذا قيمة توثيقية يكتسب بحضورها دليلاً محكماً، وبرهاناً مفحماً على كبرياء الأمة التليد، وحاضرها المجيد، أو حالات انكسارها الحضاري، ومدى انعكاسه على الواقع المعاصر." (١) وتشكّل هذه الشخصيات صوت الأنا/ الشاعر من جهة، وصوت النّحن/ الجماعة من جهة أخرى، وبوساطتها يمكن التعبير عن المواقف الفكرية، والنفسية، والاجتماعية، والسياسية، وإضفاء نوع من الموضوعية، والدرامية على عاطفته الغنائية" (٢).

ويمكن تصنيف الشخصيات التراثية التي استدعاها الوشمي إلى:

أولاً: الشخصيات الدينية.

ثانياً: الشخصيات الأدبية.

ثالثاً: الشخصيات الأسطورية.

أولاً: الشخصيات الدينية (الرسل، والأنبياء)

تعدّ شخصيات الرسل، والأنبياء من الشخصيات التي استحضرها الشعراء بصفة عامة، والشعراء المعاصرون بخاصة، فقد أحس الشاعر بأنّ ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربته، وتجربة الأنبياء - عليهم السلام - فكلّ منهما يحمل رسالة إلى أمته، والفارق بينهما أنّ رسالة النبيّ سماوية، وكلّ منهما يتحمّل العنت، والعذاب في سبيل هذه الرسالة، ويعيش غريباً في قومه، وفي أحسن الأحوال غير مفهوم؛ ولذلك فقد طاب للشاعر أن يُشبهه فترة المعاناة التي يعيشها قبل ميلاد قصيدته بفترة الغيبوبة التي

(١) موسى، توظيف الشخصيات التاريخية، (مجلة عالم الفكر، مرجع سابق)، ص ١١٧.

(٢) زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، مرجع سابق، ص ١٩.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "يُنْتَظَرُ أَنْ" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

كانت تنتاب الرسول أثناء الوحي؛ ومن هنا، فقد دأب الشاعر المعاصر على استعارة شخصيات الرسل؛ ليعبر من خلالها عن بعض أبعاد تجاربه المعاصرة. (١)

وقد استدعى الوشمي شخصية الرسول موسى - عليه السلام - في قصيدته الموسومة بـ "هدأة الرحيل" مرة واحدة، وكذا هارون عليه السلام؛ حيث يقول: (٢)

لَوْ أَنَّ مُوسَى رَأَى... مَا عَادَ يَتَّبَعُهَا وَمَا تَوَخَّى إِلَى أَرْضِي بِهَارُونَ

وقد وظف الشاعر هذه الشخصية المقدسة؛ ليصوّر من خلالها العنت، والمعاناة، والألم، الذي لقيه في دنياه، فموسى - عليه السلام - قد لاقى من المعاناة من بني إسرائيل، وفرعون ما لاقاه نبي آخر، منذ أن كان طفلاً رضيعاً؛ حيث وضع في التابوت، وألقي في اليم؛ لئلا يقتله فرعون...، ثم فراره منه حين اشتد ساعده، إلى أن خرج بني إسرائيل، وتجاوز البحر، فأتبعه فرعون، وجنوده، فغرقوا في البحر، فهي سيرة مفعمة بالآلام، والمشاق. وكذا حياة الشاعر كما يشير قوله الآتي: (٣)

فَدُكُنْتُ ذَاتَ سُكُونٍ نَجْمَةٌ فَأَتَى هَذَا النَّهَارُ وَعَنَى فِي مَيَادِينِي
إِلَى مَتَى؟ كُلُّ لَيْلٍ مُظْلِمٍ قَدَرٌ يَحْنُو الطَّرِيقَ عَلَيَّ قَلْبِي وَيَدْعُونِي
وَيَنْتَهِي حُلْمِي مَوْجاً عَلَى سُفْنِي يَصِيحُ فِي عُمُقِ قَلْبِي كَمْ أَضَاعُونِي

تَفْتَقْتُ أَلْفَ دُنْيَا أَلْفَ مُعْجِزَةٍ وَأَفْقَرْتُ لَيْلَتِي وَالْفَجْرُ يُغْوِينِي

فتشابه التجريبتين في بعض جوانبها، هو ما جعل الشاعر يستدعي شخصية موسى - عليه السلام - ولكن الشاعر لم يستثمر هذه الشخصية؛ ليرسم أبعاد معاناته الذاتية، علاوة على عدم استثمارها في تصوير معاناة الأمة، فقد اكتفى بمجرد الإلماع العابر إليها؛ ليردنا إلى الواقع المر الذي عاشه موسى - عليه السلام -، ومن ثمّ يسترسل بالحديث عن معاناة الذات/ الشاعر، كما تشي الجملة الشعرية الآتية -

(١) ينظر: زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢) عبد الله الوشمي، ديوانه "يُنْتَظَرُ أَنْ"، (الانتشار العربي، بيروت، ط ١، ٢٠١٧م)، ص ١٥.

(٣) زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، مرجع سابق، ص ١٥.

بصورة واضحة-: "فَأَتَى هَذَا النَّهَارَ وَعَنَى فِي مَيَادِينِي/ إِلَى مَتَى؟ كُلُّ لَيْلٍ مُظْلِمٍ قَدْرٌ/ وَيَنْتَهِي حُلْمِي مَوْجاً عَلَى سُفْنِي/ تَفْتَقْتُ أَلْفَ دُنْيَا/ أَلْفَ مُعْجِزَةٍ/ وَأُفْقِرْتُ لَيْلِي وَالْفَجْرُ يُعْوِينِي". فاستخدام شخصية موسى - عليه السلام-، وهو من أولي العزم، رمزاً للمعاناة النفسية، يخالف في هذا المدلول توظيف الشعراء المعاصرين لهذه الشخصية المقدسة في التعبير عن المعاناة على مستوى الجماعة.^(١)

وقد قرن الشاعر بين شخصية موسى - عليه السلام-، وشخصية هارون - عليه السلام-، على غرار اقتراحهما في القرآن الكريم، فقد جاء ذكر هارون ملازماً لذكر موسى في ست عشرة مرة^(٢)؛ ليكشف من خلال الجمع بين هاتين الشخصيتين المقدستين، وتلازمهما، وتكميل إحداها الأخرى؛ ملازمة المتاعب، والمشاق، والمعاناة للشاعر، ومن ثم جعلها معادلاً موضوعياً لقسوة الحياة عليه، فكأنه، والدنيا بما فيها من آلام، ومشاق، وضيق صنوان، فإذا أردت أن تشهد الدنيا بقسوتها وإحكام حلقاتها على أي امرئ فانظر إليه، وكذا الحال إذا أردت أن تنظر إلى العلاقة المتينة بين الرسل والأنبياء؛ فانظر إلى موسى، وهارون - عليهما السلام-، فلا يكاد يذكر أحدهما إلا ذكر الآخر.

ويستلهم الوشمي شخصية يونس / ذا النون / عليه السلام، وذلك في قوله من القصيدة السالفة الذكر:^(٣)

مَاذَا سَيَمْنَحْنِي الْمَعْنَى وَأَمْنَحُهُ أَنَا الْمَجْهِطُ وَأَنْتَ الْيَوْمَ ذُو النَّوْنِ

استوحى الشاعر حال يونس - عليه السلام- وهو في ظلمة بطن الحوت، وفي ظلمة البحر أيضاً؛ ليكون دلالة مغايرة جديدة؛ يصور فيها حاله التي تشظت،

(١) ينظر: زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، المرجع نفسه، ص ٨٧، ٨٨، ٨٩.

(٢) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (دار الحديث، القاهرة، ط ١، ١٣٦٤هـ)، باب (الميم)، باب (الهاء).

(٣) الوشمي، يُنتظرُ أن، مصدر سابق، ص ١٦.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "ينتظر أن" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

وتفتقت. فقد شبه ذاته بالمحيط، بينما شبه المعنى بذي النون، بجامع الصغر، وقلة الحيلة، وتشبه هذه الصورة بما يعانيه الشاعر من غربة نفسية قاسية، وقلقاً فكرياً مرهق، جعله يتفتق ألف دنيا، وألف معجزة، فأقفر نهاره، وأظلم ليله، وأضحى ينادي: "كم أضاعوني"، ومن هنا، فإنّ المعنى - على سعته، ورحابته - لم يعد قادراً على تصوير هذه المعاناة، والتعبير عنها.

ثانياً: الشخصيات الأدبية

ويُقصد بها مجموعة من الشعراء، والأدباء الذين يستدعيهم الشاعر؛ ليعبر من خلالها عن موقف فكري، أو ثقافي، أو وجداني، أو فني، فهي ذات دلالات رمزية مشحونة بالإيحاءات؛ توحى بمعانٍ، وأفكار قد يخشى الشاعر الإفصاح بها، والتعبير عنها مباشرة فهي "إشارة عابرة تحدف إلى إيضاح موقف، أو جزء ما من القصيدة، وليس القصيدة كلها." (١) وكل شخصية من هذه الشخصيات لها دلالتها الخاصة، ومن هؤلاء:

- أبو تمام:

يقول الوشمي: (٢)

فَصَائِدِي مِنْ أَبِي تَمَّامٍ أَعْرِفُهَا وَيَنْتَهِي عِنْدَمَا تَأْتِيَنَّ مَاعُونِي

فاستدعاء شخصية أبي تمام؛ حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١هـ) يثير في الذاكرة كثيراً من الدلالات؛ فهو رمز للعروبة، كما جسّد في شعره كثيراً من الانتصارات العربية، والإسلامية، والنخوة العربية بخاصة في قصيدته "فتح عمورية"، سنة (٢٢٣هـ) كما جسّد فتياً قضية الصراع بين القديم، والجديد إلى غير ذلك من

(١) محسن إطميش، دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر،

(وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط ١، ١٩٨٢م)، ص ١٠٧.

(٢) الوشمي، ينتظر أن، مصدر سابق، ص ١٦.

القضايا التي يستدعيها الذهن، وهو يطالع حياته الأدبية والفنية.^(١) ولكن الشاعر ابتعد عن دلالات هذه الشخصية بما تمثله من ماضي تليد، وبما تحمله من دلالات على الواقع المأزوم بما فيه من انكسارات، وتشظي، وخمول، وحملها دلالات فنية فحسب، مضيفاً على قصائد بعض آيات الجمال التي استمدّها من شعر أبي تمام، وأثما امتداد لذلك الألق الشعري، والتميز في اللغة، والتصوير، والمعاني العقلية... إلخ.

- امرؤ القيس:

تعدّ شخصية امرؤ القيس من الشخصيات التي أكثر الشعراء المعاصرون استدعاءها، واستخدامها للتعبير عن تجاربهم الشعرية، والشعورية. فهو ذو أوجه عديدة: وجه اللاهي اللامبالي، ووجه الضائع الشريد، ووجه الندب المفجوع، ووجه الموتور الساعي وراء الثأر، ووجه اليأس المهزوم^(٢)

يقول الوشمي من قصيدة بعنوان "طويل الأمد":^(٣)

"يَسْأَلُونَ الْقَصِيدَةَ أَنْ تَتَجَلَّى

وَأَنْ تَسْتَبِدَّ

وَأَنْ تَحْتَفِيَ بِالْبَلَدِ

يَا طَوِيلَ الْأَمْدِ

يَسْأَلُونَ الْقَصِيدَةَ

صَوْتَ امْرِئِ الْقَيْسِ

رَجْفَةَ صَدْرِ الْفَرْزُدِقِ

(١) ينظر: خالد الكركي، الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث، (دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط ١، ١٩٨٩م)، ص ٦٥.

(٢) ينظر: زايد، "امرؤ القيس الكنعاني: أقنعة الملك الضليل في ديوان يا عنب الخليل (قضية الموروث)"، امرؤ القيس الكنعاني: قراءات في شعر عز الدين المناصرة، إعداد وتحرير: عبدالله رضوان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م)، ص ٤٧.

(٣) الوشمي، يُنتظرُ أن، مصدر سابق، ص ١٩.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "ينتظر أن" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

لَوْنِ الحَيْنِ عَلَى عَيْنِ وِلَادَةٍ
وَصَهِيلِ القَوَافِي مع المَنَنِ
بِفَجْرِ الصَّحَارَى
وَلَيْلِ البَلَدِ

وقد نحا الشاعر منحى آخر غير ما عهدناه من توظيف هذه الشخصية - مثلاً - لدى: محمود درويش، وسميح القاسم، وغيرهما من الشعراء، وقد اقتصر على الدلالة الفنية من حيث ارتباط امرئ القيس بالقصيدة العربية القديمة، فهو "يعدُّ أباً للشعر الجاهلي...، فقد استوى عنده في صورة رائعة، سواء من حيث سبقه إلى فنون أجاد فيها، أو من حيث قدرته على الوصف، والتشبيه." (١) فهو يتخذ من امرئ القيس رمزاً بما يخدم تجربته الشعرية؛ إذ يشير إلى قصائده التي تستمد ألقها، وبريقها من ذلك النبع الذي مازال يتدفق في ثنايا القصيدة العربية إلى يومنا هذا.

وأما استدعاؤه لشخصية الفرزدق؛ همّام بن غالب (ت ١١٠هـ) في قوله

السابق:

"رَجْفَةَ صَدْرِ الفَرَزْدَقِ"

فيه دلالة على أنّ قصائد الشاعر مرهوبة الجانب، يُخشى على الناس تأثيرها فيهم، فلم يجعلها مرهونة لأحد، كما يتقي الناس شرّها، ويتواروا منها وجلّاً. وقد كانت قصائد الفرزدق مصدر خوف للآخرين، تثير الفرع، والرهب في نفوسهم، ولكنّ ليس كلّ الناس يستوون عنده في هذا الجانب، فهو ليس شاعراً هجّاءً، بل يخيف بسيف الحقّ كلّ من تنكّب طريقه، وساوره همّ في التعدي على الحقوق، والحرّات. (٢)

(١) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، (دار المعارف، القاهرة، ط ١١، (د.ت.))، ص ٢٦٥.

(٢) ينظر: أمل نصير، ظاهرة الخوف في شعر الفرزدق، (دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، مج (٣٤)، ع (٣)، ٢٠٠٧م)، ص ٦١١،

وقد أكد هذا المعنى في قصيدته "غزالة الشَّعر"؛ حيث يقول بعد تكرار السؤال "ما الشَّعر؟" أربع مرات: (١)

هَبَّتْ فَأَشْرَقَ فِي قَلْبِي فَرَزْدَقُهُ وَطَارَ عَنْتَرَةٌ فِي لَيْلِهِ شُهْبَا

فهو مسكون بالحقّ الذي يخيف الباطل، والحبّ الذي يسع كلّ النَّاس، فهو: مرهوب الجانب، طيب السريرة، مأمون البوائق، موطن الأكناف. ويعود إلى توظيف شخصية الفرزدق مرة أخرى، وبصورة تشعر بالقلق؛ لعلّه القلق من الزمن، وتحوّلاته المفزعة، ونذره المخيفة من: الموت، والكبر، والشَّيب، وعبور مرحلة الحياة، والامتلاء، حيث يقف الإنسان "أمامها خائر القوى مسلوب الإرادة" (٢)، يقول الوشمي: (٣)

"لِقَصِيدَتِي عُمَرُ الْمُعَرِّي
حُرْقَةُ اللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي
قَلْبِي الْفَرَزْدَقِي"

وتجسّد قصائده - أيضاً - معاني الحنين، والحبّ، والتعلّق بالوطن، والأرض، ومن هنا جاء استدعاؤه لشخصية ولادة بنت المستكفي (ت ٤٨٤هـ)، وما مثله من علاقة حبّ، وعشق مع الشاعر ابن زيدون (ت ٤٦٣هـ)، وذلك في قوله السابق: "لَوْنُ الْحَنِينِ عَلَى عَيْنِ وَلَاذَةٍ"

- المتنبّي:

وثمة أسباب عديدة دعت الشعراء المعاصرين إلى استدعاء شخصية المتنبّي؛ أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ)، منها: أنّ شعره يحمل رؤيا تفوق أيّ شاعر عربيّ آخر، فهو يجعلنا نعيش بين الحلم، والواقع، والمثال، والحقيقة، والموت، والحياة...، وتميّز شعره

(١) الوشمي، يُنتظرُ أن، مصدر سابق، ص ٧٨.

(٢) يوسف عليّات، جماليّات التحليل الثقافي، الشَّعر الجاهليّ نموذجاً، (وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، ط ١، ٢٠٠٤م)، ص ١٨٩.

(٣) الوشمي، يُنتظرُ أن، مصدر سابق، ص ١١٧.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "ينتظر أن" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

بالإحساس العميق بتلك الصلة الغامضة بين القضية الخاصة؛ قضية الفقر، والحرمان، والقضايا المجتمعية؛ من القضايا السياسية، والاجتماعية، والفكرية. كما أن شخصية المتنبي شخصية محيرة، ومتعددة الجوانب، وعلى قدر كبير من الإغراء للفنانين، والشعراء، وهي لازالت مثيرة للجدل، والخصومة حتى الآن^(١)

يقول الوشمي في المقطع المتقدّم:

"وصهيل القوافي مع المتنبّي

بفجر الصّحارى

وليل البلد"

ولعل استدعاء الشاعر لهذه الشخصية يجلينا إلى كلّ الإيحاءات المتقدمة؛ حيث الإشارة العابرة لها، فقد جعلت منها فضاءً مفتوحاً يحمل هذه الدلالات جميعها، فضلاً عما تحمله من دلالات الاغتراب النفسي. وييدي الشاعر استغرابه في عدم تنبه الأمة العربية إلى ما أثاره المتنبي من قضايا هامة، مسّت مفاصل أمة العرب؛ جعلتها شيعاً، وأحزاباً، ومطامع سهلة للقاصي، والداني، يقول الوشمي

كَيْفَ مَرَّتْ مَطَالِعُ الْمُتَنَّبِيِّ وَسَهَا عَن قَصِيدِهِ حَسَّانٌ

وأما استدعاؤه لشخصية حسان في هذا البيت، فهو تذكير بما ينبغي أن يكون عليه الشاعر الملتزم الذي كرّس شعره في سبيل الدفاع عن مبادئه، ودينه، وعقيدته، والتعبير عن الجماعة، وأمجادها، وبطولاتها.

- أبو العلاء المعري:

من الطبيعي أن تكون شخصية أبي العلاء المعري؛ أحمد بن عبد الله (ت ٤٤٩ هـ) من الشخصيات المستدعاة؛ نظراً لغنى هذه الشخصية بالمواقف، والأحداث، والرؤى

(١) ينظر: نائر زين الدين، أبو الطيب المتنبي في الشعر العربي المعاصر، (اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م)، ص ١٠، ١١.

الفلسفية، والوجودية العميقة^(١)، وقد استدعى الوشمي هذه الشخصية، وذلك في قوله-مثلاً-: (٢)

"وَبِالسُّؤَالِ الْمِسْتَحِيلِ
مَا أَنْتَ؟ يَمْلُوكُ الْجَوَابُ
وَلَسْتَ تَمْلِكُ أَنْ تَقُولَ
كَتَبْتَ يَدَاهُ
وَأَوْقَدَ الْمَعْنَى
تَدَاوَلَهُ الْمَعْرِي

واصْطَفَى مِنْهُ الصَّحِيحُ مَا يَشَاءُ"

ولعلّ الشاعر- هنا- يردّد مع المعريّ السؤال الذي حير الخلق؛ سرّ الحياة، والخلق، والكون، وتفسير الوجود، والرؤى الوجودية الميتافيزيقية. ويؤكد الشاعر هذه الرؤية الإيديولوجية، والموقف الفكريّ الغائر؛ حيث يقول: (٣)

"وَتَفْتَقَ الْقَلْبُ الْمَعْدَبُ بِالْمَعَانِي وَالضُّلُوعُ
لِقَصِيدَتِي عَمْرُ الْمَعْرِي"

ففي هذه اللّمة السريعة، والخاطفة ردّنا الشاعر إلى فلسفة المعريّ في الحياة، هذه الفلسفة التي أثارت كثيراً من الجدل.

- قيس بن الملقح:

ولعلّ سبب استحضر الشعراء المعاصرين لشخصية قيس بن الملقح؛ مجنون ليلي (ت ٦٥ أو ٦٨هـ)؛ لما يمثّله من مثال الحُبّ، والوفاء، والصّدق، ونبيل العاطفة، ورقة

(١) ينظر: عصام شرتح، استدعاء شخصية المعريّ في الشعر العربيّ الحديث والمعاصر (بين الواقع والتجربة)، (مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع(١٠٨)،

٢٠٠٧م)، ص ٢٤٤.

(٢) الوشمي، يُنتظر أن، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٧.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "يُنْتَظَرُ أَنْ" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

الشعور، وقصص الغرام، والعشق المبرأ من الفواحش، وقد استدعى الوشمي هذه الشخصية في ثلاثة مواضع من ديوانه، يقول في الموضع الأول: (١)

أَيْنَ كَانَتْ حُرُوفُ لَيْلَى وَصَارَتْ
بَعْدَ قَيْسٍ تَوَحَّدَ الْحِرْمَانُ

وربما استدعاؤه لمجنون ليلي؛ للتعبير عن حالة حرمان مني بها الشاعر، وقد يفتح الاحتمال على كثير من هذه التوقعات؛ حالة وجدانية، أو اجتماعية، أو سياسية... إلخ.

أما الموضع الثاني، فقلوه: (٢)

وَمَالَ قَيْسٌ عَلَى لَيْلَى فَهَدَّهَا
شِعْرًا وَشَدَّ عَلَى أَوْتَارِهَا الْعَصَبَا

وقد استدعاؤه؛ ليشير إلى دور الكلمة في راب الصدع، وتضييق الفجوة بين المتخاصمين، ومسح القلق، والتوتر عن القلوب المتنافرة، فالحب تحيا القلوب، وتمحي عنها الإحن، والضغائن والأحقاد. ويؤكد هذا المعنى في الموضع الثالث؛ حيث يقول: (٣)

أُبْكِي عَلَى سَاعَةٍ مَلَّتْ دَقَائِقُهَا
عُجْرَ الْحَيْنِ إِلَى قَيْسٍ وَمَا كَتَبَا

فهو يتمنى أن يسود الحب قلوب الناس، وأن يتعلموا كيف تكون العلاقة الصادقة بين الناس.

أما محبوبه قيس، ليلي، فقد استدعاها الشاعر في غير موضع؛ حيث جعلها معادلاً موضوعياً لحب الوطن (٤)، فليلي لديه ترمز للوطن، الذي ذاب فيه عشقاً، وحمله بين جوانحه.

(١) الوشمي، يُنْتَظَرُ أَنْ، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨١.

(٤) ينظر: الوشمي، يُنْتَظَرُ أَنْ، مصدر سابق، ص ٩، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٢.

ثالثاً: الشخصيات الأسطورية.

استدعى الوشمي شخصية شهرزاد، وهي من الشخصيات الأسطورية التي استدعاها كثير من الشعراء المعاصرين؛ كالبياتي، وأدونيس (علي أحمد سعيد)، وأحمد مطر، ونازك الملائكة، وغيرهم، وتجسد هذه الشخصية الحكمة التي تروّض الفحولة الباطشة، وتنقلها من مستوى الضرورة الحيوانية إلى أفق الحرية الإنسانية^(١) وقد وظّفها الشاعر في موطن واحد من ديوان؛ حيث يقول:^(٢)

يَا شَهْرَزَادِي حِكَايَاتِي مُبَعَّرَةٌ وَأَلْفُ أُسْطُورَةٍ تَنْمُو بِلَا سَبَبٍ

وقد استدعى الوشمي هذه الشخصية؛ للتعبير عن العلاقة الحميمة بين الشاعر، ومحبوبته، وهي علاقة مفعمة بالحب، والعشق، والوله، فهي / محبوبته / مثال المرأة الصالحة، وربما تكون شهرزاد رمزاً للوطن، أو الزوجة... إلخ، فهي رمز إيجابي، ذو دلالات منفتحة؛ يمتزج فيه الخاصّ بالعام.

ويتبين مما تقدم أنّ الوشمي قد استدعى شخصيات تراثية متنوعة، استطاع أن يوظفها بما يناسب النصّ بجملة، واستخدمها للتعبير عن رؤيا فنية جمالية، وشعورية ذاتية، كشفت بصورة غير مباشرة عما جاش في صدره، وما دار في خلده، ومن ثمّ لم تخرج قصيدته عن الذاتية، وبقيت تدور في فلك الغنائية في معظم الحالات التي وظّف فيها الشخصيات الدينية، والأدبية، والأسطورية. وتجلي هذه الشخصيات عمق ثقافة الشاعر، وسعة إطلاعه، واستنطاق جوانب التراث الزاخرة بما يخدم التجربة الشعرية، والشعورية الخاصة. ولعلّ هذا التلاحق، والتناغم مع هذا التراث الرّحب يجسّد خطاباً شعرياً يحمل طاقات إبداعية، ودلالات غنية.

(١) ينظر: جابر عصفور، دفاعاً عن التراث، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٣م)،

(٢) الوشمي، يُنتظرُ أن، مصدر سابق، ص ٣٧.

الختام:

عرضت هذه الدراسة الموسومة بـ"استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "ينتظر أن" لعبدالله الوشمي". وجاءت في بحثين، الأول: بعنوان "علاقة الشاعر العربي بالتراث". وخلص إلى:

١. أن التراث العربي، والإسلامي، والتراث الإنساني بشتى معطياته مادة ثرية لتخصيب النصوص، ومدّها بنسغ الحياة الضروي لبقائها، وتجاوز السمة الغنائية الضيقة إلى السمات الإنسانية الرحبة التي تتسم بالعمق، والشمول، والأصالة.

٢. أن استلهام الشخصيات التراثية بمختلف أنواعها، واستدعاءها من فترات زمنية مختلفة، يشكّل مجالاً رحباً للبوح، ومتنفساً واسعاً لتقديم رؤيا ناصعة عميقة، بعيدة عن المباشرة، والسطحية.

٣. يعدّ استدعاء الشخصيات التراثية، وتوظيفها في الشعر المعاصر وسيلة من الوسائل المهمة التي يُعبّر الشاعر بوساطتها عن رؤيا معاصرة؛ حافلة بالدلالات، وزاخرة بالمعاني.

وأما المبحث الثاني: المعنون بـ"الشخصيات التراثية، ودورها في تجربة الشاعر عبدالله الوشمي في ديوانه "ينتظر أن" فخلص إلى:

١. أن الشاعر قد وظّف بعض الشخصيات الدينية المقدسة في ديوانه، مثل: شخصية الرسول موسى - عليه السلام -؛ ليصوّر من خلال هذه الشخصية الكريمة ما تعرّض له من: آلام، ومعاناة، ومشاق... إلخ. في هذه الحياة.

٢. أن توظيف الشخصيات الأدبية يعدّ ظاهرة فنية لافتة للنظر، في هذا الديوان استغلّها الشاعر؛ للتعبير عن مواقف فنية، أو وجدانية، أو فكرية، لم يستطع البوح بها مباشرة. فيلحظ - على سبيل المثال - استدعاءه لشخصية أبي تمام، وامرئ القيس، لينوّه إلى أنّ قصائده الشعرية من الناحية الفنية ما هي إلا امتداد لذلك التبع الثر الذي يتسم بالألق، والتميز. بينما يوظف

شخصية أبي العلاء المعري؛ ليعيد إلى الذهن مرة أخرى جدلية الرؤى الوجودية الميتافيزيقية، المتعلقة بالحياة، والخلق، والكون. وأما استدعاؤه لشخصية قيس بن الملوح/ مجنون ليلى، فيجلب علاقته بوطنه الذي يسكن فؤاده، ويستقر في سويداء قلبه.

٣. كشف استدعاؤه لشخصية شهرزاد الأسطورية عن العلاقة الحميمة التي تربط بينه، وبين محبوبته التي ترمز للوطن، أو الزوجة، أو غيرها؛ بصفة هذه الشخصية رمزاً ذا دلالات منفتحة، يمتزج فيها الخاص، والعام.

ويوصي الباحث - في خاتمة هذا البحث - النقاد، ومهتمّي التراث العربيّ بخاصة، بدراسة ظاهرة استدعاء الشخصيات الإسلامية، والعربية؛ لبيان أهميّة تراثنا العربيّ، والإسلامي. وكذلك كيفية استدعاء هذه الشخصيات التراثية، وتقديمها للأجيال الحاضرة؛ وذلك لاستحضار ماضي الأمة التليد، والتأسي به، والسير على نهجه.

المصادر والمراجع:

- إسماعيل، عز الدين، الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، (د.ت).
- إطميش، محسن، دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط ١، ١٩٨٢م.
- بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، (د.ط)، (د.ت).
- جدعان، فهمي، نظرية التراث ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ١٩٨٥م.
- الرواشدة، سامح، مغاني النص، دراسات تطبيقية في الشعر الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م.
- زايد، عليّ عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.
- زايد، عليّ عشري، "امرؤ القيس الكنعاني": أقنعة الملك الضليل في ديوان يا عنب الخليل (قضية الموروث)، "امرؤ القيس الكنعاني": قراءات في شعر عز الدين المناصرة، إعداد وتحرير: عبد الله رضوان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
- الزعي، أحمد، التناص نظرياً وتطبيقياً، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠٠٠م.
- زين الدين، ثائر، أبو الطيب المتنبي في الشعر العربي المعاصر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط ١، ١٩٩٩م.
- شرتح، عصام، استدعاء شخصية المعري في الشعر العربي الحديث والمعاصر (بين الواقع والتجربة)، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع (١٠٨)، ٢٠٠٧م.

صبحي، محيي الدين، **الرؤيا في شعر البياتي**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٨م.

ضيف، شوقي، **العصر الجاهلي**، دار المعارف، القاهرة، ط١١، (د.ت).

عبّاس، إحسان، **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع (٢)، ١٩٧٨م.

عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٣٦٤هـ.

عبد الخالق، ربيعي محمد، **أثر التراث العربي القديم في الشعر العربي المعاصر**، دار المعرفة، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٩م.

عصفور، جابر، **دفاعاً عن التراث**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

العلاق، علي جعفر، **في حداثة النص الشعري**، دراسة نقدية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٠م.

عليمات، يوسف، **جماليات التحليل الثقافي**، الشعر الجاهلي نموذجاً، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

العوادبي، عدنان حسين، **لغة الشعر الحديث في العراق**، بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٥م.

عيد، رجاء، **الأداء الفني والقصيدة الجديدة**، مجلة فصول (مجلة التقدي الأدبي)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج (٧)، ع (٢١)، ١٩٨٦م، ص ٥٤.

الكركي، خالد، **الرموز التراثية في الشعر العربي الحديث**، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت ط١، ١٩٨٩م.

منور، محمد بن عبد الله، **استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث**، النادي الأدبي، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م.

استدعاء الشخصيات التراثية في ديوان "يُنْتَظَرُ أَنْ" لعبد الله الوشمي، د. فواز بن زايد الشمري

- (٢٣) موسى، إبراهيم نمر، توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج (٣٣)، ع (٢)، ٢٠٠٤م.
- (٢٤) نجم، محمد يوسف، المسرحية في الأدب العربي الحديث (١٨٤٧-١٩١٤م)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٥٦م.
- (٢٥) نصير، أمل، ظاهرة الخوف في شعر الفرزدق، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، مج (٣٤)، ع (٣)، ٢٠٠٧م.
- (٢٦) الورقي، السعيد، لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣م.
- (٢٧) الوشمي، عبد الله، ديوانه "يُنْتَظَرُ أَنْ"، الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

Bibliography

- ‘Abbās, Ihsān, **Trends in Contemporary Arab Poetry**, (In Arabic) Ahlam al-Ma’rifa, The National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, issue. (2), 1978.
- ‘Abd al-Bāqī, Muhammad Fuād, **al-Mu’jam al-Mufahras li Alfāz al-Qur’ān al-Karīm**, Dār Al-Hadith, Cairo, 1st Edition, 1364 AH.
- ‘Abd al-Khāliq, Rabī’ī Muhammad, **The Impact of the Ancient Arab Heritage on Contemporary Arabic Poetry**, (In Arabic) Dār al-Ma’rifah, Alexandria, 1st Edition, 1989.
- Al-‘Allāq, ‘Ali Ja’farr, **On the Modernity of the Poetic Text, A Critical Study**, (In Arabic) Dār Al-Su’ūn al-Thaqāfiyah al-‘Āmmah, Baghdad, 1st Edition, 1990.
- Al-‘Awādi, ‘Adnān Husain, **The Language of Modern Poetry in Iraq, Between the Beginning of the Twentieth Century and the Second World War**, (In Arabic), Publications of the Ministry of Culture and Information, Baghdad, 1st Edition, 1985.
- ‘Ulaimāt, Youssuf, **Aesthetics of Cultural Analysis, Pre-Islamic Poetry as a Model**, (In Arabic) Ministry of Culture, Amman, Jordan, 1st Edition, 2004.
- Al-Karaki, Khālid, **The Traditional Symbols in Modern Arabic Poetry**, (in Arabic) Dār Al-Jeel for Publishing, Printing and Distribution, Beirut, 1st Edition, 1989.
- Al-Rawashida, Sāmeh, **Meaning of Text; An Applied Studies in Modern Poetry**, (in Arabic) The Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, 1st Edition, 2006.
- Al-Waraqī, Al-Sa’eed, **The Language of Modern Arabic Poetry, Its Technical Ingredients and Creative Potentials**, (in Arabic) Dār Al-Ma’ārif, Cairo, 2nd Edition, 1983.
- Al-Washmī, ‘Abdullāh, **His Poetry Collection “Waiting for”**, (In Arabic) Al-Intishar Al-Arabi, Beirut, 1st Edition, 2017.
- Al-Za’bī, Ahmad, **Intertextuality in Theory and Practice**, (in Arabic) Omon Institution for Publishing and Distribution, Oman, Jordan, 1st Edition, 2000.
- Bint Al-Shāṭi’, ‘Āisha ‘Abd al-Rahmān, **New Ideals for Ancient and Contemporary Arabic Literature**, (in Arabic) Dār Al-Ma’ārif, Cairo, 2nd Edition, (n. d).
- Dhaif, Shawqi, **The Pre-Islamic Era**, (in Arabic) Dār Al-Ma’ārif, Cairo, 11th edition, (n. d).
- ‘Eid, Raja, **The Artistic Rendition and the New Poem**, (in Arabic) Fosoul Journal (Literary Criticism), The Egyptian General Book Authority, Cairo, Vol. (7), issue. (1 & 2), 1986, p. 54.

- Ismā'īl, 'Izz al-Dīn, **Contemporary Arab Poetry; its issues, and artistic and moral phenomena**, (in Arabic) Dār al-Fikr al-'Arabi, Cairo, 3rd Edition, (n. d).
- Itmish, Muhsin, Deir al-Malāk, **A Critical Study of Artistic Phenomena in Contemporary Iraqi Poetry**, (In Arabic) Ministry of Culture and Information, Baghdad, 1st Edition, 1982.
- Jad'ān, Fahmy, **Heritage Theory and Other Arab and Islamic Studies**, (in Arabic) Dār Al-Shorouk for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1st Edition, 1985.
- Munawwarr, Muhammad bin 'Abdillāh, **Inspiration of Islamic Personalities in Modern Arabic Poetry**, (In Arabic) Literary Club, Riyadh, 1st Edition, 2007.
- Musa, Ibrahim Namr, **Employment of Historical Figures in Contemporary Palestinian Poetry**, (In Arabic) World of Thought Magazine, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, Vol. (33), issue. (2), 2004.
- Najm, Muhammad Youssuf, **Drama in Modern Arabic Literature** (in Arabic), (1847-1914), Dār Sadir, Beirut, 1st Edition, 1956.
- Naseer, Amal, **Fear Phenomenon in the Poetry of Al-Farazdaq**, (in Arabic). Studies, Humanities and Social Sciences, University of Jordan, Amman, Jordan, Vol. (34), issue. (3), 2007
- Shartah, 'Isām, **Recalling the Personality of Al-Ma'arri in Modern and Contemporary Arabic Poetry (Between Reality and Experience)**, (In Arabic) Arab Heritage Journal, Arab Writers Union, Damascus, issue. (108), 2007.
- Subhi, Muhyi al-Dīn, **The Vision in the Poetry of al-Bayati**, (in Arabic) House of General Cultural Affairs, Baghdad, 1st edition, 1988.
- 'Usfour, Jābir, **In Defence of Heritage**, (in Arabic) Dār Al-Misriya Al-Lubnaniya, Cairo, 1st, 2013.
- Zain Al-Dīn, Thahir, **Abu Al-Tayyib Al-Mutanabbi in Contemporary Arabic Poetry**, (In Arabic) Union of Arab Writers, Damascus, 1st Edition, 1999.
- Zayid, 'Ali 'Ashrī, **"Imru' al-Qays al-Kan'ānī: Aqni'at Al-Malik al-Ḍillīl fi Dīwān Yā 'Enab al-Khalīl (Qadiyaul al-Mauruth)", Imru al-Qays al-Kana'ani: Readings in the Poetry of Izz al-Din al-Manasrah**, (In Arabic) prepared and edited by: 'Abdullāh Ridwān, The Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, 1st Edition, 1992.
- Zayid, 'Ali 'Ashrī, **Recalling the Traditional Characters in Contemporary Arab Poetry**, (In Arabic) Dār Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1st Edition, 1997.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير

The Religious Vision in the Poetry of Badr Budair

د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

الأستاذ المساعد بقسم الأدب بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

البريد الإلكتروني: amalshaiban@imamu.edu.sa

المستخلص

سعى هذا البحث إلى دراسة تجليات الرؤية الدينية في شعر الشاعر بدر بدير، ودراسة أثر هذه الرؤية في بنيتها التشكيلية.

ويعد الشاعر بدر بدير من الشعراء الذين توخوا سلامة المضامين الشعرية مقتفين فيها القيم الدينية والأخلاقية بعيداً عن الصراعات والخزانات، ولذا وجدت أن دراسة شعره قد تضيف جديداً، وتنبه المبدعين إلى إمكانية الجمع بين الغاية الإبداعية والغاية الأخلاقية. وقد اعتمدت المنهج الموضوعاتي منهجاً رئيساً في دراستي هذه؛ لكونه يسهم في كشف تجليات الرؤية ودلالاتها وبواعثها وجمالياتها، وأخص الموضوعاتية البنيوية لانفتاحها على وظائف تشكيل البنية.

وتكوّن البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصل أول درست فيه تجليات الرؤية الدينية من خلال الشعر الوجداني، والشعر السياسي، والشعر الاجتماعي، وفصل ثان درست فيه عناصر تشكيل الرؤية من خلال اللغة، والصورة، وأنهيت البحث بخاتمة، وثبتت بالمصادر والمراجع.

وخلص البحث إلى توغل الرؤية الدينية لدى الشاعر، مع سلاسة شعره ووضوحه، واحتفاله بالمعنى.

الكلمات المفتاحية: (تجليات، وجداني، سياسي، اجتماعي، الصورة)

Abstract

This research sought to study the manifestations of the religious vision in the poetry of the poet Badr Budair, and to study the impact of this vision on its fine structure.

The poet Badr Badair is one of the poets who sought the safety of poetic contents, tracing religious and moral values away from conflicts and feuds. Therefore, I found that studying his poetry may add something new, and alert creators to the possibility of combining the creative goal with the moral goal.

I have adopted the thematic approach as a main approach in this study; because it contributes to revealing the manifestations of the vision, its connotations, motives and aesthetics, and the most specific structural thematic due to its openness to the functions of forming the structure.

The research consisted of an introduction, a preface, and a first chapter in which I studied the manifestations of religious vision through emotional poetry, political poetry, and social poetry, and a second chapter in which I studied the elements of vision formation through language and image, and I ended the research with a conclusion, and it was confirmed by sources and references

The research concluded that the poet's religious vision penetrated, with the smoothness and clarity of his poetry, with an emphasis on meaning.

Keywords: (manifestations, emotional, political, social, image)

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:
فمنذ أعوام وقعت على نماذج لشعر بدر بدير، ولفت نظري في شعره قربه إلى المتلقي، ووضوحه المحبب، وسمو مضامينه، وفشو الروح الدينية والأخلاقية في جل ما يكتب، هذا إلى شدة وفائه لزوجته، وإخلاصه لها، رغم تقدمهما في السن، ورغم ما يشيع في المجتمعات من متغيرات ومغريات قد تعكر صفو الزوجية.
لقد استوقفني في هذا الشاعر وضوح رؤيته الدينية، وتوغلها في شعره، وتحليلها في جل مضامينه، مع وضوح لغته، واعتداده بأصالته الشعرية، مع إفادته من مكتسبات عصره الأدبية.

واستطعت الوصول إلى إصداراته الشعرية، وهي: «لن يجف البحر»، «ألوان من الحب»، «ابتسامات باكية»، وقد اكتفيت بدراسة الديوانين الأولين لوفرة نصوصهما، وقوة حضور الرؤية الدينية فيهما، أما الديوان الثالث «ابتسامات باكية» فكانت نصوصه مقطوعات ثنائية ساخرة ناقدة، وما في الديوانين الأولين يغني ويكفي.
وبعد بحث واستعلام تحققت من كون الرؤية الدينية لم تدرس في شعر بدر بدير، وأن الدراسات التي تناولت شعره هي:

١. الاتجاه الوجداني في شعر بدر بدير، د. حسين علي محمد، وهو بحث علمي محكّم منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد: ١٩، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ودرس فيه المؤلف شعر الغزل والحنين والشكوى، وليس في البحث مبحث عن الرؤية الدينية.

٢. شعر بدر بدير: دراسة موضوعية وفنية، د. حسين علي محمد، صدر عن سلسلة أصوات معاصرة، العدد: ٦٣، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، وهو امتداد للبحث الأول «الاتجاه الوجداني في شعر بدر بدير»، واشتمل على دراسة الاتجاه الوجداني، والتأملي، والاجتماعي، ودرس المؤلف أيضاً لغة شعره والصورة والإيقاع، وخلا الكتاب من تخصيص الرؤية الدينية بدراسة.

٣. شعر عبدالله شرف: دراسة موضوعية وفنية، د. فواز بن عبدالعزيز اللعبون، وهو بحث ماجستير مخطوط من قسم الأدب بكلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢٢هـ، وفي آخر فصول البحث عقد الباحث موازنة بين الشاعر عبدالله شرف والشاعر بدر بدير، وكانت موازنة موضوعية وفنية موجزة وقفت على أهم الاتفاقات المضمونية والفنية بين الشعارين، وأبرز الاختلافات.

وقد اعتمدت المنهج الموضوعاتي منهجاً رئيساً في دراستي هذه؛ لكونه يسهم في كشف تجليات الرؤية ودلالاتها وبواعثها وجمالياتها، وأخص الموضوعاتية البنيوية لانفتاحها على وظائف تشكيل البنية كما يقرر أحد أبرز نقاد المنهج الموضوعاتي،^(١) أو كما يسميها حميد حمداني: الموضوعاتية البنيوية،^(٢) وكأما هي منهجان في منهج: المنهج الموضوعاتي، والمنهج الإنشائي.^(٣)

وجاء البحث من مقدمة، وتمهيد تضمن التعريف بالشاعر، وكان الفصل الأول بعنوان تجليات الرؤية الدينية، وجاء في ثلاثة مباحث درست فيها الشعر الوجداني، والشعر السياسي، والشعر الاجتماعي، أما الفصل الثاني فعنوانه عناصر تشكيل الرؤية،

(١) يُنظر: عبدالكريم حسن، المنهج الموضوعي: نظرية وتطبيق، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠م)، ص. ٨٥.

(٢) يُنظر: د. حميد حمداني، سحر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، (فاس: مطبعة آتفو، ط ٢، ٢٠١٤م). ص. ٤٦.

(٣) يُنظر في وظائف المنهج الموضوعاتي وإمكاناته:

سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، (الرباط: شركة بابل، ط ١، ١٩٨٩م) ص. ١٠ وما بعدها.
محمد عزام، المنهج الموضوعي في النقد الأدبي، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط ١، ١٩٩٩م)، ص. ٨٠ وما بعدها.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

وتحت مبحثان درست فيهما اللغة، والصورة، وأنهيت البحث بحاتمة تضمنت أبرز النتائج والتوصيات، وثبت بالمصادر والمراجع.

هذا وأحمد الله على ما أعان ويسر، وأسأله سبحانه أن ينفعني بما علمت، ويكتب لي أجر ما عملت، وأصلي وأسلم على نبينا الأُمِّي ﷺ الذي علمنا ما لم نكن نعلم، وأضياء في دروبنا ما أعتَم، وعلى آله وصحبه وسلّم.

التمهيد:

التعريف بالشاعر:

بدر بدير حسن حسين المولود في قرية «قرموط صهبرة» من أعمال مركز دَيْرَب نجم بمحافظة الشرقية في مصر عام ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م في أسرة متوسطة الحال تعتنز بعروبته وأصلها المنحدر من الجزيرة العربية، وكان والده يعمل بالزراعة مع حصوله على بعض التعليم.^(١)

حرص والده على تعليمه، حتى أحقه بكلية الآداب قسم اللغة العربية في جامعة القاهرة، وفيها تخرج عام ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م، ثم عمل في التعليم، وأعير للعمل بضعة أعوام في ليبيا، ثم عاد وأكمل مهمته التعليمية في قريته حتى أحيل إلى التقاعد النظامي عام ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.^(٢)

وكان مما ساعد على تنمية موهبة الشاعر حفظه لعدد من أجزاء القرآن الكريم في طفولته، وكذلك قراءاته في كتب السنن النبوية، تلا ذلك اطلاعه المتواصل على كتب التراث والأدب، مما انعكس على شعره رؤيةً وبنية.^(٣)

ويكتب الشاعر الشكلين العمودي والتفعيلي، وإن كان مَيَّله إلى العمودي أغزر وأجود، وقد طرق بشعره جميع المضامين الشعرية، على أن له عناية خاصة بالوجدانيات والتأملات والنقد الاجتماعي، وكانت روحه الدينية لا تفارقه في جل ما يكتب. وأستطيع تصنيف الشاعر ضمن شعراء التيار التجديدي المحافظ، فهو معتز بالتراث، وفي الوقت نفسه متصالح مع المعاصرة ومعطياتها.

(١) يُنظر: د. حسين علي محمد، شعر بدر بدير: دراسة موضوعية وفنية، (الإسكندرية: دار

الوفاء، صدر عن سلسلة (أصوات معاصرة) العدد: ٦٣، ٢٠٠٠م)، ص. ١٢.

(٢) يُنظر: المرجع نفسه، ص. ١٢-١٤.

(٣) يُنظر: المرجع نفسه، ص. ١٦-١٨.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

ومن أفضل ما يمتاز شعره به وضوح لغته، وقرب معانيه، ومراعاته للقيَم، وبعده عن النزاعات والصراعات.

وقد ترك بدر بدير ثلاث مجموعات شعرية هي:

١. لن يحف البحر، بدر بدير، دار الأرقم، الزقازيق، ط: ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ويتضمن قرابة السبعين قصيدة.

٢. ألوان من الحب، بدر بدير، صدر عن سلسلة أصوات معاصرة، العدد: ٤٥، دار الوفاء، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ويتضمن قرابة الأربعين قصيدة.

٣. ابتسامات باكية، بدر بدير، الهيئة العامة لقصور الثقافة، محافظة الشرقية، مصر، ط: ١، ٢٠٠٠م، ويتضمن قرابة المئة مقطوعة جاءت كل مقطوعة منها في بيتين. ثم توقف عطاؤه الشعري المطبوع سبعة عشر عاماً كان ينشر خلالها في بعض الصحف والمجلات.

وفي عام ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م وافاه الأجل رحمه الله، وقد ترك تركة شعرية تقاسمها الدارسون والمتذوقون، وحلّف مخطوطاً يترقب باحثاً جاداً ينشط لجمعه ونشره. رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عني وعن الدارسين والمتذوقين خير الجزاء.

الفصل الأول: تجليات الرؤية الدينية

المبحث الأول: في الشعر الوجداني:

يعد الشعر الوجداني من أرحب المضامين الشعرية؛ لكونه يتسع لكثير الموضوعات الشعرية، كالغزل العذري، والحنين، والشكوى، والرثاء، والمناجاة، وكل ما انعكس عن الوجدان الصادق بعاطفة خالصة.^(١)

لقد كان حضور الحب في شعر بدر بدير حضوراً لافتاً، وكان محور شعره في الحب زوجته أم أولاده التي يحق للنساء أن يغبطنها على ما نالته من وفاء وصدق رغم تقدم السن بهما، وبصفتي الأنثوية يصح لي أن أشيد بهذه الظاهرة في شعر بدر، وأن أميز بينها وبين الغزل الحسي الصريح حتى ولو كان موجهاً إلى الزوجة، فالحب أحاسيس صادقة، ومشاعر مخلصة قبل أن يكون حسياً مبتذلاً.

وهذا المفهوم منعكس عن الرؤية الدينية التي تشبع بها الشاعر، وسمت به عن حاجات النفس الملموسة إلى ما هو أهم منها.

ولأنني حسنة الظن بالشاعر فكل ما وجدت فيه مسحة حب صرفته إلى زوجته التي صرح مراراً بوفائه لها، وانجذابه إليها.

وفي نصوص أخرى يخص زوجته بالحديث، ويوجه إليها فيوضاً من أحاسيسه اللاهبة، يقول:^(٢)

رَوْجَةٌ أَنْتِ يَا تُرَى أَمْ صَدِيقَةٌ؟	مُهِجَّةَ الْقَلْبِ أَيْنَ وَجْهُ الْحَقِيقَةِ؟
كُنْتُ نَبْعاً لَهُ وَكُنْتُ بَرِيقَةً	أَنْتِ مَا شَاعَ فِي ضَمِيرِي نُورٌ
فَسَوْءُ الْقَيْظِ وَاشْتَكَيْنَا حَرِيقَةً	وَإِذَا مَا طَعَى الْهَجِيرُ وَزَادَتْ
يَعْشَقُ الْقَلْبُ لَوْنَهُ وَرَحِيقَهُ	صَبْرَتْ رَوْضاً وَصَبْرَتْ ظِلًّا وَزَهْرًا

(١) يُنظر: د. عبدالقادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، (بيروت: دار النهضة

العربية، ط ٢، ١٤٠١هـ)، ص. ٦٢.

(٢) بدر، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ١١٠.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

كُلُّ عَامٍ مِنْ قَبْلِ لُقْيَاكَ دَهْرٌ وَالتَّقِينَا فَصَارَ يَوْمِي دَقِيقَةً

يبدو لي أن الشاعر يُعَرِّضُ ببعض الشعراء الذين يُفْتَنُونَ بغير زوجاتهم، ويخصونهم بوجدانياتهم، وذلك حين ساءل زوجته التي يحبها هل هي زوجة أم صديقة؟ وهذا انعكاس شفيف عن رؤيته الدينية في علاقة الرجل بالمرأة، وكأنه يريد أن يغيظ الشعراء العابثين، ويرسل لهم رسالة مضمونها أن زوجته تمثل له كل الحب الذي يفتقدونه هم في زوجاتهم، ومن ثم يبحثون عنه لدى الأخريات. هذا إلى ما في أبيات القصيدة من صفات روحية وإنسانية أسبغها على زوجته، وراح يعرضها عرض الشاكر المفتون.

وحين جاوز الشاعر الستين من عمره، وشاخت زوجته، مضى يسطر في الوفاء والصدق أروع الأمثلة في معنى الخلود العاطفي، سواء أكان ذلك مع زوجته أم مع المحيطين به، يقول: (١)

طَالَ عُمْرِي فَجَاوَزَ السِّتِينَ كُلُّ يَوْمٍ قَدْ عَشْتُ فِيهِ سِنِينَ
لَوْ تُقَاسُ الْأَيَّامُ بِالْحُبِّ كَانَتْ سَنَوَاتِي تُقَارِبُ الْمَلْيُونَ
قَدْ حَفِظْتُ الْوَدَادَ حَيْطًا زَفِيحًا مَعَ قَوْمِي فَصَارَ حَبْلًا مَتِينًا
وَزَرَعْتُ الْحَنَانَ حَوْلَ قُلُوبٍ قَاسِيَاتٍ فَأَزْهَرَتْ نِسْرِينَا
لَيْسَ عِنْدِي سِوَى الْمَحَبَّةِ تَهْرًا فِي عُرُوفِي جَرَى هَوًى وَحِينَا

إن معدن الشاعر الوجداني معدن أصيل لا تفقده الأيام بريقه، ولذا ظلت مبادئه في الحب والوفاء مبادئ راسخة لا يُساوم عليها، وهذا الوفاء قيمة إسلامية انعكست عن رؤية الشاعر الدينية.

ومع تقدم عمريهما لا تفرق الشاعر شيخوخته أو شيخوخة زوجته بقدر ما يؤرقه

(١) المرجع نفسه، ص. ١.

مصيرهما الحتمي المنتظر، فلا يجد بدءاً من البوح مما يخاف أن يسلبه الموت منه، فيقول: (١)
يا بهجة العمر السعيد إذا جرت أيامه في سرعة: لا تسرعني
لا تسرعني قبلي الخُطَا نحو الجنا نِ فلن تطيب قطوفها إلا معي
ما زال عندي من فنون الخُبِّ با قاتٌ أنديها بقلبي المبدع
فلنغتنم صفوة الأماني إن صفت قبل ارتحالٍ عن ربانا مُفجع
وإذا دنا يوم الرحيل عن الدنيا رِ وليس بُدُّ من فراقٍ الأربع
فمعاً نسيرُ لجنة الرحمن نر نَع في الرُّبِّي أكرمَ بها من مَرع

إنه يخشى أن تسبقه زوجته إلى الدار الأخرى، وتخلفه وحيداً رغم كثرة الذين حوله، نعم سيظل وحيداً وإن أحاطت به الجماهير، فأبي معنى حياة تغيب عنها زوجته التي قاسمته أيام عمره حلوها ومرها؟ وبادلته الحياة صدقاً بصدق؟

ومع ذلك تظل روحه فتية لا تهدأ، ويدعو زوجته إلى اغتنام ما بقي لهما من أيام حتى يوافيهما قدرهما معاً، وهذا أصدق ما يتمناه محب، إذ لا يريد لها أن تسبقه إلى الفناء، ولا يود هو أيضاً أن يسبقها فيخلفها وحيدة، بل يرجو أن يتوافق مصيرهما معاً، وبعد هذه الأمنية النبيلة يزداد أملُه في مولاه بأن يكونا رفيقين في الجنان.

كثيرة نصوصه تلك التي جعلت منه نموذجاً خالصاً في الوفاء والحب، ولم يقتصر نموذجُه الأمثل على زوجته فحسب، بل شمل به كل من يحبهم، ومنهم أمه التي وجه إليه هذا العرف: (٢)

أمي يا أعذب همسِ نغم يا أجمل لفظٍ مرٍّ بقم
هذا عيدك يأتي وأنا في البعد يحزُّ حشاي ألم
وخيالك حولي لست أرى إلاه إذا ما الشوق ألم

(١) المرجع نفسه، ص. ١١٨.

(٢) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ١٣٦.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

الشعراء الذين خصوا أمهاتهم الأحياء بقصائد قليلون فيما أعرف، فجلهم يذكرونها لحظات الرثاء فقط، أما بدر فلم يقصّر مع أمه، وراح يعزف لها على أوتار وجدانه مستجيباً لعاطفة دينية تشعره بجلال قَدْر الأم.

وإن كان خص أمه بذلك النص فلا يبيّه أيضاً نص آخر خصه به، يقول: (١)

يا أظهر الناس الكرام سريرةً	يا سيّد الرأي السديد المحكم
وتبيث والأوراد تتلوها ثقي	والناس بين مُعزِّدٍ ومُهَوِّم
ولقد أبت مناهل العلياء لي	فوردتها وغنمت أعظم مغنم
ورسمت لي دنيا النجاح فحُضُّها	ونشأت تلميذاً لخير معلّم

يذكر أفضال أبيه عليه، ويشيد بحسن تربيته له، وأثر ذلك كله في مسيرته العلمية والعملية، وهذا تحقيق لمطلب الدين الذي يدعو إلى بر الوالدين، والإشادة بهما.

هكذا أبدى بدر وجدانياته تجاه كل ما يحب، ولم يكن قلب بدر يعرف الكره، ولذا جاءت نصوصه انعكاساً عن داخل متديّن نقي.

ورثاء الأحاب من الوجدانيات التي طرفها الشعراء كثيراً، ولبدر نصيب محدود منها، فقد ذكر الدكتور حسين أن له أربع قصائد رثائية تشكل ما مقداره (٤٪) من جملة أشعاره، (٢) ويبدو أن الدكتور حسين لم يحسب له قصيدة خامسة في رثاء طفلة بعنوان (جنازة الحسناء)، (٣) ربما لأن الدكتور رأى فيها مسحة تأملية عامة أخرجتها عن مفهوم الرثاء التقليدي.

وقد كان بدر في رثائياته مؤمناً بالقضاء والقدر تغلب عليه نزعة دينية لا يصخب من خلالها ولا يعترض، ومن رثائياته تلك قوله في رثاء صديقه (فكري فايد) وكيل وزارة

(١) المرجع نفسه، ص. ١٤٣.

(٢) يُنظر: محمد، مرجع سابق، ص. ٥٣.

(٣) في ديوانه: بدر، مرجع سابق (لن يحف البحر)، ص. ١٥٣.

الشباب والرياضة: (١)

وَمَضَيْتَ يَا فِكْرِي كَأَنَّ
أَهْمِيَّتَ رِحْلَتِكَ السَّرِي
وَتَرَكْتَ لِلْأَحْبَابِ ذِكْرَ
وَإِذَا قَضَاءُ اللَّهِ حُدَّ
وَرَحِيلُكَ الْمَشْهُودُ فَجَدَّ
أَنْنِي؟ وَكَيْفَ؟ وَكَمْ؟ وَوَلَمْ؟
حَاوَلْتُ فَكَ زُمُوزِهَا
اللَّهُ يَعْلَمُهَا وَنَجَّ

سَامٍ مُبَلَّلَةٍ عَلِيَّةَ
عَةً فِي مُهْمَتِكَ الْجَلِيلَةَ
رَاكَ الْمِعْطَرَةَ النَّبِيلَةَ
لِ فَمَا لَنَا فِي الْأَمْرِ حِيلَةَ
حَجَرَ فِيَّ أَسْئَلَةً ثَقِيلَةَ
وَمَتَى؟ وَسِلْسِلَةَ طَوِيلَةَ
فَإِذَا الْإِجَابَةُ مُسْتَحِيلَةَ
هَلْ نَحْنُ حِكْمَتِهَا الْأَصِيلَةَ

ليس في الأبيات صخب ولا سخط رغم اصطباغها باليم الحزن، بل جاءت مفعمة بالتأمل والتسليم، وما هذا إلا انعكاس رؤيته الدينية على شعره. كما فاضت رثائيته بالحزن فاضت بالرضا بالقضاء والقدر، وبدا فيها شيء من جانب العزاء الذي تغلب عليه مسحة «المواساة والتذكير بحقيقة الموت والحياة». (٢) أما قصيدته (جنازة الحسناء) فقد كتبها في ريعان شبابه وهو ابن تسع عشرة عاماً، ويبدو أن الشاعر رثى طفلة لا تمت له بصلة، ولكنه رآهم يحملونها إلى قبرها، ورأى أمها تبكي خلفها، فهاله المشهد، ورق له قلبه، فنظم قصيدة منها: (٣)

أَغْرُقُوهَا فِي الْعُطُورِ كَفَنُوهَا فِي الرَّهُورِ
وَأَمْرُجُوا الْأَنْثَاتِ بِالْأَهَاتِ وَالْدَّمْعِ الْعَزِيرِ
لَيْتَ قَبْرًا قَدْ حَوَاهَا رَحِمَ الْقَلْبِ الْكَسِيرِ

(١) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ١٧٢.

(٢) عبدالرشيد عبدالعزيز سالم، شعر الرثاء العربي، (الكويت: وكالة المطبوعات، ط ١، ١٩٨٢م)، ص. ٨٩.

(٣) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ١٥٣.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

قَلْبٌ أُمَّ أَوْدَعَتْهُ حُفْرَةَ اللَحْدِ الصَّغِيرِ
أَيُّهَا الْقَدِيرُ تَزِينُ بِيَسَاطِ مِنْ حَرِيرِ
كُنْ حَنُونًا، إِنَّهَا قَدْ أَلْفَتْ سَكْنَى الْقُصُورِ

أبيات تضمنت التأبين، والعزاء، والثناء، وهذا ما لم يجتمع في رثائياته الأخرى، ومع ذلك يبدو لي أن دافع بدر في رثائياته تلك لم يكن غير حس إنساني نبيل لم يستطع مغالبتة أيام كان في العشرين من عمره، وهذا ما قوي على مغالبتة مستقبلاً حين نضجت فلسفته الخاصة، واستوى على عوده، وأكد أجزم أن ذوي الطفلة لم يطلعوا على القصيدة، ولم يعن بدرًا من هذا كله إلا أن يجسد خلجاته شعرا آنذاك مستجيباً لموقف إنساني بينه وبين نفسه، وهو في الوقت نفسه يعكس رؤيته الدينية تجاه الموت والحياة. ويأتي شعر المناجاة والابتهال دليلاً ساطعاً على تعلق الشاعر بالله، و«يدل دلالة قاطعة على وضوح الرؤية الإسلامية»^(١).

فلا عجب أن يكون بدر أحد أولئك الشعراء سليمي التوجه الذين يفرون من صخب دنياهم إلى العالم العلوي، فيتضرعون إلى خالقهم، ويمجدونه ويسبحونه، ويلتمسون منه المغفرة والعفو على ما اقترفوا من تقصير وزلل. ومثل هذا التوجه الشعري ينم عن سمو روحي يلزم الشاعر في أكثر موضوعاته الشعرية، ولذا امتزج هذا السمو بكثير من موضوعات بدر بدير الأخرى، فجاءت نصوصه تلك انعكاساً -مباشراً وغير مباشر- عن تطلعاته الدائمة، وابتهالاته المكتنزة في داخله.

ومن انعكاساته تلك قوله في نهاية قصيدة يتأمل فيها الطبيعة ومفرداتها:^(٢)
يا إلهي أنتَ قد أفعمتَ
تَ بالفرحةِ عُمرِي

(١) محمد، مرجع سابق، ص. ١٧٢، والمقولة للدكتور فرج كامل سليم من دراسة بعنوان: (الرؤية الإسلامية في شعر بدر بدير).

(٢) بدر، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ٥١.

فَرَآكَ القَلْبُ فِي وَرْ دِ فِي زَهْرٍ وَنَهْرٍ
وَرَأَى العَقْلُ فِي لِي لِي فِي عَصْرِ وَفَجْرِ
فَاشْرَحَ اللّهُمَّ بِالْحُسْدِ نِ وَبِالإِيمَانِ صَدْرِي
وَاشْغَلَ اللّهُمَّ عَقْلِي بَكَ فِي سَرِي وَجْهِي

إنه يشكر الخالق المبدع، ويعدد بعض آلائه؛ إذ هداه سبحانه إلى تحسس نعمه فيما حوله، كما يتتهل إلى مولاه بالدعاء ليرى بنور قلبه جمال ذاته كما رأى بنور عينيه جمال الحياة.

وفي قصيدة قالها عن شهر رمضان يعارض بها أحمد شوقي في قصيدته^(١) التي ابتهج فيها برحيل شهر الطاعات بعد أن ضاق ذرعاً بروحانية الشهر الكريم. يقول بدر بدير بعد أن احتفل بقدوم الشهر، وابتهج بموسم الخيرات:^(٢)

يَا غَاغِرَ الذَّنْبِ العَظِيمِ لِمَنْ تَشَا ءُ وَوَاهِبِ الأَعْمَارِ وَالأَرْزَاقِ
اغْفِرْ ذُنُوبِي كَلِّهَا. لَا تُتَبِّقْ لِي ذَنْباً أُعَاقِبُ فِيهِ بِالإِحْرَاقِ
قَدْ جِئْتُ بِأَبْكَ بِالذَّنُوبِ مَكْتَبَلاً أَبْكَى عَلَيَّ نَفْسِي فُكْتُ وَثَاقِي
أَغْرَقَ فُؤَادِي فِي بَحَارِ النُّورِ حَتَّى لَى لَا أَرَى إِلاَّكَ فِي آفَاقِي

يغتتم الشاعر فرصة الشهر الكريم، فيتهل إلى مولاه ملتمساً منه العفو والمغفرة، وأن يتجاوز عن ذنوب كبلته، ويسأله سبحانه أن يغدق عليه من فيض نوره حتى لا ينظر إلا إليه.

وفي نص تأملي مليء بالتساؤلات يجأر الشاعر في خاتمته إلى خالقه، ويمجده

(١) مطلعها:

رَمَضَانَ وَلى .. هَاتِمَا يَا سَاقِي مَشْتَاقَةً تَسْعَى إِلَى مُشْتَاقِي

أحمد شوقي، الشوقيات، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ٧٥/٢.

(٢) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ٢٩.

بذكر بعض نعمائه: (١)

أنت يا الله يا بارئ نفسي صغت للحب وللرحمة حسي
أنت سويت من النور جناني فاحمني يا رب من ظلمة رجسي
ومن الدهر ومن جور الليالي واحمني من كل شيطان وإنس
قد تعربت عن الناس فكن أهد لمي وكن قومي وأفراحي وأنسي

يا لها من تطلعات تلك التي صور الشاعر من خلالها نفسه، وما ذاك إلا من عظيم رجائه بربه، وحسن ظنه به، مع الإقرار بالتقصير، وتلبس النفس.

وفي موكب طاهر يزعم الحج يرهن الشاعر قلبه، ليطوف مع الطائفين، ويلبي مع الملبين، وبدر بدير وإن حالت دونه ودون مرافقة الحجيج أحواله.. فأماله وخيالاته لا يعيقها شيء، فينضم بروحه إليهم، ويسأل الخالق سبحانه ما يسألون، يقول: (٢)

يا غافر الذنب يا تواب خذ بيدي كي لا يُضِلَّ ظلامُ الدربِ حُطواتي
هذي ذنوبٌ على الخدين تلطمني فمن يخلصني من ذلِّ لطماتي؟
وذاك قبحي في المرآة الخطئة يا ذلَّ نفسي إن لم تصفُ مرآتي
من لي بنظرة إشفاق تهددني وتجرُّ الكسر من آثار زلاتي
يجودُ ربي على نفسي بها كرمًا فتفلتُ النفس من تيه المفازات
وترعوي وتعي أن السعادة في رضى الإله وليست في الملدات

التجاء صادق، وإقبال حار، ورجاء فسيح، كل ذلك حفز الشاعر إلى المزيد من الإنابة، فجاءت أبياته تلك أيضاً من الصدق الذي لن تهدأ نفسه إلا بالبوح به، وهو إذ يبوح يعترف بتقصيره وزلله، ويأمل من مولاه عفواً وخلصاً.

لقد بدا من الواضح أن المناجاة تلازم الشاعر في الكثير من موضوعاته الشعرية،

(١) بدر، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ٣٧.

(٢) بدر، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ٥٠.

في الحين الذي تستقل فيه تلك الابتهالات بنصوص خاصة لدى بعض الشعراء. ولبدر مدائح نبوية تؤكد توهجه الديني، وتأخذ حيزاً لا بأس به في عدد من نصوصه، وهو يتعامل معها بطريقة يغلب عليها الاعتدال والتوازن، فقد يناجيه بشكوى الحال التي آلت إليها الأمة المعاصرة، كقوله: (١)

حبيبنا سيدنا محمدا	لم ننهزم أيام كنت القائدا
لم تَعْلُ راياتُ علي راياتنا	راياتنا للحقِّ كانت سندا
ربيتنا روحاً وعزماً عالياً	لكن تثاقلنا فصرنا جسدا
وحدتنا رأياً وفكراً ثاقباً	واليوم مُزقنا فصرنا بددا
علمتنا كيف يكون الموتُ عَيْدٌ	شأً أبيضاً والعيشُ موتاً أسودا
لكننا يا سيدي عشنا فمت	نا مرتين بالحياة والردى

فبعد أن بيّن المجد السالف الذي اعتزت به الأمة أيام التزامها بالنهج الصحيح دلف إلى استعراض عكسي لحال الأمة المعاصرة، وما أصابها من تراجع وضعف جراء هوانها على نفسها وعلى الأمم الأخرى يوم أن ضعفت صلتها بدينها. فهو يشكو المصاب إلى سيد البشر من باب بث الشكوى ليس أكثر، وفي مثل هذه الحالات يقرر بعض علماء النفس الاجتماعي أن مناجاة من تطمئن إليهم النفس من السبل المثلى للتخفيف من آلام الواقع. (٢)

وفي قصيدة أخرى يغبط الشاعر زوار المسجد النبوي، ويرجو منهم أن يبلغوا نزله

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبته وأشواقه، يقول: (٣)

يا زائري الروضة الغراء إن سَبَقْتُ دموعكم عند إلقاء التحياتِ

(١) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ١٢٥.

(٢) يُنظر: حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الاجتماعي، (القاهرة: عالم الكتب، ط ٤، ١٩٧٧م) ص. ٦٨.

(٣) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ٥١.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

وَضَمَّكُمْ طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى إِلَى كَنْفٍ مَبَارِكِ السِّتْرِ عَطْرِي النِّسِيمَاتِ
وَأَسْكُرْتُكُمْ كَوْوَسُ الْوَصْلِ وَانْفَتَحَتْ أَمَامَكُمْ كُلَّ أَبْوَابِ الْهَدَايَاتِ
عَسَى حَبِيبِي وَنُورُ الْعَيْنِ يَمْنَحُنِي شَفَاعَةَ تَتَغَاضَى عَنْ إِسَاءَاتِي
وَأَبْلُغُ الْأَمْنَ مِنْ رَبِّي فَيَقْبَلُنِي فِي جَنَّةٍ عَرَضُهَا عَرْضُ السَّمَاوَاتِ

ونلاحظ هنا أن بدرًا لم يُعَالَ في أبياته؛ فقد طلب من زائريه أن يبلغوا الحبيب ﷺ أشواقه، لعله ينال شفاعته فينجو من ويل ذنوبه وآثامه.

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان: (على أعتاب الروضة) لما تسنت له زيارة المسجد

النبوي: (١)

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الرُّسُلِ الَّتِي بُعِثَتْ وَمَنْ بِهِ أُنْقَذَتْ مِنْ تَيْهَاتِ الْأُمَمِ
بِهِ تَعَنَّتْ عَلَى الْأَغْصَانِ صَادِحَةً وَرُزِقَ الْحَمَائِمِ وَالْأَنْسَامِ وَالنِّسَمِ
يَا سَيِّدِي وَحَبِيبِي كُلُّ جَارِحَةٍ وَكُلُّ خَفَقَةٍ قَلْبٍ فِيَّ تَرْتَسِمِ
حَدَائِقًا وَزَهْرًا لَيْسَ تَلْحَقُهَا يَدُ الذَّبُولِ وَلَا يَنْتَاجُهَا الْعَدَمِ
وَكَيْفَ يَذْبُلُ زَهْرٌ مِنْكَ مَقْتَبَسٌ؟ وَكَيْفَ يَنْضَبُ نَهْرٌ مِنْكَ مَنْقَسِمٌ؟
بِكَ الْحَيَاةُ تَرَقَّتْ فِي مَدَارِحِهَا وَشَعَشَعَ النُّورُ وَانْجَابَتْ بِهِ الظُّلْمِ

هنا يمتدح الرسول الكريم ﷺ، ويعدد شيئاً من مآثره وأفضاله، ويصور لواعج نفسه التي تمور بحبه ﷺ، والقصيدة كلها سرد لمآثر وأفضال، وإظهار حب وإعجاب.

(١) المرجع نفسه، ص. ٥٨.

المبحث الثاني: في الشعر السياسي:

عُني الشعراء المسكونون بالهاجس الديني بالوقوف على الأحداث المعاصرة، وإمعان النظر فيها، وتلك واقعية إيجابية يدعو إليها بعض النقاد.^(١) وبدر بدير شاعر عايش عصره، وتابع مجرياته وأحداثه، وأزقّه منه ما آل إليه واقعه المعيش من ضعف عام، وتراجع في القيم، ولذا لم ينفك بدر عن تصوير الحياة المثالية التي يرحوها في العصر، يقول معبراً عن أمانيه:^(٢)

أهوى الحياة جميلة	كالطير أنظّمها نشيد
لا دمع يحفرُ وجنتي	ألماً على طفلٍ شريد
لا شمس تطلُع مأمّماً	لأخ، وعند أخٍ سُعود
أهوى الحياة بلا ضحاً	يا للذئاب وللأسود
لا ظلّم فيها لانجلي	زَ ولا دناءةً لليهود

يريد الحياة آمنة نقية لا شرور ولا حروب.. يريد لها كما يرسمها حسه الإنساني الشعاري.

وحين يوصد الشاعر باب الأمان والتخيّلات يفتح عينيه على الحقيقة، فيضجر كل الضجر مما هو واقع.

ويجسد الشاعر هذا الضجر من خلال متابعته وسائل الإعلام التي تنقل ما يجري على أرض الواقع من مبكيات وفواجع، يقول بدر:^(٣)

سئمتُ مذياعي وأخباره	وكلّ ما حدّث أو لحنا
كرهتُ تلفازي والحاحه	على وجوه ضاعفتُ شؤمنا

(١) يُنظر: صالح آدم بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، (جدة: دار المنارة، ط ١، ١٩٨٥م)، ص. ٧٥-٧٦.

(٢) بدر، مرجع سابق (لن يحف البحر)، ص. ٥٤.

(٣) المرجع نفسه، ص. ١٠٨.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

أخباركم كالقارِ يُلقى على وجوهنا.. كالوقرِ في سمعنا
قد ينقضي العامُ ولم نستمع إلا الكئيبَ المفجعَ المحزنا

وقد يقف بدر على الجراح جرحاً جرحاً، ولكثرة ما تعاني أمته من جراح يسرد
ولا يفصل، كما في قوله: (١)

يا يومنا الكئيب في بغداد

في عمّان في القاهرة الحزينة

في القدس

في طرابلس

وفي الكويت

ملطخاً وجوهنا

منكساً رؤوسنا

محماً ظهورنا بالعار

واقع كئيب تحياه أمته في بقاع شتى، أما البقاع التي لم ينلها العدوان بعد فهي تحيا
كآبة أخرى جراء عجزها عن صنع شيء.. إنها كآبة الضعف، وربما أيضاً كآبة الخوف
مما هو منتظر.

وفي قصيدة أخرى يستعرض بعض المآسي بصفحتها أمثلة على الواقع فحسب،
يقول: (٢)

هذي سرايئنا والصرْبُ تلعقُ من دماءِ أحرارها واهماً لها واهما

هذي فلسطيننا صهيونُ عربدَ في جراحها وتَشقَى من ضحاياها

حتى المصلين لم تُحَقَّنْ دماؤهم وهم سجودُ أمامَ اللهِ أجراها

(١) المرجع نفسه، ص. ١١٦.

(٢) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ٣٣.

وهو هنا يصور جرأة العدوان، ويتفجع من مرأى تلك الصور التي بلدت أحاسيس مشاهديها لكثرة ما اعتادوه من أشباهها، وفي القصيدة نفسها يعاتب الشاعرُ العالمَ أجمع الذي يواجه الظلم والعدوان بصمت، يقول: (١)

وبات يحكمُ دنيانا ويحرسُها عصابةٌ زينتُ بالشرِّ مسعاها
تعيثُ في الأرضِ إفساداً وتهلكةً لا ظلمَ إلا وقد سوّتهُ يماها
ما قام للعدلِ قوامٌ وناصرُهُ إلا غداً بعدَ حينٍ من ضحاياها
باسمِ الحقوقِ وباسمِ العدلِ كم فتكتُ بأمةٍ قاومتْ ليلاً تغشاها
آثارُ إفسادِها في كلِّ ناحيةٍ في الأرضِ تُنبئنا عن سوءِ مرماها

والقضية الفلسطينية تأخذ حيزاً أكبر من سواه في شعره، وحين لا يجد من يصغي إليه يناجي القدس، فهو يستشعر بحسه الشاعرِ أنها هي من سيصغي إليه فقط، يقول: (٢)

يا قدس يا مدينة الإيمان
يا بؤرة الزمان والمكان...
لا لن تظل ترتوي أرضك بالدموع
لا لن يظل يستحم الزهر فيك بالدموع...
لا بد للعدل وللرحمة والسلام من رجوع
إذا طردنا من نفوسنا
ومن قلوبنا
مدلة الخنوع
إذا توحدت في رأيها
وحزمها وعزمها الجموع

(١) المرجع نفسه، ص. ٣٤.

(٢) المرجع نفسه، ص. ١٢٧.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

إنه يعزيها بمصائبها، ويبيث فيها أملاً مرتقباً ستحيا بعده حرة أبية بلا دموع.
والأزمة العراقية هاجس آخر خيم على الشاعر، وهو وإن تغاضى عن طيش من
سبب لها هذه الأزمة.. لا يتغاضى عن أطماع من جعلوا من أنفسهم حماة للعراق باسم
الشرعية الدولية أو أي اسم آخر، فهو يرى بمنظور التاريخ الذي علمه أن الذئاب لا
تحمي، بل تبطش، وفي هذا الخضم ينبه العالم العربي من خطر قادم، يقول: (١)

يا إخوتنا قد أفلتم هذي المرة

من ضربة جبار غاشم

لما أن رفع مدافعه

حفّضتم أذيال الذلة

فمضى عنكم وإلى حين

أجلّ ثأراً من حطين

إذ لا خطر عليه كثيراً

من أقوام منبطحين...

قد أفلتم هذي المرة من موت الذل

لتعيشوا أياماً أخرى

في قيد الذل

كقطيع يرعى منتشياً

يختزن اللحم..

يفعل ما شاء

إلا أن يخرج أبداً عن طاعة مولاه

وفي نسخة ٥/يونيو/١٩٦٧م تحيب آمال الأمة والشعب المصري على وجه
الخصوص في الوقت الذي تاهبت فيه الجيوش المصرية لردع العدوان، ولكن العدو ضرب

(١) المرجع نفسه، ص. ١٤٨.

ضربته المباغثة في عمق الجيش المصري في القاهرة وسيناء،^(١) فيصف بدر ذلك الشهر بالشهر الحزين، ويعزي فيه مصر بقوله:^(٢)

لا تغسلي الأزهار بالدم	دمع الحزين المنهمر
لا ترسلي دمعاتك الـ	حرى على قلبي الأخر
فالزهو في روضي دوى	والحُبُّ في قلبي انتخر
والنيل والهرم والشد	شموخ وكل وادينا انقطر
فاستمسكي مهما جرى	بالصبر يا عين القمر

يأمل الشاعر جولات أخرى، وانتصارات متتالية في قادم الأيام، وهذا عزاء من لا حيلة له، وبخاصة أن الشاعر أدرك فيما بعد أن دورة الأيام لم تعد تفني بآماله. ولبدر قصائد أخرى خص بها أقطاراً نالت استقلالها من المستعمر بعد أن امتص خيراتها، وأعاد تشكيلها كما يجب، ومع ذلك فبدر ينظر لما هو إيجابي، وهو مجرد الخلاص الذي سيمهد لنهوض جديد.

ومن ذلك قصيدة شارك بها الشاعر الشعب الليبي أفراحه بعد جلاء المستعمر عن أراضيه، يقول:^(٣)

يوم الجلاء فداك أح	لامي وأيام العُمُر
يوم الجلاء وهل درت	أرواح من راحوا الخبر؟
إنا طردنا (الإنجليه	زَ والامركان) فلا أثر
إنا نظمنا من نجو	م الليل عقداً من درر

(١) يُنظر: أمين هويدي، أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ وعلى حرب الاستنزاف، (بيروت:

دار الطليعة، ط ١، ١٩٧٥م)، ص. ٦٠-٧٠.

(٢) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ١٠٣.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٤٣.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

كما شارك الشعب الجزائري فرحة الانتصار على الاستعمار الفرنسي، يقول: (١)

هاتوا	أكاليلَ	الورو	دِ	وَكَلَّلُوا	شعبَ	الجزائرَ	
الماردَ	البطلَ	العني	مدَ	الشامخَ	الشهَمَ	المثابِرَ	
مَنْ	سَطَّرَ	التاريخَ	بالدِّ	دمَ	في	أعاصيرِ	المجازرِ
مَنْ	راحَ	باليُمْنَى	يَشْفُ	قُ	طريقَهُ	وسطَ	الحفائرِ
وشمالُهُ	تحنو	على	جُرْحِ	أبيِّ	النبضِ	ثائرَ	

هكذا بدا هم بدر العام، بداهماً مشتركاً صور فيه واقع الأمة بعمومية أحياناً، وبتفصيل في أحياناً أخرى، كما لم يقف همه لدى قطر واحد، بل تجاذبته هموم الأقطار كافة، فبكى لبكائها، وفرح لفرحها.

وهذا الواقع هو ما دفع الشاعر إلى استحضار الماضي الذي يجد فيه القوة والملاذ، ولا سيما أن تعلق الشعراء بالماضي يفصح أحياناً عن صخبهم من الواقع الذي يرون فيه نوع اغتراب؛ لكونهم يجدون في بعض صور التاريخ نماذج مثلى يفتقر إليها واقعهم، (٢) كما أن النفس الإنسانية القلقة من طبيعتها أن تتوق إلى الماضي وذكرياته حين تعتم في أنظارها الرؤية المستقبلية الخاصة. (٣)

والشعراء بطبيعتهم قلقون.. كثير و التطلع إلى ما وراء مفردات واقعهم، وإن كان مثل هذا التطلع نوعاً من الاغتراب الذي ينطوي على أبعاد فلسفية مبهمة أو مخيفة أكثر مما هي نفسية عارضة أو مركبة فإن استرجاع الماضي والحديث عنه ليس إلا نوعاً من الاغتراب المحمود المطمئن، وبخاصة متى تعلق بأجماد حقيقية، كتلك التي يعرض لها الشعراء المعاصرون أثناء سردهم للمنجزات التاريخية المشرقة،

(١) المرجع نفسه، ص. ١٤٦.

(٢) يُنظر: ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، (ط ١، ١٩٨٠م)، ص. ٥٩.

(٣) يُنظر: سيّد إبراهيم، من أزهير الرياض: أحاديث من الأدب والنقد، دراسة بعنوان: الشعر والاعتراب، (الرياض، النادي الأدبي بالرياض، ط ١، ٢٠٠٤م)، ص. ١٥٣.

أو الحنين إلى عهود أكثر قوة وتلاحماً.

وبدءاً يفصح بدر بدير عن رؤيته للحاضر المولم الذي سَوَّغ له فيما بعد استجلاب التاريخ، والعيش على بطولاته، واستجرار ذكراه، يقول مستذكراً أمجاد المهاجرين والأنصار: (١)

سلامٌ على الأنصارِ ما هَبَّ مُنصِفٌ لُنصرةِ مظلومٍ وتأديبِ معتدي
على فتيةٍ قد زادهم رُحْمٌ هُدَى وقد هاجروا بالنورِ بحثاً عن الغدِ
لقد حملوا أرواحَهُمْ في أكْفِهِمْ بيارقَ أفراحٍ ونصرٍ وسُؤْدِدِ
فَهُمْ في نهارِ الجِدِّ أبطالُ حَوَمَةٍ وَهُمْ في هُجُوعِ الليلِ عُمَارُ مَسْجِدِ

يرصد الشاعر أهم التحولات التاريخية الناتجة من تحالف المهاجرين مع الأنصار، ويذكر ما كان من ثمار ذلك التحالف من قوة وتأيد وعدل، مما كان له الأثر البالغ في التمهيد لانتشار الإسلام بصفته دين قوة وعدل.

وقد يستحضر أمجاد القادة والفاتحين، كقوله: (٢)

مَنْ لي بعزمِ صلاحِ الدينِ يَشْحَدُهُ يُعيدُ للعُربِ أمجاداً أضعناها
يا عَمْرُو خذ يَلْحَى مِنْ جَنبِهَا سَجَدَتْ لِلأَمْرِكِانِ وكانت تَعْبُدُ اللهَ
قد عَزَّها المألُ والآمالُ فانكفأتُ على ملذاتِها والوَهْمُ أعمها
يا صادقِ الوعدِ يا صِدِّيقُ قد صَدَيْتُ قلوبُنَا.. الجَشَعُ الممقوتُ أعشاها
ادفَعِ سراياكُ في وجدانِنا فَعَسَى تَرُدُّ للحقِّ أقلاماً وأفواها

يستدعي بدر ذكريات أولئك الرموز، ويحن إلى أمجادهم التي صنعوها، ومثل هذا النوع من الاستدعاء يجيء غالباً «في إطار المفارقة التصويرية؛ لإبراز حدة

(١) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ١٥٣.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٣٥.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

التناقض بين ماضينا وحاضرنا». (١)

وقد يوظف بدر عنصر الإيحاء في استحضاره ذكرى ما، نجد ذلك في قوله
عن بغداد: (٢)

يا يومنا الملتاع في عاصمة الرشيد
روعتنا أم نحن روعناك؟
كم سنة تجثم في بيوتنا؟
أم كنت أنت قابلاً هناك؟
منذ استباحها التتار من قرون
وهدموا قصورها
وأغرقوا تراثها في نهرها الحزين
ومزجوا مياهه بالدم والدموع

إنه يصور نكبة بغداد التاريخية على يد التتار، وهو في الواقع لا تعنيه تلك النكبة بعينها، وإنما ينتهز أبعادها ليسقطها على الواقع الذي تحياه بغداد، ويقرر أحد النقاد أن استعارة الشخصية التراثية عبر حدث من الأحداث أصبح من الحيل الخالدة التي يلجأ إليها الشعراء المعاصرون ليسوقوا من خلالها آراءهم دون أن يتحملوا وزر هذه الآراء والأفكار. (٣)

(١) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، (القاهرة: دار

الفكر العربي، ١٩٩٧م)، ص. ١٢٦.

(٢) بدر، مرجع سابق (لن يحف البحر)، ص. ١١٦.

(٣) يُنظر: زايد، مرجع سابق، ص. ٣٣.

المبحث الثالث: في الشعر الاجتماعي:

في الحين الذي انغلق فيه شعراء على ذواتهم برزت طائفة من الشعراء ترى في الأدب رسالة، وصورة عن الواقع لا الذات فحسب، فكان المجتمع بمختلف شجونه حاضراً في نصوصهم.^(١)

وها قد صار الشاعر صاحب الرسالة يُعنى بالمجتمع، ويحتشد لأجل إصلاحه، ويضع لنفسه نهجاً لا يخالفه عليه المنصفون،^(٢) ولذا كانت الرؤية الدينية الصحيحة المشجبة الذي علق عليه بدر آماله الإصلاحية في المقام الأول، فهو يريد مجتمعاً نقيّاً متماسكاً متعاوناً يسوده الوثام والسلام والنظام.

والشعر الاجتماعي لدى بدر يمكن تصنيفه في محورين: الأول في التوجيه الإصلاحي، والثاني في الإخوانيات.

وفي شعر التوجيه الإصلاحي انتقد بدر بعض المظاهر الخاطئة في مجتمعه بطريقة مباشرة وغير مباشرة؛ وضمن انتقاداته تساؤلات لا يجمل إجابتها أحد، ولكنه يود إيصال رسالة لمن يعنيه أن يرى مواطن الخلل في مجتمعه، يقول في نص بعنوان (تساؤلات بريئة):^(٣)

يا رفيق الحياة هل ضيقت مثلي بصفات مذمومة وطبائع؟
هل تألمت عندما ثار ذئب غارزاً نابه بطن الجائع؟

إنه ينتقد القسوة والجشع في الناس، ويزداد عجبه إذا كان الدافع لذلك نوعاً من الترف، فالظالم متختم مكثف، والمظلوم جائع ضعيف.

(١) يُنظر: عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، (بيروت: دار الفكر العربي، ط ٣، ١٩٧٤م)، ص. ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٢) يُنظر: محمد كسبر، السعيد الورقي، في علم اجتماع الأدب، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م)، ص. ٢٦.

(٣) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ٩١.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

وحين يرى طبقية بعض أفراد المجتمع يضيق ذرعاً بهذا التمايز، وهو وإن كان يسلم بأن الله مقسم الأرزاق، وأن من مقتضيات عدله سبحانه إيجاد الأغنياء والفقراء، فإنه يدرك أن من حكمة ذلك التقسيم ابتلاء بعضهم ببعض، ولذا يقول منتقداً أنانية بعض الأغنياء: (١)

هل تشوّقتَ (للمدْمَسِ) بَيْنَنَا ريحَةٌ للشَّوَاءِ تَعْبُقُ عَطْرًا؟
واحتسيتَ اللُّعَابَ حِينَ تَرَأَى لَكَ جَارٌ يَجْتَرُّ لِحْمًا وَطَيْرًا؟

لا يعترض بدر على تقسيم الأرزاق، بل ينتقد ذلك الجار الغني على إهماله السؤال عن جاره، ومتابعة أحواله كما أمر بذلك ديننا الحنيف. وفي مقطع آخر يصور معاناة الفقراء دون مقارنة، ولكن تصويره ذاك لا يخلو من رسالة يجدر بالمقتردين تفهمها، يقول: (٢)

هل تكومتَ في العراءِ بليلاً تَصْفَعُ العَظْمَ مِنْ ففَاكَ بروْدَةً؟
وحلمتَ أن تحتكَ فَرَشًا وبرجُلٍ يا صاحِ نعلًا جديْدَةً؟

إن ذلك الفقير لا يحلم بالثراء، ولا ينظر إلى ما في أيدي الآخرين، ولكنه يطلب أيسر مقومات الحياة، وليس بعد الفراش والنعل مطمع. وإحساس الشاعر بمسؤولية الكلمة يحتم عليه عرض مثل هذه المشاكل الاجتماعية، وقد بدا أن أكثر ما يعاينه بدر هو حال الفقراء، وقد صور حال فقير مر هو وابنه ببائع (موز)، ولشدة جهل الابن بالموز ظنه (زمارة)، فطلب من أبيه شراءها له، يقول بدر: (٣)

هل تضاءلتَ في ثيابِكَ لَمَّا أطلقَ ابْنُكَ البريُّ إشارةً

(١) المرجع نفسه، ص. ٩١.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٩١.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٩٢.

صَوَّبَ الإصْبَعِ الصَّغِيرِ إِلَى الْمُؤْزِ وَقَالَ: يَا أَبِي أَشْرَ لِي زُمَارَةٌ؟

كما انتقد بدر حالة ثقافية عارمة تغزو فكر المجتمع، وهي إيغال بعض الشعراء في الغموض حد العبث بدعوى التجديد، يقول: (١)

مات القصيدُ وشيَّعتْ جنثُ القوا في الشارداتِ الملهماتِ إلى القبورِ
سَكَتَ الحَمَامُ فلم يَعُدْ في الروضِ إلَّ لَا مَا يَبْقُ وما يَبْقُ وما يَحُورُ (٢)
يا من مُمَزَّقُ في شرايينِ القصيِّ دةً باليراعِ الغاشمِ القاسيِ الشعورِ
لتعودَ إمعةً وتابعةً لكُدَّ لِ مغامرٍ من غيرِ ملَّتِها جسورِ
يا أيها الشعراءُ عيشوا عصركم وترائكم نورٌ بأعماقِ الصدورِ
ولترتفعْ نحوَ السماءِ فروغكم ولتنغرسْ في أرضكم كلُّ الجذورِ
ولتملكوا بالعقلِ ناصيةَ البيا نِ العذبِ والفكرِ الفتيِّ المستنيرِ

لقد عرض ما هم فيه من افتتان، وبين أن افتتاهم تقليد أعمى غير مسوَّغ؛ إذ لم يقدم صنيعهم ما يثري بقدر ما أساء وهدم، ثم يدعوهم إلى التزام الطريق الأمثل، والعودة إلى الجذور، ومن ثم الانطلاق منها بالجديد الواعي المتزن.

أما إخوانياته الاجتماعية فتفصح عن شاعر يشارك أصحابه أفراحهم، ويعزيهم في مآسيهم، منطلقاً من رؤية دينية معتدلة ولا تجرح ولا تشطح، ومن ذلك مؤانسته لصديق له قوعد عن العمل لبلوغه السن النظامي، فقال بدر يُسرِّي عنه: (٣)

يا بابي الأجيالِ صرحاً للكننا نة.. للعروبة.. للغلا فلتسَلِّم

(١) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ١١٥.

(٢) يعني بما (ييق) بعض الحشرات الطائرة، وبما (ييق) الضفادع، وبما (يخور) الثيران. يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ)، مادة: (يق)، و(نق)، و(خور).

(٣) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ١١٢.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

إن كان ضيِّعَكَ الذي أوجدتَهُ فاللهُ عدلٌ مُطلقٌ لم يظلم

وبعد أن وطأ بأفضال صاحبه راح يخفف عنه وَقَع التقاعد الذي يفهمه بعضهم
على أنه عجز عن إكمال مسيرة العمل والحياة، يقول: (١)

سِنَّ المعاشِ هو الحياةُ.. هو الجَمَا ل.. هو الحنَانُ مع الحبيبةِ فانعم
وارشف كؤوسَ الشَّهْدِ صُبْحاً أو ضُحَى فإذا ارتويتِ وَجَنَّ ليلُكَ فاحلم

وبعد أن أدرك الشاعرَ قطارَ التقاعد لم ينس نصيبه من التسرية، فقال وكله تفاؤل
ودمائه روح موجهاً حديثه لأصحابه الذين عزوه في التقاعد: (٢)

مَصَّ الصحابِ شفاهِهم أسفاً وقا لوا لي: عزاءً قد خرجتَ على المعاشِ
فعدرُهمُ وبسْمُ من قلبي وقُدْ مْ بفرحةٍ كبرى: خرجتُ إلى المعاشِ
إني خرجتُ إلى الحياةِ وكنْتُ مَكْ بوساً ومحبوساً بكيسٍ من فُماشِ

يغير بدر من مفهوم التقاعد، ويحاول إقناع أصحابه الباقين على العمل أو الذين
سبقوه إلى مصيره بأن حقيقية الأمر أنه خرج إلى الحياة من جديد بعد أن كان محبوساً
في جدران دائرته، ومقيداً بقيود أنظمة العمل والحضور والانصراف.
هكذا يرسم البسمة على شفتيه، وعلى شفاه أصحابه، ويُسرِّي عنهم وعن نفسه
بطريقة محبة مقبولة.

والإهداءات الشعرية نوع آخر من الإخوانيات التي يتحفز لها الشعراء، ويتجملون
فيها، وله سجال شعري لطيف مع صديقه الشاعر الدكتور حسين علي محمد الذي
بعث إليه بأبيات بمناسبة بلوغ بدر سن التقاعد: (٣)

(١) المرجع نفسه، ص. ١١٤.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٤٢.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٧٧.

قَدْ أَنْ لِلشَّاعِرِ المِشْتَاقِ تَعْرِيدُ وَحَانَ لِلنَّعَمِ المَقْمُوعِ تَرْدِيدُ
وَأَفْرَحَتْهُ لِنَسْرِ ظَلِّ مُحْتَبَسًا وَصِنُوهُ فِي سَمَاءِ الشَّرْقِ غَرِيدُ
قَدْ كَسَّرَ القَيْدَ لَا عَادَتْ سَلَسِلُهُ وَعَانَقَ الأفَقَ مَنْ فِي الشَّعْرِ مُحْسُودُ
مَا جَفَّ بَحْرُكَ يَا مَنْ ظَلَّ مَورِدُهُ عَذْبًا، وَعَعْنَتْ لَهُ العَيْدُ الأَمَالِيدُ

فرد عليه بدر، وراح يقرر ما قاله صديقه الشاعر، ويشيد بصدافته الحميمة: (١)

لِمَنْ أُعْنِي وَصَوْتِي فِي تَفْرُدِهِ بَيْنَ النَّبِيِّ وَبَيْنَ النَّوْحِ مَفْقُودُ؟
وَجَوْقُهُ الشَّعْرِ فِي أَيَّامِنَا مُسْحَتٌ أَنْعَامُهُ، فَفَضَى المِزْمَارُ وَالْعُودُ
وَأَنْفَضَ سَامِرُهُ وَأَنْفَضَ عَامِرُهُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا اسْمُهُ وَالجِسْمُ مَهْدُودُ
يَا صَاحِ لَوْلَاكَ فِي دُنْيَايَ مَا جَمَلْتُ فِيهَا الأَنَاشِيدُ يَوْمًا وَالْأَعَارِيدُ
فَشَدُّوكَ العَدْبُ فِي أُذُنِي يُعَازِلُهَا وَيَوْمٌ لِقِيَاكَ فِي أَيَّامِنَا عِيدُ

والمفاكهات الساخرة من أعذب الشعر الإخواني الدائر بين الشعراء، ولا يجيده غير شعراء قلائل يتَّسمون بصفاء الروح، وعذوبة المنطق، ويهدف هذا النوع من الشعر إلى تشكيل ابتسامات متنوعة على شفاه مستقبلية. (٢)

وقد نجح بدر في هذه المهمة من خلال قصيدتين ظريفتين استطاعتا رسم ابتسامات بجدارة، يقول في إحداها يخاطب بها صديق صباه بعد أن اغتنى، ويذكره بأيام الفقر، وكيف كان ذلك الصديق يسطو على طعام الشاعر ودريهمات، ويستأثر بها لنفسه: (٣)

إِذَا نَسِيتَ فَإِنِّي لَسْتُ بِالنَّاسِي أَيَّامَ فَقْرٍ وَإِقْلَالٍ وَإِفْلَاسِ

(١) المرجع نفسه، ص. ٨٠.

(٢) يُنظر: نعمان محمد أمين طه، السخرية في الأدب العربي، (القاهرة: دار التوفيقية، ط ١،

١٣٩٨هـ)، ص. ١٣.

(٣) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ١٤٤.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

أَيَّامَ أَفْرِضُكَ (المَلِيْمَ) مُعْتَدِرًا وَيَصْرُخُ السُّوسُ جُوعاً بَيْنَ أَضْرَاسِي
أَيَّامَ (نَقْفِشِي) ظَهراً وَقَدْ نُثِرَتْ أَقْرَاصُ (طَعْمِيَّة) عَجْفَى بِقِرْطَاسِ
أَوْ بَعْضُ حَبَاتِ أَزْرٍ كِدَتْ تَحْسَبُهَا مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ حَبَاتٍ مِنَ المَاسِ
فَتَسِفُ الأَكْلَ نَسْفاً ثُمَّ تَتَرَكُنِي وَقَدْ سَلَبَتْ لُقَيْمَاتِي (وأفلاسي)

أبيات ظريفة أجاد الشاعر في صياغتها، وانتقاء أفكارها القادرة على رسم ابتسامات.

أما قصيدته الثانية فقد وصف فيها مركبة متهالكة ركبها هو وبعض

أصحابه، يقول: (١)

مَرْكَبٌ صَوَّتْهَا زَفِيرٌ شَخِيرٌ حَشْرَجَاتٌ فِي صَدْرِهَا المَتَهَالِكُ
أَنَّ مِنْ رَحْفِهَا الطَّرِيقُ وَتَاهَتْ حُطُوتٌ لَهَا هُنَا وَهُنَالِكُ
فِي بَيْمَنِ الطَّرِيقِ طَوْرًا، وَطَوْرًا فِي شِمَالٍ، وَتَارَةً بَيْنَ ذَلِكَ
إِنْ تَقُدُّهَا لِيُنَيْتِ عَمَّ بَجْدِهَا بَعْدَ لَأِيٍّ قَدْ أَوْصَلْتِكِ لِخَالِكِ
إِنْ تُرِدْ دَفْعَ بَإِجْمَا تَتَأَبَّى وَمَعَ العُنْفِ لَا تَرِقُ لِجَالِكِ
قُلْتُ لِمَا تَحَدَّرْتُ نَحْوَ جُرْفٍ نَجِّ يَا رَبِّ مِنْ حَفِيِّ المَهَالِكِ

تتضمن القصيدة على عدد من الأوصاف المضحكة، والتشبيهات الطريفة، وهو

إذ يقول مثل ذلك يداعب أصحابه، ويلمز صاحب المركبة بطريقة لودعية غير محرجة،

وفي زعمي أن هذه لباقة قليلة الوجود في كثير من العلاقات الاجتماعية.

ومهما يكن فإن بدرًا شاعر اجتماعي لا يغيب عنه حسه الديني في معظم معالجاته

الشعرية، ولذا هو يسعى إلى الإصلاح، والاعتدال، حتى مفاكحاته الشعرية تخلو من

الابتذال والتجريح وتجاوز الخطوط الحمراء.

(١) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ٢٣.

الفصل الثاني: عناصر تشكيل الرؤية

المبحث الأول: اللغة:

يرى بعض النقاد أن «أعظم ما في القصيدة من جمال ومعنى وفاعلية لا يقيم إلا هناك: في لغتها الشعرية؛ ففي هذه اللغة وعبر بنائها الجليل الأسر يمكن العثور على جمر الروح، وأحجار الدلالة الساطعة، والرؤيا»،^(١) وثمة من يراها أشد المقتنيات الجمالية خطراً، فمن خلالها - أي اللغة - يمارس الشاعر البناء والهدم والاختفاء.^(٢) وفي مقدور اللغة أن تكشف عن رؤية الشاعر وطبيعة تكوينه، وليست اللغة مجرد وظيفة إيصال معانٍ إلى ذهن المتلقي وحسب.^(٣) وبدر - كما مر - شاعر معنى ورؤية في المقام الأول، وله مع اهتمامه ذلك عناية بألفاظه وأساليبه، وهو ذو مخزون لغوي تراثي واضح بعيد عن الغرابة، ويقبل أن يبدو في شعره لفظ معجمي.

كما أن مخزونه أسهم في تكوينه ثقافات أخرى تركت طابعها على جل أشعاره التي جاءت في مجملها عذبة ورائقة، ومن ذلك:^(٤)

لا تُحَدِّثُنِي عَنِ الْحُبِّ.. أَنَا	كُلَّمَا	دَاعَبْتُهُ	يَجْرَحُنِي
كُلَّمَا دَارِيَّتُهُ فِي أَضْلَعِي	أَنْزَبِي	مِنْ أَدْمُعِي	يَفْضَحُنِي
أَمْضِ عَنِّي يَا حَبِيبِي عَلَّنِي	أَبْرِي	الْجُرْحَ	الَّذِي يُؤْلِمُنِي
أَنْتَ أَهْبَبْتَ فُوَادِي فَعَسَى	تُطْفِئُ	النَّارَ	دُمُوعَ الْأَعْيُنِ

(١) علي جعفر العلاق، في حداثة النص الشعري: دراسة نقدية، (عمّان: دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٣م)، ص. ٢٣.

(٢) يُنظر: مارتن هيدجر، في الفلسفة والشعر، ترجمة: عثمان أمين، (القاهرة: الدار القومية، ١٩٦٣م)، ص. ٨١.

(٣) يُنظر: مصطفى سويف، الأسس النفسية للإبداع النفسي، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥١م)، ص. ٢٨١-٢٨٢.

(٤) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ٤٧.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

سَوَّفَ أَهْوَى الْبَدْرِ فِي وَحْدَتِهِ كَلَّمَا نَاجَيْتُهُ هَدَّهَدَنِي
سَوَّفَ أَشْكُوهُ غَرَامِي عَلَّه يَكْتُمُ الْأَسْرَارَ أَوْ يَعْذُرُنِي

لقد بدت الألفاظ مؤتلفة مع التراكيب ائتلافاً منسجماً مع وضوح المضمون، هذا إلى ما في الألفاظ من تنوع بين المخزون الموروث والمخزون الحديث المعتدل؛ إذ ليس في أبياته ذلك الاكتناز الذي تضحج به النصوص التحديثية على وجه الخصوص. وقد حرص بدر على إضفاء جماليات لفظية أخرى تزيد أشعاره جمالا، وهي جماليات منعكسة عن ثقافته الدينية، فمن ذلك اقتباساته من ألفاظ القرآن الكريم، والاقتباس هو «أن يُضَمَّنَ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه»،^(١) يقول بدر:^(٢)

ودرت في الأسواق والشوارع الملتوية

فلم أجد غير مياه آسنة

وزمرة من المشاة ساعية

زائغة أبصارهم

«كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَحْلِ حَاوِيَةٍ»

لقد اقتبس قوله من قوله تعالى: {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَحْلِ حَاوِيَةٍ} (الحاقة: ٧)، وأسقط ما أصاب قوم عاد على أولئك القوم من المشاة الزائغي الأبصار.

ولا أنكر أن محاولة تسوية هذا الإسقاط استعصت عليّ، وبدا لي أن الشاعر أقحم اقتباسه دون حاجة إليه؛ ولا سيما أن الزمرة التي يتحدث عنها لم بيدر منها ما بدر من قوم عاد حتى تتشابه النهايات!

(١) الخطيب القزويني، الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح، (القاهرة: مكتبة الآداب، ط ٧،

١٤١٠هـ)، ١١١/٤، (مطبوع مع بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعدي).

(٢) بدر، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ١٣١.

كما اقتبس بدر أيضاً من الأحاديث الشريفة بعض ألفاظها، وقد يسمى الأخذ من الحديث تضميناً، وبعض البلاغيين يدخلون الاقتباس في التضمين، ويسمون كل أخذ - سواء أكان من القرآن أم الحديث أم الشعر أم الكلام السائر - تضميناً،^(١) يقول بدر: (٢)

ورأت شطآنًا تتزين بالزهر

ومن كل الألوان

ورأت ما لا رأت الأعين

وشدا في موكبها طير أنغاما

لم تسمع من قبل

ولا خطرت في قلب بشر

لقد اقتبس التركيبين الموضحين من قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «قَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا حَظَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ».^(٣)

(١) يُنظر:

- ابن أبي الأصبغ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفي شرف، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٦٣م)، ص. ١٤٠.

- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦م)، ٢٧٠/١ - ٢٦٠/٢.

(٢) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ٢١.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم: ٢٨٢٤، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يُنظر: محيي الدين النووي، شرح صحيح مسلم، مراجعة: خليل الميس، (بيروت: دار القلم، ط ١، د.ت)، ١٧٢/١٧.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

ومثل هذا التضمين أفاد المعنى جلاءً وثرأءً، فالشاعر يتحدث عن مشاهد أسرة جميلة، ولذا كان جاء التضمين مسانداً موحياً، وكأنه يريد أن يقول إن تأثير هذه المشاهد يشبه تأثير الجنة في عين رائيها.

وقد حرص بدر على التنوع في تشكيل معانيه بلغة تستحضر من القرآن الكريم والحديث الشريف وروصين التراث بعض الإيحاءات المنعكسة عن رؤاه الدينية والأخلاقية، فالشاعر المجيد هو من يدرك إن قوة الشعر تتمثل في الإيحاء بالأفكار، لا في التصريح بالأفكار مجردة، ولا في المبالغة في وصفها.^(١)

ومن ذلك قول بدر في شعراء الغموض بعد أن نبههم إلى تجاوزهم وعبتهم:^(٢)
يا حَسْرَتًا على العبادِ لم يَعُدْ يَأْتِيهِمْ من شاعرٍ قديرٍ

غير خاف أنه استلهم هذا المعنى من قوله تعالى: { يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } (يس: ٣٠)، والجامع الذي يود بدر بدير لفت أنظارنا إليه أن المستهزئين بالرسول كشعراء الغموض المستهزئين بشعراء الوضوح والأصالة، وكأنما بدر يقرر بهذا الاستحضار أن شعراء الوضوح والأصالة بمنزلة الرسل في الناس، وأن شعراء الغموض بمنزلة المفسدين في الأرض والذوق. والناظر في سياق الآية الكريمة يجد توافقاً في مبدأ النصح، وصدق الناصح، وتجاوز المنصوحين، ومآلهم الذي حاق بهم، وهذا ما يرمي إليه بدر من خلال توظيفه الآية الكريمة وإسقاطها على أولئك الشعراء المستهزئين، وكأنه يقول لهم: انتظروا ما سيحقيق بكم بعد أن أبيتهم نصحي.

(١) محمد غنيمي هلال، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، (القاهرة: دار تحفة مصر، ط

١، د. ت) ص. ٦٠.

(٢) بدر، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ٢٧.

والحديث الشريف من المصادر الأخرى التي استقى منها بدر بعض معانيه، ومن ذلك قوله مخبراً الرسول ﷺ بما آل إليه أمر أمته، يقول بدر: (١)

يا سيدي نحن صرنا كالطعام وقد تحلقت حوله واستنقرت أمم

يستحضر ما قاله ﷺ في الأثر: «يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى فِصْعَتِهَا». (٢)

وهو بهذا الاستحضار يؤكد نبوءة نبينا ﷺ؛ إذ صح ما قاله عن تداعي الأمم في زمن الشاعر الذي جعل من نفسه شاهد عيان، وناقل أحداث في قصيدته الميمية الطويلة.

والتراث الأدبي الرصين من أبرز المصادر التي أفاد منها بدر في معاني شعره، ومن ذلك قوله: (٣)

لن نقول الأمس: كنا نملأ البحر سفينا

فواضح أنه يشير إلى بيت عمرو بن كلثوم إشارة عكسية توحى بالذل والهوان بخلاف ما كان عليه حال عمرو حين قال: (٤)

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا ونحن البحر مملؤه سفينا

(١) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ٦٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الملاحم، رقم: ٤٢٩٧، عن ثوبان رضي الله عنه. يُنظر: أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق: محمد عوامة، (بيروت: مؤسسة الريان، ط: ١، ١٤١٩هـ)، ٣٨/٥.

(٣) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ١٠٦.

(٤) عمرو بن كلثوم، ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: د. إميل بديع يعقوب، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط: ١، ١٤١١هـ)، ص. ٩١.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

لما قال عمرو بن كلثوم بيته ذاك لم يكن لديه ولا لدى قومه في البحر سفينة واحدة، فهل بدر بدير يود أن يقول إننا لن ندعي ما ليس فينا كما فعل عمرو بن كلثوم، أم كان يريد أن يقول إننا في حالة من الهوان لا تتيح لنا حتى الفخر لو بالكلام.

وتروق لبدر معاكسة بعض المعاني الخاطئة في التراث الأدبي، كقوله: (١)
وَأبي ما جئني عليّ ولكنْ كان طبع الحياة يومَ رماني

لقد خالف بيت أبي العلاء المعري الذي أوصى بكتابة هذا البيت على قبره: (٢)
هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ يَ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ

فبدر لا يتهم أباه كالمعري، ولكن يحيل أمر الجناية إلى طبع الأيام، ومن ثم تكون هذه الإحالة أدعى إلى الاستسلام والتأقلم، وأكثر انسجاماً مع رؤيته الدينية. إن اقتباسات بدر بدير واستحضاراته تؤكد وثيق صلته بالتراث، واعتزازه به، وانتمائه إليه؛ إذ لم تكن في نصوصه تلك اقتباسات ولا استحضارات من الثقافات الأخرى، وأزعم أن في مقدوره أن يفعل لو شاء، غير أن رؤيته الدينية وتوغلها في وجدانه جعلت تقنياته الفنية تراثية.

(١) بدير، مرجع سابق (لن يحف البحر)، ص. ٨٠.

(٢) البيت في: فائت شعر أبي العلاء، جمع: عبدالعزيز الميمني، (ضمن كتاب بحوث وتحقيقات، عبدالعزيز الميمني، نشرها: محمد عزيز شمس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ١٩٩٥م)، ٨١/٢).

المبحث الثاني: الصورة:

تعد الصورة أحد أهم العناصر المساعدة على نقل التجربة الشعرية^(١) الدالة على امتزاج الشكل بالمضمون في سياق بياني خاص معبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية،^(٢) ويراها آخرون «المركز البؤري للبناء الشعري كله».^(٣)

وبدر شاعر يوظف الصور لخدمة مضامينه، ويدرك أن الصورة تمنح المعنى جلالاً وحضوراً، ولكنه لا يسعى للبحث عن الصور، بل يلتقط ما يجده في طريقه، بمعنى أن المضمون هو الذي يفرض عليه الصورة؛ فكل صوره متصلة بنوع المضمون.. متعلقة به. وإن كان في ذلك نوع من التقصير عند من يولون الصورة عناية كبيرة.. إلا أن بدرًا يحرص على إيجاد جو من التصوير، ولو كان هذا الجو معتدل الإغراء.

وبالنظر إلى مجموع صوره وأنواعها يمكن تصنيفها في ثلاث منظومات، وهي الصور التشبيهية، والصور الاستعارية، والصور المركبة.

والصورة التشبيهية نمط تصويري سهل قريب يكثر في الشعر وسائر الكلام، وتتناسب كثيراً مع الواقع المحسوس بأبعاده، والجوانب التجريدية الفكرية.^(٤)

والغالب على هذا النوع من الصور في شعر بدر أن يجيء واضحاً منعكساً بمفرداته عن رؤاه، كما تبدو أركانه التشبيهية في متناول الجميع، كقوله:^(٥)

ومن عجبٍ ضحاياها تُدَعِّمُها كَالشَّاةِ تُهْدِي إِلَى ذَبِّ حَوَايَاها

(١) يُنظر: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٦م)، ص. ٤١٧.

(٢) يُنظر: بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط: ١، ١٩٩٤م)، ص. ٢٠.

(٣) عبدالقادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، (الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ط: ١، ١٤٠٥هـ)، ص. ١٠٤.

(٤) يُنظر: فايز الداية، الصورة الفنية في الأدب العربي، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط: ٢، ١٤١١هـ)، ص. ٧٢.

(٥) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ٣٥.

يعني حال الأمة مع الأعداء، فقد شبه الأمة بالشاة، والأعداء بالذئب، وعلى خلاف المعهود من حذر الشاة من الذئب تستسلم الأمة (الشاة) إلى عدوها (الذئب)، وتهديه هي أجزاءها.

لقد جاءت صورته التشبيهية قريبة واضحة تمثل طريقي الخير والشر دون أي التباس، وعلى هذا النحو جل صورته التشبيهية الأخرى.

وبعض تشبيهات بدر مستقاة من القرآن الكريم، ومن ذلك قوله: (١)

وظل في تحويمه

ميمنة وميسرة

كحمر مستنفرة

هاربة من قسورة

فقد أفاد تشبيهه من قوله تعالى: { كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ } (المدثر: ٥٠-٥١)، على أنني أرى أن تشبيهه هذا لم يخدم المعنى الذي يريده، وفيه من التكلف ما لا يخفى؛ فهو يتحدث عن صقر محلق يهيم بالانقضاض على فرائسه، وهو في جراته وبطشه وثقته وخوف طرائده منه لا يقل بأساً ولا هيبة عن القسورة حين نفر منه الحُمُر، فما الداعي إلى تشبيه طير محلق بحيوان متوثب، ولعل حرص بدر على استحضار ثقافته الدينية أغراه بهذه التوظيف في مضمون تتجلى فيه رؤيته الدينية.

وبدر حين يلجأ إلى التشبيه يُعنى أولاً بجمال الصورة، وقد يغفل عن مناسبتها، نحو قوله: (٢)

بَدَتْ فِي خَطْوِهَا الْعَاثِرُ كَلْحَنِ صَاعَهُ شَاعِرُ

إن تشبيهه خطوها العائر بلحن شاعر لا يخلو من اضطراب، وذلك أن تعثر

(١) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ١٢٦.

(٢) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ٨١.

خطاها لا يتوافق مع ما يعتقده بدر في ألحان الشعراء إجمالاً من انسجام وتوافق.
تشبيه هوى به الوضوح إلى هُوة الغموض، ولا غموض، بل إن الشاعر لم يحالفه
التوفيق في رسم صورة تشبيهية موفقة.

ومن غير هذه التشبيهات تطالعنا تشبيهات عذبة لطيفة، تدل على شاعرية
مرهفة، ومن ذلك قوله: (١)

أنا ما فتنتُ بِبِسْمَةٍ كالوردِ اغتسلتُ بِبَطَلٍ
أنا لستُ كالعشاقِ، لا أنا قد عشقتُ بلا أَمَلٍ

تشبيهه البسمة بوردة علق بها الندى تشبيه لطيف، كما أن نفيه تشبيه نفسه
بالعشاق بجامع مفارق وهو افتقاد الأمل تشبيه لا يخلو من إحساس حزين فيه خروج
عن المؤلف.

وقد يسوق بدر مجموعة من التشبيهات المتتابعة ليزيد المقطع حركة وحيوية، ومن
ذلك قوله: (٢)

وانسيأُ الليلِ في إنصاته هادئاً كالحبِّ في العينِ ارتسَمَ
وانتقالُ النجمِ من أبراجِهِ ثائراً كالشوقِ في القلبِ احتدَمَ
وانزواءُ الزهرِ في أكمامِهِ حاملاً كالثغرِ للثغرِ ابتسَمَ
واهتزازُ الدَّوْحِ في بُستانِهِ كأنحاءِ القومِ في جَوْفِ الحرمِ
وازدیانُ الزرعِ من دَرِّ النَّدى كازديانِ الجفْنِ من دمعِ النَّدمِ

تشبيهاته في الأبيات الثلاثة الأولى تشبيهات معنوية جميلة، ولكنه خرج عن نسق
تشبيهاته تلك إلى التشبيه الحسي، وذلك حين شبه اهتزاز الدوح بأنحاء المصلين في
الحرم، وهو تشبيه طريف، ولكنه لا يتناسب مع ما قبله.

(١) المرجع نفسه، ص. ٨٣.

(٢) المرجع نفسه، ص. ١٤١.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

كما أوقعه تتابع تشبيهاته في إيغال غير موفق في البيت الأخير؛ إذ شبه ازديان الزرع من قطرات الندى بازديان الجفن من دمع الندم، ولو اكتفى بالدمع فقط لحسن تشبيهه؛ إذ إن الدمع مقروناً بالندم لا يُشعر بازديان، بل يشعر بأسى وحسرة، سواء أكان المعنى شعور الباكي أم شعور المشاهد.

وتأتي صوره الاستعارية أقوى من تشبيهاته وأعمق، وهذا يعود لطبيعة الاستعارة المكتنزة بالدلالة والتأويل.^(١)

وبدر في تأملاته ووجدانياته يغرق في الاستعارات إلى حد قد يبدو معه النص مجموعة من الصور المتجاورة بعناية ونظام، ومن ذلك نص يتأمل فيه فلسفة الزمان، يقول:^(٢)

قَدْ صَحِبْتُ الزَّمَانَ عُمراً فَكَانَا	كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِي إِنْسَانًا
فَهُوَ يَوْمًا يُقَدِّمُ الكَأْسَ شَهْدًا	لِي وَيَوْمًا يَمُرُّ بِي ظَمْآنًا
وَهُوَ حِينًا يَبْكِي عَلَيَّ وَحِينًا	لَيْسَ يُبْقِي لِلجُرْحِ فِي مَكَانَا
مُدْهِيْمُ اللَّيَالِي طَوْرًا، وَطَوْرًا	يَسْكُبُ التُّورَ حَوْلَ درِي أمانَا
بَارِزٌ نَابِئُهُ وَلَمْ أَجْنِ دُنْبًا	ضاحِكٌ سِنَّهُ وَلَيْسَ افْتِنَانَا
حَرْتُ فِي فَهْمِهِ وَإِنْ طَالَ عُمُرِي	بَيْنَ أَحْدَاثِهِ الجِسامِ امْتِحَانَا

جعل من الزمان إنسانا، وراح يتأمله، فمرة يسقيه هذا الإنسان كأساً من العسل، وأخرى يمسك فيها عن تقديمها له، ومرة يبكي عليه، وأحياناً يُبكيه ويكون هو السبب في بكائه، وهذا الزمان المتمثل إنساناً متقلب الأطوار، فقد يتعكر مزاجه فتسود ليليه، وربما صفا باله فأضفى السرور على من حوله، وهو مع ذلك يبدي العدا للشارع دون ذنب اقترفه، وإن ضحك فضحكه سخرية.

(١) يُنظر: مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، (القاهرة: دار الأندلس للطباعة والنشر، ط: ٢،

١٤٠١هـ)، ص. ١٢٥.

(٢) بدر، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ٨٩.

لقد أكسب الشاعر زمانه صفات إنسان، ووصمه بما يوصم به البشر من كرم وبخل، وتعاطف وقسوة، وتعكر بال وصفائه، وحب وكره، كل ذلك جاء في سياق وافر بالاستعارات التي ساعدت على جمال الصورة الجزئية (الزمان الإنسان)، وقربت المتلقي إلى فهم طبيعة الزمان، ومن ثم التأقلم معه كما يتأقلم الناس مع من حولهم. وفي نص وجداني ممزوج بتفكير يناجي الشاعر ذاته، ويستحضر مفردات الطبيعة حوله، ويث فيها الحياة من خلال استعارات بديعة، يقول: (١)

إن سَرَتْ في الليلِ أطيافُ العَدَارَى كَفَرَاشٍ سَابِحٍ في بحرِ نُورٍ
وهَفَا الغصنُ إلى الغصنِ يناجي ويُعَيِّنِي حَوْلَ إنصاتِ الطيورِ
ويُحَيِّي الطَّلَّ نشواناً فترنو مقلتهُ الطَّلَّ إلى الزهرِ النضيرِ
فأنا وَحْدِي أناجي ذكرياتٍ غالياتٍ باقياتٍ في ضميري
تَهَمِسُ الأيامُ في سمعي حديثاً غارقاً في الوجدِ والدمعِ الغزيرِ
تَعْرِضُ الماضي على رُوحِي سطوراً فإذا بالروحِ تَفَنَّى في السطورِ
وإذا بي حينَ يصحو الفجرُ أصحو وبقلبي نشوةُ الكأسِ المريرِ

استعارات متفرقة استطاعت أن تثير الانتباه، فقد جعل الشاعر للنور بحراً، وللغصن قدرة على المناجاة والغناء، وصور الطيور في مشهد صامت، ووصف الطل بالنشوة، وجعل مقلته ترنو إلى الزهر، وأكسب الذكريات صفة الحوار، والأيام صفة الهمس، والحديث بالغرق في الوجدان، والماضي بالسطور المقروءة، ثم ختم كل ذلك بوصف الذكريات تلك بكأس مر احتساه في قلبه.

إن أمثال هذه الاستعارات تفتح للخيال والتجنيح باباً واسعاً، وتحقق قدراً من الانجذاب لدى المتلقي الذي يبحث عن جمال التصوير، وبعض العمق.

(١) بدير، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ٣١.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

أما الصور المركبة فهي التي يستعين الشاعر فيها بما يسمى «حركة الدراما»،^(١) من خلال صور متتابعة يرسم بها مشهداً طويلاً يستقصي فيه ما يعتدل في نفسه.^(٢) وللشعراء المعاصرين عناية ملحوظة بالصور المتحركة التي ترسم في نهاية المطاف مشهداً ماثلاً في مخيلة المتلقي.

وعصرية بدر وعاطفيته ورغبته في التنوع الإبداعي الثري عوامل دفعته إلى تجريب هذا النوع من التصوير طبعاً لا تكلفاً، وله من هذه الصور المتحركة نماذج طويلة وأخرى قصيرة، ولكنها في كلِّ تمثّل بحوية في مجموع شعره التصويري، وله من المقاطع قوله:^(٣)

رُحْمَاكَ بِالطَّائِرِ الظَّمَانِ فِي صَدْرِي	يَا رَبِّ رُحْمَاكَ بِي رُحْمَاكَ بِالشَّعْرِ
بِزورِقٍ عَبَّرَ أَيَّامِي يَهِيمُ فَلَا	يَهْوِي إِلَى القَاعِ أَوْ يَدْنُو مِنَ البَّرِّ
شِرَاعُهُ حَائِزٌ بَيْنَ الرِّيَاحِ فَلَا	يَدْرِي السَّبِيلَ وَلَا مَجْدَافُهُ يَدْرِي
رُبَانُهُ الوَاهِمُ المَسْحُورُ ضَلَّ وَكَمْ	مِنْ قَبْلِهِ ضَلَّ مَلَّاحُونَ فِي البَحْرِ

بصفتي متلقية فإنني أستحضر مشهد زورق الشاعر الهائم الذي لم يحسم مصيره بعد، فلا هو انطمر في القاع، ولا هو عرف طريقه إلى مرسى، وفي هذا الخضم من الحيرة والتذبذب يستسلم شراع الزورق للرياح دون توجيه، ويرخي العنان لها هو ومجدافه الذي لا يقل عنه حيرة، وكأنني ألحظ ربان الزورق التائه في عبابه وهو يضرب كفاً بكف، ويسلي نفسه بأن العباب قد طوى ملاحين غيره.

هذا المشهد المتحرك اكتسب حيويته من مفردات البلاغة، كالتشبيه والاستعارة، ولم يكن في مقدورهما وحدهما إضفاء هذه الحركية على المشهد لولا قدرة الشاعر على توظيف الحالة الشعورية في نسق متوالٍ منظم.

(١) يُنظر: طه وادي، *جماليات القصيدة المعاصرة*، (القاهرة: دار المعارف، ط: ٣، ١٩٩٤م)، ص. ٩٤.

(٢) يُنظر: الداية، مرجع سابق، ص. ١٠٢.

(٣) بدر، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ٤٩.

وفي المشاهد الحركية الأكثر طولاً يوظف بدر الخيال عن طريق المفردات البلاغية
بآلية الوصف والحوار، يقول: (١)

مرت شفتاي برفق
فوق وريقات الوردة
فاهترت.. نَدَّتْ عنها الآه
وهصرتُ العود الأملود المشدود إليّ
فمال علي وتمتم: يا الله
احفظ لي هذا البستاني..
أعده إليّ
فإني أودعتك إياه..
سبحتك..
وحدثك..
أشهد ألا معبود بحق إلا الله
فهمستُ وقد فاح العطر
بإحساس أدرك ما معناه ومغزاه..
نور قلبي..
نطق لساني:
ومحمدٌ المحبوب رسول الله

كمقطع سينمائي يمر هذا المشهد الذي يصف فيه الشاعر وردة من ورود بستانه،
ثم يتبادل وإياها نوعاً من الحوار الوجداني الممزوج بالتفكير، وملاحظ مدى تأثير الصور
الجزئية على متن الوصف والحوار معاً.
ويستحسن بدر أسلوب الحوار في إنشاء المشاهد الحيوية، وغالباً ما تكون مفردات

(١) بدير، مرجع سابق (ألوان من الحب)، ص. ٣٩.

الطبيعة مادةً لتصويره، يقول: (١)

لقد كان يوماً بارعَ الحُسنِ راقني
فسرثُ وتيداً أنشدُ العطرَ ذائباً
وحولي عصفيرٌ تُعَيِّ فأنثني
وهبَ نسيماً فانتحى كلُّ عاشقٍ
ويشكو له أشجانهُ ثم يئنثني
عدا بلبلٍ لم يلقَ في الروضِ حَبَّةً
ضياءً كَسَا أعطافهُ وتبسُّمُ
بأنسامِهِ السكرى العذابِ وأنهمُ
أرَدَّدُ ألحانَ الطيورِ وأنظُمُ
مِنَ الطيرِ بالمعشوقِ عُصناً يسلمُ
فيشبعُهُ لثماً وذو الشوقِ يَلثمُ
فأمسى يُداري ما يُداري ويكظُمُ

من الممكن مشاركة بدر الاندماج في ذلك المشهد، بدءاً من توصيفه ذلك اليوم البهي، وانطلاقاً بتجوله في المكان ناشداً الطمأنينة والهدوء، وانتهاءً بمشاهدته العصفير التي تناجي بعضها بلسان فهمه بدر، وبخاصة ذلك العصفور الذي لمح الشاعر في حركاته وسكناته ما يوحي بفقدانه شريكته.

من الواضح أن الصور المركبة أقدر من الصور الجزئية على جذب المتلقي، وإثارة انتباهه، وذلك أنها تجمع بين عناصر فنية مختلفة، لعل أهمها الصور البلاغية المفردة، وآلية الخيال، وأسلوب الحوار.

لقد بدا لي أن بدر بدير يستمد كثيراً من صورهِ من القرآن الكريم والحديث الشريف ورصين التراث، وهذا يؤكد أن رؤيته الدينية والأخلاقية حاضرة معه في البناء الشعري وليس فقط في المضامين، ولعل المتلقي الحصيف لحظ خلو نصوصه من المخالفات والمحاذير التي يقع فيها سائر الشعراء تساهلاً أو جهلاً، وهذا كله يؤكد أن توغل الحس الديني والأخلاقي في ذات الشاعر، ويبرهن على أنه يقول ويفعل، وصاحب رسالة لا يناقضها.

(١) بدر، مرجع سابق (لن يجف البحر)، ص. ٦١.

الختام:

- وبعد هذا التجوال على شعر بدر بدير في أفياء رؤاه الدينية والأخلاقية آن لي أن أتمس القبول، وأشير إلى أهم النتائج التي بدت لي أثناء الدراسة:
١. أن الشاعر بدر بدير يؤمن برؤاه الدينية والأخلاقية إيمان يقين لا إيمان تلقين، وهي رؤية صاحبه حتى في غزله، وفي علاقته بالمرأة.
 ٢. أن شعره يميل إلى النزعة الرومانسية المعتدلة التي لا تُعرق في الذات، ولا تنغلق على الوجدانيات انغلاق انفصام عن الواقع.
 ٣. اعتدال مسلكه الفني؛ إذ يجمع بين الأصالة والمعاصرة بلغة واضحة، ومعانٍ قريبة، وصور تستنطق التراث العربي الذي لا يخفى على متوسطي المتلقين.
 ٤. احتفاله بالمعنى في المقام الأول، وتوظيفه الألفاظ والصور لخدمة معانيه، ولا يعنيه في نظمه إلا أن يوصل ما يريد بأكبر قدر من الوضوح ثم الجمال.
 ٥. سلاسة شعره ووضوحه، وهذا أدعى للقبول والانتشار بين جماهير الناس، ولا سيما إن كان الشاعر يُعنى بالمضامين الاجتماعية، والمعاني الأخلاقية.
 ٦. توغل الرؤية الدينية في وجدان الشاعر توغلاً حقيقياً تمكن منه إلى حد بعيد، فمعظم تضميناته واستحضاراته دينية الطابع والمصدر.
 ٧. مع حرص الشاعر على جمالياته الشعرية تظهر له فلتات يقل فيها التوفيق، ويتجلى فيها التكلف والتقصير، ومن ذلك ما جاء في بعض تشبيهاته واستعاراته التي لم يحكم نسجها كما يجب.
 ٨. إثبات أن الشاعر صاحب هم ورسالة، وليس داعية ترف أدبي، أو رفاهية فكرية، وهذا ما اتضح في مضامين بدر التي لا تتصادم مع القيم، ولا تُنقّر منها.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

وإن ساغ لي أن أوصي فإني أوصي بجمع إبداع الشاعر رحمه الله في مجموعة واحدة، ففي مضامينها نفع للناشئة والباحثين، كما أوصي بدراسة شعره الاجتماعي دراسة مستقلة؛ إذ إن له فيه نصوصاً وافرة، ولا سيما في ديوانه الثالث ابتسامات باكية. وبقي لي أن أحمد الله على فضله؛ إذ أعانني على إنجاز بحث أحببته، وطالت صحبتي له، وأزعم أنني خرجت منه بما يضيف ويثري بإذن الله. وأسأل الله العون والسداد، وأصلي وأسلم على خير العباد، وعلى آله وصحبه الأجواد.

المصادر والمراجع:

أ. المصادر:

بدير، بدر. لن يجف البحر. الزقازيق: دار الأرقم، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
بدير، بدر. ألوان من الحب. الإسكندرية: دار الوفاء، صدر عن سلسلة أصوات
معاصرة، العدد: ٤٥، ١٩٩٩م.

ب. المراجع:

إبراهيم، سيّد. من أزهير الرياض: أحاديث من الأدب والنقد. دراسة بعنوان: الشعر
والاعتزاز. الرياض: النادي الأدبي بالرياض، ط ١، ٢٠٠٤م.
ابن أبي الأصبع، عبدالعظيم. تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز
القرآن. تحقيق: حفي شرف. القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،
١٩٦٣م.

ابن منظور، محمد. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط ٣، ١٤١٤هـ.
إسماعيل، عز الدين. الأسس الجمالية في النقد العربي. بيروت: دار الفكر العربي، ط
٣، ١٩٧٤م.

بن كلثوم، عمرو. ديوان عمرو بن كلثوم. تحقيق: د. إميل بديع يعقوب. بيروت: دار
الكتاب العربي، ط: ١، ١٤١١هـ.

بيلو، صالح آدم. من قضايا الأدب الإسلامي. جدة: دار المنارة، ط ١، ١٩٨٥م.
حسن، عبدالكريم. المنهج الموضوعي: نظرية وتطبيق. بيروت: المؤسسة العربية
للدراستات والنشر، ١٩٩٠م.

الداية، فايز. الصورة الفنية في الأدب العربي. دمشق: دار الفكر المعاصر، ط: ٢،
١٤١١هـ.

الرباعي، عبدالقادر. الصورة الفنية في النقد الشعري. الرياض: دار العلوم للطباعة
والنشر، ط: ١، ١٤٠٥هـ.

الرؤية الدينية في شعر بدر بدير، د. أماني بنت محمد بن عبدالعزيز الشيبان

- زايد، علي عشري. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.
- زهران، حامد عبدالسلام. علم النفس الاجتماعي. القاهرة: عالم الكتب، ط ٤، ١٩٧٧م.
- سالم، عبدالرشيد عبدالعزيز. شعر الرثاء العربي. الكويت: وكالة المطبوعات، ط ١، ١٩٨٢م.
- السجستاني، أبو داود. سنن أبي داود. تحقيق: محمد عوامة، بيروت: مؤسسة الريان، ط: ١، ١٤١٩هـ.
- سوييف، مصطفى. الأسس النفسية للإبداع النفسي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥١م.
- شاخت، ريتشارد. الاغتراب. ترجمة: كامل يوسف حسين. ط ١، ١٩٨٠م.
- شوقي، أحمد. الشوقيات. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- صالح، بشرى موسى. الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث. بيروت: المركز الثقافي العربي، ط: ١، ١٩٩٤م.
- طه، نعمان محمد أمين. السخرية في الأدب العربي. القاهرة: دار التوفيقية، ط ١، ١٣٩٨هـ.
- عزام، محمد. المنهج الموضوعي في النقد الأدبي. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط ١، ١٩٩٩م.
- العلاق، علي جعفر. في حداثة النص الشعري: دراسة نقدية. عمان: دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٣م.
- علوش، سعيد. النقد الموضوعاتي. الرباط: شركة بابل، ط ١، ١٩٨٩م.
- القزويني، محمد الخطيب. الإيضاح لتلخيص علوم المفتاح. القاهرة: مكتبة الآداب، ط ٧، ١٤١٠هـ، (مطبوع مع بغية الإيضاح لعبدالمتعال الصعيدي).
- القط، عبدالقادر. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر. بيروت: دار النهضة العربية، ط ٢، ١٤٠١هـ.

- كسبر، محمد والورقي، السعيد. في علم اجتماع الأدب. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥ م.
- لحمداني، حميد. سحر الموضوع: عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر. فاس: مطبعة آتفو، ط ٢، ٢٠١٤ م.
- محمد، حسين علي. شعر بدر بدير: دراسة موضوعية وفنية. الإسكندرية: دار الوفاء، صدر عن سلسلة (أصوات معاصرة) العدد: ٦٣، ٢٠٠٠ م.
- مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٦ م.
- الميمني، عبدالعزيز. فائت شعر أبي العلاء. ضمن كتاب بحوث وتحقيقات، نشرها: محمد عزيز شمس، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط: ١، ١٩٩٥ م.
- ناصر، مصطفى. الصورة الأدبية. القاهرة: دار الأندلس للطباعة والنشر، ط: ٢، ١٤٠١ هـ.
- النووي، محيي الدين. شرح صحيح مسلم. مراجعة: خليل الميس. بيروت: دار القلم، ط ١، د. ت.
- هلال، محمد غنيمي. النقد الأدبي الحديث. القاهرة: دار نضمة مصر، ١٩٩٦ م.
- هلال، محمد غنيمي. دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده. القاهرة: دار نضمة مصر، ط ١، د. ت.
- هويدي، أمين. أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ وعلى حرب الاستنزاف. بيروت: دار الطليعة، ط ١، ١٩٧٥ م.
- هيدجر، مارتن. في الفلسفة والشعر. ترجمة: عثمان أمين. القاهرة: الدار القومية، ١٩٦٣ م.
- وادي، طه. جماليات القصيدة المعاصرة. القاهرة: دار المعارف، ط: ٣، ١٩٩٤ م.

Bibliography

A. Sources

- Budair, Badr (1414 AH-1993), "The Sea will not Dry Up", (in Arabic) Zagazig: Dar Al-Arqam, 1st Edition 1.
Budair, Badr, (1999 A.H.), "Colors of love", (in Arabic) Alexandria: Dar Al-Wafa, issued by the Contemporary Voices series, Issue: 45.

B. References

- Ibrahim, Sayyid, (2004), "From the Flowers of Riyadh: Hadiths from Literature and Criticism", A study entitled: Poetry and Alienation, (in Arabic) Riyadh: Literary Club in Riyadh, 1st Edition.
Ibn Abi Al-Uṣbu', 'Abd al-'Azim, (1963), "Tahrir Al-Tahbir Fi Ṣinā'at Al-Sh'ar wa al-Nathr wa Bayān I'jāz Al-Qur'ān", investigated by: Hefni Sharaf. Cairo: The Supreme Council for Islamic Affairs.
Ibn Manzour, Muhammad, (1414 AH), "Lisān Al-'Arab", Beirut: Dār Sādir, 3rd edition.
Ismail, 'Izz al-Dīn, (1974), "Aesthetic Foundations in Arabic criticism", (in Arabic) Beirut: Dār al-Fikr al-'Arabi, 3rd edition.
Bin Kulthum, 'Amr, (1411 AH), "Diwān 'Amr Ibn Kulthum", investigated by: Dr. Emile Badi' Yacoub. Beirut: Dār al-Kitab al-Arabi, 1st edition.
Bello, Saleh Adam, (1985), "Issues of Islamic Literature", (in Arabic) Jeddah: Dār Al-Manāra, 1st Edition.
Hassan, 'Abd al-Karīm, (1990), "The Objective Approach: Theory And Application", (in Arabic) Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing.
Dāya, Fāyiz, (1411 AH), "Artistic Image in Arabic literature", Damascus: Dār Al-Fikr Al-Mu'āsir, 2nd edition.
Al-Rubā'ī, 'Abd al-Qādir, (1405 AH), "The artistic Image in Poetic Criticism", (in Arabic) Riyadh: Dār Al-'Uloum for Printing and Publishing, 1st edition.
Zayed, 'Ali 'Ashry, (1977), "Remembering Traditional Personalities In Contemporary Arabic Poetry", (in Arabic) Cairo: Dār Al-Fikr Al-'Arabi.
Zahraṅ, Hamid 'Abd al-Salām, (1977), "Social Psychology", Cairo: 'Ālam al-Kutub, 4th edition.
Sālim, 'Abd al-Rashid 'Abd al-'Aziz, (1982), "Arabic Lamentation Poetry", (in Arabic) Kuwait: Publications Agency, 1st Edition.
Al-Sijistānī, Abu Dawoud, (1419 A.H.), "Sunan Abi Dawood" Investigated by: Muhammad 'Awāmah, Beirut: Al-Rayyan Institution, 1st edition.
Suwaif, Mustafa, (1951), "Psychological Foundations of Psychological Creativity", (in Arabic) Cairo: Dār Al Ma'ārif.
Schacht, Richard (1980), "Alienation" Translated by: Kamel Yusuf Hussein, 1st edition.
Shawky, Ahmad, "Al-Shawqiyāt", Beirut: Dār al-Kutub al-Ilmiyya.
Saleh, Bushra Mousa, (1994), "The poetic Image in Modern Arab criticism", (in Arabic) Beirut: The Arab Cultural Center, 1st edition.

- Taha, Nu'mān Muhammad Amin, (1398 AH), "Irony in Arabic literature", (in Arabic), Cairo: Dār Al-Tawfiqiya, 1st Edition.
- 'Izām, Muhammad, (1999), "The Objective Method in Literary Criticism", (in Arabic) Damascus: Arab Writers Union Publications, 1ST Edition.
- 'Allāq, 'Ali Ja'far, (2003), "In the Modernity of the Poetic Text: a Critical Study", (in Arabic) Oman: Dār Al-Shorouk, 1st Edition.
- 'Alloush, Sa'eed, (1989), "Thematic Criticism", Rabat: Babel Company, 1st Edition.
- Al-Qazwīnī, Muhammad Al-Khatīb, (1410 A.H.), "Al-'Īdāḥ Li Talkhīs 'Uloum Al-Miftāḥ", Cairo: Al-Adab Library, 7th edition.
- Al-Qit, 'Abd al-Qādir, (1401 AH), "The Emotional Trend in Contemporary Arabic Poetry", (in Arabic) Beirut: Dār Al-Nahda Al-'Arabiya, 2nd Edition.
- Kasper, Muhammad & Al-Warqi, Al-Sa'eed, (1995), "In the Sociology of Literature", (in Arabic) Alexandria: Dār Al-Ma'rafa Al-Jamiah.
- Lhamdānī, Hamid, (2014), "The Magic of the Subject: On Thematic Criticism in Novel and Poetry", (in Arabic) Fez: Atfo Press, 2nd Edition.
- Muhammad, Hussain 'Ali, (2000), "Badr Budair's Poetry: An Objective and Technical Study", Alexandria: Dār Al-Wafā, published in the series (Contemporary Voices), 63RD edition.
- Matloub, Ahmad, (1986), "A dictionary of Rhetorical Terms and Their Development", (in Arabic) Baghdad: Iraqi Scientific Academy Press.
- Maimani, Abdulaziz, (1995 AD), " Fayt Shaer 'Abi Aleala" (In Arabic), Within the Book of Research and Investigations, published by: Muhammad Uzair Shams, Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 1st printing.
- Nāsif, Mustafa, (1401 AH), "Literary Image", (in Arabic) Cairo: Dār Al-Andalus for Printing and Publishing, 2nd Edition.
- Al-Nawawi, Muhyi al-Dīn, "Sharḥ Ṣāḥih Muslim", Reviewed by: Khalil Al-Mays. Beirut: Dār Al-Qalam, 1st Edition.
- Hilal, Muhammad Ghunaimi, (1996), "Modern Literary Criticism", (in Arabic) Cairo: Dār Nahdat Masr.
- Hilal, Muhammad Ghunaimi, "Studies And Models in The Doctrines of Poetry and Criticism", (in Arabic) Cairo: Dār Nahdat Misr, 1st Edition.
- Huweidi, Amin, (1975), "Lights on the Causes of the 1967 Setback and the War of Attrition", (in Arabic) Beirut: Dār Al-Talī'ah, 1st Edition.
- Heidegger, Martin, (1963), "In Philosophy and Poetry", Translation: Osman Amin. Cairo: Al-Dār Al-Qawmiyah.
- Wādī, Taha, (1994), "The Aesthetics of Contemporary Poetry", Cairo: Dār Al-Ma'ārif, 3rd edition.

الجسد: الصورة والدلالة (الأمثال العربية القديمة نموذجاً)

The body: the mage and the indication
(The old Arabic proverbs: an example)

د. مطير بن سعيد الزهراني

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بجامعة الباحة

البريد الإلكتروني: msa.zhrani@gmail.com

المستخلص

يتناول هذا البحث قضية الجسد: الصورة والدلالة، في جنس مهم من الأجناس الأدبية المعروفة قديمًا، وهي الأمثال العربية، حيث بدأ البحث بمقدمة، بيّن فيها أهمية الجسد وحضوره في تراثنا الأدبي القديم؛ لما يملكه من خصائص جمالية، فهو المبين من غير لغة، والقادح في أخيلة المبدعين صورًا جميلة عذبة.

ثم تفرع البحث إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول: لغة الجسد (المفهوم والدلالة)، جاء مبيّنًا لمفهوم لغة الجسد ودلالاتها، تلك اللغة التي تحتاج إلى فك رموزها من خلال معرفة علاقات الجسد بذاته وبكونه، سواء كان ذلك الكون قريبًا، كعلاقاته بأشيائه المحيطة به، التي تمنحه واجهته وشكله، أو بعيدًا، كعلاقاته بموضوعات العالم الذي يتحرك فيه، ويتداخل ضمنها.

والمبحث الثاني: الجسد وسلطة الأشكال، فالجسد دال باعتباره موضوعًا، ويدلُّ باعتباره حجمًا إنسانيًا، ويدلُّ باعتباره شكلاً، والعرب لم يحرصوا اهتمامهم بالجسد في بعده الدّاخلي، بل تطوّر إلى خارجه، فاهتموا بالشكل والمظهر، وشكّلوا جوانب قيّمة في التعامل مع تلك الأجساد.

والمبحث الثالث: دلالات الجسد الإيحائية، حيث استلهمت الأمثال أعضاء الجسد المختلفة من حيث موقعها، وهيأتها، وألوانها، وقيمتها وظائفها الحيوية، وبمعنى آخر فقد أصبح الجسد يشغل مجاله في الوجود، إن لم يكن هو عين الوجود، ويشمل هذا المبحث: دلالات لغة الرأس، ودلالة لغة العين، ودلالة لغة الفم واللسان وأعضاء أخرى وكذلك لغة الهيئة والمظهر.

الكلمات المفتاحية: الجسد. الصورة. الدلالة. الأمثال.

Abstract:

This research deals with the issue of the body: the image and the indication, as one important type of the ancient known literary types, which is the Arab proverbs. The article began with an introduction, in which the author explained the importance of the body and its presence in our ancient literary heritage; as it possesses aesthetic characteristics, which is shown without language, and which throws beautiful images in the imagination of the creators.

Then the research was divided into three chapters, the first chapter: body language (concept and significance), it came to explain the concept of body language and its indications, that language that needs to be deciphered by knowing the relationships of the body with itself and its being, whether that universe is close, such as its relationships with its surroundings, that gives it its face and form, or far away, as its relations with the themes of the world in which it moves, and overlaps within them.

The second chapter: the body and the power of forms. The body is indicative as a subject, and indicates as a human size, and indicates as a form. The Arabs did not confine their interest to the body in its internal dimension, but rather developed outwardly, thus; they paid attention to the form and appearance, and formed valuable aspects in dealing with those bodies.

The third chapter: the inspirational indications of the body, where the proverbs were inspired by the different organs of the body in terms of their location, shape, colors, the value of their vital functions and the significance of the language of the eyes, the language of the mouth, the tongue and other organs, as well as the language of the body and appearance.

Keywords: the body. the image. the indication. the proverbs.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، أما بعد،

يأتي التعبير بطرق شتى، ولكنه بشكل أساسي يعتمد على طريقتين: الكلمة والحال، والثانية لا تقل أهمية عن الأولى، ولذلك يعد الكون كتابًا صامتًا، والإنسان بروحه وجسده جزء من هذا الكون، ويعد جسده " بمثابة اللافتة الخارجية للشخصية، وله أهمية خاصة على الأقل بالنسبة للشخص نفسه" (١).

والجسد هو التعبير الحق للوجود؛ حيث إنه الوعاء الذي يضم العقل والروح معًا، وهو الأداة والوسيلة التي يحقق بها الإنسان وظيفته، ويؤدي رسالته، فبه يؤدي الشعائر الدينية، وبه يحقق التحصيل العلمي، وبه ينتج الفكر والإبداع، وبه يمارس الحياة، ويستمتع بها، فمن خلال حركته وأفعاله ووعيه وحضوره تتشكل الحياة.

ومن هنا كان لجسد الإنسان حضورًا كبيرًا في تراثنا الأدبي القديم؛ لما يملكه من خصائص جمالية، ومزايا كمالية، فهو المبين من غير لغة، الذي يقدر في أخيلة المبدعين صورًا جميلة عذبة... ولذلك فقد أدرك النقاد القدامى أهمية دلالات الجسد وأعضائه، فأولوها اهتمامًا كبيرًا، ومن أبرز أولئك الجاحظ، الذي أشار إلى أنواع الدلالات، ومن أهمها كما عدها دلالتان: الإشارة والحال أو النصبية - كما يسميها -، فالإشارة لديه " فباليد، والرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب، إذا تباعد الشخصان... " (٢)، وأما النصبية فهي: " الحال الناطقة بغير اللفظ والمشييرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان

(١) عبدالسلام حامد زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ص ١٣٥.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٥،

١٤٠٥هـ، ج ١ ص ٧٦.

الناطق ، فالصامت ناطق من جهة الدلالة ، والعجماء معربة من جهة البرهان" (١). ولما كان الجسد حاضرًا في مدونة الأمثال بشكل لافت للنظر، رأى البحث رغبًا أن يطرق هذا الموضوع الجديد، ويقدم شيئًا من الإضافة العلمية التي تستحق أن تضاف إلى المكتبة العربية التي تعاني نقصًا في مثل هذه الدوائر البحثية، خاصة تلك التي تتعلق بعملية التواصل غير اللفظية كمثل التي تعنى بالحال والإشارة، ويحاول البحث أن يسلط الضوء على دور اللغة الجسدية وإيماءاتها في إيصال رسائلها إلى المتلقين.

أهداف البحث:

ويهدف البحث إلى التعرف على صور الجسد ودلالاته في الأمثال العربية، وما تسهم به تلك الصور والدلالات في إنتاج المعنى، ومحاوله فهم أكبر للجسد، وتحديد أشكاله، ووجوده، وتحليلاته، في المدونة المَثَلِيَّة.

أسئلة البحث:

ويسعى البحث للإجابة على مجموعة من الأسئلة من مثل: ما الأنماط الجسدية التي جاءت في مدونة الأمثال؟ وما وجوه لغة الجسد في الأمثال العربية؟ وما أهم دلالات تلك اللغات والأنماط؟ وهل يمكن تصور الجسد خارج إطار الأشكال التي تخبر عنه كالملابس والأصوات وغيرها...؟

خلفية البحث:

ولأن حضور الجسد في الدرس العربي المعاصر ليس بالحضور المأمول، حيث نجد بعض الدراسات الأدبية- التي لا تشفي غليلًا - هنا وهناك - تناولت هذا الجانب، ومن تلك الدراسات:

- (المكان والجسد والقصيدة- المواجهة وتحليلات الذات) لفاطمة الوهبي.
- (الجسد والنص والتأويل) لفريد الزّاهي.
- الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم لأحمد محمد الأمين موسى.
- البيان بلا لسان لمهدي عرار

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ ص ٧٥-٨٣.

الجسد: الصورة والدلالة - (الأمثال العربية القديمة نموذجًا)، د. مطير بن سعيد الزهراني

- وبعض البحوث القصيرة التي تحدثت على استحياء عن الجسد في الشعر أو النثر. كما أنني لم أجد دراسة أو بحثًا في مدونة الأمثال العربية عن هذا الجانب في كل الدراسات التي أجريت حول الأمثال العربية القديمة.

منهج البحث:

ويعتمد هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث سيقوم باستقراء الأمثال العربية في مظانها، ورصد كل الأمثال التي أشارت إلى الجسد أو أحد أعضائه، وسيعى بشكل مماثل لكل متعلقات المثل، أقصد مورد المثل ومضربه.

تقسيمات البحث: وقد قسم هذا البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: لغة الجسد (المفهوم والدلالة).

المبحث الثاني: الجسد في الأمثال العربية القديمة (دلالة المخبر) سلطة الأشكال.

المبحث الثالث: دلالات الجسد في الأمثال العربية القديمة الإيحائية، ويشمل:

١. دلالات لغة الرأس:

٢. دلالة لغة العين.

٣. دلالة لغة الفم واللسان

٤. أعضاء أخرى.

٥. لغة الهيئة والمظهر

والخاتمة: رصدت فيها أهم ما وصل إليه البحث من نتائج.

المبحث الأول: لغة الجسد (المفهوم والدلالة):

لغة الجسد: رسائل شعورية، أو لا شعورية، تنطلق من جسد الإنسان؛ لإيصال مفاهيم، أو رسائل معينة للآخر، فهي تمثل جانب الاتصال الصامت، أو الاتصال غير اللفظي الذي قد يتم بصورة منفصلة عن الكلام، أو بصورة مصاحبة له؛ لتؤكد، وتتألف لغة الجسد من الإيماءات والحركات غير اللفظية، وتظهر وسائل الاتصال غير اللفظي عبر سلوك العين، وتعبيرات الوجه، والإيماءات - وهي لغة ما قبل اللفظ، وتبدأ منذ الولادة وفي السنوات الأولى من الحياة، وتعد من أهم معاني التعبيرات - وحركات الجسد، وهيئته، وأوضاعه، والشم، واللمس والذوق، والمسافة، والمظهر، والصوت والوقت، ومفهوم الزمن، وترتيب البيئة الطبيعية والاصطناعية^(١)، وفي مجملها تتعلق بالمشاعر وردات الفعل تجاه الأفكار والمواقف، كما لا يمكن السيطرة عليها، كما في التعبيرات اللفظية، فهي تكشف المشاعر الحقيقية، وليس من السهل تزيفها؛ فما هي إلا انعكاس ظاهري لحالة الشخص العاطفية.

كما إن دلالات لغة الجسد كغيرها من الدلالات، نحسب المعنى فيها قريباً، لكنه يظل مستعصياً متوارياً، يحتاج إلى مزيد من الدراسة، وإمعان النظر؛ إذ إنه غاية في التعقيد، تحتاج إلى فك رموزها من خلال معرفة علاقاته بذاته وبكونه، سواء كان ذلك الكون قريباً، أو بعيداً، وتمثل "علاقاته بكونه القريب في أشيائه المحيطة به، والتي تمنحه واجهته وشكله، أمّا علاقاته بكونه البعيد فتتجسد في موضوعات العالم الذي يتحرك فيه، ويتداخل ضمنها"^(٢)، بمعنى آخر هي "صناعة هوية الجسد كعنصر يخبر عن انتماء جغرافي، أو فئوي أو طبقي، وما يلحق بذلك الانتماء من متلازمات أخرى كاللباس والصوت، والتي تمثل دلالات أصيلة تعد المدخل الرئيس للكشف عن

(١) ينظر: محمد الأمين موسى أحمد، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٤٠.

(٢) سعيد بنكراد، الجسد واللغة وسلطة الأشكال، المغرب، مجلة علامات، ع ٤٤، ١٩٩٥م، ص ٥٠.

الهوية الثقافية للجسد ولذات الجسد" (١).

أما علاقات دلالات الجسد بذاته، فتعدُّ مدخلاً قائماً بذاته، مدخلاً لقراءته، ولاقتحام مجاهيله، وتشكل تلك العلاقة من خلال العودة إلى " الأجزاء الداخلية للجسد؛ ليتبين الدلالة الكلية؛ لأن الجسد- أساساً- متحرك، ومتغير، ومتبدل؛ لأنه يخلق من نفسه أشكالاً، ويخلق من الأشكال أشكالاً، وهو في كل هذا لا يصل إلى غاياته إلا من خلال عناصره وأشكال تحفته" (٢)، فلشكل الجسد أثر في تكوين صورة ذهنية، ورأي مسبق عنه، فكل إيماء وحركة من أطراف الإنسان تشكل لغة بحد ذاتها، ويكفي أن تراقب شخصاً ما، لتفهم من حركات جسده ما يريد أن يقول، وتعرف من طريقة جلوسه، وملامح وجهه حالته النفسية، فهي لغة سامية تحقق الكثير من التجاوب بين الناس (٣).

وللغة الجسد أهمية قصوى في التواصل الإنساني؛ حيث تتعدى دلالاتها الطبيعية إلى دلالات تاريخية وثقافية، كما أنها أساسية وجوهرية في توصيل المعلومة، أو ما يدور في خلجات النفس الإنسانية، ف" لا يقتصر نقل الأفكار والمعاني على استخدام الكلمات المقروءة، أو المنطوقة، بل هناك وسائل أخرى يتم من خلالها الاتصال، وتكاد تكون أكبر من تلك التي نتبادلها من خلال الاتصال اللفظي، وفي الحقيقة فإننا غالباً ما ننقل رسائل غير لفظية، وتكون- غالباً- من طابع المشاعر والأحاسيس والعواطف، بينما يكون الاتصال اللفظي في الغالب للتعبير عن الأفكار وتبادل المعارف" (٤).

ومن دلالات لغة الجسد: أنها تعبر عن معلومات وجدانية، فيمكن من خلالها

(١) سعيد بنكراد، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) محمد يونس، سيكولوجيا الدافعية والانفعالات، عمان، الأردن، دار المسيرة، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٣٤٠.

(٤) نضال عياش، الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق، فلسطين، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١١٩.

إيصال الحب والبغض والكره، والدهشة، والموافقة، كما تنطوي على معلومات متصلة بمضمون الرسالة اللفظية، فهو يمدنا بأدوات لتفسير الكلمات، وينطبق ذلك على نبرة الصوت مثلاً، فضلاً عن أنها توفر المعلومات التي تفيد في فهم طبيعة العلاقة بين الأطراف المشتركة في عملية الاتصال^(١).

ومن أولئك الذين اهتموا بدلالة لغة الجسد: الجاحظ، فقد أشار إليها حين تحدّث عن أنواع الدلالات عند العرب، فقال: " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظٍ وغير لفظٍ، خمسة أشياء لا تنقص، ولا تزيد: أولها: اللفظ، ثمّ الإشارة، ثمّ العقد، ثمّ الخط، ثمّ الحال التي تسمّى نصة، والنصة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحدٍ من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثمّ عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقذارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السارّ والضّار، وعمّا يكون منها لغواً بهرجاً، وساقطاً مطرّاً"^(٢).

وقد أتى الجاحظ بأمثلة؛ بغية التوضيح والإفهام قال: " قال الأول: سل الأرض، فقل: من شئق أثمارك، وعرس أشجارك، وجنى ثمارك، أجايتك اعتباراً"^(٣). ولعلّ القارئ يتساءل أين موقع الجسد الذي تتحدث عنه؟ والإجابة تأتي من كلام الجاحظ حين قال: " وقال خطيب من الخطباء، حين قام على سرير الإسكندر وهو ميت: الإسكندر كان أمس أنطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس"^(٤). والحق أنّ الإنسان بكلّ طاقاته وحمولاته الجسدية، وأفكاره وتعاملاته وعلاقاته،

(١) أسامة جميل عبد الغني، لغة الجسد في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، كلية الدراسات

العلية، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٠م، ص ٢٢.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ ص ٧٦.

(٣) المرجع نفسه، ج ١ ص ٧٦.

(٤) المرجع نفسه، ج ١ ص ٧٦.

الجسد: الصورة والدلالة - (الأمثال العربية القديمة نموذجًا)، د. مطير بن سعيد الزهراني

يدور في كونٍ أكبر هو جزء لا يتجزأ منه، ولا ينفصل عنه، ينطلق منه وإليه، يدل في كل حركة من حركاته، وفي كل سلوكياته على معنى، " ومتى دلَّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه، وإن كان صامتًا، وأشار إليه وإن كان ساكنًا"^(١).

مما تقدم يتضح أن لغة الجسد ذات أهمية كبيرة في عملية التواصل؛ إذ بها تكتمل العملية التواصلية؛ لما تؤديه من دور فعال في الإفهام والإفصاح والمصادقية والتأثير.

(١) المرجع نفسه، ج ١ ص ٨١: ٨٢.

المبحث الثاني: سلطة الشكل (الجسد دلالة المخبر):

لم ينحصر اهتمام العرب بالجسد في بعده الداخلي، بل تطوّر إلى خارجه، فاهتموا بالشكل والمظهر، وشكّلوا جوانب قيمة في التعامل مع تلك الأجساد، فمنهم من أثنى على البعد الخارجي، وجعله مدار الحركة والقبول، باعتبار أن "الجسد واقعة اجتماعية، ومن ثم فهو واقعة دالة، إنّه يدلُّ باعتباره موضوعًا، ويدلُّ باعتباره حجمًا إنسانيًا، ويدلُّ باعتباره شكلاً"^(١)، ومنهم من رفضه، وجعله غير دال على الجوهر الثمين الداخلي. وقد ترجمت الأمثال العربية هذين الاتجاهين:

١. شكل الجسد ينبئ عن مخبره:

أوردت مدونة الأمثال أحكامًا تدلُّ على الارتباط الحقيقي بين المظهر والمخبر، بين الفعل الجسدي، والشكل الخارجي، وهو ما يؤكّد سلطة الشكل، ومنها: "لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ حَدَمِ الْفُؤَادِ"^(٢)، فللسان هنا سلطة تنبئ وتظهر ما يضمّره الإنسان طيّ فؤاده من مشاعر مختلفة، حبًا وبغضًا، ولا غرو فإنّ في اللسان وكثرة ولعه بالشيء لشاهدًا عدلًا لا ترد شهادته، وكما أنّ اللسان من خدمة القلب، فالعين كذلك خادم من خدمته، وشاهد عدلٌ على ما يضمّره: "وَكَيْفَ جُحُودُ الْقَلْبِ وَالْعَيْنُ تَشْهَدُ"^(٣)، أي كيف يستطيع الإنسان أن يخفي جحود قلبه، وعينه فاضحة لما يضمّره!؟:

تَفَقَّدَ مَسَاقِطَ حُظِّ الْمُرَيْبِ فَإِنَّ الْعُيُونَ وَجُوهُ الْقُلُوبِ

(١) سعيد بن كراد، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢) عجز بيت قاله: أبو تمام، صدره: وممّا كانت الحكماء قالت، ينظر: الميداني، مجمع الأمثال،

ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠١١م، ج ٢ ص ٢٥٧.

(٣) قاله أبو عبيدة المهلي: مروان بن سعيد المهلي شاعر من أهل البصرة، كان حاذقًا بالنحو،

وله مناقضات مع ابنه عبد الله بن محمد بن أبي عبيدة، ينظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء،

ت: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ط ٣، ص ٢٨٨.

وَطَالَعَ بَوَادِرَهُ فِي الْكَلَامِ فَإِنَّكَ تَجْنِي ثَمَارَ الْغُيُوبِ^(١)

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَلَوْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمَ^(٢)

أي تظهر من خلال جوارحه، مهما بالغ في إخفائها، حتى قيل: من كتم خليقته، فستظهر عند الناس، أي بجوارحه. ومن الأمثال التي تؤكد سلطة الشكل ودلالته على المخبر: "اطْلُبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حَسَنِ الْوَجْهِ"^(٣)، أي فاطلبوا الخير عند الوجوه الطلقة المستبشرة، فإنَّ الوجه الجميل مظنة الفعل الجميل، وبين الخلق والخلق تناسب قريب "فإنَّه قلَّ صورة حسنة يتبعها نفس رديئة، وطلاقة الوجه عنوان ما في النفس، وليس في الأرض من قبيح إلا وجهه أحسن ما فيه"^(٤):

دَلَّ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَجْهِهِ بُورِكَ هَذَا هَادِيًا مِنْ دَلِيلِ^(٥)

فطلاقة الوجه، وتخلله عند تعرض السائل له، وفرحه وبشاشته به من دلائل كرم أصله، ومن الأمثال التي تؤكد سلطة الجسد: "الْوَسَامَةُ سِمَةٌ الْخَيْرِ وَالذَّمَامَةُ عُنْوَانُ

(١) نسبهما الثعالبي لابن المعتز، ولكني لم أعثر عليهما في ديوانه، ينظر: الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ت: عبد الفتاح محمد الحلوة، القاهرة، الدار العربية للكتاب، ط ١، ١٩٨١م، ص ١٠١.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، ينظر: زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٨، ص ١١١. وينظر: أبو = العباس ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص ٥١.

(٣) من أقوال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ينظر: الأصبهاني، أمثال الحديث، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، بومباي، الهند، الدار السلفية، ط ٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م، ص ١٠٦، والثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص ٤٦.

(٤) ابن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط ١، ١٣٥٦هـ، ص ٥٤٠.

(٥) من أقوال الخنساء، ينظر: الخنساء، الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٤، ص ٩٦.

الشَّرِّ"^(١)، فأخلق بمن كان وجهه دميماً، أن يكون فعله ذميماً ومن كان وجهه وضياً، أن يكون فعله رضياً، ولا غرو، ف: "الْوَجْهَ الْحَسَنُ رَاحَةَ الرُّوحِ، وَمَادَّةُ الرُّوحِ"^(٢)، فأحسن الوجوه، ما تأخذه العين، ويقبله القلب، وترتاح له الروح، كل هذا يؤكد سلطة الجسد، فالجسد عنوان المخبر.

٢. شكل الجسد غير دال على الجوهر:

فهو اتجاه يرفض سلطة الشكل، فقد لا تكون الأجساد دائماً تعبر عن أحوال أصحابها، فالرجل قد يكون ذا منظر ولا خير عنده، {وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة} (المنافقون: ٤) أو يكون ذا خير ولا منظر له، ومن أمثالهم في ذلك: "تَرَى الْفُتَيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ"^(٣)، "وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الْوَصْلِ وَلَكِنْ يَعْرِفُ الْفَضْلُ"^(٤).

أي ترى أجساداً ضخمة ولا ترى محصولهم، يضرب لذي المنظر ولا خير عنده، وأول من قال هذا عَنَّمَا بنت مطرود البجليّة، وكانت ذات عقل ورأي مسموع في قومها، وكانت لها أخت يقال لها خَوْد، وكانت ذات جمال وعقل، وإن سبعة أخوة من بني مالك بن علقمة من بني غامد بطن (من الأزد) وكلهم وسيم جميل خطبوا خوداً إلى أبيها، أتوه وعليه الحلل اليمانيّة، وتحتهم النجائب، فدخل على ابنته، فقال: ما ترين؟ فقد أتاك هؤلاء القوم خاطبين، فقالت أنكحني على قدري، ولا تشطط في مهري، فخرج أبوها، فقال: أخبروني عن أفضلكم، فعددت ربتهم صفاتهم، فشاورت أختها غثمة فيهم، فقالت: ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدخل، وقالت:

(١) الثعالبي، المبهج، ت: إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٠هـ/

١٩٩٩م. ص ١٠٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٦.

(٣) ابن سلام، كتاب الأمثال، ت: عبد المجيد قطامش، دمشق، دار المأمون للتراث، ط ١،

١٤٠٠هـ، ١٩٨٠، ص ١٣٠.

(٤) الجاحظ، الرسائل، ت: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ/

١٩٦٤م، ج ٢، ص ٣٦٣.

اسمعي مني كلمة: إنَّ شرَّ الغريبة يعلن، وخيرها يدفن، أنكحي في قومك، ولا تعرِّك الأجساد، فلم تقبل منها، ونكحت أحدهم يسمى مدرِّكًا، فلم تلبث عنده إلا قليلاً؛ لسوء خلقه، فعادت إلى بيت أبيها، وبكت بكاءً شديداً، فقيل لها: ما يبكيك؟ أعلى فراق زوجك؟ قالت: قبحه الله جمالا لا نفع معه، إنما أبكي على عصياني أختي، وقولها: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل، وأخبرتكم كيف خطبوها، فقال رجل يكنى أبا نواس، شاب أسود أفوه مضرب الخلق: أترضين بي على أن أمنعك من ذئاب العرب، فقالت لأصحابه: أكذلك هو؟ قالوا: نعم، إنه مع ما ترين لمنيع الحليلة، وتنقيه القبيلة، قالت أجمل جمال، وأكمل كمال، قد رضيت به فزوجوها إيَّاه^(١)، فالمثل وأصله يدلُّ دلالة قاطعة على أن لا علاقة بين الشكل الخارجي والمخير، فقبحه الله جمالا لا نفع فيه، أما هذا الأسود الأفوه المضطرب الخلق، فبصفاته وخلاله أجمل جمال، وأكمل كمال، إنَّ السلطة التي مثلتها أجسام هؤلاء الخاطبين أمام باب خود، وما يتمتعون به من عظم في الجسوم، ووسامة في الوجوه، استطاعت أن تؤثر فيها، وتجعلها تنساق وراءها، وتتقبَّل فكرة الزواج من أحدهم، وأغفلت النصائح التي قدمتها أختها لها؛ اغترارًا بسلطة الجسد، دون الاختبار الحقيقي؛ ولذا كانت المحصلة الندم؛ مما جعلها تتجه إلى الجسد المضاد الذي يختلف عن وصف تلك الأجساد في اللون والخلقة والهيمية، لكنه مختلف في الفعال، فقبلت به زوجًا.

هذا مثلهم في ذي المنظر ولا خير عنده، فأما مثلهم في ذي الخبر، ولا منظر له، فقولهم: "أنكحيني وانظري"^(٢)، قاله رجل دميم لامرأة، أي أن لي خبراً محموداً، وإن لم يكن لي منظر، فانكحيني، وستري ما يسرُّك من خلال، وروي: أنَّ عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، دخل على الحجاج، فقال له الحجاج: إنَّك لمنظرائي، فقال عبد

(١) ينظر: المفضل بن سلمة، الفاخر، ت: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار،

دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلي، ط ١، ١٣٨٠هـ، ص ١٥٦.

(٢) ابن سلام، مرجع سابق، ص ١٣.

الرحمن: نعم، أيها الأمير، ومخبراني^(١).

ومن الأمثال التي ترفض الشكل وسلطته-أيضاً- و تؤكد أن ملامح الجسد لا تنبئ عن الجوهر: "جَاوِرِينَا وَأَخْبِرِينَا"^(٢)، وأصل هذا المثل: كان رجلان يتعشّقان امرأة، وكان أحدهما جميلاً وسيماً، وكان الآخر دميماً، تقتحمه العين، فكان الجميل منهما يقول: عاشرينا وانظري إلينا، وكان الدميم يقول: جاورينا وأخبرينا، فكانت تدني الجميل، وقالت: لأختبرنهما، فطلبت من كل واحد منهما أن ينحر جزوراً، فأنتهما متنكرة، فبدأت بالوسيم، فوجدته عند القدر يلحس الدسم، ويأكل الشحم، فاستطعمته فأمر لها بثيل^(٣) الجزور فوضع في قصعتها، ثم أتت الدميم، فإذا هو يقسم لحم الجزور، ويعطي كل من سأله، فسألته؛ فأمر لها بأطياب الجزور، فوضع في قصعتها، فرفعت الذي أعطاها كل واحد منهما على حدة، فلمّا أصبحا غدوا إليها، فوضعت بين يدي كل واحد منهما ما أعطاها، وأقصت الجميل، وقربت الدميم، ويقال: إنّها تزوجته.

فالمرأة في المثل السابق لم تعتمد على سلطة الشكل، ورفضته، وقدمت عليه الرأي، فذلك الجسد الجميل المظهر، كان إعلاناً لموت حياة وانقطاعها؛ لأنها خلت من أخلاق، ينبغي للرجل أن يتحلّى بها، وبذلك كان الشكل المضاد علامة من علامات الجمال؛ لما يحويه من أفعال وقيم إنسانية، كالكرم والعطاء، كما أنّه مثل انعكاساً طبيعياً لما دار في ذات قائله، وسجّل من خلاله القيمة الحقيقية للإنسان، التي تتمثّل في مخبره، لا مظهره، وقد صوّر أبو هلال العسكري هذا الاتجاه الرفض لسلطة الشكل من خلال استدلاله بأبيات شعرية، ذكر منها قول حسان:

(١) المرجع نفسه، ص ١٢١.

(٢) الميداني، مرجع سابق، ج ١ ص ١٦٢.

(٣) وعاء قضيب البعير، أو القضيب نفسه، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٩٧٤.

لَا بَأْسَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ عَرْضٍ جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَحْلَامُ الْعَصَافِيرِ^(١)

وقد تأثر بهذا البيت ابن الرومي، فقال:

طُؤْلٌ وَعَرْضٌ بِلَا عَقْلٍ وَلَا أَدَبٍ فَلَيْسَ يَحْسُنُ إِلَّا وَهُوَ مَصْلُوبٌ^(٢)

وقال:

جَمَالُ أَخِي النَّهْيِ كَرَمٌ وَخَيْرٌ وَلَيْسَ جَمَالُهُ عَرْضٌ وَطُؤْلٌ^(٣)

ومن الأمثال التي ترفض سلطة الجسد: "أَنَّ تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِي خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ"^(٤)، فهو مثل يضرب لمن كان محببه خيرا من منظره، وأول من قاله النعمان لشقيقة بن ضمرة، حيث كان يغير على مال النعمان ويطلبه النعمان فلا يقدر عليه، إلى أن أمته، وكان يعجبه ما يسمع عنه من الشجاعة والإقدام، فلما رآه استزرى منظره؛ لأنه كان دميم الخلق، فقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال: آبيت اللعن، إن الرجال ليست بجزر، وهي الشيا، إنما المرء بأصغريه، فأعجب النعمان كلامه، وجعله من خواصه إلى أن مات، والمعيدي نسبة إلى معد^(٥).

ويتضح مما سبق أن مع ما للجسد وشكله الخارجي من تأثير، إلا أن مدونة الأمثال، لم تجعله المعوّل عليه في صناعة الأحكام على الإنسان، أي إن الأمثال انحازت للاتجاه الذي يرفض سلطة الشكل، فقد يؤدي شكل الجسد رسالة بعكس ما

(١) حسان بن ثابت، الديوان، شرح: عبده مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤١٤هـ/

١٩٩٤م، ص ١٢٩، وقد روي بلفظ (عظم) وليس (عرض).

(٢) ابن الرومي، الديوان، شرح أحمد حسن بسج، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٣٢٣هـ/

٢٠٠٢م، ج ١ ص ١٩٦.

(٣) العسكري، جمهرة الأمثال، ضبطه وكتبه هوامشه: أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب

العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ، ج ١ ص ١٣٨.

(٤) رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مجاني الأدب في حداق العرب،

بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩١٣م، ج ٥، ص ٦١.

(٥) ينظر: المفضل الضبي، أمثال العرب، بيروت، مكتبة الهلال، ط ١، ١٤٢٤هـ، ص ٣١.

تؤديه حقيقة الروح الجاثمة في ذلك الجسد:

تَرَى الرَّجُلَ الْحَقِيفَ فَتَزْدْرِيه وَفِي أَثْوَابِهِ أَسَدٌ هَصُورُ
وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرَ فَتَتَّبِلِيهِ فَيَخْلِفُ ظَنُّكَ الرَّجُلُ الطَّرِيرُ^(١)

فليس اللباس الحسن والهبة الجميلة -دائمًا- تعبيرًا صادقًا عن نبل صاحبها،
وكثيرًا ما تخطئ العين في تقدير الأمور.

(١) البيتان لم أقف على قائلهما، ينظر: شهاب الدين الأبيشي، المستطرف في كل فن
مستطرف، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤١٩هـ، ص ٢٧٧.

المبحث الثالث: أعضاء الجسد الدلالات الإيحائية:

لم تغفل الأمثال استلهاهم أعضاء الجسد المختلفة من حيث موقعها، وهياتها، وألوانها، وقيمتها وظائفها الحيوية، حيث اكتسب معها الجسد " أبعادًا جديدة من حيث طاقاته الجماليّة، ومن حيث وظائفه الحركية، ومن حيث الحقول الدلالية التي تعبّر عنها مختلف تلك الأعضاء، بمعنى آخر أصبح الجسد، يشغل مجاله في الوجود، إن لم يكن هو عين الوجود"^(١).

لذلك عنيت لغة المثل بكل أعضاء الجسم، ابتداءً من الرأس، إلى أخص القدمين، وأوردتها بدلالات مختلفة، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بسياقاتها الواردة فيها، وسأبين بعض تلك الدلالات من خلال الأعضاء التي سأتناولها:

١. دلالات لغة الرأس:

الرأس أهم أعضاء البدن، فهي "صومعة الحواس"^(٢)؛ إذ لا بقاء للبدن مع ذهاب الرأس، فبقاؤه بقاء الجسد، وذهابه ذهابه، والعرب أولته عناية خاصّة؛ فاستعارت الرأس، وحملته كثيرًا من الدلالات، فتقول: رأس المال، ورأس الليل، ورأس الجبل، ورأس الزمان، ورأس القوم، ورأس الجريدة، ورأس الأمر، ورأس العقل، ورأس الدين...^(٣).

كما أنّ مدونات الأمثال أولت الرأس عناية خاصة، فذكرته، وحملته معاني كثيرة، فهي السيد، ولسان القوم المتكلم عنهم، وهو المقدم في اليد واللسان، كما في رأس القوم^(٤).

فقد جاء التعبير بالرأس دلالة على اختلاف القوم، وافتراق كلمتهم، كما في

(١) محمود ميري، الجسد: نصوص من التراث، المغرب، ط٤، ١٩٩٥م، ص١١٦.

(٢) الميداني، مرجع سابق، ج٢ ص٧٢.

(٣) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ، ص٢٦٣.

(٤) ابن سيده، المخصص، لجنة إحياء التراث، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ج١ ص١٥٣.

هذا المثل: "اِخْتَلَفَتْ زُؤُوسُهَا فَرْتَعَتْ"^(١)، أي اختلفت آراؤهم، وافتقرت كلمتهم- فالرأس محل الكلمة والرأي- فرتع كل واحد منهم في لحم أخيه:
وَيُجِيئُنِي إِذَا لَاقَيْتُهُ وَإِذْ يَخْلُو لَهُ حَمِي رَتَع^(٢)

وجاء التعبير بالرأس؛ للدلالة على إساءة الرأي في الصاحب، فالرأس مناط الحكم على الآخرين؛ إذ هي محل العقل والرأي، فإذا رُمي فيهما، ثقل على صاحبه، فيبغضه، ولا ينظر إليه. "رُمِيَ مِنْهُ فِي الرَّأْسِ"^(٣)، أي أصيب في عقله ورأيه؛ فساء الرأي فيه، حتى لا ينظر إليه، قال أبو عبيد: ومنه حديث عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، حين سلّم عليه زياد بن حدير، فلم يرد عليه، فقال زياد: لقد رُميت من أمير المؤمنين في الرأس، وكان ذلك لهيئة رآها-رضي الله عنه- على زياد فكرهاها^(٤).

ومنه: "إِنِّي لَأَكُلُ الرَّأْسَ وَأَنَا أَعْلَمُ مَا فِيهِ"^(٥)، ويضرب للأمر تأتبه، وأنت تعلم ما فيه ممّا تكره^(٦)، وبعد الوجه جزءًا لا يتجزأ من الرأس، و الوجه في مجموعه يكون نظامًا متكاملًا، فالجبهة والعينان، والأذن والشفتان والذقن والفم، توجد بينها علاقة متبادلة، يؤدي جميعها أعمالًا وظيفية، لا يمكن لأي منها أن يؤديها وحده، بالإضافة إلى ما يسهم به كل منها في تكوين المظهر الكلي للوجه، والذي تؤدي تعابيره دورًا مهمًا بوصفها مصدرًا للبيانات المتعلقة بالحالات الانفعالية للإنسان، كحالات الفرح والخوف والدهشة، فالوجه هو المرآة التي تعكس ما يختلج في النفس البشرية من

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ت: إحسان عباس، وبكر عباس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٩٦، ج٧ ص١٢٨.

(٢) البيت لسويد بن أبي كاهل اليشكري ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ت: عبد العليم الطحاوي الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤، ج٢١، ص٦٤.

(٣) ابن سلام، مرجع سابق، ص٣٥٦.

(٤) ابن سلام، مرجع سابق، ص٣٥٦.

(٥) الميداني، مرجع سابق، ج١ ص٣١.

(٦) المرجع نفسه، ج١ ص٣١.

أفكار، وما يعتري الإنسان من عواطف، فعندما تتأمل في وجه الإنسان، فإنك تكتشف ما يفكر فيه^(١)، وهذا النظام المتكامل تتأزر أعضاؤه من جبهة وعينين وأذن وشفتين وذقن وفم؛ لإبراز جماله وحسنه.

وقد تغنت العرب بالجمال والحسن والبهاء، ومصدر ومنبع كل هذا الوجه، وقد كانت الأجسام النيرة من أجرام سماوية كالشمس والقمر مادة خصبة للتعبير عن هذا الجمال، وهذا البهاء، فقالت العرب: "أَبْهَى مِنْ الْقَمَرَيْنِ"^(٢)، فماذا يكون الحبيب غير الشمس أو القمر، الذي يمد العين بالضوء، ويدفع عنها كرب الظلام، بل إن وجه المحبوبة أشد بهاء منهما.

وفي نفس السياق يقول المثل: " أَبْهَى مِنْ قِرْطَيْنِ بَيْنَهُمَا وَجْهٌ حَسَنٌ"^(٣)، فالمحبوب هنا فريد في الجمال، فوجهه أبهى من قطعة من ذهب نضارة وبهاء وصفاء، ملتفة حول وجه حسن، والعرب أضافت الماء إلى الوجه؛ لتدل على الحياء، والرونق، والحسن، فقالوا:

وَوَجْهٌ تَشْرَبُ مَاءَ النَّعِيمِ فلو عُصِرَ الحَسَنُ منه اعتَصِر^(٤)

٢. دلالة لغة العين.

العين "أم الملاحظة"^(٥) من أهم أعضاء الجسد؛ فهي بوابة الروح والقلب، فهي تنبئ عما يحتلج داخل الإنسان من وجدانيات ومشاعر؛ فتغني عن صريح العبارة؛

(١) أسامة جميل عبد الغني، لغة الجسد في القرآن الكريم، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير، ٢٠١٠م. ص ٤٦.

(٢) الميداني، مرجع سابق، ج ١ ص ٣١.

(٣) المرجع نفسه، ج ١ ص ١٨١.

(٤) البيت لأبي هلال العسكري، ينظر: أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ت: أحمد حسن بسج، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٤، ج ١ ص ٢٢٣.

(٥) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص ٣٠٧.

ونظرا لهذه الأهمية كان لها مساحة في مدونة الأمثال، وجاءت محملة بدلالات كثيرة، فهي شاهد حق - كما أشرت - عمّا يضمه الإنسان مهما جاهد في إخفائه، كما في المثل: "شَاهِدُ الْبُغْضِ النَّظْرُ"^(١)، فهي التي تظهر المكنون من محبة أو كره، ويؤكد ذلك هذا المثل أيضا: "الْعَيْنُ تُرْجِمَانُ الْقَلْبِ"^(٢)، يقول الشاعر:

تَظَلُّ فِي نَفْسِكَ الْبُغْضَاءَ كَامِنَةً وَالْقَلْبُ يَغْمِزُهَا وَالْعَيْنُ تُبْدِيهَا
وَالْعَيْنُ تَعْلَمُ مِنْ عَيْنِي مُحَدِّثَهَا إِنَّ كَانَ مِنْ حَزْبِهَا أَوْ مِنْ أَعَادِيهَا^(٣)

فالقلب يغمز والعين تبدي، والعين تعلم من عين محدثها، إن كان منها، أو عليها، فلسان الحال أبين من لسان المقال فـ "رُبَّ حَالٍ أَفْصَحَ مِنْ لِسَانٍ"^(٤).

وتأتي العين في الأمثال كناية عن العدو، غير المأمون الجانب، الذي لا يخفى عداؤه، ويشتهر بالبغضاء، فقالوا: "هُوَ أَرْزُقُ الْعَيْنَيْنِ"^(٥)، فلا تأمنن أزرع العينين^(٦)؛ لأن الزرقة في أعين الروم، وهم أعداء العرب، كما أن الصهبة وهي البياض الذي يخالطه حمرة من ألوانهم، قال ابن قيس الرقيات:

(١) الهاشمي، كتاب الأمثال، ت: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٣، ص ١٥٣.

(٢) النعالي، التمثيل والمحاضرة، ص ٣٠٩.

(٣) البيتان منسوبان لعلي بن أبي طالب، ينظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين، القاهرة، المطبعة الأميرية، ط ١٦، ١٩٢٥م، ص ١١.

(٤) الميداني، مرجع سابق، ج ١ ص ٣١٤.

(٥) المرجع نفسه، ج ٣ ص ٤٢١.

(٦) من شطر بيت لعامر بن جوين. ينظر: الأخفش الصغير، الاختيارين المفضليات والأصمعيّات، ت: فخر الدين قباوة، دمشق، دار الفكر، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ١١٩.

فَطْلَالُ السِّيُوفِ شَيَّبَ رَأْسِي وَطَعَانِي فِي الْحَرْبِ صُهْبَ السَّبَالِ^(١)

ولم تكتف العرب بوصف العين كعضو كامل، بل تناولت كل أجزائها، من طرف وجفن، وهيئة، وغيرها، فقالت في الطرف: " إِنَّهُ لَعَضِيضُ الطَّرْفِ"^(٢)، كناية عن الحياء، ونفي إطلاقها:

يَمْشِينَ وَهَنَا وَبَعْدَ الْوَهْنِ مِنْ خَفَرٍ وَمِنْ حَيَاءٍ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَسْتَوْرٌ^(٣)

وقالت - أيضًا في ذكر جفن العين: " فُلَانٌ شَدِيدٌ جَفْنُ الْعَيْنِ"^(٤)، دلالة لمن يصبر على السهر، ويضرب لمن يصبر على غيره، مهما آذاه، فمهما كان السهر مؤذيًا للأجسام فإن جفني شديد، وحلمي أشد.

٣. دلالة لغة الفم واللسان:

كذلك أولت مدونة الأمثال الفم واللسان مزيد عناية، "قال أبو عبيد: وجدنا من الأمثال في حفظ اللسان، والحض عليه قول عبد الله بن مسعود: والذي لا إله غيره ما على الأرض شيء أحق بطول سجن من لسان"^(٥)، فجعل ابن مسعود للسان سجنًا يمنعه من الزلل، كما يجبس أهل الدعارة في السجون^(٦)، ومنها قول ابن أنس

(١) عبد الله بن قيس الرقيات، الديوان، ت: محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر، ص ١١٣.

(٢) الميداني، مرجع سابق، ج ١ ص ٩٦.

(٣) البيت للمرار الفقعي، ينظر: أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، وأبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي، حماسة الخالدين، ت: محمد علي دقة، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية ١٩٩٥م ص ١٩٨.

(٤) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٧م، ج ٢ ص ٣٩٨.

(٥) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص ٣٠.

(٦) ابن سلام، مرجع سابق، ص ٣٩.

بن مالك: ما اتقى الله أحدٌ حق تقاته، حتى يخن من لسانه، فجعل الفم للسان خزانة، كما جعل ابن مسعود له سجنًا، ومنها قول شداد بن أوس الأنصاري: ما تكلمت بكلمة منذ كذا وكذا، حتى أخطمها وأزمها، قال أبو عبيد: فقد علم: أنه ليس هناك خطام ولا زمام، وإنما جعل هذا مثلًا؛ لمنعه لسانه من بوارد الفلتات والخطأ^(١): ولا غرو ف " حَدَّثُ مِنْ فِيكَ كَحَدَّثِ مِنْ فَرَجِكَ " ^(٢)، أي الكلام القبيح أشبه ما يكون بالضراط الذي يخرج من فرج الإنسان، فعود لسان على طيب الكلام، لأن " اللسانُ مَرَكَبٌ دَلُولٌ " ^(٣)، بمعنى أن الإنسان يقدر على قول الخير والشر؛ فلا يعود لسانه مقالة السوء^(٤)؛ فوقع الكلمة السيئة على قلب الإنسان كوقع السيف على جسده: " جُرِحُ اللسانِ كَجُرْحِ اليَدِ " ^(٥)، من كلام امرئ القيس:

تَطَاوَى لَيْلِي بِالْإِثْمِ دِ وَنَامَ الْخَلْيُيُّ وَلَمْ أَرْقُ دِ
وَذَلِكَ مِنْ نَبَأِ جَاءِنِي وَأُنْبِئْتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ
وَلَوْ عَنْ نَثَا غَيْرِهِ جَاءِنِي وَجُرِحُ اللسانِ كَجُرْحِ اليَدِ ^(٦)

فهو عضبٌ وقاطع كالسيف، وقد تعددت دلالاته إلى أبعد من ذلك، فقد يكون اللسان القاتل والضارب عنق الإنسان^(٧)، فهناءة الإنسان ومقتله بين فكيه ولا غرو ف " اللسانُ سَبَعٌ عَقُورٌ " ^(٨)،

(١) المرجع نفسه، ص ٣٩، ٤٠.

(٢) الهاشمي، مرجع سابق، ص ١١٩.

(٣) الميداني، مرجع سابق، ج ٢ ص ١٨٨.

(٤) المرجع نفسه، ج ٣ ص ٩٠.

(٥) الهاشمي، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٦) الزمخشري، مرجع سابق، ج ٢ ص ٥٠.

(٧) الميداني، مرجع سابق، ج ١ ص ٧٨.

(٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ ص ١٧٠.

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجُهْلُ لَيْثًا مُغِيرًا^(١)

حيث يورد صاحبه المهالك، روي عن أبي بكرٍ - رضي الله عنه - أنه أخذ بطرف لسان وقال: "هذا الذي أوردني الموارد"^(٢)، يسأل اللسان الأعضاء في كلِّ يوم، فيقول: كيف أنتن؟ فيقلن: بخيرٍ إن تركتنا^(٣)، يقول الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "وهل يكبُّ الناس على مناخرهم يوم القيامة في جهنم إلا حصائد ألسنتهم"^(٤)، ولا غرو فإنَّ البلاء موكل بالمنطق^(٥)، فمن أطلق لسانه فيما لا ينبغي، قتله، فالعي ليس بقاتل، ولكن وربما قتل اللسان:

لِسَانُ الْفَقِي حَتْفُ الْفَقِي حِينَ يُجْهَلُ وَكُلُّ امْرِئٍ مَا بَيْنَ فَكِّيهِ مَقْتَلُ^(٦)

فيا رب ألسنة كالسيوف تقطع أعناق أصحابها: "رُبَّ رَأْسٍ حَصِيدُ لِسَانٍ"^(٧)، فإياك أن يضرب لسانك عنقك، فمقتل الرجل بين لحييه؛ فمن لم يحفظ لسانه، فقد سلطه على هلاكه فالكلمة الخبيثة أشد من وقع الصول، ووخز السنان، فالقول ينفذ

(١) ابن سلام، مرجع سابق، ص ٤١.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١ ص ١٧٠.

(٣) الجاحظ، الرسائل، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٤٨٤هـ / ١٩٦٤م، ج ١ ص ١٦٧.

(٤) ابن البيع، المستدرک علی الصحیحین، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ج ٢ ص ٣٤٧.

(٥) من أقوال أبي بكر الصديق، ينظر: ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ، ج ٣ ص ١٦.

(٦) ابن عبد البر القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ، ج ٥ ص ٦٦.

(٧) الهاشمي، مرجع سابق، ص ١٣٦.

من ما لا تنفذ الإبر، ف: "رُبَّ قَوْلٍ أَشَدُّ مِنْ صَوْلٍ"^(١)، والوصول: القهر، والسطوة والاستطالة، فصولة اللسان أنفذ من طعن السنان؛ فيجب على الإنسان أن يختار اللفظة التي يتفوه بها، ف"طَعْنُ اللِّسَانِ كَوَخْزِ السِّنَانِ"^(٢)، فَكَلَّمُ الكَلِمَةَ يصل إلى القلب، فيؤذيه، وكلم السنان يوخز الجسم فيؤذيه، ولكن جراحات السنان تلتئم، أما جراحات اللسان فلا التئام لها، ومن الأمثال التي تحذر من سقط الكلام: "لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ"^(٣)، والساقطة الكلمة التي يخطئ بها الإنسان، واللاقط المتصيد، وما أكثرهم! فلكل كلمة رديئة دنيئة متحفظ، متصيد؛ فيلتقطها ويزيد عليها؛ حتى يورط قائلها، فيا أيها المكثار: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ نَفَقَتَكَ"^(٤)، قاله شريح بن الحارث القاضي لرجل سمعه يتكلم كثيرا، والنفقة هنا فضول الكلام، لأن من لا يملك شفثيه، لا يأمن سوء اللفظ، فرحم الله من أمسك الفضل من قوله، فمن دام لفظه، كثر سقطه، ف: "مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ"^(٥)، أي خرج إلى الهجر، وهو الكلام القبيح، فمن أطلق لسانه بكل ما يجب، كان أكثر مقامه حيث لا يجب وسمي هجرا؛ لهجر العقلاء إياه، كما أن المكثار يخشى عليه الهلاك؛ لأن: "المكثار كحاطب لئيل"^(٦)، يأتي بالخطأ، وهو لا يدري، كحاطب ليل ربما تُهْمَشَ وهو لم يدري، كما أنه لم ير ما يجمعه، فيخلط الجيد بالردئ:

دَعُ حَبْطَ عَشَوَاءٍ فِي لَيْلَاءٍ مُظْلِمَةٍ هَاجَتْ أَفَاعِي رَفْشًا بَيْنَ أَحْجَارٍ^(٧)

(١) من أقوال أكنم بن صيفي، ينظر: ابن سلام، مرجع سابق، ص ٤١.

(٢) الميداني، مرجع سابق، ج ١ ص ٤٣٣.

(٣) من أقوال أكنم بن صيفي، ينظر: ابن سلام، مرجع سابق، ص ٤١.

(٤) الميداني، مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٨٦.

(٥) الهاشمي، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(٦) من أقوال أكنم بن صيفي، العسكري، مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٢٨.

(٧) البيت للكميت بن زيد، ينظر: الكميت بن زيد الأسدي، الديوان، ت: محمد نبيل طريفي، بيروت، دار صادر، ط ١، ٢٠٠٠، ص ٢٢٢.

يضرب للجاني على نفسه بكلامه، فالسالم التقي كلّ التقي من أجم فاه بلجام: "التَّقِيُّ مُلَجِّمٌ"^(١)، فكأن له لجامًا يمنعه من السقطات، فإذا هم لسانه بالكلام أحجمه، فلا يكون المؤمن مؤمنًا، حتى يحترز من لسانه، على النقيض من الجاهل، ففمه مطلق، كلما شاء أطلق بالبذاءة التي تؤذي المسامع فكانت أشبه ما تكون بصوت الحمير: "ذَكَرْنِي فُوكِ حِمَارِي أَهْلِي"^(٢)، يضرب للرجل يبصر الشيء، فيذكر به حاجة كان قد نسيها، ويضرب لمن يؤذي الناس بعلو صوته {واغضض من صوتك إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} (لقمان: ١٩)، وأصله أَنَّ شَابًا خَرَجَ يَطْلُبُ حِمَارِينَ لِأَهْلِهِ، فَمَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ مَنْتَقِبَةٍ جَمِيلَةٍ فِي النِّقَابِ، فَقَعَدَ بِجِذَائِهَا، وَتَرَكَ طَلِبَ الْحِمَارِينَ، وَشَغَلَهُ مَا رَأَى مِنْ جَمَالِهَا فِي النِّقَابِ، فَلَمَّا سَفَرَتْ عَنْ وَجْهِهَا، إِذَا لَهَا أَسْنَانٌ مَكْفَهْرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ؛ فَلَمَّا رَأَاهَا ذَكَرَ حِمَارِيهِ؛ فَقَالَ: ذَكَرْنِي فُوكِ حِمَارِي أَهْلِي، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَيْتَ النَّقَابَ عَلَى النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ كَيْلًا تَغُرَّ فَيُبْحَثُ إِنْسَانًا^(٣)

٤. أعضاء أخرى:

هناك أجزاء أخرى أتت الأمثال عليها، كالكبد، والأنف، والجلد، والساق، والأذن، والركبتين، والشعر، وهي أعضاء كثر ورودها في مدونة الأمثال، ولكل واحدة منها دلالاتها، فمن دلالات الكبد الدلالة على العدا والضعينة، وذلك إذا قيد ووصف بالسواد: "فُلَانٌ أَسْوَدُ الْكَبِدِ"^(٤)، إذا كان عدوًّا، وأحرقت العداوة كبده، احتثت أكبادهم غيظًا؛ فانشق منه المرار:

(١) من أقوال عمر بن عبد العزيز، ينظر: ابن حمدون، مرجع سابق، ج٧ ص٦١.

(٢) الهاشمي، مرجع سابق، ص١٣١.

(٣) الميداني، مرجع سابق، ج١ ص٢٧٥.

(٤) الزمخشري، مرجع سابق، ج٢ ص٣٩٥.

وَمَا حَاوَلْتُ مِنْ أَضْغَانٍ قَوْمٍ هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَكْبَادُ سُودٌ^(١)

ومن دلالات لغة الأنف - بوصفه عضوًا من أعضاء جسم الإنسان التي لا تنفك عنه - دلالاته على الحث على وصل الأقارب، والعطف عليهم، وتحمل ما بهم من سوء خلق، وأن يلتمهم على شعنتهم، ولا يصارمهم، كما لا يصارم أعضاء جسمه المتصلة به، وإن كانت شوهاء، كما في هذا المثل: "أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَجْدَعُ"^(٢)، و "أَنْفُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَ أَذَنٌ"^(٣)، يعني وإن كان كثير المخاط والسيل.

وأول من نطق بهذا المثل قنفذ بن جعونة المازني، وذلك أن الربيع بن كعب المازني دفع إلى أخيه كميث فرسًا من عتاق الخيل؛ ليأتي به أهله، وكان كميث هذا أحرق، فقابله رجل من بني مالك، يقال: له قراد، فاحتال على كميث، حتى استبدل هذا الخيل العتيق بناقة عجفاء، فقدم كميث على أهله، وسأله أخوه عن الفرس، فقال: تحول ناقة، فعلم أخوه أنه قد خدع، وجعل يضربه، فقال عند ذلك قنفذ بن جعونة: أله عمًا فاتك؛ إن أنفك منك وإن كان أجدع^(٤)، ومثله: "يَدُكَ مِنْكَ وَإِنْ كَانَتْ شَلَاءً"^(٥).

ومن دلالات لغة الجلد: الدلالة على شرف الأصل وعلوه خاصة إذا كان جلدًا أملس، فإذا وصف الجلد بأنه أملس، فلا يتعلق به ذم كما في هذا المثل: "عَثِيَّةٌ"^(٦)

(١) هذا البيت لزيد الخيل، ينظر: المرجع نفسه.

(٢) نور الدين اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ت: محمد حجي، ومحمد الأخضر، الدار البيضاء المغرب، دار الثقافة، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج ١ ص ٩٨.

(٣) الميداني، مرجع سابق، ج ١ ص ٢١.

(٤) اليوسي، مرجع سابق، ج ١ ص ٩٨.

(٥) الميداني، مرجع سابق، ج ٢ ص ٤٢١.

(٦) تصغير عثّة، وهي الدويبة تأكل الأدم، أو السوسة التي تلحس الصوف، ينظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة، ت: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ج ١ ص ٢٨٧.

تَقْرِمُ جِلْدًا أَمْلَسًا^(١)، فماذا تفعل تلك العثينة مع هذا الجلد الأملس، ويضرب للرجل المهين الوضع، وقد أكد تلك الوضاعة والحقارة بتشخيصه إيَّاه بأنه عثة، وهي الحشرة الصغيرة التي تشبه القراد، وليته كان عثة، بل عثينة، يقع في الرجل الشريف، فلا يؤثر فيه، وقد أكد تلك المكانة بوصفه الجلد بأنه أملس، أي لا يتعلق به دم، وأول من قاله الأحنف بن قيس لحارثة بن قيس بن بدر العُداني، وقد عابه، فلما بلغ الأحنف عيب حارثته؛ قال: عَثِينَةُ تَقْرِمُ جِلْدًا أَمْلَسَ، قال المخَبَّل السعدي:

وإن تَشْتُمُونَا عَلَى لُؤْمِكُمْ فَقَدْ تَقْرِمُ الْعُثُ مُلْسَ الْأَدَمِ^(٢)

واتخذت مدونة الأمثال من الساق والتشمير عنها دلالة على الاستعداد للشيء، والحض على الجد في الأمر: "قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَّرِي"^(٣)، أي قد استعدت دواهي الحياة وثمرت عن ساقها؛ للنيل مني، فاستعدي يا نفسي، وشمري؛ دفعًا لها، فقد جدت الحرب فجدي، فإن عضت عضتي، فالضمير في شمريت يعود على الدواهي العظام، وفي شمري المخاطب نفسه.

ومن دلالات لغة الأذن: الدلالة على الحلم وسعة الصدر كما في هذا المثل: "حَلْمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءَ"^(٤)، فدعامة العقل الحلم، يضرب مثلا للرجل الذي يتغافل عما يكرهه، فقد جعل الأذن تحس وتشعر، وكأنها مستقلة بإحساسها، وفي ذلك تأكيد على دور هذا العضو في تبيان أثر ما يتلقى، وانعكاس ذلك على شخصية الإنسان، فهي ليست أكثر من آلة توصيل، فمع أن أذني تسمع ما يؤذيها، إلا أنني أعرض عن الحنا لحلمي، فإن كانت أذني غير صماء، فإن سعة صدري وحلمي أصم.

(١) الميداني، مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٩.

(٢) أبو البقاء الدميري، حياة الحيوان الكبرى، بيروت، المكتبة العلمية، ط ٢، ١٤٢٤ هـ ج ٢ ص ١٥٢.

(٣) الزمخشري، مرجع سابق، ج ٢ ص ١٩١.

(٤) ابن سلام، مرجع سابق، ص ١٥٢.

قُلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ جَلَمِي أَصَمُّ وَأُذُنِي غَيْرُ صَمَاءٍ^(١)

ووظفت مدونة الأمثال الركبتين، للدلالة على أنَّ الناس كلهم سواء، متكافئون، وإن كانوا شتى في الشيم "أَنْتُمْ كَرَكِبْتِي الْبَعِيرِ"^(٢)، يضرب مثلا للرجلين المتساويين في الخير والشري، وأصل هذا المثل ما قاله هرم بن قطبة الفزاري، حين تنافر إليه عامر بن الطفيل، وعلقمة بن علاثة، بعد أن اشتد النزاع بينهما، فجعل هرم يطاولهما، ويمهد للصلح بينهما، حتى قال لهما أخيرا: أنتما كركبتي البعير، تقعان إلى الأرض معًا، وتقومان معًا، فرضيا بقوله، وانصرف كل منهما إلى قومه^(٣).

ووظفت مدونة الأمثال الشعر، للدلالة على الجمال: "الشَّعْرُ أَحَدُ الْوُجْهِينِ"^(٤)، أي النظر إليه، كالنظر إلى الوجه^(٥) وأصل هذا المثل: أنَّ أحد الشعراء

(١) البيت لبشار بن برد، ينظر: بشار بن برد، الديوان، جمع وتحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الجزائر، وزارة الثقافة العربية، ٢٠٠٧م، ج١ ص١٥٠.

(٢) الدميري، مرجع سابق، ج١، ١٩٨.

(٣) الهاشمي، مرجع سابق، ص١٩٤.

(٤) اليوسي، مرجع سابق، ج٣ ص٢٤٢. توقفت عند هذا المثل كثيرًا، لأعرف الضبط الصحيح لكلمة الشعر، هل بكسر الشين، أم بفتحها، ولكني أرى أنه بفتحها وهو الشعر المعروف، وذلك لأنه أتى في إطار الوصف الحسي للجارية، فوصف (بياضها، قوامها، طولها، شعرها)، وما يعضد ما ذهب إليه ما ورد في زهر الأكم معلقا عليه (أي النظر إليه كالنظر إلى الوجه)، ولكن في (بمجة المجالس وأنس المجالس)، لابن عبد البر القرطبي (المتوفى ٤٦٣هـ). أوردته بكسر الشين (الشَّعْرُ أَحَدُ الْوُجْهِينِ) ينظر: القرطبي، مرجع سابق، ص١٣. وإن كان يوجد به ما يعضد ما ذهب إليه-أن الضبط الصحيح الشَّعْرُ بفتح الشين- وهو قوله: العجيزة أحد الوجهين، ثم استدرك وقال: وقيل: الشعر أحد الوجهين، والعجيزة من الأمور الحسية، حيث يقصد بها مؤخرة المرأة، فيطلق على المرأة عجيزة إذا عظمت عجيزتها، ينظر: أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ج٤ ص٢٣٣.

(٥) اليوسي، مرجع سابق، ج٣ ص٢٤٢.

كتب إلى محمد بن منصور بن زياد يستهديه جارية، فقال: أحبها فرعاء، فإنه يقال: إذا اتخذت جارية، فاستلمح شعرها، فإنَّ الشعر أحد الوجهين^(١)، ويضرب لمن ابتغى شيئًا، فيجب أن يستحسنه من جميع وجوهه.

ولم تقتصر مدونة الأمثال على ذكر دلالة العضو منفردًا، بل قرنته بغيره؛ ليحمل كثيرًا من الدلالات، فقرنت اليد التي ترمز إلى الأفعال بالفم الذي يرمز إلى الأقوال؛ لبيان مدى أثر القول والفعل على صاحبهما، فقد يكونان من أسباب هلاكه: "يَدَاكَ أَوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخَ"^(٢)، يضرب لمن جنى على نفسه، بقوله أو بفعله، حتى ذاق وبال أمره {ذلك بما قدمت يداك} (الحج: ١٠)، وأصله أن رجلا نفخ زقًا، ولم يوثق وقاءه، وركبه؛ ليعبر نهرًا فلما توسطه انحلَّ الوكاء، وخرج الريح؛ فغرق، فذ: "فَتَعَسَا لِلْيَدَيْنِ وَالْفَمِ"^(٣)، وقرنتهما-أيضًا- مدونة الأمثال؛ لتؤكد على ضرورة أن يطابق القول الفعل، موظفة دلالة الكناية للسخرية من المفهق الذي لا منفعة من ورائه، فهو "لِسَانٌ مِنْ رُطْبٍ وَيَدٌ مِنْ حَطَبٍ"^(٤)، يضرب للملاذ الذي لا منفعة عنده، كما يضرب لمن يلين في قوله، ويشتد في فعله، وقرنتهما لتؤكد أن القول دليل على شخصية قائله لا يخطئ في الحكم عليه، كاليد فهي لا تخطئ الفم أبدًا: "أَقْرَبُ مِنَ الْيَدِ إِلَى الْفَمِ"^(٥)،

بَكْرُنْ بَكُورًا وَاسْتَحْرَنْ بِسُحْرَةٍ فَهِيَ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ^(٦)

أي إنَّ ما يقصدنه لا يخطئنه كما لا تخطئ اليد الفم، وقرنت بين الظهر

(١) المرجع نفسه.

(٢) الهاشمي، مرجع سابق، ٢٨٩.

(٣) الميداني، مرجع سابق، ج١ ص١٣٣.

(٤) المرجع نفسه، ج٢ ص١٩٩.

(٥) الهاشمي، مرجع سابق، ص٢٦.

(٦) الزمخشري، مرجع سابق، ج١ ص٢٧٩.

واليد، للدلالة على وجوب اعتناء المرء بشأن نفسه: "مَا حَكَ ظَهْرِي مِثْلُ يَدِي"^(١)، فهو دعوة صريحة إلى الاعتماد على النفس، وترك الاتكال على الناس، وقرنت بين العين والرأس؛ لبيان قرب المكانة بين رجلين، فقال: "فُلَانٌ كَالْعَيْنِ مِنْ الرَّأْسِ"^(٢)، موظفًا دلالة التشبيه المجمل وما يحمله من إحياءات، ودلالات القرب والاندماج، وعدم الاستغناء عن الصاحب، فهو مني منزلة وقربًا، كمنزلة العين من الرأس، فكما أنّ العين قريبة من الرأس، بل جزء منها، لا تنفك عنها، كذلك صديقي قريب مني، بل هو جزء مني.

وقرنت بين الخلب، وهي اللحمة اللاصقة بالكبد، والكبد، للدلالة على قوة العلاقة بين الصديق وصديقه، فصديقي مني: "بَيْنَ الْخَلْبِ وَالْكَبِدِ"^(٣)، وقرنت بين الفكين (اللحيين)، اللذين يرمزان إلى الذكر والكلام الطيب، و(المعدة)، التي ترمز إلى جنان الإنسان وداخله، فإذا تحرك الفك بالذكر، سعد الوجدان، وطرب: "حَرَكُ لِحْيَيْكَ تَطْرُبُ مَعِدَّتْكَ"^(٤)، فالعلاقة هنا علاقة طردية سبب ونتيجة، فإذا تحرك اللسان بالذكر سعد القلب والوجدان، {ألا بذكر الله تطمئن القلوب} (الرعد: ٢٨)، فتحريك اللحيين بالذكر من أسباب السعادة في الدنيا، والآخرة، فهو الذي يمد الوجدان بالسكينة والاطمئنان، وقد يقصد المعنى الظاهر، أي حرك لحييك بالطعام تسعد معدتك، مثل قولهم: تطعم تطعم، أي ذق الطعام؛ فإنه يدعوك إلى الشهية.

وقرنت بين القلب والعين؛ ليعزز العلاقة بينهما، فالعين بوابة العبور إلى القلب، فأدنى شيء يؤثر في العين، يؤثر في القلب "مِثْلُ الْقَلْبِ مِثْلُ حَدَقَةِ الْعَيْنِ"^(٥)، فكما

(١) الميداني، مرجع سابق، ج ٢ ص ٣١٨.

(٢) النعالي، التمثيل والمحاضرة، ص ٣٠٩.

(٣) الزمخشري، مرجع سابق، ج ٢ ص ١٧.

(٤) المرجع نفسه، ج ٢ ص ٦٢.

(٥) أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، ت: السيد

الجميل، بيروت، دار ابن زيدون، ط ٢، ١٩٨٧، ص ٥٨.

أَنَّ أدنى شيء يشغل العين، كذلك فإنَّ أدنى شيء يشغل القلب، فيجب أن يُشغل بما ينفعه؛ حتَّى يصلح، فإذا صلح، صلح الجسد كله، فلا تصدر أعضاؤه إلا خيرًا، ولا تعمل إلا صالحًا، وإن فسد، فسد الجسد كله، فإذا أصيب القلب، لا تصلح الحياة، ولا يصحُّ الجسد، فربوا القلوب، وعودوها على ما ينفعها؛ حتَّى لا تنشغل إلا به، فالقلب مثل العين، ينشغل بأدنى الأشياء، قال الرسول-صلى الله عليه وسلم- "ألا وإنَّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" (١).

وقرنت بين اللسان والقلب في: "إنما يعيش المرء بأصغريه" (٢)، وتعني بهما القلب واللسان، فاللسان لافظ والقلب حافظ، فلا يكمل المرء إلا بهما، وقيل لهما: الأصغران؛ لصغر حجمهما، فإن نطق نطق ببيان، وإن قاتل قاتل بجنان. يقول زهير بن أبي سلمى في هذا المعنى:

لِسَانُ الْفَتَى نَصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالِدَّمُ (٣)

فاللسان أداة يظهر بها البيان، وشاهد عما يضمه الإنسان، ومعتذر تذهب به الأضغان، وواصف تعرف به الأشياء، والقلب شاكر يستوجب المزيد.

وقرنت مدونة الأمثال بين الكبد والطحال؛ للدلالة على أن أنكاد الدنيا مشوبة بالأشياء التي جبلت النفوس على حبها، فكلُّ ما تستلذه الأبدان من مأكليها، فإنه يضرها من جهة طلبها، ولا ينتفع الإنسان بشيء من لذاته، إلا ضره من جهة ثوابه، وهو كالذي ينتفع باصطلاء النار وهي محرقة لأثوابه، فذ: "مَا يَنْفَعُ الْكَبِدَ يَضُرُّ الطُّحَالَ" (٤)، ومن دلائل هذا المثل-أيضًا- أن مصائب قوم عند قوم فوائد، فما يعود

(١) البخاري، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

حديث رقم ٥٢، ج ١ ص ٢٠.

(٢) المفضل الضبي، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٣) زهير بن أبي سلمى، مرجع سابق، ص ١١٢.

(٤) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص ٣١٩.

بالنفع على بعض الناس قد يعود بالضرر على غيرهم

٥. لغة الهيئة والمظهر:

حسن الزي والهيئة، يزيد في البهاء، والاهتمام بالمظهر واللباس، يعدُّ من أوَّل الإشارات المفسِّرة للنمط الاجتماعي والفردى، تقول العرب: " العَمَائِمُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ"^(١)، وفي ذلك توضيحٌ لنمطٍ من اللباس الذي اختصت به العرب عن غيرها من الأمم، " قال غيلان بن خرشة للأحنف: ما بقاء ما فيه العرب؟ قال: إذا تقلَّدوا السيف، وشدُّوا العمائم، وركبوا الخيل، ولم تأخذهم حمية الأوغاد"^(٢)، و" العمائم تيجان العرب، فإذا وضعوه وضع الله عزَّهم، وكان يقال: اختصت العرب من بين الأمم بأربع: العمائم تيجانها، والدروع حيطانها، والسيوف سيجانها، والشعر ديوانها"^(٣).

إن ذلك النوع من اللباس له دلالات كثيرة في الثقافات القديمة، فقد تكون العمائم دالة على التصنيف الطبقي، ف"هي كناية عن السيادة، تقول العرب: فلان معمم، أي مسود؛ لأن الأمور تعصَّب رأسه، قال عمرو بن سعد الأشدق:

فَتَاةٌ أَبْوَهَا دُوَ الْعَمَامَةِ وَابْنُهُ أَخُوهَا فَمَا أَكْفَأُهَا بِكَثِيرٍ^(٤)

وللباس دلالات تنبع من اهتمام العربي القديم بأجزاء الجسد، " فقد قيل لأعرابي: إنَّكَ لتكثر لبس العمامة؟ قال: إنَّ شيئاً فيه السمع والبصر لجدير أن يوقى في الحر والقر، وذكروا العمامة عند أبي الأسود الدؤلي، فقال: جُنَّةٌ في الحرب، ومكثة من الحر، ومدفأة من القر، ووقار في النَّدي، وواقية من الأحداث، وزيادة في القامة، وهي بعد عادة من عادات العرب"^(٥)، لقد أسهم هذا اللباس

(١) المرجع نفسه، ص ٢٨٣.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٢ ص ٨٨.

(٣) الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ١٣٥.

(٤) الزمخشري، مرجع سابق، ج ١ ص ٥٢.

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ج ٣ ص ١٠٠.

الجسد: الصورة والدلالة - (الأمثال العربية القديمة نموذجًا)، د. مطير بن سعيد الزهراني

بتوفير الحياة لذلك الجسد، فتعددت فوائده في الحر والبرد، كما يسهم في زيادة القامة التي تظهر الجسد بمظهر آخر غير عادته.

وغالبًا ما يكون للباس دلالة على الغنى، وعلى الجمال، فذلك "سعيد بن العاص بن أمية، كان إذا لبس عمامة لم يلبسها قرشي، وقيل: لم يلبس قرشي عمامة على لونها، وإذا خرج لا تبقيه امرأة إلا برزت إليه؛ للنظر إلى جماله"^(١)، كما أن في اللباس دلالة على المروءة: "المُرُوَّةُ الظَّاهِرَةُ فِي الثِّيَابِ الظَّاهِرَةِ"^(٢)، فدلالات الجسد تتغيَّر بتغيُّر الملبوس، وهي دلالات لا تدرك إلا بالاستعمال، وكل استعمال أحال إلى نسق، فالعمامة أحالت حسب استعمالاتها إلى دلالات جسدية، استوحى الجسد منها السيادة والغنى، والجمال، وزيادة الشكل، فالزبي يمثِّل "مجموعة من العلامات، فهو يدلُّ على الانتماء إلى طبقة اجتماعية معينة، أو حياة معينة، كما يدلُّ على الوضع الاقتصادي"^(٣).

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ج ١ ص ٥٢.

(٢) الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص ٢٨٢.

(٣) رحيق صالح فنجان، شعر الفرسان في العصر الجاهلي الوظائف والدلالات، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١١، ص ١٣٦.

نتائج البحث:

- لجسد الإنسان حضور كبير في تراثنا الأدبي، وللامثال عناية بأعضاء الجسد فلا تخلو ورقة من أوراق مدونات الأمثال من إشارة إلى عضوٍ من أعضاء الجسد.
- يمثل الجسد صورة ناطقة تحكي واقعاً غير منطوق.
- لغة الجسد: رسائل شعورية، أو لا شعورية تنطلق من جسد الإنسان؛ لإيصال دلالات ومفاهيم معينة؛ فلها أهمية قصوى في التواصل الإنساني.
- لشكل الجسد أثر في تكوين صورة ذهنية ورأي مسبق عنه.
- لم ينحصر اهتمام العرب بالجسد في بعده الداخلي، بل تطور إلى خارجه فاهتموا بالشكل والمظهر.
- مدونة الأمثال لم تجعل الشكل الخارجي معولاً في صناعة الأحكام على الإنسان.
- لم تغفل الأمثال استلهاً أعضاء الجسد المختلفة من حيث موقعها، وهيأتها وألوانها.

توصيات البحث:

- يوصي البحث بتتبع هذا الجانب ودراسته في مجالات كثيرة وفنون عدة، وأجناس مختلفة، بداية من النص المعجز، مروراً بما دونه مرتبة في الإعجاز كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - وصولاً إلى الأجناس الأدبية.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الأبشيهي، شهاب الدين، **المستطرف في كل فن مستطرف**، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤١٩هـ.

ابن أبي سلمى، زهير، **الديوان**، شرحه وقدم له: علي حسن فأعور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٨.

ابن البيع، **المستدرک علی الصحیحین**، ت: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

ابن الرومي، **الديوان**، شرح أحمد حسن بسج، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٣٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

ابن المعتز، **طبقات الشعراء**، ت: عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ط ٣.
ابن برد، بشار، **الديوان**، جمع وتحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الجزائر، وزارة الثقافة العربية، ٢٠٠٧م.

ابن تاج العارفين، عبد الرؤوف، **فيض القدير فيض القدير شرح الجامع الصغير**، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط ١، ١٣٥٦هـ.

ابن حمدون، **التذكرة الحمدونية**، ت: إحسان عباس، وبكر عباس، بيروت، دار صادر، ط ١، ١٩٩٦.

ابن سلام، **كتاب الأمثال**، ت: د. عبد المجيد قطامش، دمشق، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠.

ابن سلمة، المفضل، **الفاخر**، ت: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي، ط ١، ١٣٨٠هـ.

ابن سيده، **المخصص**، لجنة إحياء التراث، بيروت، دار الأفق الجديدة.

ابن فارس، أحمد، **مقاييس اللغة**، ت: عبد السلام محمد هارون، دمشق، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

- أبو العباس، ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- أحمد، محمد الأمين موسى، الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، ط١، ٢٠٠٣.
- الأخفش الصغير، الاختيارين المفضليات والأصمعيّات، ت: فخر الدين قباوة، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- الأسدي، الكميت بن زيد، الديوان، ت: محمد نبيل طريف، بيروت، دار صادر، ط١، ٢٠٠٠.
- الأصبهاني، أمثال الحديث، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد، بومباي، الهند، الدار السلفية، ط٢، ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
- البخاري، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢هـ.
- التبريزي، الخطيب، شرح ديوان أبي تمام، قدّم له ووضع هوامش وفهارسه: راجي الأسمر، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم، الأمثال من الكتاب والسنة، ت: السيد الجميلي، بيروت، دار ابن زيدون، ط٢، ١٩٨٧.
- ثابت، حسان، الديوان، شرح: عبده مهنا، بيروت، دار الكتب العلمية ط٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ت: عبد الفتاح محمد الحلوة، القاهرة، الدار العربية للكتاب، ط١، ١٩٨١م.
- الثعالبي، المبهج، ت: إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ.

الجسد: الصورة والدلالة - (الأمثال العربية القديمة نموذجًا)، د. مطير بن سعيد الزهراني

الجاحظ، البيان والتبيين، ت: عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٥،
١٤٠٥هـ.

الجاحظ، الرسائل، ت: عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي،
١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

الجوهري، الصحاح، ت: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤،
١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

الخالدي، أبو بكر محمد بن هاشم، والخالدي، أبو عثمان سعيد بن هاشم، حماسة
الخالدين، ت: محمد علي دفة، الجمهورية العربية السورية، وزارة الثقافة،
١٩٩٥م.

الخنساء، الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط ٢،
٢٠٠٤م.

الخوارزمي، الأمثال المولدة، ت: محمد حسين الأعرجي، الإمارات، المجمع الثقافي،
ط ٢، ٢٠٠٣.

الدميري، محمد بن موسى بن عيسى، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية
بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.

الرقيات، عبد الله بن قيس، الديوان، ت: محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر،
(د.ط)، (د.ت).

الزبيدي، تاج العروس، ت: عبد العليم الطحاوي، الكويت، مطبعة حكومة
الكويت، ١٩٨٤.

الزحخشري، المستقصى في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ٢،
١٩٨٧م.

زهران، عبد السلام حامد، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، القاهرة، ط ٣.

شيخو، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب، مجاني الأدب في حدائق العرب، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩١٣م.

الضبي، المفضل، أمثال العرب، بيروت، مكتبة الهلال، ط١، ١٤٢٤هـ.
عرار، مهدي أسعد، البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٧٢.

العسكري، جمهرة الأمثال، ضبطه وكتب هوامشه: أحمد عبد السلام، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ.

عياش، نضال، الاتصال الإنساني من النظرية إلى التطبيق، فلسطين، ط١، ٢٠٠٥م.

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

القرطبي، ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ.

المتنبي، الديوان، دار بيروت، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
الميداني، مجمع الأمثال، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠١١م.

ميري، محمود، الجسد: نصوص من التراث، المغرب، ط٤، ١٩٩٥م.
الهاشمي، زيد بن الرفاعة، كتاب الأمثال، ت: علي إبراهيم كردي، دمشق، دار سعد الدين، ط١، ٢٠٠٣.

الجسد: الصورة والدلالة - (الأمثال العربية القديمة نموذجًا)، د. مطير بن سعيد الزهراني

اليوسي، نور الدين، **زهر الأكم في الأمثال والحكم**، ت: محمد حجي، ومحمد الأخضر، الدار البيضاء المغرب، دار الثقافة، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
يونس، محمد، **سيكولوجيا الدافعية والانفعالات**، عمان، الأردن، دار المسيرة، ط ١،
٢٠٠٧م.

الرسائل الجامعية:

عبد الغني، أسامة جميل، **لغة الجسد في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٠م.
فنجان، رحيق صالح، **شعر الفرسان في العصر الجاهلي الوظائف والدلالات**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١١م.

المجلات العلمية:

بنكراد، سعيد، **الجسد واللغة وسلطة الأشكال**، المغرب، مجلة علامات، ع ٤،
١٩٩٥م.

Bibliography

- The Noble Quran
Al-Abshihi, Shihāb al-Dīn, **al-Mustaṭrif fi Kulli Fannin Mustaṭrif**, Beirut, 'Ālam al-Kutub, 1st ed, 1419 AH.
- Ibn Abi Sulmā, Zuhair, **Al-Diḡān**, explained and forward by: Ali Hasan Fa'our, Beirut, Lebanon, Dār Al-Kutub Al-Ilmia, 1st edition, 1988.
- Ibn al-Bay', **al-Mustadrak 'alā al-Sahihain**, investigated by: Mustafa 'Abd al-Qadir 'Atta, Beirut, Dār al-Kutub al-Ilmiyya, 1st ed, 1411 AH / 1990.
- Ibn Al-Roumi, **Al-Diḡān**, Explanation of Ahmad Hasan Basaj, Beirut, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya, 3rd Edition, 1323 AH / 2002.
- Ibn Al-Mu'taz, **Ṭabaqāt al-Shu'arā**, investigated by: 'Abd al-Sattar Ahmad Farraj, Cairo, Dār Al-Ma'ārif, 3rd Edition.
- Ibn Burd, Bashār, **Al-Diḡān**, collected and investigated by: Muhammad Al-Tāhir bin 'Ashour, Algeria, Ministry of Arab Culture, 2007 .
- Ibn Tāj Al-'Ārifīn, 'Abd al-Ra'ouf, **Fayd Al-Qadeer, Sharh Al-Jāmi' Al-Saghīr** , Egypt, al-Maktabat al-Tijāriyyah al-Kubrā, 1st ed, 1356 AH.
- Ibn Hamdoun, **Al-Tadhkirah Al-Hamdounia**, investigated by: Ihsan 'Abbas, and Bakr 'Abbas, Beirut, Dār Sādir, 1st Edition, 1996.
- Ibn Sallāam, **Kitāb al-Amthāl**, investigated by: dr. 'Abd al-Majeed Qatamish, Damascus, Dār Al-Ma'moun Heritage, 1st ed, 1400 AH 1980 .
- Ibn Salamah, Al-Mufaddal, **Al-Fākhīr** , investigated by: 'Abd al-'Aleem Al-Tahāwī, Reviewed by: Muhammad 'Alī Al-Najjar, House of Revival of Arabic Books, Issa Al-Halabi, 1st ed, 1380 AH .
- Ibn Sīda, **al-Mukhaṣṣaṣ**, Heritage Revival Committee, Beirut, Dār Al-Āfāq Al-Jadeeda.
- Ibn Fāris, Ahmad, **Maqāyīs al-Lughā**, investigated by: 'Abd al-Salam Muhammad Haroun, Damascus, Dār al-Fikr, 1399 AH, 1979.
- Abu al-'Abbās, Tha'lab, **Sharḡ Diḡān Zuhair bin Abi Sulmā**, Beirut, Lebanon, Dār al-Kitab al-'Arabi, 1424 AH / 2004.
- Ahmad, Muhammad Al-Amin Musa, **Nonverbal Communication in the Noble Qur'an**, (in Arabic) Shariah, Department of Culture and Information, 1st Edition, 2003.
- Al-Akhfash Al-Saghīr, **al-Ikthiyārain al-Mufaḡḡaliyyāt wa al-Aṣma' iyyāt**, investigated by: Fakhr Al-Dīn Qabāwah, Damascus, Dār Al-Fikr, 1, 1420 AH / 1999.
- Al-Asdī, Al-Kumait Bin Zaid, **Al-Diḡān**, investigated by: Muhammad Nabil Tarifi, Beirut, Dār Sādir, 1st ed, 2000.

- Al-Asbahāni, **Amthāl Al-Hadith**, investigated by.: ‘Abd Al-‘Ali ‘Abd al-Hamid Hamid, Bombay, India, Al-Dār Al-Salafi, 2, 1408 AH, 1987 .
- Al-Bukhari, **Sahih Al-Bukhari**, investigated by.: Muhammad Zuhair bin Nāsir, Dār Touq Al-Najat, 1st edt, 1422 AH .
- Al-iabrīzi, Al-Khatib, **Sharḥ Dīwān Abi Tammām**, forward, footnotes and indexes by: Raji Al-Asmar, Beirut, Dār Al-Kitab Al-‘Arabi, 2nd edt, 1414 AH / 1994.
- Al-Tirmidhī, Abu ‘Abdullah Muhammad bin ‘Ali Al-Hakim, **al-Amthāl min al-Kitāb wa al-Sunnah**, investigated by: Al-Sayyid Al-Jumaili, Beirut, Dār Ibn Zaydoun, 2nd Edition, 1987.
- Thābit, Hasan, **Al- Dīwān** , Explanation: ‘Abdo Muhanna, Beirut, Dār Al-Kutub Al-Ilmia, 2nd edt, 1414 AH / 1994.
- Al-Tha‘ālibī, **al-Tamthil wa al-Muḥāḍarah**, investigated by: Abdel-Fattah Muhammad Al-Helou, Cairo, al-Dār al-‘Arabiyyah li al-Kitāb, 1st edt, 1981.
- Al-Tha‘ālibī, **Al-Mubhij**, investigated by: Ibrahim Saleh, Damascus, Dār Al-Bashaer for Printing and Publishing, 1st edt, 1420 AH / 1999.
- Al-Tha‘ālibī, **Thimār al-Quloub fi al-Muḍāf wa al-Mansoub**, investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Beirut, Al-Mataba Al-Asriya, 1st edt, 1424 AH.
- Al-Jāhiz, **Al-Bayān wa Al-Tabyeen**, investigated by: ‘Abd al Salām Haroun, Cairo, Al-Khanji Library, 5th edition, 1405 AH .
- Al-Jāhiz, **al-Rasā’il**, investigated by: ‘Abd al-Salam Muhammad Haroun, Cairo, Al-Khanji Library, 1384 AH / 1964.
- Al-Jawhari, **Al-Siḥāḥ**, investigated by: Ahmad ‘Abd al-Ghafour ‘Attar, Beirut, Dār Al-‘Ilm li al-Malāyīn, 4th edition, 1407 AH, 1987.
- Al-Khālidi, Abu Bakr Muhammad bin Hashim, and Al-Khālidi, Abu ‘Uthman Sa‘eed bin Hashim, **Ḥamāsāt al-Khālidiyīn**, investigated by: Muhammad ‘Ali Daffa, Syrian Arab Republic, Ministry of Culture, 1995 .
- Al-Khansā, **Al-Dīwān**, cared for and explained by: Hamdo Tammas, Dār Al-Maarifa, Beirut, 2nd edition, 2004.
- Al-Khawārizmi, **al-Amthāl al-Muwalladah**, investigated by: Muhammad Husain Al-A‘raji, Emirates, The Cultural Foundation, 2nd Edition, 2003 .
- Al-Dumairī, Muhammad bin Musa bin ‘Issa, **Ḥayāt al-Ḥayawān al-Kubrā**, Dār Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1st edt, 1424 AH.
- Al-Ruqqayāt, Abdullah bin Qais, **Al-Dīwān**, investigated by: Muhammad Youssuf Najm, Beirut, Dār Sādir.

- Al-Zubaidi, **Tāj al-‘Arūs**, investigated by: ‘Abd al-‘Alim Al-Ṭahāwi, Kuwait, Kuwait Government Press, 1984 .
- Al-Zamakhsharī, **al-Mustaḥṣa fī Amthāl al-‘Arab**, Beirut, Dār Al-Kutub Al- Ilmiyya , 2nd Edition , 1987.
- Zahrān, ‘Abd al-Salām Hamid, **al-Tawjīh wa al-Irshād al-Nafsī**, ‘Ālam al-Kutub, Cairo, 3rd Edition.
- Sheikho, Rizq Allah bin Yousuf bin ‘Abd al-Masih bin Ya‘qoub, **Majānī al-Adab fī Ḥadā’iq al-‘Arab**, Beirut, the Jesuit Fathers Press, 1913.
- Al-Ḍabbi, Al-Mufaḍḍal, **Amthāl Al-‘Arab**, Beirut, Al-Hilal Library, 1st edt, 1424 AH.
- ‘Arār, Mahdi As‘ad, **al-Bayān bilā Lisān Dirāsaton fī Lughat al-Jasad**, Beirut, Lebanon, Dār al-Kutub al-Ilmiyya, 1972 .
- Al-‘Askarī, **Jamharat al-Amthāl**, set it and books its margins: Ahmed Abd al-Salam, Beirut, Dār al-Kutub al-Ilmiyya, 1st edt, 1408 AH.
- ‘Ayyāsh, Niḍāl, **Human Communication from Theory to Practice**, (in Arabic) Palestine, 1st edt, 2005 .
- Al-Fayrouz ‘Abādī, **al-Qāmous al-Muḥīṭ**, Heritage Investigation Office at the Al-Resala Foundation, supervised by: Muhammad Naim Al-‘Arqussi, Beirut, Lebanon, Al-Resala Foundation for Printing, 1, 1426 AH / 2005.
- Al-Qurtubī, Ibn ‘Abd al-Barr, **al-Tamhīd lima fī al-Muwaṭṭa min al-Ma‘ānī wa al-Asānīd**, investigated by: Mustafa bin Ahmad al-‘Alawi, Muhammad ‘Abd al-Kabir al-Bakri, Morocco, Ministry of All Endowments and Islamic Affairs, 1387 AH .
- Al-Mutanabbi, **Al- Dīwān** , Dār Beirut, Beirut, 1403 AH / 1983.
- Al-Maidānī, **Majma‘ al-Amthāl**, investigated by: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Beirut, Al-‘Asriya Library, 2011.
- Miri, Mahmoud, **The Body: Texts from the Heritage, (in Arabic)** Morocco, 4th edition, 1995.
- Al-Hashimī, Zaid bin Al-Rifā‘ah, **Kitāb al-Amthāl**, investigated by: ‘Ali Ibrahim Kurdi, Damascus, Dār Sa‘d Al-Din, 1st edt, 2003 .
- Al-Yousi, Nour al-Dīn, **Zahr al-Akam fī al-Amthāl wa al-Ḥikam**, investigated by: Muhammad Hajji and Muhammad al-Akhḍār, Casablanca, Morocco, Dār al-Thaqafa, 1st edt, 1401 AH / 1981.
- Younus, Muhammad, **The Psychology of Motivation and Emotions**, (in Arabic) Oman, Jordan, Dār Al-Masirah, 1st Edition, 2007.
- Academic thesis:**

Abd al-Ghani, Osama Jamil, **Body Language in the Noble Qur'an**, (in Arabic) Master Thesis, College of Graduate Studies, An-Najah National University, 2010.

Finjan, Raheeq Saleh, **The Poetry of the Knights in the Pre-Islamic Era: Functions and Indications**, (in Arabic) Master Thesis, College of Arts, Dhi Qar University, 2011.

Scientific journals:

Benkrad, Sa'īd, **The Body, Language, and the Power of Forms**, (in Arabic) Morocco, Signs Magazine, issue 4, 1995.

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير

The Reception of Isam Khuqir's Novel "Siniora"

د. مستورة مسفر العرابي

أستاذ مساعد بكلية الآداب بجامعة الطائف

البريد الإلكتروني: mm-ma16@hotmail.com

المستخلص

حظيت رواية السنيرة باهتمام واسع من القراء والنقاد لعدة أسباب، يأتي في مقدمتها طرحها قضية العلاقة بين الشرق والغرب، في سياق مجموعة من الروايات العربية الشبيهة بها التي تتضمن رواية "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس ورواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم ورواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب وصالح وغيرها، وكذلك لمناقشتها بعض القضايا الوطنية والاجتماعية المتنوعة، وإثارتها لبعض القضايا الفنية المرتبطة بجنس الرواية. وتأتي هذه الدراسة البحثية لتتناول دراسة تلقي هذه الرواية في عدد من الدراسات التي تناولتها في كليتها أو التي تناولت أبعادًا معينة منها ضمن دراسات متعددة كتبت حول الرواية السعودية بشكل عام. وتدخل هذه الدراسة فيما يسمى بنقد النقد، أو تلقي التلقي.

أما دراستنا هذه فتختلف عن الدراسات السابقة في كونها تتناول تلقي رواية سعودية واحدة هي رواية السنيرة لعصام خوقير، من خلال ما كتب عنها في الصحف والمجلات، وكذلك من خلال الإشارات التي وردت عنها في عدد غير قليل من الكتب والدراسات التي كتبت حول الرواية السعودية بشكل عام وجاء فيها تناول لهذه رواية.

لقد نالت رواية "السنيرة" لعصام خوقير اهتمامًا جيدًا من النقاد منذ صدورها، وقد شكل هذا الاهتمام ظهور مدونة تلق متنوعة سعت الباحثة إلى دراستها بعد أن قسمتها إلى أربعة أنواع من التلقي: التلقي الأيديولوجي، والتلقي الحضاري، والتلقي الفني، والتلقي الأجناسي.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج لعل من أهمها أن المقاربة النقدية في النقد الأيديولوجي قد جاءت في الغالب الأعم خادمة للموقف الفكري الذي اتخذته هذا النقد وهو تمسك بطل الرواية بالقيم الإسلامية في بيئة غربية عاش فيها مدة من الزمن رغم كل ما فيها من مغريات. أما التلقي النقدي الحضاري فقد كان أوسع أفقًا في تناوله لمضمون هذه الرواية، إذ أشار إلى الأبعاد الحضارية والثقافية والإنسانية في موضوع تلاقي الشرق بالغرب في الرواية. وفيما يتعلق بالتلقي النقدي الفني للرواية فقد برز اهتمام الدارسين فيه بدراسة الأبعاد السردية للرواية والتعريف بها وتقويمها من منظورات فنية متعددة، وإن لم يهملوا مضامين الرواية بطبيعة الحال. أما التلقي الأجناسي فقد اتخذ من إشكالية تجنيس هذه الرواية مركزًا أساسيًا لتحليلها وأبان تفاوتًا بينًا في تلقيها تبعًا لربط الكاتب ببطل الرواية من عدمه. وقد مال أكثر هذا النقد إلى ربطها بسيرة الكاتب وهو أمر رأينا أنه محجف بالرواية وبكاتبها.

الكلمات المفتاحية: نقد النقد، تلقي الرواية، السنيرة، عصام خوقير.

Abstract

Siniora's novel has received wide attention from readers and critics for several reasons, foremost of which is its posing of the issue of the relationship between East and West, in the context of a group of Arab novels similar to it, including the novel "The Latin Quarter" by Suhail Idris, "A Bird from the East" by Tawfiq al-Hakim, and "Season of Migration" To the North" by Al-Tayyib, Saleh and others, as well as for discussing some diverse national and social issues, and raising some technical issues related to the novel's gender. This research study comes to address the study of receiving this novel in a number of studies that dealt with it in its totality or that dealt with certain dimensions of it within several studies that have been written about the Saudi novel in general. This study is included in the so-called criticism of criticism, or receiving reception.

As for our study, it differs from previous studies in that it deals with the reception of one Saudi novel, the Siniora novel by Issam Khoqir, through what was written about it in newspapers and magazines, as well as through references to it in quite a few books and studies that have been written about the Saudi novel in general.

The "Siniora" by Issam Khoqir has received good attention from critics since its publication, and this interest has shaped the emergence of a diverse receptions that the researcher sought to study after dividing it into four types of reception: ideological reception, civilized reception, artistic reception, and generic reception.

The study reached a set of results, perhaps the most important of which is that the critical approach in ideological criticism came in the general to serve the intellectual position taken by this criticism, which is the adherence of the protagonist to Islamic values in a Western environment in which he lived for a period of time despite all its temptations. As for the civilized critical reception, it was broader in its approach to the content of this novel, as it referred to the civilizational, cultural and human dimensions in the subject of the convergence of East and West in the novel. With regard to the artistic critical reception of the novel, many studies showed keen interest in studying the narrative dimensions of the novel, introducing and evaluating it from multiple artistic perspectives, although of course they did not neglect the contents of the novel. As for the generic reception, it took the problem of the determining the genre of this

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير، د. مستورة مسفر العراقي

novel as a basic basis for its analysis, and during a clear discrepancy in its reception, depending on linking the writer to the protagonist of the novel or not. Most of this criticism tended to link it to the writer's biography, which we saw as unfair to the novel and its writer

The key words: Criticism of criticism, receiving of the novel, Siniora, Issam Khoqir.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

حظيت رواية السنيورة لعصام خوقير^(١) باهتمام واسع من القراء والنقاد لعدة أسباب، يأتي في مقدمتها طرحها قضية العلاقة بين الشرق والغرب، في سياق مجموعة من الروايات العربية الشبيهة بها التي تتضمن رواية "الحي اللاتيني" لسهيل إدريس، ورواية "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، ورواية "موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب وصالح وغيرها، وكذلك لمناقشتها بعض القضايا الوطنية والاجتماعية المتنوعة، وإثارتها لبعض القضايا الفنية المرتبطة بجنس الرواية. وتأتي هذه الدراسة البحثية لتتناول دراسة تلقي هذه الرواية في عدد من الدراسات التي تناولتها في كليتها أو التي تناولت أبعادًا معينة منها ضمن دراسات متعددة كتبت حول الرواية السعودية بشكل عام. وتدخل

(١) عصام خوقير أديب (١٩٢٧-٢٠١٨) طبيب وأديب ومسرحي وروائي سعودي ولد في مكة المكرمة، وتلقى تعليمه العام فيها، وابتعث إلى مصر وحصل على البكالوريوس في طب الأسنان عام ١٩٥٣، ثم ابتعث إلى بريطانيا وحصل من جامعة لندن على الماجستير في الطب عام ١٩٥٧م. كان أبرز كتاب المقال الصحفي في المملكة العربية السعودية ومن أبرز رواد المسرح فيها، كتب مجموعة من القصص الطويلة بأسلوب المسرحية الدرامية، مثل (السعد وعد) و (في الليل لما خلي) و (زغرودة بعد منتصف الليل). وقد برز خوقير في مجال كتابة الرواية فكتب عددًا من الروايات مثل: (السنيورة ١٩٧١) و (الدوامة ١٩٨٠) و (زوجتي وأنا ١٠٨٣) و (السكر المر ١٩٩٢). وقد كتب أيضًا للإذاعة مجموعة من الأعمال الإبداعية من خلال برنامج (بسمات). وقد نالت أعمال خوقير الروائية اهتمامًا واضحًا من دارسي الرواية السعودية الذين اهتموا بالتاريخ للرواية السعودية ودراساتها الفنية. ينظر: دارة الملك عبد العزيز، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية. دارة الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٣٥هـ. ص: ٥٠٨-٥٠٩.

هذه الدراسة فيما يعرف بنقد النقد أو ما يمكن تسميته بتلقي التلقي. وقد حظي تلقي الرواية السعودية ببعض الدراسات الرائدة، ولعل من أبرزها دراسة سلطان الخرعان (مناهج نقد الرواية السعودية: عرض ودراسة^(١))، ودراسة محمد البشير "تلقي الرواية السعودية في الصحافة بين عامي ٢٠٠٠-٢٠١٠: صحيفة الرياض نموذجاً"^(٢)، ودراسة أحمد المسعودي (تلقي النقاد السعوديين الرواية المحلية، ١٩٩٤-٢٠١٥)^(٣). وقد اقتصرنا دراسة الخرعان على تحديد ثمانية مناهج جرى من خلالها دراسة الرواية السعودية وهي المنهج التاريخي، والاجتماعي، والنفسي، والإسلامي، والفني، والبنوي، والسيميائي، والتأويل والتلقي. وتفاوت عدد الدراسات المضمنة في كل منهج بحسب رؤية الباحث، فمن دراسة واحدة كما جاء في المنهج السيميائي إلى ست دراسات كما جاء في مبحث المنهج الفني. ويهمنا من هذه الدراسة تأكيد الباحث في مبحث النقد الفني على أن أغلب الدراسات التي كتبت عن الرواية السعودية "يصح أن تكون في هذا الفصل ولكني اخترت سبعة كتب..."^(٤)، لأنني سأجعل التلقي الفني أحد التلقيات المهمة التي حظيت بها رواية السنيرة كما سنرى لاحقاً. والنقطة الأخرى هي أن

- (١) سلطان بن محمد الخرعان، مناهج نقد الرواية السعودية: عرض ودراسة، كرسي الأدب السعودي بجامعة الملك سعود، الرياض ٢٠١٩م.
- (٢) محمد البشير. تلقي الرواية السعودية في الصحافة بين عامي ٢٠٠٠-٢٠١٠م، نادي الأحساء الأدبي، الأحساء، ٢٠١٤م.
- (٣) أحمد المسعودي. تلقي النقاد السعوديين الرواية المحلية، من عام ١٩٩٤ إلى عام ٢٠١٥م، نادي أهما الأدبي، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٢١م.
- (٤) سلطان الخرعان، مناهج نقد الرواية. س ١٣٥. يلاحظ أن الباحث اعتمد ستة كتب نقدية فقط وليس سبعة كما ذكر.

الباحث قد اعتمد في دراسته على الكتب النقدية ونادرًا ما التفت إلى المقالات المنشورة في الصحف والمجلات. أما دراسة البشير فقد تناولت تلقي الرواية السعودية في الفترة المحددة في البحث فيما نشر عنها في الصحف وتحديدًا في صحيفة الرياض. وقد درس البشير تلقي الرواية السعودية بحسب نوعية القراءة التي وظفها النقاد في تلقياتهم، وقد حصرها في ثلاثة أنواع رئيسة: القراءة الإسقاطية، والقراءة الشارحة، والقراءة الشاعرية، متبعًا تودوروف في هذا التصنيف القرائي^(١). ويهمننا هنا ما ذكره عن الطبيعة الأيدولوجية للقراءة الإسقاطية لأننا سنتخذها نمطًا رئيسًا من أنماط التلقي التي تبنيها في البحث، كما سيتضح لاحقًا. وكذلك الإشارة إلى ذلك؛ لأن المقالات التي كتبت عن السنيورة لم تلق مكانًا لها في هذه الدراسة، ربما لأن الباحث قد اقتصر على جريدة الرياض ولفترة محددة زمنيًا. أما دراسة المسعودي، وهي أوسع دراسة في مجال تلقي الرواية السعودية إلى حد الآن حسب علمي، فتقتصر على دراسة تلقي عشر دراسات كتبها عشرة دارسين سعوديين^(٢)، ويستثنى المسعودي من دراسته "المقالات المثبوتة في الجرائد والمجلات"^(٣)، ومنها طبيعة الحال المقالات التي نشرت حول رواية السنيورة.

أما دراستنا هذه فتختلف عن الدراسات السابقة في كونها تتناول تلقي رواية سعودية واحدة هي رواية السنيورة لعصام حوقير، من خلال ما كتب عنها في الصحف والمجلات، وكذلك من خلال الإشارات التي وردت عنها في عدد غير قليل من الكتب والدراسات التي كتبت حول الرواية السعودية بشكل عام وجاء فيها تناول لهذه رواية.

(١) محمد البشير، تلقي الرواية السعودية في الصحافة. ص: ١٧٧.

(٢) أحمد المسعودي، تلقي النقاد السعوديين الرواية المحلية. ص: ١٩.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص: ١٨.

السنيرة

نشرت رواية السنيرة^(١) في طبعتها الأولى عام ١٩٨١م، وتعد من الروايات التي صنفت عند بعض الدارسين من الروايات الحديثة^(٢)، أو تمثل مع غيرها مرحلة انطلاق الرواية السعودية^(٣)، وهي المرحلة الثالثة من تطور الرواية السعودية^(٤). تسرد هذه الرواية القصيرة بضمير المتكلم وتحكي قصة طالب سعودي يدعى صفوان أو الشيخ كما يسمى أحياناً يسافر للدراسة في جامعة نابلي بإيطاليا لدراسة الموسيقى. وفي حفل تخرجه يبدو منجذباً لفتاة ايطالية تدعى ماريانا تعرّف عليها مسبقاً. تنشأ بينهما علاقة حب ويقرران الذهاب إلى عائلة ماريانا في الريف الإيطالي. وفي طريقهما إلى هناك يدور بينهما حوار ثقافي وديني وأخلاقي طويل، يجره رفض صفوان تقبيل ماريانا، قائلاً بأنه لا يمكن أن يفعل ذلك قبل أن يتزوجا حسب ما تقتضيه تعاليم الدين الإسلامي التي يتمسك بها بقوة. وبعد أن يأخذا موافقة عائلة ماريانا على الاقتران يتزوجان ويسافران في رحلة طويلة إلى اسبانيا ومصر. ونظراً لكون ماريانا مسيحية الديانة، فإن والد صفوان كان معارضاً لهذا الزواج ولا يرغب في مشاركة السكن معهما في جدة بعد عودتهما إلى أرض الوطن. أما ماريانا فإنها تعجب كثيراً

(١) عصام خوقير، السنيرة. تهامة، جدة، ١٩٨١م

(٢) سلطان القحطاني. الرواية في المملكة العربية السعودية: نشأتها وتطورها ١٩٣٠-

١٩٨٩م. نادي القصيم الأدبي، ط. ٢، بريدة ٢٠٠٩. ص: ١٦٨-١٦٩.

(٣) حسن النعمي، الرواية السعودية واقعها وتحولاتها وزارة الثقافة والاعلام، الرياض ٢٠٠٩، ص: ٢٨.

(٤) حسن الحازمي، البطل في الرواية السعودية: دراسة نقدية. نادي جازان الأدبي، جازان

١٤٢١هـ، ص ٢٤-٢٥.

بالبيئة السكنية الجديدة وبأناس الحي الذي تسكن فيه، إلى درجة أنها تعتنق الإسلام، ويصبح هذا الاعتناق موحدًا لأسرة صفوان جميعها مرة أخرى.

أنواع التلقي

رأينا من خلال استعراضنا للدراسات السابقة أنه لم يكن هناك منهج واحد في دراسة تلقي الرواية السعودية، وإنما وظفت عدة طرائق، فالخرعان درس تلقي الرواية السعودية وفق المناهج التي طبقها الدارسون في دراساتهم بطريقة منصوص عليها أو بطريقة غير واعية أو معلنة وإنما استنبطها الخرعان نفسه، أما البشير فقد درس تلقي الرواية من خلال نوعية القراءة التي وظفها الدارسون ونص عليها أو التي استنبطها البشير نفسه. أما المسعودي فإنه وإن كان قد اهتم في دراسته بتتبع المناهج التي وظفها الدارسون في تلقي الرواية و صنفها في قوله: "ويمكن لنا بوجه عام، تصنيف مناهج المدونة النقدية على النحو الآتي: التاريخي في دراسة القحطاني، والاجتماعي في بحث أبو ملح، والإنشائي في كتاب على زعلة، والسيميائي في مشروع مريم غبان، والنسوي في أطروحة الوهابي"^(١)، إلا أنه ركز في دراسته على "تقييم الكتب النقدية على " ثلاثة مستويات هي: "المصطلحات و" المفاهيم " و" الإجراء " و" النتائج وخدمة الرواية المحلية"^(٢).

وقد رأينا أن تنفيذ اتخاذ المنهج منطلقًا لدراستنا هذه نظرًا؛ لأن كثيرًا ممن كتب عن السنيورة لم يصرح بتبني منهج نقدي محدد، وإنما وظف بعض المقولات النقدية التي تمتح من مناهج متعددة. وهذه سمة لم تخل منها كثير من دراسات تلقي الرواية السعودية بشكل عام، فقد شهدت قصورًا في توظيف بعض المناهج كما

(١) أحمد المسعودي، تلقي النقاد السعوديين الرواية المحلية. ص: ١٧٠١٧١.

(٢) المرجع السابق. ص: ٢٨.

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير، د. مستورة مسفر العرابي

- شهدت أيضاً استدعاء أكثر من منهج في التحليل، كما لاحظ المسعودي^(١). وبعد الاطلاع على أغلب الدراسات التي تناولت رواية السنيرة بطريقة أو بأخرى، يمكننا تحديد أبرز مصادر دراستنا هذه، وهي على النحو التالي:
١. دراسات عامة تناولت الرواية السعودية بشكل عام، وبخاصة تلك التي درست روايات ما بعد الثمانينيات من القرن الماضي، كما سنرى.
 ٢. المقالات العلمية التي درست رواية السنيرة تحديداً، ونشرت في مجلات مرموقة مثل فصول وغيرها.
 ٣. بعض المقالات والعروض التي نشرت في الصحف والمجلات.
 ٤. ويمكن أن نعد نشر الفصل الأول من السنيرة في موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث ضرباً من ضروب التلقي أيضاً^(٢).
- وبناءً على اطلاعنا على هذه المصادر ودراستها، يمكننا تحديد أربعة أنماط رئيسة لتلقي رواية السنيرة هي: التلقي الأيديولوجي، والتلقي الحضاري، والتلقي الفني، والتلقي الأجناسي. وعلى الرغم من اعتماد هذا التقسيم العام، فإننا قد نجد حضور أكثر من تلق واحد في الدراسة الواحدة، وقد اعتمدنا في هذا التصنيف على السمة الغالبة لحضور هذه الأنماط في هذه الدراسات بشكل عام، كونها تشكل المرتكزات الأساسية لتلقي رواية السنيرة بشكل عام.

(١) المسعودي أحمد المسعودي، تلقي النقاد السعوديين الرواية المحلية. ص: ٢٨٨.

(٢) انظر، موسوعة الأدب السعودي الحديث. مج ٥ "الرواية" إعداد منصور الحازمي، دار المفردات، الرياض ٢٠١١م. ص: ٢٩٩-٣١٣.

التلقي الأيديولوجي

يتشكل هذا التلقي من كون الدارس ينطلق في قراءة الرواية أساسًا من منطلقات أيديولوجية محددة تشكل الإطار العام لتحليل الرواية، وفي هذه الحالة نجد أن التصور الإسلامي بمعناه الشامل هو الذي يحدد زاوية النظر النقدية الرئيسة لهذا النوع من القراءة. ولعل دراسة محمد قطب "السنيرة.. جدل الآخر.. وغلبة التراث" تمثل في بعض جوانبها هذا المنحى في التلقي. فهو يرى أن عصام خوقير قد قام ب"التعبير عن التطلعات الجديدة وكشف الأنماط الفكرية والسلوكية المتدافعة عبر حركة النمو الفاعلة والدفاع عن الثوابت التي هبّت عليها عواصف تحاول اقتلاعها، أو طمسها، أو التقليل من فاعليتها"^(١). ويصف علاقة بطل الرواية (صفوان) الذي هو رمز للدين والعروبة مع (ماريانا) رمز الغرب، بأنه هو "القوة الفاعلة المسيطرة، والغازية إن صح التعبير. على حين تقف (ماريانا) تتلقى وتندesh ثم تتفاعل وتتكيف مع المجتمع الذي يمثله الشيخ"^(٢). وستكرر صورة "الغزو" هذه عند كتاب آخرين.

وفي سياق هذا النوع من التلقي نجد حلمي القاعود يكتب دراسة عن السنيرة بعنوان "صراع الشرق والغرب في رواية "السنيرة" للدكتور عصام خوقير"^(٣)، ينطلق فيها من فرضية مفادها أن "عصام خوقير من الأدباء الذين يسعون إلى التعبير عن الرؤية الإسلامية من خلال عدد من القوالب الأدبية"^(٤)، وأن ما يميز أعماله هو

(١) محمد قطب، "السنيرة.. جدل الآخر وغلبة التراث" فصول، الهيئة العامة للكتاب.

مصر، مج ١٢، ع ٢. ص: ٣٤٠.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص: ٣٤١.

(٣) حلمي القاعود، "صراع الشرق والغرب في رواية السنيرة للدكتور عصام خوقير"،

الأدب الإسلامي، مج ٤، ع ١٥٤، ١٩٩٧. ص: ٧٠-٧٥.

(٤) المرجع السابق، ص: ٧٠.

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير، د. مستورة مسفر العرابي

"الحرص على أن يكون المفهوم الإسلامي ساطعاً في أعماله الأدبية" (١). وفيما يتعلق بالسنيرة تحديداً، يرى أنها "من أبرز إنتاجه الذي تظهر فيه الرؤية الإسلامية بارزة، ولعلها تعد أيضاً من أفضل كتاباته على المستوى الفني" (٢). ويرى كذلك أن من أهم ما يميز السنيرة عن غيرها من الروايات العربية التي تناولت علاقة الشرق بالغرب مثل: "عصفور من الشرق" للحكيم و"قنديل أم هاشم" لحقي و"موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح وغيرها، أنها "تجعل البطل العربي المسلم ينتصر على البطل الغربي الذي لا يؤمن بالإسلام، بل إن الإسلام هو الذي ينتصر ويغزو الغرب ويقنع الغربيين بأن الأمل الذي يبحثون عنه ويجدون فيه السلام والطمأنينة" (٣).

ونجد كاتباً آخر هو إبراهيم صحراوي ينظر إلى السنيرة بوصفها رواية "تؤسس لأدب مثالي ... يعتد فيه بالمثل والقيم الإسلامية السامية مما يكون درعاً واقياً للمهاجر تقيه شر الانحراف والسقوط. بل يمكن اعتبارها مضمونياً نموذجاً راقياً - ولم لا؟ للأدب الإسلامي الذي يهدف إلى إبراز هذه المثل والقيم" (٤).

ولكن هل يعني هذا أن هذا النمط من التلقي يهمل الجوانب الفنية في الرواية؟ الحقيقة أن الكتاب الذين أشرنا إليهم هنا يبدون في الغالب اهتماماً واضحاً بالجوانب الفنية، ويشيرون إلى جوانب الضعف فيها. فقطب، على سبيل المثال، يقر بوجود

(١) حلمي القاعود، " صراع الشرق والغرب في رواية السنيرة للدكتور عصام خوقير"،

الأدب الإسلامي، مج ٤، ١٥٤، ١٩٩٧. ص: ٧٠.

(٢) المصدر السابق، ص: ٧١.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص: ٧١.

(٤) إبراهيم صحراوي " قراءة في رواية السنيرة لعصام خوقير " مجلة الفيصل، ع ٢١٠،

١٩٩٤م، ص: ١١٤.

ضعف في الرواية يتمثل في "الوقوع في المباشرة أو الوعظ أو الخطابية" (١)، و"يتحول النص الأدبي عن سياقه الفني إلى خطابية وتقرير يشرح فيها [البطل] موقف الدين من الحب، وهو تزيد ملحوظ" (٢)، ولكن قطب يسعى في الوقت ذاته إلى تبريره، قائلاً: "وربما يخفف ذلك حرص البطل على إقناع ماريانا بوجهة نظره" (٣). ونكاد نجد الموقف ذاته عند القاعود، فهو مدرك لبعض جوانب الضعف في الرواية، يقول: "أما الناحية الفنية فإنها تتراوح بين الإجادة في بعض الأحيان، والإخفاق في بعضها الآخر" (٤)، ومع ذلك فهو يلتمس العذر للمؤلف ويبرر بعض جوانب القصور في الرواية، قائلاً: "فإن رواية السنيورة، مع كل ما يؤخذ عليها من ملحوظات، تمثل اجتهاداً محموداً ومقبولاً في التعبير عن علاقة الشرق المسلم بالعالم الغربي... وميزة هذه الرواية أنها جعلت البطل المسلم يحقق لأول مرة نصراً مؤزرًا في تحويل الطرف الآخر إلى جانبه بواسطة السلوك والقدوة" (٥).

لعله اتضح أن القراءة الأيديولوجية لهذه الرواية قد ركزت كثيرًا على الجوانب المضمونية والفكرية والقيم الإسلامية التي ظهرت في هذه الرواية من خلال أحداثها وشخصياتها، وبخاصة شخصية (صفوان) بطل الرواية، وكان ذلك من وجهة نظر هذه القراءة كافيًا للإشادة بها وبكاتبها، أما جوانب الضعف، رغم إدراكها، فقد غُض الطرف عنها قليلًا أو سُعي إلى تبريرها في بعض الأحيان.

(١) محمد قطب، السنيورة.. جدل الآخر وغلبة التراث، ص: ٣٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص: ٣٤٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص: ٣٤٢.

(٤) حلمي القاعود، "صراع الشرق والغرب في السنيورة لعصام خوقير"، ص: ٧٠.

(٥) المصدر السابق. ص ٧٥. وانظر أيضًا، نقده لازدواجية شخصية البطل، ص: ٧٣.

التلقي الحضاري

يتقاطع هذا التلقي مع التلقي الأيديولوجي السابق في كونه يركز في تلقيه على المضامين والقضايا التي تطرح في رواية السنيرة وبخاصة قضية التقاء الشرق العربي الإسلامي بالغرب، وهي القضية الرئيسة في الرواية، ولكنه يختلف عنه في ثلاثة أمور: أولها: أنه لا يقصر مجال التلقي في الرواية على البعد الأيديولوجي ممثلاً في الدين فقط، بل يوسع دائرة العلاقة بينهما لتشمل الأبعاد الحضارية والثقافية والتاريخية والإنسانية، وثانيها أنه يتوسل إلى فهم العلاقات التي ترسمها الرواية بين الشرق والغرب عن طريق تحليل الأبعاد الفنية للرواية، وليس العكس كما رأينا في التلقي الأيديولوجي، كما أنه لا يتعامل مع الآخر في الرواية من منظور غزو ينتصر فيه طرف على الطرف الآخر، وإنما من منظور لقاء يتم بين ثقافتين أو حضارتين يفرضه الواقع أو الحاجة، تحكمه أبعاد كثيرة متعددة غير البعد الأيديولوجي. أما ثالثها فهو أن هذا النوع من التلقي يبدو أكثر انفتاحاً لتعدد القراءات فيما يتصل بالطريقة التي يتحقق عن طريقها الالتقاء بين الشرق والغرب، وهذا بعد لم نلمسه في التلقي الأيديولوجي السابق.

ويمكن التمثيل لهذا النوع من التلقي بما كتبه كل من محمد الشنطي وحسن النعمي عن رواية السنيرة في كتابيهما عن الرواية السعودية. فالأول يتناول هذه الرواية وروايات أخرى مشابهة لها بالتحليل في الفصل الثاني من كتابه (فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر) تحت عنوان فرعي سماه "الصدمة الحضارة"، فهو يشير إلى ملمح مهم في هذه الروايات، وهو أنها تتخذ "البيئات الأخرى مجالاً روائياً؛ لإبراز نزعة إنسانية"، وهو بذلك يدخل هذا البعد المكاني الفني في قراءته للصورة التي تواصل بها الشرق مع الغرب في رواية السنيرة. كما لاحظ الشنطي أن الطريقة التي صُوِّر بها (صفوان) بطل الرواية، كانت قريبة من النموذج الغربي. فهو شخصية تبدو متبلدة

"المشاعر إلى حد بعيد". ونظرًا لأن الشنطي قد صنف موقف البطل من الحضارة الغربية بأنه موقف إيجابي معتدل^(١)، فإن قراءته لأغلب العناصر السردية تدعم هذا الرأي وتسنده^(٢)، فالبطل يتخصص في الموسيقى رغم التزامه الديني وماريانا تحب صفوان رغم اختلافه الديني السابق عنها، فهي مسيحية وهو مسلم. كما أن المزج بين تقنية الحوار المباشر بينهما وتقنية التلفون يرسخ هذا الموقف المعتدل في التواصل الحضاري وجعله يبدو مثمرًا وبناءً.

أما حسن النعمي فقد تناول رواية السنيورة في مبحث من كتابه (الرواية السعودية: واقعها وتحولاتها) عنوانه "الآخر في الرواية السعودية"^(٣)، وأشار إلى أن السنيورة كانت من ضمن الروايات السعودية التي حضر فيها الآخر بعد انقطاع، يقول: "ينقطع أثر الآخر في الرواية السعودية ولا يظهر مجددًا إلا مع موجة الروايات التي صدرت في الثمانينات الميلادية. فيظهر بوضوح في رواية (غدا أنسى، ١٩٨٠) لأمل شطا، ورواية (السنيورة، ١٩٨٠ [كذا]) لعصام خوقير، ورواية (لحظة ضعف، ١٩٨٠)، لفؤاد صادق مفتي"^(٤). ومن اللافت أن النعمي يرى أن الصراع مع الآخر صراع دائم، ويتساءل عن سبب رفض والد صفوان لزوجاه من ماريانا، فيقول: "فهل جاء الرفض لأنها غير مسلمة؟ إن كان كذلك، فهو رفض أيديولوجي مسبق تتحكم فيه أزمة اللقاء الحضاري، كما أن الرواية لا تفصح عن موقف الأب بعد إسلام الزوجة، وهو ما يرجح الموقف السلبي من الآخر بالمطلق وليس على

(١) محمد الشنطي، فن الرواية في الأدب السعودي المعاصر. نادي جازان الأدبي، جازان، ١٩٩٠م. ص: ٢٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) حسن النعمي، الرواية السعودية: واقعها وتحولاتها. ص: ٣٩.

(٤) المصدر السابق نفسه. ص: ٥٠. وصدور رواية السنيورة كان عام ١٩٨١م.

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير، د. مستورة مسفر العرابي

المستوى الشخصي"^(١). ومن الواضح أن هذه القراءة تختلف عن قراءة الشنطي الذي وصف موقف الرواية من الآخر بالموقف الإيجابي كما رأينا. وأعتقد أننا لو نظرنا إلى مواقف الشخصيات الأخرى مثل صفوان وأمه وماريانا ووالديها، فإننا سنرجح ربما ما ذهب إليه الشنطي، وهذا ما لمسناه النعمي ذاته في قبول أم صفوان زواجه من مريانا، حيث رأى فيه "فاتحة للتقارب لا التباعد"^(٢). كما يختلف النعمي في تفسيره لوقوع أغلب أحداث الرواية في الغرب، فهو يرى أن الذهاب إلى الآخر في الرواية السعودية -ومنها السنيرة- غزو له في عقر داره لم يكن بدعوى الحوار ولكنه يعني الاستيلاء^(٣). كما وقف النعمي عند التناقض والمبالغة في رسم شخصية بطل رواية السنيرة، ومنحه "كل الطاقات الخلاقة والمبالغات الخارقة. فهو تقي وموسيقي، ورغم الحذر من هذه الخلطة غير المبررة سردياً، فإنها تؤكد حشد كل الفضائل في بطل يمثل الشرق العربي خير تمثيل"^(٤). والحقيقة أن هذا التناقض في شخصية البطل قد لمسناه أصحاب التلقي الأيديولوجي من قبل ولكنهم أهملوه وقللوا من أهميته ومن ضرره الفني في الرواية.

ولعل من المناسب هنا أن نشير إلى استدعاء محمد أبو ملحمة لرواية السنيرة في بحثه "تجليات الآخر في الرواية السعودية" لتبيان الصور الإيجابية والسلبية للآخر الغربي في رواية السنيرة. فقد استشهد على صورة الغرب المنحلّ بكون ماريانا ترى أن التقبيل والعلاقة بين الرجل والمرأة حقاً مجرد أنهما يجبان بعضهما،^(٥) كما استشهد

(١) حسن النعمي، الرواية السعودية: واقعها وتحولاتها، ص ٥٢..

(٢) المصدر السابق، ص: ٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٥٤.

(٥) محمد أبو ملحمة، "تجليات الآخر في الرواية السعودية". مجلة الملك خالد للعلوم الإنسانية،

مج ٢٤، ١٤، يوليو: ٢٠١٥ م، ص: ٦٦-٦٧.

الباحث منها على صورة الغرب الإيجابية مثل جمال الطبيعة والأجسام، وتقدير الغرب للعلم والفكر بعض النظر عن العرق واللون والانتماء، كما ورد ذلك على لسان صفوان بطل رواية السنيورة^(١).

التلقي الفني

يعد هذا النوع من التلقي أكثر أنواع التلقي حضوراً من حيث الكم والكيف على حد سواء، ولكن هذا التلقي الفني للسنيورة جاء في أغلب الأحيان مجزأً أو مفرقاً، بمعنى أن أغلب دراسي الرواية السعودية تعاطوا مع هذه الرواية، ليس من منطلق تحليل كلي لأبعادها المضمونية والفنية مجتمعة، بل جاء بحسب موضوعات دراساتهم وأبحاثهم. فإذا كان المكان هو الموضوع المدروس في الرواية السعودية على سبيل المثال، فإن الحديث يكاد يقتصر على هذا البعد دون غيره من أبعاد الرواية الأخرى،، وهكذا مع بقية الموضوعات المضمونية والشكلية الأخرى. وقد أشرنا إلى أن الأبعاد الفنية قد حضرت بطريقة أو بأخرى في التلقي الأيديولوجي والحضاري، إلا أن المدخل إليها غالباً ما يكون من بوابة الأيديولوجيا والفكر والمضامين.

ولعل من أوائل التلقيات التي اهتمت بالأبعاد الفنية لرواية السنيورة ولو بطريقة عامة ما كتبه عنها السيد محمد ديب في كتابه (فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور) إذ أفرد لها حيزاً في الفصل الثاني الذي جاء بعنوان " الرواية التعليمية"^(٢). فقد ذكر واصفاً النزعة التعليمية في الرواية بقوله "أما في (السنيورة) فقد وضحت نزعتها [خوقير] التعليمية بصورة سافرة من خلال السرد اللغوي على لسان

(١) المصدر السابق، ص: ٨١، ٨٤، ٩٠.

(٢) السيد محمد ديب، فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور. المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة ط ٢ ١٩٩٥. ص: ١٠٨-١١٢.

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير، د. مستورة مسفر العرابي

الشيخ صفوان إبراهيم (بطل الرواية)^(١) . وعلى الرغم من حضور بعض المظاهر التعليمية في الرواية إلا أننا نرى أن الباحث قد بالغ في تصوير هذا البعد في الرواية. وأورد بعض الملحوظات الفنية الإيجابية والسلبية المرتبطة بالعناصر السردية في هذه الرواية. ولكنه - وإن ذكر بعض الأبعاد الإيجابية في الرواية مثل إجادة خوقير للوصف والتصوير الحي للأماكن التي صورها وقدرته على استرجاع الماضي واستعادة التاريخ العربي والإسلامي - أشار إلى عيوب فنية كثيرة فيها، يقول: "ويعيب الرواية خلوها من العقدة والصراع وتسطح الشخصوس وثباتها وعدم نموها، وبساطة الفكرة وسيطرة الجانب الوعظي والمبالغة في الخيال حتى ليظن القارئ أن الأحداث لا تعبر إلا عن مجموعة من البشر يسكنون عالماً آخر"^(٢). وعلى الرغم من وجهة ربما هذا النقد بشكل عام، إلا أن بعض الشخصيات في هذه الرواية لم تكن مسطحة، بل كانت نامية متطورة مثل شخصية الزوجة ماريانا.

ومن الباحثين الآخرين الذين يشاركون ديب هذا التقييم السلبي للرواية سلطان القحطاني الذي أفرد لها حيزاً في كتابه (الرواية في المملكة العربية السعودية: نشأتها وتطورها) فهو يرى أن فيها عددًا "من الأحداث ... غير معقولة ولا مبرر لوجودها حتى وإن أوجد بعض الدارسين مبرراً لها"^(٣)، مثل قصة الصحفية اليهودية التي كتبت مقالاً تشجب فيه زواج مسلم من مسيحية، وغيرها من الأحداث ويرى أن هذه "المبالغات غير الواقعية لم تضيف شيئاً إلى البناء القصصي، ولكنها أخلت به وجعلته حكاية ساذجة"^(٤). وربما بدا القحطاني قاسياً قليلاً في تقييمه الفني لهذه الرواية،

(١) المصدر السابق، ص: ١٠٩.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص: ١١١.

(٣) سلطان القحطاني، الرواية في المملكة العربية السعودية. ص ٢٠٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٠٩.

خاصة أنه لم يقدم أدلة قوية تسند رأيه، كما سبق التنبيه إلى ذلك من قبل الحازمي^(١). ولكن الباحث الذي أولى هذه رواية السنيورة اهتماماً كبيراً في دراساته هو حقيقة حسن الحازمي، فلو جمع ما كتبه عنها في كتابيه (البطل في الرواية السعودية) و (البناء الفني في الرواية السعودية) لخرجت لنا دراسة موسعة لكثير من القضايا الفنية في هذه الرواية. إضافة إلى أن الحازمي وظف في دراستيه، وبخاصة في الثانية، كثيراً من معطيات النظرية السردية الحديثة التي مكنته من تلقي السنيورة بطريقة أكثر منهجية وموضوعية. ومع ذلك فقد جاء تناوله لها بالضرورة مجزأً أيضاً.

ففي دراسته للبطل في الرواية السعودية، نجد أن الباحث تناول بطل رواية في السنيورة في أكثر من مبحث، فلقد أشار إلى جوانب الواقعية في شخصيته وحددها في عناية الكاتب بوصف البيئة المحلية، وفي واقعية اللغة والأحداث، وفي تمثيل الجيل المتناسك الملتزم بدينه^(٢). كما أشار إلى بطل السنيورة في علاقته بالشخصية الرئيسة الثانية في الرواية ماريانا، ورأى أن هذه العلاقة "على قدر كبير من الأهمية، لأن الرواية من أولها إلى آخرها تصوير للعلاقة بين بطل الرواية "صفوان إبراهيم" والشخصية الرئيسية الثانية "ماريانا روزيتا"، وهما مجرد رمز للعلاقة الإيجابية بين الشرق والغرب"^(٣). وفي مناقشة الباحث للبطل بين البيئة السعودية والبيئة الأجنبية، صنف بطل السنيورة (صفوان) ضمن الأبطال الذين لم يتأثروا كثيراً بالبيئة الأجنبية، يقول الباحث: "فدراسته في إيطاليا سبع سنوات، وإقامته داخل المجتمع الأوروبي المتفسخ

(١) حسن الحازمي، الحراك النقدي حول الرواية السعودية. النادي الأدبي الثقافي بجدة، جدة:

٢٠١٧م. ص ١١١.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٠٦-١٠٨.

(٣) حسن الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص ١٥٠.

كل هذه الفترة لم تؤثر في فكره، ولا في سلوكه، وظل محافظاً على قيمه ومبادئه...^(١) . وأعتقد أن هذا الحكم ينطوي على قدر من المبالغة، إذ لا يمكن لشخص يدرس في الغرب إلا أن يتأثر فكرياً بما يدرسه ويراه، ولعل زواجه بماريانا المسيحية سابقاً أكبر دليل على هذا التأثير أو التفاعل.

وفي مبحث البطل راوياً، يشير الباحث إلى السرد بضمير المتكلم في رواية السنيرة بوصفها ظاهرة عامة في روايات خوقير، ويتناول الباحث لغة السرد التي جاءت فصيحة في مجملها، لكنها تبدو قريبة إلى حد بعيد من الحديث اليومي العادي^(٢). ويعيب على الكاتب توظيف الشعر قائلاً: "أما الحشو فيتمثل في استخدامه لأبيات شعرية من التراث الشعري العربي بكثرة داخل النص السردى، دون أن يكون لذلك أي دلالة فكرية أو توظيف تاريخي...^(٣). ولو أن الباحث سيشير لاحقاً إلى أن الشعر مظهر من مظاهر ثقافة الكاتب التي انعكست على شخصية بطله^(٤).

وفيما يتعلق بعلاقة خوقير بأبطاله، ومنهم صفوان يرى الباحث أن الكاتب "لم ينجح تمامًا في الاختفاء خلف أبطال رواياته الذين اختارهم لسردها، وظل يطل برأسه بين الفينة والأخرى". ويأخذ على الكاتب وقوعه في بعض الأخطاء في رواية السنيرة تتعلق بموقع الراوي، فقد "جعل الراوي يروي أشياء لم يراها، ولم تحدث أمامه، ولم يشر إلى أن أحدًا حدثه بها، وموقع الراوي بضمير المتكلم لا

(١) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٦٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٥١٩.

يتيح له أن يتحدث إلا عما رأى أو سمع" (١).

ولعل آخر القضايا المهمة التي تناولها هذا الباحث هي قضية العلاقة بين شخصية خوقير وشخصية بطله في السنيورة، وقد بدا الباحث مترددًا حقيقة في هذا الجانب، فمرة يقول: "أما عصام خوقير فلا يلمس منه هذا الأثر الواضح لشخصيته على أي من أبطال رواياته" (٢)، وفي مرة أخرى يقول: "وهكذا يبدو" صفوان إبراهيم " بطل السنيورة أقرب الشخصيات إلى شخصية الكاتب" (٣)، وسنعود إلى هذه الإشكالية في التلقي الأجناسي لاحقًا.

وفي دراسة الحازمي الثانية (البناء الفني في الرواية السعودية)، تناول الباحث رواية السنيورة بطريقة شاملة ولم يقتصر على بعد واحد منها كما في الدراسة السابقة التي ركزت في تناولها على بطل الرواية. ولعلنا نشير هنا إلى أبرز القضايا الفنية التي تناولها الباحث في رواية السنيورة، آخذين في الحسبان أن تناولها كان ضمن تناول نماذج روائية أخرى عديدة.

فقد أشار إليها وهو يناقش عنصر الحدث الروائي بوصفها رواية اعتمدت على حدث رئيس واحد، وهو دخول مريانا في الإسلام، الذي رأى فيه الباحث الفكرة الرئيسة للرواية وهي إمكانية التلاقي الإيجابي بين الشرق والغرب (٤). كما اتخذها نموذجًا للنسق التتابعي للأحداث في الرواية مصحوبًا بنسق دائري، "حيث بدأ الراوي من نقطة النهاية في أول أربعة أسطر في الرواية ... ثم عاد بادئًا بالأحداث من

(١) حسن الحازمي، البطل في الرواية السعودية، ص ٣٦٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٣٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٣٧.

(٤) حسن الحازمي، البناء الفني في الرواية السعودية: دراسة نقدية تطبيقية. نشر المؤلف، مطابع الحميضي ٢٠٠٦م. ص ٤٩-٥١.

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير، د. مستورة مسفر العرابي

بدايتها"^(١). وأشار إلى حبكة التتابع المتبناة في السنيرة، وإلى سمة أخرى اختصت بها، وهي أن كل فصل فيها اتخذ عنوانا دالا على الأحداث التي وردت فيه^(٢). وقد جعل الباحث بداية رواية السنيرة ضمن بدايات الروايات غير الناجحة، ووصفها بالبداية "القاتلة" إلا أنه ما لبث أن خفف من حكمه هذا عندما اعترف ببعض الأبعاد التشويقية في بعض عبارات المقدمة^(٣). أما نهاية السنيرة فقد وصفها الحازمي بأنها نهاية ناجحة، يقول: "وتعد نهاية رواية (السنيرة) لعصام خوقير من النهايات الناجحة التي جاءت نتيجة طبيعية للأحداث ولعلاقات الشخصيات، وحاملة للرسالة التي سعت الرواية إلى قولها، ومرسخة لفكرتها"^(٤).

وقد اتخذ الحازمي من رواية السنيرة مثالا على اهتمام كاتبها في رسم شخصياته الرئيسة بالأبعاد النفسية، يقول: "ومنها أيضا رواية السنيرة لعصام خوقير الذي ركز على جانب مهم من جوانب البعد النفسي للشخصيتين الرئيسيتين (رضوان [صفوان] وماريانا) ألا وهو الجانب الفكري الذي كان محور الرواية، وقد أبان عنه من خلال الأحداث والحوار" ثم يشير على القارئ بالرجوع إلى صفحات متعددة من الرواية للوقوف على ذلك^(٥).

كما يتناول الباحث المكان في رواية السنيرة ويصفه بالمكان التقليدي، ويرى

(١) المرجع السابق، ص ٨١.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٠-٨١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٥٠-١٥٢.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٥) حسن الحازمي، البناء الفني في الرواية السعودية: دراسة نقدية تطبيقية، ص ٢٤٧.

أن للمكان فيها تأثيراً إيجابياً في الشخصية الروائية وبخاصة في شخصية صفوان وماريانا^(١). أما عنصر الزمان في الرواية فيتناوله الباحث من عدة جوانب، ويرى أن السنيورة هي من الروايات القليلة في مدونته التي اعتمدت ظاهرة الاسترجاع^(٢)، وأن عناوين فصول الرواية يمكن عدّها نماذج دالة على تقنية الاستباق^(٣)، وكذلك تناول الباحث تقنية التلخيص فيها والإيقاف المؤقت لزمن السرد^(٤).

أما القضية السردية التي أولاهها الحازمي اهتماماً بارزاً في رواية السنيورة فكانت قضية الرواية بضمير المتكلم، فقد أشار الباحث إلى هذه الظاهرة في روايات خوقير، ومنها السنيورة بطبيعة الحال، بقوله: "ويعد عصام خوقير من أكثر الروائيين السعوديين ميلاً إلى استخدام الراوي الداخلي، فجميع رواياته سردت عبر راو ممثل فيها بوصفه شخصية من شخصياتها المشاركة في الأحداث، بل هو في أغلبها بطلها الذي تدور حوله أحداثها، ويرويها بلسانه"^(٥).

لعلنا من خلال هذا الاستعراض للقضايا السردية التي عاجلها الحازمي في دراسته ندرك القيمة النقدية لهذا التلقي الفني لرواية السنيورة، الذي يعد التلقي الأوسع والأشمل حسب اطلاعنا. ونحن إذ نقدر هذا الجهد ندرك أن تلقي الأعمال الرواية وتحليلها يتميز بالثراء والتنوع واختلاف وجهات النظر.

(١) المرجع السابق، ص ٣٢٠، ٣٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٣٠-٤٣١.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٦٣-٤٦٤.

التلقي الأجناسي

وهذا النوع من التلقي للسنيرة يهتم بأمرين هما: مسألة تجنيس هذا العمل ومسألة ربط البطل بالكاتب. ولعل ما جعل النقاد يتوقفون عند هاتين المسألتين هو العنوان التجنيسي للعمل الذي وضعه خوقير على غلاف السنيرة "قصة طويلة" وكون العمل مسروداً بضمير المتكلم، واشترك الكاتب مع البطل في البيئة المكانية لأحداث الرواية.

والحقيقة أن هذا النوع من التلقي للسنيرة قديم قدم صدورها، فقد كتب مختار الكسار في عام ١٩٨١م مقالة في صحيفة الجزيرة بعنوان "قراءة نقدية للسنيرة"، أثار فيه إشكالية التجنيس والتلقي السيرذاتي لهذا العمل، عندما قال: "في قصة (السنيرة) للدكتور عصام خوقير يصحبنا الكاتب في رحلة أقرب ما تكون إلى السيرة الذاتية، ولكننا نلاحظ تستر الكاتب خلف اسم (الشيخ صفوان إبراهيم) ليضفي على القصة شيئاً من الحياد"^(١). فهو يرى أن الكاتب قد تفنن بالرواية لكي يكتب سيرته الذاتية. ورغم أنه يقرر العزوف عن متابعة تلقي السنيرة بوصفها سيرة ذاتية بسبب جهله بحياة الكاتب الشخصية أولاً، وعدم اكتراث النقد الأدبي الحديث بالربط بين الأدب والأديب ثانياً"^(٢)، فإنه يتساءل عن إمكانية تصنيف العمل بوصفه رحلة. يقول: "وإن كنا قد قبلنا استبعاد السيرة الذاتية عن (سنيرة) عصام خوقير، فهل نقلها كأدب رحلات؟"^(٣). وربما يفهم من كلام الكاتب التالي أن عصام خوقير قد أنكر وقتها أن تكون روايته سيرة ذاتية، يقول "تقبل الثوب الذي تنكر فيه الكاتب منكراً

(١) مختار الكسار، "قراءة نقدية للسنيرة" جريدة الجزيرة. ٤٩٩٢/٧ ديسمبر ١٩٨١م. ص ١٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

(٣) مختار الكسار، "قراءة نقدية للسنيرة". ص ١٣.

أن تكون (سنيورة) عصام خوقير سيرة ذاتية...".^(١). وأخيراً يختم الكاتب هذا الجزء من مقاله بالقول: "وسواء أكانت (السنيورة) سيرة ذاتية أم أدب رحلات... فإننا بإزاء قصة يحكي فيها البطل (الشيخ صفوان إبراهيم) أحداثاً وقعت له أثناء دراسته بجامعة ميلانو...".^(٢)

ومن النقاد الذين أثاروا هذه القضية في تلقيهم للسنيورة سلطان القحطاني الذي عبر عن تردده في تحديد جنس السنيورة السردي وغيرها من روايات خوقير على النحو التالي: "هذه الأعمال يصعب تقنينها إلى حد بعيد، فقد تم وضعها مع غيرها من الأعمال، فوجدنا صعوبة في كونها "روايات" أو لا روايات، بكل ما في الكلمة من معنى، فهي لم تخضع للمقاييس الفنية بالضبط، ولم تخرج إلى دائرة القصة الطويلة، فإذن هي متأرجحة، خاصة الأولى، "الدوامة" والثانية "السنيورة...".^(٣)

وربما كان ما أغرى بعض النقاد بهذا التلقي السيري للسنيورة هو "حضور المؤلفومزاحمته للشخصيات"^(٤) وأن الفكرة في الرواية قد جاءت "ممتزجة بشخصية المؤلف وحضوره شبه الدائم عبر سطور الرواية وصفحاتها"^(٥).

وربما يكون منصور الحازمي من أبرز الذين رسخوا هذا التلقي السيرذاتي المبكر للروايات السعودية، ومن ضمنها رواية السنيورة، إذ نجده يمارسه في كثير من دراساته، ولعل آخرها ما أورده في الدراسة التي كتبها مقدمة لمجلد الرواية "في موسوعة الأدب

(١) المرجع السابق، ص ١٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

(٣) سلطان القحطاني، الرواية في المملكة العربية السعودية، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٤) حلمي القاعود، "صراع الشرق والغرب في السنيورة لعصام خوقير"، ص ٧٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٧٢. والحقيقة أن كثيراً من الدراسات قد لاحظت هذا الحضور الطاغوي للمؤلف في السنيورة.

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير، د. مستورة مسفر العرابي

العربي السعودي الحديث. وطلبًا للإيجاز، سنقتصر على اقتباس نص واحد فقط، له صلة برواية السنيرة موضوع بحثنا، يقول: "ومن هذه الروايات التي تنحو منحى السيرة الذاتية في مرحلة التجديد: "السنيرة" لعصام خوقير، و"القشور" لعمر طاهر زيلع، و"شقة الحرية" لغازي القصيبي، رغم ظهور هذه الروايات في فترة متأخرة" (١).

أما حسن الحازمي فيبدو مترددًا تجاه هذا النوع من التلقي الذي يربط بين المؤلف وعمله، ومع ذلك نجد أنه، كما بين صالح الغامدي "لا يتردد أحيانًا في الربط الوثيق بين الآراء التي يتبناها أبطال الروايات وكتابتها"، ويقتبس الغامدي النص التالي من دراسة الحازمي لتأكيد وجهة نظره (٢): "وسأقف مع عصام خوقير وقفة متأنية من خلال رواياته لنرى كيف ظهر إثر ثقافته على أبطاله من خلال تبنيتهم لآرائه وقناعاته" (٣).

ولعلنا نختم هذا الجزء من التلقي السيرذاتي للرواية بالتنبيه إلى المخاطر التي قد ينطوي عليها مثل هذا التلقي كما حددها الغامدي، وهي أن التلقي السيرذاتي غالبًا ما يقود إلى تسطيح العمل الأدبي والتركيز على المضامين والهروب من الوقوف على الأبعاد الفنية فيه وتحليلها، كما أنه قد "يوقع الكاتب في حرج شديد مع نفسه ومجتمعه" عندما يربط حرفيًا بين حياة البطل والروائي وحياة كاتب الرواية (٤).

(١) منصور الحازمي، موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، مج ٥ "الرواية"، ص ٣٠.

(٢) صالح معيض الغامدي، كتابة الذات: دراسات في السيرة الذاتية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠١٣م. ص ١١٢.

(٣) حسن الحازمي، البطل في الرواية السعودية. ص ٦٤٤.

(٤) صالح الغامدي، كتابة الذات: دراسات في السيرة الذاتية، ص ١٢٨-١٢٩.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث نسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها، وهي على النحو الآتي:

- ١- نالت رواية "السنيرة" لعصام حوقير اهتماماً جيداً من النقاد منذ صدورها، وقد شكل هذا الاهتمام ظهور مدونة تلق متنوعة سعت الباحثة إلى دراستها بعد أن قسمتها إلى أربعة أنواع من التلقي: التلقي الأيديولوجي، والتلقي الحضاري، والتلقي الفني، والتلقي الأجناسي.
- ٢- على الرغم من تخصيص دراسات مفردة لنقد السنيرة وتحليلها كما رأينا، إلا أن أغلب التلقي النقدي للرواية جاء مجزأ ومتفرقا في دراسات متعددة كتبت حول السنيرة وقضاياها.
- ٣- اهتم التلقي الأيديولوجي بالمضمون الفكري لهذه الرواية بوصفها رواية تبرز تمسك البطل بقيمه الإسلامية في بيئة غريبة استطاع أن يطوعها لما يريد. ولعل زواجه بالفتاة الإيطالية هو الدليل الرمزي على نجاحه في الانتصار على الغرب. وما ورد من تحليل فني في هذه الدراسات كان في الغالب الأعم خادماً لهذه الفكرة الأيديولوجية بالدرجة الأولى.
- ٤- جاء التلقي الحضاري أوسع مدى وأرحب في تعاطيه مع الأبعاد المضمونية للرواية، فلم يقتصر على البعد الأيديولوجي وإنما وسعه ليشمل تناول الأبعاد الحضارية والثقافية والإنسانية لهذا التلاقي بين الشرق والغرب، وكان اهتمامه بالبعدين الفكري والفني للرواية متوازناً إلى حد كبير.
- ٥- أولى التلقي الفني عناصر السرد الرئيسة في رواية السنيرة اهتماماً بارزاً، ودرس أغلب هذه العناصر مثل: الحدث والفكرة والشخصية وتقنيات السرد، والزمان والمكان وغيرها. وجاء هذا التلقي مقنعاً في كثير من أبعاده

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير، د. مستورة مسفر العرابي

مع بعض الملحوظات التي أبديناها على بعض النتائج التي انتهى إليها ممثلو هذا النوع من التلقي.

٦- أبرز التلقي الأجناسي الذي كان حاضرًا في أغلب الدراسات التي تعاملت مع رواية السنيرة، ارتباكًا واضحًا عند بعض النقاد في تحديد الجنس السردي الذي ينتمي إليه هذا النص، هل هو قصة أم رواية، أم رواية سير ذاتية، أم رحلة؟ ولعل التصنيف الأجناسي الذي اختاره خوقير لعمله " قصة طويلة"، قد أسهم في هذا الارتباك. ومع ذلك فقد بدا لنا أن هذا النص هو رواية قصيرة وقد تلقاها كثير من النقاد من هذا المنطلق.

٧- أما فيما يتعلق بربط الكاتب بعمله، فقد كان حاضرًا أيضًا في كثير من الدراسات التي ركزت على البعد السير ذاتي للرواية، وهو بعد عديناه إقحامًا غير مبرر في تلقي رواية السنيرة، فسرد الرواية بضمير المتكلم لا يجعل منها في ذاته سيرة ذاتية أو حتى رواية سير ذاتية.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- أبو ملحمة، محمد، "تجليات الآخر في الرواية السعودية". مجلة الملك خالد للعلوم الإنسانية، مج ٢٤، ١٤، ص ٥٥-١٠١، يوليو ٢٠١٥ م.
- البشير، محمد، تلقي الرواية السعودية في الصحافة بين عامي ٢٠٠٠-٢٠١٠ م، نادي الأحساء الأدبي، الأحساء، ٢٠١٤ م
- الحازمي، حسن، البناء الفني في الرواية في الرواية السعودية: دراسة تطبيقية. ن. المؤلف، مطبعة الحميضي، الرياض ٢٠٠٦ م.
-، ".....، البطل في الرواية السعودية: دراسة نقدية. نادي جازان الأدبي، جازان ٢٠٠٠ م.
-، ".....، الحراك النقدي حول الرواية السعودية. النادي الأدبي الثقافي بجدة، جدة ٢٠١٧ م.
- الحازمي، منصور، موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث. مج ٥ " الرواية" موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث. مج ٥ " الرواية" دار المفردات، الرياض ٢٠١١ م.
- الخرعان، سلطان، مناهج نقد الرواية السعودية: عرض ودراسة، كرسي الأدب السعودي بجامعة الملك سعود، الرياض ٢٠١٩ م.
- خوقير، عصام، السنيورة. تهامة، جدة ١٩٨١ م.
- دار الملك عبد العزيز، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية. دار الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٣٥ هـ.
- ديب، السيد محمد، فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور، المكتبة الأزهرية للتراث ط ٢، القاهرة ١٩٩٥ م.

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير، د. مستورة مسفر العرابي

- الشنطي، محمد، فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر. نادي جازان الأدبي، جازان ١٩٩٠م.
- صحراوي، إبراهيم، "قراءة في رواية السنيرة لعصام خوقير" مجلة الفيصل، ع ٢١٠، ص ١١١-١١٤، ١٩٩٤م.
- الغامدي، صالح، كتابة الذات: دراسات في السيرة الذاتية. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ٢٠١٣.
- القاعود، "صراع الشرق والغرب في رواية السنيرة للدكتور عصام خوقير، الأدب الإسلامي، مج ٤، ع ١٥٤، ص ٧٠-٧٥، ١٩٩٧م.
- القحطاني، سلطان، الرواية في المملكة العربية السعودية: نشأتها وتطورها. ط ٢. نادي القصيم الأدبي، بريدة ٢٠٠٩م.
- قطب، محمد، "السنيرة.. جدل الآخر وغلبة التراث" فصول، الهيئة العامة للكتاب. مصر مج ١٢، ع ٢، ص ٣٣٧-٣٥٠، ١٩٩٣م.
- الكسار، إبراهيم، "قراءة نقدية للسنيرة" جريدة الجزيرة. ٤٩٩٢ / ٧ ديسمبر، الرياض ١٩٨١م.
- المسعودي، أحمد، تلقي النقاد السعوديين الرواية المحلية، من عام ١٩٩٤ إلى عام ٢٠١٥، نادي أبحا الأدبي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ٢٠٢١م.
- النعمي، حسن، الرواية السعودية: واقعها وتحولاتها. وزارة الثقافة والإعلام، الرياض ٢٠٠٩م.

Bibliography

- Abu Milhah, Muhammad, **"The Representations of The Other in The Saudi Novel"** [in Arabic], Majjalat al'ulum al-Insaniyyah, King Khalid University, vol. 24, pp 55-101, july 2015.
- Al_Kassar, Ibrahim, **" A Critical Reading of Seniora"** [in Arabic], Jaridat ALjzirah, no. 4994, 7 dec, Riyadh 1981.
- Al_Khar'an, Sultan, **Methods of criticism of The Saudi Novel: presentation and study** [in Arabic], Kusi Al'adab Alsaudi, King Saud University, Riyadh 2019.
- Al-Bishayr, Muhammad, **The Reception of The Saudi Novel in The Press**, [in Arabic], Nadi al'ahsa' al'adbi, Al'ahsa' 2014.
- AL-ghamdi, Saleh, **Writing the Slaf: Studies in Autobiography** [in Arabic], Almarkz Althgafi Alarbi, Aldar Albaytha' 2013.
- Al-Hasimi, Hasan, **The Artistic Structure of The Saudi Novel: An applied Study**, [in Arabic] Alhumadhy Press, Riyadh 2006.
- """, **The protagonist in in The Saudi Novel: A critical Study**, [in Arabic] alnadi Aladi bijazan, Jazan, 2000.
- " " ", **The Critical movement on The Saudi Novel**, [in Arabic] , alnadi Aladabi bijeddah, Jeddah, 2017.
- AL-Hazimi Mansur, **Encyclopedia of Arabic literature in Saudi Arabia** [in Arabic], vol.5, " The Novel", Dar Almufrdat, Riyadh 2011.
- Al-Mas'udi, Ahmad, **The Reception of The Saudi Novel BY The Saudi critics (1994-2015)** [in Arabic], Nadi Abha al'adabi, Abha 2021.
- Al-Nu'mi, Hasan, **The Saudi Novel: Its Reality and Transformations** [in Arabic], Wazart althqafah wa l'lam, Riyadh 2009.
- Al-Qahtani, Sultan, **The Nonel in Saudi Arabia: Its Emergence and Development** [in Arabic], 2nd Edition, Nadi alqasim al'adabi, Buraydah 2009.
- Al-Qa'ud, Hilmi, **" The Conflict Between East and West in Siniora Novel"** [in Arabic], Aladab Alisami, vol. 4, no.15, pp 70-75, 1997.
- Al-Shanti, Muhammad, **The Art of The Novel in Modern Saudi Literature** [in Arabic], Nadi Jazan Aladabi, Jazan 1990.
- Dart Almalik Abdulaziz, **The Encyclopedia of literature in Saudi Arabia** [in Arabic] Dart almalik Abdualaziz, Riyadh 1435 H.

تلقي رواية "السنيرة" لعصام خوقير، د. مستورة مسفر العرابي

Deeb, alsayyd Muhammad, **The Art of The Novel in Saudi Arabia Between Emergence and Development [in Arabic]**, **Almaktabah Alazhariyah liturath**, 3ed Edition, 3rd Edition, Cairo 1995.

Khuqir, Isam, Saniora, **Tihamah**, Jaddah 1981.

Qutb, Muhammad, "**The Siniora: The Controversy OF The Other and The predominance of Heritage**" [in Arabic] , Fusul, alhay'ah al'amah lilkitab, cairo, Vol.12 no.2, pp 337-350, 1993.

Sahrawi, Ibrahim, "A **Reading in The Siniora of Isam Khuqir**" [in Arabic], Alfaisal, no. 210, pp 111-114, 1994.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي

Visual Formation in Nadia Alboshi's Divan:
"Fitnat Al-Bouh"

د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

أستاذ الأدب والنقد المساعد في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

البريد الإلكتروني: amalkahtani@pnu.edu.sa

المستخلص:

يتناول هذا البحث التشكيل البصري في ديوان: "فتنة البوح" لنادية البوشي؛ إذ يعد التشكيل البصري المتنوع أمرًا لافتًا في شعرها، يدعو إلى تأمل المعاني المقصودة خلف هذه التشكيلات، والنظر في جماليات توظيفها. كما يتضمن توضيحًا لمعنى التشكيل البصري، وأهميته في الشعر الحديث، وقد تناولت الباحثة في مباحثه أبرز التشكيلات البصرية في شعرها، وهي: التشكيل الهندسي، مثل متوازي الأضلاع، والخط المستقيم، ثم تحدثت عن التشكيل البصري والسطر الشعري، ومن أبرز ظواهره: التفريق البصري، واستعرضت التشكيل البصري وعلامات التقييم، كالمند النقطي، وعلامة الحذف. وقد كشف البحث عن أثر العلامات غير اللغوية التي شكلتها الشاعرة بصريًا؛ لتتوب عن حضور السمات الشفهية التي غيّبتها الكتابة.

الكلمات المفتاحية: التشكيل البصري، نادية البوشي، فتنة البوح، سيمياء.

Abstract:

This study addresses the visual formations in Nadia Al-Boushi's Divan: "Fitnat Al-Bouh" (The Trial of Divulgence), as the diverse visual formation is a remarkable feature in her poetry, which calls for contemplation on the intended meanings behind these formations, and consideration of the aesthetics of their utilization.

It also includes an explanation of the meaning and significance of visual formation and its importance in contemporary poetry. The researcher discussed the most significant visual formations in her poetry, such as: Geometric formation, such as parallelograms and straight line. Then the researcher discussed visual formation and poetic line, and its most significant phenomena include: visual differentiation. The researcher also explored visual formation and punctuation marks, such as dotted extension and ellipses.

The research revealed the effect of the non-linguistic signs that the poetess visually formed; To substitute for the presence of the oral themes that were absent from writing.

Keywords: Visual formation, Nadia al-Boushi, trial of divulgence, semiotics.

المقدمة

حين نقرأ لنادية البوشي، يلفت نظرنا التشكيل البصري على صفحات ديوانها: "فتنة البوح"؛ فالقصيدة لديها لا تُكتب بشكل عادي، ولا تتوزع على الورق بالطريقة المألوفة لكتابة الشعر.

وإن كان التشكيل البصري قد انتشر بشكل ملحوظ لدى شعرائنا المعاصرين؛ حيث نلمح نزوح كثير منهم إلى نقل عملية التلقي من الأذن إلى العين، فما كان يصل المتلقي قديماً بالمشافهة، أصبح يصل عن طريق البصر، فإن لها تشكيلاتها الخاصة لملء بياض الصفحات، وكأن لكل فراغ يُترك تأويل ومعنى.

أهمية الموضوع:

إن عناية نادية البوشي اللافطة بتشكيل الكلمات، وصفها على الصفحة البيضاء، يثير العديد من التساؤلات حول المعاني المقصودة خلف هذا التشكيل؛ حيث لم تخلُ قصيدة واحدة من التشكيل البصري المتنوع، وهو أمر يُبرز أهمية هذا الموضوع وصلاحيته للدراسة؛ للكشف عن هذه المعاني الكامنة.

من هذا المنطلق ومن خلال قراءة متفحّصة لديوان الشاعرة، فإني سأدرس التشكيلات البصرية المنتشرة في ديوان: "فتنة البوح" مثل: التشكيل الهندسي، والتشكيل البصري والسطر الشعري، والتشكيل البصري وعلامات الترقيم.

أسباب اختيار الموضوع:

مما دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، أنني وجدته موضوعاً بكراً، لم يُبحث فيه، ولم تُكتب دراسة عنه، إضافة إلى اهتمامي بالسيمياء بشكل عام، وبشعر المرأة بشكل خاص.

أهداف البحث:

- معرفة أثر التشكيل الهندسي على المعنى.
- الكشف عن دلالات تشكيل السطر الشعري.
- الوقوف على أثر علامات الترقيم في المعاني الشعرية.

الدراسات السابقة:

حسب علم الباحثة واطلاعها لا توجد دراسة سابقة تناولت التشكيل البصري في شعر نادية البوشي، لكنني وجدت دراسات عديدة تناولت الشعر بشكل عام من خلال التشكيل البصري، مثل:

- ١- البقمي، فهد بن مرسي بن محمد. ظاهرة التشكيل البصري في الشعر بين النظرية والتطبيق تجربة الناقد محمد الصفرائي أنموذجًا. المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة- كلية التربية (العدد ٣). (يونيو ٢٠١٥م).
- ٢- بوعزة، طيبي. ظاهرة التشكيل البصري في الشعر الجزائري: ديوان مالم يقله المهلهل للشاعر محمد زيور أنموذجًا. دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية (العدد ٢٢). (فبراير ٢٠١٩م).
- ٣- بولفوس، د.زهيرة. التشكيل البصري في الشعر الجزائري المعاصر. الجزائر، مجلة سُرّ من رأى، كلية الآداب- جامعة قسنطينة (العدد ٤٠) (المجلد ١١) (السنة الحادية عشر). (شباط ٢٠١٥م).
- ٤- جريدي، سامي. سيمائية التشكيل البصري قراءة في ق. ق. ج السعودية. الراوي، النادي الأدبي الثقافي بجدة (الجزء ٢٦). (مايو ٢٠١٣م).
- ٥- الدودي، عيسى. التشكيل البصري في القصيدة المعاصرة. العربية والترجمة، المنظمة العربية للترجمة (العدد ١٨) (المجلد ٥). (٢٠١٤م).
- ٦- الدوسري، وليد بن عبدالله. مظاهر التشكيل البصري في شعر محمد حبيبي. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين في القاهرة، جامعة الأزهر- كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين في القاهرة (العدد ٣٧) (المجلد ٥). (ديسمبر ٢٠١٩م).

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

٧- الشافعي، خالد بن ربيع بن محمد. تقنية التشكيل البصري في القصيدة السعودية الحديثة قراءة في تجربة شاعرين. مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بحري (العدد ١١) (المجلد ٦). (يوليو ٢٠١٦م).

٨- الصفراني، د. محمد. التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (١٩٥٠-٢٠٠٤م). الرياض، النادي الأدبي بالتعاون مع المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء. (٢٠٠٨م).

٩- العتيبي، بدر بن ندا بن عبد الرحمن، التشكيل البصري في الشعر السعودي الحديث. مجلة مقاربات، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل (العدد ١٣). (٢٠١٣م).

١٠- ناصر، علاء الدين علي. دلالات التشكيل البصري الكتابي في النص الشعري الحديث. مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح - ورقلة (العدد ١٣). (ديسمبر ٢٠١٧م).

منهج البحث:

بعد قراءة متبعة للتشكيلات البصرية في شعر نادية البوشي اخترت المنهج السيميائي؛ لاهتمامه بالمعنى، والبحث عن العلامات، ونجاحه في التحليل، فهو من المناهج التي تفتح النص على الكثير من المعارف المختلفة، واعتمدتُ تحديداً على السيميائية التأويلية التي تبناها أمبرتو إيكو؛ إذ تسعى إلى تنشيط التراكمات لملء بياض النص، وهو من أنجع المناهج النقدية لدراسة التشكيل البصري، وإيقاع السواد على البياض.

خطة البحث:

فُتِّمَتِ الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وثَبَّتَ للمصادر والمراجع.

-المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.

-التمهيد: تضمن توضيحًا لمعنى التشكيل البصري وأهميته في الشعر الحديث.

-المبحث الأول: التشكيل الهندسي

-المبحث الثاني: التشكيل البصري والسطر الشعري

-المبحث الثالث: التشكيل البصري وعلامات الترقيم

-الخاتمة

-ثبّت للمصادر والمراجع

تمهيد:

إن النص الشعري يتشكّل "من اللغة التي هي سلسلة من العلامات اللسانية، لكنه يعتمد كذلك على علامات أخرى أكثر تعقيداً يمكن إدراكها بالقراءة البصرية، وهي علامات هندسية وأيقونية تتشكّل من الألوان والخطوط والأشكال والمثلثات والمربعات والدوائر"^(١)، ف"التشكيل وما يولده من رموز بصرية ينوب عن حضور السمات الشفهية للذات الشاعرة التي غيّبتها الكتابة، ومن ثم أصبح هو المعادل البصري للإلقاء"^(٢)؛ خاصة في عصر شهد تدرجاً "في الانتقال من الإنشادية إلى البصرية واستثمار كل أبعاد التشكيل البصري في تفجير النص الشعري والخروج به إلى دلالات غير مألوفة"^(٣)، ف"الصوت والصمت يتحددان على المستوى الكتابي للقصيدة بالسواد رمز: الصوت، والبياض رمز: الصمت؛ إذ إن للبياض في القصيدة أهمية لافتة للنظر"^(٤)، تحثنا على كثيرٍ من البحث والتأويل.

ويهتمّ النص التشكيلي بالمتلقي، فهو من "يكتسب ميزة إنتاج الدلالة من خلال سمات الأداء الشفهي التي يجسدها التشكيل البصري؛ حيث لا يوجد في مقام

(١) عيسى الدودي، التشكيل البصري في القصيدة المعاصرة. العربية والترجمة، المنظمة العربية

للترجمة (العدد ١٨) (المجلد ٥). (٢٠١٤م)، ص ٦٤.

(٢) د. محمد الصفرائي، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (١٩٥٠ - ٢٠٠٤م).

الرياض، النادي الأدبي بالتعاون مع المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء. (٢٠٠٨م)، ص ٢٠. (بتصرف)

(٣) د. زهيرة بولفوس، التشكيل البصري في الشعر الجزائري المعاصر. الجزائر، مجلة سُرّ من

رأى، كلية الآداب - جامعة قسنطينة (العدد ٤٠) (المجلد ١١) (السنة الحادية عشر).

(شباط ٢٠١٥م)، ص ١٩٦.

(٤) محمد صابر عبيد، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية: دراسة.

دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب. (٢٠٠١م)، ص ٤٧.

التلقي القرائي سوى النص والمتلقي^(١)، فللقارئ دورٌ فعال وحيوي في العملية الإبداعية من خلال قراءة النص والتفاعل معه، وإنتاج المعنى، وفتح آفاق غير محدودة من التأويلات.

وحين نعود إلى معنى التشكيل في اللغة نجد مشتق من الأصل اللغوي: شكل، والشَّكْل: الشبه والمثل، تقول هذا على شكل هذا أي على مثاله، وفلان شكل فلان أي مثله في حالاته، ويقال هذا من شكل هذا أي من ضربه ونحوه، وهذا أشكل بهذا أي أشبه، والمشاكلة الموافقة، والتشاكل مثله، والشاكلة الناحية والطريقة والجديلة، وشاكلة الإنسان شكله وناحيته وطريقته^(٢)، وقد عرّف أحد الباحثين التشكيل البصري بأنه: "كل ما يمنحه النص للرؤية سواء أكانت على مستوى البصر العين المجردة أم على مستوى البصيرة"^(٣)، ومن هنا تتضح لنا أهمية الثقافة البصرية فهي من أهم محفزات التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث؛ حيث "باتت القصيدة جسمًا طباعيًا، له هيئة بصرية مظهرية محسوسة، تعمل على توليد أشكال جديدة من المساحات النصية"^(٤) تتناسب مع اتجاه الحياة الجديد الذي يهتم بالمادة والمدركات الحسية.

ويعد انتقال عملية التلقي من العهد الشفوي إلى العهد الكتابي من أهم مراحل الوعي والإدراك، فالتعبير عن كثافة المقروء يجعل القارئ يقبض على مجرة الشعر تحت

(١) الصفراي، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٢) يُنظر: ابن منظور، لسان العرب. (تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون). بيروت، دار المعارف (طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصلة). (د.ت). مادة: شكل.

(٣) الصفراي، مرجع سابق، ص ٢٠. شربل داغر، الشعرية العربية الحديثة. الدار البيضاء، دار توبقال، (١٩٨٨م)، ص ٣٣.

(٤) شربل داغر، الشعرية العربية الحديثة. الدار البيضاء، دار توبقال، (١٩٨٨م)، ص ٣٣.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

ظلال الإشارات وخلف أسرار الكلمات، وباطن الخطوط والتشكيلات^(١).
إن دراسة مثل هذه التشكيلات البصرية "أحدثت هزة عاتية في الشعرية المعاصرة، لأنها قبل كل شيء شكل من أشكال التمرد الذي يروم تجاوز التحليل الألسني للقصيدة والمقاربات المضمونية والأيدولوجية، إلى آفاق تحليلية أكثر علمية قائمة على الضبط والقياس في بحث ظواهر الشعر"^(٢)، كما أن الخطاب البصري يحتل مكانة مهمة في الدراسات الحديثة؛ "خاصة عندما يرتبط بالسيمائيات والتأويل فينتج عدة معاني ومفاهيم"^(٣) تحتاج إلى الكشف والتحليل.
ونادية البوشي من الشواعر اللاتي استثمرن هذه الأبعاد التشكيلية الجمالية في نصوصهن؛ لإيصال المعنى، وتسجيل دلالات مفارقة، كما أنها تريد أن توصل للمتلقي العديد من سمات الإلقاء الشفهي المفقود، عبر اللجوء إلى التشكيل البصري الذي تعني به حسب المعنى.

وهي شاعرة سعودية، من مواليد محافظة العلا شمال المدينة المنورة عام ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، حاصلة على البكالوريوس تخصص المكتبات والمعلومات من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ونالت درجة الدبلوم العام من فرع جامعة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة، تولت إدارة المكتبة العامة بكلية التربية في جامعة طيبة، ثم تولت إدارة وحدة الإعلام في كلية التربية للبنات، عضو اللجنة النسائية في نادي المدينة المنورة الأدبي،

(١) يُنظر: د. إبراهيم نمر موسى، تضاريس اللغة والدلالة في الشعر المعاصر. الأردن، عالم

الكتب الحديث، (٢٠١٣م)، ص ٣٠.

(٢) الدودي، مرجع سابق، ص ٦٤.

(٣) صالح علي قحلو، سيميائية الخطاب البصري. مجلة كلية الفنون والإعلام، جامعة

مصراتة- كلية الإعلام والفنون (العدد الثالث). (ديسمبر ٢٠١٦م)، ص ٦٩.

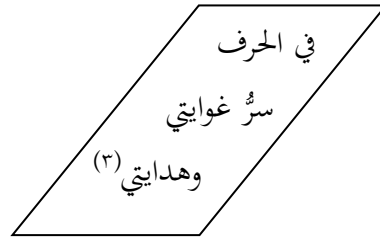
ولها كثير من المشاركات فيه، وفي وسائل الإعلام المختلفة، حصلت على جائزة أهما للثقافة في الإبداع الأدبي في مجال الشعر عن ديوانها: فتنة البوح (١٤٣٠هـ/٢٠١٠م)، ولديها ديوان آخر بعنوان: بما سيجدُّ من تأويل (٢٠١٥م)^(١).

(١) يُنظر: دارة الملك عبدالعزيز، قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية. الرياض، إصدارات دارة الملك عبدالعزيز. (١٤٣٥هـ). ج ١، ص ١٤٥، و سارة الأزوري، ديوان الشاعرات في المملكة العربية السعودية: سير ونصوص. الرياض، دار المفردات. (١٤٣٢هـ-٢٠١١م)، ص ٥٢٨.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

المبحث الأول: التشكيل الهندسي

لعل من أبرز صور التشكيل البصري عند نادية البوشي هو التشكيل الهندسي؛ إذ توظف في شعرها رسوماً هندسية بوصفها "مادة بصرية قابلة للتشكيل الفني، وتحقيق المتعة الجمالية"^(١)، وذلك من أجل توليد دلالة بصرية، كما أن "الشكل الهندسي علامة بصرية لافتة تضيف على النص دلالة ومعنى"^(٢)، ويشيع في شعرها شكل متوازي الأضلاع، مثل قولها:



فهي تستهله أولى قصائدها بهذا الشكل، وكأنها تريد منا أن نلج إلى نصها الأول بتدرج، وتمهل؛ فضلالها وهدايتها يكمن في السرّ/ الحرف، فشعرها امتزاج للنقيضين: الغواية والهداية؛ حيث البوح وانكشاف الروح. وتبني نادية أغلب مقاطع قصيدتها الافتتاحية التي تحمل عنوان: "فتنة البوح.. سرّ الغواية" بهذا الشكل الهندسي؛ لتختتم قصيدتها الافتتاحية به أيضاً: هذي أنا..

إني أزيز الجرح

في صدر الورق^(٤)

فهي تريد من القارئ كما تلقى فاتحة القصيدة بتمهل وتدرج، أن يتلقى الخاتمة

(١) الصفراي، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) بولفوس، مرجع سابق، ص ٤٢٢.

(٣) نادية البوشي، فتنة البوح. الرياض، دار المفردات. (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، ص ٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ٩.

بذات التدرج المعبر عن أنا الشاعرة، المتلاحم مع الكتابة، فهي "أزيز الجرح في صدر الورق"؛ إذ نلاحظ دقة الوصف، واختيار المفردات، فالأزيز هو الصوت القويّ الشديد المعبر عن حجم وعمق ومدى هذا الجرح، واختارت صدر الورق ولم تختَر هامشه مثلاً، وبنته على شكل المتوازي لتزيد في تكثيف المعنى، وتعطي المتلقي مهلة لتخيل الصورة الكاملة، كما استخدمت المفردات الدالّة: "هذي، أنا، إني" للتأكيد على هذا التماهي بينها وبين الكتابة.

وفي قصيدة: "أرجوحة الحب" التي بنتها نادية بأسلوب هندسي متباين في أغلب مقاطعها، وكأنها تتأرجح مثلما الحب، تكثر من استخدام متوازي الأضلاع؛ إذ تقول:

وللحب أرجوحة
من ضلوع الحيارى
على حافة الأمنيات اليسيرة
قلبٌ
ودفءٌ
وبعض الرحيق
وكسرة وصل
على كأس شوق
ترد الحياة إلى القانطين^(١)
وتقول:
وللحب أرجوحةٌ
في قلوب السهارى
على موعد لارتشاف الأماني

(١) البوشي، مرجع سابق، ص ١٧.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

يتوقون للأمسيات الحميمة

في غفلة القيد واللائمين

إذ ينصتون لحادي الحياة

يرشّ الربيع على التائهين^(١)

نلاحظ في المقاطع المثبتة من هذه القصيدة كثرة استخدامها الالفت لشكل متوازي الأضلاع؛ لتثبت حالة تأرجح الحب بين الوصل والمنع، والقرب والبعد، والحزن والسعادة، والأمني والأحلام... حتى إذا ما وصلوا إلى الغاية اكتشفوا غرابة الحياة التي تصدمهم بالوقائع، وتبدّد الأحلام كأرجوحة الحب المتحركة على أديم الصفحة.

وفي قصيدة بعنوان: "خطيئة الشعراء":

ونحلم أن سنشعل من لظاها النور

نحلم

ثم

نحلم

ثم

تتكئ الحروف على الحروف

وتتجمع الأحلام

يحتفل الغبار برقصة الكلمات^(٢)

يتكرر هذا الشكل الهندسي في أغلب مقاطع القصيدة؛ إذ تقول في المقطع الأول: "نحلم ثم نحلم ثم" وكأن هذا التدرج واستخدام حرف العطف "ثم" الذي يفيد الترتيب مع وجود مهلة بين وقوع المعنى على المعطوف عليه، ووقوعه على المعطوف^(٣)؛ للدلالة على اتساع المدة وطولها بين الحلم والحلم، فهذا التدرج والتكرار والتراخي، أسهم في توصيل المعنى المراد وكأن الحلم بعيد التحقق، والحروف استوت

(١) البوشي، مرجع سابق، ص ١٨، ١٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٣.

(٣) يُنظر: ابن يعيش النحوي، شرح المفصل. (تقديم: الدكتور إميل بديع يعقوب). بيروت، دار

الكتب العلمية (٢٠٠١م). ج ٥، ص ١٢.

على الحروف، والأحلام التي تصحو في الليل نامت، ليختم المشهد برقص الكلمات واحتفال ذرات التراب.

وفي مقطع آخر من القصيدة ذاتها تقول:

وأنا بدونك زهرة

ريانة صخبًا وتيها

خيبة غرثي تمد أصابع الأحلام مجدافًا

تحوض غمارك الموشوم بالأسرار

والأخطار

والآمال

والأهوال

ترجو غيثك المخبوء في سحب الخيال^(١)

نجد أن متوازي الأضلاع هنا اتخذ شكلاً عكسيًا، فبدأ من اليسار إلى اليمين، وذلك رغبة من الشاعرة للتركيز على كل كلمة في هذا التشكيل الهندسي، فهي تحوض مفاجآت الشعر وتقلباته المثيرة المليئة بـ "الأسرار، والأخطار، والآمال، والأهوال" وهذه الكلمات تريد التركيز على معانيها، والتأمل فيها واحدة واحدة عبر شكل متوازي الأضلاع العكسي.

لتختم القصيدة باتجاهين متوازي الأضلاع:

هزنا القوافي فساقطت بوحًا

عقدناه تعويذة للحيارى

وللعاشقين

وللمتعبين

وللحالمين

بدفء الحياة

(١) البوشي، مرجع سابق، ص ٦٦.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

وتسبيحة للغواة

الذين يهيمون في عرصات القوافي

يرجون وحيك

بعض المواويل،

شيئًا من السحر

يمنحهم لغة الخالدين^(١)

فهي تعذر في خاتمها للشعر، بعد أن أشقاها وملأها بالحسرات والآهات،
والجوع للمعنى، فالكلمات تلهو بها وتذيقها الأسى واليأس، فهي الحريق والرحيق،
وكأن الشكل تمثيلٌ حي لتساقط البوح.

وفي قصيدة: "محاق الأمومة" التي تصوّر فيها معاناة الأم العاملة حين تبتعد عن
أطفالها، وتعود إليهم بعد عناء يوم طويل؛ لتستقبل أسئلتهم وأشواقهم ومشاكساتهم
بروحٍ مرهقة، أضناها التعب، فتستخدم شكل متوازي الأضلاع؛ لتصف الغربية،
والضياع حين تبصر حلمها وهو يتحول شيئًا فشيئًا من السراب إلى اليباب إلى
الهجير، ثم الجنة القاحلة، تقول:

تغرّب قلبي

أضعت الطريق

وأبصرت حلمي

سرابًا

يبابًا

هجيرًا

وجنته قاحلة^(٢)

وتحت أعتاب الهداية والصلاح، تجثو نادية عند نور ربها، فتلوذ إليه في قصيدة:

(١) البوشي، مرجع سابق، ص ٦٦، ٦٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١١.

"شهقة روح" فهي بشر، تخطئ فتؤوب، وتصور نادية معاناتها عبر شكل متوازي الأضلاع:

وفي دمي

تتكاثر الأشواكُ

تنسابُ حثيثًا

في عروقي

تتجلى غيمة

تهمي جراح^(١)

فالغيمة تتجلى في العروق، ثم تهمي جرحًا، وكأن هذا الشكل المتدرج قد صوّر لنا الجراح وهي تهمي من الغيم.

ومن التشكيلات الهندسية التي تكثر نادية استخدامها: **الخط المستقيم**، تقول:

يدقّ على باب أشواقهم:

(هلمّوا إلى العنب الرازقيّ

وكعك الحياة....)(^(٢)

فهي ترسم خطأً مستقيمًا أفقيًا في الفعل "هلمّوا" لتجسّد للمتلقى حال السهاري العاشقين حين ينصتون لحادي الحياة، ولمنادي الحب حين يطرق أشواقهم بالنداء الطويل الذي يحمل الفرح والتشويق والإثارة.

وفي قصيدة: "قراءة" التي تمثل شاهدًا لعدة أنواع من التشكيل البصري، نجد

الخط المستقيم حاضرًا في النص؛ إذ تقول:

بل فتنت

(١) المرجع نفسه، ص ١٢١.

(٢) البوشي، مرجع سابق، ص ١٨.

بذاك الجمال
يسيل غموضًا
فيرتدّ ظني إلى حيرتي
يقلبها هااجسًا

هاجسًا (١)

نجد أنّها توظف الخط المستقيم في كلمة: "هاجسًا" لتمثل حالتها الممتدة بين
الظن والحيرة حين فتنت بالجمال الغامض؛ لتغرق في بحر الهواجس، كما ينبع هذا
التشكيل من لوعةٍ نفسية؛ فالبعد النفسي متماهاً مع الشكل الهندسي.
ويطالعنا الخط المستقيم في العناوين أيضًا، ففي قصيدة: "الرحيل" رسمت العنوان
بخط مستقيم ممتد، وكأن هذا الامتداد يمثل طول الألم والوجع والفقد، تقول في هذه
القصيدة:

جاء يهذي
بما لم تقله مساءاتنا
حين يتكئ الياسمين
على أكتاف سويعاتنا
حيثما يثب الياسمين... وثبنا
بين المساءات

بين يديّ الصباح الجميل (٢).

وتقول:

وبعد رحيلك
إذ جاء قوس القزح

(١) المرجع نفسه، ص ٢١.

(٢) البوشي، مرجع سابق، ص ٩٧.

جاءنا صامتاً

هازناً

ناعياً دفء ألوانه

جاء يحمل.. لون الغبار

بيد أحلامنا

بين أحزاننا

وعلى صخرة المستحيل^(١)

فالأحلام لا يكفيها أن تكون جمعا، ولا تكفيها (نا الفاعلين) بل مدتها بخط مستقيم؛ لأنها طويلة وشاسعة جداً، وهذا الرحيل بددها رغم طولها، وفي هذا دلالة على عظم مكانة الراحل.

وإن كان الصمت والغربة والحرقه والبهوت وتبديد الأحلام من صفات قوس الفرح الذي جاء بعد الرحيل، فإن من صفاته أيضاً الهديان، هذا الذي قال ما لم تقله المساءات، فالمسكوت عنه كثير؛ لذا استخدمت تقنية المستقيم للتعبير عن عظم المسكوت عنه.

وفي نص: "أوبة" تستخدم نادية البوشي الخط المستقيم لتضعيف حجم الألم؛ إذ تقول:

إيييييييييه "يا موجع الصبر" من تنتظر؟

والهنا جاء من هوة الغدر

قد ثقبت النكايات

تتعبه لدغات البشر...!!^(٢)

فهي لم تكتف بتضعيف صيغة الفعل من: ثقّب إلى ثقّب، بل استخدمت الخط

(١) المرجع نفسه، ص ٩٦.

(٢) البوشي، مرجع سابق، ص ٤٥.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

المستقيم لزيادة المعنى، والتعبير عن حجم النكايات واللدغات التي تعرضت لها.
وفي قصيدة: "محاق الأمومة" المليئة بالتشكيلات البصرية المختلفة نجد الخط
المستقيم حاضرًا حين تلقي بهمومها على صدر أمها الحاني، فتقول:

حنانيك أمي

أقلي الملام

فلست لوحدي

معي كل أمات هذا الزمان

أضعن الطريق

برغم المسير مع القافلة^(١)

فحنان الأم فيض غزير، شكّله بالخط المستقيم في كلمة: "حنانيك" لزيادة
الاستعطاف، وطلب المزيد من حنان الأم الذي لا ينضب.

(١) المرجع نفسه، ص ١١٠.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

فالعمق ليس عمقاً عادياً؛ بل هو موغل جداً، فتكرر حرف المد الياء للدلالة على مدى العمق، مستخدمة التفريق البصري كذلك لزيادة المعنى. وتقول:

ترى... أيهم خادن الصمت؟؟

كحل أهدابه بالترقب

تصطك أنفاسه لاحتمال

ب ع ي ي ي د... قريب^(١)

فلاحتمالان: بعيد وقريب، لكن بعده أكثر من قرينه، والدليل على ذلك تكرار حرف المد الياء مع التفريق البصري، وترك مسافة بيضاء عند كتابة السطر الشعري؛ فالتفريق البصري جاء دالاً على مفهوم البعد بتباعد الحروف، فأكدت الدلالة من خلال الشكل، في حين التصقت حروف "قريب" لتأكيد معنى القرب.

وفي قصيدة: رؤيا" يتكرر استخدام نادية لتقنية: التفريق البصري في كل مقاطع النص تقريباً، ففي المقطع الأول:
نجمة صامته..

ترقبني من ب ع ي ي ي د... (٢)

وفي المقطع الثاني:

تغافلني وتحي ي ي ي ء

على ضوء حلم^(٣)

وفي المقطع الأخير:

تسير... ب ع ي ي ي د ا

(١) البوشي، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣١.

(٣) المرجع نفسه.

تخوض البياض

ولا تلتفت! (١)

فكأن نادية تريد منا الاستغراق في معنى الكلمة، والتأمل فيها عبر استخدام التفريق البصري، فالنص هادئ جداً، والنجمة صامتة، ترقبها من بعيد، ثم بحركة سريعة تغافلها هذه النجمة وتجي ي ي ي ي ي ي ببطء شديد، وتعود لحالة التأمل. ثم بعد ذلك تسير النجمة ب ع ي ي ي ي ي ي د ا كضوء حلم، وهذا المشهد الأخير الذي ختمت به نادية النص.

وتستخدم نادية أكثر من تقنية من تقنيات التشكيل البصري في نص: "نبض

مبتور":

عبّأت

رحلها بالمواقع

وامتلت للألم

عندما قيل:

ذي (أ)

ر

م

ل

هـ! (٢)

فقد استخدمت الخط المستقيم في (عبّأت)، والمساحات البيضاء، والشكل الهندسي: متوازي الأضلاع، إضافة إلى التفريق البصري؛ لتعبر عن حجم المواقع، ثم امتثالها للألم، وتقبلها له بطريقة تدريجية.

(١) البوشي، مرجع سابق، ص ٣١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٨.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

الألف لتطيل النداء ومعه التأمل في أحوال ذلك الخافق.
وفي قصيدة: "نص مبتور" يتكرر التفريق البصري والمد السطري في أكثر من
كلمة، ومنها حرف الألف، تقول في مقدمتها:

ها ااا هنا

كا ااا نت امرأة

خرجت من صميم الوجع (١)

فالتفريق البصري جاء للتركيز على المكان في: "ها ااا هنا" والزمان في: "كا ااا
نت؛ لتصوير وجع تلك المرأة الذي يضحّجُ بهدوء في ثنايا النص.
ومن أمثلة التفريق البصري بحرف الألف في نصوصها، استخدامها للتعجب
كما جاء في قصيدة: "حين جفّ الرحيق" تقول:

فما ااااا أتعس القلب

إذ يَحْتَنق

برماد الوداد

ويغرق بين تلال من الظنّ

أن يصطلي بجحود الصديق!

وما ااا ااا أشأم الليل

إذ يغري الصبح أن يتهيأ للانتقام (٢)

فالتفريق البصري جاء عوضاً لمدّ الصوت في الإلقاء، لزيادة التعجب من تعاسة
القلب، وشؤم الليل.

وتقول في قصيدة بعنوان: "غيث الأمل":

فتم يااااااا أثيراً

(١) المرجع نفسه، ص ٥٧.

(٢) البوشي، مرجع سابق، ص ٧٢.

على رفرف القلبِ

حيث حللت... .

وحيث ابتسمتْ

يضعو الرضا

ويفيض الأمل^(١)

إذا تأملنا القصيدة كاملة نعرف أن هذا المنادى هو طفلها الأثير؛ وجه الربيع،
واخضرار العمر، فلا غرو أن التفريق البصري هنا عبر تكرار حرف المد الألف جاء
ليتناسب مع المكانة الأثيرية له، عبر مدّ الصوت بالنداء.

(١) المرجع نفسه، ص ٣٩.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

المبحث الثالث: التشكيل البصري وعلامات الترقيم:

توصف علامات الترقيم بأنها "رموز كتابية ذات دلالات وظيفية، وجمالية، توضع لتفسير المعنى وتوضيحه، وبيان مراده، كما تأتي عوضاً عن الصوت المفقود (النبر) الذي تترجمه الكتابة، وتحاول نقل حيوته، ابتغاء تحديد مواضع الكلام وتقريبها"^(١)، وهذا ما يجعلها ذات أهمية كبيرة في التحليل السيميائي، وفي دراسة التشكيل البصري.

ويعد المدّ النقطي، وعلامة الحذف من أكثر علامات الترقيم التي نجدها في شعر نادية البوشي، وهي توظفهما للتعبير عن معانٍ عدة، تقول في قصيدة: "وهج حبيس":

.....

وتجيء مثل النور

يخضنها الأمل..

وتزيح أتربة الوجل

فتسيل أسرار الأسي^(٢)

استخدمت المدّ النقطي في بداية النص بعد العنوان مباشرة؛ لتوجه القارئ إلى كلام كثير لم يقل، وكأن السطور التي أتت بعده تكملة للمحذوف الذي تركت تحيِّله للمتلقى.

ومثل ذلك قصيدة: "صمت" التي ابتدأتها بمدّ نقطي للتعبير عن كلام مسكوتٍ عنه^(٣).

وتقول في نص: "أشلاء حلم":

(١) د. فهد البكر، علامات الترقيم من الإجراء إلى الجماليات، صحيفة الرياض، السبت ٣

جمادى الثاني ١٤٤٢هـ. (بتصرف)

(٢) البوشي، مرجع سابق، ص ١١.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٩، سبق عرض القصيدة في مبحث: التشكيل البصري والسطر الشعري.

تتكاثف الأحلام

يقطر من شذاها الدفء

والشوق المكتم في دروب الحلم

ثم تذوب في غسق الغياب

.....

تتهدج الأحلام

تلفظ آخر الأشواق

إذ تخطو على أشلاء أعذار

يبعثها الصقيع^(١)

استخدمت نادية المدّ النقطي بين هذين المقطعين، وكأنها تريد من القارئ أن يأخذ استراحة لتأمل المشهد المكثف والصورة المجازية للأحلام وهي تتكاثف، وتقطر الدفء من عطورها، والشوق المكتم في دروبها، ثم منظر ذوبانها في غسق الغياب، هذه الصورة مدعاة لالتقاط الأنفاس، والترتّب في حضرة الخيال؛ لتكمل المقطع الثاني الذي لا يقل كثيفًا وصورًا ومجازًا، فالأحلام لها صوت يتقطع في ارتعاش، ويعلو ويهبط؛ لتلفظ آخر الأشواق وهي تمشي على أشلاء أعذار باردة!..

وتقول:

تھامسني عاتبة:

أما زلت بين يدي الضياء.....؟؟

أما زلت يا.....!!^(٢)

(١) البوشي، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٢.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

تستخدم نادية الخط المستقيم في: "الضيا" والمد النقطي لتزيد في تعبيرها عن معنى الامتداد، فالنجمة تعاتبها بصمت وهدوء، وكأن هذا المد النقطي تعبير عن امتداد الصوت بهدوء وهمس وخفوت.

وقد تستخدم المد النقطي للإشارة إلى حركة جسدية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "التقوى ها هنا"^(١) الذي تناصت معه في قصيدتها، بقولها:
فإن لنا الحق يفتي هنا:

(إنما التقوى ها هنا.. ها هنا.....)

فقد استخدمت المد النقطي إشارة إلى مكان التقوى وهو الصدر، بدأت بنقطتين، ثم زادت عدد النقاط لزيادة التأكيد، وترك مساحة واسعة لتفكير القارئ. وتقول في قصيدة: "توسلات":

قل سآتي

.....

للذي.....

والذي.....

والذي.....

.....

مُدِّ وعدك لي

قل

سي..(٢)

(١) الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج ٢،

كتاب البر والصلة والآداب، رقم ٢٥٦٤، ص ١١٩٣.

(٢) البوشي، مرجع سابق، ص ٥٦.

فقد استخدمت المد النقطي للتعداد، فهذا الآخر يستحق العودة إليه
لأمور كثيرة، جعلت القارئ يتخيلها عبر استخدامها المد النقطي، وتكرار:
"للذي" ثلاث مرات.

ومثل ذلك في قصيدة: "حين جفّ الرحيق":

لكي نقرأ الألم المستر..

خلف كنتِ وكنتِ... ..

فلو كنتِ أنتِ.. وأنتِ.. وأنتِ

.....

ولو كنتِ تلكَ التي.. والتي.. والتي..

.....

لما طال مكثي أمام الحطام

وأسررتُ ذاك الذي لا يليق..!!^(١)

حين تعلو أصوات الصمت المغلف بالجفاء بين روح صديقتين، توجه عتابها
الودود في لحظة صفاء وصدق وذكريات أبت الموت، تاركة للقارئ فسحة وقت
للتأمل، والصمت، والكلام الذي قيل ويقال عنهما في زمن الجفاء عبر استخدام المد
النقطي.

وفي مقطوعة قصيرة تستخدم نادية المد النقطي في وسطها؛ لتجعل المتلقي يقف

برهة ليستشعر المد النفسي لكلمة: "الله" حين تُستخدم في الدعاء:

في ظل المئذنة اتكأت

غمست أطراف أمانيتها

في قول الله

.....

(١) المرجع نفسه، ص ٧١.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

من غائر حزن أنهكها سألت:

من أين تجيء بضحكتها..!؟

فتهاوت

أضغاث حياة...! (١)

وقد تستخدم المد النقطي في العنوان كما في نص: "أسئلة....." لتجعل القارئ يتخيل كم الأسئلة التي سترد في النص، المثبتة والمسكوت عنها. ومن أمثلة استخدامها لعلامة الحذف (...) تقول في ختام قصيدتها: "شهقة روح":

يا ربّ كل جراحنا

هلا كففت جراحنا...؟؟

هلا أبحت لنا الحياة بلا جراح...؟ (٢)

في لحظات دعاء ورجاء وأوبة وندم تغلف قصيدتها كاملة، تختتم بهذا المقطع الذي استخدمت فيه الخط المستقيم في "كففت" ثم علامة الحذف بعد جراحنا، لتزيد المعنى كثافة؛ فهي تطلب من الله أن يمنع ويصرف ويبعد ويكف عنها الجراح، فجراحها ليست واحدة بل هي متعددة، فبالإضافة إلى ضمير "نا المتكلمين" في "جراحنا" وضعت علامة الحذف للدلالة على أن للكلام تنمة، وأن الجراح متنوعة وعديدة ولا تستطيع الحديث عنها، ثم تطلب من الله أن يتيح لهم الحياة "بلا جراح... بأنواعها كلها.

وكما استخدمت نادية علامة الحذف للدلالة على التعدد والتنوع، أو المسكوت عنه، فقد استخدمها للدلالة على كلمة معروفة لا يحتمل السياق أو الوزن الشعري ذكرها، مثل قولها:

(١) البوشي، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٣.

أقبلهم في ذهولٍ
وأركض مسلوبة الذهن لاهتهً
أمتطي سهوة الحلم
ذاك السراب
الذي قد يجيء وقد لا...
فتذوي الأمومة

في جوف أحلامي الغائمة!! (١)

فالسراب قد يجيء وقد لا يجيء، هذه الكلمة المحذوفة التي يتوقعها الذهن حال
قراءة هذا السطر الشعري.

وفي مقطع من قصيدة بعنوان: "الرحيل" تقول نادية:

تتأبط آلامها
تتحسس أحزانها
وتحاذر إن مسنها الضوء
يفضح فيها انهمار الأسي...
حين تشكو القناديل
قد أسرجت بدموع اليتامى...
أيجديهم الدمع زيتاً

ليشعل في الليل بعض الفتيل...؟؟ (٢)

فالمساءات متألمة، تتحسس "أحزانها" الممتدة كامتداد رسم الكلمة، وتحذر من
الضوء الفاضح الذي يكشف انهمار الأسي، هذا الانهمار المختلف المتبوع بعلامة
حذف تجعل القارئ يتخيل شكله وماهيته، ويثير أفق توقعاته، فالقناديل تشكو حين

(١) البوشي، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٩٩.

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

لم يُشعل فتيلها بالزيت، بل بدموع اليتامى، ثم علامة حذف تعطي القارئ مساحة لتأمل الصورة.

وفي قصيدة: "فذاك الجرح.. لن أشكو..!" تترك الاحتمالات مفتوحة للقارئ عبر استخدام أدوات الاستفهام وعلامة الحذف؛ ليملاً بما يناسب مقام القصيدة الممتدة على أديم أربع صفحات:

أو أشكو..؟

ما الذي أشكو؟... ومن..؟^(١)

وتقول في قصيدة أخرى:

ياالشعر...

يا بحة الحزن،

حنين الغرباء

رعشة الكلمات في ثغر اللقاء

لهفة الشوق المخبأ في عيون العاشقين...^(٢)

تبدأ نادية المقطع بعلامة الحذف وتختمه بما؛ للدلالة على التنوع والتعدد؛ فالشعر كائن شعوري عصي على التعريف، فهل هو بحة الحزن، أم حنين الغرباء، أم رعشة الكلمات ذات لقاء، أم لهفة الشوق حين يجتبي في عيون العاشقين...؟ أم كل ذلك؟ وأكثر وأكثر وأكثر، فعلمة الحذف تتيح للقارئ الإضافة من منظوره الخاص للشعر.

وفي الختام نلاحظ أن علامات الترقيم لم تعد "أشكالاً ورموزاً فحسب، بل أضحت خيوطاً منغزة ضمن نسيج النص المكتوب؛ تنضح بالقيمة السيميائية"^(٣)،

(١) البوشي، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٢) المرجع نفسه، ص ٦٥.

(٣) البكر، مرجع سابق.

كما أن العلامات غير اللغوية التي شكلتها نادية البوشي ليست إضافة خارجية، تنطوي على خواء دلالي، بل نسيج شبكي يعقد علاقة متوازية مع غيره من الأنساق الأخرى؛ كاللغة والأسلوب والصورة^(١)، ويحمل معانٍ متعددة ومختلفة سعت إلى تدوينها، كما أن "الفضاء الأبيض واللعب الطباعي والتنظيم الخاص للنص الشعري كلها تشترك في خلق هالة من الغموض حول الكلمة وفي ملئها بالإيحاءات المختلفة"^(٢)، وهذا ما فعلته نصوصها المختلفة في ديوانها: "فتنة البوح".

(١) يُنظر: موسى، مرجع سابق، ص ١٠.

(٢) أمبرتو إيكو، الأثر المفتوح. (ترجمة: عبدالرحمن بو علي). اللادقية، دار الحوار للنشر والتوزيع

(ط ٢). (٢٠٠١م)، ص ٢٢.

الخاتمة

بعد حمد الله على توفيقه وامتنانه، فقد رَصَدْتُ هذه الدراسة التشكيل البصري في شعر نادية البوشي من خلال ثلاثة مباحث تناولت أبرز التشكيلات البصرية في شعرها وهي: التشكيل الهندسي، والتشكيل البصري والسطر الشعري، والتشكيل البصري وعلامات الترقيم، بعد تمهيد تضمن توضيحاً لمعنى التشكيل البصري وأهميته في الشعر الحديث؛ لنتمخض هذه الرحلة عبر شعرها إلى جملة من النتائج، وبعض التوصيات:

أولاً: النتائج:

- من أكثر صور التشكيل الهندسي استخداماً في ديوان نادية البوشي: "فتنة البوح" شكل متوازي الأضلاع، والخط المستقيم.
- تعد تقنية التفريق البصري من التقنيات اللافتة في شعرها، وأكثر ما يشيع عندها تفريق الكلمات التي تحتوي على حرفي المد: الياء، والألف.
- المد النقطي، وعلامة الحذف من أكثر علامات الترقيم التي نجدها لديها؛ حيث توظفهما للتعبير عن معانٍ عدة.
- تجيد نادية البوشي فن اللعب الطباعي وسيمياء البياض؛ لشحد الكلمات بالدلالات، والإيحاءات المختلفة.
- أثر العلامات غير اللغوية التي شكلتها الشاعرة بصرياً؛ لتنوب عن حضور السمات الشفهية التي غيّبتها الكتابة.
- التشكيل البصري ليس إضافة خارجية، تنطوي على خواء دلالي، بل نسيج شبكي يعقد علاقة متوازية مع غيره من الأنساق الأخرى؛ كاللغة والأسلوب والصورة، ويحمل معانٍ متعددة ومختلفة.

ثانياً: التوصيات:

لأن التشكيل البصري في شعر نادية البوشي يكاد يكون موضوعًا بكرًا يحتاج إلى كثيرٍ من الدرس والتحليل؛ فإني أوصي بأبرز ما بدا لي من خلال هذا البحث: وهو دراسة إيقاع البياض في ديوانها الثاني: "بما سيجدّ من تأويل"^(١) فعالمها الشعري غنيّ بالإيقاع التشكيلي المتنوع الذي لا تكفيه وقفة واحدة.

(١) نادية البوشي، بما سيجدّ من تأويل. بيروت، منشورات ضفاف. (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

البوشي، نادية. فتنة البوح. الرياض، دار المفردات. (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

ثانياً: المراجع:

إبراهيم، د. عبدالله. التلقي والسياقات الثقافية: بحث في تأويل الظاهرة الأدبية. الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية. (١٤٢٢هـ).

ابن منظور، لسان العرب. (تحقيق: عبدالله علي الكبير وآخرون). بيروت، دار المعارف (طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصلة). (د.ت).

الإدريسي، د. رشيد. سيمياء التأويل الحريري بين العبارة والإشارة. القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع. (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

الأزوري، سارة. ديوان الشاعرات في المملكة العربية السعودية: سير ونصوص. الرياض، دار المفردات. (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

إسيود، صباح عبدالرضا. القصيدة الومضة في الشعر البصري الحديث التشكيل والبناء والمضمون، الخليج العربي، جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي (العدد ٣ و ٤) (المجلد ٤٢). (٢٠١٤م).

أقطي، نوال. الصمت وضجيج السواد في القصيدة الجزائرية. مجلة كلية الآداب، جامعة بسكرة - كلية الآداب (العدد ١٥) (المجلد ١٤). (يونيو ٢٠١٤م).

إيكو، أمبرتو. الأثر المفتوح. (ترجمة: عبدالرحمن بو علي). اللاذقية، دار الحوار للنشر والتوزيع (ط ٢). (٢٠٠١م).

إيكو، أمبرتو. التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. (ترجمة وتقديم: سعيد بنكراد). الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي (ط ٢). (٢٠٠٤م).

إيكو، أمبرتو. السيميائية وفلسفة اللغة. (ترجمة: د. أحمد الصمعي). بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية. (٢٠٠٥م).

بازي، محمد. العنوان في الثقافة العربية: التشكيل ومسالك التأويل. بيروت، الدار

- العربية للعلوم ناشرون. (١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م).
البقمي، فهد بن مرسي بن محمد. ظاهرة التشكيل البصري في الشعر بين النظرية والتطبيق تجربة الناقد محمد الصفراني أمموذجًا. المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة - كلية التربية (العدد ٣). (يونيو ٢٠١٥ م).
البكر، د. فهد، علامات التقييم من الإجراء إلى الجماليات، صحيفة الرياض، السبت ٣ جمادى الثاني ١٤٤٢ هـ.
بلاوى، رسول. دلالات اللغة البصرية في شعر عبدالرزاق الربيعي. مجلة الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري تيزي وزو - مخبر الممارسات اللغوية (العدد ١) (المجلد ١١). (مارس ٢٠٢٠ م).
بن عياد، محمد. مسالك التأويل السيميائي. تونس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، وحدة البحث في المناهج التأويلية، مطبعة التسفير الفني. (٢٠٠٩ م).
بنكراد، سعيد. السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش.س. بورس. الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي. (٢٠٠٥ م).
بنكراد، سعيد. مسالك المعنى دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية. سوريا، دار الحوار للنشر والتوزيع. (٢٠٠٦ م).
البوشي، نادية. بما سيجد من تأويل. بيروت، منشورات ضفاف. (١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م).
بوعزيز، وحيد. حدود التأويل قراءة في مشروع أمبرتو إيكو. الجزائر، منشورات الاختلاف. (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).
بوعزة، طيبي. ظاهرة التشكيل البصري في الشعر الجزائري: ديوان مالم يقله المهلهل للشاعر محمد زبور أمموذجًا. دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية (العدد ٢٢). (فبراير ٢٠١٩ م).
بولفوس، د. زهيرة. التشكيل البصري في الشعر الجزائري المعاصر. الجزائر، مجلة سُر من رأى، كلية الآداب - جامعة قسنطينة (العدد ٤٠) (المجلد ١١) (السنة الحادية

التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني

عشر). (شباط ٢٠١٥م).

تشاندلر، دانيال. أسس السيميائية. (ترجمة: د. طلال وهبة). بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية. (٢٠٠٨م).

جريدي، سامي. سيميائية التشكيل البصري قراءة في ق. ق. ج السعودية. الراوي، النادي الأدبي الثقافي بجدة (الجزء ٢٦). (مايو ٢٠١٣م).

الحباشة، د. صابر. قضايا في السيميائية والدلالة. عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. (٢٠١٥م).

الحدادي، طائع. سيميائيات التأويل: الإنتاج ومنطق الدلائل. الدار البيضاء- المغرب، المركز الثقافي العربي. (٢٠٠٦م).

حضري، أ. د. جمال. سيميائية النصوص: عرض وتطبيق منهجي. بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. (٢٠١٥م).

الخفاجي، كاظم فاخر حاجم. شعرية اللون بين الانفتاح والتشكيل: الشعر البصري الحديث اختيارًا. مجلة آداب ذي قار، جامعة ذي قار- كلية الآداب (العدد

١٢). (٢٠١٤م).

داغر، شريل. الشعرية العربية الحديثة. الدار البيضاء، دار تويقال، (١٩٨٨م).

الدودي، عيسى. التشكيل البصري في القصيدة المعاصرة. العربية والترجمة، المنظمة العربية للترجمة (العدد ١٨) (المجلد ٥). (٢٠١٤م).

الدوسري، وليد بن عبدالله. مظاهر التشكيل البصري في شعر محمد حبيبي. مجلة كلية

الدراسات الإسلامية والعربية للبنين في القاهرة، جامعة الأزهر- كلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنين في القاهرة (العدد ٣٧) (المجلد ٥). (ديسمبر

٢٠١٩م).

رابعة، د. موسى. آليات التأويل السيميائي. الكويت، مكتبة آفاق. (١٤٣٢هـ-

٢٠١١م).

ريكور، بول. نظرية التأويل: الخطاب وفائض المعنى. (ترجمة: سعيد الغانمي). المغرب،

المركز الثقافي العربي (ط ٢). (٢٠٠٦م).

- سرحان، د.هيثم. الأنظمة السيميائية: دراسة في السرد العربي القديم. بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة. (مارس ٢٠٠٨م).
- الشافعي، خالد بن ربيع بن محمد. تقنية التشكيل البصري في القصيدة السعودية الحديثة قراءة في تجربة شاعرين. مجلة جامعة بحري للآداب والعلوم الإنسانية، جامعة بحري (العدد ١١) (المجلد ٦). (يوليو ٢٠١٦م).
- شيباني، عبدالقادر فهيم. السيميائيات العامة (أسسها ومفاهيمها). بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون. (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).
- الصفرائي، د.محمد. التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث (١٩٥٠ - ٢٠٠٤م). الرياض، النادي الأدبي بالتعاون مع المركز الثقافي العربي بالدار البيضاء. (٢٠٠٨م).
- عبدالعزیز، دارة الملك. قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية. الرياض، إصدارات دارة الملك عبدالعزيز. (١٤٣٥هـ).
- عبید، محمد صابر. القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية: دراسة. دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب. (٢٠٠١م).
- العتيبي، بدر بن ندا بن عبدالرحمن، التشكيل البصري في الشعر السعودي الحديث. مجلة مقاربات، مؤسسة مقاربات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل (العدد ١٣). (٢٠١٣م).
- عياشي، منذر. العلاماتية: قراءة في العلامة اللغوية العربية. الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
- غريماش، ألجيرداس. ج. فوتيني، جاك. سيميائيات الأهواء: من حالات الأشياء إلى حالات النفس. (ترجمة وتقديم وتعليق: سعيد بنكراد). بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة. (٢٠١٠م).
- القحطاني، أحلام بنت منصور الحميد. سيمياء المطر عند شعاع المشرق العربي (١٣٦٦ - ١٤٣٦هـ). الأحساء، نادي الأحساء الأدبي. (١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م).

- التشكيل البصري في ديوان: فتنة البوح، لنادية البوشي، د. أحلام بنت منصور الحميد القحطاني
قحلو، صالح علي. سيميائية الخطاب البصري. مجلة كلية الفنون والإعلام، جامعة
مصراتة- كلية الإعلام والفنون (العدد الثالث). (ديسمبر ٢٠١٦م).
كلينكنبرغ، جان ماري. الوجيز في السيميائية العامة. (ترجمة: أ.د. جمال حضري).
بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. (٢٠١٥م).
مداس، د. أحمد عمار. السيمياء والتأويل: دراسة إجرائية في آليات التأويل وحدوده
ومستوياته. إربد-الأردن، عالم الكتب الحديث. (١٤٣٢هـ-٢٠١١م).
مرتاض، د. عبد الملك. التحليل السيميائي للخطاب الشعري: تحليل بالإجراء المستوياتي
لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي. دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب،
(٢٠٠٥م).
موسى، د. إبراهيم نمر. تضاريس اللغة والدلالة في الشعر المعاصر. الأردن، عالم الكتب
الحديث، (٢٠١٣م).
ناصر، علاء الدين علي. دلالات التشكيل البصري الكتابي في النص الشعري
الحديث. مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة (العدد ١٣). (ديسمبر
٢٠١٧م).
النحوي، ابن يعيش. شرح المفصل. (تقديم: الدكتور إميل بديع يعقوب). بيروت، دار
الكتب العلمية (٢٠٠١م).
النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. صحيح مسلم. (اعتنى به: أبو
قتيبة نظر محمد الفاريابي). الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع. (١٤٢٧هـ-
٢٠٠٦م).
هياس، خليل شكري. بلاغة التشكيل الصوري وسيمياء التدليل قراءة لنماذج من
الشعر العراقي المهمش. مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل
البحث العلمي، (العدد ١٥). (يناير ٢٠١٦م).

Bibliography

First: Sources

Alboushi, Nadia. (Fitnat-albough) The Trial of Divulgence. Riyadh, (Dar Almufradat) . (1430 - 2009).

Second: references

Ibrahim, Dr. Abdullah. "Reception and Cultural Contexts: An Investigation into the Interpretation of the Literary Phenomenon" (Arabic). Riyadh, Al Yamamah Press Foundation. (1422 AH).

Bin Manzur, Lisan Al Arab. (Investigated by: Abdullah Ali Al-Kabeer et al). Beirut, Dar al-Maarif (New Edited Edition, Completely Formed, with Detailed Indexes).

Al-Idrisi, Dr. Rashid. "The Semiotic Interpretation of Hariri between the Phrase and the Sign" (Arabic). Cairo, Vision for Publishing and Distribution. (1431 /2010).

Azori, Sarah. "The Diwan of Women Poetesses in the Kingdom of Saudi Arabia: Biographies and Texts" (Arabic). Riyadh, Riyadh, (Dar Almufradat) (1432 / 2011),

Isiod, Sabah Abdel-Reza. "The Flash Poem in Contemporary Visual Poetry, Formation, Structure and Content" (Arabic), The Arabian Gulf, University of Basra - Center for Basra and Arabian Gulf Studies (Nos. 3 and 4) (Volume 42). (2014).

Akti, Nawal. "Silence and Black Noise in the Algerian Poem" (Arabic). Journal of the Faculty of Arts, University of Biskra - Faculty of Arts (Issue 15) (Volume 14). (June 2014).

Eco, Umberto. "Al-Athar Al-Maftuuh" (Open Effect). (Translated by: Abdul Rahman Bu Ali). Lattakia, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, 2nd Edition. (2001).

Eco, Umberto. "Interpretation between Semiotics and Deconstruction". (Translated and presented by: Said Benkrad). Casablanca, Arab Cultural Center (2nd Edition). (2004).

Eco, Umberto. "Semiotics and the Philosophy of Language". (Translated by: Dr. Ahmed Al-Sama'i). Beirut, Center for Arab Unity Studies. (2005).

Bazi, Muhammad. "Title in Arab Culture: Formation and Paths of Interpretation". Beirut, Arab House of Science Publishers. (1433 - 2012).

Al-Baqmi, Fahd bin Morsi bin Mohammed. "The Phenomenon of Visual Formation in Poetry between Theory and Practice, the Experience of Critic Muhammad Al-Safrani as Case Study" (Arabic). The Scientific Journal of the College of Education, Misurata University - College of Education (No. 3). (June 2015).

Al-Bakr, Dr. Fahd, "Punctuation from Procedure to Aesthetics", Al-

- Riyadh newspaper, Saturday 3 Jumada Al-Thani 1442 AH.
- Blawi, Rasoul. "The Connotations of Visual Language in the Poetry of Abdul Razzaq Al-Rubaie" (Arabic). Journal of Linguistic Practices, University of Mouloud Mammeri Tizi Ouzou - Laboratory of Linguistic Practices (No. 1) (Volume 11). (March 2020).
- Ben Ayyad, Mohammed. "Paths of Semiotic Interpretation". Tunis, Faculty of Arts and Human Sciences in Sfax, Research Unit in Interpretive Curricula, Al-Tasfer Art Press. (2009).
- Pinkrad, Said. "Semiotics and Interpretation: An Introduction to Semiotics" (Arabic) SS. Burs. Casablanca, the Arab Cultural Center. (2005).
- Penkrad, Said. "The paths of Meaning, A Study in Some Forms of Arab Culture" (Arabic). Syria, Dar Al-Hwar for Publishing and Distribution. (2006).
- Al-Boushi, Nadia. "On the New Interpretation". Beirut, Difaf Publications. (1436 AH - 2015).
- Bouaziz, Waheed. "The Limits of Interpretation: Reading in the Project of Umberto Eco" (Arabic). Algeria, publications difference. (1429 AH - 2008).
- Bouazza, Taibi. "The Phenomenon of Visual Formation in Algerian Poetry: A Diwan of What Al-Muhalhal did not say by the poet Muhammad Zabout as Case Study" (Arabic) Literary Studies, Al-Baseera Center for Research, Consultation and Educational Services (Issue 22). (February 2019).
- Polvos, Dr. Zahira. "Visual Formation in Contemporary Algerian Poetry" (Arabic). Algeria, Secrets of Raa Magazine, Faculty of Arts - University of Constantine (No. 40) (Volume 11) (Eleventh Year). (February 2015).
- Chandler, Daniel. "The Foundations of Semiotics". (Translated by: Dr. Talal Wahba). Beirut, Center for Arab Unity Studies. (2008).
- Graidy, Sammy. "Semiotics Optical Modulation: Reading in s. NS. C"(Arabic). Saudi Arabia. Al-Rawi, Literary and Cultural Club in Jeddah (Part 26). (May 2013).
- Al-Habasha, Dr. Saber. "Issues in Semiotics and Semantics" (Arabic). Amman, Dar Treasures of Knowledge for Publishing and Distribution. (2015).
- El Haddawy, obedient. "The Semiotics of Interpretation: Production and the Logic of Evidence" (Arabic). Casablanca - Morocco, Arab Cultural Center. (2006).
- Hadary, Prof. Gamal. "Text Semiotics: A Systematic Presentation and Application" (Arabic), University Beirut Majd Foundation for Studies, Publishing and Distribution. (2015).

- Al-Khafaji, Kazem Fakher Hajim. The Poetics of Color between Opening and Formation: Modern Visual Poetry by Choice. Dhi Qar Literature Journal, Dhi Qar University - College of Arts (No. 12). (2014).
- Dagher, Charbel. Modern Arabic poetry. Casablanca, Dar Toubkal, (1988).
- Doudi, Issa. Visual formation in contemporary poetry. Arabic and Translation, The Arab Organization for Translation (No. 18) (Volume 5). (2014).
- Al-Dosari, Walid bin Abdullah. Aspects of visual formation in the poetry of Muhammad Habibi. Journal of the College of Islamic and Arabic Studies for Boys in Cairo, Al-Azhar University - College of Islamic and Arabic Studies for Boys in Cairo (No. 37) (Volume 5). (December 2019).
- Rabaa'a, Dr. Musa. Mechanisms of semiotic interpretation. Kuwait, Afaq Library. (1432 AH - 2011).
- Ricoeur, Paul. Hermeneutics: Discourse and the Excess of Meaning. (Translated by: Saeed Al-Ghanimi). Morocco, Arab Cultural Center (2nd floor). (2006).
- Sarhan, Dr. Haitham. Semiotic systems: a study in the ancient Arab narrative. Beirut, United New Book House. (March 2008).
- Al-Shafi'i, Khalid bin Rabi' bin Muhammad. The visual formation technique in the modern Saudi poem, a reading in the experience of two poets. Bahri University Journal of Arts and Humanities, University of Bahri (Issue 11) (Volume 6). (July 2016).
- Shaibani, Abdul Qadir Fahim. General semiotics (its foundations and concepts). Beirut, Arab House of Science Publishers. (1431 AH-2010).
- Al-Safrani, Dr. Muhammad. Visual Formation in Modern Arabic Poetry (1950-2004). Riyadh, Literary Club in cooperation with the Arab Cultural Center in Casablanca. (2008).
- Abdulaziz, King's House. Dictionary of literature and writers in the Kingdom of Saudi Arabia. Riyadh, Publications of King Abdulaziz House. (1435).
- Obaid, Mohamed Saber. The modern Arabic poem between semantic and rhythmic structure: a study. Damascus, Arab Writers Union Publications. (2001).
- Al-Otaibi, Badr bin Nada bin Abdul Rahman, Visual Formation in Modern Saudi Poetry. Maqaribat Magazine, Maqaribat Foundation for Publishing, Cultural Industries and Communication Strategies (Issue 13). (2013).
- Ayachi, Munther. Labeling: A reading of the Arabic linguistic mark. Riyadh, Al Yamamah Press Foundation, (1430 AH - 2009).

- Grimas, Algirdas. NS. Fontini, Jack. The semiotics of passions: from the states of things to the states of the soul. (Translation, submission and commentary: Said Benkrad). Beirut, United New Book House. (2010).
- Al-Qahtani, Ahlam bint Mansour Al-Hamid. The semiology of rain in the poetry of the east Arabia (1366-1436 AH). Al-Ahsa, Al-Ahsa Literary Club. (1440 - 2019).
- Qahlous, Saleh Ali. The semiotics of visual discourse. Journal of the Faculty of Arts and Media, Misurata University - Faculty of Media and Arts (third issue). (December 2016).
- Klinkenberg, Jean-Marie. Al-Wajeez in General Semiotics. (Translated by: Prof. Dr. Jamal Hadry). Beirut, glory of the University Foundation for Studies, Publishing and Distribution. (2015).
- Madas, Dr. Ahmed Ammar. Semiotics and interpretation: a procedural study of the mechanisms, limits and levels of interpretation. Irbid - Jordan, the modern world of books. (1432 - 2011).
- Mortada, Dr. Abdel-Malik. The semiotic analysis of poetic discourse: an analysis of the leveled procedure for the poem Shanashil, daughter of al-Halabi. Damascus, Arab Writers Union Publications, (2005).
- Mousa, Dr. Ibrahim Nimr. Topography of language and semantics in contemporary poetry. Jordan, The Modern World of Books, (2013).
- Nasser, Aladdin Ali. The implications of the written visual formation in the modern poetic text. Maqalid Magazine, Kasdi Merbah University - Ouargla (Issue 13). (December 2017).
- Alnahawi , Ibn Yaish . (Sharh Almufasal) (Presented by: Dr. Emil Badi Yaqoub). Beirut, Scientific Books House (2001).
- Al-Nisaburi, Abu Al-Hussein Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri. Sahih Muslim. (by: Abu Qutaiba, Nazar Muhammad Al-Faryabi). Riyadh, Dar Taiba for Publishing and Distribution. (1427 -2006).
- Hayas, Khalil Shukri. The rhetoric of figurative formation and the semiotics of pampering, a reading of examples of marginal Iraqi poetry. Jill Journal of Literary and Intellectual Studies, Generation Center for Scientific Research, (No. 15). (January 2016).

**الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها
في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها،
سورة (النبا) مثالا**

Common letters and Vowels and their Use in
Teaching Arabic to Non-Native Speakers,
Surat An-Naba as Case Study

د. مصطفى سعد الخضر

أستاذ اللغة العربية المساعد بمعهد تعليم اللغة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة

البريد الإلكتروني: al-kheder@hotmail.com

المستخلص:

- تكمن مشكلة البحث في معرفة الحروف والحركات كثيرة الشيوخ والشائعة وقليلة الشيوخ وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- وتهدف هذه الدراسة إلى: معرفة أكثر الحروف شيوعًا؛ لتسهيل تعليمها لغير الناطقين بالعربية؛ لإفادة المؤلفين والمصممين لكتب ومناهج تعليم اللغة العربية بحيث تكون هذه الدراسة معينة لهم على وضع المناهج الواضحة السلسلة لتعليم العربية الناطقين بغيرها، واعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي والنسبة المئوية ثم الإحصاء.
- ومن النتائج التي تمّ التوصل إليها ما يأتي:
- الأحرف الأشيع هي: الألف، واللام، والنون، والواو، والميم، والياء، وكانت نسبة شيوعها ما بين ٥-٢٤٪.
 - الأحرف الشائعة هي: الباء، والتاء، والجيم، والحاء، والراء، والذال، والفاء، والكاف، والقاف، والعين، والسين، والهاء، حيث بلغت نسبة شيوعها ما بين ٥-٢٤٪.
 - الحروف قليلة الشيوخ، هي: التاء، والذال، والشين، والصاد، والحاء، والزاي، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، وكانت نسبة شيوعها أقلّ من ٢٪.
 - الحركات الأشيع هي: (الفتحة القصيرة، والكسرة القصيرة، والفتحة الطويلة، والضمّة القصيرة) وكانت نسبة شيوعها بين ٩-٤٤٪.
 - الحركات الشائعة هي: (الكسرة الطويلة)، وكانت نسبة شيوعها بين ٢-٤٪.
 - الحركات قليلة الشيوخ هي: (الضمّة الطويلة)، وكانت نسبة شيوعها أقلّ من ٢٪.
 - الحركات التي لم ترد: (الضمتان، والشدة مع الضمتين، والشدة مع الكسرتين).

Abstract:

The research problem lies in identifying the common letters and vowels and those that are not common, and their usage in the teaching of Arabic language to non-native speakers.

This study aims at: identifying the common letters, in order to ease its teaching to those who do not speak Arabic, for the benefit of authors and designers of books and syllabi of Arabic teaching, in order that this study will help them in introducing clear and easy syllabi for the non-native students of Arabic, and the researcher relied on the descriptive analytical method and percentage and counting.

Among the findings reached include the following:

- The most common letters are: Alif, Lam, Nun, Waw, Mim, and Yaa,. their prevalence rate is between 5-24%.
- The common letters are: Baa, Taa, Jim, Haa, Ra, Dal, Faa, Kaf, Qaf, 'Ayn, Siin, and Haa. Their prevalence rate is between 5-24%.
- The few uncommon letters are: Tha, Thāl, Shin, Šād, Kha, Zāy, Dhād, Taa, Zhaa, and Ghain. Their prevalence rate is less than 2%.
- The most common vowels are: (the short fatha, the short kasra, the long fatha, and the short damma). Their prevalence rate is between 9-44%.
- The common vowel is: (the long kasra). Its prevalence is between 2-4%.
- The uncommon vowel is: (the long damma). Its prevalence rate is less than 2%.
- The vowels that are absent are: (the dammatan, the shadda with the dammatan, and the shadda with the kasratin)

المقدمة:

مع بداية القرن العشرين انتشرت ظاهرة دراسة الكلمات الشائعة وتوظيفها في تعليم اللغة، حيث نجد (عبده) يتحدث في هذا الشأن^(١) قائلا:
"إنّ الكلمات الشائعة هي من موضوعات هذا العصر الحديث، ولقد ظهر الاهتمام بقوائم المفردات الشائعة في اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات العالمية منذ أوائل هذا القرن (فريز 1950)، وكان من أشهر هذه القوائم: قائمة (ثورندايك 1921) التي نشرت في الولايات المتحدة عام 1921م، ولقد ظهرت في اللغة العربية قوائم كثيرة كانت أولها: قائمة (بريل عام 1940)، ثم ظهرت قائمة (بيلي 1953) بعد ذلك بحوالي عشر سنوات. وظهرت بعد ذلك قائمة عاقل عام 1959م. وفي عام 1959م ظهرت قائمة (لاندau 1959)، ولقد أحصوا الكلمات من الصحف اليومية والنشر والكتب التعليمية في كل من الدول العربية التالية: مصر وفلسطين وسورية والسعودية والأردن ولبنان والعراق، وكانت الموضوعات متنوعة وكثيرة في هذا المجال، وإلى جانب قوائم المفردات الشائعة التي أحصيت من المواد المكتوبة، ظهرت قوائم مفردات لغة الأطفال التي استقيت من لغة الأطفال المحكية، وقد كان الهدف الأساسي من دراسة لغة الأطفال معرفة المفردات الشائعة فيها؛ للاستفادة من ذلك في تحسين الكتب المدرسية، ومواد القراءة الإضافية، والحكم على كتب الأطفال المستعملة، ومن هذه القوائم قائمة رضوان، وقائمة الحسون وهرمز 1973م"، وغيرهما.

(١) عبده، داود عطية. 1979م. المفردات الشائعة في اللغة العربية. الرياض: مطبوعات جامعة الرياض. ص: ب وما بعدها.

ويمكن أن نقول بإيجاز عن ظاهرة الشيوع بأنّ لغويي أوروبا لم يجوزوا قصب السبق لوحدهم، بل تناولها جهاينة العربية القدامى منذ زمن الجاحظ^(١)، وأفردوا لها مباحث في كتبهم ومصنفاّتهم.

(١) الجاحظ. ١٩٩٨م. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. ١٩٩٨م. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة. ج ١، ص ٢٢ وما بعدها.

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثلاً

المبحث الأول: ويتناول مشكلة البحث، وأسئلته، وأهدافه، وأهميته، ومنهجه

أ - مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث حول معرفة الحروف والحركات كثيرة الشبوع والشائعة وقليلة الشبوع في سورة النبأ، من أجل المحاولة في توظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

وهناك فرضية شائعة تتحدث عن عشرة أحرف في اللغة العربية، لا يكاد يخلو منها اسم شخص، وهي: (ا، ب، ح، ر، س، ل، م، ن، هـ، ي)، والعمل على تيسير تعليم تلك الحروف الشائعة وغيرها لمتعلم اللغة العربية، فلا شك أنّ المتعلم يجد صعوبة في تعلّم تلك الحروف وفي نطقها وتكرارها، وهذه الصعوبة ليست وليدة اليوم، فها هو شيخ اللغويين سيبويه^(١) يتحدث عن ذلك: "يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم: الجيم، لقرّبها منها. ولم يكن من إبدالها بد؛ لأنها ليست من حروفهم. وذلك نحو الجريز، والآجر، والجورب. وربما أبدلوا القاف لأنها قريبة أيضاً، قال بعضهم: قريز، وقالوا: كريق، وقريق" ويبدلون مكان آخر الحرف الذي لا يثبت في كلامهم، إذا وصلوا الجيم وذلك نحو: كوسه، وموزة؛ لأن هذه الحروف تبدل وتحذف في كلام الفرس، همزة مرة وياء مرة أخرى. فلما كان هذا الآخر لا يشبه أواخر كلامهم صار بمنزلة حرف ليس من حروفهم. وأبدلوا الجيم؛ لأن الجيم قريبة من الياء، وهي من حروف البدل. والهاء قد تشبه الياء؛ ولأن الياء أيضاً قد تقع آخرة. فلما كان كذلك

(١) سيبويه. ١٩٨٣م. الكتاب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، بيروت:

عالم الكتب. ج ٤، ص ٣٠٥-٣٠٦. وللمزيد انظر،

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. ١٩٩٢م. سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق: حسن

هنداوي. الطبعة الثانية، دمشق: دار القلم. ج ١، ص ٣٥-٤٠.

أبدلوها منها كما أبدلوها من الكاف. وجعلوا الجيم أولى؛ لأنها قد أبدلت من الحرف الأعجمي إلى بين الكاف والجيم، فكانوا عليها أمضى. وربما أدخلت القاف عليها كما أدخلت عليها في الأول، فأشرك بينهما، وقال بعضهم: كوسق، وقالوا: كربق، وقالوا كربق... فالبديل مطرد في كل حرف ليس من حروفهم، يبدل منه ما قرب منه من حروف الأعجمية".

فمن خلال - ما سبق - نجد سيويوه قد تبّه لهذه المسألة، وبيّن بأن متعلم اللغة الثانية يبدل الحرف الذي لا يوجد في لغته الأصلية إلى أقرب حرف له في المخرج. بينما نجد الجاحظ قد بحث مسألة شيوع الحروف بطريقة علمية ومنهجية أكثر دقة من سيويوه (انظر المبحث الثاني أدناه).

ب - أسئلة البحث:

هناك أسئلة عديدة يطرحها هذا البحث، تتمثل فيما يأتي:

- ١- ما الحروف الأشيع في سورة النبأ؟
- ٢- ما الحروف الشائعة في سورة النبأ؟
- ٣- ما الحروف الأقل شيوعاً في سورة النبأ؟
- ٤- ما الحركات الأشيع في سورة النبأ؟
- ٥- ما الحركات الشائعة في سورة النبأ؟
- ٦- ما الحركات الأقل شيوعاً؟
- ٧- ما أيسر الطرق لتعليم الحروف الشائعة لغير الناطقين بالعربية؟

ج - أهداف البحث

لعلّ من أهمّ أهداف البحث ما يأتي:

- ١- معرفة الحروف الأشيع في سورة (النبأ).
- ٢- بيان الحروف الشائعة وقليلة الشيوع.
- ٣- توضيح أيسر الطرق في تعليم الحروف لمتعلمي العربية الناطقين بغيرها.
- ٤- معرفة الحركات الأشيع في سورة النبأ.

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثالا

٥- معرفة الحركات الشائعة في سورة النبأ.

٦- معرفة الحركات الأقل شيوعًا.

د - أهمية البحث

تكمن أهمية البحث فيما يأتي:

- ١- تيسير إجراءات تعليم حروف العربية وحركاتها للناطقين بغيرها من اللغات.
- ٢- تسهيل تعليم الحروف عامة وخاصة لتعلمي العربية الناطقين بغيرها.
- ٣- الاستفادة من الحروف والحركات الشائعة في مجال تأليف الدروس للمبتدئين في تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

هـ - منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك من خلال القيام

بالإجراءات الآتية:

- ١- تحليل ظاهرة شيوع الحروف والحركات؛ وذلك من خلال تكرار الحرف أكثر من مرة في السورة، حيث تم اختيار سورة (النبأ) لإجراء هذه الدراسة
- ٢- تم استخدام النسبة المئوية في تحليل المعلومات إحصائيًا لكل حرف من حروف الهجاء الواردة في السورة
- ٣- عند دراسة هذا الموضوع تم التنويه إلى بعض النقاط ومنها:
أ) همزة الوصل وهمزة القطع عُدَّتَا مع حرف الألف، وكذلك الألف الممدودة والألف المقصورة.
ب) عُدَّتْ (ال) التعريف حرفين مستقلين، بمعنى الألف حرف واللام حرف، كما في رسم المصحف.
ج) عُدَّتْ الألف وهمزة حرفًا واحدًا، مثل (النبأ)، فالألف الأخيرة المهموزة معدودة مع حرف الألف.
د) تم إدراج التاء المربوطة مع التاء المفتوحة.
٤) بيان الخطوات الناجعة في كيفية توظيف الحروف الشائعة في المقررات الدراسية.

و - مصطلحات البحث:

١- تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: التعريف الإجرائي هو: إنّ تعليم اللغة هو عملية إعادة بناء الخبرة التي يكتسب المتعلم بواسطتها المعرفة والمهارات والاتجاهات والقيم^١

٢- الحروف والحركات الشائعة:

أ) حرف: الحرف من حروف الهجاء، معروف واحد من حروف الهجاء

ب) شاع: الشَّيْعُ: مقدار من العدد، كقولهم: أقمتُ عنده شهراً، أو شَيْعَ شهر.^٢

ج) حرك: الحركة ضدّ السكون.^٣

التعريف الإجرائي:

الحروف والحركات الشائعة: يعرفها الباحث إجرائياً بما يلي:

هي الحروف والحركات التي تمّ استعمالها كثيراً في السورة، وكانت نسبة تكرارها أكثر من غيرها.

(٤) جراب، سعاد، وعيساني، عبد المجيد، الأسس العلمية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين

بها. ٢٠١٧م مجلة الأثر، العدد (٢٨)، ص ٩٨

(٥) لسان العرب (مادة شيع).

(٦) لسان العرب (مادة حرك).

المبحث الثاني: يتناول الدراسات السابقة، وينقسم إلى

مطلبين، هما:

المطلب الأول: الحروف الشائعة من منظور لغوي قديم.

المطلب الثاني: الأبحاث السابقة.

المطلب الأول: الحروف الشائعة من منظور لغوي قديم

تبدو ظاهرة الحروف الشائعة وكذلك المفردات والتراكيب الشائعة ظاهرة قديمة، حيث نجد اهتمام العلماء القدامى بهذه الظاهرة واضحاً، حيث قاموا بتحليلها ودراستها، وكان لها نصيب كبير من الذكر في مؤلفاتهم، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد العالم اللغوي الكبير الجاحظ أول من تنبّه لهذه القضية، واعتنى بها اعتناء كبيراً، حيث وضّح أهميتها، وأولاهها عناية خاصة، ولم يكن الموضوع جديداً في علم اللغة، حيث بيّن أساسه بقوله^(١):

"... يُزَعَمُ أن هذه الحروف أكثر ترداداً من غيرها، والحاجة إليها أشدّ - [الحروف هي: ر، ي، ل، أ] - واعتبر ذلك بأن تأخذ عدّة رسائل، وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم، فإنّك متى حصّلت على جميع حروفها، وعددت كل شكل على حدّة، علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشدّ".

وحين تكون المفردات الشائعة، متلاحمة، ومخارجها سهلة، ومتراطة، ومنسجمة بعضها مع بعض؛ فإنّها تسير على كل لسان، وكأنّها حرف واحد.

ويقول الجاحظ في هذا الشأن^(٢): "وأجود الشعر ما رأيتّه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلمُ بذلك أنه قد أُفرغ إفرغاً واحداً، وسُبِك سبكاً واحداً، فهو يجري

(١) الجاحظ. المصدر السابق. ج ١، ص ٢٢.

(٢) الجاحظ. المصدر السابق. ج ١، ص ٦٧.

على اللسان كما يجري الدّهان".

ثمّ يوضّح الجاحظ ذلك أكثر، حيث يقول: " وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر، تراها متفقة مُلساً، ولينة المعاطف سهلة؛ وتراها مختلفة متباينة، ومتنافرة مستكرهة، تشقُّ على اللسان وتكُدُّه. والأخرى تراها سهلة لينة، ورطبة متواتية، سلسلة النظام، خفيفة على اللسان؛ حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد".

والنتيجة كما ذكرها الجاحظ: أنّ من شروط شيوع الحروف والكلمات: أن تكون متألّفة، ومتفقة، وسهلة، ومتلاحمة، وخفيفة على اللسان، ويؤكد ذلك بقوله^(١):

" فأما في اقتران الحروف: فإنّ الجيم لا تقارن الظاء، ولا القاف، ولا الطاء، ولا الغين، بتقديم ولا بتأخير. والزاي لا تقارن الظاء، ولا السين، ولا الضاد، ولا الذال، بتقديم ولا بتأخير. وهذا باب كبير. وقد يكتفي بذكر القليل حتى يُستدلُّ به على الغاية التي إليها يُجرى".

غير بعيد من ذلك نجد الجاحظ يذكر على سبيل المثال شيوع بعض الحروف والكلمات عند بعض العرب الذين يعانون من اللثغة؛ حيث يقول عن لسان واصل بن عطاء^(٢):

"قال واصل بن عطاء عندما هجاه بشار: أمّا لهذا الأعمى الملجد المشنّف من يقتله. أمّا والله لولا أن العيلة سحيّة من سجايا الغالية، لبعثتُ إليه من يبعجُ بطنه على مضجعه، ويقتله في جوف منزله وفي يوم حَفْله، ثم كان لا يتولى ذلك منه إلا عُفيلِيّ أو سدوسيّ. وقال إسماعيل بن محمد الأنصاريّ، وعبدُ الكريم بن روح القفاريّ: قال أبو حفص عمر بن أبي عثمان الشمريّ: ألا تريان كيف تجنب الرءاء في

(١) الجاحظ. المصدر السابق. ج ١، ص ٦٩.

(٢) الجاحظ. المصدر السابق. ج ١، ص ١٦-١٩.

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثلاً

كلامه هذا وأنتما للذي تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف. مع امتناعه من حرف كثير الدوران في الكلام. ألا تريان أنه حين لم يستطع أن يقول: بشار، وابن بُرد، والمرعَث، جعل المشتَفَ بدلاً من المرعَث، والملجِد بدلاً من الكافر؛ وقال: لولا أنّ الغيلةَ سجية من سجايا الغالية، ولم يذكر المنصورية ولا المغيرِيَّة؛ لمكان الراء؛ وقال: لبعثت من يبيع بطنه، ولم يقل: لأرسلت إليه؛ وقال: على مضجعه، ولم يقل: على فراشه، وكان إذا أراد أن يذكر البرَّ قال: القمح أو الحنطة. والحنطة لغة كوفية، والقمح لغة شامية، هذا وهو يعلم أنّ لغة من قال بُرّ، أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة.

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

لا دَرَّ دَرِّيَ إن أطعمتُ نازهم
قِرِف الحَيِّ وعندي البرِّ مكنوزُ
(القرف: القشر. الحتي: سويق المقل).

و - كما هو معلوم - أنّ البيئة لها تأثير كبير في شيوع الحروف والمفردات، في بلد دون غيره؛ ولذلك نجد الاختلاف في الألفاظ عند أهل البصرة والكوفة ومصر والشام وغيرها من الأمصار.

ولعلّ من أهمّ أسباب شيوع الحروف والكلمات ما يأتي:

- استعمال الناس لبعض الألفاظ من باب الاستخفاف واستعمالها أكثر من غيرها من المفردات.

- من أهم أسباب شيوع الألفاظ الأقل فصاحة في اللغة: اللثغة.

- شيوع كثير من الألفاظ على السنة العامة لأقل اللغتين في أصل اللغة.

ويوضح الجاحظ هذه الأسباب بقوله^(١):

"وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها؛ ألا ترى أن

(١) الجاحظ. المصدر السابق. ج ١، ص ٢٠-٢٢.

الله - تبارك وتعالى - لم يذكر في القرآن الجوع إلا في مواطن العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السَّغْب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة والعامّة وأكثر الخاصّة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين؛ ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعاً، والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحقّ بالذكر وأولى بالاستعمال، وقد زعم بعضُ الثَّراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج، والعامّة ربّما استخفّت أقل اللغتين وأضعفهما، وتستعمل ما هو أقلّ في أصل اللغة استعمالاً وتدعّ ما هو أظهر وأكثر، ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجودّ منه، وكذلك المثل السائر.

قال قطرب: أنشدني ضرار بن عمرو قول الشاعر في واصل بن عطاء:

ويجعل البرّ قمحاً في تصرّفه وجانب الرّاء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً والقول يعجله فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

قال: وسألتُ عثمان البُرّي: كيف كان واصل يصنع في العدد، وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين، وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الأربعاء وشهر رمضان، وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الأول، وربيع الآخر، وجمادى الآخرة، ورجب؟

فقال: مالي فيه قولٌ إلا ما قال صفوان:

ملقن ملهّم فيما يحاوله جَمَّ خواطره جَوَابَ آفاق

وأنشدني ديسم قال: أنشدني أبو محمد اليزيدي:

وحلّة اللفظ في الياءات إن دُكِرَت كحلّة اللفظ في اللامات والألف

وخصلة الرّاء فيها غيرُ خافيةٍ فاعرف مواقعها في القول والصُّحفِ

يلاحظ أنّ هذه الحروف والكلمات أكثر تردداً من غيرها عند أولئك المصابين

بأمراض كلاميّة غالباً، كذلك الحاجة إليها أشدّ.

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثلاً

كما تحدث العالم اللغوي الكبير ابن منظور^(١) عن الحروف الشائعة كذلك، حيث قام بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام: كثيرة التردد، وهي: أ، ل، م، هـ، و، ي، ن، ومتوسطة التردد، وهي: ر، ع، ف، ت، ب، ك، د، س، ق، ح، ج. وقليلة التردد، وهي: ظ، غ، ط، ز، ث، خ، ض، ش، ص، ذ. وها هو السيوطي^(٢) يذكر أنّ الحروف الشائعة التي يكثر استعمالها عند العرب هي الألف والواو والهمزة".

كذلك لم يغفل السيوطي^(٣) الحديث عن التراكيب الشائعة في اللغة العربية؛ نجده يقول في هذا الصدد: "فإن الكلمة تخفُّ وتثقلُ بحسب الانتقال من حرف إلى حرف لا يلائمه قُرْبًا أو بُعْدًا، فإن كانت الكلمة ثلاثية فتراكيبها اثنا عشر... فاعلم أنّ أحسن هذه التراكيب وأكثرها استعمالاً ما انحدر فيه من الأعلى إلى الوسط إلى الأدنى، ثم ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأدنى إلى الأعلى، ثم من الأعلى إلى الأدنى إلى الأوسط. وأما من انتقل فيه من الأدنى إلى الأوسط إلى الأعلى، وما انتقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى فهما سيّان في الاستعمال، وإن كان القياس يقتضي أن يكون أرجحهما ما انتقل فيه من الأوسط إلى الأعلى إلى الأدنى، وأقل الجميع استعمالاً ما انتقل فيه من الأدنى إلى الأعلى إلى الأوسط".

وقد ذكر العصيلي أنّ الأصوات الشائعة في معظم لغات العالم تُكتسب قبل

(١) ابن منظور. ب. ت. معجم لسان العرب. القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق. ص: س. وانظر أيضاً:

- خياط، يوسف ومرعشلي، نديم. ب. ت. لسان العرب المحيط. بيروت: دار لسان العرب.
(٢) السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. ١٩٨٦م. المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى بك وغيره. صيدا-بيروت: المكتبة العصرية. ج ١، ص ١٩٥.

(٣) السيوطي. المصدر السابق. ج ١، ٣٢٨-٣٢٩.

غير الشائعة أو قليلة الشيوع، مهما كانت لغة الطفل أو بيئته، أي أنّ هناك علاقة إيجابية بين درجة شيوع الصوت في لغات العالم، واكتسابه في مرحلة مبكرة في لغة معينة... وقد تبين لبعض الباحثين أنّ الصوامت الأمامية المهموسة، والأصوات الأنفية... أكثر الأصوات شيوعاً في اللغات، وأنها تكتسب في مرحلة مبكرة، وأنّ الصوامت الانفجارية الخلفية (الطبقية) أقلّ شيوعاً من الانفجارية الأمامية...^(١).
ومن خلال - ما سبق - يتّضح لنا جلياً أهمية دراسة التراكيب الشائعة في علم اللغة التطبيقي، وذلك ليستفيد مؤلفو المناهج التعليمية في تضمين هذه الحروف والكلمات، ضمن المقررات الدراسية؛ وبذلك تكون العملية التعليمية ميسرة وغير بطيئة، وتعين المتعلم على الاستدكار والمراجعة.

المطلب الثاني: الأبحاث السابقة

سنتحدث - فيما يأتي - عن بعض الدراسات والبحوث السابقة في مجال ظاهرة شيوع الحروف والأصوات في اللغة العربية، وذلك على النحو الآتي:
- دراسة جاسم، جاسم علي ٢٠١٥ م^(٢)
نجد أنّه قام بدراسة الحروف الشائعة، واختار لذلك سورة من سور القرآن الكريم - سورة (العلق)-، واعتمد على تكرار الحرف أكثر من مرّة في السورة، ومن

(١) العصيلي. ٢٠٠٦م. العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم. ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م. علم اللغة النفسي. الطبعة الأولى، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي. ص٢٢٦-٢٢٨.

أنيس، إبراهيم ١٩٩٠م. الأصوات اللغوية. ط ٤، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
الغريبي، سعد عبد الله ١٩٨٦م. الأصوات العربية وتدرّيسها لغير الناطقين بها من الراشدين. ط ١ مكتبة الطالب الجامعي.

(٢) جاسم علي جاسم. ٢٠١٥م. المهارات اللغوية ومعايير جودتها. الطبعة الأولى، جدة: مكتبة أمجاد حنين. ص٧٣.

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثلاً

النتائج التي توصل إليها ما يأتي:

- الأحرف الأشيع، هي: أ، ل، ن، ي. وكانت نسبة شيوعها ما بين ٢٦ - ٦٪.

- الأحرف الشائعة، هي: ت، ر، ب، م، ع. وبلغت نسبة شيوعها ما بين ٥ - ٤٪.

- الحروف قليلة الشيع، هي: ك، س، ق، هـ، د، و، خ، ذ، ص، ط، ج، غ، ف، ز.

وكانت نسبة شيوعها أقل من ٤٪.

- الأحرف التي لم يرد ذكرها في السورة هي: ث، ح، ش، ظ، ض.

دراسة: الخولي، محمد علي. ١٩٩٠م^(١)

نجد أنّ الخولي قد قام بدراسة على شيوع الأصوات والحروف في اللغة العربية، حيث اختار خمسمئة سطر من مائة كتاب حديث النشر، حيث أخذ من كل كتاب خمسة أسطر، وهذه الأسطر من خمسة مواضع مختلفة من الكتاب الواحد، بواقع سطر واحد من كل صفحة من الصفحات (١٠، ٢٠، ٣٠، ٤٠، ٥٠). وتم اختيار السطر الأول من تلك الصفحات، وقد راعى الخولي في الكتب التنوع، بحيث تكون الموضوعات متنوعة؛ وذلك من أجل أن تكون العينات اللغوية غير منحازة وتميل إلى موضوع معين، وكذلك أحسن صنعاً حين أخذ من الكتب العربية الفصيحة، وتوصل إلى النتائج الآتية:

أولاً: يكون ترتيب الأصوات العربية تنازلياً؛ وذلك حسب شيوعها في النصّ اللغوي، كما يأتي:

(١) الخولي، محمد علي. ١٩٩٠م. الأصوات اللغوية النظام الصوتي للغة العربية. عمان: دار الفلاح للنشر والتوزيع. ص ١١٤-١٥٦.

- أ - فتحة قصيرة، كسرة قصيرة، ل، فتحة طويلة، ت، ضمة قصيرة، ن، م، ء، ي، ر، و، ع، هـ، ب، كسرة طويلة، د، ف، س، ك، ق، ح، ج، ضمة طويلة، ط، ص، ذ، ث، خ، غ، ش، ض، ظ، ز.
- ب- الصوائت المجهورة أشيع من الصوامت المجهورة، والأصوات المجهورة أشيع من الأصوات المهموسة.
- ثانياً: يكون ترتيب الأصوات العربية من حيث مكان النطق تنازلياً وذلك حسب شيوعها، كما يأتي:
- أ - لثوي، شفتاني، أسناني، حنجري، حلقي، غاري، طبقي، شفوي، أسناني، لثوي غاري.
- ب - الأصوات المجهورة أشيع من الأصوات المهموسة، والصوائت المجهورة أشيع من الصوامت المجهورة.
- ت - يكون ترتيب الأصوات المهموسة تنازلياً وذلك حسب شيوعها، هكذا: ت، ء، هـ، ف، س، ك، ق، ح، ط، ص، ث، خ، ش.
- ث - يكون ترتيب الأصوات المجهورة تنازلياً وذلك حسب شيوعها، هكذا: فتحة قصيرة، كسرة قصيرة، ل، فتحة طويلة، ضمة قصيرة، ن، م، ي، ر، و، ع، ب، كسرة طويلة، د، ج، ضمة طويلة، ذ، غ، ض، ظ، ز.
- ج - يكون ترتيب الوقفيات تنازلياً وذلك حسب شيوعها، هكذا: ت، ء، ب، د، ك، ق، ط، ض.
- د - يكون ترتيب الاحتكاكيات تنازلياً وذلك حسب شيوعها، هكذا: ع، هـ، ف، س، ح، ص، ذ، ث، خ، غ، ش، ظ، ز.
- هـ - يكون ترتيب الصوائت تنازلياً وذلك حسب شيوعها، هكذا: فتحة قصيرة، كسرة قصيرة، فتحة طويلة، ضمة قصيرة، كسرة طويلة، ضمة طويلة.
- و - الصوائت القصيرة أشيع من الطويلة، والمركزية أشيع من كلٍّ من الأمامية والخلفية، والعالية أشيع من كلٍّ من الوسطية والمنخفضة.

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثلاً

ز- نلاحظ أنه قد تطابق تصنيف هذه الدراسة لشيوع الأصوات مع تصنيف ابن منظور في خمسة وعشرين صوتاً، واختلف عنها في ثلاثة؛ رغم الفروق في المواد اللغوية موضع التحليل.

ح- نلاحظ أنه يوجد ترتيب ذو دلالة إحصائية بين مراتب الشيوع للأصوات في هذه الدراسة، ومراتب الشيوع في كلٍّ من دراسة موسى الأولى والثانية. ط - نلاحظ أنه توجد علاقة موجبة قوية بين شيوع الصوت وسهولة نطقه، حيث إنه كلما كان نطق الصوت أسهل، ازداد شيوعه في معظم الحالات، وكذلك العكس؛ كلما كان نطقه أصعب، قلَّ شيوعه في أكثر الحالات.

دراسات: موسى، علي حلمي. ١٩٧١م، ١٩٧٢م، ١٩٧٢م

نجد أنّ دراسات موسى الثلاث قامت على إحصاء الجذور الثلاثية وغير الثلاثية في مفردات اللغة العربية، كما وردت في معجمي (الصحاح) للجوهري، و(لسان العرب) لابن منظور، حيث أحصى الحروف الصامتة- الساكنة- في شكلها الكتابي غير المشكول، اعتماداً على جذور الكلمات. وتوصّل إلى النتائج الآتية: حصل على المرتبة الأولى حرف الراء في دراسته، ثم اللام والميم، بينما كان حرف الذال هو آخر الحروف شيوعاً.

أوجه الاختلاف مع الدراسات السابقة

الدراسة الحالية تختلف عن الدراسات السابقة، في كونها تبحث في كتاب الله الكريم - سورة (النبأ) مثلاً -، وكذلك دراسة الحركات في القرآن الكريم. بينما اعتمدت كثير من الدراسات السابقة على الكتب الحديثة، وأصول المعاجم.

أوجه الاتفاق مع الدراسات السابقة

تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في معالجة الحروف الشائعة.

المبحث الثالث: التحليل والمناقشة

أولاً: الحروف: نقوم فيما يأتي بعرض جدول يوضح حالات تكرار الحروف التي وردت في سورة (النبأ)؛ وذلك حسب نسبة التكرار والشبوع.

جدول رقم (١) الحروف وتكرارها ونسبها المئوية

م	الحرف	التكرار	النسبة المئوية
١	أ	١٧٤	٢٥
٢	ل	٦١	٩
٣	ن	٥٧	٨
٤	و	٥٢	٧
٥	م	٤٧	٧
٦	ي	٤٠	٦
٧	ب	٣٤	٤
٨	ك	٢٤	٣
٩	ر	٢٣	٣
١٠	ت	٢٣	٣
١١	ج	١٩	٣
١٢	ف	١٩	٣
١٣	ق	١٧	٣
١٤	ع	١٧	٢
١٥	هـ	١٦	٢
١٦	س	١٦	٢
١٧	ح	١٢	٢
١٨	د	١١	١,٥
١٩	ذ	٩	.٩٦

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثالا

٢٠	ص	٧	١
٢١	خ	٦	١
٢٢	ز	٥	١
٢٣	ش	٥	١
٢٤	غ	٣	٠,٥٠
٢٥	ث	٣	٠,٥٠
٢٦	ط	٣	٠,٥٠
٢٧	ض	٢	٠,٥٠
٢٨	ظ	٢	٠,٥٠
المجموع العام	٢٨	٧٠٧	%١٠٠

من خلال الجدول السابق، يتضح لنا أنّ الأحرف الأشيع هي: الألف، واللام، والنون، والواو والميم والياء على التوالي، أي أنّ الأحرف التي كانت نسبة شيوعها ما بين ٥-٢٤٪ تقريباً عدت أكثر شيوعاً.

والأحرف الشائعة هي:

الباء، والتاء، والجيم، والحاء، والراء، والذال، والفاء، والكاف، والقاف، والعين، والسين، والهاء، على التوالي، أي: تلك الأحرف التي كانت نسبة شيوعها ما بين ٢-٤٪ تقريباً حُسبت شائعة.

والحروف قليلة الشيوع هي:

الثاء، والذال، والصاد، والحاء والزاي، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والشين، على التوالي، أي: تلك الحروف التي كانت نسبة شيوعها أقلّ من ٢٪ عدت قليلة الشيوع.

مقارنة نتائج البحث الحالي مع الأبحاث السابقة:

من خلال الجدول الآتي نجري مقارنة نتائج شيوع الحروف في البحث الحالي مع الأبحاث السابقة.

جدول رقم (٢): مقارنة نتائج حروف الدراسة الحالية مع الدراسات

السابقة

الحروف التي لم يرد ذكرها	الحروف قليلة الشيوع	الحروف الشائعة	الحروف الأشيع	الحالة
-	ث، خ، ذ، ص، ش، ض، ط، ظ، غ	ب، ت، ج، ح، ر، ف، ق، ك، ع، س، د، هـ	أ، ل، ن، و، م، ي	الدراسة الحالية
-	ظ، غ، ط، ز، ث، خ، ض، ش، ص، ذ	ت، ر، ب، ع، ف، ك، د، س، ق، ح، ج	أ، ل، ن، ي، م، هـ، و	دراسة ابن منظور
-	ط، ص، ذ، ث، خ، غ، ش، ض، ظ، ز	ب، ع، هـ، د، ف، س، ك، ق، ح، ج	ء، ل، ن، ي، ت، م، ر، و	دراسة الخولي
ث، ح، ش، ظ، ض	ك، س، ق، هـ، د، و، خ، ذ، ص، ط، ج، غ، ف، ز	ت، ر، ب، م، ع	أ، ل، ن، ي	دراسة جاسم

نشير هنا إلى أنّ مبدأ الشيوع الذي اعتمدنا عليه هو: تكرار الحرف أكثر

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثلاً

من مرة في السورة، وبالتالي فإن نتائج الدراسة الحالية تتفق مع الدراسات السابقة وتختلف معها فيما يأتي:

مواطن الاتفاق:

- الحروف الأشيع: تتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في أحرف: "الألف واللام والنون والواو، والياء"، ويضافُ إلى ذلك أنّ الدراسات السابقة تحتوي على حروف أخرى غير التي توصلت إليها الدراسة الحالية.
- الحروف الشائعة: تتفق الدراسة الحالية مع نتائج بعض الدراسات السابقة، في الأحرف الآتية: "التاء والجيم والراء، والباء، والميم، والعين والذال".
- الحروف قليلة الشيوع: تتفق الدراسة الحالية مع نتائج بعض الدراسات السابقة في الأحرف الآتية: "الثاء والحاء والذال والصاد والطاء والغين والزاي".

مواطن الاختلاف:

- الحروف الأشيع: تختلف نتائج الدراسة الحالية مع نتائج غالبية الدراسات السابقة في حرف (الميم)".
- الحروف الشائعة: تتفق الدراسة الحالية مع نتائج غالبية الدراسات السابقة في الحروف الشائعة ولم يوجد فرق يُذكر في هذا النحو.
- الحروف قليلة الشيوع: تختلف الدراسة الحالية مع نتائج غالبية الدراسات السابقة في حرفي: (الزاي والشين).

ثانياً: الحركات:

فيما يأتي يتم عرض جدول يوضّح الحركات التي وردت في سورة (النبأ)

جدول رقم (٣) الحركات وتكرارها ونسبها المئوية

النسبة	التكرار	الحركة
٤٤	٢٦٠	الفتحة القصيرة
٢١	١٢٦	الفتحة الطويلة
١٠	٥٨	الكسرة القصيرة
٩	٥١	الضمة القصيرة
٧	٤٦	الفتحتان
٤,٥	٢٣	الشددة مع الفتحة
٢	١٢	الكسرة الطويلة
٢	١١	الضمة الطويلة
١	٤	الشددة مع الكسرة
.٣٣	٢	الشددة مع الفتحتين
.٣٣	٢	الشددة مع الضمة
.٣٣	٢	الكسرتان
-	-	الشددة مع الضمتين
-	-	الشددة مع الكسرتين
-	-	الضمتان
%١٠٠	٥٩٧	المجموع:

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثالا

وفيما يأتي يتم إجراء مقارنة نتائج شيوخ الحركات في البحث الحالي وبحث الخولي:

جدول رقم (٤) مقارنة نتائج الحركات مع الأبحاث السابقة

الحركات التي لم ترد	قليلة الشيوخ	الحركات الشائعة	الحركات الأشيع	الحالة
ضممتان شدة مع ضممتين شدة مع كسرتين	ضمة طويلة شدة مع ضمة شدة مع كسرة كسرتان	كسرة طويلة شدة مع فتحة	فتحة قصيرة كسرة قصيرة فتحة طويلة ضمة قصيرة الفتحتان	الدراسة الحالية
-	ضمة طويلة	كسرة طويلة	فتحة قصيرة كسرة قصيرة فتحة طويلة ضمة قصيرة	دراسة الخولي

مواطن الاتفاق:

- الحركات الأشيع: تتفق الدراسة الحالية مع دراسة الخولي في حركة: (الفتحة القصيرة والكسرة القصيرة، والفتحة الطويلة، والضمة القصيرة).
- الحركات الشائعة: تتفق الدراسة الحالية مع دراسة الخولي في حركة: (الكسرة الطويلة).
- الحركات قليلة الشيوخ: تتفق الدراسة الحالية مع دراسة الخولي في حركة: (الضمة الطويلة).

مواطن الاختلاف:

- الحركات الأشيع: تختلف الدراسة الحالية عن دراسة الخولي في حركة: (الفتحتان)

- الحركات الشائعة: تختلف الدراسة الحالية عن دراسة الخولي في حركة: (الشدة مع الفتحة)
- الحركات قليلة الشيوخ: تختلف الدراسة الحالية عن دراسة الخولي في حركة: (الشدة مع الضمة - والشدة مع الكسرة - والكسرتان)
- الحركات التي لم ترد في الدراسة الحالية: (الضمتان - والشدة مع الضمتين - والشدة مع الكسرتين).

الطرق المثلى لتعليم الحروف

هناك طرق عديدة لتعليم الحروف في اللغة العربية ذكرها العلماء^(١)، منها قديمة

-
- (١) جاسم، جاسم علي. ٢٠٠١م. في طرق تعليم اللغة العربية للأجانب. الطبعة الثانية، كوالالمبور: إيه إيس نوردين. ص ٨٠ وما بعدها.
 - جاسم، جاسم علي، وعثمان، عبد المنعم حسن الملك. ٢٠١٣م. طرق تدريس اللغات الأجنبية. الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد. انظر: الفصل الرابع.
 - جخراب، سعاد، وعيساني، عبد المجيد. ٢٠١٧م. الأسس العلمية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مجلة الأثر، العدد ٢٨
 - إبراهيم، حمادة. ١٩٨٧م. الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها. القاهرة: دار الفكر.
 - إبراهيم، عبد العليم. ١٩٧٨م. الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية. ط ١، مصر: دار المعارف.
 - أنيس، إبراهيم. ١٩٩٠م. الأصوات اللغوية. ط ٤، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
 - إسماعيل، زكريا، ١٩٩١م. طرق تدريس اللغة العربية. اسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
 - الخولي، محمد علي. ١٩٨٦م. أساليب تدريس اللغة العربية. ط ٢، الرياض، مطابع الفرزدق.
 - السمك، محمد صالح. ١٩٧٩م. فن التدريس للتربية اللغوية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
 - طعيمة، رشدي أحمد. ١٩٨٩م. تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأساليبه. الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.

=

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثلاً

ومنها حديثة، وسندكر أهم الطرق في ذلك:
أ- الطرق القديمة، ومنها ما يأتي: الطريقة الألفبائية، والطريقة الأبجدية،
والطريقة الصوتية.

الطريقة الألفبائية: حيث تبدأ بتعليم الحروف بدءاً باسم الحرف: (ألف، باء،
تاء، ثاء، جيم ... إلخ)

أما الطريقة الصوتية: فتعلم صوت الحرف لا اسمه، مثال: (ب، ت، ث، ج،
ح ... إلخ)، وهذه الطرق تعتمد على تعليم الحرف مجرداً في البداية، ثم تعلمه من
خلال المقاطع، وبعدها من خلال الكلمة، وذلك من خلال مهارتي الاستماع أولاً،
والحديث ثانياً، في حين تتأخر مهارتا القراءة والكتابة عن سابقتيهما، حيث يستدعي
ذلك تأخير الطالب في تعلم القراءة والكتابة، وبالتالي يكون بطيئاً فيهما؛ حيث إنه
في هذه الطرق يكون الاهتمام موجهاً لسماع الصوت ونطقه وتمييزه، أما قراءته وكتابته
فتعتبر غير ضرورية في البداية.

ب- الطرق الحديثة، ومنها ما يلي: الطريقة الكلية، والطريقة التوليفية، والطريقة
الصوتية التوليفية اللغوية، والطريقة الشفوية السمعية، والطريقة السمعية البصرية البنيوية
(التركيبية) الكلية (الإجمالية) (S.G.V.A)، والطريقة الصوتية للكلمة، والطريقة
السمعية اللغوية.

وأخذت هذه الطرق في التعليم منحىً آخر، هو: تعليم الحرف من خلال
الكلمة، مع الاهتمام بالمهارات اللغوية الأربع، أي بخلاف الطرق القديمة، ورأت أنّ
تعليم الصوت من خلال الكلمة وشبه الجملة والجملة، أفضل من تعليمه مجرداً،

- العربي، صلاح عبد المجيد. ١٩٨١م. تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية والتطبيق. ط١، لبنان:
مكتبة لبنان.

بالإضافة إلى الاستفادة من المهارات اللغوية الأربع في تعليم الصوت في نفس الوقت.
وخلاصة القول:

هذه الطرق وغيرها مما يُقصد به تعليم الحروف والحركات الإعرابية تصبُّ في مصبِّ واحد، والهدف الأساسي منها تعليم غير الناطقين بالعربية النطق الصحيح السليم، والحركة الإعرابية الصحيحة؛ حتى تكون لغته فصيحة سالمة من العيوب والأخطاء.

الخاتمة

من خلال - ما سبق - يتضح لنا أنّ قضية الشيوخ لم تكن ظاهرة جديدة في علم اللغة التطبيقي، فقد درسها اللغويون العرب القدامى منذ القرن الثالث للهجرة، ولا ريب أنّ رائد هذا المجال العالم اللغوي المبدع الجاحظ، حيثُ وضح أسسها، وتناولها بالشرح المفصل، وتكلم بعده مجموعة من العلماء العرب القدامى في دراستها. وتمّ تقسيم درجات الشيوخ في هذا البحث إلى ثلاث مراتب؛ اعتماداً على تكرار الحرف وحركته أكثر من مرة في السورة؛ وذلك لمعرفة درجة شيوخه من عدمها، وفيما يلي إيجاز النتائج في الأسطر الآتية:

أ) الحروف

- مرتبة الحروف الأشيع: وهي: الألف واللام والميم والنون والواو والياء، حيثُ إنّ نسبة شيوخها ما بين ٥-٢٤٪ تقريباً.
- مرتبة الحروف الشائعة: وهي: الباء والتاء والجيم والحاء والراء والفاء والقاف والكاف والعين والسين والذال والهاء، حيثُ إنّ نسبة شيوخها ما بين ٢-٤٪ تقريباً.
- مرتبة الحروف قليلة الشيوخ: وهي: الثاء والحاء والذال والراء والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والغين، حيثُ إنّ نسبة شيوخها أقل من ٢٪ تقريباً.

ب) الحركات

- مرتبة الحركات الأشيع وهي: الفتحة القصيرة، والكسرة القصيرة، والفتحة الطويلة، والضمّة القصيرة؛ حيثُ إنّ نسبة شيوخها ما بين ٩-٤٤٪ تقريباً.
- مرتبة الحركات الشائعة: وهي: الكسرة الطويلة؛ حيثُ إنّ نسبة شيوخها ما بين ٢-٤٪ تقريباً.
- مرتبة الحركات قليلة الشيوخ وهي: الضمة الطويلة، والشدة مع الضمة، والشدة مع الكسرة، والكسرتان؛ حيثُ إنّ نسبة شيوخها أقل من ٢٪ تقريباً.

ت) توظيف الحروف الشائعة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

من خلال النتائج السابقة، نستطيع أن نوظف الحروف الشائعة وكذلك الحركات في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ونقول:

إنّ الحروف التي ينبغي أن تُوظف أولاً في مناهج وكتب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في المستوى المبتدئ - المستوى الأول - هي: الحروف الأشيع والشائعة، ومن ثم الحروف قليلة الشيع، وكذلك الحركات الأشيع والشائعة ثم قليلة الشيع. ونذكر هنا للأهمية أنه عند تأليف المناهج التعليمية لتوظيفها في تعليم غير الناطقين بالعربية، حبذا لو يراعي المؤلفون جوانب اهتمام الطلاب، فعلى سبيل المثال لا الحصر يطلب المؤلف من الطلاب أن يكتبوا عناوين الموضوعات والمحاور التي يرغبون في تعلّمها أولاً، فيكتبون على سبيل المثال: عن العادات في بلدانهم، وعن المناسبات، والأعياد، والاحتفالات؛ وذلك من أجل التّعرف على الكلمات الشائعة في تعابيرهم الإنشائية، ثم بعد ذلك توظّف في المناهج التي تؤلّف لأجلهم، وهذه من أنجع الطرق وأيسرها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وهذا ما فعله جاسم ونخبة من الأساتذة حين قاموا بتأليف كتب تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ماليزيا^(١)، وكان لها صدّى كبيراً وقبولاً بين الطلاب ومتعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها.

وينبغي أن تُوظف الحروف كثيرة الشيع مع الحروف قليلة الشيع، أو نادرة الشيع؛ لتيسير نطق هذه الحروف بسهولة ويسر للطلاب غير الناطقين بالعربية.

(١) جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبید، وجاسم، زيدان علي. ٢٠٠٢م. سلسلة تعليم اللغة العربية للأجانب في المرحلة الابتدائية. ٤ أجزاء (كتاب الحروف الهجائية العربية: ٩٣ ص / مهارة القراءة: ٦٧ ص / مهارة الكتابة: ٦٧ ص / كتاب الحساب: ٦٠ ص). كوالالمبور: إيرلي ليرنر بيليكيشنز.

- جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبید، وجاسم، زيدان علي. ١٩٩٩م. المحادثة العربية المعاصرة للناطقين بالإنجليزية. الطبعة الثانية. كوالالمبور: إيه. إيس. نوردين. الصفحات ١٢٧.

- جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبید، وجاسم، زيدان علي. ١٩٩٨م. تعليم المحادثة العربية المعاصرة لغير الناطقين بها، المستوى المتوسط. الطبعة الأولى. ٢ جزءان. كوالالمبور: إيه. إيس. نوردين. الصفحات ٥٨/٦٤.

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثلاً

فمثلاً: نعلّم حرف (ع) مع الحروف كثيرة الشبوع والشائعة (عرب - برع...)
فهذه كلمات وحروف سهلة النطق لمتعلم العربية، بينما نجد حروف كلمة (صقع -
عقص - صعق...) فإنّ الطالب يجد صعوبة في النطق بها؛ لأنّ هذه الحروف صعبة
النطق بمفردها؛ فما بالك باجتماعها في كلمة واحدة؛ ولذلك ننصح بأن ترد هذه
الحروف في أكثر من كلمة في أثناء تعليمها للمبتدئين؛ ليسهل عليهم نطقها، من
خلال ورود حرف واحد منها في كلّ كلمة جديدة.

أضف إلى ذلك أنّها غير موجودة في لغته، فلا بدّ من تيسير تعليم هذه
الأصوات قليلة الشبوع مع كثيرة الشبوع والشائعة، وكذلك الحركات فيتعلّم الأشيع
والشائعة ثم قليلة الشبوع؛ كلّ ذلك من أجل التيسير والتسهيل على متعلم اللغة
العربية الناطق بغيرها.

ث) النموذج المقترح

يعرض الباحث فيمالي نموذجاً مقترحاً لتعليم حرف الألف الذي يُعدّ أكثر
الحروف دوراً في السورة، وذلك على النحو الآتي:

التدريب على حرف الألف:

أبي، أمي، إيمان، أبابا، ماما، باب.

أنا سالم أحبّ أبي وأمي، وأعيش معهم في مدينة الإسلام المدينة المنورة،
وأصلي في المسجد النبوي الشريف أكثر أوقات فراغي، وأزور المساجد
والأماكن الأثرية في المدينة.

الأسئلة:

- من يحبّ سالم؟
- أين يعيش سالم؟
- أين يصلي سالم؟
- هل يزور سالم المساجد والأماكن الأثرية؟

التقويم

- استخراج من النص أعلاه حرف الألف.
- استخراج من النص أعلاه حرف الألف مع الفتحة.
- استخراج من النص أعلاه حرف الألف مع الضمة.

- استخرج من النص أعلاه حرف الألف مع الكسرة.
- ارسم دائرة حول حرف الألف في الكلمات الآتية:
- سالم - إسلام - المدينة - المساجد.
- اكتب حرف الألف في المربعات الآتية:

			أ
			ا

(ج) التوصيات للأبحاث المستقبلية

يوصي الباحث بأن تُجرى دراسات مكثفة حول ظاهرة شيوع الحروف؛ لندرة الدراسات فيها، وعلى الرغم من أهمية هذا الموضوع الذي يُعدّ اللبنة الأولى في إيجاد الحروف وإتقان نطقها وكتابتها.

ولذلك يهيب الباحث بأن تقوم الدراسات القادمة في المجالات الآتية:

- دراسة سورة (البقرة وآل عمران والنساء) على الحروف والحركات الشائعة.
- دراسة سلسلة من الأحاديث الشريفة.
- دراسة ديوان شعري.
- دراسة القصص أو الروايات أو المسرحيات.
- وختاماً: نصلي ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثالا

المصادر والمراجع

- إبراهيم، حمادة. ١٩٨٧م. الاتجاهات المعاصرة في تدريس اللغة العربية واللغات الحية الأخرى لغير الناطقين بها. القاهرة: دار الفكر.
- إبراهيم، عبد العليم. ١٩٧٨م. الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية. ط١، مصر: دار المعارف.
- أنيس، إبراهيم. ١٩٩٠م. الأصوات اللغوية. ط ع، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.
- إسماعيل، زكريا، ١٩٩١م. طرق تدريس اللغة العربية. اسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- الجاحظ. ١٩٩٨م. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. ١٩٩٨م. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- جاسم، جاسم علي ٢٠١٥م. المهارات اللغوية ومعايير جودتها. الطبعة الأولى، جدة: مكتبة أمجاد حنين.
- جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبيد، وجاسم، زيدان علي. ٢٠٠٢م. سلسلة تعليم اللغة العربية للأجانب في المرحلة الابتدائية. ٤ أجزاء (كتاب الحروف الهجائية العربية: ٩٣ ص / مهارة القراءة: / مهارة الكتابة: / كتاب الحساب: كوالالمبور: إيرلي ليرنر بليكيشنز.
- جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبيد، وجاسم، زيدان علي. ١٩٩٩م. المحادثة العربية المعاصرة للناطقين بالإنجليزية. الطبعة الثانية. كوالالمبور: إيه. إيس. نوردين.
- جاسم، جاسم علي، والعيد، أميرة عبيد، وجاسم، زيدان علي. ١٩٩٨م. تعليم المحادثة العربية المعاصرة لغير الناطقين بها، المستوى المتوسط. الطبعة الأولى. ٢ جزآن. كوالالمبور: إيه. إيس. نوردين..
- جاسم، جاسم علي. ٢٠٠١م. في طرق تعليم اللغة العربية للأجانب. الطبعة الثانية، كوالالمبور: إيه إيس نوردين.

- جاسم، جاسم علي، وعثمان، عبد المنعم حسن الملك. ٢٠١٣م. طرق تدريس اللغات الأجنبية. الطبعة الأولى، الرياض: مكتبة الرشد. انظر الفصل الرابع.
- جخراب، سعاد، وعيساني، عبد المجيد. ٢٠١٧م. الأسس العلمية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مجلة الأثر.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني. ١٩٩٢م. سر صناعة الإعراب. دراسة وتحقيق: حسن هنداوي. الطبعة الثانية، دمشق: دار القلم.
- الخولي، محمد علي. ١٩٩٠م. الأصوات اللغوية النظام الصوتي للغة العربية. عمان: دار الفلاح للنشر والتوزيع.
- الخولي، محمد علي. ١٩٨٦م. أساليب تدريس اللغة العربية. ط ٢، الرياض، مطابع الفرزدق.
- خياط، يوسف ومرعشلي، نديم. ب.ت. لسان العرب المحيط. بيروت: دار لسان العرب.
- السمك، محمد صالح. ١٩٧٩م. فن التدريس للتربية اللغوية. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية.
- سبيويه. ١٩٨٣م. الكتاب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، بيروت: عالم الكتب..
- السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. ١٩٨٦م. المزهري في علوم اللغة وأنواعها. شرحه وضبطه وصححه وعلق موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى بك وغيره. صيدا-بيروت: المكتبة العصرية.
- طعيمة، رشدي أحمد. ١٩٨٩م. تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأساليبه. الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو.
- العربي، صلاح عبد المجيد. ١٩٨١م. تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية والتطبيق. ط ١، لبنان: مكتبة لبنان.

الحروف الشائعة والحركات وتوظيفها في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، سورة (النبأ) مثالا
عبد، داود عطية. ١٩٧٩م. المفردات الشائعة في اللغة العربية. الرياض: مطبوعات
جامعة الرياض.
العصيلي. ٢٠٠٦م. العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم. ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م. علم اللغة
النفسي. الطبعة الأولى، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،
عمادة البحث العلمي.
الغريبي، سعيد عبد الله. ١٩٨٦م. الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها من
الراشدين. ط ١، مكتبة الطالب الجامعي.
ابن منظور. ب. ت. معجم لسان العرب. القاهرة: المطبعة الأميرية ببولاق.

Bibliography

- Ibrahim, Hamada, 1987 AD. "Contemporary trends in the teaching of Arabic language and other living languages for non-native speakers". Cairo: Dar Al Fikr.
- Ibrahim Abdel Alim, 1978 AD, "The technical mentor for Arabic language teachers". Edition 1, Egypt: Dar Al Marefa.
- Anis, Ibrahim, 1990 AD, "Linguistic sounds". Cairo: The Anglo Egyptian Bookshop.
- Ismail, Zakaria, 1991 AD. "Methods of teaching Arabic language". Alexandria, Dar Al Marefa Al Gamia.
- Al-Jahiz. 1998 AD. Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr. 1998 AD. "Al-Bayān Wa-Al-Tabyīn". Editor: Abd al-Salam Muhammad Haroun. Seventh Edition, Al-Khanji Library - Cairo.-
- Jassim, Jassim Ali, 2015 AD. "Language skills and their quality standards". First edition, Jeddah: Amjad Hanin Library
- Jassem, Jassim Ali, Eid, Amira Obaid, & Jassem, Zaidan Ali. 2002 AD. "A series of teaching Arabic language for foreigners at the primary stage". 4 parts (Arabic Alphabets Book: 43 p. / Reading skill: / Writing skill: / Arithmetic book:). Kuala Lumpur: A.S Noordeen.
- Jassim, Jassem Ali, Eid, Amira Obaid, & Jassem, Zaidan Ali, 1999 AD. "Contemporary Arabic Conversation for Anglophones". 2nd Edition, Kuala Lumpur: A.S Noordeen.
- Jassem, Jassem Ali, Eid, Amira Obaid, & Jassem, Zaidan Ali 1998 AD, "Teaching Contemporary Arabic Conversation to Non-Native Speakers". Intermediate Level. first edition. 2 parts. Kuala Lumpur: A.S Noordeen.
- Jassim, Jassim Ali, 2001 AD., "On Methods of Teaching Arabic to Foreigners". 2nd Edition: Kuala Lumpur: A.S Noordeen.
- Jassim, Jassim Ali, & Othman, Abdel Moneim Hassan Al-Malik, 2013 AD, "Methods of Teaching Foreign Languages". 1st edition, Riyadh: Al-Rushd Library. See Chapter Four.
- Jakhrab: Souad, Issani, & Abdul Majeed - 2017. "Scientific foundations in teaching Arabic to non-native speakers". Al-Athar Journal.
- Ibn Jinni, Abu al-Fath Othman bin Jinni. 1992 AD. "The secret of the syntax industry". Editor: Hassan Hindawi. 2nd edition, Damascus: Dar Al-Qalam

- Al-Khouli, Muhammad Ali, 1990 AD, "Linguistic sounds, the phonemic system of the Arabic language". Amman: Dar Al Falah for Publishing and Distribution.
- Al-Khouli, Muhammad Ali, 1986 AD, "Methods of Teaching Arabic". 2nd Edition, Riyadh, Al-Farazdaq Printing Press .
- Khayat, Youssef & Maraachli, Nadim. "Lisan al-Arab al-Muhit". Beirut: Dar Lisan al-Arab.
- Al-Asmak, Muhammad Salih. 1979 AD, "The Art of Teaching Language Education". Cairo: The Anglo Egyptian Bookshop.
- Sibawayh, 1983 AD. "The book", Editor: Abdel Salam Muhammad Haroun, 3rd edition, Beirut: Aalam El Kotob.
- Al-Suyuti, Abd al-Rahman Jalal al-Din, 1986 AD. "Al-Mizhar in linguistics and its types". Explained, controlled, corrected, titled its topics & commented its footnotes: Muhammad Ahmed Gad Al-Mawla Bak et al. Sidon - Beirut: Alassrya Library.
- Taima, Rushdi Ahmed, 1989 AD, "Teaching Arabic to non-native speakers, its curricula and methods". Rabat: The Islamic Educational, Scientific and Cultural Organization (ISESCO).
- Al-Arabi, Salah Abdul Majeed, 1981 AD. "Learning and teaching living languages between theory and practice". 1st edition, Lebanon: Library of Lebanon.
- Abdo, Daoud Attia. 1979 AD. "Common vocabulary in Arabic language". Riyadh: Riyadh University Press.
- Al-Osaili. 2006 AD. Al-Osaili, Abdul Aziz bin Ibrahim. 1427 AH 2006 AD. "Psycholinguistics". 1st Edition, Riyadh: Imam Muhammad bin Saud Islamic University (IMSIU), Deanship of Scientific Research.
- Al-Gharbi: Saeed Abdullah, 1986 AD, "Arabic voices and their teaching to non-speaking adults", 1st Edition, University Student Library
- Ibn Manzur. "Lisan Al Arab Dictionary". Cairo: Al Amiria Printing Press in Bulaq.

**فاعلية برنامج إلكتروني قائم
على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية
لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى**

The Effectiveness of an Electronic Program Based
on Functional Approach to Develop Grammatical
Concepts Among Learners of Arabic Language
Who Speaks Other Languages

الباحث الرئيس: د. محمد حسن الحارثي

أستاذ تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى المساعد بالجامعة الإسلامية

الباحث المشارك: د. عادل علي السناني

أستاذ تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى المساعد بالجامعة الإسلامية

البريد الإلكتروني: mhhaltharhi1@gmail.com

المستخلص

هدف هذا البحث إلى التحقق من فاعلية برنامج إلكتروني مقترح قائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، ولتحقيق هذا الهدف أعد الباحثان قائمة بالمفاهيم النحوية والتي تم التوصل إليها من خلال استبانة قام الباحثان بإعدادها وعرضها على المحكمين للتأكد من مناسبة المفاهيم النحوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى (المستوى المتوسط). وفي ضوء تلك المفاهيم قام الباحثان ببناء البرنامج الإلكتروني في ضوء المدخل الوظيفي، وأعد اختباراً للمفاهيم النحوية، وبواقع (٤٠) فقرة، من نوع الأسئلة الموضوعية. واستخدم الباحثان المنهجين: الوصفي وشبه التجريبي، وتكونت عينة البحث من (٣٠) متعلماً من طلاب المستوى الثالث في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة. وتوصل البحث إلى قائمة بالمفاهيم النحوية، تضمنت ثلاثة مفاهيم رئيسة انبثق عنها اثنا عشر مفهوماً فرعياً، كما تم التوصل إلى برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي، تضمن ثلاثة دروس، وأظهرت نتائج البحث وجود فرق دال إحصائياً عند مستوى دلالة (0.01) بين متوسطات درجات عينة البحث في التطبيقين: القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم النحوية لصالح الاختبار البعدي، وهذا يدل على أن البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي قد أدى إلى تنمية المفاهيم النحوية لدى عينة البحث.

الكلمات المفتاحية: برنامج إلكتروني - المدخل الوظيفي - المفاهيم النحوية - النحو - متعلمو اللغة العربية الناطقون بلغات أخرى.



ABSTRACT

The aim of this research is to verify the effectiveness of a proposed electronic program based on the functional approach to develop grammatical concepts among learners of Arabic language who Speaks other languages , to achieve this aim, the researchers prepared a list of grammatical concepts, which were reached through a questionnaire prepared by the researchers and presented to the arbitrators to confirm the appropriateness of the grammatical concepts for learners of Arabic language who speaks other languages (Intermediate level) . In light of these concepts, the researchers built the electronic program in functional approach, prepared a test of grammatical concepts by 40 paragraphs of thematic question type. the researchers used the Methodologies: Descriptive and quasi-experimental method. The research Sample Consist of (30) learners from the student of third Grade at the Institute for Teaching Arabic to Non-Native Speakers at Islamic University in Medina. The research reached a list of grammatical concepts that included three main concepts from which twelve sub-concepts emerged, an electronic program based on the functional approach was also reached, which included three lessons. The findings of the research showed the presence of a statistically significant difference at the level of significance (0.01) between the mean scores of the research sample in the two applications: pre and post to test grammatical concepts in favor of the post test, this indicates that the electronic program based on the functional approach has led to the development of grammatical concepts in the research sample.

Keywords: Electronic Program - functional approach - grammatical concepts – Grammar - learners of Arabic language who Speaks other languages.

مقدمة.

يعد المدخل الوظيفي أحد المداخل المهمة في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ كونه يهدف إلى تقديم مجموعة من المواقف اللغوية الوظيفية الحياتية التي يتفاعل معها متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى، ويتمكن من ممارستها في حياته اليومية.

ويقوم المدخل الوظيفي على أساس أن التربية هي الحياة، وبالتالي لا بد أن يشعر متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى، بأن ما يتعلمه قد يمكنه من تحقيق التكيف مع بيئته التي يعيش فيها.

ومن الأسس والمبادئ للمدخل الوظيفي أن القيمة الحقيقية للعلم ليس في اكتسابه، وإنما في توظيفه في الحياة، وكذلك يعد التكامل بين مهارات اللغة وعناصرها وربطها بمواقف حياتية وظيفية أهم هذه الأسس التي ينطلق منها هذا المدخل.^(١)

وتسعى برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها إلى تنمية قدرة متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى على التواصل من خلال الاستخدام الصحيح لمهارات اللغة وعناصرها في سياقاتها الوظيفية بسهولة ويسر في مواقف الحياة المختلفة، ويتطلب ذلك أن يقوم تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها على مداخل تدريسية ترسي مبادئ توظيفها واستعمالها في المواقف الحياتية الاتصالية؛ على اعتبار أن الاتصال هو الوظيفة الرئيسية للغة من بين الوظائف الأخرى.^(٢)

(١) تركي الزهراني وآخرون "مداخل تعليم اللغة: رؤية تحليلية" مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض، ط١، ٢٠١٩م. ص ١٣٥

(٢) أبو الذهب البدري علي "فاعلية برنامج قائم على المدخل الوظيفي ومعايير الجودة في تنمية مهارات الاستماع لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها" مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع (١٥٥). أكتوبر ٢٠١٣م، ج (٤). ص ١٢-١٣.

وقد أشارت العديد من الدراسات على ضرورة تبني المدخل الوظيفي في بناء البرامج التعليمية وفاعلية استخدام المدخل الوظيفي كدراسة علي (٢٠١٣)^(١) التي أظهرت نتائجها وجود فاعلية للمدخل الوظيفي في تنمية مهارات فهم المسموع ونقده. ودراسة السليتي ومقدادي (٢٠١٢م)^(٢) التي أظهرت نتائجها أن هناك أثراً للمدخل الوظيفي في تحسين مهارات القراءة الناقدة لدى عينة البحث.

"وتعد القواعد النحوية مكوناً مهماً من مكونات أية لغة؛ إذ إنها بمثابة الضابط الرئيس لفهم اللغة وإفهامها، فالمتكلم أو الكاتب يزن بالقواعد النحوية ما يريد أن ينقله إلى الآخرين، بحيث يعبر عما يريد تعبيراً دقيقاً، كما أنه يستطيع من خلال معرفتها الاستماع إلى ما ينقله إليه الآخرون أو قراءته وفهمه أيضاً بالطريقة التي تحقق له الهدف من الاستماع أو القراءة، فعندما يستمع أحد الأفراد إلى جملة (زار محمداً أحمد) أو يقرأها، فإن معناها يختلف عن (زار محمداً أحمد)، وكذلك الأمر عندما ينطق هاتين الجملتين أو يكتبهما"^(٣).

ومما سبق يتضح أهمية النحو في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ حيث يسهم ضبط متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى لتلك القواعد النحوية في تمكنه من النطق الصحيح بها، ومعرفته للصواب من الخطأ.

(١) المرجع السابق

(٢) فراس السليتي، وفؤاد مقدادي "أثر برنامج قائم على المدخل الوظيفي في تحسين مهارات القراءة الناقدة لدى طلاب الصف التاسع الأساسي في الأردن"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، م (٢٦)، ع (٩)، ٢٠١٢م، ص ص ١٩٨٠-٢٠٠٦م.

(٣) علي الحديبي "فاعلية برنامج مقترح قائم على خرائط التفكير الإلكترونية في تنمية المفاهيم النحوية ومهارات الإعراب والكفاءة الذاتية في النحو لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى" المجلة الدولية للبحوث التربوية، جامعة الإمارات، م (٤١)، ع (٤)، ٢٠١٧م، ج (٤)، ص ٢٣٠.

وتعد المفاهيم النحوية المكون الأساس للنحو العربي وهي أحد جوانب التعلم في المجال المعرفي للنحو، وفهم متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى للمفهوم النحوي وتمكنه منه يعتبر أساساً للجانب المهاري والوجداني؛ فهي تسهم في تعريفه بها، وتيسر له تعلمها واستخدامها بشكل صحيح.

لذا تبرز أهمية المفاهيم النحوية في تعليم النحو؛ لأن النحو عبارة عن أبنية محكمة مرتبطة مع بعضها ارتباطاً وثيقاً مكونة بنياناً متكاملماً متيناً رصيناً، ومادة البناء الرئيسة هي المفاهيم النحوية، والقواعد النحوية ومهاراتها اللغوية تعتمد اعتماداً كلياً على المفاهيم النحوية في تكوينها واستيعابها واكتسابها؛ كونها تمثل طائفة من المعايير والضوابط المستنبطة من لغتنا العربية ويحكم بها على صحة اللغة وضبطها.^(١)

ونظراً لأهمية المدخل الوظيفي في البرامج التعليمية وكون المفاهيم النحوية هي المكون الأساسي للنحو العربي فقد جاءت فكرة هذا البحث في بناء برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي؛ لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

مشكلة البحث:

هناك عدة أمور أسهمت في الإحساس بمشكلة البحث من أهمها:
- بعض الصعوبات التي واجهها الباحثان عند تدريس النحو لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى:

فنظراً لقيام الباحثين بتدريس القواعد النحوية لطلاب معهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لاحظ أن هناك بعض المشكلات التي يواجهها الطلاب منها:

○ عدم قدرة المتعلمين على إعطاء التعريف الصحيح لبعض المفاهيم النحوية.

(١) سعاد حامد سعيد المزوري "أثر أتمودجي جانيه وكلوزماير في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طالبات المرحلة الإعدادية"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد: كلية التربية، ٢٠٠١م. ص ١٢.

- وجود خلط بين المفاهيم النحوية وعدم التمييز بينها.
- ضعف القدرة على إعطاء أمثلة صحيحة للمفاهيم النحوية.

- توصيات الدراسات السابقة:

أوصت العديد من الدراسات بتنمية المفاهيم النحوية كدراسة الحديبي (٢٠١٧م)^(١) بضرورة تضمين المفاهيم النحوية في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ودراسة الكويليت (٢٠١٧م)^(٢) بضرورة إجراء المزيد من الدراسات في اكتساب المفاهيم النحوية.

وبناءً على ما سبق يمكن تحديد مشكلة البحث في ضعف مستوى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في فهم وتحصيل المفاهيم النحوية، مما يجعلهم غير قادرين على استيعاب دروس النحو العربي، وهذا الأمر يتطلب من القائمين على تعليم اللغة العربية اتخاذ الإجراءات التي تيسر تعلمها ومنها تبني المدخل الوظيفي. لذا حاول البحث الحالي التصدي لهذه المشكلة من خلال بناء برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

أسئلة البحث:

حاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما المفاهيم النحوية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط؟
٢. ما مكونات البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟

(١) الحديبي، مرجع سابق، ص ٢٢٨-٢٧١.

(٢) معاوية الكويليت "أثر استراتيجتي خرائط المفاهيم والتعليم التوليد على المفاهيم النحوية لدى طلاب الصف الأول الثانوي في المملكة العربية السعودية"، مجلة كلية التربية، جامعة بور سعيد. ع (٢١)، يناير ٢٠١٧م، ص ٥١٧-٥٥٣.

٣. ما فاعلية البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟

أهداف البحث:

هدف البحث الحالي إلى ما يلي:

١. تحديد المفاهيم النحوية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
٢. تصميم البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
٣. قياس فاعلية البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

أهمية البحث:

تتضح أهمية البحث في كونه:

- يواكب التوجهات الحديثة التي تنادي بأهمية تطبيق التقنية في تعليم اللغات.
- يستجيب للرؤية التي ترى ضرورة التركيز على تحقيق الوظيفية في تعلم اللغة العربية.
- يفيد متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، حيث يقدم لهم برنامجاً إلكترونياً معداً وفقاً للمدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية. والتي تسهم في تحسين صورتهم الذهنية عن النحو العربي. أنظر الملحق رقم (٥)
- يفيد القائمين على برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى من خلال القائمة التي توصل لها البحث والتي يمكن الاستفادة منها عند تصميم المناهج والبرامج التعليمية التي تقدم لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. انظر الملحق (٣)
- يستخدم التقنية الحديثة في تعليم اللغة العربية؛ حيث إن الباحثان قام بإنشاء موقع إلكتروني learningarabic.net تضمن المحتوى اللغوي للبرنامج، لمساعدة المتعلمين على تعلم المفاهيم النحوية بشكل إلكتروني، ولضمان استمرارية تعلمهم.

حدود البحث:

اقتصر البحث الحالي على الحدود الآتية:

الحدود الموضوعية: المفاهيم النحوية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط والتي تم التوصل إليها من خلال الإجراءات المنهجية المتبعة.

الحدود البشرية: عينة البحث من طلاب المستوى الثالث بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة؛ لأنه يوافق المستوى المتوسط لغوياً، وقد تم اختيار هذا المستوى حتى يتم تطبيق البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي ١٤٤٢ هـ.

الحدود المكانية: معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

مصطلحات البحث:

المدخل الوظيفي: هو "المدخل القائم على تعليم المهارات والمعارف والسلوكيات للمتعلمين، بغرض استخدامها داخل المدرسة وخارجها"^(١) ويعرف المدخل الوظيفي إجرائياً في هذا البحث بأنه: تقديم مجموعة من المفاهيم النحوية الوظيفية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى، من خلال اختيار المفاهيم النحوية الأكثر شيوعاً، وربطها بمواقف اجتماعية مختلفة؛ بهدف تنمية المفاهيم النحوية لدى عينة البحث.

المفاهيم النحوية: "صيغة التفكير المجرد التي تعكس السمات الجوهرية للكلمة، أو لمجموعة كلمات ذات علاقة قائمة فيما بينها، تؤدي إلى فهم الظاهرة اللغوية، ويتم

(١) فائزة عوض السيد. مداخل واتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية. (القاهرة: دار الجزيرة للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٩م)، ص ٣٢.

فاعلية برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

تكوين المفهوم النحوي من خلال تظافر هذه السمات للدلالة على الباب النحوي".^(١)

وتعرف المفاهيم النحوية إجرائياً في هذا البحث بأنها: مصطلحات محددة الدلالة تتشكل في ذهن متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى حول كلمة أو أكثر، وعلاقتها بغيرها في الجملة وفق قواعد النحو العربي؛ لضبط خصائصها وسماتها وحالتها الإعرابية لتدل على الباب النحوي الذي تنتمي إليه بحيث يمكن تمييزها عن غيرها.

البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية:

يقصد به في هذا البحث تقديم مجموعة من المفاهيم النحوية الوظيفية الأكثر شيوعاً، لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في صورة مواقف لغوية وظيفية لتنمية المفاهيم النحوية لديهم، ويتم عرضها من خلال موقع إلكتروني أعده الباحث لهذا الغرض.

(١) الكويليت، مرجع سابق، ص ٥٣٧.

الإطار النظري

يتضمن الإطار النظري عرضاً لمتغيري البحث: المدخل الوظيفي، والمفاهيم النحوية، ويتبعه الدراسات السابقة المرتبطة بهما، وفيما يأتي توضيح ذلك:

أولاً: المدخل الوظيفي في تعليم اللغات:

يسعى المدخل الوظيفي إلى تحقيق القدرة اللغوية عند المتعلم، بشكل يجعله قادراً على توظيفها في تواصله مع الآخرين من خلال المواقف الحياتية المختلفة. ويركز المدخل الوظيفي على الوظائف اللغوية التي تفيد متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى في حياته اليومية ليصل إلى التكيف مع مجتمع اللغة وتزويد من تفاعله الاجتماعي.

وقد عرف السيد المدخل الوظيفي بأنه: "المدخل القائم على تعليم المهارات والمعارف والسلوكيات للمتعلمين، بغرض استخدامها داخل المدرسة وخارجها".^(١) وعرفه اللقاني والجمل بأنه: "كل ما يتعلمه المتعلم داخل المدرسة، وعبر المناهج الدراسية في المواقف الحياتية التي تواجهه، بهدف التواصل والمعايشة مع الآخرين، وهو يقوم على أساس أن التربية هي الحياة، وليست الإعداد للحياة".^(٢) ويتأسس المدخل الوظيفي في تعليم اللغة العربية على وظيفة اللغة في الحياة، كونها وسيلة لتحقيق التواصل بين الناس للتعامل مع شؤون الحياة المختلفة، ولما كان للغة هذا الدور توجب أن تلبي حاجة الفرد لاستعمالها في المواقف التي تتشكل منها الحياة".^(٣)

(١) السيد، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٢) أحمد حسين اللقاني، وعلي أحمد الجمل. معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس. القاهرة: عالم الكتب، ط٣، ٢٠١٣م. ص ٣٣٧.

(٣) محسن عطية، مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها، (عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م). ص ٨٣.

وقد عرف داوود عبده المدخل الوظيفي في تعليم العربية بأنه "هو تعليمها بطريقة تؤدّي إلى إتقان المهارات اللغوية الأربع: فهم اللّغة مسموعة، وفهمها مقروءة، والتعبير الشفوي. والتعبير الكتابي، فوظيفة اللغة، أية لغة هي القدرة على الفهم والإفهام، وإتقان هذه المهارات الأربع لابد من اعتبار قواعد اللغة وسائل لإتقان المهارات الأربع لا غايات في حدّ ذاتها"^(١)

وهذا يتطلب ألا يقتصر تعليم قواعد اللغة العربية على التلقين والاسترجاع؛ لأن ذلك لا يؤهل متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى لاستخدام اللغة العربية وممارستها في حياته اليومية، بل يجب أن يتم تعليمه تلك القواعد من خلال مواقف حياتية مختلفة مرتبطة بالنواحي الوظيفية للغة بما يحقق إتقان المهارات اللغوية لديه استماعاً وتحدثاً وقراءة وكتابة.

ويذكر عريف "أن تبني المدخل الوظيفي في تعليم المفاهيم النحوية يوجب تقصي المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها المتعلم، ومن ثم تكييف ممارستها في قاعة الدراسة من المتعلمين، وتكييف مفردات المنهج لينسجم مع هذه المواقف، لا أن نعلم كل شيء للمتعلم؛ لأن العلوم لا تقاس عن طريق استظهار أحكامها، ولكن عبر القدرة على استعمالها وتطبيقها"^(٢).

ويجعل المدخل الوظيفي تعليم المفاهيم النحوية أكثر ملامسة للواقع، مما يحفز متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى ويدفعه نحو التعلم؛ لشعوره بقيمة ما تعلمه من خلال تمكنه من مواجهة مختلف المواقف التي مر بها أثناء تعلمه للغة العربية.

وقد تميز المدخل الوظيفي في تعليم اللغة العربية بشكل عام وفي قواعد اللغة العربية بشكل خاص بتركيزه على الاستخدام اللغوي، ليس في الكتابة فقط، وإنما في

(١) حافظ علوي، ووليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات. (الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠٠٩م). ص ٦٥.

(٢) هنية عريف، "المدخل الحديثة في تعليم اللغة العربية من تعليم اللغة إلى تعليم التواصل باللغة"، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ع (٢٣)، ٢٠١٥م، ص ٢٧.

التحدث كذلك، بحيث يضمن هذا المدخل قدرة متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى على التواصل الاجتماعي مع الآخرين.^(١)

لذا يعد المدخل الوظيفي أمراً ضرورياً في تعليم اللغة العربية بشكل عام، وفي تعليم قواعد اللغة العربية بشكل خاص، بحيث تمنح الأبواب اللغوية الأكثر استخداماً وتداولاً مكانة عالية في البرامج التعليمية؛ لنجعل منها أداة منتجة للغة.

ويعد التركيز على الجانب الوظيفي في تعليم اللغة العربية أهم الجوانب الحديثة كمدخل لتحقيق أهداف تعلم اللغة العربية، فالمدخل الوظيفي في تعليم اللغة العربية يقوم على جانبين:

الأول: التكامل بين مهارات اللغة وعناصرها، والثاني: ربطها بمواقف الحياة؛ فلا معنى للغة إذا صارت مهارات منفصلة لا تستخدم استخداماً فعالاً في المواقف الاجتماعية المختلفة.^(٢)

ومن خلال أسس ومبادئ المدخل الوظيفي يتضح أهمية تعليم المفاهيم النحوية من خلال هذا المدخل؛ لأن الغرض الأساسي من تعلم المفاهيم النحوية هو الاستخدام الصحيح للغة العربية في المواقف الحياتية المختلفة، كما أن المدخل الوظيفي يسعى لأن يجد متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى أن تعلمه ذا معنى.

ويؤكد هذا البحث على أن المدخل الوظيفي ليس مرتبطاً بمهارات اللغة فقط، بل يمكن توظيفه في عناصر اللغة - والمفاهيم النحوية تعد أحد تلك العناصر-؛ إذ يتم اختيار المفاهيم النحوية الأكثر شيوعاً وفائدة للمتعلم، والبعد عما يندر استخدامه،

(١) أحمد عوض، مداخل تعليم اللغة العربية. (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط١، ٢٠٠٠م) ص ٧٨.

(٢) افتكار الابراهيم، "أثر برنامج تعليمي قائم على المدخل الوظيفي في تحسين مهارات القراءة الناقدة لدى طالبات الصف الثالث المتوسط في المملكة العربية السعودية"، مجلة الطفولة العربية، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، م (١٧)، ع (٦٨)، ٢٠١٦م، ص ١١.

فاعلية برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

وعدم الاقتصار على قوانين أو أواخر الكلمات، بغية تحقيق الأهداف الأساسية لبرامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ وهذا البحث يسعى لتحقيق هذه الغاية من خلال تقديم المفاهيم النحوية والتي تعد أساساً لتعلم قواعد وتراكيب اللغة العربية. وهذا يقودنا إلى الحديث عن المفاهيم النحوية وأهميتها.

ثانياً: المفاهيم النحوية:

تعد المفاهيم النحوية محوراً أساسياً في إتقان القواعد اللازمة لمهارات الدقة اللغوية؛ لأن أي موضوع نحوي يبدأ بتوضيح تلك المفاهيم الأساسية والفرعية التي تكونه، لذا يعد تعلمها وتعليمها مطلباً أساسياً ومقدماً على تعلم القواعد؛ إذ لا يمكن تعلم القاعدة النحوية قبل تعلم المفاهيم المرتبطة بها. وتعددت التعريفات التي قدمها الباحثون لتعريف المفاهيم النحوية اصطلاحاً، ومن ذلك:

فقد عرف أحمد المفاهيم النحوية بأنها: "مصطلح نحوي ذو دلالة لفظية متفق على معناه، وأحكامه، وشروط عمله".^(١)

ويعرفها الزهراني بأنها: "صورة عقلية مجردة يكونها الطالب من الكلمة وبنيتها وعلاقتها غيرها في الجملة، ولها قاعدة تضبط خصائصها وسماتها؛ لتدل على الباب النحوي الذي تنتمي إليه، بحيث يمكن تمييزها عن غيرها".^(٢)

ويعرفها الأحمدى بأنها: "مصطلحات نحوية مجردة ترتبط فيما بينها بروابط وعلاقات تُدرّس لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى بهدف تنميتها لديهم وتحسين أدائهم اللغوي".^(٣)

(١) أحمد، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٢) محمد الزهراني، محمد سعيد "فاعلية استراتيجية مقترحة قائمة على التغير المفهومي في تعديل التصورات البديلة عن بعض المفاهيم النحوية لدى طلاب الصف الثاني المتوسط واحتفاظهم بها"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ٢٠٠١م. ص ٢٠.

(٣) محمد عبدالمهدي الأحمدى، "فاعلية برنامج مقترح قائم على تقنية الإنفوجرافيك في تنمية

=

وتعد المفاهيم النحوية أحد جوانب التعلم في المجال المعرفي للنحو، ويعد المكون الأساس للنحو العربي؛ لأن معرفة متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى للمفهوم النحوي، وتمكنه منه يعتبر أساساً لتمكنه من بقية جانبي التعلم المهاري والوجداني.

وتبرز ضرورة تعليم المفاهيم النحوية لمتعلمي اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى؛ لأن القواعد النحوية ومهارات اللغة تعتمد اعتماداً كلياً على المفاهيم النحوية في تكوينها واستيعابها واكتسابها؛ كونها تمثل طائفة من المعايير والضوابط المستنبطة من لغتنا العربية ويحكم بها على صحة اللغة وضبطها.^(١)

والمفاهيم النحوية عند تعليمها لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى تُحدث تكاملاً لديه؛ وذلك من خلال الربط بين المفاهيم النحوية الرئيسة والفرعية بشكل متكامل، بل إنها تسهم في انتقال أثر تعلمهم لتلك المفاهيم؛ من خلال استعراضها لأمثلة جديدة ومواقف عديدة مرتبطة بها.

ويعد تعليم المفاهيم النحوية وتعلمها لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى أمراً ضرورياً فقد ذكر كل من جاب الله^(٢) وزهران

=

المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". مجلة تعليم العربية لغة

ثانية، مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، ع (٤). ٢٠٢٠م، ص ١٢٤.

(١) سعاد حامد سعيد المزوري "أثر أنموذجي جانيه وكلوزماير في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طالبات المرحلة الإعدادية"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد: كلية التربية، ٢٠٠١م. ص ١٢.

(٢) علي جاب الله، "المفاهيم النحوية المناسبة لتلاميذ الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي وتقويم منهج النحو في ضوءها"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق،

=

فاعلية برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

وآخرون^(١) وهطيف^(٢) ومحمد^(٣) وعبدالباري^(٤) أن لتعليم المفاهيم النحوية فوائد عدة ويمكن إجمالها فيما يلي:

- تحدث نوع من التكامل والربط بين المفاهيم النحوية الرئيسة والفرعية في كل متكامل.
- تزود متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى ببناء معرفي يستخدمه في تمييز أمثلة جديدة وتفسير مواقف عديدة مرتبطة بها.
- تبسط المعرفة النحوية من خلال تجميع الأشياء والأحداث والأفكار عن طريق خصائصها المشتركة من جهة والسمات الخلافية من جهة أخرى.
- تساعد على إعمال عقل متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى وتنمية قدراته على التفكير كالمقياس والاستدلال والتعميم وقوة الملاحظة؛ أثناء اكتسابه للمفاهيم النحوية.

=

٢٠١٩٩٢ م. ص ٢٨٨.

(١) حامد زهران، وآخرون. المفاهيم اللغوية عند الأطفال: أسسها، مهاراتها، تدريسها، تقويمها.

عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٧ م. ص ١٠.

(٢) محمد هطيف، "أثر استخدام استراتيجية المنظمات المتقدمة لتدريس النحو في اكتساب طلبة

المرحلة الثانوية للمفاهيم النحوية"، أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة

صنعاء، ٢٠٠٨ م. ص ١٩.

(٣) جمال محمد، "فاعلية استراتيجية قائمة على نظرية الملكة اللسانية لابن خلدون في تنمية

المفاهيم النحوية وتطبيقها لدى طلاب الصف الثاني الثانوي بدولة الإمارات العربية

المتحدة"، أطروحة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة

القاهرة. ٢٠٠٨ م، ص ٢٢.

(٤) ماهر عبدالباري، "فاعلية برنامج قائم على نظرية المخططات العقلية لتنمية المفاهيم النحوية

والمعتقدات المعرفية لتلاميذ المرحلة الإعدادية"، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، م (٢٧)، ع

(١٠٥)، ٢٠١٦ م، ص ٣٤٠.

- تسهم في تنمية قدرة متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى على المقارنة والتحليل والتصنيف والتركيب؛ وذلك عند تحديد السمات المشتركة للمفهوم، والتي تبين المفهوم وتفرق بينه وبين المفاهيم الأخرى.
- تساعد تعلم المفاهيم في تنظيم وتصنيف وترتيب الحقائق واختصارها وبذلك يتذكر متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى ما يتعلمه بسهولة.
- يعد إتقان المفاهيم النحوية أحد الوسائل التي تربط مهارات اللغة ببعضها استماعاً وتحدثاً وقراءة وكتابة.
- الوصول إلى فهم عميق لطبيعة النحو وتنظيم المعرفة النحوية في صورة ذات معنى.
- تؤدي إلى الصحة اللغوية حيث إنها ضابطة لكافة المهارات اللغوية من اللحن في الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة.
- انتقال أثر التعلم لدى متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى من خلال تطبيقه لما تعلمه من مفاهيم نحوية في مواقف تعليمية حياتية جديدة.
- من خلال ما سبق يتبين أهمية المفاهيم النحوية في تعليم اللغة العربية للناطقين بها، وضرورة بناء برامج تعليمية تهتم بتلك المفاهيم ومراعاة الجانب الوظيفي للغة عند اختيار المفاهيم النحوية وتعليمها.

الدراسات السابقة:

الدراسات التي تناولت المدخل الوظيفي:

- دراسة رشوان ٢٠٠٨م^(١): بعنوان: فاعلية استخدام المدخل الوظيفي في تنمية مهارات التحدث الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين باللغة

(١) أحمد محمد رشوان، "فاعلية استخدام المدخل الوظيفي في تنمية مهارات التحدث الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين باللغة الإسبانية"، دراسات في المناهج وطرق التدريس،

الإسبانية. **والتي هدفت** إلى الكشف عن فاعلية استخدام المدخل الوظيفي في تنمية مهارات التحدث الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين باللغة الإسبانية. **واتبع الباحث المنهج** شبه التجريبي في دراسته، **واستخدم** الباحث الاستبانات لجمع المعلومات، والاختبار لقياس فاعلية استخدام المدخل الوظيفي في تنمية مهارات التحدث الوظيفية لدى عينة الدراسة. **وقد أظهرت نتائج الدراسة** فاعلية البرنامج الذي قدمته الدراسة في تنمية مهارات التحدث الوظيفي لدى عينة الدراسة.

— **دراسة السليتي ومقدادي ٢٠١٢م:** ^(١) **بعنوان:** أثر برنامج تعليمي قائم على المدخل الوظيفي في تحسين مهارات القراءة الناقدة لدى طلاب الصف التاسع الأساسي في الأردن. **والتي هدفت** إلى الكشف عن أثر برنامج تعليمي قائم على المدخل الوظيفي في تحسين مهارات القراءة الناقدة لدى طلاب الصف التاسع في الأردن. **ولم يذكر الباحثان المنهج** المتبع في دراسته، **واستخدم** **الباحثان** اختباراً لقياس أثر البرنامج الذي قدمته الدراسة لتحسين مهارات القراءة الناقدة عينة الدراسة. **وأظهرت نتائج الدراسة** وجود فرق ذات دلالة إحصائية في اختبار القراءة الناقدة لصالح المجموعة التجريبية.

— **دراسة حسن ٢٠١٣م:** ^(٢) **بعنوان:** تنمية مهارات التحدث لدى متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها باستخدام المدخل الوظيفي. **والتي هدفت** إلى الكشف عن فاعلية استخدام المدخل الوظيفي في تنمية مهارات التحدث لدى متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها. **ولم يذكر الباحث المنهج** المتبع في دراسته، **واستخدم** **الباحث** الاستبانات لجمع المعلومات، والاختبار

(١) السليتي، ومقدادي، مرجع سابق، ص ص ١٩٨٠-٢٠٠٦م.

(٢) حسن عمران حسن، "تنمية مهارات التحدث لدى متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها باستخدام المدخل الوظيفي"، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة أسيوط، م (٢٩)، ع

(٣)، يوليو ٢٠١٣م، ص ص ٢٧٨-٣٢٣

- لقياس فاعلية البرنامج الذي قدمته الدراسة في تنمية مهارات التحدث الوظيفي لدى عينة الدراسة. وقد أظهرت نتائج الدراسة فاعلية البرنامج الذي قدمته الدراسة في تنمية مهارات التحدث الوظيفي لدى عينة الدراسة.
- **دراسة علي ٢٠١٣م:**^(١) بعنوان فاعلية برنامج قائم على المدخل الوظيفي ومعايير الجودة في تنمية مهارات الاستماع لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، والتي هدفت إلى الكشف عن فاعلية برنامج قائم على المدخل الوظيفي ومعايير الجودة في تنمية مهارات الاستماع لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، واتبع الباحث المنهج شبه التجريبي في دراسته، واستخدم الباحث الاستبانات لجمع المعلومات، والاختبار لقياس فاعلية البرنامج القائم على المدخل الوظيفي ومعايير الجودة في تنمية مهارات الاستماع لدى عينة الدراسة. وأظهرت نتائج الدراسة فاعلية البرنامج الذي قدمته الدراسة في تنمية مهارات فهم المسموع ومهارات نقد المسموع لدى عينة الدراسة.
- **دراسة السناني ١٤٣٩هـ:**^(٢) بعنوان: فاعلية برنامج مقترح قائم على المدخل الوظيفي في علاج الصعوبات النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. والتي هدفت قياس فاعلية برنامج مقترح قائم على المدخل الوظيفي لمعالجة الصعوبات النحوية التي تواجه أفراد العينة المختارة. واتبع الباحث المنهج شبه التجريبي في دراسته، واستخدم الباحث الاستبانات لجمع المعلومات، والاختبار لقياس فاعلية البرنامج مقترح القائم على المدخل الوظيفي في علاج

(١) علي، مرجع سابق، ص ص ١٠-٦٧.

(٢) ماجد سالم السناني، "فاعلية برنامج قائم على المدخل الوظيفي في علاج الصعوبات النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد تعليم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ١٤٣٩هـ.

الصعوبات النحوية لدى عينة الدراسة. وأظهرت نتائج الدراسة فاعلية البرنامج المقترح في علاج الصعوبات النحوية لصالح التطبيق البعدي.

— دراسة الربابعة ٢٠١٩م: (١) بعنوان: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من منظور المدخل الوظيفي. والتي هدفت إلى التعرف على واقع تعليم الكتابة وظيفياً لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها الدراسين في المستوى المتوسط في مركز اللغات في الجامعة الأردنية. واتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسته، واستخدم الباحث الاستبانات والمقابلات لجمع المعلومات. وأظهرت نتائج الدراسة أهمية توظيف واستثمار المدخل الوظيفي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

الدراسات التي تناولت المفاهيم النحوية:

— دراسة أحمد ٢٠١٤م: (٢) بعنوان: فاعلية استراتيجية خرائط التفكير في تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. والتي هدفت إلى قياس فاعلية استراتيجية خرائط التفكير في تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. واتبع الباحث المنهج شبه التجريبي في دراسته، واستخدم الباحث الاستبانات لجمع المعلومات، والاختبار لقياس فاعلية استخدام استراتيجية خرائط التفكير في تنمية المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة. وأظهرت نتائج الدراسة وجود فاعلية لاستخدام استراتيجية خرائط التفكير في تنمية المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة.

(١) إبراهيم حسن الربابعة "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من منظور وظيفي، عمادة البحث

العلمي، الجامعة الأردنية"، م (٤٦)، ع (١)، ٢٠١٩م، ص ص ١٠٥ - ١٢٢

(٢) محمد امتياز أحمد، "فاعلية استراتيجية خرائط التفكير في تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي

اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، أطروحة ماجستير غير منشورة، معهد تعليم اللغة

العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ٢٠١٤م.

- دراسة الجابري ٢٠١٦م: (١) بعنوان: فاعلية برنامج مقترح باستخدام استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة في تنمية المفاهيم النحوية لدى طلاب المرحلة الثانوية واتجاهاتهم نحوها بمنطقة المدينة المنورة. والتي هدفت إلى التعرف على فاعلية برنامج مقترح باستخدام استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة في تنمية المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة. واتبع الباحث المنهجين الوصفي التحليلي وشبه التجريبي في دراسته، واستخدم الباحث الاستبانة لجمع المعلومات، والاختبار لقياس فاعلية استخدام البرنامج المقترح باستخدام استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة في تنمية المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة. وأظهرت نتائج الدراسة وجود فاعلية استخدام استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة في تنمية المفاهيم النحوية لصالح العينة التجريبية.
- دراسة الحديبي ٢٠١٧م: (٢) بعنوان: فاعلية برنامج قائم على خرائط التفكير الإلكترونية في تنمية المفاهيم النحوية ومهارات الإعراب والكفاءة الذاتية في النحو لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. والتي هدفت إلى إعداد برنامج قائم على خرائط التفكير الإلكترونية في تنمية المفاهيم النحوية ومهارات الإعراب والكفاءة الذاتية في النحو لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. واتبع الباحث المنهجين الوصفي وشبه التجريبي في دراسته، واستخدم الباحث الاستبانة لجمع المعلومات، والاختبار لقياس فاعلية البرنامج المقترح في تنمية المفاهيم النحوية ومهارات الإعراب والكفاءة الذاتية في النحو لدى عينة الدراسة. وأظهرت نتائج

(١) سلطان حميد الجابري، "فاعلية برنامج مقترح باستخدام استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة في تنمية المفاهيم النحوية لدى طلاب المرحلة الثانوية واتجاهاتهم نحوها بمنطقة المدينة المنورة"، أطروحة ماجستير غير منشورة، معهد تعليم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ٢٠١٦م.

(٢) الحديبي، مرجع سابق، ص ص ٢٢٨-٢٧١.

الدراسة فاعلية البرنامج المقترح في تنمية المفاهيم النحوية ومهارات الإعراب والكفاءة الذاتية في النحو لدى عينة البحث.

— **دراسة الكويليت ٢٠١٧م:** (١) **بعنوان:** أثر استراتيجتي خرائط المفاهيم والتعليم التوليدي على المفاهيم النحوية لدى طلاب الصف الأول الثانوي في المملكة العربية السعودية. **والتي هدفت إلى** تقصي أثر استراتيجتي خرائط المفاهيم والتعليم التوليدي على المفاهيم النحوية لدى عينة البحث. **واتبعت الباحث المنهج** شبه التجريبي في دراسته، **واستخدم الباحث** الاختبار لقياس أثر استراتيجتي خرائط المفاهيم والتعليم التوليدي على المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة. **وأظهرت نتائج الدراسة** أن استراتيجية خرائط المفاهيم قد حصلت على حجم التأثير الأعلى يليها استراتيجية التعلم التوليدي.

— **دراسة حميد ٢٠١٩م:** (٢) **بعنوان:** أثر أنموذجي كمب وبارمان في اكتساب المفاهيم النحوية في مادة قواعد اللغة العربية لدى طالبات الصف الرابع العلمي. **والتي هدفت إلى** التعرف على أثر أنموذجي كمب وبارمان في اكتساب المفاهيم النحوية في مادة قواعد اللغة العربية لدى طالبات الصف الرابع العلمي. **واتبعت الباحثة المنهج** التجريبي في دراسته، **واستخدمت الباحثة** الاختبار لقياس أثر أنموذجي كمب وبارمان في اكتساب المفاهيم النحوية في مادة قواعد اللغة العربية لدى عينة الدراسة. **وأظهرت نتائج الدراسة** أن أنموذج كمب قد حصل على حجم التأثير الأعلى يليه نموذج بارمان.

(١) الكويليت، مرجع سابق، ص ٥١٧ - ٥٥٣.

(٢) رائدة حسين حميد، "أثر أنموذجي كمب وبارمان في اكتساب المفاهيم النحوية في مادة قواعد اللغة العربية لدى طالبات الصف الرابع العلمي". مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. ع (٤٥)، تشرين الأول ٢٠١٩م، ص ٣٨٢ - ٤٠٩.

- **دراسة الحربي ٢٠١٩م: (١) بعنوان:** فاعلية برنامج قائم على إستراتيجيات التعلم ذي المعنى في تنمية المفاهيم النحوية والمهارات الإعرابية لدى طلاب المستوى الرابع بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. **والتي هدفت** قياس فاعلية برنامج قائم على إستراتيجيات التعلم ذي المعنى في تنمية المفاهيم النحوية والمهارات الإعرابية لدى عينة الدراسة. **واتبع الباحث المنهجين الوصفي وشبه التجريبي في دراسته، واستخدم الباحث الاستبانات** لجمع المعلومات، والاختبار لقياس فاعلية البرنامج القائم على إستراتيجيات التعلم ذي المعنى في تنمية المفاهيم النحوية والمهارات الإعرابية لدى عينة الدراسة **وأظهرت نتائج الدراسة** فاعلية البرنامج في تنمية المفاهيم النحوية والمهارات الإعرابية لدى عينة الدراسة.
- **دراسة الأحمدى ٢٠٢٠م: (٢) بعنوان:** فاعلية برنامج مقترح قائم على تقنية الإنفوجرافيك في تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. **والتي هدفت** قياس فاعلية برنامج مقترح قائم على تقنية الإنفوجرافيك في تنمية المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة. **واتبع الباحث المنهجين الوصفي والتجريبي في دراسته، واستخدم الباحث الاستبانات** لجمع المعلومات، والاختبار لقياس فاعلية البرنامج المقترح القائم على تقنية الإنفوجرافيك في تنمية المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة. **وأظهرت نتائج الدراسة** فاعلية البرنامج في تنمية المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة.

(١) وائل مطر الحربي "فاعلية برنامج قائم على استراتيجيات التعلم ذي المعنى في تنمية المفاهيم النحوية والمهارات الإعرابية لدى طلاب المستوى الرابع بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد تعليم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ٢٠١٩م.

(٢) الأحمدى، مرجع سابق، ص ١١١-١٦٢.

– دراسة الرماضين وآل علي ٢٠٢٠م: (١) بعنوان: أثر استخدام استراتيجيات التقويم البديل لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. والتي هدفت قياس أثر استخدام استراتيجيات التقويم البديل لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى لدى عينة الدراسة. واتبع الباحثان المنهج شبه التجريبي في دراسته، واستخدم الباحثان الاستبانات لجمع المعلومات، والاختبار لقياس أثر استخدام استراتيجيات التقويم البديل لتنمية المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة. وأظهرت نتائج الدراسة فاعلية استخدام استراتيجيات التقويم البديل لتنمية المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة.

التعليق على الدراسات السابقة:

يتبين من خلال استعراض الدراسات السابقة وجود ضعف عند متعلمي اللغة العربية في المفاهيم النحوية مما حفز الباحثين لإجراء هذه الدراسة، وفيما يلي عرض لأوجه التشابه والاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية:

أولاً: الدراسات السابقة التي تناولت المدخل الوظيفي:

أوجه التشابه والاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية من حيث:

١- أهداف البحث:

اتفقت الدراسات السابقة في الهدف العام وهو قياس فاعلية المدخل الوظيفي في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى ما عدا دراسة السليتي ومقدادي فقد كانت موجهة للناطقين باللغة العربية.

(١) محمد خليل الرماضين، أنس حسين آل علي "أثر استخدام استراتيجيات التقويم البديل لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". مجلة أماراباك، الأكاديمية الأمريكية للعلوم والتكنولوجيا، م (١١)، ع (٣٨)، ٢٠٢٠م، ص ص ٤٧-٥٨.

والبحث الحالي يتفق مع الدراسات السابقة في أهدافها، بل وتعتبر الدراسات السابقة منطلقاً لهذا البحث.

٢- أداة البحث:

اتفقت الدراسات السابقة في استخدام الاستبانة أداة لها، والاختبار القبلي والبعدي. ماعدا دراسة الربابعة فقد استخدمت الاستبانة والمقابلات كأداة لدراسته. اتفق البحث الحالية مع جميع الدراسات السابقة في استخدام الاستبانة أداة لها، والاختبار القبلي والبعدي كأداة للبحث، بينما اختلفت مع دراسة الربابعة.

٣- منهج البحث:

اتفقت كل من دراسة رشوان ودراسة علي ودراسة السناني في اتخاذ المنهج شبه التجريبي منهجاً لها. واتخذت الربابعة في دراسته المنهج الوصفي التحليلي. بينما لم يذكر كل من دراسة السليتي ومقدادي، ودراسة حسن المنهج المتبع في دراسة كل منهم. ويتفق البحث الحالي مع كل من دراسة رشوان ودراسة علي ودراسة السناني في اتخاذ المنهج الوصفي كمنهج لها، بالإضافة للمنهج شبه التجريبي.

٤- النتائج:

اتفق البحث الحالي وجميع الدراسات السابقة على أهمية المدخل الوظيفي وإمكانية توظيفه في العملية التعليمية وأثره الإيجابي على متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. ووجود فاعلية للبرامج المقترحة القائمة على المدخل الوظيفي لدى عينة الدراسة.

ثانياً: الدراسات السابقة التي تناولت المفاهيم النحوية:

أوجه التشابه والاختلاف بين الدراسات السابقة والدراسة الحالية من حيث:

١- أهداف البحث:

اتفقت الدراسات السابقة في الهدف العام وهو قياس فاعلية البرامج المقترحة في تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى ما عدا دراسة كل من الجابري والكويليت ودراسة حميد؛ فقد كانت موجهة للناطقين باللغة العربية.

والبحث الحالي يتفق مع الدراسات السابقة في أهدافها، بل وتعتبر الدراسات السابقة منطلقاً لهذا البحث.

٢- أداة البحث:

اتفقت الدراسات السابقة في استخدام الاستبانة أداة لها، والاختبار القبلي والبعدى. ماعدا دراسة كل من الكويليت وحميد فقد استخدمت الاستبانات والمقابلات كأداة لدراسته.

اتفق البحث الحالية مع جميع الدراسات السابقة في أداة الدراسة، بينما اختلف مع دراسة الرابعة.

٣- منهج البحث:

اتفقت كل من دراسة أحمد ودراسة الكويليت ودراسة الرماضين وآل علي في اتخاذ المنهج شبه التجريبي منهجاً لها. واتفقت كل من دراسة الحديبي ودراسة الحربي في اتخاذ المنهجين الوصفي وشبه التجريبي منهجاً لها. بينما اتخذ الجابري المنهجين الوصفي التحليلي وشبه التجريبي منهجاً له، وحميد المنهج التجريبي منهجاً له، والأحمدي المنهجين الوصفي والتجريبي منهجاً له.

ويتفق البحث الحالي مع كل من دراسة الحديبي ودراسة الحربي في اتخاذ المنهجين الوصفي وشبه التجريبي منهجاً له. ويختلف مع الدراسات الأخرى.

٤- النتائج:

اتفق البحث الحالي وجميع الدراسات السابقة على ضرورة الاهتمام بالمفاهيم النحوية وتوظيفها في العملية التعليمية وأثرها الإيجابي على متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. ووجود فاعلية للبرامج المقترحة لتنمية المفاهيم النحوية لدى عينة الدراسة.

أوجه الاستفادة من الدراسات السابقة:

قد استفاد الباحثان من الدراسات السابقة في بحثهما من حيث تحديد المفاهيم النحوية وبناء الإطار النظري، وأدوات البحث، وبناء البرنامج المقترح.

وقد تميز البحث الحالي عن الدراسات السابقة بتبني المدخل التقني في بناء البرنامج المقترح حيث لم تتبنَ الدراسات السابقة في برامجها المدخل التقني في التعليم ما عدا دراسة الحديبي حيث استخدمت استراتيجية خرائط المفاهيم الإلكترونية، ودراسة الأحمدي حيث استخدمت الإنفوجرافيك المتحرك؛ والبحث الحالي تبني المدخل التقني من خلال إنشاء موقع إلكتروني يتضمن المحتوى التعليمي ليتمكن متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى من الوصول إليه في أي وقت.

منهج البحث وإجراءاته

أولاً: منهج البحث:

في ضوء أهداف هذا البحث التي يسعى الباحثان إلى تحقيقها تم استخدام المنهجين التاليين:

المنهج الوصفي: وذلك عند كتابة الإطار النظري للبحث، ووصف الإجراءات التي اتبعتها الباحثان عند إعداد أدواته، وتحديد المفاهيم النحوية المناسبة للمستوى المتوسط، وبناء الجانب اللغوي للبرنامج.

المنهج شبه التجريبي: الذي يقوم على "دراسة العلاقة بين مُتغيّرين على ما هما عليه في الواقع دون التحكم في المتغيرات".^(١)

وعليه فإن الباحثين استخدم تصميم المجموعة الواحدة ذات الاختبارين القبلي والبعدي، والذي يعني في البحث الحالي تطبيق اختبار المفاهيم النحوية لطلاب المستوى الثالث من متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، قبل وبعد تطبيق البرنامج المقترح القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

وبناء على ذلك تمثلت متغيرات البحث في الآتي:

- ١- المتغير المستقل: البرنامج الإلكتروني المقترح القائم على المدخل الوظيفي.
- ٢- المتغير التابع: تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

ثانياً: مجتمع البحث:

تمثل مجتمع البحث من طلاب المستوى الثالث من متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى بمعهد تعليم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في

(١) سالم القحطاني، وآخرون، منهج البحث في العلوم السلوكية مع تطبيقات spss. (الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٢٥هـ). ص ١٧٧.

الفصل الدراسي الأول من العام الدراسي ١٤٤٢ هـ وقد بلغ عدد مجتمع البحث عند البدء بتجربة البحث (٤٣٨) متعلماً.

ثالثاً: عينة البحث:

تكونت عينة البحث من (١٠٠) متعلماً من مجتمع البحث منها (٧٠) عينة استطلاعية، و(٣٠) متعلماً عينة تجريبية طبقت عليها تجربة البحث.

رابعاً: أدوات البحث:

فيما يلي توضيح للخطوات التي سار عليها البحث لإعداد أدواته ومواده، وفيما يلي توضيح ذلك:

أولاً: استبانة المفاهيم النحوية:

تم إعداد هذه الاستبانة وفق الخطوات التالية:

- تحديد الهدف من الاستبانة: هدفت هذه الاستبانة إلى التأكد من المفاهيم النحوية التي اقترحها الباحثان مناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى (المستوى المتوسط)؛ لتنميتها لدى عينة البحث.
- إعداد الاستبانة في صورتها الأولية: تم إعداد صورة أولية من الاستبانة تضمنت ثلاثة مفاهيم رئيسة انبثق عنها اثنا عشر مفهوماً فرعياً. (ملحق ٢)
- تحكيم الاستبانة: تم عرض الاستبانة في صورتها الأولية على (١٥) محكماً (ملحق 1) لأخذ آرائهم في مناسبة المفاهيم المقترحة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى (المستوى المتوسط)، وانتماء المفاهيم الفرعية مع المفاهيم الرئيسية، وحذف المفاهيم غير المناسبة.
- وقد أشار المحكمون إلى مناسبة المفاهيم الرئيسية والفرعية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى (المستوى المتوسط)، وبذلك يكون تم التأكد من صدق محتوى الاستبانة من خلال آراء المحكمين.
- صياغة قائمة نهائية بالمفاهيم النحوية: بعد التأكد من مناسبة المفاهيم المقترحة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى (المستوى المتوسط)، فقد

تضمنت القائمة في صورتها النهائية ثلاثة مفاهيم رئيسة انبثق عنها اثنا عشر مفهوماً فرعياً. (ملحق ٣).

ثانياً: إعداد البرنامج الإلكتروني المقترح في تنمية المفاهيم النحوية القائم على المدخل الوظيفي:

تم إعداد البرنامج القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية وفقاً لما يأتي:

أهداف البرنامج:

الهدف العام للبرنامج: تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى (المستوى المتوسط).

ويتفرع من الهدف العام الأهداف الإجرائية التالية:

- يُعرّف المفاهيم النحوية المقترحة تعريفاً صحيحاً.
- يميز المفاهيم النحوية تمييزاً صحيحاً.
- يقارن بين المفاهيم النحوية المرتبطة.
- يذكر الحالة الإعرابية للمفهوم النحوي.
- يعدد صور وأنواع المفهوم النحوي.
- **إعداد صورة أولية للبرنامج:**

تم إعداد صورة أولية للبرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية، واشتمل على موقع إلكتروني يحتوي مخرجات البرنامج المستهدفة وثلاثة دروس تتضمن مخرجات الدرس المستهدفة ونص يُشتق منه التدريبات، واختبار في نهاية كل درس لقياس نواتج التعلم المستهدفة.

- عرض الصورة الأولية للبرنامج على المحكمين:

بعد إعداد البرنامج في صورته الأولية تم عرضه على (٤) محكمين من المتخصصين في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى (ملحق 1) من خلال استبانة أعدها الباحثان لمعرفة آرائهم حول: (ملحق 4)

- مدى مناسبة نصوص الدروس للمدخل الوظيفي.
- مدى مناسبة نصوص الدروس لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى المستوى المتوسط.
- مدى وضوح تعليمات الموقع لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى المستوى المتوسط.
- مدى دقة نواتج التعلم المتضمنة في موقع البرنامج.
- مدى ملاءمة أساليب التقويم لنواتج التعلم المتعلقة بالدرس.
- إجراء التعديلات وصياغة محتوى البرنامج في صورته النهائية:
بعد إجراء التعديلات التي اقترحتها المحكمون تمت صياغة البرنامج في صورته النهائية والذي تضمن ثلاثة دروس. (ملحق ٥)

ثالثاً: اختبار المفاهيم النحوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى:

ولإعداد الاختبار اتبع الباحثان الخطوات التالية:

- إعداد الاختبار في صورته الأولى: تم إعداد صورة أولية للاختبار وقد تضمن ما يلي:

○ تحديد الهدف من الاختبار: هدف هذا الاختبار إلى قياس مدى تمكن متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى من المفاهيم النحوية التي تم التوصل إليها في البحث الحالي.

○ صياغة تعليمات الاختبار: تم صياغة تعليمات الاختبار بلغة سهلة، موضحة للمتعلم الهدف من الاختبار وزمن الإجابة وكيفية الإجابة عن مفردات الاختبار وتظهر للمتعلم قبل البدء بالاختبار.

○ صياغة مفردات الاختبار: تمت صياغة مفردات الاختبار بطريقة تغطي المفاهيم النحوية التي تم التوصل إليها، وجميعها أسئلة موضوعية من نوع اختبار من متعدد وصح وخطأ وتم مراعاة قياس الأسئلة لمدى فهم متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى للمفاهيم النحوية.

○ آلية التصحيح وتقدير الدرجات: أعد الباحثان الاختبار بشكل إلكتروني بحيث يتم التصحيح وتقدير الدرجات بشكل آلي، ويتم احتساب درجة واحدة في حال اختيار متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى الإجابة الصحيحة وصفر في حال اختياره الإجابة الخاطئة، والدرجة الكلية للاختبار هي (٤٠) درجة.

○ إعداد الاختبار في صورته الأولى: تكون الاختبار من أربعين مفردة من نوع الاختبار من متعدد.

- عرض الاختبار بصورته الأولى على المحكمين: ليتأكد الباحثان من الصدق الظاهري للاختبار؛ تم عرض الاختبار على مجموعة من المختصين في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى والمناهج وطرق التدريس والبالغ عددهم (٧) محكمين (ملحق ١)؛ بهدف إجراء التعديلات المناسبة وفق ما

يروونه صواباً من حيث: مناسبة الاختبار لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط، ومدى مناسبة كل سؤال لما وضع لقياسه ودقته علمياً، وسلامته لغوياً، وإضافة ما يروونه مناسباً. وقد تم عمل التعديلات اللازمة في ضوء مقترحاتهم حول تعديل صياغة بدائل بعض الأسئلة. (ملحق ٧)

- **تطبيق الاختبار على العينة الاستطلاعية:** تم إجراء الاختبار في صورته النهائية على عينة استطلاعية من طلاب معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بلغ عددهم (٧٠) وذلك لحساب ثبات، وصدق، وزمن الاختبار. وذلك على النحو التالي:
- **معامل ثبات الاختبار:** تم حساب ثبات اختبار المفاهيم النحوية من خلال استخدام التحليل الإحصائي لبرنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS V.26) لمعادلة ألفا كرونباخ وتم التوصل إلى أن معامل ثبات الاختبار بلغ (0.719) وهي نسبة ثبات مرتفعة تدل على ثبات الاختبار.
- **صدق الاختبار:** وللتأكد من صدق الاختبار تم استخدام ما يلي:
 - **صدق المحكمين:** وتم التأكد من أن مفردات الاختبار يقيس ما وضع من أجله بعد عرضه على المحكمين، وإجراء التعديلات اللازمة بناء على آرائهم.
 - **الصدق الإحصائي:** وذلك بحساب الجذر التربيعي لمعامل الثبات، وبلغ قيمة الصدق الإحصائي للاختبار (0.847) وهي قيمة مرتفعة تشير إلى أن الاختبار يقيس ما وضع من أجله.
 - **الاتساق الداخلي:** قام الباحثان بحساب الاتساق الداخلي للاختبار وذلك باستخراج معامل ارتباط بيرسون بين مجموع درجات كل مفهوم مع الدرجة الكلية للاختبار والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول (١) معامل الارتباط بين درجات محاور اختبار المفاهيم النحوية مع الدرجة الكلية للاختبار

مستوى الدلالة	معامل الارتباط	المفهوم النحوي
0.000	0.782	الجملة الاسمية
0.000	0.822	الجملة الفعلية
0.000	0.855	النواسخ

يتضح من الجدول السابق أن قيم معاملات الارتباط تراوحت ما بين (0.782) و(0.855) وهي جميعها دالة عند مستوى دلالة (0.01) مما يدل على الاتساق الداخلي لأسئلة الاختبار مع محاوره، وهذا يجعل الاختبار صالحًا للتطبيق.

- **معامل السهولة والصعوبة والتمييز:** تم حساب معامل السهولة والصعوبة والتمييز؛ لتعديل أو حذف الأسئلة التي تقل صعوبتها عن (0.2) أو تزيد عن (0.8). وقد تراوحت قيمة معاملات السهولة بين (0.40- 0.61) وقيمة معاملات الصعوبة بين (0.39- 0.60). كما تراوحت قيمة معاملات التمييز بين (0.20- 0.34). وهذه القيم تشير إلى صلاحية الاختبار للتطبيق.
- **زمن الاختبار:** تم حساب زمن تطبيق الاختبار على العينة الاستطلاعية، عن طريق حساب متوسط الزمن الذي استغرقه أول وآخر طالب ينتهي من الإجابة، وذلك كالتالي:

$$\text{متوسط زمن الاختبار} = \frac{50+300}{2}$$

وبذلك فإن متوسط زمن الإجابة هو (40) دقيقة.

الصورة النهائية للاختبار:

بعد تحكيم الاختبار وتطبيقه على العينة الاستطلاعية وقياس ثبات الاختبار وصدقه وزمنه، تمت صياغته في صورته النهائية لتطبيقه على عينة البحث. (ملحق ٨)
والجدول التالي يوضح توزيع أسئلة الاختبار على محاوره الرئيسة:

جدول (٢) توزيع أسئلة اختبار المفاهيم النحوية على محاوره الرئيسة

م	المحور	عدد الأسئلة	النسبة المئوية
1	الجملة الاسمية	11	27.5
2	الجملة الفعلية	15	37.5
3	النواسخ	14	35
	المجموع	40	100

خامساً: إجراءات تجربة البحث:

تم تطبيق تجربة البحث وفقاً للخطوات الآتية:

- أولاً: اختيار عينة البحث:

تكونت عينة البحث من طلاب المستوى الثالث وهم طلاب القاعة (١٠٤) البالغ عددهم (٤٢) متعلماً وقت البدء بالتطبيق، والذي شارك منهم (٣٠) متعلماً طبقت عليهم تجربة البحث.

- ثانياً: التطبيق القبلي لاختبار المفاهيم النحوية:

تم تطبيق الاختبار على عينة البحث؛ بهدف التعرف على مستوى أفراد عينة البحث في فهمهم للمفاهيم النحوية، ومقارنة نتائج الاختبار قبل البدء بالتجربة وبعدها.

- ثالثاً: تطبيق تجربة البحث:

تم البدء بتطبيق تجربة البحث لقياس فاعلية البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى عينة البحث خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٤٢هـ وقد استغرق تطبيقها أسبوعين. وقد تم تعريف الطلاب بخطوات تطبيق التجربة والهدف منها والوقت الذي ستستغرقه، وإعطاء كل متعلم اسم مستخدم ورقم سري خاص به للدخول على الموقع الإلكتروني على الرابط: learningarabic.net ، وتدريبهم على كيفية التعلم من خلال الموقع، وقد قام الباحثان بمتابعة المتعلمين من خلال الموقع ومعرفة مدى إنجاز كل متعلم، وحثهم على

فاعلية برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى

متابعة التعلم واستكمال الدروس الثلاث. وتم وضع دليل للمستخدم يشرح واجهات الموقع وكيفية التنقل بين أجزائه. (ملحق ٦).

رابعاً: التطبيق البعدي لاختبار المفاهيم النحوية:

بعد الانتهاء من تجربة البحث تم تطبيق اختبار المفاهيم النحوية؛ بهدف المقارنة بين نتائج الاختبار في التطبيق القبلي والبعدي؛ لقياس فاعلية البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط.

سادساً: أساليب التحليل الإحصائي.

تم استخدام المعادلات الإحصائية في البحث وهي: النسبة المئوية، والمتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، ومعامل الصدق، ومعادلة زمن تطبيق الاختبار، ومعامل الثبات لألفا كرونباخ، ومعادلة اختبار (ت)، ومعادلة كوهين لحساب حجم الأثر.

نتائج البحث ومناقشتها

فيما يلي عرض لنتائج البحث التي تم التوصل إليها بعد تجريب البحث وتطبيق أدواته، ومناقشة تلك النتائج، وسيتم عرض هذه النتائج وفقاً لكل سؤال من أسئلة البحث التي تم تحديدها سابقاً، وذلك على النحو التالي:

أولاً: نتائج البحث

أولاً: نتائج البحث المتعلقة بالإجابة عن السؤال الأول من أسئلة البحث الذي نصه: ما المفاهيم النحوية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟

تم التوصل إلى قائمة بالمفاهيم النحوية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط تضمنت ثلاثة مفاهيم رئيسة انبثق عنها اثنا عشر مفهوماً فرعياً. وهي كما في الجدول التالي:

جدول (٣) قائمة المفاهيم النحوية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط

المفاهيم الفرعية	المفاهيم الرئيسية	م
الجملة الاسمية	الجملة الاسمية وما يتعلق بها	٠.١
المبتدأ		٠.٢
الخبر		٠.٣
الجملة الفعلية	الجملة الفعلية وما يتعلق بها	٠.٤
الفعل		٠.٥
الفعل الماضي		٠.٦
الفعل المضارع		٠.٧
فعل الأمر		٠.٨
الفاعل		٠.٩
المفعول به		٠.١٠
كان وأخواتها	النواسخ	٠.١١
إن وأخواتها		٠.١٢

ثانياً: نتائج البحث المتعلقة بالإجابة عن السؤال الثاني من أسئلة البحث الذي نصه: ما مكونات البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟

تمت صياغة البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية في ضوء نتائج الإجابة عن السؤال الأول، ومن خلال مراعاة مبادئ المدخل الوظيفي والأسس العامة في تصميم البرامج التعليمية الإلكترونية وقد احتوى البرنامج ما يأتي: انظر الملحق رقم (٥)

- المخرجات العامة للبرنامج.
- موضوعات البرنامج: تضمن البرنامج ثلاثة دروس وهي كالاتي: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية، والنواسخ. وقد تضمن كل درس ما يلي:
 - عنوان الدرس.
 - نواتج التعلم المستهدفة من الدرس.
 - محتوى الدرس.
 - تدريبات على المفاهيم المستهدفة.
- التقويم: وذلك من خلال أسئلة نهاية كل درس لقياس نواتج التعلم المستهدفة.

ثالثاً: نتائج البحث المتعلقة بالإجابة عن السؤال الثالث من أسئلة البحث الذي نصه: ما فاعلية البرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؟

قام الباحثان بحساب متوسط الفرق بين درجات المتعلمين في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم النحوية باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS V.26) لحساب معادلة اختبار "ت" لعينتين مرتبطتين. والجدول التالي يوضح الفرق بين متوسطي درجات المتعلمين في الاختبار القبلي والبعدي لعينة البحث.

جدول (٤) نتائج اختبار "ت" لدلالة الفرق بين متوسطي درجات المتعلمين في التطبيقين: القبلي والبعدي في النتيجة الكلية للاختبار.

الدلالة الإحصائية	قيمة (ت)	درجة الحرية	متوسط الفروق	الانحراف المعياري	المتوسط	التطبيق	المفاهيم النحوية
دالة عند مستوى (0.000)	7.549	29	2.6	2.07	7.70	القبلي	الجملة الاسمية
				1.14	10.30	البعدي	
دالة عند مستوى (0.000)	4.416	29	1.86	2.17	9.90	القبلي	الجملة الفعلية
				2.68	11.76	البعدي	
دالة عند مستوى (0.000)	6.792	29	2.33	2.36	10.93	القبلي	النواسخ
				2.39	13.26	البعدي	
دالة عند مستوى (0.000)	9.384	29	6.8	5.47	28.53	القبلي	الدرجة الكلية
				5.97	35.33	البعدي	

يتضح من الجدول السابق أن قيمة (ت) لدلالة الفروق بين متوسطات درجات المتعلمين في التطبيقين: القبلي والبعدي في الدرجة الكلية لاختبار المفاهيم النحوية (9.384)، وهذه القيمة دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.01) مما يدل على أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.01) بين متوسطي درجات المتعلمين في التطبيقين: القبلي والبعدي، في النتيجة الكلية للاختبار لصالح التطبيق البعدي، وهذا يؤكد فاعلية البرنامج الإلكتروني المقترح القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى. ولحساب قيمة حجم التأثير قام الباحثان باستخدام معادلة كوهين، والجدول التالي يوضح قيمة مستويات حجم التأثير وفقاً لمعادلة كوهين.

جدول (٥) مستويات حجم التأثير وفقاً لمعادلة كوهين

مرتفع	متوسط	قليل
0.8	0.5	0.2

وقد حدد كوهين المعادلة التالية لحساب حجم التأثير للعينات المترابطة: (الشمراي،

$$. (١٧ : ٢٠١٢)$$

$$= \frac{X_1 - X_2}{-٥٣٧٨}$$

حيث إن $X1 =$ متوسط الاختبار البعدي.

$X2 =$ متوسط الاختبار القبلي.

$S =$ الانحراف المعياري لأحد الاختبارين.

والجدول التالي يوضح قيمة حجم تأثير البرنامج الإلكتروني المقترح القائم على المدخل الوظيفي في تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى (عينة البحث) وفقاً لمعادلة كوهين:

جدول (٦) المتوسط والانحراف المعياري وقيمة حجم التأثير ودلالته في

التطبيقات: القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم النحوية إجمالاً.

البيان المحور	التطبيق	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة حجم التأثير	مستوى التأثير
اختبار المفاهيم النحوية إجمالاً	القبلي	28.53	5.47	1.13	تأثير مرتفع جداً
	البعدي	35.33	5.97		

يتضح من الجدول السابق أن قيمة حجم التأثير باستخدام معادلة كوهين قد تجاوزت نسبة (0.8) مما يدل على أن البرنامج الإلكتروني المقترح قد أدى إلى تنمية المفاهيم النحوية لدى عينة البحث، ويؤكد ما تم التوصل إليه في الجدول (4) السابق من وجود فرق دال إحصائياً بين متوسطي درجات عينة البحث في التطبيقين القبلي والبعدي لاختبار المفاهيم النحوية لصالح التطبيق البعدي.

ثانياً: مناقشة نتائج البحث:

استهدف البحث الحالي المفاهيم النحوية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط والتي تم التأكد من مناسبتها بعد عرضها على المحكمين وتضمنت هذه المفاهيم ثلاثة مفاهيم رئيسة انبثق عنها اثنا عشر مفهوماً فرعياً تناولت المكونات الأساسية للجمل الاسمية والجمل الفعلية والنواسخ.

وتعتبر تلك المفاهيم الرئيسة وما يرتبط بها من الأمور الأساسية التي يحتاج متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى للتعرف عليها فمعرفة لنوع الجملة هل هي اسمية أم فعلية؟ يمكنه من التعرف على أركانها الأساسية، وعند تمييزه للجملة الاسمية سيتمكن من تحديد المبتدأ والخبر والتمييز بينهما، وتعرفه على الجملة الفعلية يمكنه من التفريق بين الفعل ومن قام به (الفاعل) ومن وقع عليه الفعل (المفعول به)، وعند دخول النواسخ على الجملة الاسمية فمن المهم معرفة متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى بعملها وما تحدثه من تغيير على الجملة الاسمية.

وقد دلت البيانات الواردة في الجدول (4، و6) إلى أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند استخدام البرنامج الإلكتروني المقترح في تنمية المفاهيم النحوية ويعزو الباحثان هذا التأثير الإيجابي إلى ما يلي:

- اعتماد البرنامج على المدخل الوظيفي، حيث تم اختيار المفاهيم النحوية الشائعة وفقاً لأنماط التراكيب الأساسية، وقد تم الاعتماد على سبعة أنماط من التراكيب بما يتوافق مع تلك المفاهيم.
- تم اختيار المادة اللغوية التعليمية من الواقع الاجتماعي والثقافي المحيط بمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى؛ لضمان استخدام متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى لتلك المفردات والتراكيب في حياته اليومية، وربطها بما تعلمه من مفاهيم.
- عرض المفاهيم النحوية في جمل مفهومة وميسرة سبق للمتعلم دراستها مما سهل على متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى تمييز المفهوم النحوي المستهدف.
- تم الاعتماد على تدريبات الأنماط بحيث يتم تقديم نموذج صحيح بداية كل تدريب.
- تقديم البرنامج بشكل إلكتروني مَكَّنَّ متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى من حرية الوصول للدروس متى ما أراد ذلك دون الارتباط بزمن أو مكان محدد.

- السماح للمتعلم بعدد غير محدود من تكرار الإجابة عن التدريبات أو الأسئلة في نهاية كل درس، مما أسهم في زيادة دافعية متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى للتعلم والتنبه لأخطائه.
- جذب انتباه متعلم اللغة العربية الناطق بلغات أخرى للمفهوم النحوي المستهدف من خلال استخدام التباين في الألوان.
- حرص (عينة البحث) على الاستفادة من البرنامج الإلكتروني المقترح وذلك من خلال الدخول على الموقع بشكل مستمر من بداية البرنامج وحتى نهايته.
- وجد الباحثان اهتماماً كبيراً من قبل (عينة البحث) من خلال التواصل معه لطرح الأسئلة بعد انتهاء تطبيق البرنامج.
- أسهم محتوى البرنامج المقترح في تنمية المفاهيم النحوية لدى المتعلمين.
- اهتم الباحثان بتصميم البرنامج المقترح بدقة عالية، مما انعكس ذلك في تحقيق أهدافه بكفاءة عالية، حيث ساعد ذلك في تنمية المفاهيم النحوية لدى المتعلمين.

ملخص النتائج والتوصيات والمقترحات

يتناول هذا الفصل عرضاً ملخص النتائج التي توصل لها البحث، وأهم التوصيات التي خرج بها البحث، والدارسات المقترحة.

أولاً: ملخص النتائج.

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- قائمة بالمفاهيم النحوية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط تضمنت ثلاث مفاهيم أساسية، وانبثق عنها اثنا عشر مفهوماً فرعياً.
- برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط، اشتمل على ثلاثة دروس.
- تحقق الهدف من البحث وذلك لوجود فاعلية للبرنامج الإلكتروني القائم على المدخل الوظيفي لتنمية المفاهيم النحوية لدى عينة البحث من متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

ثانياً: التوصيات:

- في ضوء ما أسفرت عنه نتائج البحث يوصي الباحثان بما يلي:
- في ضوء البرنامج الإلكتروني المقترح القائم على المدخل الوظيفي، فيوصي الباحثان بما يلي:
 - بضرورة استخدام البرمجيات الإلكترونية القائمة على المدخل الوظيفي في تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
 - عقد دورات تدريبية في استخدام التقنيات الحديثة للقائمين على تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى

- إقامة الندوات والمؤتمرات المتخصصة في توظيف التقنيات الحديثة والبرامج الإلكترونية في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى.
- السعي إلى بناء برامج تعليمية إلكترونية قائمة على المدخل الوظيفي لتعلم اللغة العربية لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
- في ضوء قائمة المفاهيم النحوية المناسبة لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى للمستوى المتوسط، فيوصي الباحثان بما يلي:
- الاستعانة بالقائمة وتطويرها عند تصميم برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى في المستوى المتوسط.
- ضرورة إجراء الدراسات البحثية لتحديد المفاهيم النحوية المناسبة لباقي مستويات متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
- الاهتمام بتنمية المفاهيم النحوية في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى.
- بناءً على المواد التعليمية التي تم التوصل إليها، فيوصي الباحثان بما يلي:
- أن تتولى برامج تعليم اللغة العربية تدريسها وتطويرها، خاصة وأنها مواد تعليمية تم تصميمها بشكل إلكتروني.
- إجراء المزيد من الدراسات التي تهتم بالمدخل الوظيفي في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى.

ثالثاً: المقترحات:

- يقترح الباحثان الموضوعات البحثية الآتية:
- فاعلية برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي في تنمية مهارات الإعراب لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

- فاعلية برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي في تنمية المفاهيم الصرفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
- فاعلية برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي في تنمية المفاهيم البلاغية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.
- فاعلية برنامج إلكتروني قائم على المدخل الوظيفي في تنمية المفردات لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى.

المصادر والمراجع:

- الابراهيم، افتكار عبدالله "أثر برنامج قائم على المدخل الوظيفي في تحسين مهارات القراءة الناقدة لدى طالبات الصف الثالث المتوسط في المملكة العربية السعودية"، مجلة الطفولة العربية، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، م (١٧)، ع (٦٨)، ٢٠١٦م، ص ص ٩-٢٣.
- أحمد، حسين سلطان "فاعلية استخدام المنظمات المتقدمة في تنمية المفاهيم النحوية لطلاب المرحلة الثانوية في التحصيل الدراسي والاتجاه نحو دراسة القواعد النحوية"، أطروحة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث، جامعة القاهرة. ٢٠٠٥م.
- أحمد، محمد امتياز "فاعلية استراتيجية خرائط التفكير في تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، أطروحة ماجستير غير منشورة، معهد تعليم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ٢٠١٤م.
- الأحمدي، محمد عبدالمهدي "فاعلية برنامج مقترح قائم على تقنية الإنفوجرافيك في تنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". مجلة تعليم العربية لغة ثانية، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، ع (٤). ٢٠٢٠م، ص ص ١١١-١٦٢.
- تركي الزهراني وآخرون "مداخل تعليم اللغة: رؤية تحليلية" مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. الرياض، ط ١، ٢٠١٩م.
- جاء الله، علي سعد "المفاهيم النحوية المناسبة لتلاميذ الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي وتقييم منهج النحو في ضوءها"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الزقازيق، ١٩٩٢م.
- الجابري، سلطان حميد "فاعلية برنامج مقترح باستخدام استراتيجية المعرفة السابقة والمكتسبة في تنمية المفاهيم النحوية لدى طلاب المرحلة الثانوية واتجاهاتهم

- نحوها بمنطقة المدينة المنورة"، أطروحة ماجستير غير منشورة، معهد تعليم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ٢٠١٦م.
- الحدادي، علي عبدالمحسن "فاعلية برنامج مقترح قائم على خرائط التفكير الإلكترونية في تنمية المفاهيم النحوية ومهارات الإعراب والكفاءة الذاتية في النحو لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى". المجلة الدولية للبحوث التربوية، جامعة الإمارات، م (٤١)، ع (٤). الجزء الرابع، ٢٠١٧م، ص ص ٢٢٨-٢٧١.
- الحري، وائل مطر "فاعلية برنامج قائم على استراتيجيات التعلم ذي المعنى في تنمية المفاهيم النحوية والمهارات الإعرابية لدى طلاب المستوى الرابع بمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد تعليم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ٢٠١٩م.
- حميد، رائدة حسين "أثر أمودجي كنب وبارمان في اكتساب المفاهيم النحوية في مادة قواعد اللغة العربية لدى طالبات الصف الرابع العلمي". مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. ع (٤٥)، تشرين الأول ٢٠١٩م، ص ص ٣٨٢-٤٠٩.
- الربابعة، إبراهيم حسن "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من منظور وظيفي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية"، م (٤٦)، ع (١)، ٢٠١٩م، ص ص ١٠٥-١٢٢
- رشوان، أحمد محمد "فاعلية استخدام المدخل الوظيفي في تنمية مهارات التحدث الوظيفية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين باللغة الإسبانية"، دراسات في المناهج وطرق التدريس، ع (١٤١)، ٢٠٠٨م، ص ص ٧٠-١١٧
- الرماضين، محمد خليل، أنس حسين آل علي "أثر استخدام استراتيجيات التقويم البديل لتنمية المفاهيم النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات

- أخرى". مجلة أماراباك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، م (١١)، ع (٣٨)، ٢٠٢٠م، ص ص ٤٧-٥٨.
- زهران، حامد عبدالسلام، وآخرون. المفاهيم اللغوية عند الأطفال: أسسها، مهاراتها، تدريسها، تقويمها. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٧م.
- الزهراني، محمد سعيد "فاعلية استراتيجية مقترحة قائمة على التغير المفهومي في تعديل التصورات البديلة عن بعض المفاهيم النحوية لدى طلاب الصف الثاني المتوسط واحتفاظهم بها"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، ٢٠٠١م.
- السليتي، فراس، مقدداي، فؤاد "أثر برنامج قائم على المدخل الوظيفي في تحسين مهارات القراءة الناقدة لدى طلاب الصف التاسع الأساسي في الأردن"، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، م (٢٦)، ع (٩)، ٢٠١٢م، ص ص ١٩٨٠-٢٠٠٦م.
- السناني، ماجد سالم "فاعلية برنامج قائم على المدخل الوظيفي في علاج الصعوبات النحوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد تعليم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ١٤٣٩هـ.
- السيد، فائزة عوض. مداخل واتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية. القاهرة: دار الجزيرة للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٩م.
- الشمراي، محمد موسى "استخدام مقاييس الدلالة العملية لحجم التأثير في الحكم على قياس أهمية نتائج البحوث العلمية"، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، ع (٧٨). الجزء الثالث، ٢٠١٢م، ص ص ١-٣٠.

عبدالباري، ماهر شعبان "فاعلية برنامج قائم على نظرية المخططات العقلية لتنمية المفاهيم النحوية والمعتقدات المعرفية لتلاميذ المرحلة الإعدادية"، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، م (٢٧)، ع (١٠٥)، ٢٠١٦م، ص ص ٣٢٥-٣٨٥.
عريف، هنية "المدخل الحديثة في تعليم اللغة العربية من تعليم اللغة إلى تعليم التواصل باللغة"، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ع (٢٣)، ٢٠١٥م، ص ص ٢١-٣٠.

عطية، محسن علي. مهارات الاتصال اللغوي وتعليمها. عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٨م.
علوي، حافظ إسماعيل، والعناتي، وليد أحمد. أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات. الرباط: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، ٢٠٠٩م.

علي، أبو الذهب البدري "فاعلية برنامج قائم على المدخل الوظيفي ومعايير الجودة في تنمية مهارات الاستماع لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها"، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، ع (١٥٥)، الجزء الرابع، ٢٠١٣م، ص ص ١٠-٦٧.
حسن، حسن عمران "تنمية مهارات التحدث لدى متعلمي اللغة العربية غير الناطقين بها باستخدام المدخل الوظيفي"، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة أسيوط، م (٢٩)، ع (٣)، يوليو ٢٠١٣م، ص ص ٢٧٨-٣٢٣.
عوض، أحمد عبده. مداخل تعليم اللغة العربية. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط ١، ٢٠٠٠م.

القحطاني، سالم، العامري، أحمد، مذهب، معدي، العمر، بدران. منهج البحث في العلوم السلوكية مع تطبيقات spss. الرياض: شركة العبيكان للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤٢٥هـ.

الكويليت، معاوية سليمان "أثر استراتيجتي خرائط المفاهيم والتعلم التوليد على المفاهيم النحوية لدى طلاب الصف الأول الثانوي في المملكة العربية

السعودية"، مجلة كلية التربية، جامعة بور سعيد. ع (٢١)، يناير ٢٠١٧م، ص ٥١٧-٥٥٣.

اللقاني، أحمد حسين، والجمل، علي أحمد. معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس. القاهرة: عالم الكتب، ط٣، ٢٠١٣م.

محمد، جمال محمود "فاعلية استراتيجية قائمة على نظرية الملكة اللسانية لابن خلدون في تنمية المفاهيم النحوية وتطبيقها لدى طلاب الصف الثاني الثانوية بدولة الإمارات العربية المتحدة"، أطروحة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة. ٢٠٠٨م

المزوري، سعاد حامد سعيد "أثر أمودجي جانيه وكلوزماير في اكتساب المفاهيم النحوية لدى طالبات المرحلة الإعدادية"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد: كلية التربية، ٢٠٠١م.

هطيف، محمد أحمد "أثر استخدام استراتيجية المنظمات المتقدمة لتدريس النحو في اكتساب طلبة المرحلة الثانوية للمفاهيم النحوية"، أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة صنعاء، ٢٠٠٨م.

Bibliography

- Hamid, Rā'ida Husain, "The Typical Influence (Kamp and Barman) in Acquiring Grammatical Concepts in Arabic Grammar for Fourth Stage Students". (in Arabic) Journal of College of Basic Education for Educational and Human Sciences. P. (45), October 2019, pp. 382-409.
- El-Sayyid, Fayza 'Iwad. "Modern approaches and trends in teaching Arabic and Islamic education". Cairo: Dar Al-Jazeera for Printing and Publishing, Edition 1, 2009.
- Abdul-Bārī, Mahir Sha'bān, "The Effectiveness of a Program Based on The Theory of Mental Schemas for The Development of Grammatical Concepts and Cognitive Beliefs for Middle School Students". (in Arabic) Journal of Faculty of Education, Benha University, Vol. (27), issue. 105), 2016, pp. 325-385.
- Ahmad, Muhammad Imtiyāz, "effectiveness of the thinking maps strategy in developing grammatical concepts among learners of Arabic speaking other languages". (in Arabic) an unpublished master's thesis, Institute of Arabic Language Teaching, Islamic University of Madinah. 2014.
- Ahmad, Husein Sultan. "The Effect of using Advance Organizers in Development Grammatical Concepts to the Secondary Stage's Students on Achievement and their Attitudes towards studying Grammar". (in Arabic) unpublished master's thesis, Institute of Studies and Research, Cairo University. 2005.
- Al-Ibrahim, Iftikār Abdullāh. "The effect of a Functionally-Based Instructional Program on Improving Critical Reading Skills of Female Students of the 8th Grade in Saudi Arabia" (in Arabic) Journal of Arab children, Kuwait Association for Childhood Evolution, Vol (17), issue. (68), 2016, pp. 9-23.
- Al-Ahmadi, Muhammad Abdul-Hadi, "The effectiveness of a proposed program based on educational info graphic in developing grammatical concepts for foreign Arabic language learners".(in Arabic) Journal of Teaching Arabic as a Second Language, King Abdullah International Center for Arabic Language Service, issue (4). 2020, pp. 111-162.
- 'Alawi, Hafiz Ismail, and Al-'Anati, Walid Ahmad. "Language questions Linguistics questions are the outcome of half a century of linguistics in Arab culture". (in Arabic) Rabat: Arab House of Science Publishers, Edition 1, 2009.
- Al-Harbi, Wā'il Matarr, "The effectiveness of a program based on learning strategies that have a meaning in the development of grammatical concepts and literacy skills among students of the

- fourth level of the Institute of Arabic Language Teaching for non-native speakers”. (in Arabic). Ph.D. Unpublished, Institute of Arabic Language Teaching, Islamic University of Madinah. 2019.
- ‘Ali, Abu Al-Dahab Al-Badri, "The Effectiveness of a Program Based on Functional Approach and Quality Standards in Developing Listening Skills for Non-Arabic Language Learners". (in Arabic) Journal of the College of Education, Al-Azhar University, issue (155), Part IV, 2013, p. 10-67.
- Al-Jabiri, Sultan Hamid. "The effectiveness of a proposed program using the strategy of prior and acquired knowledge in developing grammatical concepts among secondary school students and their attitudes towards it in the Medina region".(in Arabic) an unpublished master's thesis, Institute of Arabic Language Teaching, Islamic University of Madinah. 2016.
- Al-Kuwailit, Mu‘āwiya Suleiman. "The Effect of conceptual maps and generative learning strategies on the syntactic concepts for the first secondary class in the kingdom of Saudi Arabia".(in Arabic) Journal of the College of Education, Port Said University. issue. (21), January 2017, pp. 517-553.
- Al-Laḳāni, Ahmad Husain, and Al-Jamal, ‘Ali Ahmad. “A dictionary of educational terms defined in curricula and teaching methods”. (in Arabic) Cairo: World of Books, 3rd Edition, 2013.
- Al-Mizwari, Su‘ād Hamid Sa‘eed, "The Effect of Gagne's and Klaus Meier's Models on the Acquisition of Grammatical Concepts by the Female Students of the Preparatory Stage".(in Arabic) unpublished doctoral thesis, University of Baghdad: College of Education, 2001.
- Al-Qahtāni, Salim, Al-Amiri, Ahmad, Madhhab, Ma‘di, Al-‘Amr, Badran. “Research methodology in behavioral sciences with spss applications”. (in Arabic) Riyadh: Obeikan Printing and Publishing Company, 2nd floor, 1425 AH.
- Al-Rababi‘ah, Ibrahim Hasan, “Teaching Arabic as A Second Language from A Functional Perspective”, (in Arabic) Dirasat Journal, Humanities and Social Sciences, University of Jordan, Vol. 46, Issue 1, (2019), pp: 105-122.
- Al-Ramadeen, Muhammad Khalil, Anas bin Husain Al-‘Ali. "The effect of using alternative evaluation strategies to develop grammatical concepts among Arabic language learners speaking other languages".(in Arabic) Amarabac Journal, American Arab Academy for Science and Technology, M. (11), issue. (38), 2020, pp. 47-58.
- Al-Shamrani, Muhammad Musa, “Using measures of practical significance for the size of the impact in judgment on measuring

- the importance of scientific research results". (in Arabic) Journal of the College of Education, Mansoura University, issue (78). Part III, 2012, pp. 1-30.
- Al-Sinani, Majid Salim. "The Efficacy of Program Based on Occupational Approach Processing Grammatical Difficulties for Non-Arabic Native Learners of Arabic Language". (in Arabic) unpublished PhD thesis, Institute of Arabic Language Teaching, Islamic University of Madinah. 1439 AH.
- Al-Sulaiti, Firās, Miqdadi, Fuād, "The Effect of A functionally-based Instructional Program on Developing Nineth Grade Students' Critical Reading Skills in Jordan", An-Najah University Journal for Research, Vol. 26, issue. (9), 2012, pg. 1980 -2006.
- Al-Zahrani, Muhammad Sa'eed, "The effectiveness of a proposed strategy based on conceptual change in modifying alternative conceptions of some grammatical concepts among second-grade students and their retention of them".(in Arabic) unpublished PhD thesis, College of Education, Umm Al-Qura University, 2001.
- ‘Areef, Haniyyah, "Modern Approaches to Teaching the Arabic Language from Language Teaching to Language Communication Education". (in Arabic) Al-Athar Journal, Qasdi Merbah University, issue. (23), 2015, pp. 21-30.
- ‘Atia, Muhsin ‘Ali. "Language communication skills and education". (in Arabic) Oman: Dār Al-Manāhij for Publishing and Distribution, 1st Edition, 2008.
- ‘Iwad, Ahmad ‘Abdu. "introductions to teaching Arabic". (in Arabic) Makkah Al-Mukarramah: Umm Al-Qura University, 1st Edition, 2000.
- Al-Hudaybi, ‘Ali ‘Abd al-Muhsin. "Effectiveness of a Suggested Program Based Electronic Thinking Maps on Developing Grammatical Concepts, Grammatical Skills and Grammatical Self - Efficacy for Foreign Arabic Language Learners". (in Arabic) International Journal for Research in Education, UAE University, vol. 41, issue. (4). Part 4, 2017, pp. 228-271.
- Hassan, Hassan ‘Imran. "Developing the speaking skills of non-native Arabic language learners using the functional approach".(in Arabic) Scientific Journal of the Faculty of Education, Assiut University, vol. (29), issue. (3), July 2013, pp. 278-323.
- Hutaif, Muhammad Ahmad. "The Impact of Using the Advanced Organizations Strategy for Teaching Grammar on High School Students' Acquisition of Grammatical Concepts".(in Arabic) Unpublished Master's Thesis, College of Education, Sana'a University, 2008.

- Jāballāh, ‘Alī Sa‘d, "The appropriate grammatical concepts for students of the first cycle of basic education and evaluating the grammar curriculum in its light".(in Arabic) unpublished doctoral thesis, Faculty of Education, Zagazig University, 1992.
- Muhammad, Jamāl Mahmoud. "Strategy Efficacy Stands on the Theory of Lingual Talent by Ibn Khaldun for Enhancement of Grammatical Concepts and it's Applications for the Second Secondary Class Students in the United Arab Emirates".(in Arabic) unpublished master's thesis, Institute of Educational Studies and Research, Cairo University. 2008.
- Rashwan, Ahmad Muhammad. "The Effectiveness of Using the Functional Approach in Developing the Functional Speaking Skills for Spanish-Speaking Arabic Language Learners".(in Arabic) Studies in Curricula and Teaching Methods, issue (141), 2008, pp. 70-117.
- Turki Al-Zahrani and others, "Introductions to Language Education: An Analytical Vision," King Abdullah bin Abdulaziz International Center for Arabic Language Service. Riyadh, 1st ed., 2019. p. 135.
- Zahran, Hamid ‘Abd al-Salam, and others. "Linguistic concepts in children: foundations, skills, teaching, and evaluation". (in Arabic) Oman: Dar Al Masirah for Publishing and Distribution, 1st ed., 2007.





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 4

Part : 2

Jan - Apr 2022